مجلد من تاريخ الاسلام للذهبي وهو المجلد الاخير
من سنة ٥٧١ احدى وسبعين وخمسمائه
الى اخر سنة سبعمائه ٧٠٠

في التواريخ

من ٥٧١ الى سبعمائة

2015

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله

قد وقف هذه النسخة الجليلة سلطاننا الاعظم والخاقان المعظم مالك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين السلطان ابن السلطان السلطان الغازي محمود خان وقفا صحيحا شرعيا لمن طالع وتبصر واعتبر وتذكر
اجزل الله تعالى ثوابه
وانا حرره الفقير احمد شيخ زاده المفتش باوقاف الحرمين الشريفين
عفي عنهما

من كتب ... عفا الله عنه

عفا الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر واعن

محمود بن [illegible] زنكي بن اقسنقر التركي الملك العادل نور الدين ناصر سنة ٤٧٠
امير المومنين ابو القاسم قال ابن عساكر كان اقسنقر قد ولي بنيابة حلب للسلطان ترجمة اقسنقر
ملك شاه بن الب رسلان وولي غيرها من بلاد الشام ونشا قسيم الدولة زنكي
بالعراق وندبه السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه بن الب رسلان براي الخليفة المسترشد
بالله لولاية الموصل وديار بكر والبلاد الشامية بعد قتل اقسنقر البرسقي وموت
ابنه مسعود فظهرت كفاية زنكي وعرفت شهامته وبانت عند ظهور ملك الروم ونزوله
على شيزر حتى رجع [illegible] خايبا وقد حاصر قسيم الدولة زنكي دمشق مرتين
فلم يفتحها وافتتح الرها والمعرة وكفرطاب وغيرها من ايدي الكفار وتوفي وقام
مقامه في ولاية الشام ابنه الملك نور الدين ولد في شوال سنة احدى عشرة وخمسمائة
ودخل قلعة حلب بعد قتل والده على جعبر في ربيع الاخر سنة احدى واربعين
فخلع على الامرا **قلت** تملك [illegible] ثلاثين سنة وكان اعدل ملوك زمانه بالاجماع
واكثرهم جهادا واحرصهم على الخير وادينهم وانفعهم لله قال ابن عساكر ظهر منه بذل
الاجتهاد في قيام الجهاد وخرج من حلب غازيا في اعمال تل باشر وافتتح حصونا كثيرة
قلعة افامية وحصن البارة وقلعة الراوندان وقلعة تل خالد وحصن كفرلاثا
وحصن بسرفوت بجبل بني عليم وقلعة عزاز وتل باشر ودلوك ومرعش وقلعة عين تاب
ونهر الجوز وغزا حصن انب فقصده الابرنس صاحب انطاكية فواقعه فكسره
نور الدين وقتله وثلاثة الاف افرنجي وبقي له ولد صغير مع امه بانطاكية وتزوجت
بابرنس اخر فخرج نور الدين في بعض غزواته فاسر الابرنس الاخر فتملك انطاكية ابنه
وباعه نور الدين [illegible] بمال عظيم قال واظهر السنة بحلب وغير البدعة التي كانت
لهم في التاذين وقمع [illegible] الرافضة وبنى المدارس واقام العدل وحاصر دمشق مرتين ثم
فتحها في الثالثة [illegible] كان صالح معين الدين اتابك صاحبها وصاهره واجتمعت كلمتهما على
العدو فلما [illegible] سلمها اليه اهلها لغلاء الاسعار والخوف من العدو فتملكها وسكنها
وحصن سورها وبنى بها المدارس والمساجد ووسع اسواقها ورفع عن الناس
الاثقال التي [illegible] كانت توخذ منهم من المغارم بدار البطيخ وسوق الغنم وضمان

النهر

وما هو الا اقليم نقلده وجيش ما احتمل لملك قط مثله لولا ان الله خذله ثم عدد اشيا
الى ان قال وان المراد الان تقليد جامع بمصر واليمن والمغرب والشام وكل ما تشتمل عليه
الولاية النورية وكل ما تفتحه الله للدولة العباسية بسيوفنا ولمن نقيمه من اخ وولد
من بعدنا تقليدا تضمن للنعمة تخليدا وللدعوة تجديدا مع ما ينعم به من التشريفات التي فيها الملك
والفرح فهم يعرفون منا خصما لا يمل حتى يملوا ومريا لا يزال يحرم السيف حتى يحلوا واذا
شد راينا حسن الراي ضربنا بسيف يقطع في غمده وبلغنا المنا بمشية الله ويد كل
مومن تحت برده واستنقذنا اسيرا من المسجد الاقصى الذي اسرى الله اليه بعبده
وفيها ملك البهلوان بن ايلدكز مدينة توريز بالامان واستعمل عليها اخاه قزل ارسلان
وتسلم مراغة قال ابن الاثير وفي سنة فتنة قطب الدين قايماز ولما اقام قايماز بالحلة
امتنع الحاج من السفر فتاخروا الى ان رحل فادركوا ورحلوا من الكوفة فلما عرفات
في ثمانية عشر يوما وهذا ما لم يسمع بمثله ومات كثير منهم **الطبقة الثامنة والخمسون**

سنة احدى وسبعين وخمسمائة قال ابن الجوزي تقدم الي بالجلوس تحت المنظرة
فتكلمت في ثالث المحرم والخليفة حاضر وكان يوما مشهودا ثم تقدم الي بالجلوس
يوم عاشورا فكان الزحام شديدا وابتديت [illegible] وحضر امير المومنين وفي صفر
قبض على استاذ الدار صندل الذي جاء في الرسلية الى نور الدين وعلى حاجب
ارجف الناس انهم عملوا على شي وولي ابو الفضل ابن الصاحب استاذ الدار
وولي مكانه في الحجابة ابن الناقد قال ابن الجوزي وكانت بنتي رابعة قد خطبت فسال
الزوج ان يكون العقد بباب الحجرة فحضرنا يوم الجمعة وحضر قاضي القضاة ونقيب
النقبا والاكابر فزوجتها من ابي الفرج بن الرشيد الطبري وتزوج حسن ولدي
ابو القاسم بابنة الوزير عون الدين ابن هبيرة **قلت** ثم تعارف ابو القاسم هذا
وصار ينسخ بالاجرة وهو ممن اجاز للقاضي تقي الدين الحنبلي قال وتكلمت في رجب
تحت المنظرة وازدحم الخلق وحضر امير المومنين وكنت اذا تكلمت اصعد المنبر
ثم اضع الطرحة الى جانبي فاذا فرغت اعدتها وكان المستضي بالله كثيرا ما يحضر
مجلس ابن الجوزي في مكان من ورا الستر وقال موفقا على كلام ابن الجوزي مزيد
يعني في الحسن قال وكان الرقص قد كثر [illegible] صلب المخزن الى امير المومنين

حضور المستضي بالله العباسي مجلس ابن الجوزي

ان لم تقووا يد ابن الجوزي لم يطق دفع البدع فكتب تقوية يدي فاخبرت الناس بذلك
على المنبر فقلت ان امير المومنين صلوات الله عليه قد بلغه كثرة الرفض وقد خرج توقيعه
بتقوية يدي في ازالة البدع فمن سمعتموه يسب فاخبروني حتى اخرب داره واسجنه
فانكف الناس وامر بمنع الوعاظ الا انا وابو الخير القزويني من الشافعية وصهر الشافعي
العبادي من الحنفية ثم سئل في ابن الشيخ عبد القادر فاطلق وفي ذي القعدة خرج الشيخ
الى الكشك الذي جدده ركن الدولة مشاه وراه الناس في دخوله وفيها خلع على ظهير الدين
العطار بولاية المخزن وفيها عمل الوزير بن رئيس الرؤساء دعوة جمع فيها ارباب المناصب وخلع
علي ونصب لي منبر في الدار وحضر الخليفة الدعوة فلما اكلوا تكلمت وحضر السلطان والدولة
وجميع علما بغداد ووعاظها الا النادر وفيها ارسل الى صاحب المدينة تقليد بمكة فجرت
فتنة لذلك بمكة وقتل جماعة ثم صعد امير مكة المعزول وهو مكثر بن عيسى بن فليتة الى القلعة
التي على ابي قبيس ثم نزل وخرج عن مكة ووقع النهب بمكة واحرقت دور كثيرة وحكى العلوي
في تاريخه ان الركب خرجوا من عرفات ولم يبيتوا بمزدلفة ومروا بها ولم يقدروا على رمي الجمار وخرجوا
الى الابطح فبكوا يوم العيد وقد خرج اليهم من كان بهم من مكة فتطاردوا وقتل جماعة بين
الفريقين ثم آل الامر الى ان صح في الناس الغزاة الى مكة قال ابن الجوزي فحدثني بعض الحاج
ان زراقا ضرب بالنفط فاشتعلت ولا حول ولا قوة الا بالله وكانت تلك الدار لايتام ثم
سوى قارورة نفط ليضرب بها فجاءه حجر فكسرها فعادت عليه فاحرقته وبقي ثلاثة ايام يسلخ
الجسد وراى بنفسه العجايب ثم مات قال ثم ان ذلك الامير الجديد مال الى احتراز اموال
بعد الحاج بمكة فامر واغنى وفيها كانت وقعة تل السلطان وحديث ذلك ان عسكر الموصل
تحركوا وحشدوا والتقوا السلطان بنواحي حلب في جموع كثيرة وعلى الكل السلطان سيف
الدين غازي بن مودود بن زنكي فالتقاهم السلطان صلاح الدين في جمع قليل فهزمهم واسر
منهم ونهب وخفف دماءهم ثم احضر الامراء الذين اسرهم فاطلقهم ومن عليهم قال ابن الاثير لم
يقتل من الفريقين على كثرتهم الا رجل واحد ووقعت على حرمن العرض وكان في عسكر
سيف الدين غازي في هذه الوقعة يزيدون على ستة الاف فارس اقل من خمسمايه قلت
ثم سار صلاح الدين الى منبج فاخذها ثم سار الى عزاز فنازل القلعة ثمانية وثلاثين
يوما ووثب عليه وهو محاصرها قوم من الفداوية وجرح في فخذه واخذوا وقتلوا ثم اصبح

عزاز

عزاز ومن كتاب فاضلي عن صلاح الدين الى الخليفة يطالعه بان الحلبيين والموصليين
لما وضعوا السلاح وخفضوا الجناح انقبض ما بعد ان كانت البلاد في ايدينا على استخدام
عسكر الحلبيين في السكارات الى الكفر وعرضنا عليهم الامانة فحملوها والايمان فبذلوها
وسار رسولنا وحلف صاحب الموصل يمينا جعل الله فيها حكما وعاد رسوله ليستمع منا
اليمين فلما حضر واحضر نسختها وما بينه لم يخرجها فاخرج نسخة يمين كانت بين الموصليين
والحلبيين على حربنا والقعد على حربنا وقد حلف بها للمستكين خادم حلب وجماعة معه
يمينا تنقض الاولى فرددنا اليمين الى يمين الرسول وقلنا هذه يمين على الايمان
خارجة واردت عملي واراد الله خارجة وانتصر الرسول وعلمنا انا قد بصرنا في الرسوا
الشريفة مسترخية الا وامر الى الموصلي اما الكتاب موكد بان لا ينقض العهد واما التهمة
لنا في حربه وقال ابن ابي طي لما ملك صلاح الدين منبج في شوال صعد الحصن وجلس يستعرض
اموال ابن حسان وذخايره فكانت ملمالة الف دينار ومن اواني الذهب والفضة والذخاير
والاسلحة ما يناهز الف الف دينار فراى على بعض الاكياس والانية مكتوبا يوسف
فسال عن هذا الاسم فقيل له ولد يحبه اسمه يوسف كان يدخر هذه الاموال له فقال
السلطان انا يوسف وقد اخذت ما خبي لي ومن كتاب السلطان الى اخيه العادل يقول
ولم يبلغني من الحشيشي الملعون الا خدش قطرت منه قطرات دم خفيفة انقطعت
لوقتها واندملت لساعتها واما صلاح الدين فسار من عزاز فنازل حلب في نصف ذي
الحجة وقامت العامة في حفظها بكل ممكن وصابرها صلاح الدين شهرا ثم ترددت
الرسل في الصلح فترحل عنهم واطلق لابن نور الدين قلعة عزاز قال ابن الاثير وفي
رمضان انكسفت الشمس ضحوة نهار وظهرت الكواكب حتى بقي الوقت كانه ليل مظلم
وكنت صبيا حينئذ علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين الحافظ الكبير
ابو القاسم ثقة الدين بن عساكر الدمشقي الشافعي صاحب تاريخ دمشق احد اعلام
الحديث ولد في مستهل سنة تسع وتسعين واربع مائة وسمعه اخوه الصاين هبة الله
سنة خمس وخمسمايه وبعدها من الشريف ابي القاسم النسيب وابي القاسم قوام بن
زيد وابي الوحش سبيع بن قيراط وابي طاهر محمد بن الحسين الحنائي وابي الحسن بن الموازيني
وابي الفضائل الماسح ومحمد بن المصيصي ثم سمع بنفسه من ابي محمد بن الاكفاني وابي الحسن بن

الكسوف الكلي ذكر السنة

الحافظ ابن عساكر

قيس المالكي وعبد الكريم بن حمزة وطاهر بن سهل ومن بعدهم ورحل الى بغداد سنة عشرين
فاقام بها خمس سنين وحج في سنة احدى وعشرين فسمع بمكة من عبد الله بن محمد بن الغزال
المصري صاحب كريمة المروزية وسمع ببغداد من ابي القاسم بن الحصين وابي الحسن
الدينوري وابي العز بن كادش وقرا على ابن سعد وابي غالب بن البنا والبارع ابي
عبد الله الدباس وهبة الله الشروطي وخلق كثير وعلق مسايل الخلاف على ابي سعد اسمعيل
ابن ابي صالح المؤذن ولازم الدرس والتفقه بالنظامية ورجع بعلم جم وسماعات كثيرة
وسمع بالكوفة من عمر بن ابرهيم العلوي ثم رحل سنة تسع وعشرين على اذربيجان الى خراسان
وجال في بلادها ودخل اصبهان وبقي في هذه الرحلة نحو سنتين سمع ابا عبد الله محمد بن
الفضل الفراوي وعبد المنعم بن القشيري وهبة الله السيدي وتميم بن ابي سعيد الجرجاني
الهروي ويوسف بن ايوب الزاهد وزاهر بن طاهر الشحامي والحسين بن عبد الملك الاديب
وسعيد بن ابي الرجا وغانم بن خالد واسمعيل بن محمد الحافظ والموجودين في هذا العصر
وخرج اربعين حديثا في اربعين بلدا كالسلفي وعدة شيوخه الف وثلثماية شيخ وثمانون
امراة ونيف وحدث بخراسان واصبهان وبغداد وسمع منه الكبار كالحافظ ابي العلا
الهمداني والحافظ ابي سعد السمعاني وصنف التصانيف المفيدة ولم يكن في زمانه احفظ
ولا اعرف بالرجال منه ومن تصفح تاريخه علم قدر الرجل واجاز له من الكبار ابو الحسن بن
العلاف وابو القاسم بن بيان وابو علي بن نبهان وابو الفتح احمد بن محمد الحداد وغانم البرجي
وابو بكر عبد الغفار الشيروي وابو علي الحداد وابو صادق مرشد بن يحيى وابو عبد الله
الرازي وطايفة روى عنه ابنه القاسم وبنو اخيه فخر الدين ابو منصور وتاج الامنا
وزين الامنا وعبد الرحيم وعز الدين النسابة محمد بن تاج الامنا والحافظ ابو المواهب
ابن صصرى واخوه ابو القاسم الحسين والقاضي ابو القاسم ابن الحرستاني وابو جعفر
القرطبي والحافظ عبد القادر وابو الوحش عبد الرحمن بن نسيم والحسن بن علي الصقلي
وصالح بن فلاح الزاهد وظهير الدين عبد الواحد بن عبد الرحمن بن سلطان القرشي وابو
العز مظفر بن عقيل الشيباني الصفار والد النجيب والصاين نصر الله بن عبد الكريم بن
الحرستاني والبدر يونس بن محمد الفارقي الخطيب والقاضي ابو نصر بن الشيرازي ومحمد
اخي الشيخ ابي البيان وعبد القادر بن الحسين البغدادي ونصر الله بن قنيبات وابرهيم

وعبد

وعبد العزيز ابنا الخشوعي ويونس بن منصور السقباني وادريس بن الخضر السقباني
ومحمد بن رومي الجرداني وحاطب بن عبد الكريم المزي وذاكر بن عبد الوهاب السقباني
وذاكر الله بن ابي بكر الشعري ومحمد بن غسان ومحمد بن عبد الكريم بن الهادي والمسلم بن
احمد المازني وعبد العزيز بن محمد بن الدجاجية وعبد الرحمن بن عبد المومن ورزين العطار
وشعبان بن ابرهيم ومحمد بن احمد بن زهير ومحمود بن خضير الداراني وعبد الرحمن بن
راشد البيت سوائي ونجم الامنا عبد الرحمن بن علي الازدي وعمر بن عبد الوهاب بن البراذعي
وعتيق السلماني وبهاء الدين علي بن الجميزي وعبد المنعم بن محمد بن محمد بن ابي المضا بن جاجاه
ومات في اخر سنة اربع واربعين والرشيد احمد بن مسلمة وعبد الواحد بن هلال وخلق
اخرهم وفاة ابو محمد مكي بن المسلم بن علان وقد روى عنه الكثير ابو سعد السمعاني ومات
قبل ابن علان بسبعين سنة ● فمن تصانيفه التاريخ ثمانماية جزء والموافقات
اثنان وسبعون جزا والاطراف التي للسنن ثمانية واربعون جزا وعوالي مالك احد
وثلاثون جزا والمالي لحديث مالك العالي تسعة عشر جزا وغرايب مالك عشرة اجزا
ومعجم القرى والامصار جز ومعجم شيوخه اثنا عشر جزا ومناقب الشبان خمسة عشر
جزا وفضل اصحاب الحديث احد عشر جزا والسباعيات سبعة اجزا وكتاب تبيين
كذب المفتري فيما نسب الى الاشعري مجلد والمسلسلات له مجلد وكتاب فضل
الجمعة مجلد والاربعون الطوال ثلاثة اجزا وعوالي شعبة مجلد وكتاب الزهادة
في ترك الشهادة مجلد وعوالي الثوري مجلد والاربعون الجهادية والاربعون البلدية
والاربعون الابدال ومسند اهل داريا مجلد ومن وافقت كنيته كنية زوجته مجلد
صغير وشيوخ النبل مجلد لطيف وحديث اهل صنعا الشام مجلد صغير وحديث
اهل قرية البلاط مجلد صغير وفضايل عاشورا ثلاثة اجزا وكتاب الزلازل ثلاثة
اجزا وثواب المصاب بالولد جزان وطرق قبض العلم جز وكتاب فضل مكة وكتاب
فضل المدينة وكتاب فضل القدس وجز فضايل عسقلان وجز فيمن نزل المزة وجز
في فضايل الربوة والنيرب وجز في مقام ابرهيم وبرزة وجز في اهل قرية الحميريين
وجز اهل كفرسوسية وجز اهل كفربطنا وجز بيت فوقا وبيت راس وجز سعد بن
عبادة والمنيحة وجز اهل حرستا وجز اهل جملكا وجز بيت لهيا وجز جوبر وجز اهل

حزدان وجزء اهل حديا وجزء اهل مرده وجزء اهل منبج وجزء اهل اسنوا وجزء اهل
بعلبك وجزء المسلسل لمنكر حديث الهبوط والجواهر واللالي ثلاثة اجزاء ابدال
وعوالي مالك واملى اربع مائة مجلس وثمانية مجالس في فنون شتى وخرج لشيخه ابي غالب بن
البنا مشيخة ولشيخه جمال الاسلام مشيخة واربعين حديثا مصافحات لرفيقه
ابي سعد السمعاني واربعين حديثا مساواة لشيخه الفراوي وخرج في اخر عمره
لنفسه كتاب الابدال ولم يتمه ولو تم لجاء نحو مائتي جزء ذكره ابن السمعاني في تاريخه فقال
كثير العلم غزير الفضل حافظ ثقة متقن دين خير حسن السمت جمع بين معرفة المتون
والاسانيد صحيح القراءة متثبت محتاط رحل وتعب وبالغ في الطلب الى ان جمع ما لم
يجمع غيره واربى على اقرانه ودخل نيسابور قبلي بشهر او نحوه في سنة تسع وعشرين وسمع
بقراءتي وسمعت بقراءته مدة مقامنا بها الى ان اتفق خروجه الى اهل هراة وخروجي الى
اصبهان واجتمعت به ببغداد بعد رجوعي سنة ثلاث وثلاثين وسمعت منه كتاب
المجالسة بدمشق ومعجم شيوخه وكان قد شرع في التاريخ الكبير لمدينة دمشق
وصنف التصانيف وخرج التخاريج وقرات بخط ابن الحاجب قال حدثني زين الامناء قال
حدثني ابن القزويني عن والده مدرس النظامية يعني ابا الخير قال حكى لنا ابو عبد الله الفراوي
قال قدم ابو القاسم بن عساكر فقرا علي ثلاثة ايام فاكثر واضجرني واليت على نفسي ان اغلق
الغد بابي وامتنع فلما اصبحت قدم علي شخص فقال انا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم
اليك قلت مرحبا برسول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قال لي رسول الله في
النوم امض الى الفراوي وقل له قدم بلدكم رجل من الشام اسمر اللون يطلب
حديثي فلا ياخذك منه ضجر ولا ملل قال القزويني فوالله ما كان الفراوي يقوم من المجلس
حتى يقوم الحافظ ابتداء منه وقال ابنه القاسم ابو محمد الحافظ كان رحمه الله مواظبا
على صلاة الجماعة وتلاوة القران يختم في كل جمعة ويختم في رمضان كل يوم ويعتكف
في المنارة الشرقية وكان كثير النوافل والاذكار وكان يحيي ليلة النصف والعيدين
بالصلاة والذكر وكان يحاسب نفسه على لحظة تذهب في غير طاعة وقال لي لما حملت
بي امي رات في منامها قائلا يقول لها تلدين غلاما يكون له شان وحدثني ان اباه راى
رؤيا معناها يولد لك ولد يحيي الله به السنة حدثني ابي رحمه الله قال كنت يوما اقرا على
ابي

ابي الفتح المختار بن عبد الحميد وهو يتحدث مع الجماعة فقال قدم علينا ابو علي بن الوزير
فقلنا ما راينا مثله ثم قدم علينا ابو سعد بن السمعاني فقلنا ما راينا مثله حتى قدم علينا
هذا فلم نر مثله وحكى لي ابو الحسن بن ابرهيم الانصاري الحنبلي عن ابي الحسن سعد الخير
قال ما رايت في سن الحافظ ابي القاسم مثله حدثنا محمد بن عبد الرحمن المسعودي سمعت
ابا العلاء الهمذاني يقول لرجل وقد استاذنه ان يرحل فقال ان عرفت استاذا اعلى مني
او في الفضل مثلي فحينئذ اذن لك ان تسافر اليه الا ان تسافر الى الحافظ ابن عساكر
فانه حافظ كما يجب فقلت من هذا فقال حافظ الشام ابو القاسم يسكن دمشق واثنى عليه
وكان يجري ذكره عند خطيب الموصل ابي الفضل فيقول ما نعلم من يستحق هذا اللقب
اليوم اعني الحافظ ويكون به حقيقا سواه كذا حدثني ابو المواهب بن صصرى وقال لما
دخلت همذان اثنى عليه الحافظ ابو العلا وقال لي انا اعلم انه لا يساجل الحافظ ابا
القاسم في شانه احد فلو خالق الناس ومازجهم كما اصنع اذا لاجتمع عليه الموافق والمخالف
وقال لي يوما اي شيء فتح له وكيف ترى الناس له قلت هو بعيد من هذا كله لم يشتغل
منذ اربعين سنة الا بالجمع والتصنيف والتسميع حتى في نزهه وخلواته فقال الحمد لله
هذا ثمرة العلم الا انا قد حصل لنا هذا المسجد والدار والكتب هذا يدل على قلة
حظوظ اهل العلم في بلادكم ثم قال لي ما كان يسمى ابو القاسم ببغداد الا شعلة نار
من توقده وذكائه وحسن ادراكه وقال ابو المواهب اما انا فكنت اذاكره في خلواته
عن الحفاظ الذين لقيهم فقال اما ببغداد فابو عامر العبدري واما باصبهان فابو
نصر اليونارتي لكن اسمعيل الحافظ كان اشهر منه فقلت له فعلى هذا ما راى سيدنا
مثله فقال لا تقل هذا قال الله فلا تزكوا انفسكم وقد قال واما بنعمة ربك فحدث
قال نعم لو قال قائل ان عيني لم تر مثلي لصدق قال ابو المواهب وانا اقول لم ار مثله ولا
من اجتمع فيه ما اجتمع فيه من لزوم طريقة واحدة منذ اربعين سنة من لزوم الصلوات
في الصف الاول الا من عذر والاعتكاف في رمضان وعشر ذي الحجة وعدم التطلع الى
تحصيل الاملاك وبناء الدور قد اسقط ذلك عن نفسه واعرض عن طلب المناصب من
الامامة والخطابة واباها بعد ان عرضت عليه وقلة التفاته الى الامراء واخذ نفسه بالامر
بالمعروف والنهي عن المنكر لا تاخذه في الله لومة لائم قال لي لما عزمت على التحديث والله

المطلع انه ما حملني على ذلك حب الرياسة والتقدم بل قلت متى ادوي كلما سمعت واي
فائدة في كوني اخلفه بعدي صحائف فاستخرت الله تعالى واستاذنت اعيان شيوخي
ورؤسا البلد وطفت عليهم فكل قال ومن احق بهذا منك فشرعت في ذلك في سنة ثلاث
وثلاثين وقال عمر بن الحاجب الحافظ حكى لي زين الامنا ان الحافظ لما عزم على الرحلة
اشترى جملا وتركه بالخان فلما وصل القفل تجهز وخرج فوجد الجمل قد مات فقال له
الجماعة الذين خرجوا لوداعه ارجع فما هذا فال مبارك وقيدوا عزمه فقال والله لو
مشيت راجلا لا ثنيت عزمي وحمل خرجه وقماشه وتبع الركب واكرى منهم في القصير
وكانت طريقه مباركة وقال ابو محمد القاسم قال لي والدي لما قدمت من سفري قال لي
جدي القاضي ابو المفضل يحيى بن علي اجلس الى سارية من هذه السواري حتى اجلس اليك
فلما عزمت على الجلوس اتفق انه مرض ولم يقدر له بعد ذلك خروج الى المسجد وكان
ابي رحمه الله قد سمع اشياء لم يحصل منها نسخا اعتمادا على نسخ رفيقه الحافظ ابي
علي بن الوزير وكان ما حصله ابن الوزير لا يحصله ابي وما حصله ابي لا يحصله ابن
الوزير فسمعته يقول رحلت وما كاني رحلت كنت احسب ان ابن الوزير يقدم بالكتب
مثل الصحيحين وكتب البيهقي والاجزاء فاتفق سكناه بمرو وكنت اومل وصول
رفيق اخر يوسف بن فاذ والجياني ووصول رفيقنا المرادي وما ارى احدا منهم
قدم فلا بد من الرحلة ثالثا وتحصيل الكتب والمهمات فلم يمض الا ايام يسيرة حتى قدم
ابو الحسن المرادي فانزله ابي عندنا وقدم باربعة اسفاط كتب مسموعة ففرح
ابي بذلك وكفاه الله مؤنة السفر واقبل على النسخ والاستنساخ وقابل وبقي
من مسموعاته نحو الخمسمائة جزء فاعانه عليها ابن السمعاني وينقل اليه منها جملة حتى لم يبق عليه
اكثر من عشرين جزءا وكان كلما حصل له جزء منها كانه قد حصل على ملك الدنيا قلت وله
شعر جيد يملي منه عقيب مجالسه فمن شعره   ايا نفس ويحك جا المشيب
فماذا التصابي وماذا الغزل   تولى شبابي كان لم يكن   وجا مشيبي كان لم يزل
فيا ليت شعري ممن اكون   وما قدر الله لي في الازل   سمعت ابا الحسين اليونيني
يقول سمعت ابا محمد المنذري الحافظ يقول سالت شيخنا ابا الحسن علي بن المفضل
الحافظ عن اربعة تعاصروا ايهم احفظ فقال من قلت الحافظ ابن ناصر وابن عساكر فقال

ابن

ابن عساكر قلت الحافظ ابو موسى المديني وابن عساكر قال ابن عساكر قلت الحافظ
ابو طاهر السلفي وابن عساكر فقال السلفي شيخنا السلفي شيخنا يعني انه ما احب ان
يصرح بان ابن عساكر افضل من السلفي ويلوح بانه شيخه ويكفي هذا في الاشارة قلت
والرجل ورع ثبت ومما اطلق انه ما راى مثل نفسه فحوى الحافظ ابي المواهب الا وهو
بار صادق وكذلك رايت شيخنا ابا الحجاج المزي يميل الى هذا وانا لا اتهم بذلك انه ما
راى مثل نفسه هو احفظ من جميع الحفاظ الذين رايتهم من شيوخه واقرانه وقال الحافظ
ابو محمد عبد القادر الرهاوي رايت الحافظ السلفي والحافظ ابا العلا والحافظ ابا موسى
فما رايت فيهم مثل ابن عساكر برجال الشام وقرات بخط عمر بن الحاجب قال حكى لي زين الامنا
ان الحافظ عبد الغني قال الحافظ ابن عساكر برجال الشام اعرف من البخاري بهم وندم
على ترك السماع منه ندامة كلية وذكره ابن النجار في تاريخه فقال امام المحدثين في وقته
ومن انتهت اليه الرياسة في الحفظ والاتقان والمعرفة التامة والثقة وبه ختم هذا
الشان روى عنه جماعة وهو في الحياة وحدثوا عنه بالاجازة في حياته قال وقرات
بخط الحافظ معمر بن الفاخر في معجمه اخبرني ابو القاسم علي بن الحسن الدمشقي الحافظ
من لفظه بمنى املاء يوم النفر الاول وكان احفظ من رايت من طلبة الحديث والشبان
وكان شيخنا الامام اسمعيل بن محمد يفضله على جميع من لقيناهم من اهل اصبهان وغيرها
قدم اصبهان وسمع ونزل في داري وما رايت شابا اورع ولا اتقن ولا احفظ
منه وكان مع ذلك فقيها اديبا سنيا جزاه الله خيرا وكثر في الاسلام مثله املى علي
في الرحلة الاولى والثانية ببغداد كثيرا وسالته عن تاخره في الرحلة الاولى عن
المجي الى اصبهان فقال لم تاذن لي امي قلت وهو مع جلالته وحفظه يروي الاحاديث
الواهية والموضوعة ولا يبينها وكذلك كان عامة الحفاظ الذين بعد القرون الثلاثة
الا من شا ربك فليسامحهم الله تعالى عن ذلك واي فائدة لمعرفة الرجال والمصنفات
التاريخ والتعديل الا كشف الحديث المكذوب وهتكه قال ابنه ابو محمد توفي ابي في حادي
عشر رجب وحضر الصلاة عليه السلطان صلاح الدين وصليت عليه في الجامع والشيخ
قطب الدين في الميدان الذي يقابل المصلى وراى له جماعة من الصالحين منامات حسنة
ورثي بقصايد ودفن بمقبرة باب الصغير قلت قبره مشهور يزار

سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة

في المحرم وعظ ابن الجوزي وحضر الخليفة
في المنظرة وازدحمت الامم قال وكان عرس بنتي رابعة وحضرت الجهة المعظمة وجهزتها
من عندها بمال كثير ٥ وفي صفر نقصت دجلة واحترقت حتى ظهرت جزاير كثيرة
وكانوا يعبرون السفن في اماكن وجاء في اب برد شديد ببغداد فنزلوا من الاسطحة
ثم عاد الحر وطلعوا وفي جمادى الاخرة وعظت بجامع القصر واجتمع خلايق يحزر
الجمع بمائة الف وكان يوما مشهودا وفيها قارب بغداد بعض السلجوقية ممن يروم
السلطنة وجاء رسوله ليوذن له في المجي فلم يلتفت اليه فجمع جمعا ونهب قرى فخرج
اليه عسكر فتواقعوا وجرح جماعة وعاد العسكر فعاد هو الى النهب فرد اليه العسكر
وعليهم تتكر الخادم فرحل الى ناحية خراسان ٥ وفيها كانت بالري وقزوين زلزلة
عظيمة ٥ وفيها قال رجل لطحان اعطني كارة دقيق فقال لا قال واسما ابرح حتى
اخذ فقال الطحان وحق علي الذي هو حبيب من الله ما اعطيك فشهد عليه جماعة فسجن
اياما ثم ضرب مائة سوط وسود وجهه وصفعوا الناس يرجمونه واعيد الى الحبس
وجلس ابن الجوزي في السنة عشرين مجلسا حضر فيها الخليفة ٥ وفيها كانت وقعة الكنز مقدم
السودان بالصعيد جمع حلقا عظيما وسار الى القاهرة ليعيد دولة
العبيديين فخرج اليه العادل سيف الدين وابو الهيجا الهكاري وعز الدين موسك
فالتقوا فقتل الكنز وما انفلح فيها غير وقتل خلق عظيم من جموعه حتى قيل انه قتل
منهم ثمانون الفا كذا قال ابو المظفر وعلى فالله اعلم بذلك وفيها اخذ صلاح
الدين منبج من صاحبها قطب الدين ينال بن حسان المنبجي وكان قد ولاه اياها
الملك نور الدين لما انتزعها نور الدين من اخيه غازي بن حسان ٥ وفيها حاصر
صلاح الدين حلب مدة ثم وقع الصلح وابقى حلب على الملك الصالح اسمعيل بن
نور الدين ورد عليه عزاز وعاد الى مصياف بلد الباطنية فنصب عليها المجانيق
واباح قتلهم وخرب بلادهم فضرعوا الى شهاب الدين صاحب حماه فسال فيهم فرحل
عنهم وتوجه الى مصر وامر ببنا السور الاعظم المحيط بمصر والقاهرة وجعل على
بنائه الامير قراقوش قال ابن الاثير دوره تسعة وعشرون الف ذراع وثلثمائة
ذراع بالقاسمي ولم يزل العمل فيه الى ان مات صلاح الدين وقال ابو المظفر بن

الجوزي شرع فيها امير الامراء عظيمة ولم يسبقه به احد وامر ببناء قلعة بجبل المقطم فنزعوا
فيها وهي التي صارت دار السلطنة قال ابن واصل شرع بها الدين قراقوش الاسدي
فيها وقطع الخندق وتعميقه وحفر واديه وهناك مسجد سعد الدولة فدخل في
القلعة وحفر فيها كبرا في الصخر ولم يتأت هذا تمامه الا بعد موت السلطان
مدة وبعد ذلك كمل السلطان الملك الكامل بن اخي صلاح الدين العمارات بالقلعة
وسكنها وهو اول من سكنها وانما كان سكناه وسكنى من قبله بدار الوزارة بالقاهرة
ثم سار الى الاسكندرية وسمع فيها من السلفي وتردد اليه مرات عديدة واسمع منه ولده
الملك العزيز والملك الافضل ثم عاد الى مصر وبنى تربة الشافعي

سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة

في اولها دخل بغداد سامش الامير الذي خرج مع قيماز وبول
تحت التاج وقبل الارض مرارا فعفي عنه واعطي امره وحضر ابن الجوزي مجلس وعظ
وامير المومنين يسمع واجتمع خلق لا يحصون وخرجت بغداد بمرجعه وقبض على صاحب
الحجاب وعلى جماعة قال ابن الجوزي وجاءتني فتوى في عبد وامة اعتقهما مولا هما
وزوج احدهما بالاخر فبقيت معه عشرين سنة وجاءت منه باربعة اولاد ثم بان لها
انها اخته لابويه وقد وقعا في البكا والنحيب فعجبت من وقوع هذا واعلمتها انه لا
اثم عليهما وبوجوب العدة وانه لا يجوز له النظر اليها نظره الى اخته الا ان كان على نفسه
وفي ليلة رجب تكلمت تحت المنظرة الشريفة والخليفة حاضر ومن الغد حضر الى دعوة
الخليفة التي يعملها كل رجب وحضر الدولة والعلما والصوفية وختمت ختمة وخلع على
جماعة كثيرة وانصرف من عادته الانصراف وبات الباقون على عادتهم لسماع الاصوات
وفرق عليهم المال وفيها عمل الخليفة مسجدا عظيما ببغداد وجعل امامه حنبليا
ودخرت وتقدم الي فصليت فيه التراويح وتكلمت في رمضان في دار صاحب المخزن
وازدحموا وكان الخليفة حاضرا ٥ وفي شوال هبت ريح عظيمة ببغداد فنزلت الدنيا
بتراب عظيم حتى خيف ان تكون القيامة وجاء برد ودام ساعة ووقعت مواضع على
اقوام ومات منهم وفيها الوزير ابن رشيق الرؤساء الحج فقيل انه اشترى ستمائة جمل
منها مائة للمنقطعين ورحل في رابع ذي القعدة فلما وصل في الموكب الى الباب قطعنا
قال رجل يا مولانا انا مظلوم وتقرب فزجره الغلمان فقال دعوه فتقدم اليه فضربه بسكين

في خاصته فصاح الوزير قتلني ووقع وانكشف راسه فغطى راسه بكمه على الطريق
وضرب ذلك الباطني بسيف فعاد وضرب الوزير فهبروه بالسيوف وقيل كانوا
اثنين وخرج منهم شاب بيده سكين فقتل ولم يعمل شيا واحرق الثلاثة وحمل
الوزير الى داره وخرج الحاجب وكان الوزير قد راى انه معانق عثمان رضي الله عنه
وحكى عنه ابنه انه اغتسل قبل خروجه وقال هذا غسل الاسلام فانى مقتول بلا شك
ثم مات بعد الظهر ومات حاجبه بالليل وعمل عزا الوزير فلم يحضر الا عدد يسير
فعجب من هذه الحال وانه قد يكون عزا تاجر احسن من ذلك وكان انقطاع الدولة
ارضا لصاحب المخزن ولما كان في اليوم الثاني لم يقعد اولاده فلما علم السلطان
بالحال امر ارباب الدولة بالحضور فحضروا وتكلمت على كرسي ثم ولي ابن طلحة حجابة الباب
وبعث صاحب المخزن بغلامه بعد ثلاث الى الامير قتامش فقبض موكله في جمع
من داره وتعدى الى بيته فاحاطت الخيل والكوسات وكل ما في الدار واختلفت الاراجيف
في ذنبه فقيل انه اتهم بالوزير وخيف ان يكون بيته ردية للخليفة وقيل انه كاتب
امير خراسان وناصح ذلك ونائب صاحب المخزن في الوزاره وجا اهل المداين فشكوا
من يهود المداين وانهم قالوا لهم قد اذيتمونا بكثرة الاذان فقال المؤذن لا نبالي
تاذيتم او لا فتشاتموا وجرت بينهم خصومة استظهر فيها اليهود فجا المسلمون
مستنصرين الى صاحب المخزن فامر بحبس بعضهم ثم اطلقهم فاستغاثوا يوم الجمعة
بجامع الخليفة فخفف الخطيب فلما فرغ من الصلاة استغاثوا فخرج اليهم الجند فضربوهم
ومنعوهم فانهزموا فغضب العوام نصرة للاسلام فصاحوا وشتموا وقلعوا طوابيق
الجامع وضربوا بها الجند وبالاجر وخرجوا فنهبوا المخلطين لان اكثرهم يهود فوقف
حاجب الباب بيده السيف مجذوبا وحمل على الناس فرجموه وانقلب البلد
ونهبوا الكنيسة وقلعوا شبابيكها وقطعوا التوراة واختفى اليهود فتقدم الخليفة
بخراب كنيسة المداين وان تجعل مسجدا وبعد ايام اخرجوا من الحبس اللصوص فقطعوا
الطريق فصلبوا بالرحبة وكان منهم شاب هاشمي وفيها وقعة الرملة فسار
السلطان صلاح الدين من القاهرة الى عسقلان فسبى وغنم وسار الى الرملة فخرج
عليه الفرنج مطلبين وعليهم البرنس ارناط صاحب الكرك وحملوا على المسلمين فانهزموا

وثبت

وثبت السلطان وابن اخيه المظفر تقي الدين عمر ودخل الليل واحتوت الملاعين على
اثقال المسلمين فلم يبق لهم قدرة على ما ولا زاد وتعسفوا ملك الرمال راجعين الى مصر
وتمزقوا وهلكت خيلهم وممن اسر في هذه الوقعة الفقيه عيسى اسر فافتداه السلطان
بستين الف دينار وكان موصوفا بالشجاعة والفضيلة اسر هو واخوه ظهير الدين
وكانا قد ضلا عن الطريق بعد الوقعة ووصل صلاح الدين الى القاهرة في نصف جمادى
الاخرة قال ابن الاثير رايت كتابا بخط يده كتبه الى شمس الدولة تورانشاه بدمشق
يذكر الوقعة وفي اوله ذكرتك والخطي يخطر بيننا وقد نهلت منا المثقفة السمر
ويقول فيها لقد اشرفنا على الهلاك غير مرة وما نجانا الله الا لامر يريده وما ثبتت الا
وفي نفسها امر وقال غيره انهزم السلطان والناس لم يكن لهم بلد يلجئون اليه الا مصر
فسلكوا البرية ولقوا مشاق وقل عليهم القوت والما وهلكت خيلهم وفقد منهم خلق
ودخل السلطان القاهرة بعد ثلاثة عشر يوما وتواصل العسكر واسر الفرنج فيهم
واستشهد جماعة منهم احمد ولد تقي الدين عمر المذكور وكان شابا حسنا له عشرون سنة
وكان اشد الناس قتالا يومئذ الفقيه عيسى الهكاري وحملت الفرنج على صلاح الدين
وتكاثروا عليه فانهزم يسير قليلا قليلا وكانت نوبة صعبة وفيها نزلت الفرنج
على حماة ومقطعها شهاب الدين محمود بن تكش خال السلطان وكان مريضا وكان الامير
سيف الدين المشطوب قريبا من حماة فدخلها وجمع الرجال وزحفت الفرنج على البلد
وقاتلهم المسلمون قتالا شديدا مدة اربعة اشهر ثم رحلوا عنها واما السلطان
فانه اقام اياما من سلم معه ثم خرج من مصر وعيد بالبركة ثم كمل عدة جيشه فبلغه امر
حماة فاسرع اليها فلما دخل دمشق تحقق رحيل الفرنج عن حماة وعصى الامير شمس الدين
محمد بن المقدم ببعلبك فكاتبه السلطان وترفق به فلم يجب ودام الى سنة اربع وجا
كتاب ابن المشطوب ان الذي قتل من الفرنج على حماة اكثر من الف نفس ووردت مطالعة
القاضي الفاضل الى صلاح الدين تتضمن التوجع لقتل الوزير عضد الدين بن رئيس
الرؤسا وفيها وما ربك بظلام للعبيد فقد كان عفا الله عنه قتل ولدي الوزير ابن
هبيرة وازهق انفسهما وجماعة لا تحصى وهذا البيت بيت ابن المسلمة عريق في القتل
وجده هو المقتول بيد البساسيري ثم قال وقد ختم له السعادة بما ختمت له الشهادة

لا يتبا وهو خارج من عنده الى بيت الله ووقع اجره على الله ان المشاة قد تسر وربما
كان لسرور بما كرهت حدبرا ان الوزير وزير ال محمد ادب لمن يساك كان وزيرا
وتمانه ابي سلمة الخلال وزير بني العباس فقال ان يستعملوا سنة اربع وسبعين
وخمسمائه قال ابن الجوزي تكلمت في اول السنة وفي عاشورا تحت المنظرة وحضر
الخليفه وقلت لو اني مثلت بين يدي السدة الشريفة لقلت يا امير المومنين كن لله
سبحانه مع حاجتك اليه كما كان لك مع غناه عنك انه لم يجعل احدا فوقك فلا ترض
ان يكون احدا شكر له منك فتصدق امير المومنين يومئذ بصدقات واطلق محبوسين
وانكسف القمر في ربيع الاول وكسفت الشمس في التاسع والعشرين منه ايضا
وولدت امراة من حربى اثنا ابنا وبنتين في بطن وعاشوا بعض يوم ومنها جدد
المستضي قبر احمد بن حنبل رحمه الله ورضي عنه وعمل له لوح فيه هذا ما امر بعمله سيدنا
ومولانا الامام المستضي بامر الله امير المومنين هذا في راس اللوح وفي وسطه
هذا قبر تاج السنه وحبر الامة العالي الهمة العالم العابد الفقيه الزاهد
الامام ابي عبد الله احمد بن محمد بن حنبل الشيباني رحمه الله توفي في تاريخ كذا وكتب
حول ذلك اية الكرسي وتكلمت في جامع المنصور واجتمع خلايق وحرر الجمع
بماية الف وتاب خلق وقطعت شعورهم ثم نزلت فقصدت الى قبر احمد فتبعني
من حرر بخمسة الاف وفيه اطلق الامير قايماز الى داره وتقدم المستضي
بعمل دكة بجامع القصر للشيخ ابي الفتح ابن المني الحنبلي وجلس فيها فتاثر اهل
المذاهب من عمل مواضع للحنابلة وكان الوزير عضد الدين بن رييس الروسا يقول
ما دخلت قط على الخليفه الا جرى ذكر فلان يعنيني وصار الي اليوم خمس مدارس
ومايه وخمسين مصنفا في كل فن وقد تاب على يدي اكثر من مائة الف وقطعت اكثر
من عشرة الاف طايله ولم ير واعظ مثل جمعي فقد حضر مجلسي الخليفه والوزير وصاحب
المخزن وكبار العلما والحمد لله وفي رجب عمل المستضي الدعوة ووعظت وما الغث في وعظ
امير المومنين فمما حكيته له ان الرشيد قال لشيبان عظني قال لان تصحب من يخوفك
حتى يدركك الامن خير لك من ان تصحب من يومنك حتى يدركك الخوف قال فسر لي
هذا قال من يقول لك انت مسول عن الرعية فاتق الله انصح لك ممن يقول انتم اهل بيت

مغفور لكم وانتم قرابة نبيكم فبكى الرشيد حتى رحمه من حوله وقلت له في كلامي يا امير المومنين
ان تكلمت خفت منك وان سكت خفت عليك وانا اقدم خوفي عليك على خوفي منك وفي
رمضان جا شعيف فذكر انه يضرب بالسيف والسكين فلا يعمل لكن بسيفه وسكينه خاصة
وفيه احضر ابن قرايا الذي ينشد على الدكاكين من شعر الرافضة فوجد في بيته كتابا في سب
الصحابة فقطع لسانه ويده وذهب به الى المارستان فرجمته العوام بالاجر فهرب وسبح وهم
يضربونه حتى مات ثم اخرجوه واحرقوه وعملت قبرا للعامة كان وكان ثم سمع جماعة من الروافض
واحرقت كتب عندهم وقد خدمت حجرتهم لمنه وصاروا اذل من اليهود ولم يخرج الركب العراقي
لعدم الما والعشب وكانت سنه مخططة وحج من حج على خطر ورجع طايفه فنزلت عليهم
عرب فاخذوا الكثير الاموال وقتل جماعة وفي ذي القعدة هبت ببغداد ريح شديدة ثلث
نصف الليل وظهرت اعمدة مثل النار في اطراف السما كانها تتصاعد من الارض واستغاث
الناس استغاثة شديدة وبقي الامر على ذلك الى الفجر وجلست يوم عرفة بباب بدر وامير
المومنين يسمع ومنها اجمعت الفرنج على حصن الاكراد وسار السلطان الملك الناصر
صلاح الدين فنزل على حمص في مقابلة العدو فلما امن من غارتهم سار الى بعلبك فنزل على راس
العين واقام هناك اشهرا واود شمس الدين بن المقدم على طاعته وهو يابى ولم يزل الامر
كذلك الى ان دخل رمضان فاجاب شمس الدين الى تسليم بعلبك على عوض طلبه فسلمها
السلطان وانعم بها على اخيه المعظم شمس الدولة توران شاه ابن ايوب وسار الى دمشق
في شوال ثم اقطع اخاه شمس الدولة توران شاه مصر واسترد منه بعلبك قال ابن الاثير
وفي ذي القعدة اغارت الفرنج على بلاد الاسلام وعلى اعمال دمشق فسار اليهم فرخشاه
ابن اخي السلطان في الف فارس فالتقاهم والقى نفسه عليهم وقتل من مقدميهم جماعة منهم
همفري به كان يضرب المثل في الشجاعة ومنها اغار البرنس صاحب انطاكية على ناحية
شيزر واغار صاحب طرابلس على التركمان ومنها انعم السلطان على ابن اخيه الملك
المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن ايوب بحماه والمعرة وفامية ومنبج وقلعة نجم فتسلمها
وبعث نوابه اليها وذلك عند وفاة صاحب حماه شهاب الدين محمود خال السلطان ثم توجه
اليها الملك المظفر تقي الدين وترتب في خدمته اميران كبيران شمس الدين بن المقدم وسيف
الدين على ابن المشطوب وجا من انشا الفاضل واما ما امر به المولى من افتتاح منشور القاضي

فقد ظهر العمل وطلع البنا وسلكت به الطريق المودية الى الساحل بالمقسم والله يعمر المولى
الى ان يراه نطاقا على البلدين وسورا بل سوارا يكون للاسلام محلى اليدين وللامير بهما
الدين ولا فوش ملازم للاستحثاث بنفسه ورجاله قلت وهذه السنة هي اخر المنتظم
سنة خمس وسبعين وخمسمائة اجاز لنا شيخنا ابو بكر محفوظ بن معتوق بن ابي بكر بن
علي البغدادي بن البزوري التاجر وقد ذيل المنتظم في عدة مجلدات ذهبت في ايام التتار
الطغاة ابيه سنة تسع وتسعين وسنابه من خزانة كتبه الموقوفة بتربته بطبع فانسو
ثم ظفرنا ببعضها فذكر في حوادث هذه السنة سنة خمس وسبعين ان ابا الحسن علي بن احمد
ابن طلحة صاحب باب النوبي عزل بعميد الدين ابي طالب يحيى بن زبادة وفي صفر وصل
الى بغداد ثلاثة عشر نجابا بتقدم صلاح الدين بشيرون بكسرة الفرنج فضربت الطبول
على باب النوبي وخلع عليهم واخبروا ان صلاح الدين حارب الفرنج ونصر عليهم واسر
اعيانهم واسر صاحب الرملة وصاحب طبرية قلت وهي وقعة مرج الدين ومن حديثها
ان صلاح الدين كان نازلا بتل بانياس بث سراياه فلما استهل المحرم ركب فرأى
راعيا فسأله عن الفرنج فاخبر بقربهم فعاد الى مخيمه وامر الجيش بالركوب فركبوا وسار
بهم حتى اشرف على الفرنج وهم في الف فنطاريه وعشرة الاف مقاتل من فارس وراجل
فحملوا على المسلمين فثبتوا لهم وحمل المسلمون عليهم فولوا الادبار فقتل اكثرهم واسر منهم
مايتان وسبعون اسيرا منهم بارين مقدم الداوية واودين لعدمصه واخو صاحب
جبيل وابن صاحب مرقيه وصاحب طبريه واما بادين بن بارزان فاستفك نفسه
بمبلغ ومائة الف اسير من المسلمين واستفك الاخر نفسه بجملة ومات اودين في حبس قلعة دمشق
وانهزم من الوقعة ملكهم مجروحا وابلى في هذه الوقعة عز الدين فرخشاه بلا احتشام واتفق
انه في يوم الوقعة ظفر اسطول مصر بطسيين واسر الف نفس ولله الحمد على نصره
وكان قليج ارسلان سلطان الروم طلب حصن رعبان وزعم انه من بلاده وانما اخذه منه
نور الدين على خلاف مراده وان ولده الصالح اسمعيل قد انعم به عليه فلم يفعل السلطان وارسل
قليج عشرين الفا لحصار الحصن فالتقاهم تقي الدين عمر صاحب حماه ومعهم سيف الدين علي
المشطوب في الف فارس فهزمهم لانه حمل عليهم بغتة وهم على غير تعبية وضربت كوساته وعلا
عسكره كراديس فلما سمعت الروم الصيحة ظنوا انهم قد دهمهم جيش عظيم فركبوا اعقابهم هربا

وطلبوا

وطلبوا النجاة وتركوا الخيام بما فيها واسر منهم عددا ثم من عليهم باموالهم وسرحهم
ولم يزل تقي الدين يدل بهذه النصرة ولا ريب انها عظيمة وورد بغداد رسول صلاح
الدين وهو ضياء الدين كشطغاي وجلس له ظهير الدين ابو بكر ابن العطار وبين يديه
ارباب الدولة فجاء وبين يديه اثنا عشر اسيرا عليهم الخوذ والزرديات ومع كل واحد
قنطاريه وعلى كتفه طارقة منها طارقة ملك الفرنج على القنطاريات شعر الفرنج
وبين يديه ايضا من التحف والنفائس من ذلك صنم طول ذراعين مجوف فيه صناعة عجيبة
وقد جعل سبابته على شفته كالمتبسم عجبا ومن ذلك صينية ملأى جواهر وضلع
ادمي نحو شبر عقد انشا دانق عرض ربع اصابع وضلع سمكة طوله عشرة اذرع في عرض
ذراعين وفيها رتب حاجب الحجاب ابو الفتح محمد بن الدارع وكان من حجاب المناطق
وفيها قدم رسول صلاح الدين وهو القاضي ابو الفضايل القاسم بن الشهرزوري
وبين يديه عشرة من اسرى الفرنج وقدم جواهر مثمنة وفيه عزل عن نقابة النقباء ابو العباس
احمد بن الزوال بابي الهيجا نصر بن عدنان الزينبي وفي شوال مرض الخليفة وارجف بموته
وهاش الغوغا ببغداد ووقع نهب وركب العسكر لتسكينهم فتفاقم الشر واتسع الخرق
وركبت الامرا بالسلاح وصلب جماعة من المولدين على الدكاكين وكانت العامة قد تسوروا
على دار الخلافه ورموا بالنشاب فوقعت نشابه في فرس النايب ومعه جماعة فقلعوا
من مكانهم وفيه وقع للامير ابي العباس احمد بولاية العهد وقال الوزير لمن حضر من الدولة
اليوم الجمعة ولا بد من اقامة الجمعة الدعوة والجهة تعنينا تعني امراة الخليفة قد بالغت
في كتم مرض امير المومنين ولا سبيل الى ذلك الا بتقرير الامر فان كان حيا اجريت الخطبة
على العادة وان كان قد توفي خطبنا لولده حيث وقع له بولاية العهد ثم عين الشيخ
ابو الفضل مسعود بن الناد ليحضر بين يدي الخليفة فدخل صحبة سعد الشرابي وقبل
الارض وقال المملوك الوكيل يشير بقوله الى ظهير الدين بن العطار ينهي انه وقع بالخطبة
للامير احمد بولاية العهد وما وسع المملوك امضا ذلك بدون المشافهة فقال المستضي
يمضي ما كان وقعنا به فقبل الارض وعاد فاخبر الوزير ظهير الدين فسجدوا شكرا لله على
عافيته وخطب بولاية العهد لابي العباس ونثرت الدنانير في الجوامع عند ذكره
وفي شوال ملك عبد الوهاب بن احمد الكرذي قلعة الماهكي وعمل سلالم موصوله ونصبها

عليها في ليلة ذات مطر ورعد ونصب عليها فشعر الحارس فذهب وعرف المقدم كشتكين
فقام بيده طبر وبين يديه المشعل فوثبوا عليه فقتلوه وقتلوا الحارس ونادوا بشعار
عبد الوهاب وفي سلخ شوال مات الخليفة وبويع ابنه احمد ولقبوه الناصر لدين الله
مجلس للمبايعة في القبة فبدا اخوه وبنو عمه واقاربه ثم دخل الاعيان فبايعه الاستاذ
دار مجد الدين هبة الله بن الصاحب ثم شيخ الشيوخ ثم فخر الدولة ابو المظفر بن المطلب
ثم قاضي القضاة علي بن الدامغاني وصاحب ديوان الانشا ابو الفرج محمد الانباري الحاجب
ابو طالب يحيى بن زبادة ثم طلب الوزير ظهير الدين بن العطار وكان مريضا فاركب
على فرس ثم نعضده جماعة حتى ادخل فصعد وبايع ووقف عن يمين الشباك الذي فيه
الخليفة فعجز عن القيام فادخل الى التاج ثم راح الى داره وبايع من الغد من بقي من العلما
والاكابر وتقدم بعزل النقيب ابن الهيجا وباعادة ابن الزوال وتوجهت الرسل الى النواحي
باقامة الدعوة الناصرية وفي اليوم الخامس من البيعة تقدم الى عماد الدين صندل المقتفوي
وسعد الدولة نظر المسعدي الحبشي بالمضي الى دار ابن العطار في عدة من المماليك
للقبض عليه فجاوا ودخلوا عليه من غير اذن وقبضوا عليه من الحريم وتوثقوه بدار استاذ
دار فنهبت العامة بيتها وعجز الاستاذ دار وفي سادس ذي القعدة خلع على طاشتكين
خلعة امرة الحاج وتوجه الى الحج وتقدم خروج الركب وقيد ابن العطار وسجن وسجن
في مطبق فهلك بعد ثلاث وحمل الى دار اخته فغسل وكفن واخرج سحرة في تابوت ومعه
عدة يحفظونه فعرفت العامة به عند سوق الثلثا فسبوه ورموا برجمه فدافعهم الاعوان
فكثرت الغوغا واجمعوا على رجمه وشرعوا فخاف الحاملون من الرجم فوضعوه عن رووسهم
وهربوا فاخرج من التابوت وسحب فتعرى من اكفانه وبدت عورته وجعلوا الصابون بين
يديه نسيم الله كما يفعل وطافوا به المحال والا بيوت مسلوبا مهتوكا نسال الله الستر
قال ابن الجوزي وحكى الهمي قال كنت بحضرته وقد ورد عليه شيخ يلوح عليه الخير فجعل يعظه
بكلام لطيف وينهاه عن محرمات فقال اخرجوه الكلب سحبا وكرر القول مرارا وقال الموفق
عبد اللطيف صح عندي بعد سنين كثيرة ان ابن العطار هو الذي دس الحشيشية على الوزير
عضد الدين حتى قتلوه وولي المخزن وسكن في دار قطب الدين قيماز الذي هلك بنواحي الرحبة
واخذ يحتج على الوزير وانتصب لعداوته قال ابن الجوزي ثم في اخر ايامه خلص مماليك الحاجب

ابن

ابن العطار من باب الازج بعد تغير حاله وتجرد لحمه عن عظمه فحمل على نعش مكشوف عورته
امراة بازار خليع ثم دفن وكان الغلا والوبا والمرض شديدا ببغداد وكرا القبر بمايه وعشرين
دينارا وفي سلخ الشهر خلع على جميع الدولة وارسلت الخلع الى ملوك الاطراف وركبوا
بالخلع في مستهل ذي الحجة وجلس الناصر لدين الله للهنا فدخل اليه ابن بدوى ستدته استاذ
الدار مجد الدين بن الصاحب وتولاه نايب الوزارة شرف الدين سليمان بن شادوش
يقبلا الارض ثم خرج نايبا الوزاره فركب على ابن الصاحب قميص اطلس اسود وفرجيه
نسج وعمامه ثلجيه بعراني وقلد سيفا محلا بالذهب وركب فرسا بمركب ذهب وكنبوش
ابريسم وسيف ركاب وضربت الطبول على بابه وجات ببلاد الجبل زلزلة عظيمة سقطت
قلاع كثيرة وهلك خلق **الحسن المستضي** بامر الله امير المومنين ابو محمد بن المستنجد بالله
يوسف بن المقتفي محمد بن المستظهر احمد بن المقتدي الهاشمي العباسي بويع بالخلافة بعد موت
ابيه في ربيع الاخر سنة ست وستين وخمسمايه وكان القايم باخذ البيعة له الوزير
عضد الدين ابو الفرج محمد بن عبد الله بن رييس الروسا ثم استوزره يوميذ ولد المستضي
في سنة ست وثلاثين وخمسمايه وكان ذا حلم واناة ورغبة رافقه وكان كثير الصدقه والمعروف
وكان وامه ارمنيه تدعى غضة وكان له من الولد احد وهو الامام الناصر وهاشم ابو
منصور قال ابن الجوزي في المنتظم بايعه الناس ونودي برفع المكوس ورد مظالم كثيرة
واظهر من العدل والكرم مالم نره في اعمارنا وفرق مالا عظيما على الهاشميين العلويين
والعلما والمدارس والربط وكان دايم البذل للمال ليس له عنده وقع ولما استخلف خلع
على ارباب الدولة وغيرهم فحكى خياط المخزن انه فصل الفا وثلثمايه قبا ابريسم وخطب له
على منابر بغداد ونثرت الدنانير كما جرت العادة وولي روح بن الحديثي قضا القضاه
ثم امر سبعة عشر مملوكا وللحيص بيص فيه يا امام الهدى علوت عن الجود بمال وفضة ونضار
فوهبت الاعمار والامن والبلدان في ساعة من نهار فبماذا نثني عليك وقد جاوزت فضل البحور والامطار
انما انت معجز مستقل خارق للعقول والافكار جمعت نفسك الشريفة بالباس وبالجود بين ماء ونار
قال ابن الجوزي واحتجب المستضي عن اكثر الناس فلم يركب الا مع الخدم ولم يدخل عليه
غير قيماز وفي خلافته انقضت دولة بني عبيد المصريين وخطب له بمصر وضربت له السكه
باسمه وجا البشير بذلك الى بغداد فغلقت الاسواق ببغداد وعملت القباب وصنف كتابا

سميته الناصر على مصر وعرضته على الامام المستضي توفي في شوال قلت ردف سعادة
عظيمة في خلافته وخطب له باليمن وبرقة وتوزر ومصر الى اسوان ودانت الملوك بطاعته
وكان يطلب ابن الجوزي ويامره بعقد مجلس الوعظ ويجلس بحيث يسمع ويميل الى الحنابلة
وفي ايامه ضعف الرفض ببغداد وبمصر وامن الناس وقال ابن النجار بويع المستضي
وله احدى وعشرون سنة وهذا وهم وكان حليما رحيما شفيقا لينا ذكر بما نقلته من خط
ابي طالب بن عبد السميع انه كان من الائمة الموفقين كثير السخا حسن السيرة الى ان قال
ابصرت انه وهب في يوم لجهات وحظايا زيادة على خمسين الف دينار وقال عبد العزيز
ابن دلف في مسعود بن النادر قال كنت اخادم المستضي وكان صاحب المخزن ابن العطار
قد عمل نوبة شمعة من الف دينار قال فحضر وفيه الشمعة فلما تمت قام الخادم بها بين يدي
فاطلق له التورمات في سلخ شوال سنة ست وسبعين وخمسمايه في اولها
عزل شرف الدين سليمان بن شاووش عن نيابة الوزاره لاجل علو شانه ونقل سمعه
وولي جلال الدين هبة الله بن علي ابن البخاري وفي المحرم ركب الناصر لدين الله الى الكشك
وصلى الجمعة بجامع الرصافه وفيه قدم رسول الملك طغرل السلجوقي وفيه تقدم الى
استاذ الدار بالقبض على كمال الدين عبد الله بن الوزير عضد الدين محمد بن رئيس الرؤسا
تنفذ للقبض عليه عز الدوله مسعود الشرابي في جماعة من المماليك فحمل مسحوبا الى بين يديه
فامرهم ان يرفقوا به وقيد وسجن وفي صفر وصل امير الحاج وفي صحبته صاحب المدينة
عز الدين ابو سالم القاسم بن مهنا للمبايعة ○ وفيها توجه السلطان صلاح الدين
قاصدا بلاد الارمن وبلاد الروم لمحاربة قلج ارسلان بن مسعود بن قلج ارسلان والموجب
لذلك ان قلج زوج بنته محمد بن قرا ارسلان بن داود صاحب حصن كيفا ومحبته عنها جنا
وانه احب مغنية وشغف بها وتزوجها وصارت تحكم في بلاده فلما سمع بذلك حموه قصد
بلاده على ما غلاه فقصد اخذ اشيائه منه فارسل محمد الى صلاح الدين يستنجده وكرر اليه الرسل
ثم استقر الحال ان يصبر عليه سنة ويفارق المغنية ونزل صلاح على حصن من بلاد الارمن
فاخذه وهدمه ثم رجع الى حمص فاتاه التقليد والخلع من الخليفة الناصر فركب بها بحمص
وكان يوما مشهودا ومن كتاب السلطان صلاح الدين الى الخليفة والخادم ولله الحمد
يعدد سوابقه في الاسلام والدولة العباسية لا يعدها اولية ابي مسلم لانه والى ثم وارى

احربه

احربه طغرلبك لانه نصر ثم حجر والخادم خلع من كان ينازع الخلافة رداها واساغ
الغصة التي ذخرها الله للاساغة في سيفه مراقها ورجال الاسما الكاذبة الراكبة على المنابر
واعز بتاسيه ابراهيم فكسر الاصنام الباطنة بسيفه الظاهر ومال العباد الكانس نوحه
السلطان الى الاسكندرية وشاهدنا الاسوار التي جددها وقال نعم حياة الامام ابي
طاهر بن عوف محضرا عنده وسمعنا عليه الموطا وكتب اليه القاضي الفاضل يهنيه بقول
ادام الله دولة الملك الناصر سلطان الاسلام والمسلمين محيي دولة امير المؤمنين واسعد
برحلته للعلم واثابه عليها وللعلم الله رحلتان في سبيل الله يوما ويوم يسفك دم المحابر
تحت قلمه ويوم يسفك دم الكافر تحت علمه فعلى الاول يطلب حديث المصطفى ويجعل
اثر مشيته عينه لا يظهر الى ان قال وما لحسنة الملوك ان كاتب اليمين كتب للملك رحلة قط
في طلب العلم الا للرشيد فرحل بولديه الامين والمامون لسماع هذا الموطا الذي اتفقت
الهمتان الرشيدة والناصرية على الرغبة في سماعه والرحلة لاستماعه وكان اصل الموطا
بسماع الرشيد على مالك في خزانة المصريين فان كان قد حصل بالخزانة الناصرية فهو
بركة عظيمة والا فليلتمس وفيها ارسل شيخ الشيوخ صدر الدين عبد الرحيم وبشير
المستنجدي من الخادم الى السلطان صلاح الدين بتقليد ما بيده من البلاد وعوض انشا
قوام الدين بن زباده فيه ولما كان الملك الاجل السيد صلاح الدين ناصر الاسلام
عماد الدولة جمال الملة فخر الامة صفي الخلافة تاج الملوك والسلاطين قامع الكفرة
والمتمردين قاهر الخوارج والمشركين عز المجاهدين الب غازي بك ابو يعقوب
يوسف بن ايوب ادام الله علوه على هذه السجايا مقبلا وذكر التقليد وفيه امره
بتقوى الله وامره ان يتخذ القران دليلا وامره بمحافظة الصلاة وحضور الجماعة
وبلزوم نواهي هذا الحرمات وامره بالاحسان وباظهار العدل وان يامر بالمعروف
وان يحتاط في الثغور وان يبعث الى الايمان وامره بكذا وامره بكذا وكتب في صفر
سنة ست وسبعين وفيها وصل الفقيه هبة الله بن عبد الله من عند صاحب جزيرة قيس
رسولا وقدم هدايا وفي جمادى الاولى يوم الجمعة ركب الخليفة في الدست تظلله
الشمسة السودا وعلى كتفه الطرحة والكل مشاة وخرج الى ظاهر السوق ثم رد الى
جامع المنصور وصلى واقام بكشك الملكية اسبوعا وركب الجمعة الاخرى في موكبه وصلى

بجامع الرصافة وركب في السفن الطويلة تظله الغشية السودا وارباب الدولة قيام في
السفن والخلق يدعون له وفيها اقطع طغرل الناصري الخاص المصري بعد موت متوليها
قشتمر الدولة بها وفي جمادى الآخرة ركب الناصر لدين الله في موكبه وخرج الى الصيد وطاف
البلاد والاعمال وغاب اسبوعا وفيها ولي نيابة دمشق عز الدين فرخشاه ابن اخي السلطان
وكان حازما عاقلا شجاعا مقداما كثير الحرمة **احمد** بن محمد بن احمد بن محمد بن ابرهيم الحافظ
الكبير ابو طاهر بن ابي احمد بن سلفة الاصبهاني الجرواني وجروان محلة باصبهان وسلفة
لقب احمد واليه ينسب قال الحافظ عبد الغني سمعت السلفي يقول انا اذكر قتل نظام الملك
في سنة خمس وثمانين وكان عمري نحو عشر سنين وقد كتبوا عني في اول سنة اثنتين وتسعين
وانا ابن سبع عشرة سنة اكثر او اقل وليس في وجهي شعرة كالبخاري يعني لما كتبوا عنه
واول سماع السلفي سنة ثمان وثمانين سمع من القاسم بن الفضل الثقفي وسمع من عبد
الرحمن بن محمد بن يوسف السمسار وسعيد بن محمد الجوهري ومحمد بن محمد بن عبد الوهاب
المديني والفضل بن علي الحنفي واحمد بن عبد الغفار بن اشتة واحمد ومحمد ابني عبد الله
ابن السوذرجاني وعلي بن منصور بن علان الكرجي ومعمر بن احمد اللنباني وخلق كثير
وعمل معجما لشيوخه الاصبهانيين ثم رحل في رمضان الى بغداد من سنة ثلاث وتسعين
وادرك ابا الخطاب نصر بن البطر فقال حماد الحراني سمعت السلفي يقول دخلت بغداد
في رابع شوال سنة ثلاث فساعة دخولي لم يكن لي همة الا ان مضيت الى ابن البطر فدخلت
عليه وكان شيخا عسرا فقلت قد وصلت من اصبهان لاجلك فقال اقرا وجعل يدل الراء
غينا فقرات عليه وانا متكي لاجل دماميل فقال ابصر ذا الكلب فاعتذرت بالدماميل
وبكيت من كلامه وقرات سبعة عشر حديثا وخرجت ثم قرات عليه نحوا من خمسة وعشرين جزءا
ولم يكن بذاك **قلت** فسمع منه ومن ابي بكر الطريثيثي وابي عبد الله بن البسري وثابت
ابن بندار والموجودين بها وعمل معجما لشيوخ بغداد ثم حج وسمع في طريقه بالكوفة من ابي
البقاء المعمر بن محمد الحبال وبمكة من الحسين بن علي الطبري وبالمدينة ابا الفرج
القزويني وقدم بغداد واقبل على الفقه والعربية حتى برع فيهما واتقن مذهب الشافعي
ثم رحل الى البصرة سنة خمسمائة فسمع من محمد بن جعفر العسكري وجماعة وبزنجان ابا بكر احمد
ابن محمد بن زنجويه الفقيه الراوي عن ابي علي بن شاذان وبهمذان ابا غالب احمد بن محمد المركي

وطايفة

وطايفة وجال في الجبال ومدنها وسمع بالري والدينور وقزوين وساوه ونهاوند
وكذا طاف بلاد اذربيجان الى دربند فسمع باماكن وعاد الى الجزيرة من ثغر آمد وسمع
بخلاط ونصيبين والرحبة وقدم دمشق سنة تسع وخمسمائة بعلم جم فاقام بها عامين
وسمع بها من ابي طاهر الحنائي وابي الحسن بن الموازيني وخلق ثم مضى الى مصر وركب
منها البحر الاخضر الى الاسكندرية فاستوطنها الى الموت لم يخرج منها الا مرة في سنة
سبع عشرة الى مصر فسمع من ابي صادق المديني والموجودين وعاد وكان اماما مقريا
مجودا ومحدثا حافظا جهبذا وفقيها متفننا ونحويا ماهرا ولغويا محققا ثقة فيما ينقله
حجة ثبتا انتهى اليه علو الاسناد في البلاد وقد جمع معجما ثالثا لبقية البلدان التي
سمع بها سوى اصبهان وبغداد فان لكل واحد معجما سمع منه ببغداد من شيوخه
ورفاقه ابو علي البرداني وهزارسب بن عوض وابو عامر العبدري وعبد الملك بن
يوسف وسعد الخير الاندلسي وروى عنه الحافظ محمد بن طاهر شيخه محمد بن طاهر
شيخه وسبطه ابو القاسم عبد الرحمن بن مكي وبينهما في الموت مائة واربعة واربعون
سنة وروى عنه الحافظ سعد الخير وعلي بن ابرهيم السرقسطي وابو العز محمد بن
علي الملقاباذي والطيب بن محمد المروزي وقد روى عن هولا الثلاثة عنه ابو سعد
السمعاني ومات ابن السمعاني قبله باربع عشرة سنة وروى عنه ايضا الصائن هبة الله
ابن عساكر ويحيى بن سعدون القرطبي وروى عنه بالاجازة جماعة ماتوا قبله منهم
القاضي عياض وروى عنه امم منهم حماد الحراني والحافظ علي بن المفضل والحافظ
عبد الغني والحافظ عبد القادر الرهاوي وابن راجح وعبد القوي بن الجباب و...
الكناني وعبد الغفار المحلي ونصر بن جرو والعز الغادسي والشيخ حسن الاوقي
وعيسى بن الوجيه اللخمي ومحمد بن عماد ومحمد بن عبد الوهاب بن الشيرجي وعبد الخالق
ابن اسمعيل التنيسي وعلي بن رحال ومحمد بن محمد بن سعيد المامومي ومرتضى بن ابي الجود وابو
القاسم عبد الرحمن بن الصفراوي وابو الفضل جعفر الهمذاني وابرهيم ومحمد ابنا عبد
الرحمن بن الحباب واحمد بن محمد بن الحباب وعبد الرحيم بن الطفيل والحسن بن دينار
وعلي بن مختار ويوسف بن المحيلي وظافر بن شحم وعلي بن زيد التساوتي ومحمد بن علي بن
ماحوغبة وحمزة بن اوس الغزال وعلي بن جبارة ويحيى بن عبد العزيز ابو الاعمالي وحسين بن

وى
يوسف الشاطبي وعبد العزيز بن الناقد ومظفر بن العوي ومنصور بن الدماغ وعلي بن محمد السخاوي
وعلي بن عبد الجليل الرازي وابو الوفا عبد الملك بن الحنبلي وشعيب الزعفراني والعلم بن
الصابوني والعزيز دواحه وعبد الوهاب بن رواج ويوسف بن محمود الساوي وبها الدين
ابن الجميزي وهبة الله بن محمد بن الواعظ وتوفي سنة خمسين وستمائة والسبط وبقي ابو بكر محمد
ابن الحسن السفاقسي الى سنة اربع وخمسين فروى عن السلفي المسلسل فاول حديث
رواه حضورا ولم يكن عنده سواه وهو ابن اخت الحافظ علي بن المفضل نا احمد بن سلامه
عن فاطمة بنت سعد الخير ح وقال ابن النجار قرات على محمد بن عبد الله الحجري عن فاطمة
بنت سعد الخير قالت انا اني سنة ثمان وعشرين وخمسمائة حدثني ابو طاهر بن سلفه
سنة سبع وتسعين واربعمائة انا القاسم بن الفضل الثقفي فذكر حديث البلد
الرابع وهو اصبهاني منه انكم اليوم على دين اني مكاثر بكم الامم والا اعلم اخذ الدنيا
حدث نيفا وثمانين سنة سوى السلفي وقد املى المجالس الخمسة بسلماس وعمره بضع و
سنة وعمل الاربعين البلدية التي لم يسبق الى مثلها وقرا بحث على غير واحد من شيوخه
قال الزاهد ابو علي الاوقي سمعت السلفي يقول لي ستون سنة ما رايت منارة الاسكندرية
الا من هذه الطاقة رواها ابن النجار عن الاوقي وقال ابن المفضل في معجمه عن شيوخ
شيخنا السلفي تزيد على ستمائة نفس باصبهان وخرج الى بغداد وله نحو عشرين سنة
اقل او اكثر ومشيخته البغدادية خمسة وثلاثون جزءا وله تصانيف كثيرة وكان يحسن
الشعر وينظمه ويثيب من يمدحه واخذ الفقه عن الكيا ابي الحسن علي بن محمد الطبري
وابي بكر محمد بن احمد الشاشي وابي القاسم يوسف بن علي الزنجاني والادب عن ابي زكريا
التبريزي وابي الكرم بن فاخر وعلي بن محمد الفصيحي وسمعته يقول متى لم يكن الاصل بخطي
لم افرح به وكان جيد الضبط كثير البحث عما اشكل عليه وكان اوحد زمانه في علم الحديث
واعرفهم بقوانين الرواية والتحديث جمع بين علو الاسناد وعلو الانتقاد وبذلك
كان ينفرد عن ابناء جنسه وقال ابن السمعاني في الذيل هو ثقة ورع متقن متثبت حافظ
فهم له حظ من العربية كثير الحديث حسن الفهم والبصيرة فيه روى عنه الحافظ ابن طاهر
سمعت ابا العلا احمد بن محمد بن الفضل الحافظ يقول سمعت محمد بن طاهر المقدسي يقول
سمعت ابا طاهر الاصبهاني وكان من اهل الصنعة يقول كان ابو حازم العبدوي اذا روى
عن

وى
عن ابي سعد الماليني يقول انا احمد بن حفص الحديثي هذا او نحوه وقال الحافظ عبد القادر الرهاوي
سمعت من يحكي عن الحافظ ابن ناصر انه قال عن السلفي كان ببغداد كانه شعلة نار في تحصيل الحديث
قال عبد القادر وكان له عند ملوك مصر الجاه والكلمة النافذة مع مخالفته لهم في المذهب وكان
لا يبدو منه جفوة لاحد ويجلس للحديث فلا يشرب الماء ولا يبزق ولا يتورك ولا يبدو له قدم وقد
جاز المائة بلغني ان سلطان مصر حضر عنده للسماع فجعل يتحدث مع اخيه فزبرهما وقال ايش هذا
نحن نقرا الحديث وانتما تتحدثان قال وبلغني انه في مدة مقامه بالاسكندرية وهي اربع وستون
سنة ما خرج الى بستان ولا فرجة غير مرة واحدة بل كان عامة دهره لازما لمدرسته وما كنا
نكاد ندخل عليه الا نراه مطالعا في شي وكان حليما متحملا لجفاء الغرباء وقد سمعت بعض فضلاء
همذان يقول السلفي احفظ الحفاظ وقال ابن عساكر سمع السلفي ممن لا يحصى وحدث بدمشق
فسمع منه اصحابنا ولم اظفر بالسماع منه وسمعت بقراءته من شيوخ عدة ثم خرج الى مصر واستوطن
الاسكندرية وتزوج بها امراة ذات يسار وحصلت له ثروة بعد فقر وتصوف وصارت
له بالاسكندرية وجاهة وبنى له العادل علي بن اسحاق بن السلار امير مصر مدرسة بالاسكندرية
وحدثني عنه اخي والجارثي ابا المطر انا ابن البيع فذكر حديثا وهو موافقة مسلم بن شادن
المحامليات ثم قال انشدنا ابو سعد بن السمعاني بدمشق انشدنا ابو العز محمد بن علي البستي
انشدنا ابو طاهر احمد بن محمد الحافظ لنفسه بيتا فارقت ان علم الحديث علم رجال تركوا
الابتداع للاتباع فاذا الليل جنهم كتبوه واذا اصبحوا غدوا للسماع قلت انشدناهما
ابو الحسين اليونيني وابو علي ابن الخلال قالا انشدنا جعفر بن علي انشدنا السلفي فذكرهما
وقال الحافظ عبد القادر عنه وكان امارا بالمعروف ناهيا عن المنكر حتى انه كان قد ازال من جواره
منكرات كثيرة ورايته يوما وقد جاء جماعة من المقرئين بالالحان فارادوا ان يقرؤوا فمنعهم من
ذلك وقال هذه القراءة بدعة بل اقرؤوا ترتيلا فقرؤوا كما امرهم قرات بخط الحافظ عبد الغني
خزانته خطوط المشايخ للسلفي بالقراءات وقد قرا بحرف عاصم على ابي سعد المطرز وقرا
لحمزة والكسائي على محمد بن نصر القصار وقرا برواية قالون على نصر بن محمد الشيرازي وبرواية
قنبل على عبد السيد بن احمد الحرفي وقد قرا عليهم سنة احدى وتسعين وبعدها وقال ابن نقطة
كان حافظا ثقة جوالا في الافاق سالا عن احوال الرجال شجاعا الذهلي والمؤتمن الساجي
وابا علي البرداني وابا الغنائم النرسي وجميعا الحوري وحدثني عبد العظيم المنذري الحافظ قال

لما ارادوا ان يقروا سنن النسائي على السلفي اتوه بنسخة سعد الخير وهي مصححة قد سمعها
من الدوني فقال اسمي فيها قالوا لا فاجتذبها من يد القاري بغيظ وقال لا احدث الا من
اصل فيه اسمي ولم يحدث بالكتاب وقال ابن عبد العظيم ان ابا الحسن المقدسي قال حفظت
اسمًا وكنى وجئت الى السلفي فذاكرته بها فجعل يذكرها من حفظه وما قال لي احسنت وقال
ما هذا شي مليح انا شيخ كبير في هذه البلدة هذه السنين لا يذاكرني احد وحفظي هكذا وقال
ابو سعد السمعاني انشدنا يحيى بن سعدون النحوي بدمشق انشدنا السلفي لنفسه

ليس حسن الحديث قرب رجال … عند ارباب علمه النقاد
بل علو الحديث عند اولي الا … تقان والحفظ صحة الاسناد
فاذا ما تجمعا في حديث … فاغتنمه فذاك اقصى المراد

قلت انشدناها اليونيني وابن الخلال قالا انشدنا جعفر انشدنا السلفي فذكرها وقرات بخط السيف
ابن المجد سمعت احمد بن سلامة النجار يقول ان الحافظين عبد الغني وعبد القادر ارادا
سماع كتاب اللالكائي يعني شرح السنة على السلفي فاخذ يتعلل عليهما مرة ويدافعهما
عنه اخرى باصل السماع حتى كلمته امراته في ذلك وقرات بخط الحافظ عمر بن الحاجب
معجم السفر للسلفي يشتمل على الفي شيخ وقال الحافظ زكي الدين عبد العظيم كان السلفي
مغرى بجمع الكتب والاستكثار منها وما كان يصل اليه من المال يخرجه في شرائها وكان عنده
خزائن كتب ولا يتفرغ للنظر فيها فلما مات وجدوا معظم الكتب في الخزائن قد عفنت
والتصق بعضها ببعض لنداوة الاسكندرية فكانوا يستخلصونها بالفاس فتلف اكثرها
انبانا احمد بن سلامة الحداد عن الحافظ عبد الغني ان السلفي انشدهم لنفسه

ضل المجسم والمعطل مثله … عن منهج الحق المبين ضلالا
واتى اماثلهم بنكر لا رعوا … من معشر فرطوا ولوا الاشكالا
وغدوا يقيسون الامور برايهم … ويدلسون على الورى الاقوالا
فالاولون تعدوا الحد الذي … قد حده وصف الاله تعالى
وتصوروه صورة من جنسنا … جسمًا وليس الله عز مثالا
والاخرون فعطلوا ما جاء في الـ … قران اقبح بالمقال مقالا
وابوا حديث المصطفى ان يقبلوا … ورواه حشوا لا يعيد مثالا

وهي بضعة وعشرون بيتا
وله قصيدة اخرى نحو من تسعين بيتا سمى فيها ائمة السنة وذم المبتدعة اوردتها في
ترجمته التي افردتها وقال الوجيه عيسى بن عبد العزيز اللخمي توفي الحافظ السلفي صبيحة الجمعة

خامس

خامس ربيع الاخر سنة ست وسبعين وخمسمائة وقت تسنين ولم يزل يقرا عليه الحديث
الى ان غربت الشمس من ليلة وفاته وهو يرد على القاري اللحن الخفي وصلى يوم الجمعة الصبح
عند انفجار الفجر وتوفي بعدها فجاة **قلت** قد اضطرب قول السلفي في مولده وقد ذكرنا
قوله للحافظ عبد الغني انه كان ابن عشر سنين وقت قتل نظام الملك فيكون مولده على
هذا القول في حدود سنة خمس وسبعين وقال الامام شهاب الدين ابو شامة سمعت
الامام علم الدين السخاوي يقول سمعت ابا طاهر السلفي يوما وهو ينشد لنفسه شعرا قاله
قديما وهو

انا من اهل الحديث وهم خير فئة … جزت تسعين وارجو ان اجوزن المائة

فقيل له قد حقق الله رجاك فعلمت انه قد جاز المائة وذلك في سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة
وقال محمد بن عبد الرحمن بن علي التجيبي الاندلسي سمعت الحافظ ابا طاهر السلفي ووجدت بخطه مولدي
باصبهان سنة اثنتين وسبعين واربع مائة تخمينا لا يقينا وقال قاضي القضاة ابن خلكان
كانت ولادة السلفي سنة اثنتين وسبعين تقريبا قال ووجدت العلماء بالديار المصرية
من جملتهم الحافظ زكي الدين عبد العظيم يقولون في مولده هذه المقالة قال ثم وجدت في
كتاب زهر الرياض لجمال الدين عبد الرحمن بن عبد المجيد الصفراوي يقول ان السلفي كان
يقول مولدي بالتخمين لا باليقين سنة ثمان وسبعين **قلت** قد شذ الصفراوي عن الجماعة
بهذا القول وان السلفي فقد جاوز المائة بلا ريب وقد طلب الحديث وكتب الاجزاء وقرا
بالروايات في سنة تسعين وبعدها وقد حكى الحافظ عبد الغني انه حدث سنة اربع
وتسعين وما في وجهه شعرة وانه كان ابن سبع عشرة سنة او نحوها ولكنه اختلف قوله
فتارة قال سنة اثنتين وسبعين تقريبا وتارة يقول في سنة خمس وسبعين تقريبا
وهذا انبا ابن طاهر **سنة سبع وسبعين** وخمسمائة وفيها قصد عز الدين فرخشاه
ابن شاهنشاه بلاد الكرك بالعساكر وخربها وعاد وكان ملك الفرنج برنس لعنه الله
قد سولت له نفسه قصد المدينة النبوية ليملكها فسار فرخشاه الى البلد المذكور ونهبه
فاب البرنس بالخيبة وفي رجب ركب الخليفة في موكبه الى الكشك فنزل به وقدم الى بغداد
رسول من صاحب جزيرة قيس وفيها ارسل من الديوان رسالة الى السلطان صلاح الدين
ياخذ عليه في اشيا منها تسميته بالملك الناصر مع علمه ان الامام اختار هذه السمة لنفسه
وفي شعبان سار عز الدين مسعود واخذ حلب وكان الصالح اسماعيل بن نور الدين قد اوصى

لديها وفي شوال تزوج بام الصالح ثم قايماز خاه عماد الدين سنجار وقدم عماد الدين فتسلم
حلب **سنة ثمان وسبعين** وخمسمائة فيها تراخت الاسعار بالعراق وفيها
وثب على عبد الوهاب الكردي صاحب قلعة الماهكي ابن عمه جوبان فاخرجه منها
ونادى بشعار الدولة العباسية فارسلت الخلعة والتقليد بولايتها وفيها وصل
قاضي الموصل ووزيرها ابن الشهرزوري الى الديوان العزيز يطلب ان تتقدم الى السلطان
صلاح الدين بالارتحال عن الموصل فانه نزل محاصرا لها ذاكرا ان الخليفة اقطعه اياها
فاجيب سؤاله وكتب الى السلطان بالارتحال عنها وسار اليه في الرسالة شيخ الشيوخ
صدر الدين عبد الرحيم وفيها افتتح ملك الروم قليج رسلان بن مسعود بلدا بالروم كان
للنصارى وكتب الى الديوان بالبشارة وافتتح فيها صلاح الدين حران وسروج وسنجار
ونصيبين والرقة والبيرة ونازل الموصل وحاصرها فبهره ما راى من حصانتها
ورحل عنها وقصده شاه ارمن بعساكره واجتمع في ماردين بصاحبها وفتح آمد ثم
رجع الى حلب فملكها وعوض صاحبها سنجار وفيها تفتى الناصر لدين الله الى الشيخ عبد
الجبار ولبس سراويل الفتوة عبد الجبار وخلع عليه وكان النقيب لهم ابا المكارم احمد بن
محمد ابن داذ بن النيلي وصى الناصر لدين الله في ذلك الوقت ولقد رفقه على عبد الجبار
وخلع عليه وعلى النقيب وكان عبد الجبار هذا في بدء امره شجاعا مشهورا تهابه الفتيان
وتخافه الرجال ثم ترك ذلك ولزم العبادة وبنى لنفسه موضعا فامر الخليفة باحضاره
حين نصوع عنده اخباره ونفى اليه وجعل المعول في شرعه عليه وفيها خرج صلاح
الدين من مصر غازيا وما تهيا له العود اليها وقد عاش بعد ذلك اثني عشرة سنة
وفيها بعث صلاح الدين اخاه سيف الاسلام طغتكين على مملكة اليمن واخراج نواب اخيه
توارنشاه منها فدخل اليها وقبض على متولي زبيد حطان بن منقذ الكناني فقال انه
قتله سرا واخذ منه اموالا لا تحصى وهرب منه عز الدين عثمان بن الزنجيلي وتمكن سيف
الاسلام من اليمن وفيها مات عز الدين فروخشاه بن شاهنشاه ابن ايوب بعث عمه
على نيابة دمشق شمس الدين محمد بن المقدم **احمد بن ابي الحسن** على ابن احمد بن يحيى بن حازم
ابن علي بن رفاعة الزاهد الكبير سلطان العارفين في زمانه ابو العباس الرفاعي المغربي
رضي الله عنه قدم ابوه العراق وسكن بالبطائح بقرية اسمها ام عبيدة فتزوج باخت الشيخ منصور

الزاهد

الزاهد ورزق منها اولادا منهم الشيخ احمد الرفاعي رحمه الله وكان ابو الحسن مقيما
بام بالشيخ منصور فمات وزوجته حامل بالشيخ احمد فرباه خاله الشيخ منصور فقيل
انه ولد في اول المحرم سنة خمسمائة ويروي عن الشيخ يعقوب ابن كراز قال كان سيدي
احمد بن الرفاعي في المجلس فقال لاصحابه اي سادة اقسمت عليكم بالعزيز سبحانه من
كان يعلم في عيب يقوله فقام الشيخ عمر الفاروثي وقال اي سيدي انا اعلم فيك عيب
فقال يا شيخ عمر قوله لي قال اي سيدي عيبك نحن الذين مثلنا من اصحابك فبكى الشيخ
والفقرا وقال اي عمر ان سلم المركب حمل من فيه في التعدية وقيل ان هرة نامت على كم الشيخ
احمد وجا وقت الصلاة فقص كمه ولم يزعجها وعاد من الصلاة فوجدها قد قامت فوصل
الكم بالثوب وخيطه وقال ما تغير شي وعن يعقوب بن كراز وكان يوذن في المنارة وصلى
بالشيخ قال دخلت على سيدي احمد في يوم بارد وقد توضا ويده ممدودة فبقي زمانا لا
يحرك يده فتقدمت وجيت اقبلها فقال اي يعقوب شوشت على هذه الضعيفة قلت من هي
قال بعوضة كانت تاكل رزقها من يدي فهربت منك قال ورايته مرة يتكلم ويقول يا
مباركة ما علمت بك ابعدتك عن وطنك فنظرت فاذا جرادة تعلقت بثوبه وهو يعتذر
اليها رحمة لها وعنه قال سلكت كل الطرق الموصلة فما رايت اسهل ولا اقرب ولا اصلح
من الافتقار والذل والانكسار فقيل له يا سيدي فكيف يكون قال تعظيم امر الله والشفقة
على خلق الله والاقتدا بسنة سيدنا رسول الله وورد انه كان فقيها شافعي المذهب
وعن الشيخ يعقوب بن كراز قال كان سيدي احمد اذا قدم من سفر يشمر ويجمع الحطب
ثم يحمله الى بيوت الارامل والمساكين فكان الفقرا يوافقونه ويحتطبون معه وربما كان
يملا الما للارامل ويوثرهم وعن يعقوب قال قال لي سيدي احمد لما توفي الشيخ منصور
رحمه الله قيل لي اي منصور اطلب فقال اصحابي فقال رجل لسيدي احمد يا سيدي وانت
ايش فبكى فقال اي فقير ومن انا في البين بين نسب واطلب ميراث فقلت يا سيدي
اقسمت عليك بالعزيز ايش انت قال اي يعقوب لما اجتمع القوم وطلب كل واحد شيا دارت
النوبة الي هذا الاشعث احمد وقيل اي احمد اطلب قلت اي رب علمك محيط بطلبي فكرر
علي القول قلت اي مولاي اريد ان لا اريد واختار ان لا يكون لي اختيار فاجابني وصار
الامر له وعليه اي يعقوب من عنايته العزيز يحمله الى هذه البقعة وعن يعقوب قال لي سيدي

على دار الطعام ورأى الكلاب يأكلون التمر من القوصرة وهم يتحارشون فوقف على الباب
لئلا يدخل اليهم احد يؤذيهم وهو يقول اي مباركين اصطلحوا وكلوا ولا يؤذوا بعضكم
بعضكم ورأى فقيرا يقتل قملة فقال لا واخذها منه شفيت غيظك وعن يعقوب
قال كان سيدي احمد يا يعقوب لو ان عن يميني جماعة يروحوني بمراوح الند والطيب
وهم من اقرب الناس الي وعن يساري مثلهم من ابغض الناس الي معهم مقاريض يقرضون
بها لحمي ما زاد هؤلاء عندي ولا نقص هؤلاء عندي بما فعلوه ثم قرأ لكيلا تأسوا على ما فاتكم
ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور وكان سيدي احمد اذا احضر بين يديه تمر
او رطب يتخير الحشف والحشيف لنفسه يأكله ويقول انا احق بالدون من غيري فاني مثله
دون وكان لا يجمع بين لبس قميصين في شتاء ولا في صيف ولا يأكل الا بعد يومين بلا
اكله واذا اغتسل ثوبه ينزل في الشط كما هو قائم يفركه ثم ينفضه في الشمس حتى ينشف واذا
ورد عليه ضيف يدور على بيوت اصحابه يجمع الطعام في مئزر واحضر ابن الصيرفي وهو
مريض ليدعو له الشيخ ومعه خرجه وحشيه متغيرا بما لم يكله فقال يعقوب بن كراز
اي سيدي ما تدعو لهذا المريض فقال اي يعقوب وعزة العزيز لا احد كل يوم على بابه
حاجة منقضية وما سألتموه منها حاجة واحدة فعلمت اي سيدي يكون واحدة لهذا
المريض المسكين فقال لا كرامة ولا عزازة تريد بي اكون سيئ الادب في ارادته وله ارادة
ثم قرأ الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين اي يعقوب الرجل الممكن في احواله
اذا سأل حاجة وقضيت له نقص بكنه درجة فعلت اراك تدعو اعقاب الصلوات وكل
وقت قال ذاك الدعاء تعبد وامتثال ودعاء الحاجات لها شروط وهو غير هذا الدعاء
ثم بعد يومين تعافى ذلك المريض وعن يعقوب انه سأل الشيخ احمد قال اي سيدي لو
كانت جهنم لك ما كنت تصنع بها تعذب بها احدا فقال لا وعزته ما كنت ادخل اليها
احد فقال اي شيخ انت تقول انك اكرم ممن خلقها لتسلم بها من عصاه وزعق وسقط
على وجهه زمانا ثم افاق وهو يقول من هو احمد بالبين يكرر ذلك مرات وقال اي يعقوب
الملك متصرف سبحانه وعن يعقوب ان الشيخ احمد كان لا يقوم لاحد من ابناء الدنيا
ويقول النظر اليهم وخوفهم يقسي القلب وعن الشيخ يعقوب وسئل عن اوراد سيدي احمد
فقال كان يصلي اربع ركعات بالف قل هو الله احد ويستغفر كل يوم الف مرة واستغفاره ان

يقول

يقول لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين عملت سوءا وظلمت نفسي واسرفت في امري
ولا يغفر الذنوب الا انت فاغفر لي وتب علي انك انت التواب الرحيم يا حي يا قيوم لا اله
الا انت وذكر غير ذلك وكان يترنم بهذا البيت انه كان لي عند سليمى فقول فلا ابالي ما يقول
وكان يقول ومستخبر عن سر ليلى تركته بعميا من ليلى بغير يقين يقولون خبرنا فانت امينها
وما انا ان خبرتهم بامين ويقول ارى رجالا دون العيش قد قنعوا وما اراهم رضوا الاسا
اذا رأيت ملوك الارض اجمعها بلا امرا ولا شك ولا مين ويقبل فقير في جميع الناس مرتبة
تقل بهم ملك في زي مسكين ذاك الذي حسنت في الناس سيرته وصار يصلح للدنيا وللدين
ويقول اغار عليها من ابيها وامها ومن كل من يدنو اليها ويبطو واحذر من اخذ المرآة بكفها
اذا نظرت مثل الذي انا انظر اذا اتذكر من انتم وكيف انا اجللت ذكركم يخطر على بالي
ولو شربت بدوحي ساعة سلفت من عيشتي معكم ما كان بالغالي . وكان كثير التعظيم
لخاله سيدي الشيخ منصور ويقول للفقراء اذا اقبلتم عند الشيخ منصور فانما تعاونون
بي ويقول انا ملاح لسفينة الشيخ منصور فاسألوا ربنا بي في حوائجكم وكان يقول
ابي ابن نفخ في الصور لا يأتي مثل طريق الشيخ منصور وعن ابن كراز سمعت يوسف بن
صقير المحدث يقول كانت قرية الصديه مع سيدي احمد قدس الله روحه وقد غنى ابن
لو يسمعون كما سمعت حديثها خروا لعزة ركعا وسجودا فقام سيدي وتواجد
وردد البيت ولم يزل حتى كادت قلوب الفقراء تنفطر وكان ذلك في بداية بعد موت
سيدي الشيخ منصور ولما كان في النهاية نفي سمع شيئا لا يسمع الحادي وهو
قريب منه حتى توفي وعنه قال ذكر الشيخ جمال الدين ابو الفرج ابن الجوزي ان سبب
وفاة سيدي احمد ابيات انشدت بين يديه تواجد عند سماعها تواجدا كان سبب
مرضه الذي مات فيه وكان المنشد لها الشيخ عبد الغني بن نقطة حين زاره وهي
اذا جن ليلي هام قلبي بذكركم انوح كما ناح الحمام المطوق ؞ وفوقي سحاب يمطر الهم والاسى
وتحتي بحار بالاسى تتدفق ؞ سلوا ام عمرو كيف بات اسيرها تفك الاسارى دونه وهو موثق
فلا انا مقتول ففي القتل راحة ولا انا ممنون فعليه فيعتق ؞ قال وتوفي يوم الخميس ثاني عشر
جمادى الاولى سنة ثمان وسبعين وعن يعقوب بن كراز قال كان سيدي احمد والفقراء
في نهر ولبيد فقال لا اله الا الله فرحان اوان هذا المجلس فليعلم الحاضر الغائب ان احمد يقول

وانتم تسمعون من خلا بامراة اجنبية فانا منه بري وسيدي الشيخ
منصور منه بري وسيدي المصطفى صلى الله عليه وسلم منه بري وربنا
سبحانه منه بري ومن خلا بامرد فكذلك ومن ترك البيعة فانما ينكث على
نفسه ثم قام من مجلسه وبعد شهر عبر الى الله ودفن في قبة الشيخ يحيى النجاري ذكر
الشيخ محمد بن ابي بكر بن ابي طالب الصوفي انه سمع جده عفيف الدين ابا طالب يقول
سمعت الشيخ عبد الرحمن شملة يقول سمعت سيدي عليا يقول لما احتضرت الوفاة
سيدي احمد قبلها بايام قلت اي سيدي ما تقول بعدك واش تورثنا فقال
اي علي قل عني انه ما نام ليلة الا وكل الخلق افضل منه ولا احد قط ولا راى
لنفسه فيه قط واما ما اورثه فيا ولدي تشهدان في ما لا اخذ اورثكم اثما اورثكم
قلوب الخلق قال سمعت من سيدي خرجت الى الشيخ يعقوب بن كراز فاخبرته
فقال لك حسب اولد ربك معك فعدت الى سيدي فقلت له فقال لك ولد دينك
اليوم البيعة السبعة عامة والبغية تامة والضمين نفعه هي اليوم مشيخة والى
يوم القيامة ملكة مشيخة نقلت اكثر ما هنا عن يعقوب من كتاب
مناقب ابن الرفاعي رضي الله عنه جمع الشيخ محيي الدين احمد بن سليمان
الهماني الحسيني الرفاعي شيخ الرواق المعمور بالهلالية بظاهر القاهرة
سمعه منه الشيخ ابو عبد الله محمد بن ابي بكر بن الشيخ ابو طالب الانصاري الرفاعي
الدمشقي ويعرف بشيخ حطين بالقاهرة في سنة ثمانين وسبعمائة
وقد كتبه عنه مناولة واجازة المولى شمس الدين ابو عبد الله محمد بن ابراهيم
الحريري واودعه تاريخه في سنة خمس وسبعمائة ناوله قال ذكر ولادة
ثم قال كان الشيخ احمد بن عبد الرحمن بن الشيخ يعقوب ابن كراز واكثر الكتاب عن
الشيخ يعقوب وهو نحو اربعة كراريس وهو ثمانية فصول في مقامات وكراماته وغير ذلك
بلا اسناد ونقع الاعتماد منها على هذا القدر الذي هنا ونوه الشيخ ولم يعقب وانما الشيخ
في اولاد اخيه قال القاضي ابن خلكان كان رجلا صالحا فقيها شافعيا انضم اليه خلق من الفقراء واحسنوا
فيه الاعتقاد وهم الطائفة الرفاعية ويقال لهم الاحمدية ويقال لهم البطائحية ولهم احوال عجيبة
من اكل الحيات حية والنزول الى التنانير وهي تضطرم نارا والدخول الى الافرنة وينام الواحد منهم

في جانب الفرن والخباز يخبز في الجانب الآخر وتوقد لهم النار العظيمة ويقام
السماع فيرقصون عليها الى ان تنطفي ويقال انهم في بلادهم يركبون الاسود
ونحو ذلك واشباهه ولهم اوقات معلومة يجتمع عندهم من الفقراء بالبطائح عالم لا يحصون
ويقومون بكفايته الجميع والبطائح عدة قرى مجتمعة في وسط الماء بين واسط والبصرة

سنة تسع وسبعين وخمسمائة

في المحرم قدم رسول ملك مازندران مبلغي واكرم ولم يكن لمرسله عادة
بمراسلة الديوان بل الله هداه من غي هواه وقدم هدية وفيه جاء رجل الى
النظامية يستفتي فافتي بخلاف غرضه فسب الشافعي فقام اليه فقيهان
لكمه احدهما وضربه الآخر بنعله فمات ليومه فحبس الفقيهان ايامًا واطلقا
عملا بمذهب ابي حنيفة وفي جمادى الاولى قبض عز الدين مسعود صاحب الموصل
على نائبه واتابكه مجاهد الدين قايماز وكان هو سلطان تلك البلاد في المعنى
وعز الدين معه صورة ولكن الخرم عليه النظام بامساكه وتعب ثم انه اخرجه واعاده
الى رتبته وفي رمضان جاء الى صلاح الدين بالرسلية شيخ الشيوخ وشهر الخادم وفي
شوال فرغ من رباط المامونية وفتح انشاته والدة الناصر لدين الله ومدة سماط
وحضر ارباب الدولة والقضاة والائمة والاعيان ودرس شهاب الدين السهروردي
مشيخته ووقف عليه الوقوف النفيسة وقدم رئيس اصبهان صدر الدين عبد اللطيف
الخجندي للحج فتلقي بموكب الديوان واقيمت له الاقامات وذعيم
الحاج في هذه السنة مجد الدين طاشتكين ومن كتاب فاضلي الى الديوان
كان الفرنج قد ركبوا من الامر نكرا وافتضوا من البحر بكرا وعمروا مراكب حربية شحنوها
بالمقاتلة والاسلحة والازواد وضربوا بها سواحل اليمن والحجاز والحنوا واوغلوا في البلاد
واستدت مخافة اهل تلك الجوانب بل اهل القبلة لما اومض اليهم من خلل العواقب
وما ظن المسلمون الا انها الساعة وقد نشر مطوي اشراطها واستطر غضب الله لغلبة المجرمين ومقام
خليله الاكرم وضريح نبيه الاعظم صلى الله عليه وسلم ورجوا ان يشحذ البصائر براية كانه هذا
البيت اذ قصده اصحاب الفيل ووكلوا الى الله الامر فكان حسبهم ونعم الوكيل وكان للفرنج
مقصدان احدهما قلعة ايلة والاخر الحوض في هذا البحر الذي تجاوزه بلادهم من ساحله

وانقسموا فرقتين اما الذين قصدوا ايلة فانهم قدروا ان يمنعوا اهلها من
مورد الماء واما الفرقة الاخرى فقاصدة سواحل الحجاز واليمن فقدروا ان يمنعوا طريق
الحاج عن حجه ويحولوا بينه وبين فجه ويأخذوا تجار اليمن وكارم عدن ويلموا بسواحل
الحجاز فيستبيحوا والعياذ بالله المحارم وكان الاخ سيف الدين بمصر قد عمر مراكب وفرقها
على الفرقتين وامرهم بان تطوى وراءهم الشقتين فاما السائرة الى قلعة ايلة فانها
انقضت على مرابطي الماء انقضاض الجوارح على بنات الماء وقذفتها قذف شهب السماء مردة
مراكب العدو بومتها وقتلت اكثر مقاتلتها الا من تعلق بهضبه وما كاد ودخل في
شعب وما عاد فان العربان اقتصوا اثارهم والتزموا احضارهم واما السائرة الى
بحر الحجاز فمنها ذنب في الساحل الحجازي فاخذت تجارا واخافت رفاقا ودلها على
عورات البلاد من هو اشد كفرا ونفاقا وهناك وقع عليها اصحابنا واخذت المراكب باسرها
وفر فرنجها فسلكوا في الجبال مهاوي المهالك ومعاطن المعاطب وركب اصحابنا وراءهم
خيل العرب يقتلون ويأسرون حتى لم يتركوا مخبرا ولم يبقوا لهم اثرا وسيق الذين
كفروا الى جهنم زمرا فقيد منهم الى مصر مائة وسبعون اسيرا وفي المحرم نزل
صلاح الدين على حلب ثم تسلمها صلحا وفيها سار شهاب الدين الغوري بعد ما
ملك جبال الهند وعظم سلطانه الى مدينة لهاور في جيش عظيم وبها السلطان
خسروشاه ابن بهرام شاه السبكتكيني الذي كان صاحب غزنة من ثلاثين سنة فحاصره
مدة ثم نزل بالامان فاكرمه ووفى له فورد رسول السلطان غياث
الدين الى اخيه يامره بارسال خسروشاه اليه فقال له انا يميني في عنقك
فطيب قلبه ومناه وارسله هو وولده فلم يجتمع بهما غياث الدين بل
رفعهما الى بعض القلاع فكان اخر العهد بهما وهذا اخر ملوك سبكتكين وكان
ابتداء دولتهم من سنة ست وستين وثلثمائة فتبارك الذي لا يزول ملكه وفيها
عاد شيخ الشيوخ وبشير من الرسالة ومعهما رسول صلاح الدين يتقدمه كان
معهما شمسة يعني جترا وهي مصنوعة من ريش الطواويس لم ير في حسنها وعليها اسم المستنصر بالله
العبيدي وتوفي الجلال ابو المظفر البخاري نائب الوزارة فوكل مكانه حاجب باب النوبي
عز الدين ابو الفتح بن صدقة وولي الحجابة احمد بن هبيرة وعاد الى الشام شيخ الشيوخ

وشير

وشير على القود فمرضا وطلبا الرجعة الى العراق فقال صلاح الدين اقيما
فلم يفعلا وسارا في الحر فماتا بالرحبة ونازل السلطان حلب وحاصرها
اشد حصار ثم وقع الصلح بين صاحبها عماد الدين وبين السلطان على ان
يعوضه عنها سنجار ونصيبين والرقة وسروج والخابور وتسلم حلب في
ثاني عشر صفر وفيه يقول القاضي محيي الدين بن القاضي زكي الدين بن المنتجب
يمدحه بابيات منها وفتحكم حلبا بالسيف في صفر مبشر بفتوح القدس في رجب
وقد ذكر صاحب الروضتين ان الفقيه مجد الدين بن جهبل الحلبي الشافعي
وقع اليه تفسير القران لابي الحكم بن برجان فوجد فيه عند قوله تعالى
الم غلبت الروم ان الروم يغلبون في رجب سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ويفتح البيت
المقدس ويصير دارا للاسلام الى اخر الابد واستدل باشياء في كتابه فلما فتحت حلب
على يد السلطان صلاح الدين كتب اليه المجد بن جهبل ورقة يبشره بفتح القدس على يديه
ويعين فيه الزمان واعطاها للفقيه عيسى فلم يتجاسر ان يعرضها على السلطان
وحدث بما فيها المحيي الدين وكان واثقا بعقل المجد وانه لا يقول هذا حتى يحققه
فعمل القصيدة التي منها هذا البيت فلما سمعه السلطان بهت وتعجب فلما اتفق له فتح
القدس في رجب سار اليه المجد مهنئا وذكر له حديث الورقة فتعجب وقال قد سبق الى ذلك
محيي الدين غير انني اجعل لك حظا ثم جمع له من في العسكر من الفقهاء والصلحاء وادخله بيت المقدس
والفرج بعد فيه لم ينطق منهم وامره ان يذكر درسا على الصخرة فدخل ودرس هناك وحظي بذلك
ثم قال ابو شامة وقفت انا على ما فسره ابن برجان من ان البيت المقدس استولت عليه
الروم عام سبعة وثمانين واربعمائة واشار انه سيبقى بايديهم الى تمام خمسمائة وثلاث وثمانين سنة
قال ابو شامة وهذا الذي ذكره ابو الحكم من عجائب ما اتفق وقد تكلم عليه شيخنا السخاوي
فقال وقع في تفسير ابي الحكم اخبار عن فتح بيت المقدس انه يفتح في سنة ثلاث وثمانين قال
لي بعض الفقهاء انه استخرج ذلك من فاتحة السورة فاخذت السورة وكشفت عن ذلك فلم اره
اخذ ذلك من الحروف وانما اخذه فيما زعم من غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون
في بضع سنين فبنى الامر على التاريخ كما يفعل المنجمون ثم ذكر انهم يغلبون في سنة كذا وفي سنة كذا
على ما تقتضيه دوائر التقدير وهذه نجامة وافقت اصابة ان صح انه قال ذلك قبل وقوعه وليس

ذلك من الحروف ولا هو من قبيل الكرامات فان الكرامات لا تكتسب ولا تفتقر الى
تاريخ ولذلك لم يوافق الصواب لما اراد الحساب على القراءة الاخرى الشاذة
وهي غلبت بالفتح ويوضح ذلك انه قال في سورة القدر لو علم الوقت الذي انزل
فيه القران لعلم الوقت الذي يرفع فيه فهذا ما ذكره ٥ ومن كتاب الى الديوان
اشقى الانام من سمن كيسه واهزل الخلق واعدمهم من الحق من احد المكس وسماه
الحق ولما فتحنا الرقة اشرفنا على سحت موكل وظلم ما امر الله ان يقطع وامر الظالمون
ان يوصل فاوجبنا على كافة الولاة من قبلنا ان يضعوا هذه الرسوم باسرها
وتلغوا الرعايا من سائر الانام ملكا باسرها ويعفوا الرقة من رفقها وتسد هذه
الابواب وتعطل وتنسخ هذه الامور وتبطل مسامحة ماضية للاحكام دائمة الخلود
خالدة للدوام نامة البلاغ بالغة التمام ملعونا من يطمح اليها ناظره ومنه واذا
ولاه امير المومنين ثغرا لم يبت في وسطه ولم يقر في ظل غرفه بل يبيت السيف له
ضجيعا ويصبح ومعترك القتال له ربيعا لا كالذين يغبون ابواب الخلافة اعقاب
الاستبداد ولا ابوابهم ونهايته نصب نا فيها مواسم للاستعباد وكانت الدنيا لهم اقطاع
لا ابداع وكانت الامانة لهم تخليد لا تقليد وكان السلاح عندهم زينة لحامله
ولابسه وكان مال الله عندهم وديعة لا عذر لمانعه ولا لحابسه وكانهم
في البيوت الدمى في لزوم خدورها الا في مستحسنات صورها راضين
من الدين بالعروة اللقبية ومن اعلا كلمته بما يسمعونه على الدرجات الخشبية ومن
جهاد الخوارج باستحسان الاخبار المهلسة ومن قتال الكفار بانه فرض
كفاية يقوم به طايفة فيسقط عن الاخرى ٥ وفيها سار السلطان بجيوشه الى الكرك
فحاصرها ونصب عليها المجانيق ثم جاءته الاخبار باجتماع الفرنج فترك الكرك وسار اليهم
بعد ان كان قد اشرف على اخذها فجاء الفرنج الطريق الى الكرك واتوا اليها بجموعهم فسار الى
نابلس ثم الى دمشق واعطى اخاه نايب مصر الملك العادل سيف الدين حلب واعمالها
فانه الح عليه في طلبها فسار اليها واستقر منها الملك الظاهر غازي وقدم على والده وبعث
السلطان ابن عمه الملك المظفر تقي الدين عمر صاحب حماه على نيابة الديار المصرية موضع الملك العادل
٥

سنة ثمانين وخمسمائة

فيها

فيها جعل الخليفة الناصر مشهد موسى الكاظم امنا لمن لاذ به فالتجا اليه
خلق وحصل بذلك مفاسد ٥ وفيه صغر راهن رجل ببغداد على خمسة دنانير
ان يدفن من غدوة الى الظهر فدفن واهيل عليه التراب ثم كشف عليه وقت
الظهر فوجد ميتا وقد عضض سواعده لهول راى ٥ وفيها كتب زين الدين
ابن نجيه الواعظ كتابا الى صلاح الدين تشوقه الى مصر ويصف محاسنها ومواطن
انسها فكتب اليه السلطان بانشاء العماد فيما اظن ورد كتاب الفقيه زين
الدين لا ريب ان الشام افضل وان اجر ساكنه اجزل وان القلوب اليه اميل
وان زلاله البارد اعلى وانهل وان الهوا في صيفه وشتايه اعدل وان
الجمال فيه اجمل واكمل وان القلب به اروح والروح به اقبل فدمشق عاشق
مستهام وما على محبها ملام وما في ربوتها دنسه ولكل نور فيها نسمه وساجعا
على منابر الورق خطبا تطرب وهزارا فيها وبلابلها تعجم وتعرب وكم فيها من جوار
ساقيات وسواق جاريات واثمار بلا اثمان وفاكهة ورمان وخيرات
حسان وكونه تعالى اقسم به فقال والتين والزيتون يدل على فضيلة المكون
وقد قال صلى الله عليه وسلم الشام صفوة الله من بلاده يسوق اليها خيرته
من بلاده عباده وعامة الصحابه اختاروا به المقام وفتح دمشق بكر الاسلام
وما ننكر ان الله ذكر مصر لكن خرج مخرج العيب لدوا الدم الا ترى ان يوسف عليه
السلام نقل منها الى الشام ثم المقام بالشام اقرب الى الرباط واوجب للنشاط واين قطوب المقطم
من بشاشة ساسير واين ذرا منف من ذروة الشرف المنير واين لبانة لبنان من الهرمين وهل
هما الا مثل السلعتين وهل للنيل مع طول نيله وطول ذيله برد بردا في نفع الغليل وما
لذاك الكبير طلاوة هذا القليل وان تفاخرنا بالجامع وقبة النسر ظهر لذلك قصر القصر ولو كان لهم
مثل ما لنا لما احتاجوا الى قياس القياس ونحن لا نجفوا الوطن كما جفوه وحب الوطن من الايمان
ونحن لا ننكر فضل مصر وانه اقليم عظيم ولكن نقول كما قال المجلس الفاضلي ان دمشق تصلح ان
تكون بستانا لمصر ٥ وفيها هجم السلطان نابلس وكان قد وصل النجدة عسكر ديار بكر وعسكر
اربل والحصن والعادل من حلب وتقي الدين من حماه ومظفر الدين بن صاحب اربل هكذا
ذكر ابو المظفر ثم سار فنازل الكرك ونصب عليها المجانيق فجاءتها نجدات الفرنج من كل فج

واحلبوا وطلبوا فاغتنم السلطان خلو السواحل منهم ورأى ان حصارها يطول
فسار ونزل الغور وهجم نابلس فقتل وسبى وطلع على عقبة فيق ودخل
دمشق ه واما ابن الاثير فقال نازل الكرك ونصب المجانيق على ربضه
وملكه وبقي الحصن وهو والربض على سطح واحد الا ان بينهما خندقا عظيما عمقه
نحو ستين ذراعا فامر السلطان بالقاء الاحجار والتراب فيه ليطمه فلم يقدروا
على الدنو منه لكثرة النشاب واحجار المجانيق فامر ان يبنى من الاخشاب واللبن
ما يمكن الرجال يمشون تحت السقائف فيلقون في الخندق ما يطمه ومجانيق
المسلمين مع ذلك ترمي الحصن ليلا ونهارا فاجتمعت الفرنج عن آخرها وساروا
عجلين ورحل صلاح الدين الى طريقهم ليلقاهم فقرب منهم ولم يمكنه الدنو منهم
لخشونة الارض وصعوبة المسالك فاقام ينتظر خروجهم اليه فلم يبرحوا منه
فتاخر عنهم فساروا الى الكرك فعلم صلاح الدين انه لا يتمكن منه حينئذ ولا يبلغ
غرضه فسار الى نابلس ونهب كل ما على طريقه من قرى الفرنج واحرق نابلس
واسر وسبى واستنقذ الاسرى وبث السرايا يمينا وشمالا ه قال وفي شعبان
خرج ابن غانية الملثم وهو علي بن اسحق من كبار الملثمين الذين كانوا ملوك
المغرب وهو حينئذ صاحب ميورقة الى بجاية فملكها بقتال يسير وذلك اثر موت يوسف
ابن عبد المومن فقويت نفس ابن غانية وكثر جموعه ثم التقاه متولي بجاية
وكان غائبا عنها وكسر علي متولي بجاية فانهزم الى مراكش واستولى ابن غانية علي
اعمال بجاية سوى قسنطينة الهوى فحصرها الى ان جاء جيش الموحدين في صفر
سنة احدى وثمانين في البر والبحر الى بجاية فهرب منها اخوا ابن غانية فلحقا به وقد رحل
عن قسنطينة وسار الى افريقية فحشد وجمع والتف عليه سليم ورياح والترك الذين كانوا قد
دخلوا من مصر مع قراقوش وبوزبا وصار في جيش عظيم فتملك بهم ابن غانية جميع بلاد افريقية سوى
تونس والمهدية حفظتهما عساكر الموحدين على شدة وضيق نالهم وانضاف الى ابن غانية كل مفسد
وكل حرامي واهلكوا البلاد والعباد ونزل على حصن باشرة وهي بقرب تونس على قرى
كثيرة وطلب اهلها الامان فامنهم فلما دخل عسكره نهبوها وسلبوا الناس وامتدت
ايديهم الى الحرم والصبيان والله المستعان واقام ابن غانية بافريقية الخطبة

العباسية

العباسية وارسل الى الناصر يطلب منه تقليدا بالسلطنة ونازل قفصة في
سنة اثنتين وثمانين فتسلمها من نواب ابن عبد المومن بالامان وحصنها
تجهز يعقوب بن يوسف بن عبد المومن بجيوشه وسار في سنة ثلاث لحربه فوصل
الى تونس وبعث ابن اخيه في ستة الاف فارس فالتقوا فانهزم الموحدون
لانهم كان معهم جماعة من الترك فخامروا عليهم حال المصاف وقتل جماعة من كبار
الموحدين وكانت الوقعة في ربيع الاول سنة ثلاث فسار يعقوب بنفسه فالتقوا
في رجب بالقرب من مدينة قابس فانهزم ابن غانية واستحر القتل باصحابه
وتمزقوا ورجع يعقوب الى قابس فافتتحها واخذ منها اهل قراقوش فبعثهم
الى مراكش ونازل قفصة فحاصرها ثلاثة اشهر وبها الترك فسلموها بالامان
وبعث بالاتراك ففرقهم في الثغور لما راى من شجاعتهم وقتل طائفة من الملثمين
وهدم اسوار قفصة وقطع اشجارها واستقامت له افريقية بعدما كادت
ان تخرج عن بيت عبد المومن وامتدت ايام ابن غانية الى حدود عام ثلاثين
وستمائة وفي جمادى الاولى جمع السلطان الجيوش وسار الى الكرك فنازلها
ونزل بواديها ونصب عليها تسعة مجانيق قدام الباب فهدمت السور ولم
يبق مانع الا الخندق لعمقه فلم يكن حيلة الا ردمه فضرب اللبن وجمع الاخشاب
وعملوا امثال درب مسقوف يمرون فيها ويرمون التراب في الخندق الى ان
امتلا بحيث ان اسيرا رمى نفسه من السور اليه ونجا وكاتب فرنج الكرك سائر
ملوكهم وفرسانهم يستنجدون بهم فاقبلوا من كل فج في حدهم وحديدهم فنزلوا
بمضائق فرحل السلطان ونزل على البلقاء واقام ينتظر الملتقى فما تغيروا فمنعهم عن خشيا
فانسخ فوصلوا الى الكرك فقصد السلطان الساحل لخلوه ونهب كل ما في طريقه واسر
وسبى فاكثر ووقع بسبسطية وجنين ثم قدم دمشق ه ومن كتاب عمادي في حصار الكرك
يقول ولولا الخندق الذي هووا دليله الشرع فعملنا دبابات قدمناها وسنا الى شفيره
ثلاثة اسراب باللبن وسقفناها وشرعنا في الطم وسارع الناس ولم يبق الا من يستبشر بالعمل
ويباشره حتى ان دخولهم نهارا كان دخولهم يوم العيد وليلا كاجتماعهم في جامع دمشق ليلة
النصف السعيد ومنهم من بالجراح سالمون وبنصر الله موقنون وان لم يبطا العدو عن النجدة

فالصهريج والحصن بمن فيه ضيع قد خرقت الحجارة حجابه وقطعت بهم اسبابه
وناولته من الاجل كتابه وحسرت لثام سوره وحلت نقابه وانوت الابراج محددة
وسامات الشرفات مقلوعة ورووس الابدان محزونة وحروف العوامل مهموزة
وبطون السقوف مبقورة واعضاء الاسقف معقورة ووجوه الجدر مسلوخة
وجلود البواشير مبشورة والنصر اشهر منادي علي علم والحرب اقوم من ساق
علي قدم ○ وقدم السلطان دمشق الرسولان شيخ الشيوخ صدر الدين والطواشي
شبير مرضا ومات جماعة من اصحابهما وكان الشيخ نازلا بالمنيبع وكان السلطان
يعوده في كل يوم وكان قد وقع الصلح بين السلطان وبين عز الدين صاحب الموصل
فلم يتم امر فطلبا العود الي بغداد وعادا فمات شبير بالسخنة وشيخ الشيوخ
بالرحبة واذن السلطان للجيوش بالرجوع الي اوطانهم وخلع علي نور الدين بن قرا
رسلان صاحب حصن كيفا الخلعة التي جاءته هذه المرة من الخليفة بعد ان لبسها
السلطان ثم كتب لزين الدين يوسف بن زين الدين علي صاحب اربل منشورا باربل
واعمالها لما اعرى اليه وفارق صاحب الموصل ثم وصلت رسل زين الدين يوسف
الي السلطان بان عسكر الموصل وعسكر قزل صاحب العجم نازلوا اربل مع مجاهد
الدين قايماز وانهم نهبوا واحرقوا وانه نصر عليهم وكسرهم فكان هذا مما
حرك عزم السلطان علي قصد الموصل هذه المرة فسار السلطان علي طريق البقاع
وبعلبك ثم حمص وحماه فاقام بحماه الي انسلاخ السنة وفيها مات صاحب ماردين
قطب الدين ايلغازي بن نجم الدين البي بن ارتق **يوسف بن عبد المومن** بن
علي السلطان ابو يعقوب صاحب المغرب لما مات عبد المومن في سنة ثمان
وخمسين كان قد جعل الامر بعده لابنه الاكبر محمد وكان لا يصلح للملك
لادمانه الخمور وكثرة طيشه وقيل ايضا كان به جذام فاضطرب امره وخلعه
الموحدون بعد شهر ونصف ودار الامر بين اخويه يوسف وعمر فامتنع وبايع
اخاه يوسف واسلم اليه الامر فبايعه الناس واتفقت عليه الكلمة بسعي اخيه عمر وامهما بنت موسى الضرير
وكان ابو يعقوب ابيض بحمرة اسود الشعر مستدير الوجه افوه اعين الي الطول ما هو حلو
الكلام في صوته جهارة وفي عبارته فصاحة حلو المفاكهة له معرفة تامة باللغة والاخبار

قد

قد صرف عنايته الي ذلك لما ولي ابوه اشبيلية واخذ عن علمائها وبرع في شيا
من القران والحديث والادب قال عبد الواحد بن علي التميمي في كتاب المعجب صح عندي انه
كان يحفظ احد الصحيحين قال وظني انه البخاري وكان شديد الملوكية بعيد الهمة سخيا جوادا استغنى
الناس في ايامه وكثرت في ايديهم الاموال ثم انه نظر في الفلسفة والطب وحفظ اكثر الكتاب الملكي وامر بجمع كتب الفلاسفة
فاكثر منها وتطلبها من الاقطار وكان ممن صحبه ابو بكر محمد بن طفيل الفيلسوف وكان بارعا في علم الاوائل
اديبا شاعرا بليغا وكان ابو يعقوب شديد الحب له بلغني انه كان يقيم عنده في القصر اياما
ليلا ونهارا وكان هو الذي نبهه علي قدر الحكيم ابي الوليد محمد بن احمد بن محمد بن رشد المتفلسف
وسمعت ابا بكر بن يحيي القرطبي الفقيه يقول سمعت الحكيم ابا الوليد يقول لما دخلت علي امير المومنين
ابي يعقوب وجدته هو وابو بكر بن طفيل فقط فاخذ ابو بكر يثني علي ويطريني فكان اول ما فاتحني به
امير المومنين ان قال لي ما رايهم يعني الفلاسفة في السما اقديمة ام حادثة فادركني الخوف فتعللت
وانكرت اشتغالي بعلم الفلسفة ففهم مني الروع فالتفت الي ابن طفيل وجعل يتكلم علي المسالة ويذكر
قول ارسطوطاليس ويورد احتجاج اهل الاسلام علي الفلاسفة فرايت منه غزارة حفظ لم اظنها
في احد من المشتغلين ولم يزل يبسطني حتي تكلمت فعرف ما عندي فلما خرجت امر لي بخلعة
ودابة ومال وقد وزر لابي يعقوب اخوه عمر اياما ثم رفع قدره عنها وولي ابا العلا ادريس
ابن جامع الي ان قبض عليه سنة سبع وسبعين واخذ امواله واستوزر ولي عهده ولده يعقوب
وكتب له ابو محمد عياش بن عبد الملك بن عياش الكاتب وابو القاسم العالمي وابو الفضل جعفر
ابن احمد بن محشوه البجاي وكان علي ديوان جيشه ابو عبد الرحمن الطوسي وكان حاجبه مولاه
كافور الخصي وكان له من الولد ستة عشر ذكرا منهم صديقي يحيى قال ومنه تلقيت كثر اخبارهم ولم
ار في الملوك ولا في السوقة مثله قال وقضاته ابو محمد المالقي ثم عيسى بن عمران التازي وما زال من
اعمال فاس ثم حجاج بن ابراهيم التجيبي الاغماتي الزاهد فاستعفى فولي بعده ابو جعفر احمد بن
مضا القرطبي وفي سنة اثنتين وستين وخمسمائة رجع سلحه جماعة الطاعة وكان راسهم
سبع بن حيان ومردنيش قد غلوا الفتنة واجتمع لهم خلق وبلاد عمارة طولا وعرضا مسيرة
اثني عشر مرحلة فخرج ابو يعقوب بجيوشه فاستاصل الرجلين وجموعهما فاسرا وشرد منهما
الي قرطبة ودخل الاندلس في سنة سبع وستين مظهرا غزو الروم ومبطنا اتمام تملك جزيرة
الاندلس والتغلب علي ما بيد محمد بن سعد بن مردنيش فنزل اشبيلية وجهز العساكر الي محمد

وامر عليهم اخاه امير غرناطة عثمان فخرج محمد في جموع اكثرها من الغز وكانوا الصادة
لم اذ لخدمهم انصاره لما احس باختلاف قواده عليه فقتل كثيرا وامر الغز واقطعهم
واخرج كثيرا من اهل مرسية واسكن الغز دورهم فالتقى هو والموحدون على فحص
من مرسية فانكسر وانهزم جيشه وقتل منهم جملة ودخل مرسية مستعدا للحصار وضايقه
الموحدون وماتا الوا الخاص بن له ابا ان مات مسترقا وما انه الى ان ورد اخوه يوسف
ابن سعد من بلنسية فاتفق رايه وراي القواد على ان يسلموا الى ابي يعقوب البلاد
ففعلوا ذلك وقد قيل ان محمد بن سعد لما احتضر اشار على بنيه بتسليم البلاد
وسار ابو يعقوب من اشبيلية قاصدا بلاد الادفنش لعنه الله فنازل مدينة
وبذي وهي مدينة عظيمة فحاصرها شهرا الى ان اشتد الامر وارادوا تسليمها
قال فاخبرني جماعة ان اهل هذه المدينة لما برح بهم العطش ارسلوا الى يعقوب
يطلبون الامان فابى واطمعه ما نقل اليه من شدة عطشهم وكثرة من يموت منهم
فلما يئسوا اجتمعوا فسمع لهم في الليل لغط وضجيج وذلك انهم اجتمعوا يدعون الله
ويستسقون فجاء مطر عظيم كافواه القرب ملا صهاريجهم وتقووا فرحل عنهم ابو يعقوب
بعد ان هادن الفنش سبع سنين واقام باشبيلية سنتين ونصف ورجع الى
مراكش في اخر سنة تسع وستين وقد ملك الجزيرتين باسرها وفي سنة احدى
وسبعين خرج الى السوس لتسكين خلاف وقع بين القبايل فسكنهم وفي سنة
خمس وسبعين خرج الى بلاد افريقية حتى اتى مدينة قفصة وقد قام بها ابن الربد
ويلقب بالناصر لدين النبي صلى الله عليه وسلم فحاصرها فاستنزله وصالح ملك صقلية
وهادنه على ان يحمل اليه كل سنة مالا فارسل اليه فيما بلغني دخاير معدومة منها
حجر ياقوت على قدر استدارة حافر الفرس فكللوا به المصحف مع احجار نفيسة
وهذا المصحف من مصاحف عثمان رضي الله عنه من جراب نرجى ابيه يحمله الموحدون
بين ايديهم اين توجهوا على ناقة عليها من الحلي والديباج ما يعدل اموالا طائلة
وبحته وطائر الديباج لا احصي وعن يمينه وشماله لواءان احمران من دونها اطلقا
وخلف الناقة بغل يحمل عليه مصحف اخر قيل انه بخط ابن تومرت هذا كله بين يدي
امير المومنين قال وبلغني من سخا ابي يعقوب انه اعطى هلال ابن محمد بن سعد

المذكور

المذكور وابوه في يوم اثني عشر الف دينار وفي يوم وبالغ في رفع منزلته وقال الحافظ ابو بكر بن الجد
كنا عند امير المومنين ابي يعقوب فسالنا عن شعر النبي صلى الله عليه وسلم كم ينبغي مسحه وافتى كل انسان
منا بما يترجح فيه فقال ابقي به شهرا كاملا صح ذلك وكان امير المومنين ابي يعقوب لما يتكلم في
مذاهب الفقها فيقول قول فلان صواب ودليله من الكتاب والسنة كذا وكذا مما يعرفه على ذلك
وال عبد الواحد ولما تجهز لحرب الروم امر العلما ان يجمعوا احاديث في الجهاد تملى على الموحدين
ليدرسوها ثم كان هو يملي عليهم بنفسه فكان كل كبير من الموحدين ياتي بلوح يكتب وكان يسهل
عليه بذل الاموال لسعة ما يحصل من الخراج كان يرتفع اليه من افريقية في كل سنة ماية وخمسون
حمل بغل هذا سوى حمل كاتبه واعمالها وتلمسان واعمالها وكانت ايامه مواسم وخصبا
وامنا وفي سنة تسع وسبعين تجهز للغزو واستنفر اهل السهل والجبل والعرب فعبر
بهم للاندلس فنزل اشبيلية ثم قصد مدينة شنترين اعادها الله الى المسلمين وهي بغرب
الاندلس اخذها ابن الريق لعنه الله فنازلها ابو يعقوب وضايقها وقطع اشجارها
وحاصرها مدة ثم خاف المسلمون البرد وزيادة النهر فاشاروا على ابي يعقوب بالرجوع
فوافقهم وقال غدا نرحل فكان اول من قوض خباه ابو الحسن علي ابن القاضي عبد الله المالقي
وكان خطيبهم فلما راه الناس قوضوا اخبيتهم ثقة به لمكانه فعبر تلك العشية اكثر
العسكر النهر وتقدموا خوف الزحام وبات الناس يعبرون الليل كله وابو يعقوب
لا علم له بذلك فلما راى الروم عبور العساكر واخبرتهم عيونهم بالامر انتهزوا الفرصة
وخرجوا فحملوا على الناس فانهزموا امامهم حتى بلغوا الى مخيم ابي يعقوب فقتل على باب
المخيم خلق من اعيان الجند وخلص الى امير المومنين ابي يعقوب فطعن تحت سرته طعنة مات
منها بعد ايام يسيرة وتدارك الناس فانهزم الروم الى البلد وقد قضوا ما قضوا وعزم الموحدون
بابي يعقوب فخرج في محفة وتهدد ابن المالقي فهرب حتى دخل مدينة شنترين ولازم امر
الروم ونفق عنده الى ان تهيا له امر فكتب الى الموحدين يستعطفهم ويتقرب اليهم بضعف البلد
ويدلهم على عورته وكان لا [illegible] الى [illegible] ما دام الله [illegible] ففعلوا على كتابه فاحضر
وقال له ما حملك على هذا مع الذي كان فقال ان ذلك [illegible] من النصح لا [illegible] فاحرقه ولم يشر وابا يعقوب الا
ليلتين وبلا ثلاث [illegible] فاخبرني من كان معهم انه سمع في العسكر النداء الصلاة على عثمان رحل فصلى الناس
قاطبة لا يعرفون على من صلوا وصبروه وبعثوا به في تابوت مع كافور الحاجب الى سماك فدفن هناك مع ابيه وابن تومرت
مات في سابع رجب احد السعة لا اسم يعقوب عند موته فبايعوه وفيها ولد النقي عبد الرحمن بن يوسف الناشري
المقري وفاطمة بنت محمود بن الملثم العادلي سمعت من البوصيري وفيها ولد عبد الحميد بن رضوان المصري وابو القسم

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر

الطبقة التاسعة والخمسون

سنة احدى وثمانين وخمسمائة في المحرم وقع بناحية
نهر الملك برد اهلك الزرع وقتل المواشي ووزنت منه بردة فكانت رطلين بالعراقي وفي
صفر انفصل رضي الدين ابو الخير القزويني عن تدريس النظامية وولي ابو طالب المبارك
ابن المبارك الكرخي وخلع عليه من الديوان العزيز بطرحه وفي رجب امر الخليفة بمنع
الوعاظ كلهم الا ابن الجوزي وولد بها لعلث ولد طول جبهته شبر واربع اصابع وله
اذن واحدة وفيها وردت الاخبار بان علي بن اسحق الملثم خطب للناصر لدين الله ببعض
بلاد المغرب وخالف بني عبد المومن وفيها سار السلطان الملك الناصر قاصدا الموصل
فلما قارب حلب تلقاه صاحبها الملك العادل اخوه ثم عدا الفرات الى حران وكانت اذ ذاك
لمظفر الدين بن صاحب اربل وقد بذل خطه بخمسين الف دينار يوم وصول السلطان الى
حران برسم النفقة فاقام السلطان اياما لم ير للمال اثرا فغضب على مظفر الدين واعتقله
ثم عفا عنه وكتب له تشريفا بعد ان تسلم منه حران والرها ثم اعادهما اليه في اخر العام
ثم سار الى الموصل فحاصرها وضايقها وبذلت العامة نفوسهم في القتال بكل ممكن الكون
بنت السلطان نور الدين وهي زوجة صاحب الموصل عز الدين سارت الى صلاح الدين قبل
ان نازل البلد وخضعت له بطلب الصلح والاحسان فردها خائبة ثم انه ندم وراى انه
عاجز عن اخذ البلد عنوة فاتته الاخبار بوفاة شاه ارمن صاحب خلاط وبوفاة نور الدين محمد
صاحب حصن كيفا وامد فقسم فكره واختلفت اراء امرائه فلم يلبث ان جاءته رسل امراء خلاط
بتعجيل المسير اليهم فاسرع اليهم وجعل على مقدمته ابن عمه ناصر الدين محمد بن شيركوه ومظفر
الدين كوكبري صاحب اربل الى خلاط فوجد الامير بكتمر مملوك شاه ارمن قد ملك قلعة
بقربها ووصل الملك شمس الدين البهلوان محمد بن ايلدكز صاحب اذربيجان ليأخذ خلاط فنزل
ايضا بقربها وكان الوزير بها مجد الدين بن عبد الله بن الموفق بن رشيق فكاتب البهلوان مرة
وصلاح الدين اخرى ووصل صلاح الدين ميافارقين فنازلها وحاصرها وكتب الى بكتمر
يامرهم بالعود اليه فعاد واقام تسلمها بالامان وسلمها الى مملوكه سنقر في جمادى الاولى ودخل
فاتته رسل البهلوان بما فيه المصلحة وان يرجع عن خلاط واجاب على ان يرجع انت ايضا الى بلادك
ثم عاد صلاح الدين فنازل الموصل وضايقها فخرج اليه جماعة من النساء الاتابكيات فخضعن له

فاكرمهن

فاكرمهن وقبل شفاعتهن واستقر الامر على ان يكون عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي صاحب
سنجار هو المتكلم والمتوسط بان يكون بلاد شهرزور وحصونها للسلطان وتضرب السكة
باسمه والخطبة له بالموصل وان يكون الموصل لصاحبها ويكون طوعه ثم رجع السلطان
فمرض بحران مدة واشتد مرضه وتناثر شعر راسه ولحيته وارجفوا بموته ثم عوفي وتوفي
ناصر الدين محمد بن اسد الدين صاحب حمص فانعم بها السلطان على ولده الملك المجاهد اسد
الدين شيركوه بن محمد وسنه يومئذ ثلاث عشرة سنة وامتدت ايامه واما اهل خلاط
فانهم اصطلحوا مع البهلوان محمد وصاروا من حزبه وخطبوا له قاله ابن الاثير وفيها
ابتدا الفتنة بين التركمان والاكراد بالموصل والجزيرة وشهرزور واذربيجان والشام
وقتل فيهما من الخلق ما لا يحصى ودامت عدة سنين وتقطعت الطرق واريقت الدما
ونهبت الاموال وسببها ان تركمانية تزوجت بتركمان فاجتاز والاكراد فطلبوا منهم
وليمة العرس فامتنعوا وجرى بينهم خصام ال الى القتال فقتل الزوج فهاجت الفتنة
وقامت التركمان على ساق وقتلوا جمعا كثيرا من الاكراد وساحب للاكراد وصلوا الى التركمان
وتفاقم الشر ودام الى ان جمع الامير مجاهد الدين قايماز رحمه الله عنده جمعا من رؤوس
التركمان والاكراد واصلح بينهم واعطاهم الخلع والثياب واخرج عليهم مالا جما فانقطعت
الفتنة وفيها استولى بن غانية الملثم على اكثر بلاد افريقية كما ذكرناه في سنة ثمانين استطرادا

حياة بن قيس بن رحال بن سلطان الانصاري الحراني الزاهد شيخ حران وصالحها
وقدوة الزهاد بها كان عبدا صالحا ناسكا قانتا لله صاحب احوال وكرامات وصدق
واخلاص وصدق واجتهاد وتعفف وانقباض كانت الملوك والاعيان يزورونه ويسرون
بلقائه وكان كلمه اجاب من اهل بلده وقيل ان السلطان نور الدين بن زنكي زاره واستشاره
في جهاد الفرنج فقوى عزمه ودعا له ولما توجه السلطان صلاح الدين الى حرب صاحب
الموصل دخل على الشيخ حياة وطلب منه الدعا فاشار عليه بترك المسير الى الموصل فلم يقبل
وسار اليها فلم يظفر بها ومن شيوخه ابو عبد الله الحسين البوازيجي الرجل الصالح تلميذ الشيخ
علي بن ياسين وللشيخ حياة سيرة في نحو مجلد كانت عند ذريته فلما استولت التتار الفجار اسم
على الشام نهبت فيما نهبت بالصالحية وقد بلغنا عنه انه كان ملازما لزاويته بحران نحوا من
خمسين سنة لم تفته الجماعة الا من عذر شرعي وكان تشوش الوجه لين الجانب رحيم

القلب تنجلي كربها عجبا لله راجيا عفوه وكرمه صاحب ليل وتهجد اشتغل الى الله في ليلة الاربعا
سلخ جمادى الاولى سنة احدى وثمانين ورثمانين سنة رحمه الله تعالى ولم يخلف بحران
بعده مثله نقلت كثرا من ترجمته من تاريخ صاحبنا العدل الجليل شمس الدين ابي المجد محمد
ابن ابرهيم بن الجزري وهو تاريخ معتمد استفدت منه اشيا مطبوعه لا يكاد توجد الا فيه
وقد كنت ابحث منه مجلدا هو الان ملك للفقيه المحدث الاوحد صاحبنا صلاح الدين
خليل بن كيكلدي الشافعي اصلحه الله تعالى **عبد الحق** بن عبد الرحمن بن عبد الله بن
حسين بن سعيد ابو محمد الحافظ الازدي الاشبيلي ويعرف ايضا بابن الخراط روى عن
شريح بن محمد وابي الحكم بن برجان وعمر بن ايوب وابي بكر بن مدير وابي الحسن طارق وطاهر
ابن عطيه واجاز له محدث الشام ابو القاسم بن عساكر وغيره ونزل بجاية وقت فتنة الاندلس
بانقراض الدولة اللمتونية فنشر بها علمه وصنف التصانيف وولي الخطابة والصلاة
بها قال الابار وكان فقيها حافظا بالحديث وعلله عارفا بالرجال موصوفا بالخير والصلاح
والزهد والورع ولزوم السنة والتقلل من الدنيا مشاركا في الادب وقول الشعر وقد
صنف في الاحكام نسختين كبرى وصغرى سبقه الى مثل ذلك ابو العباس بن ابي مروان
الشهيد بلبله فخطى عبد الحق دونه وله في الجمع بين الصحيحين مجلد مصنف وله مصنف
كبير في الجمع بين الكتب الستة وله كتاب في المعتل من الحديث وكتاب في الرقايق ومصنفات
اخر وله في اللغة كتاب حافل ضاهى به كتاب الغريبين للهروي حدثنا عنه جماعة من شيوخنا
ولد له سنة عشر وخمسماية وتوفي رحمه الله بجاية بعد محنة نالته من قبل الولاة في ربيع الاخر
ومن شعره
واها الدنيا ولمغرورها كم شابت الصفو بتكديرها ان امرا امن في شربه ولم يبله شوقا بتقديرها
وكان ذا عاقبه حتى من شر بلواها وتغييرها وعنده بلغه يوم فقد حيزت اليه كذا فيرها
سمع من ابن عطيه صحيح مسلم عن محمد بن نشر عن ابن الصفر في عن العذري بداره وذكر ابن مرزوق
ان وفاته كانت سنة اثنين وثمانين وقال حدثني عنه ابو ذر وابو الحجاج بن الشيخ وابو
عبد الله بن نعمش وحدثني ابو العباس العزفي لسنه لسماعه لعبد الحق عن عبد العزيز بن خلف
ابن مدير عن ابو العباس العذري عن محمد بن نوح بمكه عن الطبراني فذكر حديثا ومن شعره
ان في الموت والمعاد لشغلا وادكارا لذي النهى وبلاغا فاغتنم خطتين قبل المنايا صحة الجسم يا اخي والفراغا
قلت وروى بعنه ابو الحسن علي بن محمد المعافري بن خطيبه القدسي **عبد الرحمن** بن عبد الله

بن

ترجمة عبد الرحمن السهيلي مؤلف كتاب الروض الانف

ابن احمد بن اصبغ بن الحسين بن سعدون بن رضوان بن فتوح الامام الحبر ابو القسم وابو
زيد ويقال ايضا ابو الحسن بن الخطيب ابي محمد بن الخطيب ابي عمر بن ابي الحسن الخثعمي السهيلي
الاندلسي المالقي النحوي الحافظ صاحب المصنفات اخذ القراات عن سليمان بن يحيى وبعضها
عن ابي علي منصور بن الخضر وسمع ابا عبد الله بن معمر وابا بكر بن العربي وابا عبد الله بن مكي
وابا عبد الله بن نجاح الذهبي وجماعه واجاز له ابو عبد الله بن اخت غانم وغيره وناظر على ابن
الحسين بن الطراوه في كتاب سيبويه وسمع منه كثيرا من كتب اللغه والاداب وكف بصره وهو
ابن سبع عشرة سنة وكان عالما بالقراات واللغات والغريب بارعا في ذلك تصدر
للاقرا والتدريس والحديث وبعد صيته وجل قدره جمع بين الروايه والدرايه وحمل الناس
عنه وصنف الروض الانف في شرح السيره لابن اسحق دل على تبحره وبراعته وقد ذكر
في اخره انه استخرجه من نيف وعشرين ومايه ديوان وللسهيلي في ابن فرقول
سلا عن سلا اهل المعارف والنهى بها ودعا امر الرباب وما سلا
يكب دما ازمان كان بسبته فكيف التاسي حين منزله سلا وقال الناس ان في البعد سلوة لراحل الرجم ريايا
وقد طال هذا البعد سلوا والقلب ما سلا ملت ابا اسحق اذ شطت النوى تحية الحسني
فعادت دنو دار الربع عندي كالصبا لدى عمر اذ امر ديد سلا وقد كان يهدي الحديث معنعنا
فاصبح موصول الاحاديث مرسلا وله كتاب التعريف والاعلام بما ابهم في القران
من الاسما الاعلام وكتاب شرح اية الوصية وشرح الجمل ولم يتمه واستدعي الى مراكش ليسمع
منه بها توفي في الخامس والعشرين من شعبان هو والامام ابو الطاهر اسمعيل بن عوف
شيخ الاسكندريه في يوم واحد وعاش سبعين اوثلاثا وسبعين سنة قال ابن خلكان
فتوح جدهم هو الداخل الى الاندلس سمع منه ابو الخطاب بن دحيه وقال كان ببلده
يتسوغ بالعفاف ويتبلغ بالكفاف حتى نما خبره الى صاحب مراكش فطلبه واحسن اليه
واقبل عليه واقام بها نحوا من ثلاثة اعوام وسهيل قرية بالمغرب من مالقه سميت بالكوكب
لانه لا يرى من جميع الاندلس الا من جبل مطل على هذه القرية ثم وجدت على كتاب الفرايض
للسهيلي انه ولد باشبيليه سنة ثمان وخمسماية وانه ولي قضا الجماعه فحسنت سيرته
محمد بن ابي بكر عمر بن ابي عيسى احمد بن عمر بن محمد الحافظ الكبير ابو موسى المديني الاصبهاني
صاحب التصانيف وبقية الاعلام ولد في ذي القعده سنة احدى وخمسماية وسمع

مؤلفات السهيلي

وفاته سنة ٥٨١

نسبة السهيلي الى قرية ووجه تسميتها

ترجمة ابي موسى المديني الاصبهاني مؤلف كتاب المغيث في غريب الحديث

حضور لنا في سنة ثلاث باعتناء والده من ابي سعيد محمد بن محمد المطرز ومات المطرز في شوال
سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة وسمع من ابي منصور محمد بن عبد الله بن مندويه الشروطي وغانم
البرجي وابي علي الحداد وابي الفتح محمد بن عبد الله خودوست وابي الفتح محمد بن عبد الله
الشرابي بلمره وابي الرجا محمد بن ابي زيد الحركاني ومحمد بن احمد بن المطهر العدبابي وابي
الفضل محمد بن طاهر الحافظ ومحمد بن الفضل الفراتي القصار وابي الرجا احمد بن عبد الله
ابن منده وابرهيم بن ابي الحسين محمد بن ابرويه وابرهيم بن عبد الواحد بن ابي ذر الصالحاني
واسمعيل بن الفضل الاخشيذ وابي القاسم اسمعيل بن محمد بن الفضل الحافظ وبه تخرج
وهو اسناده واسحق بن احمد الراشتيناني وغنيم بن علي الواعظ وجعفر بن عبد الواحد
الثقفي وحمزة بن العباس العلوي وابي شكر حمد بن علي الحبال وحبيب بن ابي مسلم الزاهد
وريحان ابرهيم الخباز وطلحة بن الحسين الصالحاني وطاهر بن احمد البزاز وابي نهشل
عبد الصمد بن احمد العنبري وعبد الكريم بن علي بن فورجه وعبد الواحد بن محمد الدشتج
وعثمان بن عبد الرحيم التكلي النيسابوري وعلي بن عبد الله النيسابوري الواعظ
وبرونان بن عثمان بن مسعود وغانم بن علي العطار مسكه ومحمود بن اسمعيل الصيرفي الاشقر
ونصر بن ابي القاسم الصباغ ونوشروان بن شيرداذ الديلمي وهبة الله بن الحسن
الابرقوهي وهبة بن الحسين سمع منه المسند وهبة الله بن الطبر الحريري وهادي
ابن اسمعيل العلوي والهيثم بن محمد المعدابي ويحيى بن عبد الوهاب بن منده الحافظ ومحبية
بنت علي بن ابي ذر ودعجانة بنت ابي سهل الكاغذي وفاطمة الجوزدانية وابي العز بن كادش
وخلق كثير ببلده وبغداد وهمذان وصنف التصانيف النافعة وكان واسع الدائرة
في معرفة الحديث وعلله وابوابه ورجاله وفنونه ولم يكن في وقته احد احفظ منه ولا اعلم
ولا اعلى سندا ممن يعتني بهذا الشان قال ابن الدبيثي عاش حتى صار اوحد وقته وشيخ
زمانه اسنادا وحفظا وقال ابو سعد السمعاني سمعت منه وكتب عني وهو ثقة صدوق
قلت وروى عنه الحافظ ابو بكر محمد بن موسى الحازمي والحافظ عبد الغني والحافظ
عبد القادر الرهاوي والحافظ محمد بن مكي وعبد العظيم بن عبد اللطيف الشرابي والحسن بن
ابي معشر الاصبهاني والناصح بن الحنبلي وابو الفتح محمد بن معوية مقرئ اصبهان وخلق كثير
وبالاجازة الفقيه محمد الطوسي وعبد الله بن الخشوعي واخرون وكانت رحلته الى ابي الحسين

سنة

سنة اربع وعشرين وخمسمائة ثم قدم بغداد ثانيا في سنة اثنتين واربعين وعاد الى بلده
واقبل على التصنيف والاملا وتعليم العلم والادب ومن مصنفاته الكتاب المشهور
في تتمة معرفة الصحابة الذي ذيل به على ابي نعيم يدل على تبحره وحفظه وكتاب الطوالات مجلدان
وكتاب تتمة الغريبين يدل على براعته في اللغة والغريب وكتاب الوظايف وكتاب اللطايف
وكتاب عوالي التابعين وغير ذلك وعرض من حفظه كتاب علوم الحديث للحاكم على اسمعيل
الحافظ عبد القادر ان ابا موسى حصل من المسموعات باصبهان خاصة ما لم يحصل لاحد في
زمانه فيما اعلم وانضم الى كثرة مسموعاته الحفظ والاتقان وله التصانيف التي ابدى فيها
على تصانيف بعض من تقدمه مع الثقة فيما يقول والعفة الذي لم نره لاحد من حفاظ
الحديث في زماننا له شيء يسير يتربح به وينفق منه ولا يقبل من احد شيئا قط حتى انه كان
ببعض قرى اصبهان رجل من اهل العلم والدين اراد ان يخرج نافلة فجاوا الى الحافظ
ابي موسى فسالوه ان يشفع اليه في عوده عن الحج لما يرجون من الانتفاع باقامته فخرج
معهم الى القرية راكبا على حمار فاجابه الى ذلك فحملوا الى ابي موسى شيئا من الذهب فلم
يقبله فقالوا فرقه في اصحابك قال فرقوه انتم ان شئتم وحدثني بعضهم ان رجلا بعدي
الى اصبهان ان رجلا من الاغنيا اوصى الى الشيخ ابي موسى بمال كثير يفرقه في البر فلم
يقبل وقال بل اوص الى غيري وانا ادلك الى من تدفعه اليه فيفعل وفيه من التواضع
بحيث انه يقري كل انسان ذلك من صغير وكبير ويرشد المبتدئ حتى رايته يحفظ
صبيانا القران في الالواح ولا يكاد يسمع احدا اذا امضي الموضع حتى ابي يعيده
مرة فقال ارجع ثم يعيده فالتفت الي مغضبا وقال انا الم اقل لك لا يمشي خلفي انت اذا
مشيت خلفي لا يسعني وتنقطع عن النسخ وترددت اليه نحوا من سنة ونصف فما رايت منه
ولا سمعت عنه سقطة يعاب عليه وقال محمد بن محمود الرويدشتي توفي الحافظ ابو موسى
في تاسع جمادى الاولى وكان ابو مسعود كوتاه الحافظ يقول ابو موسى كنز مخفي فلا
الحسين بن يوحى الساوري كنت في مدرسة الخان فجاني رجل فسالني عن رويا فقال رايت
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي فقلت هذه رويا الكتاب وان صدقت رويك يموت
امام لا نظير له في زمانه فان هذا المنام روي حالة وفاة الشافعي والثوري واحمد بن حنبل
قال فما امسينا حتى جانا الخبر بوفاة الحافظ ابي موسى وعن عبد الله بن محمد الخجندي قال لما

رويا رجل في وفات ابي موسى المديني الاصبهاني

ما يجب حفظه

مات ابو موسى لم يكاد واسعرعون حتى جا مطر عظيم في الحر الشديد وكان الما قليلا باصبهان
رحمه الله سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة في اولها صح مزاج السلطان بحران
فرحل منها ومعه ولداه الظاهر والعزيز واخوه العادل فقدم دمشق وبذل العادل
بلاد حلب لاولاده فشكره السلطان على ذلك وملكها السلطان الملك الظاهر
غازي ولده وسير اخاه العادل الى مصر ونزل على نواحي البلقا قال العماد الكاتب
اجمع المنجمون في سنة اثنتين وثمانين في جميع البلاد بخراب العالم في شعبان عند
اجتماع الكواكب الستة في الميزان بطوفان الريح في ساير البلدان وخوفوا بذلك من لا
يوثق له باليقين ولا احكام له في الدين من ملوك الاعاجم والروم واشعروهم من تاثيرات
النجوم فشرعوا في حفر مغارات في التخوم وتعميق سروب في الاسراب وتوثيقها وسد
منافسها على الريح ونقلوا اليها الماء والزاد وانتقلوا اليها وانتظروا الميعاد وسلطاننا
متنمر من اباطيل المنجمين موقن ان قولهم مبني على الكذب والتخمين فلما كانت الليلة التي
عينها المنجمون لمثل ريح عاد ونحن جلوس عند السلطان والشموع توقد وما يتحرك لنا
نسيم ولم نر ليلة مثلها في ركودها وعمل في ذلك جماعة من الشعراء وفي يوم عاشورا
سنة اثنتين قال محمد بن العادسي ارتفعت الاصوات بعداد وعلقت المسوح
وباح اهل الكرخ والمختاره وخرج النسا حاسرات يلطمن وينحن من باب البدرية الى باب
حجرة الخليفة والخلع تفاض عليهن وعلى المنشدين من الرجال وتعدى الامر الى سب
الصحابة وكان اهل الكرخ يصيحون ما ينبغي كتمانه واقاموا ابنه قرايا وكان الظهير بن
العطار قد كبس دارا بها فاخرج منها كتابا في سب الصحابة فقطع يده ورجله ورجمته
العوام حتى مات فقامت هذه المراة حتى منظرة الخليفة وحولها خلايق وهي تنشد
اشعار العوني وتقول العنوا اكلة الجمل وتذكر حديث الافك قال وكل ذلك
منسوب الى استاد الدار وهو مجد الدين ابن الصاحب ثم قتل بعد ومنها وقع الخلاف
بين الفرنج لعنهم الله وتفرقت كلمتهم وكان في ذلك سعادة للاسلام ومنها غدر
اللعين ارناط صاحب الكرك فقطع الطريق على قافلة كبيرة جاءت من مصر فقتل واسر
ثم شن الغارات على المسلمين ونبذ العهد فتجهز السلطان صلاح الدين لحربه وطلب العساكر
من البلاد اسلاما ابن البروري في الذيل قال وقدم الحاج بغداد واخبروا ان سيف الاسلام

طغتكين

طغتكين اخا صلاح الدين خرج عن الطاعة وترك مراضي الديوان واشاعه واستولى
على مكة واهلها وخطب لاخيه واخبروا ان قفل الكعبة عسر عليهم ففتحه وازدحم الناس
فمات منهم اربعة وثلاثون نفسا قال وفي هذه السنة كان المنجمون يزعمون انه في تاسع
جمادى الاخرة تجتمع الكواكب الخمسة في برج الميزان وهو القران الخامس ويدل ذلك
على رياح شديدة وهلاك مدن كثيرة فلم ير الا الخير واحتبس الهوا توقف في الشهر
المذكور على السواد فلم يكن لهم ما يذرون به الغلة ونظم ابو الغنايم محمد بن المعلم
فيما ذكره ابو المظفر السبط في المراه قل لابي الفضل قول معترف مضى جمادى وجانا رجب
وما جرت زعزع كما حكموا ولا بدا اذى من قرانها الشهب
يقضي عليها من ليس يعلم ما يقضي هذا هو العجب
قد بان كذب المنجمين وفي اي مقال قالوا فما كذبوا قال ابن البروري وكان
الخليفة امر باخذ خطوط المنجمين بذلك فكتبوا سوى فما زاد وكان يحاذقا بالنجوم
فانه كتب لا يتم من ذلك شي وخرج فقال له منجم ما هذا قال ان كان كما تزعمون من
هلاك العالم من يواخذني وان كان ما قلته خطب عندهم ومنها عقد امير المومنين
الناصر على الجهة سلجوق خاتون بنت قلج ارسلان بن مسعود صاحب بلاد الروم وكاله
من اخيها كيخسرو وسار لاحضارها الحافظ يوسف بن احمد شيخ الرباط الارجواني
ومنها جرت فتنة عظيمة بين الرافضة والسنة قتل فيها خلق كثير وغلبوا اهل الكرخ
ومنها وردت الاخبار بالفتن باصبهان والقتال والنهب واحراق المدارس وقتل
الاطفال وقتل دفعة الاف نفس وسببه اختلاف المذاهب بعد وفاة زعيم اصبهان
البهلوان ثم ملك بعده اخوه فهذب البلاد وامير الركب العراقي في هذه الاعوام
طاشتكين المستنجدي وفي هذه الايام كثر الخلف بديار بكر والجزيرة بين الاكراد
والتركمان وبين الفرنج والروم والارمن وبين الاسماعيلية والسنية وملك الاسماعيلية
ابن سمان والدا الذي اخذ منه صلاح الدين امد ووقع بين الكراكي والعقعق والاوز
وصارت تصدم في الجو وتساقط جرحى وكسرى وامتاز الناس منها بارض حران
قال عبد اللطيف سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة قال لنا ابن البزوري اول
يوم في السنة كان اول ايام الاسبوع واول السنة الشمسية واول سني الفرس والشمس

[illegible]

تزوج الناصر لدين الله بنت قلج ارسلان من سلاجقة الروم

وقوع فتنة بين الرافضة واهل السنة ووقوع الفتنة باصبهان

من عجايب الامور ١٨ وقوع تصادم الطيور

والقمر في اول البروج وكان ذلك من الاتفاقات العجيبة قال وفي صفر عزل نقيب
النقباء ابن الزوال بابي القاسم قثم بن طلحة الزينبي وفي ربيع الاول استدعي مجد الدين
هبة الله بن الصاحب استاذ الدار الى باطن دار الخلافة فقتل بها وكان قد ارتفعت
رتبته وعلا شانه وتولى قتله ياقوت الناصري وعلق راسه على باب داره وولي استاذ
الدار قوام الدين ابو طالب يحيى بن زبادة نقلا من حجابة الباب النوبي وامر بكشف تركة
ابن الصاحب فكانت الف الف دينار وثلاثين الف دينار سوى الاقمشة والالات
والاملاك وتقدم ان لا يتعرض الى ما يخص اولاده من املاكهم التي باسمائهم وقال
سبط الجوزي قربه الناصر تقربا زائدا فبسط يده في الاموال وسفك الدماء وسب
الصحابة ظاهرا وبطر بطرا شديدا وعزم على تغيير الدولة الى ان قال وثب عليه في
الدهليز ياقوت شحنة بغداد فقتله ووجد له ما لم يوجد في دور الخلفاء **قلت**
وتوفي النقيب عبد الملك بن علي بالسجن وكان مختصا بابن الصاحب والمتقدم اليه واخرج
فلما رات العامة تابوته رجموه وشدوا في رجله حبلا وسحبوه واحرقوه بباب المراتب
وفي شوال عزل ابن الدارج عن نيابة الوزارة ثم بعدها الى جلال الدين ابي المظفر
عبد الله بن يونس فتولى الامر ثم استدعي يوم الجمعة الى باب الحجرة وخلع عليه خلعة
الوزارة الكاملة ولقب يومئذ جلال الدين وقبل يد الخليفة وقال له قد قلدتك امور
الرعية فقدم تقوى الله امامك وقد كان ابن يونس يشهد عند قاضي القضاة ابي
الحسن بن الدامغاني ويتوقف مرة في سماع قوله فلما كان هذا اليوم كان قاضي القضاة
ممن مشى بين يديه فقيل انه قال الحمد لله طول العمر يرى العجائب ثم مات بعد ايام في ذي الحجة فولي قضا
القضاة بالعراق ابو طالب علي بن علي بن البخاري وفيها ارسل السلطان طغرل بن ارسلان
ابن طغرل بن محمد السلجوقي الى الديوان يطلب ان تعمر دار المملكة ليجيء وينزل بها وان يسمى
في الخطبة فامر الخليفة فهدمت دار المملكة واعيد رسوله بغير جواب وكان مستضعف
الملك مع البهلوان ليس له غير الاسم فلما توفي البهلوان فوثب نفسه وعسكر وانضم اليه
امرا وحج بالركب العراقي مجير الدين طاشتكين على عادته وحج من الشام الامير شمس
محمد بن عبد الملك المعروف بابن المقدم فضرب كوساته وتقدم من عرفات قبل اصحاب
الخليفة فارسل طاشتكين يلومه فلم يلتفت اليه فركب طاشتكين في اجناده الى قتاله

وتبعه

وتبعه خلق من ركب العراق ووقع الحرب وقتل من ركب الشام خلق ثم اسر ابن المقدم
وجيء به الى خيمة طاشتكين وخيطت جراحاته ثم مات بمنى ودفن بها **قلت** وقد كان
من كبار الامراء النورية ونائب دمشق للسلطان صلاح الدين

سنة الفتوحات

وفيها كتب السلطان صلاح الدين الى الاقطار يستدعي الاجناد الى الجهاد وبرز في
اول السنة ونزل على ارض بصرى مرتقبا مجيء الحاج ليحفظهم من الفرنج وسار الى الكرك
والشوبك فاحرق ضياعها واقام هناك شهرين واجتمعت الجيوش من اقاصي البلاد عند
ولده الافضل فجهز بعثا فاغاروا على طبرية وقدم من الشرق مظفر الدين صاحب اربل
بالعساكر وقدم بدر الدين دلدرم على عسكر حلب وقايماز النجمي على عسكر دمشق
فساروا مدلجين حتى صبحوا صفورية فخرجت الفرنج فالتقوا فنصر الله المسلمين وقتل
من الفرنج خلق من الاسبتارية واسر واظفروا واسرع السلطان حتى نزلوا بعسترا
وعرض العساكر وانفق فيهم وسار بهم وقد ملؤوا الفضا فنزل الاردن وبرك معظم
العساكر وسار الى طبرية فاخذها عنوة فتناهت الفرنج وحشدوا وجاؤوا من كل
فج واقبلوا قرب عسكره في مقابلتهم وصابحهم وباتهم فكان المسلمون اثني عشر الف
فارس وخلق من الرجالة وقيل كان الفرنج ثمانين الفا ما بين فارس وراجل فالتجوا
الى جبل حطين فاحاط المسلمون به من كل جانب فهرب القومص لعنه الله ووقع القتال
فكانت الدائرة على الفرنج واسر خلق منهم الملك كي واخوه جفري وصاحب جبيل
وهنفري بن هنفري والابرنس ارناط صاحب الكرك وابن صاحب اسكندرونة وصاحب
مرقية وما احلى قول العماد الكاتب فمن شاهد القتلى يومئذ قال ما هناك اسير ومن
عاين الاسرى قال ما هناك قتيل **قلت** لا عهد للاسلام بالشام بمثل هذه الوقعة
من زمن الصحابة فقتل السلطان صاحب الكرك بيده لانه تكلم بما اغضب صلاح الدين
فشتم وقام اليه طير راسه وارعب الباقين وقال ابن شداد بل كان السلطان نذر ان
يقتله لانه سار ليملك الحجاز وغدر واخذ قفلا كبيرا وهو الذي كان مقدم الفرنج
نوبة الرملة لما كسروا السلطان صلاح الدين وكسروه سنة ثلاث وسبعين وكان ارناط
فارس الفرنج في زمانه وقد وقع في اسر الملك نور الدين وحبسه مدة بقلعة حلب فلما
مات نور الدين وذهب ابنه الى حلب وقصده صلاح الدين عزم ليأخذ منه حلب اطلق

ارناط وجماعة من كبار الفرنج ليعيبوه على صلاح الدين ثم تبدد جميع الاسارى وحملوا
الى الحصون واخذ السلطان منهم يومئذ صليب الصلبوت وكانت وقعة
حطين هذه في نصف ربيع الآخر ولم ينج منها من الفرنج الا القليل وهي من اعظم الفتوح
في الاسلام وقيل كان الفرنج اربعين الفا وابيع فيها الاسير بدينار فلله المنة قال
ابو المظفر بن الجوزي جمع السلطان على ساحل البحيرة في اثني عشر الفا من الفرسان
سوى الرجالة وخرج الفرنج من عكا فلم يدعوا بها محتلما فنزلوا صفورية وتقدم السلطان
الى طبرية فنصب عليها المناجنيق وافتتحها في ربيع الآخر وتقدمت الفرنج فنزلوا
لوبية من الغد وملك المسلمون عليهم الماء وكان يوما حارا والتهب الغور عليهم واضرم
مظفر الدين النار في الزروع فاحاط بهم المسلمون طول الليل فلما طلع الفجر قاتلوا الى
الظهر وصعدوا الى تل حطين والنار تضرم حولهم وساق القومص على حمية وخرق
وطلع الى صفد وعملت السيوف في الفرنج واسر من الملوك جماعة وجيء بصليب الصلبوت
الى السلطان وهو مرصع بالجواهر واليواقيت في غلاف من ذهب واسر ملك الفرنج
درباس الكردي واسر ابرنس الكرك ابرهيم بن غلام المهراني قال واستدعاهم السلطان
فجلس الملك عن يمينه ويليه ابرنس الكرك فنظر السلطان الى الملك وهو يلهث عطشا فامر
له بماء وثلج فشرب وسقى البرنس فقال السلطان ما اذنت لك في سقيه والتفت الى البرنس
فقال يا ملعون يا غدار حلفت ونكثت وجعل يعدد عليه غدراته ثم قام اليه فضربه حل
كتفه وتممه المماليك فطار عقل الملك فامنه السلطان وقال هذا كلب غدر غير مرة الى
ان قال وابيعت الاسارى بثمن بخس حتى باع فقير اسيرا بنعل فقيل له في ذلك فقال
اردت هوانهم ودخل القاضي ابن ابي عصرون دمشق وصليب الصلبوت منكسا بين يديه
وعاد السلطان الى طبرية وامن صاحبتها فخرجت باموالها الى عكا واما القومص فسار
من صفد الى طرابلس فمات بها فقيل مات من جراحات اصابته وقيل ان امراته سمته
قال القاضي جمال الدين بن واصل اجتمعت الجحافل على راس الماء عند الملك الافضل ابن
السلطان وتاخر العساكر الحلبية لاشتغالها بفرنج انطاكية وبالارمن فدخل الملك المظفر
صاحب حماه فاجتمعوا بهم ثم رد الى حماه ومعه فخر الدين مسعود بن الزعفراني على عسكر
الموصل وعسكر ماردين فلحقوا السلطان بعشترا ثم سار واحاطت جيوشه ببحيرة طبرية

عند

عند قرية الصبيرة ثم نازل طبرية فافتتحها في ساعة من نهار وحكى ابن الاثير عمن اخبره
عن الملك الافضل قال كنت الى جانب والدي السلطان في مصاف حطين وهو اول
مصاف شاهدته فلما صار ملك الفرنج على التل حملوا حملة منكرة علينا حتى الحقوا المسلمين
بوالدي فنظرت اليه وقد اربد لونه وامسك بلحيته وتقدم وهو يصيح كذب الشيطان
فعاد المسلمون على الفرنج ورجعوا الى التل فلما رايت ذلك صحت هزمناهم هزمناهم
فعاد الفرنج وحملوا حملة ثانية حتى الحقوا المسلمين بوالدي وفعل مثل ما فعل اولا وعطف
المسلمون عليهم فالحقوهم بالتل فصحت انا هزمناهم فقال والدي اسكت ما نهزمهم
حتى تسقط تلك الخيمة يعني خيمة الملك قال فهو يقول لي واذا الخيمة قد سقطت فنزل
وسجد شكرا لله وبكى من فرحه وكان سبب سقوطها انهم عطشوا وكانوا يرجون
بالحملات الخلاص فلما لم يجدوه نزلوا عن خيلهم وجلسوا فصعد المسلمون اليهم والقوا
خيمة ملكهم واسروهم كلهم قال القاضي بهاء الدين بن شداد حدثني من اثق به انه لقي
بحوران شخصا واحدا ومعه طنب خيمة وفيه نيف وثلاثون اسيرا يجرهم وحده لخذلان
وقع عليهم ومن انشاء العماد الى الخليفة الحمد لله الذي اعاد الاسلام جديدا الى ان
قال ويورد البشرى بما انعم الله به من يوم الخميس الثالث والعشرين من ربيع الآخر
الى الخميس الآخر تلك سبع ليال وثمانية ايام حسوما فيوم الخميس فتحت طبرية ويوم
الجمعة والسبت نوزل الفرنج فكسروا كسرة لم ينسوها لم تقم لهم بعدها قائمة وفي يوم الخميس
سلخ الشهر فتحت عكا بالامان ورفعت بها اعلام الايمان وهي ام البلاد واخت ارم
ذات العماد الى ان قال فاما القتلى والاسرى فانها تزيد على ثلاثين الفا يعني في
وقعة حطين وما حولها في هذا الاسبوع وقد ذكر العماد رحمه الله ايضا انه خلص
في هذه السنة من اسر الكفار اكثر من عشرين الف اسير ووقع في الاسر من الكفار مائة
الف اسير ثم سار السلطان الى عكا فوصلها بعد خمسة ايام من الوقعة فاخذها بالامان
وملكها بلا مشقة وبلغ السلطان الملك العادل هذا النصر فخرج من مصر بالجيوش
فمن يافا ومجدل فافتتحها عنوة وغنم من الاموال ما لا يوصف ثم فتح الله الناصرة
وصفورية على يد مظفر الدين صاحب اربل عنوة وفتحت قيسارية على يد دلدرم وغرس
الدين قليج عنوة ونابلس على يد حسام الدين لاجين بالامان بعد قتال شديد ثم

حصل لعوله بالامان ثم نازل السلطان تبنين فافتتحها ثم صيدا فافتتحها ثم بيروت ثم جبيل
ثم سار الى عسقلان فحاصرها وضيق عليها بالقتال والمنجنيق ثم اخذها بالامان واخذ
الرملة والداروم وغزة وبيت جبريل والنطرون بالامان ثم سار مؤيدا منصورا الى البيت
المقدس فنزل عليه من غربيه في نصف رجب وكان بها يومئذ ستون الف مقاتل فقاتلهم
المسلمون اشد قتال ثم انتقل السلطان بعد خمسة ايام الى الجانب الشمالي من البلد ونصب المنجنيق
وجد الجد فطلب الفرنج الامان فامنهم بعد تمنع وقرر كل رجل عشرة دنانير وعلى كل امراة
خمسة دنانير وعلى كل صغير او صغيرة دينارين وان من عجز امهل اربعين يوما ثم يسترق فطابوا
الى ذلك وجمع المال فكان سبعمائة الف دينار ففرقه في الجيش وبقي ستون الفا لم يسلموا
ذلك فاستعبدهم وفرقهم وخلص من اسارى المسلمين عشرين الفا وخرج منها البترك باموال
الاقصى فاراد الامرا الغدر به فمنعهم وخفره وقال الوفا خير من الغدر وهذا البترك
عندهم اعظم رتبة من ملك الفرنج وكان ببيت المقدس بطل من الكبار صاحب الرملة نابلس
ابن بارزان وهو دون ملك الفرنج في الرتبة بقليل وخلق كثير من كبار فرسانهم راوا ان الموت
اهون عليهم من اخذ المسلمين القدس من ايديهم اذ هو موضع عبادتهم الاعظم ومحل حج
الناس فيما زعموا انه للاهوت تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا وبه قمامتهم التي يدعى القيامة محل
صلبهم وقبلة حجهم لانهم زعموا ان المسيح دفن بعد الصلب بها ثلاثة ايام ثم قام من القبر
وصعد الى السماء فبالغوا في تحصينه بكل طريق فنازله السلطان وما وجد عليه موضع اقرب
الا من جهة الشمال ونزل عليه واشتد الحرب وبعث الفرسان تخرج من المدينة وتحمل
وتقاتل اشد القتال واقواه ثم ان المسلمين حملوا عليهم يوما حتى ادخلوهم القدس ووصلوا
الى الخندق ثم اخذوا في النقوب وتتابع الرمي بالمنجنيق من الفريقين ووقع الجد فاجتمعت
الفرنج فاتفقوا على طلب الامان فامتنع السلطان ابى لسعيهم من اجابتهم وقال لا افعل بكم الا
كما فعلتم باهله حين ملكتموه من نحو سبعين سنة فرجعت رسلهم خائبين فخرج بالامان صاحب
الرملة باليان بنفسه وطلب الامان فلم يعط فاستعطف السلطان فامتنع فلما ايس قال نحن
خلق كثير وانما يفترون عن القتال رجاء الامان ورغبة في الحياة فاذا راينا ان الموت لا بد منه
لنقتلن ابناءنا ونساءنا ونحرق اموالنا ولا ندع لكم شيئا واذا فرغنا اخربنا الصخرة والاقصى
وقتلنا الاسرى وهم خمسة الاف مسلم وقتلنا الدواب ثم خرجنا اليكم وقاتلنا قتال الموت

فلا

فلا يقتل منا رجل حتى يقتل رجالا ونموت اعزاء فاستشار السلطان حينئذ امراءه فقالوا
المصلحة الامان وقالوا نحتسب انهم اسارى بايدينا ونبيعهم نفوسهم فامنهم بشرط ان يزن
كل رجل عشرة دنانير وكل امراة خمسة دنانير والطفل دينارين ثم رفعت اعلام الاسلام
على السور ورتب السلطان امناءه على ابواب القدس لياخذوا المال ممن يخرج وكان
بها ستون الف سوى النساء والولدان وزيف باليان من عنده عن ثمانية عشر الف رجل
ثم بعد ذلك اشترى منها عشرة الاف نفس فقراء لم يقدروا على شراء انفسهم ثم ان جماعة من الامرا
ادعى ان له في القدس رعية كمظفر الدين بن صاحب اربل ادعى ان جماعة من اهل الرها
بالقدس وعدتهم الف نفس وكذا صاحب البيرة ادعى ان بها خمسمائة نفس من اهل
البيرة وكان على راس قبة الصخرة صليب كبير مذهب فطلع المسلمون ورموه وضج
الخلق ضجة عظيمة الى الغاية وكان المسجد الاقصى مشغولا بالخنازير والخبث
والابنية من الداوية غربيه مساكن وفيها المراحيض وسدوا المحراب فبادر
المسلمون الى تنظيفه وتطهيره وبسطوا فيه البسط الفاخرة وعلقت القناديل وخطب
في الناس يوم الجمعة وهو رابع شعبان القاضي محيي الدين بن الزكي وتسامع الناس
وتسارعوا من كل فج وقرب وبعد للزيارة وازدحموا يوم هذه الجمعة حتى فاتوا الاحصا
وحضر السلطان فصلى بعينه الجمعة وفرح اذ جعله الله سبب هذا الفتح ثانيا لعمر
رضي الله عنه فاستفتح القاضي خطبته بقوله تعالى فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله
رب العالمين ثم اول الانعام واخر سبحان واول الكهف وحمدله النمل واول سبا
وفاطر ثم قال الحمد لله معز الاسلام بنصره الى اخرها ثم خطب ثلاث جمع بعدها من انشائه
وقد كان الملك نور الدين انشا منبرا بحلب للاقصى قبل فتح بيت المقدس طمعا في ان
يفتحه وكان علية نجار فائق الصنعة فعمل لنور الدين هذا المنبر على احسن نعت وابدعه
فاحترق جامع حلب فنصب فيه واحد المنبر المذكور ثم عمل النجار المذكور ويعرف
بالاختريني نسبة الى قرية اخترين منبرا من نسبة ذلك المنبر فلما افتتح السلطان
بيت المقدس امر بنقل المنبر فنصب الى جانب محراب الاقصى ولله الحمد على هذه النعم
التي لا تحصى وقد كانت الفرنج بنوا على الصخرة كنيسة وغيروا اوضاعها وصوروا هنا
ونصبوا مذبحا وعملوا على موضع القدم قبة لطيفة مذهبة باعمدة رخام فخربت تلك الابنية

عن الصخرة وابوات وكانت الفرنج قد قطعوا منها قطعاً وحملوها الى القسطنطينية والى صقلية
حتى قيل كانوا يبيعونها بوزنها ذهباً وحصل الملك المظفر تقي الدين فغسلها باحمال من ماء الورد وكنس
ساحاتها بيده وغسل جدرانها بيده ثم بخرها بالطيب وحصل الملك الافضل بن السلطان
ففرش فيها بسطاً نفيسة ورتب الائمة والمؤذنين والقوام ثم عين السلطان كنيسة صندحنه
وصيرها مدرسة للشافعية ووقف عليها وقوفاً جليلة وقرر دار البترك الاعظم رباطاً
للفقراء ومحا آثار النصرانية وامر باغلاق كنيسة قمامة ومنع النصارى من زيارتها ثم تعدد
بعد على من دارها ضريبة تؤخذ منه ولما افتتح عمر بيت المقدس اقر هذه الكنيسة ولم
يهدمها ولهذا ابقاها السلطان وللنشابة محمد بن اسعد الجواني نقيب الاشراف بمصر

اترى مناماً ما بعيني ابصر القدس يفتح والنصارى تكسر
وقمامة قمت من الرجس الذي بزواله وزوالها يتطهر
ومليكهم في القيد مصفود ولم ير قبل ذلك لهم مليك يوسر
قد جاء نصر الله والفتح الذي وعد الرسول فسبحوا واستغفروا
يا يوسف الصديق انت لفتحها فاروقها عمر الامام الاطهر

قال ابو المظفر ابن الجوزي ولما افتتح السلطان عكا راح الى تبنين فتسلمها بالامان وتسلم صيدا
وبيروت وجبيل وغزة والداروم والرملة ويبنا وبيت جبريل وبلد الخليل ونازل
عسقلان فنزل عليها حسام الدين بن المهراني ثم تسلمها وكان مدة استيلاء الفرنج عليها
خمساً وثلاثين سنة الى ان قال ملك السلطان هذه الاماكن في اربعين يوماً ثامن عشر جمادى
الاولى ثم نازل القدس الى ان قال فخلص من الاسر بعكا اربعة الاف ومن القدس ثلاثة الاف
ولله الحمد وقال ابن الاثير سار السلطان عن بيروت نحو عسقلان واجتمع باخيه العادل
سيف الدين ونازلوها في سادس جمادى الاخرة وزحفوا عليها مرة بعد اخرى واخذت
بالامان في سلخ الشهر وسار اهلها الى بيت المقدس وتسلم البلد لليلتين بقين من رجب واتفقه
اليه من النصارى الايمان بعد احدى وتسعين سنة فلما كان يوم الجمعة رابع شعبان اقيمت
الجمعة بالمسجد الاقصى وخطب للناس قاضي القضاة محيي الدين بن الزكي خطبة موثقة بليغة
واشار السلطان في اصلاح المكان المسجد الاقصى والصخرة ومحو آثار الفرنج وشعارهم
وتنافست الملوك معه في عمل المآثر الحسنة والآثار الجميلة فرزقنا الله تشكر هذه النعم

ورحم صلاح الدين واسكنه الجنة وللعماد الكاتب يصف وقعة صفين حتى اذا اسفر
الصباح خرج الجاليشية بحرق سيران النصال اهل النار وزرت القسي وعنت الاوتار
والحرب شابك والقحط عليهم فيض وما القحط منهم غيض ومد وقد الحرب واستشرى
الشر ووقع الكر والفر والجو محرق والجوى مقلق واصبح الجيش على تعبيه والنصر
على تلبيه فالدرع بالعرج الى العطش وابت عثرتها تنعش وهي تعض مطوعة المجاهدين
النازلة في الحشيش فتاح عليهم استعار رها فرجا الفرنج فرجاً وطلب طليهم المخرج مخرجاً
فكلما خرجوا جرحوا وبرح بهم حر الحرب فما برحوا فمشوتهم نار السهام واشوتهم وصممت
قلوب القسي القاسية واصمتهم وقال وفتحوا عكا يوم الجمعة مستهل جمادى الاولى
فجئنا الى كنيستها العظمى فازحنا عنها البؤس بالنعمى وحضر الاجل الفاضل فرتب بها
المنبر والقبلة واول من خطب بها جمال الدين عبد اللطيف بن الشيخ ابي النجيب الشهرزوري
وولاه السلطان بها القضاء والخطابة والاوقاف وقال في حصار القدس فقامت
المنجنيقات على حصانه حداد الرجم واوجعت ساسا شرفاته بالهدم وتطايرت الصخور
في نصرة الصخرة المباركة وجرت على حكم السور بسمع الاحجار المتداركة وحسرت
القلوب عن غره وشق البلد نقب الاسوار وانكشفت للعيون انكشاف الاسرار وفي
رمضان توجه السلطان صلاح الدين فنازل صور ونصب عليها المناجنيق وكان قد
اجتمع بها خلق لا يحصون من الفرنج فقاتلهم قتالاً شديداً وحاصرها الى اخر السنة ورحل
عنها وكان قد خرج اسطول صور في الليل فلقي اسطول المسلمين واسروا المقدم والريس
وخمس قطع وقتلوا خلقاً من المسلمين في اواخر شوال فعظم ذلك على السلطان وتالم وهجم
الشتاء والامطار فرحل في ثاني ذي القعدة واقام بمدينة عكا يتربص في خواصه

سنة اربع وثمانين وخمسمائة فرحل السلطان صلاح الدين عن صور لانه
تعذر عليه فتحها لكثرة من فيها وقوة شوكتهم ثم نزل على حصن كوكب في وسط المحرم فوجده
حصناً لا يرام فرتب عليه قايماز النجمي في خمسمائة فارس ثم قدم دمشق واقام بها
مدة ورحل الى بعلبك فرتب امورها ثم اجتمع هو والملك عماد الدين زنكي بن مودود
صاحب سنجار على بحيرة قدس وكان قد جاء الى السلطان لاجل الغزاة فجعله على ميمنته
وجعل مظفر الدين بن صاحب اربل على الميسرة ثم سار السلطان فنزل بارض حصن الاكراد

في ربيع الآخر وبث العساكر في تخريب ضياع الفرنج وقطع اشجارهم ونهبهم ثم رحلوا الى
انطرطوس فافتتحها عنوة وسار الى جبلة فتسلمها عنوة في ساعتين ثم تسلم بكاس
والشغر وسلمها الى الامير عز الدين قليج والد الامير سيف الدين وعماد الدين ثم
سير ولده الملك الظاهر الى برزية فحصرها قال العماد الكاتب فهذه ست بلاد
وقلاع فتحت في ست جمع بلاطنس جبلة واللاذقية وصهيون والشغر وبكاس وبرزية
ثم نازل السلطان حصن برزيه في جمادى الآخرة وضربه بالمناجنيق واخذه بالامان وسلمه
الى الامير عز الدين بن شمس الدين بن المقدم ثم رحل الى دربساك فتسلمها ثم رحل الى بغراس
فتسلمها ثم عزم على قصد انطاكية فرغب صاحبها البرنس في الهدنة فهادنه السلطان
ايامًا ثم قدم حماه وضيفه تقي الدين عمر فاعطاه جبلة واللاذقية وسار على طريق بعلبك
في شعبان ودخل دمشق وخرج منها في اوائل رمضان طالبا للغزاة واما الملك العادل
اخوه فكان نازلا على تبنين بعساكر مصر متحررا على البلاد من غائلة العدو وكان
سعد الدين كمشبه الاسدي موكلا بحصار الكرك فضاقت الميرة عليهم وايسوا
من نجدة نائبهم فتضرعوا الى الملك العادل وترددت الرسل منهم وهو يشدد حتى دخلوا تحت
حكمه وسلموا الحصن الى المسلمين لفرط ما نالهم من الجوع والقحط ثم تسلم السلطان الشوبك
بالامان وسار السلطان الى صفد فنازلها ووصل اليه اخوه العادل ودام الحصار عليها
الى ثامن شوال واخذت بالامان وكان اهلها قد قاربت ذخائرهم واقواتهم ان تنفد ولهذا
سلموها ولو تكل اهلها اخرها واخذ الكرك الى فتحها باتباع الحصار والنقوب لطال
الامر جدا ثم سار الى حصن كوكب ونازلها وحاصرها واخذها بالامان في نصف ذي
القعدة ثم قصد بيت المقدس فدخلها في ثامن ذي الحجة هو واخوه فعيد وسار
الى عسقلان فرتب امورها وجهز اخاه الى مصر ثم رحل صوب عكا ووصلها في اخر السنة
قال صاحب مرآة الزمان وكل صلاح الدين بحصار كوكب قايماز النجمي ووكل بصفد طغريل
وبعث الى الكرك والشوبك لوحا وموضعها السلطان وسار في الساحل ففتح انطرسوس
وكان بها برجان عظيمان فخربها وقتل من كان فيهما واما جبلة فارسل قاضيها منصور
ابن نبيل يسر على السلطان بقصدها واخذها من اهل جبلة وكان ابرنس انطاكية قد سلمها
الى القاضي منصور ووثق به في حفظها فسلمها الى صلاح الدين واخذها وامتنع عليه الحصن

يومًا

يومًا فتسلمه بالامان وسار الى اللاذقية وهي بلد كبير على الساحل بها قلعتان على تل وبها
مينا من احسن المواضع وهي من اطيب البلاد فحصرها اياما وافتتحها واخذ منها غنايم كثيرة
ثم نازل القلعتين وعلقت النقوب فصالحوا بالامان وساروا الى انطاكية قال العماد
الكاتب لقد كثر تاسفي على تلك العمارات كيف زالت وعلى تلك الجهات كيف خالت وسار فنزل
صهيون وهي حصينة في طرف الجبل ليس لها خندق محفور الا من ناحية واحدة طوله ستون ذراعًا
نقر في حجر ولها ثلاثة اسوار وكان على قلتها علم طويل عليه صليب فلما شاهدها المسلمون
وقع الصليب فاستبشروا ونصبوا عليها المناجنيق واخذوها بالامان في ثلاثة ايام ثم
سلمها الى الامير ناصر الدين منكورس بن الامير خمارتكين فسكنها وحصنها وكان من سادة
الامرا وعقلائهم توفي وهو ملك صهيون وولي بعده ولده مظفر الدين عثمان ثم وليها
بعده سيف الدين محمد بن عثمان الى بعد الستمايه وسنذكره وبث السلطان عسكره واولاده
فاخذوا حصون تلك الناحية مثل بلاطنس وقلعة الجماهرين وبكاس والشغر وسرمانية
ودربساك وبغراس وبرزيه قال وعلو قلعة برزية خمسمائة ونيف وسبعون ذراعًا
لانها على سن جبل شاهق ومن جوانبها اودية فسلم دربساك الى علم الدين سليمان
ابن جندر وهي قلعة قريبة من انطاكية ثم سار يقصد انطاكية فراسله صاحبها وقدم له
وكانت العساكر الشرقية قد ضجرت وخصوصا عماد الدين صاحب سنجار فطال عليه المقام
فهادن السلطان صاحب انطاكية ثمانية اشهر على ان يطلق الاسارى ودخل الى حلب وبات
بها ليلة وعاد الى دمشق واعطى تقي الدين عمر صاحب حماه جبلة واللاذقية قال ابن
الاثير نزل صلاح الدين تحت حصن الاكراد وركب منهم فاتاه قاضي جبلة منصور بن
نبيل وكان مسموع القول عند بيمند صاحب انطاكية وجبلة له الحرمة الوافرة والحكم
على جميع المسلمين بجبلة ونواحيها فحملته غيرة الدين على قصد السلطان وتكفل له بفتح جبلة
واللاذقية والبلاد الشمالية فسار صلاح الدين معه فاخذ انطرطوس وسار الى المرقب
وهو من حصونهم التي لا ترام ولا تحدث احدا نفسه بملكه لعلوه وامتناعه ولا طريق الى جبلة
الا من تحته ثم ساق عز الدين بن الاثير فتوحات الحصون المذكورة بعبارة طويلة واصحه
لان عز الدين حضر هذه الفتوحات الشمالية ثم ذكر بعدها فتح الكرك والشوبك وما
جاور تلك الناحية من الحصون الصغار ثم ذكر فتح صفد وكوكب الى ان قال فتسلم حصن كوكب

في وصف ذي الفقعة وامثالهم وتشبيههم الى صور فاجتمع بها شياطين الفرنج وشجعانهم
واشتدت شوكتهم وتتابعوا الرسل الى جزائر البحر يستغيثون والامداد كل قليل تاتيهم
وكان ذلك بتفريط صلاح الدين في اطلاق كل من حصره حتى عض بنانه ندما واسفا حيث لم
ينفعه ذلك وتم للمسلمين فتح كوكب من جملة البلاد الى سنة ست لا ينفصل من ذلك غير مدينة صور
انتهى من الروضتين قال وفي المحرم خرج الوزير جلال الدين بن يونس للقاء السلطان طغرل
ابن ارسلان شاه في العساكر الديوانية واستنيب في الوزارة قاضي القضاة ابو طالب علي بن
البخاري وفي ربيع الاول كان المصاف بين الوزير بن يونس وطغرل وحرض الوزير اصحابه
وكان فيما يقول من هاب خاب ومن اقدم اصاب ولكل اجل كتاب فلما ظهر له تقاعس عساكره
عن الاقدام وزلت بهم الاقدام تاسف على فوت المرام وبقي في نفر يسير كالا تشير وبيده
سيف مشهور ومصحف منشور لا يقدم لهيبته احد عليه بل ينظرون اليه فاقدم بعض خواص
طغرل وجا فاخذ بعنان دابته وقادها الى خيمته ثم انزله واجلسه بجانبه السلطان في
خواصه ووزيره ولزم معهم قانون الوزاره ولم يقم اليهم فعجبوا من فعله وكلمهم بكلام خشن فلم
يزل السلطان طغرل له مكرما ولمنزلته محترما الى حين عوده واما ابو المظفر فقال في المراه
احد ابن يونس وكان محلوق الراس فاحضره بين يدي السلطان طغرل فالبسه طرطورا احمر
بجلاجل وجعل يضحك عليه ولم يرجع الى بغداد من العسكر الا القليل تقطعوا في الجبال
وماتوا جوعا وعطشا وعمل الناس في ذلك اشعار فيها فحش قال ثم كتب الخليفة الى بكتمر صاحب
خلاط يطلب ابن يونس من طغرل وكان قزل اخو البهلوان قد حشد وجمع والتقى طغرل
على همدان فانهزم طغرل الى خلاط ومعه ابن يونس فانكر عليه بكتمر ما فعل بالوزير بعسكر
الخليفة فقال لهم بداوني وتعدوا علي فقال له اطلق الوزير فلم يمكنه مخالفته فاطلقه فبعث
اليه بكتمر الخيل والمماليك فرد الجميع واخذ بغلتين بسرادقين وركب هو بغلا وغلامه
اخر وسار في زي صوفي وقدم الموصل فانحدر في سفينة متنكرا وفي ربيع الاول عزل
قاضي القضاة ابو طالب عن نيابة الوزارة وفي شعبان ولي الوزاره ببغداد شهاب الدين
ابو المعالي سعيد بن حديده وفي رمضان عزل ابو طالب علي بن علي من بصالة القضاه وقلده
فخر الدين ابو الحسن محمد بن جعفر العباسي وفيه وصل الوزير جلال الدين في سفينة من الموصل
وصعد الى داره مختفيا وبلغ الخليفة فكتب الى ابن حديده يقول له ان جاءك ابن يونس فقال يكون

اليوم

اليوم بتكريب فقال له الخليفة بهذه المعرفة تدبر ولقي ابن يونس في بيته وكان ابن حديده
بقوانين الحجابه اعرف منه بقوانين الوزارة وفي شوال عزل عن الاستاذ دارية ابو طالب بن
زباده وولي علي بن بكسار وفيها نادى بالقاهرة اثنا عشر من بقايا شيعة الباطنية بالليل ونادوا
يا آل علي يا آل علي وصاحوا في الدروب ليلبي احد دعوتهم فما التفت اليهم احد فاختفوا وفيها
وهب السلطان اخاه العادل سيف الدين الكرك واستعاده منه اسامة بن مرشد بن علي
ابن مقلد بن نصر بن منقذ الامير الكبير مجد الدين مؤيد الدولة ابو المظفر الكناني الشيزري
الاديب احد ابطال الاسلام ورئيس الشعراء الاعلام ولد بشيزر في سنة ثمان وثمانين
واربع مائة وسمع سنة تسع وتسعين سمعه الى هديه من علي بن سالم السنبسي سمع منه
ابو القاسم بن عساكر الحافظ وابو سعد بن السمعاني وابو المواهب بن صصرى والحافظ
عبد الغني وولده الامير ابو الفوارس مرهف والبهاء عبد الرحمن وشمس محمد بن عبد الكافي
وعبد الصمد بن خليل بن مقلد الصايغ وعبد الكريم بن نصر الله بن ابي سراقه واخرون وله
شعر يروق وشجاعة مشهورة دخل ديار مصر وخدم بها في ايام العادل بن السلار
ثم قدم دمشق وسكن حماه مدة وكان ابوه اميرا شاعرا مجيدا ايضا وقال ابن السمعاني
قال لي ابو المظفر احفظ اكثر من عشرين الف بيت من شعر الجاهلية ودخلت بغداد وقت
محاربة دبيس والمسترشد بالله ونزلت الجانب وما عبرت الى شرقيها وقال العماد
الكاتب مؤيد الدولة اعرق اهل بيته في الحسب واعرقهم بالادب وجرت له نبوة في ايام
الدمشقيين فسافر الى مصر فاقام بها سنين في ايام المصريين ثم عاد الى دمشق وكنت
اسمع بفضله وانا باصبهان وما زال بنو منقذ مالكي شيزر الى ان جاءت الزلزلة في سنة
نيف وخمسين وخمسمائة فخربت حصنها واذهبت حسنها وتملكها نور الدين عليهم واعاد
بناها فتشعبوا شعبا وتفرقوا ايدي سبا واسامه كاسمه في قوة نثره ونظمه يلوح
في كلامه امارة الامارة ويبيت في قريضه عمارة العبارة انتقل الى مصر فبقي بها مؤمرا
مشارا اليه بالتعظيم الى ايام ابن رزيك فعاد الى دمشق محترما حتى اخذت شيزر
من اهله وشتتهم صرف الزمان بتنبله ورماه الحدثان الى حصن كيفا مقيما بها في ولده
موثرا لها بلده حتى اعاد الله دمشق الى سلطنة صلاح الدين ولم يزل مشغوفا
بذكره مستهترا باشاعة نظمه ونثره والامير عضد الدولة ولده الامير مؤيد الدولة جليسه ونديمه

فطلبه الى دمشق وقد شاخ واجتمعت به وانشدني لنفسه في صرشه ه

وصاحب لا امل الدهر صحبته ... يشقى لنفعي ويسعى سعي مجتهد
لم القه مذ تصاحبنا فحين بدا ... لناظري افترقنا فرقة الابد

قال العماد ومن عجب ما اتفق لي اني وجدت هذين البيتين مع اخرين في ديوان ابي الحسين احمد بن منير الرفا المتوفى سنة ثمان واربعين وخمسمائة وهي

وصاحب لا امل الدهر صحبته ... يسعى لنفعي واجني ضره بيدي
ادني الى القلب من سمعي ومن بصري ... ومن تلادي ومن مالي ومن ولدي
اخلو بسر من خيال يوحشه مداده ... يابى التقصير للمجد

والاشبه ان ابن منير اخذهما وزاد عليهما ولاسامة في ضرس اخر

انجب بمنتخب عن كل ذي نظر ... صحبته الدهر لم اسمع خلائفه
حتى اذا راني قابلته مقتضى جباه ... واباني ان اراقعه ولـه

وصاحب صاحبني في الصبى حتى تردت ردا المشيب
لم يبد لي سني حولا ولا يلوب من لطلاه قد مار بي
اصدق الدهر ومن خلا الذي حافظ العهد نظير المغيب
مذ افترقنا لم اصب مثله عمري ومثلي ابدا لا يصيب ولـه

قالوا انهضت لا ترعوون عن الصبى ... واخو المشيب يحوم ثم يهتدي
كم حار في ليل الشباب فدله ... صبح المشيب على الطريق الاقصد
واذا عددت سني ثم نقصتها ... زمن الهموم فتلك ساعة مولدي ولـه

في الشيب انا كالدجى لما تناهى عمره ... نشرت له ايدي الصباح ذوائبا
ولـه كالدهر يكدح للدنيا ويجمعها ... حتى اذا مات خلاها وما فيها

وله الى الصالح طلايع بن رزيك وزير مصر يسأله تسيير اهله الى الشام وكان ابن رزيك يتوقع رجوعه الى مصر
اذكركم الود ان صدوا وان صدقوا ... ان الكرام اذا استعطفتهم عطفوا
ولا تزد شافعا الا معوالكم ... كفاك ما اختبروا منه وما كشفوا
يا حيرة القلب والقسطاط دارهم ... لم ينصف الدار لكن اصنف الكلف
ما رفقتكم مكرها والقلب يخبرني ... ان ليس لي عوض منكم ولا خلف

ولو

ولو تعوضت بالدنيا عنيت ... وهل يعوضني عن بعضي الجوهر الصدف
ولست انكر ما في الزمان به ... كل الورى لنزل الرزايا دهره هدف
ولا اسفت لا مرفات مطلبه ... لكن لفرقة من فارقته اسف
الملك الصالح الهادي الذي شهدت ... بفضل ايامه الاسنا والصحف
ملك اقل عطاياه الغنى واذا ... ادناك منه فادنى حظك الشرف
سعت الى زهد الدنيا بزخارفها ... طوعا وفيها على خطابها صلف
متهجد وعيون الناس هاجعة ... على التهجد والقران معتكف
وتشرق الشمس من لالاء غرته ... في دسته فتكاد الشمس تنكسف

وكان يجيد النظم فاجابه الصالح
اذا ملك الغريب مالطرف ... في كل حين بدا من حسنه طرف
يقول الحمد اما نا ما بعثته ... هذا كتاب لي ام روضة انف
اذا ذكرنا لك عهد الدين عاودنا ... شوق يجدد منه الوجد والاسف
يا من جفانا ولو قد شا كان الى ... جنابنا دون اهل الارض ينعطف

ولاسامة
مع الثمانين عاث الضعف في جسدي ... وساءني ضعف رجلي واضطراب يدي
اذا كتبت فخطي خط مضطرب ... كخط مرتعش الكفين مرتعد
فاعجب لضعف يدي عن حملها قلما ... من بعد حطم القنا في لبة الاسد
وان مشيت وفي كفي العصا ثقلت ... رجلي كاني اخوض الوحل في الجلد
فقل لمن يتمنى طول مدته ... هذي عواقب طول العمر والمدد

ولما قدم من حصن كيفا صلاح الدين قال حمدت على طول عمري المشيبا وان كنت فيه ركبت

لاني حيث الى ان لقيت ... بعد العدو حبيبا صديقا ولـه
لا تستعر جلدا على هجرانهم ... فقواك تضعف عن صدود دايم
واعلم بانك ان رجعت اليهم ... طوعا والا عدت عودة راغم

وعندي له مجلد يخبر فيه بما راى من الاهوال بما حضره من المصافات والوقعات بهول اخطارها واصطلاء من سعير نارها وباشرت الحرب وانا ابن خمس عشرة سنة الى ان بلغت مدى التسعين وصرت من الخوالف حلس المنزل وعن الحروب والجهاد بمعزل لا اعد لمهم ولا ادعى لدفاع ملم بعدما كنت اول من يسعى عليه الخناصر واكبر العدد

لدفع الكتايب اول من مقدم الستقبة عند حملة الاصحاب وآخر جاذب عند الجولة
لحايد الاعقاب وفي ذلك اقول كم قد شهدت من الحروب فليتني في بعضها من قبل كنت اقتل

فالقتل احسن بالفتى من قبل ان يفنى سليه الزمان وآجل
وابيك ما احجمت عن خوض الردى في الحرب تشهد بي ابراك المنصل
لكن قضا الله اخرني الى اجلي الموقت فماذا افعل

ثم اخذ يعد ما حضره من الوقعات الكبار قال فمن ذلك وقعة كانت بينا وبين الاسماعيلية
في قلعة شيزر لما وثبوا على الحصن في سنة سبع وخمسمائة ووقعة كانت بين عسكر حماه
وعسكر حمص في سنة خمس وعشرين وخمسمائة ومصاف على تكريت بين اتابك زنكي بن
اقسنقر وبين قراجا صاحب فارس في سنة ست وعشرين ومصاف بين المسترشد
بالله وبين اتابك زنكي على بغداد في سنة سبع وعشرين ومصاف بين اتابك زنكي
وبين الارتقية وصاحب امد على امد في سنة ثمان وعشرين ومصاف على رفنية بين
اتابك زنكي وبين الفرنج في سنة احدى وثلاثين ومصاف على قنسرين بين اتابك
وبين الفرنج لم يكن فيه لقاء في سنة اثنتين وثلاثين ووقعة بين المصريين وبين رضوان
الولخشي سنة اثنتين واربعين ووقعة بين السودان بمصر في ايام الحافظ في سنة
اربع واربعين ووقعة كانت بين الملك العادل ابن السلار وبين اصحاب ابن مصال في
السنة ووقعة ايضا بين اصحاب العادل وبين ابن مصال في السنة ايضا بدلاص
وفتنة قتل فيها العادل بن السلار في سنة ثمان واربعين وفتنة قتل فيها الظافر
واخوه وابن عمه في سنة تسع واربعين ومنه المصريين وعباس بن ابي الفتوح في
السنة ومنه اخرى بعد شهر جرت فيها الجند ووقعة كانت بيننا وبين الفرنج
في السنة ثم اخذ يسرد عجايب ما شاهد في هذه الوقعات ويصف فيها شجاعته
واقدامه رحمه الله وقد ذكره يحيى بن ابي طي في تاريخ الشيعة فقال حدثني ابي رحمه الله
قال اجتمعت به دفعات وكان اماميا حسن العقيدة الا انه كان يداري عن منصبه
ويظهر التقية وكان فيه خير وافر وكان يرفد الشيعة ويصل فقراهم ويعطي الاشراف
وصنف كتبا منها التاريخ البدري جمع فيه اسما من شهد بدرا من الفريقين وكتاب اخبار
البلدان في مدة عمره وذيل على خريدة القصر للباخرزي وله ديوان كبير رحمه الله وتوفي

ليلة

ليلة السابع والعشرين من رمضان بدمشق ودفن بسفح قاسيون عن سبع وتسعين سنة
سنة خمس وثمانين وخمسمائة في اولها قدم فرح الخادم صحبة اصبهان رسولا
من السلطان طغرل فقدم تحفا وهدايا ومضمون الرسالة الاستغفار والاعتذار لاجل
الى الديوان لتقال عثرته وفي صفر امر الخليفة بالدعا في الخطبة لولي عهده ابي نصر محمد
وتنقش اسمه على الدينار والدرهم وان يكتب بذلك الى ساير البلاد وفي صفر ولي ابو
المظفر عبيد الله بن يونس الذي كان وزيرا للسلطان طغرل صدرا بالمخزن المعمور وفيه
عزل الوزير ابو حرب وكانت مدته اقل من شهر وفي ربيع الاول وصل القاسم بن الشهرزوري
رسولا من السلطان صلاح الدين وصحبته صليب الصلبوت الذي تزعم النصارى ان
عيسى عليه السلم صلب عليه فالقي بين يدي عتبة باب النوبي مقلوبا وفي جمادى
الاولى توجه مجير الدين طاشتكين الحاج في جيش فنزل على قلعة الحديثة وحاصرها
وفي رجب قلد مويد الدين محمد بن القصاب نيابة الوزارة وفي شوال قتل زعيم
قلعة تكريت وتسلمها نواب الخليفة وفي ذي القعدة عزل صدر المخزن ابو المظفر
عبيد الله بن يونس وفيها وصل جماعة من الفرنج شباب ملاح من دير الفيوم صحبة
صلاح الدين الى الديوان العزيز فقال فيهم قوام الدين يحيى بن زبادة

قد ربطوا في الحبال اسرى نظم الجمانات في العقود ان سكنوا بهوة نارا فهي اذا جنة الخلود

وفيها سار السلطان صلاح الدين من عكا الى دمشق ودخلها في صفر ثم توجه الى الشقيف
ارنون فاقام بمرج برغوث ايامًا ثم اتى مرج عيون فنزل ارناط صاحب الشقيف فبدا
الى خدمة السلطان فخلع عليه واحترمه وكان من كبار الفرنج وكان يعرف بالعربية وله
معرفة بالتواريخ فسلم الحصن من غير تعب وقال لا اقدر اساكن الفرنج والتمس المقام في
دمشق ثم بدا منه غدر فقبض عليه وحبسه بدمشق ووكل بالحصن من يحاصره ثم بلغ السلطان
ان الفرنج قد جمعوا وحشدوا وخرجوا من مدينة صور وساروا والحصار صيدا وعكا
يستردوها فسار اليهم فالتقاهم فظهر الفرنج وقتل في سبيل الله طايفة ثم كر المسلمون
عليهم فردوهم حتى ازدحموا على جسر هناك فغرق منهم ما ينيف ثم سار السلطان الى تبنين
فرتب امورها وسار الى عكا فاشرف عليها وقرر بها الامير سيف الدين علي المشطوب
الكردي وبها الدين قراقوش الخادم الابيض وعاد فلم يلبث ان نازلت الفرنج عكا وجاءت

من البر والبحر فسار السلطان حتى نزل قبالتهم وجاء بهم مرات عديده وطال القتال عليها
واشتد البلاء وقتل خلق من الفرنج والمسلمين الى ان دخلت السنة الاتيه والامر كذلك وفيها
ولي نيابة دمشق الامير بدر الدين مودود اخو الملك العادل لامه وقال ابن الاثير
اجتمع بصور عالم لا يعد ولا يحصى ومن الاموال ما لا يفنى ثم ان الرهبان والقسوس
وجماعة من المشهورين لبسوا السواد واظهروا الحزن على بيت المقدس فاخذهم
بترك القدس ودخل بهم بلاد الفرنج يطوفونهم ويستنفرون الفرنج وصوروا صورة
المسيح وصورة النبي صلى الله عليه وسلم وهو يضرب المسيح وقد جرحه فعظم ذلك على
الفرنج وحشدوا وجمعوا حتى تهيا لهم من الرجال والاموال ما لا يتطرق اليه الاحصا
فحدثني رجل من حصن الاكراد من اجناد اصحابه الذين سلموه الى الفرنج قديما وكان قد
تاب وندم على ما كان منه في الغارة مع الفرنج على الاسلام قال دخلت على جماعة من
الفرنج من اهل حصن الاكراد الى البلاد البحريه في اربعة شواني يستنجدون قال
فانتهى بنا الطواف الى رومية الكبرى فخرجنا منها وقد ملانا الشواني نقره قال
ابن الاثير فخرجوا على الصعب والذلول برا وبحرا من كل فج عميق ولولا ان الله لطف
بالمسلمين واهلك ملك الالمان لما خرج الى الشام والا كان يقال ان الشام ومصر
كانتا للمسلمين الى ان قال ونازلوا عكا في منتصف رجب ولم يبق للمسلمين اليها طريق
فنزل صلاح الدين على تل كيسان وسير الكتب الى ملوك الاطراف يطلب العساكر
فاتاه عسكر الموصل وديار بكر والجزيرة واتاه تقي الدين ثم جاء الى ان قال ابن الاثير
وكان بين الفريقين حروب كثيره فقاتلهم صلاح الدين في اول شعبان فلم ينل منهم غرضا
وبات الناس على تعبيه وباكروا القتال من الغد وصبر الفريقان صبرا حار له من راه
الى الظهر فحمل عليهم تقي الدين حملة منكرة من الميمنة على من يليه فازاحهم عن مواقفهم
والتجوا الى من يليهم وملك تقي الدين مكانهم والتصق بعكا ودخل المسلمون البلد
وخرجوا منه وزال الحصر وادخل اليهم صلاح الدين ما اراد من الرجال والذخاير ولو
ان المسلمين لزموا القتال لبلغوا ما ارادوا وادخل اليهم صلاح الدين الامير حسام
الدين السمين **ذكر الوقعة الكبرى** قال ثم ان المسلمين الى العشرين من شعبان
كل يوم يغادون القتال ويراوحونه والفرنج لا يظهرون من معسكرهم ولا يفارقونه ثم

تجمعوا

تجمعوا المشورة فقالوا عساكر مصر لم تحضر والحال مع صلاح الدين هكذا والراي اننا
نلقى المسلمين غدا لعلنا نظفر بهم وكان كثير من عساكر السلطان غايبا بعضها مقابل
انطاكيه خوفا من صاحب انطاكيه وبعضها في حمص مقابل طرابلس وعسكر في مقابل
صور وعسكر مصر بالاسكندريه ودمياط واصبح صلاح الدين وقد عسكره على
غير اهبة فخرجت الفرنج من الغد كانهم الجراد المنتشر قد ملاوا الطول والعرض وطلبوا
ميمنة الاسلام وعليها تقي الدين عمر وردفه السلطان برجال فعطفت الفرنج نحو القلب
وحملوا حملة رجل واحد فانهزم المسلمون وثبت بعضهم واستشهد جماعة منهم الامير
مجلي والظهير اخو الفقيه عيسى الهكاري وكان متولي بيت المقدس والحاجب خليل الهكاري
ثم ساقوا الى التل الذي عليه خيمة السلطان صلاح الدين فقتلوا ونهبوا وقتلوا شيخنا
جمال الدين بن رواحه وانحدروا الى الجانب الاخر من التل فوضعوا السيف فيمن لقوه
ثم رجعوا خوفا ان ينقطعوا عن اصحابهم فحملت ميسرة المسلمين عليهم فقاتلوهم وتراجع
كثير من اهل القلب فحمل بهم السلطان في اعقاب الفرنج وهم مشغولون بالميسرة فاخذتهم
سيوف الله من كل جانب فلم يفلت منهم احد بل قتل اكثرهم واسر الباقون فيهم مقدم
الداوية الذي كان السلطان قد اسره واطلقه فقتله الان وكانت عدة القتلى عشرة الاف
فالقوا في النهر الذي يشرب منه الفرنج وكان اكثرهم فرسان الفرنج قال
القاضي بن شداد لقد رايتهم يلقون في النهر بحرزتهم دون سبعة الاف قال وقتل
من المسلمين نحو ماية وخمسين نفرا وكان من جملة الاسرى ثلاث نسوة فرنجيات كن
يقاتلن على الخيل واما المنهزمون فبلغ بعضهم الى دمشق ومنهم من رجع من طبرية
قال العماد الكاتب العجب ان الذين ثبتوا الف ردوا ماية الف وكان الواحد
يقول قتلت من الفرنج ثلاثين قتلت اربعين وكان جافت الارض من نتن القتلى واعترت
الامراض ومرض صلاح الدين وحصل له قولنج كان يعتاده فاشار الامرا عليه بالانتقال
من المنزله وترك مضايقة الفرنج وان يبعد عنهم فان رحلوا فقد كفينا شرهم وان
اقاموا عدنا واتصلنا ثم وقع ارجاف يعني بوفاته لتهلك الناس فرحل الى الخروبة
في رابع عشر رمضان واحدقت الفرنج في محاصرة عكا وعملوا عليهم الخندق وجاوا بما لم يكن
في الحساب واستقل صلاح الدين بمرضه وتمكن الفرنج وعملوا ما ارادوا وكان من بعكا يخرجون

اليهم ونقاتلوهم وفي نصف شوال وصل العادل بالمصريين فقويت النفوس واحضر
معه من آلات الحصار شيئاً كثيراً وجمع صلاح الدين من الرجالة خلائق وعزم على الزحف
وجاء الاسطول المصري عليه الامير لؤلؤ وكان شهماً شجاعاً خبيراً بالبحر ميمون النقيبة
فوقع على بطسة للفرنج فاخذها وحول ما فيها الى عكا فسكنت نفوس اهلها وقوي
جنانهم واله. ودخل صفر من سنة ست وثمانين فسمع الفرنج ان صلاح الدين قد سار
يتصيد وراء اليزك الذي عليهم فقيل خرجوا من خندقهم على اليزك العصر فجرى القتال الى الليل
وقتل خلق من الفريقين وعاد الفرنج الى سورهم وجاءت السلطان الامداد وذهب
الشتاء فتقدم من الخروبة الى عكا فنزل تل كيسان وقاتل الفرنج كل يوم وهم لا يسامون
الى ان قال وافترقوا فرقتين فرقة تقاتله وفرقة تقاتل عكا ودام القتال ثمانية
ايام متتابعة ثم ساق قصة الابراج الخشب التي ما في حيزها فقال وكان يوماً مشهوداً
لم ير الناس مثله والمسلمون ينظرون ويفرحون وقد اسفرت وجوههم فرحاً بنصر الله
الى ان قال ذكر وصول ملك الالمان الى الشام والالمان نوع من اكثر الفرنج عدداً
واشدهم باساً وكان قد ازعجه اخذ بيت المقدس فجمع العساكر وسار رحلة وصل
الى القسطنطينية فعجز ملك الروم عن منعه من العبور في بلاده فساروا وعبروا خليج قسطنطينية ومروا
بمملكة قلج ارسلان فثار بهم التركمان فما زالوا يسايرونهم ويقتلون من انفرد ويسرقونه
وكان البرد كثيراً فاهلكهم البرد والجوع وماتت خيلهم لعدم العلف والبرد ثم عليهم
شيء ما سمع مثله فلما قاربوا قونية خرج قطب الدين ملكشاه بن قلج ارسلان ليمنعهم فلم
يقو بهم وكان قد حجر على والده وتفرق اولاده وغلب كل واحد على ناحية من بلاده
فنازلوا قونية وارسلوا الى قلج ارسلان هدية وقالوا ما قصدنا بلادك وانما
قصدنا بيت المقدس وطلبوا منه ان ياذن لرعيته في اخراج سوق وسعوا ونودوا
وطلبوا من صاحب الروم جماعة تخفرهم من لصوص التركمان فنفذ معهم خمسة وعشرين اميراً
فما قدروا على منع الحرامية لكثرتهم فغضب ملك الالمان وقبض على اولئك الامراء وقيدهم
ونهبت متاعهم ثم منهم من تخلص ومنهم من مات في الاسر. وقال ابن واصل جمع قطب
الدين صاحب قونية العساكر والقدامم فكسروه كسرة عظيمة وهجموا قونية بالسيف
وملكوها ونهبوها نهباً عظيماً وسار ملك الالمان حتى اتى بلاد الارمن فامدهم صاحبها

بالاقوات

بالاقوات وخضع لهم ثم ساروا نحو انطاكية فنزل ملكهم يغتسل في نهر هناك فغرق في مكان
منه لا يبلغ الماء وسط الرجل وكفى الله شره وقيل بل غرق في مخاضة اخذ فرسه التيار
وقيل بل تبح فمرض اياماً ومات وصار في الملك بعده ولده وسار الى انطاكية واختلف
اصحابه عليه واحب بعضهم العود الى بلاده ومال بعضهم الى تمليك اخ له ورجعوا ايضاً
من بقي معه فوصلوا الى انطاكية فكانوا نحو اربعين الفاً فوقع فيهم الوبا وتبرم بهم
صاحب انطاكية وحسن لهم المسير الى الفرنج الذين على عكا فساروا على جبلة واللاذقية
وتخطف المسلمون منهم فبلغوا اطرابلس واقاموا بها اياماً فكثر فيهم الموت فلم يبق منهم الا
نحو الف رجل وركبوا في البحر الى الفرنج الذين على عكا فلما وصلوا ورأوا ما نالهم وما تم
عليه من الاختلاف عادوا الى بلادهم فغرقت بهم المراكب ولم ينج منهم احد ورد الله كيدهم
في نحرهم. قال ابن واصل ورد كتاب الملك الظاهر من حلب الى والده يخبره انه قد صح
ان ملك الالمان قد خرج من جهة القسطنطينية في عدة عظيمة قيل انهم مائتا الف
يستنون قصد بلاد الاسلام والبلاد. قلت كان هذا الامر من الآيات العظيمة المشتهرة
وكان الحامل لهم وجهم من اقاصي البحار اخذ بيت المقدس من ايديهم. قال ابن واصل ووصل
الى السلطان كتاب كاغيكوس الارمني صاحب قلعة الروم وهو للارمن كالخليفة عندنا
نسخة الكتاب كتاب الداعي المخلص لكاغيكوس مما اطالع به مولانا ومالكنا السلطان
الملك الناصر جامع كلمة الايمان رافع علم العدل والاحسان صلاح الدنيا والدين
من امر ملك الالمان وما جرى له فانه خرج من دياره ودخل بلاد الهنكر غصباً ثم دخل
ارض مقدم الروم وفتح البلاد ونهبها واخذ رهاين ملكها ولده واخاه واربعين
نفراً من جلسائه واخذ منه خمسين قنطاراً ذهباً وخمسين قنطاراً فضة وثياب اطلس
مبلغاً عظيماً واغتصب المراكب وعدى بها الى هذا الجانب يعني في خليج قسطنطينية وال
ان دخل الى حدود بلاد قلج ارسلان وردا الرهاين وبقي سائراً ثلاثة ايام والتركمان
الاوج يلقونه بالاغنام والابقار والخيل والبضايع فتداخلهم الطمع وجمعوا من
جميع البلاد ووقع القتال بين التركمان وبينهم وضايقوه ثلاثة وثلاثين يوماً وهو سائر
ولما قرب من قونية جمع بن قلج ارسلان العساكر وتضرب معه المصاف فكسره ملك
الالمان كسرة عظيمة وسار حتى اشرف على قونية فخرج اليه جموع عظيمة فردهم مكسورين وهجم

فرموه بالسيف وقتل منها على الماء غلبها من المسلمين واقام بها خمسة ايام وطلب قلج ارسلان
منه الامان فامنه واخذ منه رهاين عشرين من اكابر دولته واشار على الملك ان يمر واعلى
طرسوس ففعل وقبل وصوله بعث الى دستولا فانفذ المملوك خاتما وصحبته ما سال وجماعة
اليه فكثرت عليه العساكر ونزل على نهر فاكل خبزا ونام ثم تاقت نفسه الى الاستحمام ففعل
فتحرك عليه مرض عظيم ومات بعد ايام قلايل واما لاون فانه سار ليلقيه فلما علم بهلاكه
احتمى بحصن له واما ابن ملك الالمان فكان ابوه منذ خرج نصبوه لده هذا عوضه وتاطد
قواعده فلما بلغه هرب رسل لاون نفذ يستعطفهم فاحضرهم وقال ان ابي كان شيخا
كبيرا وانما قصد هذه الديار لاجل حج بيت المقدس وانا الذي دبرت الملك من الطاعة
والا قصدت بلاده واستعطف لاون واقتضى الحال الاجتماع ضرورة وبالجملة فقد عرض
عسكره فكانوا اثنين واربعين الف فارس واما الرجالة فلا يحصون وهم اجناس
متفاوتة وهم على سياسة عظيمة حتى ان من جنى منهم جناية قتل ولقد جنى كبير منهم على غلامه
فجاوز الحد في ضربه فاجتمعت القسوس للحكم فامر وابذحه فشفع لهم الملك منهم خلق فلم
يلتفتوا الى ذلك وذبحه وقد حرموا الملاذ على انفسهم ولم يلبسوا الا الحديد وهم من الصبر
على الذل والتعب والشقاء على حال عظيم انتهى الكتاب فلما هلك ملكهم سار بهم ولده
انطاكية وعمهم المرض وصار معظمهم حملة عصي وركاب حمير فتبرم بهم صاحب انطاكية
وحسن لهم قصد حلب فابوا وطلبوا منه قلعته ليودعوا فيها الخزاين فاخلاها لهم فغار
بما صنعوه بها وطائفة فرقة من الالمانية الى بغراس وظنوا انها للنصارى ففتح والها
الباب وخرج اصحابه فسلبوا صناديق اموالهم وقتلوا كثيرا منهم ثم خرج جند حلب فلقوهم
فكان الواحد ياسر جماعة فهانوا في النفوس بعد الهيبة والرعب منهم وبيعوا في الاسواق
بالحسيس وقال ابن شداد مرض ابن ملك الالمان مرضا عظيما في بلاد لاون
واقام معه خمسة وعشرون فارسا واربعون داويا ونفذ عسكره نحو انطاكية حتى
يقطعوا الطريق وقسمهم ثلاث فرق لكثرتهم فاجتازت فرقة تحت بغراس فاخذ عسكر
بغراس منهم قافلة مايتي رجل منهم وسار بعض عسكر البلاد لكشف اخبارهم فوقعوا
على فرقة منهم فقتلوا واسروا اخس مايه وقال ابن شداد حضرت من خبر السلطان عنهم
ويقول هم ضعفا قليلوا الخيل والعدة واكثر ثقلهم على حمير وخيل ضعيفة ولم ارع كسر

منهم

منهم طائفة والا محاسبا لهم عن ذلك فقالوا اقمنا بحرخم ايام وقلت ازوادنا
واحطابنا فاوقدنا معظم عددنا وذبحنا الخيل واكلناها ومات الكند الذي على الفرقة
الواحد وطمع بن لاون حتى عزم على اخذ مال الملك لمرضه وضعفه وقلة من اقام
معه فنشا والسلطان لامرا فوقع الاتفاق على تسيير بعض العساكر الى طريقهم فكان
اول من سار الملك المنصور بن تقي الدين المظفر ثم سار عز الدين بن المقدم صاحب بعرين
وفاميه ثم الامجد صاحب بعلبك ثم سابق الدين عثمان بن الداية صاحب شيزر ثم عسكر
حماه ثم سار الملك الظاهر الى حفظ حلب فحفت الميمنة فانتقل اليها الملك العادل
ووقع في العسكر مرض كثير وكذلك في العدو وتقدم السلطان بهدم سور طبرية
ويافا وارسوف وقيسارية وصيدا وجبيل وانتقل اهلها الى بيروت وفي رجب سار
ملك الالمانيين من انطاكية الى اللاذقية ثم الى طرابلس وكان قد سار اليه المركيس
صاحب صور فقوى قلبه وسلك به الساحل فكانت عدة من معه لما وصل الى طرابلس
خمسة الاف بعد ذلك الجيش العظيم ثم انه نزل في البحر وسار معظم اصحابه في الساحل
فثارت عليه ريح فهلكت من اصحابه ثلاثة مراكب فوصل الى عكا في جمع قليل في رمضان
فلم يظهر له وقع ثم هلك على عكا في ثاني عشر ذي الحجة سنة ست وثمانين فسبحان من
اباد جمعهم ويوم وصول ملك الالمان الى عكا ركبت الفرنج واظهروا قوة
وارجفوا وزحفوا على نزل المسلمين فركب السلطان ووقع الحرب ودام الى الليل
فكانت الدائرة على الكفار ولم يزل السيف يعمل فيهم حتى دخلوا خيامهم ولم يقتل
يومئذ من المسلمين الا رجلان لكن جرح جماعة كثيرة وللامان طاغية الالمان حرب
عليه الفرنج واشعلوا نيرانا هايلة بحيث لم يبق لهم خيمة الا واوقدوا فيها النار ومات
كند عظيم لهم ووقع الوبا فيهم والمرض ومرض كند هري وصار يموت في اليوم المائة
واكثر في معسكرهم واستامن منهم خلق عظيم اخرجهم الجوع وقالوا للسلطان نحن
نركب البحر في مراكب صغار ونكسب من النصارى ويكون الكسب لنا ولكم فاعطاهم
السلطان مركبا فركبوا فيه وظفروا بمراكب التجار النصارى واتوا بالغنايم الى السلطان
فاعطاهم الجميع فلما راوا هذا اسلم جماعة منهم واستشهد في هذه السنة سبعة امرا
على عكا والتقى شواني المسلمين وشواني الفرنج فاحرقت للفرنج شواني بوحالها واخذت

مراكب العدو وشيني مقدمة الامير جمال الدين محمد بن ارككز ابي الهيجاء السميني
الى المينا فقال جمال الدين وعرضوا عليه الامان فقال ما اضع يدي الا في يد مقدمكم
الكبير فجاء مقدمهم اليه فعانقه جمال الدين وامسكه وسحبه فوقعا في البحر وغرقا

// **عبد الله بن محمد** بن هبة الله بن المطهر بن علي بن ابي عصرون بن ابي السري قاضي
القضاة شرف الدين ابو سعد التميمي الحديثي ثم الموصلي الفقيه الشافعي احد
الاعلام تفقه اولا على القاضي المرتضى بن الشهرزوري وابي عبد الله الحسين بن خميس
الموصلي وكان مولده سنة اثنين وتسعين واربعمائة وتفقه على المسلم السروجي
وقرا بالسبعة ببغداد على ابي عبد الله الحسين بن محمد البارع وبالعشر على ابي بكر
المزرفي ودعوان وسبط الخياط وتوجه الى واسط فقرا بها على القاضي ابي علي
الفارقي وبرع عنده وعلق عن اسعد الميهني واخذ الاصول عن ابي الفتح احمد بن علي
ابن برهان وسمع من ابي القاسم بن الحصين وابي البركات بن البخاري واسمعيل
ابن ابي صالح المؤذن ودرس النحو على ابي الحسن بن دبيس وابي دلف وسمع قديما
في سنة ثمان وخمسمائة من ابي الحسن بن طوق ورجع الى وطنه بعلم كثير فدرس
بالموصل في سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة ثم اقام بسنجار مدة ودخل حلب في سنة
خمس واربعين ودرس بها واقبل عليه صاحبها السلطان نور الدين فلما اخذ دمشق
سنة تسع واربعين قدم معه ودرس بالغزالية وولي نظر الاوقاف ثم ارتحل الى
حلب وحران وديار ربيعة وتفقه عليه جماعة ثم عاد الى دمشق في سنة سبعين
فولي بها القضا سنة ثلاث وسبعين وصنف التصانيف وانتفع به خلق وانتهت
اليه رياسة المذهب ومن تلامذته الشيخ فخر الدين ابو منصور بن عساكر ومن
تصانيفه صفوة المذهب في نهاية المطلب في سبع مجلدات وكتاب الانتصار في
اربع مجلدات وكتاب المرشد في مجلدين وكتاب الذريعة في معرفة الشريعة وكتاب
التيسير في الخلاف اربعة اجزا وكتاب ماخذ النظر ومختصر في الفرايض وكتاب
الارشاد في نصرة المذهب ولم يكمله وذهب فيما نهب له بحلب وبنى له نور الدين
المدارس بحلب وحماه وحمص وبعلبك وبنى هو لنفسه مدرسة بحلب واخرى بدمشق
وله ايضا كتاب التنبيه في معرفة الاحكام وكتاب فوايد المهذب في مجلدين وغير ذلك

روى عنه ابو القاسم بن صصرى وابو نصر بن الشيرازي وابو محمد بن قدامة وعبد اللطيف
ابن سما والنتاح بن ابي جعفر وعبد الرحمن بن عبدان وعلي بن وهب وصديق بن رمضان
وخلق اخرهم موتا العماد ابو بكر عبد الله بن النحاس واضر في اخر عمره وهو قاض فصنف
جزا في جواز قضا الاعمى وهو خلاف مذهبه وفي المسئلة وجهان والجواز اقوى لان
الاعمى اجود حالا من الاصم والاعجمي الذي لا يعرف الامور بترجمان ونحو ذلك وقد كان ولي
القضا قبل القاضي شرف الدين القاضي ضيا الدين بن الشهرزوري بحكم العهد اليه من
عمه القاضي كمال الدين قاضي الشام فلم يعزله السلطان صلاح الدين واثر ان يكون الحكم
لابن ابي عصرون فاستشعر ذلك ضيا الدين فاستعفى فاعفى وبقي على وكالة بيت المال
وولي القضا ابن ابي عصرون وناب في القضا الاوحد داود والقاضي محيي الدين محمد الزكي
وكتب لهما توقيع سلطاني فكانا في حكم المستقلين وكان نائبا في الظاهر باسمين وذلك في
سنة اثنين وسبعين فلما عاد السلطان من مصر في سنة سبع وسبعين تكلم الناس
في ذهاب بصر ابن ابي عصرون ولم يذهب بالكلية وذهب فولى السلطان القضا ولده
القاضي محيي الدين من غير عزل للوالد واستمر هذا الى سنة سبع وثمانين وصرف عن القضا
واستقل قاضي القضاة محيي الدين بن الزكي ويقال ان هذا له

اؤمل ان احيا وفي كل ساعة تمر بي الموتى تهز نعوشها
وما انا الا منهم غير ان لي بقايا ليال في الزمان اعيشها

توفي الى رضوان الله
في حادي عشر رمضان ودفن بمدرسته بدمشق ونقل عنه الشيخ الموفق فقال
كان امام اصحاب الشافعي في عصره وكان يذكر الدرس في زاوية الدولعي ويصلي صلاة
حسنة ويتم الركوع والسجود ثم تولى القضا في اخر عمره وعمي وسمعنا درسه مع اخي ابي
عمر وانقطعنا عنه فسمعت اخي رحمه الله يقول دخلت عليه بعد انقطاعنا فقال لم
انقطعتم عني فقلت ان ناسا يقولون انك اشعري فقال والله ما انا باشعري هذا
معنى الحكاية ومن شعر القاضي شرف الدين كل جمع الى الشتات يصير اي صفو ما شانه تكدير
انت في اللهو والاماني مقيم والمنايا في كل وقت تسير والذي غره بلوغ الاماني بسراب وخلب مغرور
ويك يا نفس اخلصي ان ربي بالذي اخفت الصدور بصير **سنة ست وثمانين**
وحصن حايه استهلت والفرنج محدقون بعكا محاصرون لها والسلطان بعساكره في مقابلتهم

والقتال عمال مارة يظهر هولاء وتارة يظهر هولاء وقدمت العساكر البعيدة مددًا للسلطان
صلاح الدين فقدم صاحب حمص اسد الدين وصاحب شيزر سابق الدين عثمان بن الداية
وعز الدين بن المقدم وغيرهم ثم قدمت عساكر الشرق مع مظفر الدين صاحب اربل ومع
عماد الدين صاحب سنجار ومعز الدين سنجر شاه بن غازي واستمر الامر وجد الفرنج في
الحصار واتتهم الامداد في البحر من الجزائر البعيدة حتى ملاوا البر والبحر فتوفي صاحب اربل
زين الدين يوسف بن زين الدين علي كوجك فعوض السلطان مملكة اربل من حسدا الى اخيه مظفر
الدين كوكبري بن علي ودام الحصار والنزال على عكا حتى فرغت السنة قال ابو المظفر بن
الجوزي طال القتال بين الفرنج واهل البلد فصار يتحدث بعضهم مع بعض وابطلوا القتال
واخرجوا الصغار يتصارعون ومن كتاب ما صلى الى بغداد ومن خبر الفرنج انهم الان
على عكا مهدمو البحر بمراكب اكثر من عدة امواجه ويخرج للمسلمين اكثر من اجاجه وقد تعاضد
ملوك الكفر على ان ينهضوا اليهم من كل فرقة طايفه ويرسلوا اليهم من كل سلاح شوكة فاذا
قتل المسلمون واحدا في البر بعثوا الفا عوضه في البحر فما الزرع اكثر من الحصاد والثمر
انمى من الجداد وهذا العدو قد زر عليه من الخنادق دروعا متينة واستجن من الجنويات
بحصون حصينة فصار محصرا ومحصرا حاسرا ومدرعا مواصلا ومنقطعا وعدوهم
الجم قد كاثر القتل ورد بهم الغلب قد قطعت النصل لشدة ما قطعها النصل واصحابنا
قد اثرت فيهم المدة الطويلة والكلف الثقيلة في استطاعتهم لا في طاعتهم وفي اموالهم
لا في شجاعتهم وكل من يعرفهم يناشد الله فيهم المناشدة اليوم في الصحابة البدرية
اللهم ان يهلك هذه العصابه ويخلص الدعا ويرجو على يد مولانا امير المومنين الاجابة
وقد حرم بابا يم كل مباح واستخرج منهم كل مدخور واغلق دونهم الكنايس ولبس البث
الحداد وحكم ان لا يزالوا كذلك او يستخلصوا المقبرة فيا عصبة محمد صلى الله عليه وسلم اخلفه
في امته بما تطمئن به مضاجعه ووفه الحق فينا فانا والمسلمون عندك ودايعه ولولا ان في
النصح ما يعود على العدا بالنجح لقال الخادم ما يبكي العيون وينكي القلوب ولكنه صابر
محتسب منتظر للنصر ترقب رب اني لا املك الا نفسي وها هي في سبيلك مبذوله واخي وقد
هاجر هجرة يرجوها مقبوله وولدي وقد بذلت للعدو صفحات وجوههم وهان على محبوبك
مكروههم ونقف عند هذا الحد ولله الامر من قبل ومن بعد وقال الموفق عبد اللطيف ان

الفرنج

الفرنج عاثوا في سوق العسكر وفي الخيم فرجع عليهم السلطان فطحنهم طحنا واحصي قتلاهم
بان غرز في كل قتيل سهما ثم جمعوا السهام فكانت اثني عشر الفا وحسابه والذين لحقوا
باصحابهم هلك منهم تمام اربعين الفا وبلغت الغرارة عندهم مايه وعشرين دينارا ثم طال
وخرجوا مرة فقتل منهم ستة الاف ونيف ومع هذا فصبرهم صبرهم وعمروا على عكا برجين
من خشب كل برج سبع طبقات باخشاب عاليه ومسامير هايله يبلغ المسمار نصف
قنطار رصاص على هذا القياس وصفح كل برج منها بالحديد ولبس الجلود ثم اللبود المشربه
بالخل وجلل ذلك بشباك من حبال القنب لئلا يدخله المنجنيق وكل واحد يعلو سور عكا
ثلاث طبقات وزحفوا بها الى السور وفي كل طبقة مقاتله فيئس المسلمون بعكا
فقال دمشقي يقال له ابن النحاس دعوني اضربها بالمناجنيق سبقي وامنه فطلب قدرا نوش
ان يحكمه من الالات ورمى البرج بحجارة حتى خلخله ثم رماه بقدر نفط ثم صاح الله اكبر وعلا
الدخان ففرح المسلمون وبرزوا من عكا وعملت النار في ابراجه والفرنج ترمي بسهامها
من الطبقات واشتغلوا فاحرق المسلمون الستاير والعدد فانكسرت صولتهم ثم اجتمع
مقدموهم ونوبة وعملوا كبشا هايلا راسه قناطير من الحديد لينطحوا به السور فينهدم فلما
سحبوه وقرب من السور ساخ في الرمل لثقله وعجزوا عن تخليصه وكان المسلمون في
عكا في مرض وجوع قد ملوا من القتال ما يحملهم سوى الايمان بالله وقد هدم الفرنج
برجا وبدنه ثم سد ذلك المسلمون في الليل وثقوه وكان السلطان اول راكب واخر
نازل **قلت** ولعله وجبت له الجنة بمرابطة هذه الغزاة ذكر العماد الكاتب
انه احصي ربما قتل من الفرنج في مدة الحرب على عكا فكان اكثر من مايه الف ومن كتاب الى بغداد
مد بلى للاسلام منهم بقوم استطابوا الموت واستعذبوا الصوت وفارقوا الاوطان
والاوطار والاهل والديار طاعه لقسيسهم وغيره لمعبدهم وحمية لمعتقدهم وتهالكا
على مقبرتهم وتحرقا على قمامتهم حتى خرجت النسا من بلادهن متبرزات وسرن في البحر
متجهزات وكانت منهن ملكة استتبعت خمسمايه مقاتل والتزمت بمونتهم فاخذت برجالها
بقرب الاسكندريه ومنهن ملكه وصلت مع ملك الالمان وذوات المقانع من الفرنج مقنعات
دارعات يحملن الطوارق والقنطاريات وقد وجدن في الوقعات التي جرت عدة منهن بين
القتلى وما عرفن حتى سلبن والبابا الذي برومية قد حرم عليهم لذاتهم وقال لمن لا يتوجه

الى القدس فهو محرم لا منكح له ولا مطعم فلهذا انها فتوب على الورود وفيها الكون على يومهم الموعود
ودال الينا واصل في الربيع جامع على الا سعار يشمل الجميع واذا انهض هذا اللعب فلا
نقعد عنه احد ويصل معه كل من يقول لله ولد ومن كتاب واصل الى السلطان فليس الا الدعا في
والتجلد للقضا فلا بد من قدر مفعول ودعا مقبول نحن الذين اذا علوا لم يبطروا يوم الهياج وان علوا
ومعاذ الله ان يفتح علينا البلاد ثم نغلقها وان يسلم على ايدينا القدس ثم نسلمه ثم معاذ الله
ان نغلب عن النصر ثم معاذ الله ان نغلب عن الصبر واذا كانها نعد منا الله اليه لا بد منه
وهو لقاوه فلان نلقاه والحجة لنا خير من ان نلقاه والحجة علينا ولا تعظم هذه الفتوق على
مولانا فهم صعب ومالا صدره فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وانتم الاعلون والله معكم
وهذا من ما غلب بكثرة وانما اختار الله له ارباب ثبات وذوي قلوب ورجالات فلكن
المولى السلف لذلك الخلف واشتدى ازمة تنفرجي والغمرات تذهب ثم لا تجي والله
يسمعنا ما يسر القلب ويصرف عن الاسلام غاشية هذا الكرب ويستغفر الله فانه
ما ابتلى الا بذنب ومن كتاب اخر يقول ولست على هاذم لنظيره ولحل الاسلام للشرك هاذم
تشير الى انه وحده بعسكره في مقابلة جميع دين النصرانية لان نفيرهم الى عكا لم يكن بعده بعد
ولا وراه حد ثم قال هذا وليس لك من المسلمين مساعد الا بدعوة ولا خارج بين يديك الا
باجرة يشتري منهم الخطوات شبرا بذراع يدعوهم الى الفريضة وكانك تكلفهم النافلة
وتعرض عليهم الجنة وكانك تريد ان تستاثر بها دونهم ولا يا تختلف بحضرتك معامل
يقول لم لا يساعد عن المنزلة واخر لم لا يميل الى المصالحة ومشير بالتخلي عن عكا حتى كان
تركها تعليق المعامله ولا كانها طليعة الجيش ولا معقل الدار ولا حرزه السلك ان
وهت تداعى السلك فالهمك الله فعل الكافي وخلاف المخذول فكلما حدث استعمل النعم لك
نظرا فلا يحدث له ساعات الامتحان ضجرا وما احسن قول حاتم

شربنا بكاس الفقر يوما وبالغنى وما منهما الا سقانا به الدهر
فما زادنا بغيا على ذي قرابة غنانا ولا ازرى باحسابنا الفقر وقال الاخر
لا نظران سامحت نعم وصابر في البلا محتسب ومثل المهلب ابن ذلك ظفر لئن

بنيه نعت فقال اكرم عادة العجز ونحن في ضر قد مسنا لا نرجو الكشفة الا ممن ابتلى وفي طوى ان
فتنه ولا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم ولنا ذنوب قد سدت طريق دعاينا فنحن اولى ان

نلوم

نلوم انفسنا ولله قدر لا سلاح لنا في دفعه الا لا حول ولا قوة الا بالله وقد اشرفنا
على اهوال فلا الله يخلصكم منها ومن كل كرب وقد جمع لنا العدو وقيل لنا اخشوه فنقول
حسبنا الله ونعم الوكيل وليس الا الاستغاثة بالله فما دلنا في الشدايد الا على طروق
بابه وعلى التضرع له فلو لا اذ جاهم باسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم نعوذ بالله من
القسوة ومن القنوط من الرحمة وما اشد الكرب وطول على الافكار الترى الا ضايقة
العون بعكا وهذه الغمرات من نعم الله عليك ومن درجات الرضوان فاشكر الله كما
تشكر على الفتوحات واعلم ان مثوبة الصبر فوق مثوبة الشكر ومن ربط جاش عمر
رضي الله عنه قوله كان الصبر والشكر بعيرين ما باليت ايهما ركبت وبهذه العزايم
سبقونا فلا نطمع بالغبار واشتدت خطاهم ونعوذ بالله من العثار ومن وصايا الفرس
ان نزل بك ما فيه حيلة فلا تعجز وان نزل بك ما ليس فيه حيلة فلا تجزع ولما اشتد
الامر بعكا وطال ارسل السلطان كتابا الى شمس الدين بن منقذ يامره بالمسير الى صاحب
المغرب يعقوب بن يوسف بن عبد المومن يستنصره لينقطع عنه مادتهم من جهة البحر ويامر
ابن منقذ ان يستقري في الطريق والبلاد ما يحى به الملك يعقوب وكيف عادته وان
نقص عليه من اول وصولنا الى مصر وما انتابها من الاجهاد وما فتحنا من بلاد الفرنج
وغيرها وتفصيل ذلك كله وامر عكا وانه لا يمضي يوم الا عن قوة يجدد وميرة في البحر
تصل وان ثغرنا حصروه ونحن حصرناهم فما تمكنوا من قتال الثغر ولا تمكنوا منا لنا
وخندقوا على انفسهم عدة خنادق فما تمكنا من قتالهم وقدموا الى الثغر ابرجة من
خشب احرقها اهله وحرموا امر [illegible] السابعون غرتنا وتنصر الله عليهم وتقتلهم قتلا
ذريعا احلت احدى الوقعتين عن عشرين الف قتيل منهم وان العدو وان حصر الثغر فانه
محصور ولو ابرز صفحته لكان باذن الله هو المكسور وتذكر ما دخل الثغر من اساطيلنا
ثلاث مرات واحراقها مراكبهم ومما لا كثر دخولها بالسيف الا ظهر سعل الى البلد
الميرة وان امر العدو قد تطاول وتجدته تتواصل ومنهم ملك الالمان في جموع جاهرها
بمجيهم واموا لها منفطرة وان الله قد قصم طاغية الالمان واخذه اخذ فرعون ملك الاغراق
في نهر الدنيا وانهم لو ارسل الله عليهم اسطولا قويا مستعدا لانقطع بحرهم ومنع ملكهم الا اخذنا
العدو بالجوع والحصر او القتال والنصر وان كانت بالجانب الغربي الاساطيل ميسرة

والرحال في القفار راهنة غير كارهة والبدار البدار وانت ايها الامير اول من استخار الله
وبشار ومن ادانا اهلا لخطابنا ولا كفوا لانجادنا الا ذلك الجناب فلم يدعه الا لواجب عليه
فقد كانت تتوقع منه همة تعد في الغرب نادرها وتستطير في الشرق سناها وتغرس
في العدوة القصوى شجرتها فتنال من في العدوة الدنيا جناها فلا يرضى همته ان يعين
الكفر الكفر ولا يعين الاسلام الاسلام واختص بالاستعانة لانه العدو جاره والجهاد
اقدر على الجار واهل الجنة اولى بقتال اهل النار ولانه بحر والنجدة بحرية ولا عزو ان
عيش الجهاد وان ذكر ما فعل بودريا وقراقوش في اطراف المغرب فتعرفه انهما ليسا من
وجوه الامرا ولا المعدودين في الطواشية والاوليا وانما كسدت سوقهما ومعهما الفاف
امثالهما والعادة جارية ان العساكر اذا طالت ذيولها وكثرت جموعها خرج منها وانضاف
اليها فلا تظهر زيادتها ولا نقصها ولا كان هاذان المملوكان ممن اذا غاب احضر ولا اذا
فقد افتقد ولا نعدو في مثلهما انهما ممن يستطيع نكاية ولا ياتي بما يوجب شكوى من جنابه ومعاذ
الله ان يامر مفسدا ان يفسد في الارض والله يوفق الهمم ويهدي دليله ويسهل سبيله
وكتب في شعبان سنة ست وثمانين   واما الكتاب الى صاحب الغرب فعنوانه
بلاغ الى محل التقوى الطاهر ومستقر حزب الله الظاهر من المغرب اعلا الله به كلمة
الايمان ورفع به منار الاحسان واوله بسم الله الرحمن الرحيم الفقير الى رحمة ربه يوسف
ابن ايوب اما بعد فالحمد لله الماضي المشية الممضي لمقتضيه البريا البرية الخفي بالحنيفية
الذي استعمل عليها من استعمر به الارض واغنى من اهلها من سالة القرض واجرى من اجرى
على يده النافلة والفرض وصلى الله على سيدنا محمد الذي انزل عليه كتابا فيه الشفاء والتبيان
الى ان قال وهذه التحية الطيبة وفادة على دار الملك ودار النسك ومحل الجلالة واهل
الاصالة ورأس الرياسة ونفس النفاسة وعلم العلم وقائم الدين وفيه ومقدم الاسلام
ومقدمه ومثبت المتقين على التقى ومعلي الموحدين على الملحدين ادام الله له النصرة
وجهزنه العسر وبسط له باع القدرة حتى استيسر فيها الكتاب واستسنى عنها الجواب
وحفزها حافزان احدهما شوق قديم كان مطل عزمه ممطلا الى ان يسر للاسباب والاخر
مرام عظيم كريم اذا استفتحت به الابواب وكان وقت المواصلة وموسم المكاتبة هنا فتح
البيت المقدس وعده من الفتوح ولم يتاخر المكاتبة الا لما هم الله مما مدانا من فضله والمفتح

بيد الله

بيد الله مدن وامصار وبلاد كبار وصغار وما بقي بيد الكفر منها اطرابلس وصور وانطاكية
يسر الله امرها بعد ان كسر الله العدو الكسرة التي لم يجبر بعدها ولم يؤخر فتح هذه المدن
الا لانه لا ان فرع الكفار بالشام استصرخ باصله فاجابوهم رجالا وفرسانا ووردانا
ووحدانا وبحرا وبرا ومركبا وظهرا وسهلا ووعرا وخرج كل يلبي دعوة بطركه ولا يختار الى
عزمه ملكه ونزلوا على عكا عدوهم البحر بامداده ويصل اليه المقاتل فلا يعتاصه وازداده وعدتهم
ما بين الف او يزيدون كلما افناهم القتل اخلفتهم النجدة فالله واستمر العدو محاصر الثغر
محصورا منا اشد الحصر لا يستطيع قتال الثغر لانه لا يامن خلفه ولا يستطيع الخروج الينا
خوفا من خندقه ولا نستطيع الدخول اليه لانه قد سور وخندق وحاجزه ورا الحجرات
واعلق ولما خرج ملك الالمان بجيشه وعاد على رسم قدم الى الشام وكان لعدو لامة
احد احد فظنوا انه يزعجنا فبعثنا اليه من تلقاه بعسكرنا الشمالي فسلك ذات الشمال
متوعرا واظهر انه مريض وكان ابوه الطاغية قد هلك في طريقه غرقا وبقي ابنه المقدم
الموخر وقائد الجمع المكسر ودمر وصلهم الى ظاهر عكا في البحر تهيبا ان يسلك البر
ولو سبق عساكرنا الى عساكر الالمان قبل دخولها الى انطاكية لاخذوهم ولكن لله
المشية ولما كانت حضرة سلطاننا الاسلام وقائد المجاهدين الى دار السلام اولى من
توجه اليه الاسلام بشكواه وبثه واستعان به على حماية نسله وحرثه وكانت مساعيه ومساعي
سلفه في الجهاد الغر المحجلة الكاشفة لكل معضلة والاخبار بذلك سائرة والاثار
ظاهرة الى ان قال وكان المتوقع من تلك الدولة العالية والعزمة العادية مع القدرة
الوافية والهمة المهدية الهادية ان يمد غرب الاسلام المسلمين باكثر مما امد به غرب الكفار
الكافرين فيملا وبها عليهم جواري كالاعلام ومدنا في اللج كانها الليالي مقلعة بالايام
تطلع علينا امالا وعلى الكفار اجالا وتردنا اما جملة واما ارسالا ولما استبطى ظن انها
قد توقفت على الاستدعا فصرح بها في هذه التحية وسير لحضور مجلسه الاظهر ومحله
الانور للامير الاجل المجاهد شمس الدين ابو الحزم عبد الرحمن بن منقذ الهدية المنتخبة
في ربعة وملمامه مثقال مسك وستمائة حبة عنبر عشرة امنا عود دهن بلسان مائة
درهم مائة قوس وتارها عشرون سرجا عشرون سيفا سهام نشم وكان دخوله
على يعقوب في العشرين من ذي الحجة بمراكش فاقام سنة وعشرين يوما وخرج وقدم الاسكندرية

في جمادى الآخرة من سنة ثمان وثمانين لم يحصل الغرض لأنه عز على يعقوب كونه لم يخاطب
بأمير المؤمنين وقد مدحه ابن منقذ بقصيدة منها ؛ سأشكر بحراً ذا عباب قطعته
؛ إلى بحر جود ما لنعماه ساحل ؛ إلى معدن التقوى إلى كعبة الهدى إلى من سمت بالذكر منه الأوائل
وكان السلطان صلاح الدين قد همّ بأن يكتب إليه بأمير المؤمنين فكتب إلى السلطان القاضي
الفاضل يقول والمملوك ليس عند المولى من أهل الاتهام والهدية المغربي مغربة كما أمر
به وكتب الكتاب على ما مثل وفخم الوصف فوق العادة وعند وصول الأمير نجم الدين
فأوضحه في أنه لا يمكن إلا التعريض لا التصريح بما وقع له أنه لا يتجه الخاطبة إلا به من لفظة
أمير المؤمنين وأن الذين شادوا بهذا ما قالوا بعلاوة لا عرفوا مكاتبة المصريين قديما
وآخر ما كتب في أيام الصالح بن رزيك خوطب به الأمير أبو محمد عبد المؤمن وولي عهده
بالأمير الأصيل النجار الحسيم الفخار وعادة الأجوبة إلى ابن رزيك الذي في أتباع
مولانا أنه مثله مترجمة بمعظم أمره وملتزم شكره هذا والصالح متوقع أن يأخذ
ابن عبد المؤمن البلاد من يده ما هو إلا أن يهرب مملوكا تطرده أن منا فيستولوا على أطراف
بلاده ويصل المشار إليه بالأمر من مراكش إلى القيروان ويلقاهم فيكسر مرة وتتماسك
أخرى وأعلم نجم الدين بذلك فأمسك مقدار عشرة ثم أنفذ نجم الدين إليه على يد ابن الحليس
بأن الهدية أسير عليه بأن لا يستصحبها وأن يستصحبها تكون هدية برسم من حواليه وأن
الكتاب لا يأخذ إلا بتصريح أمير المؤمنين وأن السلطان عن نصح برسم بذلك والملك
العادل لا يسر إلا بذلك وأنه إذا ألغى القوم خاطبهم بهذه التحية عن السلطان من
لسانه فأجابه المملوك بأن الخطاب وحده يكفي وطريق تجوّزه ممكن وأن الكتابة محجة
بعيد اللسان عن الإنكار فلا يبقى ومتى رسم على أمير المسير جعلنا خالفين شاقين
عصا المسلمين مطيعين من لا تجوز طاعته ويفتح باب يعجز موارده عن الإصدار بل
تمضي وتكشف الأحوال فإن رأيت للقوم شوكة ولما زيد وعدهم بهذه المخاطبة
واجعل كلاً يأخذه ثمنا للوعد بها خاصة فامتنع وقال أنا أقضي شغلي وأتوجه إلى
الإسكندرية وأنتظر جواب السلطان وإلى أن تحضر أمر المركب وأمر الركاب وتسير المملوك
النسخة فإن وافق سيصدق المولى بترجمة يلصقها على ما كتبه المملوك ويأمر نجم الدين
يتسلم الكتاب مع ابن الحليس حدثه عنه أنه ممتنع من السفر إلا بالمكاتبة بها وأما الذي يترجم به
مولانا

مولانا فيكون مثل الذي يدعى به على المنبر لمولانا وهو الفقير إلى الله يوسف بن أيوب وإذا كتب
إليهم ابن رزيك مثل الشيء لأجل الملك الصالح فيجب أن يكتب إليه مولانا الخادم وهذا مبلغ
رأي المملوك وقد كتب النسخة ولم يبق إلا ملك اللفظة وليست كتابة المملوك لها شرطا
والمملوك وعقبه مستجيرون بالله ثم بالسلطان من تعرضهم لكدر الحياة ومعاداة من
لا يخفى عنه خبرهم ولا تقال به عثرة والكتاب الذين يستقلون تبييض النسخة موجودون وينوبون
عن المملوك ومن كتاب له إلى السلطان يبرم مولانا بكثرة المطالبات إلا أن الله من
القدرة عليها وهيأ له فالله يطالبه بحفظ دينه ورسوله يطالبه بحق الخلافة في أمته
والسلف يطالبونه بما شيدوا ما لو حضروه لما زادوا على ما يفعله المولى وأهل الحرب يطالبونه
بالذهب والفضة والحديد والرعية تطالبه بالأمن في سربهم والاستقامة في كسبهم والسلامة
في سبلهم ونفسه الكريمة تطالبه بالجنة فهل عدم ثم الله نصر أم هل استمرت به عثرة أم
هل تمت لعدوه عليه كرة هل بات إلا راجيا هل أصبح إلا راضيا إلى آخر قال والمشهور أن ملك
الألمان خرج في مائتي ألف وأنه الآن في دون خمسة آلاف وفيها في المحرم خرجت جيوش بغداد
ومقدمها مخلص الشرابي إلى دقوقا لقتال الملك طغرل فدخل بعد أيام وقد صغر الأنف سبع
سنين يطلب العفو لأبيه فعفى عنه وأنبأنا ابن الجوزي قال في ربيع الأول ولدت امرأة
ابنين وبينهما في جوف واحد وفي جمادى الآخرة في العشرين منه خرجت جيوش الفرنج
من وراء خنادقهم وحملوا على الملك العادل والمصريين فانهزم القوم واشتد القتال فتقهقر
المصريون ودخل الفرنج خيامهم ونهبوها فكر المصريون عليهم فقتلوهم بين الخيام وردت
فرقة من المسلمين فوقعت على سور الخندق تمنع من يخرج مددا وأحدقت بالفرنج السيوف
من كل ناحية فقتل منهم مقتلة عظيمة نحوا من العشرة آلاف وقيل ثمانية آلاف وأقل ما قيل
خمسة آلاف وقتل من المسلمين نحو عشرة أنفس فقط وكان يوما مشهودا أجاز فضله المصريون
وجاءت الأخبار من الغد بموت ملك الألمان وبالوباء في أصحابه وتباشر المسلمون وفرحوا
بنصر الله فجاءت الفرنج عدة كبيرة لم يكن في حسابهم مع ملكهم كندهري وجاءتهم أموال كثيرة
وميرة وأسلحة فقويت نفوسهم وأنتنت منزلة المسلمين بريح القتلى فانتقل صلاح الدين إلى
الخروبة في السابع والعشرين من جمادى الآخرة كما انتقل عام أول ووقت الأقوات بعكا فبعث
السلطان إلى متولي بيروت فجهز بطسة عظيمة وألبس الرجال لبس الفرنج ورفعوا الصلبان

بالبطشة فوصلت الى عكا فلم تشك الفرنج انها لهم ولم يتعرضوا لها فلما حاذت مينا عكا
ودخلته ندمت الفرنج وانتعش بها المسلمون وفي شوال خرجت الفرنج من ورا خنادقهم
في اكمل اهبة واكثر عدد فالتقاهم السلطان في بعض حسنه فكان اولاده في القلب واخوه
الملك العادل في الميمنة وابن اخيه تقي الدين عمر وصاحب سنجار عماد الدين في الميسرة واتفق
للسلطان قولنج كان يعتاده فنصبت له خيمة على تل ورأى الفرنج ما لا قبل لهم به فتقهقروا
قال ابن الاثير ولولا الالم الذي حصل لصلاح الدين لكانت هي الفيصل وانما لله امر
هو بالغه فلما دخل الفرنج خنادقهم لم يكن لهم بعدها ظهور منه وعاد المسلمون الى خيامهم
وقد قتلوا من الفرنج خلقا كثيرا ثم في الثالث والعشرين من شوال نهض عسكر من المسلمين
للفرنج فخرج اليهم اربعمائة فارس غنا وشوهم القتال وتطاردوا فتبعتهم الفرنج فخرج
كمين المسلمين فلم يفلت منهم احد واشتد الغلا على الفرنج وجا الشتا وانقطعت مادة
البحر عنهم ولولا ان بعض الجهال كانوا يحملون اليهم الغلات لان الغراره بلغت عندهم
الف درهم لكانوا هلكوا جوعا وارسل اهل عكا يشكون الضجر والسامة فامر السلطان
باخراجهم واقامة البدل فكان ذلك من اسباب اخذها واشار عليه جماعة بان يرسل
اليهم النفقات الواسعة والذخاير فانهم قد تدربوا واطمانت نفوسهم فلم يفعل وتوهم
منهم الضجر وان ذلك يحملهم على العجز وكان بها ابو الهيجا السمين فنزل الملك العادل
بجنب حيفا وجمع المراكب والشواني فكان يبعث فيها عسكرا ويرد عوضهم من عكا في المراكب
لكن كان بها ستون اميرا فخرج اولئك ودخل بدلهم عشرون اميرا فكان ذلك من التفريط
ايضا وتوانى ايضا صلاح الدين واتكل على غيره وكان راس الذين دخلوا سيف الدين علي
المشطوب وكان دخولهم في اول سنة سبع وكان بها عشرون الفا ولم يخرج قراقوش وجهز
السلطان لعكا اقامة كثيرة وقوت سنة ولكن كان البحر في هيجة فتكسرت عامة المراكب

سنة سبع وثمانين وخمسماية دخلت وقد استمرت مضايقة الفرنج لعكا والقتال
بينهم وبين السلطان مستمر وكل وقت ياتيهم مدد من البحر فوصل ملك الانكتير في جمادى
الاول وكان قد دخل قبرس وغدر بصاحبها وملكها جميعها ثم سار الى عكا في خمس وعشرين
قطعة مملوة رجالا واموالا وكان رجل وقته مكرا ودهاء وشجاعة ودهى المسلمون بخطب ثقيل
وعظم الخطب وعملت الفرنج ملا عظيما من الالات لا يوثر فيه النار ولا غيرها فمنعتهم من القتال

واوبن

المسلمين وخرج امير في الليل وركبوا في شيني ولحقوا بالمسلمين وضعفت الهمم ووجلت القلوب
وراسلوا صلاح الدين فبعث اليهم ان اخرجوا من البلد كلكم على جبه وسيروا مع البحر واحملوا
عليهم وانا اجيهم من الجهة الاخرى فاكشف عنكم ودعوا البلد بما فيه فشرعوا في هذا فلم يتهيا
لهم ولا تمكنوا ولما اشتد البلا على اهل عكا وضعفت قوتهم وقلت منعتهم وتعبت بدنهم
الاشونة خرج الامير سيف الدين علي بن احمد المشطوب الهكاري الى ملك الفرنج وطلب
الامان فابى عليه الا ان ينزل على حكمه فقال فنحن لا نسلم البلد الا ان نقتل باجمعنا ورجع
مغاضبا فلما كان يوم الجمعة لثلاث عشرة بقيت من جمادى الاخرة زحف الفرنج زحفا شديدا
واشرفوا على اخذ البلد فطلب المسلمون منهم الامان على ان يسلموا اليهم عكا ومايتي الف دينار
والفا وخمسماية اسير وماية اسير من الاعيان وصليب الصلبوت فوقع الامان على ذلك
واخذوا رهاين على تمام القطيعة وملكوا عكا فلما كان في ثامن رجب جات رسلهم الى الملك
فاحضر السلطان مائة الف دينار وصليب الصلبوت والاسارى فابوا الا بجميع المال واختلف
الامر بينهم ثم حمل لهم المال واحضر صليبهم وكانوا قد ظنوا ان السلطان فرط فيه فلما
عاينوه خروا له سجدا ثم ظهر للسلطان غدرهم ومكرهم فتوقف في امضا المقرر قال
ابن شداد في سيرة صلاح الدين ان الذين بعكا بذلوا للفرنج البلد بما فيه من السلاح
والالات والمراكب ومايتي الف دينار وخمسماية اسير ومايه اسير يعرفونهم معروفين
وصليب الصلبوت على ان يخرجوا باموالهم واهلهم ويعطوا المركيس الذي توسط لهم اربعة
الاف دينار فلما وقف السلطان على ذلك انكره وعظم عليه وجمع اهل الراي واضطربت
اراوه وتقسم فكره وعزم ان يكتب في تلك الليلة ينكر عليهم المصالحة وبقي مترددا فلم يشعر
الا وقد ارتفعت صلبان الكفر على البلد ونارهم وشعارهم على السور وذلك ظهر
يوم الجمعة سابع عشر جمادى الاخرة وصاح الفرنج صيحة واحدة وعظمت المصيبة على المسلمين
ووقع فيهم البكا والنحيب فانا لله وانا اليه راجعون وجرت امور منذ ذلك ان ملك الانكتير
الانكتير ركب بالفرنج في البحر فركب السلطان في البر قبالتهم فاحضر الفرنج جماعة من
اسارى المسلمين فقتلوهم صبرا وحمل السلطان عليهم فازالوهم من مواقفهم وقتلوا منهم جماعة
واستشهد من المسلمين جماعة ثم انصرف السلطان في المال المقرر فلما دخل شعبان رحل الفرنج
بخيلهم ورجلهم وعرف السلطان ان قصدهم عسقلان فرحل بالجيش في قبالتهم وبقي يزك المسلمين

تقاتلونهم في كل مرة فقتل كانت بينهم وبين السلطان وقعة بنهر القصب استشهد فيها
اياز الطويل وكان احد الابطال ثم كانت وقعة ارسوف فكانت الدائرة على الفرنج
خذلهم الله ووصل السلطان الى عسقلان فاخلاها وشرع في هدمها في ثاني شعبان
ثم رحل الى الرملة فامر بتخريب حصنها وخرب لد ثم مضى بحرمه الى القدس ثم عاد
وجهز ملك الانكتير ساقا وشرعوا في عمارتها ثم ارسل ملك الانكتير الى السلطان في طلب
الهدنة فكانت الرسل تتردد الى الملك العادل فتقررت القاعدة ان ملك الانكتير يزوج
اخته بالملك العادل ويكون القدس وما بايدي المسلمين من بلاد الساحل للعادل ويكون
عكا لاخت ملك الانكتير مضافا الى مملكة كانت لها داخل البحر قد ورثتها من زوجها
واجاب صلاح الدين الى ذلك فاجتمع الرهبان والقسيسون وانكروا على الملكة ومنعوها
من الاجابة ثم ان الفرنج ناهوا القصد بيت المقدس فسار صلاح الدين الى الرملة
جريدة وجرت بين المسلمين وبين الفرنج عدة وقعات صغار في هذه الايام في شابورها
يكون الظفر للمسلمين ثم دخل صلاح الدين القدس لكثرة الامطار وتقوت الفرنج الى
النطرون على قصد بيت المقدس واشتد الامر وجرى بينهم وبين يزك المسلمين عدة وقعات
وجد صلاح الدين في تحصين القدس بكل ممكن حتى كان ينقل الحجارة على فرسه بنفسه اسانا
ابن البهوري وفيها في ربيع الاول احضر عبد الوهاب الكردي السارق خلعة الماهل مصفدا
بالحديد فرجم الخليفة وخلع عليه واعطي كوسات واعلاما واقطع الدسود وفي جمادى
الاولى عزل عن اسناد دار الخلافة علي بن عساد وولي جلال الدين عبيد الله بن يونس
وفي جمادى الاخر عاد ركن الساعي من تكريت الى بغداد في يوم ولم يسبق الى هذا وحصل
له خلع ومال طايل وفيه وثب الموصلي النصراني حاملو النصارى وخلع عليه بدار الوزاره
وقرئ عهده في كنيسة درب دينار وفي شوال خرج العسكر الخليفتي مع مويد الدين بن
القصاب نايب الوزاره وعز الدين نجاح الشرابي الى بلاد خوزستان ورجعوا في ذي
الحجة وفيها ظهر بحلب الشهاب السهروردي الفيلسوف الساحر وكان فقيها واعظا
ملعونا لاعتقاد بارعا في علوم الاوايل خبيرا بالسيميا فعقد صاحب حلب الملك الظاهر
له مجلسا فافتوا بكفره فحبس في هذه السنة ثم احرق بعد ان اصيب جوعا وفيها في اخرها
تاخر الفرنج الى الرملة لقلة الميرة عليهم وقال ملك الانكلتير لمن معه اني ما اراب القدس

وصورها

فصورها له فراى الوادي محيطا بها ما عدا موضع يسير من جهة الشمال فقال هذه مدينة
لا يمكن حصرها ما دام صلاح الدين حيا ومع اجتماع كلمة المسلمين وفيها مات لنا ابن الرودي
في مدينة قدم بغداد تاجر حلبي بمال طايل فعشق واحدة فانفق عليها ماله حتى افلس ولم
تبق تقدر عليها ولا له صبر عنها فدخل عليها فضربها بسكين وضرب نفسه فمات واما
هي فخيط جرحها وعاشت وحج بالناس من بغداد طاشتكين على عادته وفيها اخذ
داود امير مكة ما في الكعبة من الاموال وطوقا كان يمسك الحجر الاسود لتشعثه اذ
ضربه ذاك الباطني بعد الاربعمايه بالدبوس فلما قدم الركب عزل امير الحاج داود
وولى اخاه مكثرا وفيها انبا عيسى بن فليته بن قاسم بن محمد بن ابي هاشم الحسني فاقام داود
بنخلة الى ان توفي في رجب سنة تسع وثمانين وهو وابوه خمسه امرا مكه يحيى بن حبش
ابن اميرك الشهاب السهروردي الفيلسوف شاب فاضل متكلم مناظر قد ذكا
ذكره ابن ابي اصيبعة فقال اشه عمر كان اوحد في العلوم الحكمية جامعا للفنون الفلسفية
بارعا في اصول الفقه مفرط الذكا فصيح العبارة لم يناظر احدا الا اربى عليه وكان علمه
اكثر من عقله قال فخر الدين المارديني ما اذكى هذا الشاب وافصحه الا اني اخشى عليه
لكثرة تهوره واستهتاره بلافه ثم ان الشهاب السهروردي قدم الشام فناظر فقها
حلب ولم يجاريه احد فاستحضره الملك الظاهر وعقد له مجلسا فبان فضله وبهر
علمه وحسن موقعه عند السلطان وقربه واختص به فشنعوا عليه وعملوا محاضر بكفره وسيروها
الى السلطان صلاح الدين وخوفوه من ان يفسد اعتقاد ولده وزادوا عليه اشيا كثيرة
فبعث الى ولده الملك الظاهر بخط القاضي الفاضل يقول فيه لا بد من قتله ولا سبيل
الى ان يطلق ولا يبقى بوجه فلما لم يبق الا قتله اختار هو لنفسه ان يترك في بيت حتى يموت
جوعا ففعل به ذلك في اواخر سنة ست وثمانين بقلعة حلب وعاش ستا وثلاثين سنة
حكى ابن ابي اصيبعة هذا الفصل عن السديد محمود بن رقيقة ثم قال وحدثني الحكيم ابرهيم بن صدقة
انه اجتمع مع الشهاب هو وجماعة وخرج من باب الفرج الى الميدان فجرى ذكر السيميا
فمشى قليلا وقال ما احسن دمشق وهذه المواضع فنظرنا فاذا من ناحية الشرف جواسق
مبيضة كثيرة مزخرفة وفي طاقاتها نسا كالاقمار ومغاني وغير ذلك فتعجبنا وانذهلنا
فبقينا ساعة وعدنا الى ما كنا نعرفه الا انه عند رؤية ذلك بقيت احس من نفسي كاني في

سنة خفيه ولم يكن ادراكي كالحالة التي اتفقتها منه وحدثني بعض فقهاء العجم قال كنا مع
شهاب الدين عند القابون فقلنا يا مولانا نريد راس غنم فاعطانا عشرة دراهم
فاشترينا راسا ثم تنازعنا نحن والتركماني فقال الشيخ روحوا بالراس وانا ارضيه
فتقدمنا ثم سعى الشيخ فقال للتركماني اعطني رجلي وارضني وهو لا يرد فجا التركماني
وجذب يده وقال كيف تروح وتخليني فاذا بيد الشيخ قد انخلعت من كتفه وبقيت بيد
التركماني ودمها تشخب فتحير التركماني ورماها وهرب فاخذ الشيخ تلك اليد اليسرى
بيده اليمنى فلما صار معنا رايناها بيده منديله لا غير وقال الصبا صفر في سنة تسع
وسبعين قدم الى حلب شهاب الدين السهروردي ونزل بمدرسة الحلاوية ومدرسها
الافتخار الهاشمي فحضر وبحث وهو لابس دلق وله ابريق وعكاز فاخرج له افتخار
الدين ثوب عتابي وبغياد وغلالة ولباس وبعثها مع ولده اليه فسكت عنه ثم قال
ضع هذا واقض لي حاجة واخرج فص الحجر كالبيضة ما ملك احد مثله وقال ناد لي عليه
وعرفني كم يجيب فبلغ خمسة وعشرين الفا فاخذه العريف فطلع الى الملك الظاهر غازي فدفع فيه
ثلاثين الفا فاخذه العريف فنزل وشاور فقام اليه ابن الافتخار وعرفه فقام ووضع عليه
واخذ الفص جعله على حجر وضربه بحجر اخر فتته وقال يا ولدي خذ هذه الثياب وقبل
يد والدك وقل له لو اردنا الملبوس ما غلبنا عنه فراح الى ابيه وعرفه فبقي متحيرا واما
السلطان فطلب العريف وقال اريد الفص فقال يا مولانا اخذه الشريف ابن الافتخار فركب السلطان
ونزل الى المدرسة وقعد في الايوان وكلمه فقال السلطان ان صدق حدسي فهذا الشهاب
السهروردي ثم قام واجتمع به واخذه معه الى القلعة وصار له شان عظيم وبحث مع
الفقهاء وعجزهم واستطال على اهل حلب وصار يكلمهم كلام من هو اعلا منهم فتعصبوا
عليه وافتوا في دمه حتى قتل وقيل ان الملك الظاهر سير اليه من خنقه ثم بعد مدة نقم على
الذين افتوا في دمه وحبس جماعة واهانهم وصادرهم. حدثني السديد محمود بن رقيقة
قال كان السهروردي لا يلتفت الى ما يلبسه ولا يحتفل بامور الدنيا كنت انا وهو نتمشى
في جامع ميافارقين وعليه جبة قصيرة زرقا وعلى راسه فوطة وفي رجليه زربول كانه
خربندا وللشهاب شعر رايق حسن وله كتاب التلويحات اللوحية والعرشية وكتاب اللمحة
وكتاب هياكل النور وكتاب المعارج وكتاب المطارحات وكتاب حكمة الاشراق قلت سايـر

كتبه

[illegible]

كتبه فلسفة والحاد نسال الله السلامة في الدين قتل سنة سبع وثمانين وذكره في حرف
الالف ابن خلكان فسماه كما ذكرنا وانه قرا الحكمة والاصول على مجد الدين الجيلي شيخ الفخر
الرازي بمراغة وقال كان شافعي المذهب وله في النظم والنثر اشيا ولقبوه المؤيد
بالملكوت قال وكان يتهم بانحلال العقيدة والتعطيل ويعتقد مذهب الحكما المتقدمين
اشتهر ذلك عنه وافتى علما حلب باباحة دمه وكان اشدهم عليه زين الدين ومجد الدين
ابني جهبل ابن خلكان قال لي السيف الامدي اجتمعت بالسهروردي بحلب فرايته كثير
العلم قليل العقل قال لي لا بد ان املك الارض رايت كاني قد شربت ما البحر فقلت
لعل هذا يكون اشتهار العلم وما ناسب هذا فرايته لا يرجع ولما ان تحقق هلاكه قال
ارى قدمي اري قدمي اراق دمي وهان دمي فها ندمي قال ابن خلكان حبسه
الملك الظاهر ثم خنقه في خامس رجب سنة سبع وقال بها الدين بن شداد قتل ثم
صلب اياما وقال اخرج السهروردي ميتا في سلخ سنة سبع من الحبس فتفرق عنه اصحابه

سنة ثمان وثمانين وخمسماية قال ابن البزوري في صفر لقب بيد عبد الوهاب
ابن الشيخ عبد القادر عن وقف الجهة الخلاطية سلجوق خاتون ووجد عند ابنه عبد السلام
كتب بخط والده فيها سحر الكواكب فسيل هل هي بخطك فاقر فاتوا بقتله دينه وان
الكاتب لها والقاري لها مخطي ومعتقدها كافر وعرضت الفتاوى على الخليفة واستتيب
واحرقت الكتب في محفل وكان فيها ان لا مدبر للعالم سوى الكواكب وانها هي الرازقة
وهتكت حرمة بني عبد القادر واخرجوا عن مدرستهم وسلمت الى ابن الجوزي وفيها عزل
قاضي القضاه العباسي لانه حكم في كتاب زوره صاحبه ابو جعفر وابن الحاني وفيها
فقد شهاب الدين السهروردي رسولا الى زعيم خلاط بالتمر وفي رجب عقد مجلس بدار
استاذ دار الخلافة واحضر امير الحاج مجير الدين طاشتكين متولي الحلة ثم اخرج
مكتوب منه الخادم طاشتكين يخدم السلطان ويقول انا منتظر ورود الوسط في خدمتكم
وهذا وتنكلوا البلاد خالية فاذا هادنت الفرنج وعدت الى الشام فانا اتولى الخدمة
وقد توج المكتوب بالقلم الشريف انا ما اتنا نالي طاشتكين قط وله حقوق عبران
باطنه ردي ما عنا فانكر طاشتكين وزعم ان هذا الخط لا يعرفه فشهد عليه جماعة من خصمه
وكذبوه فحبس وكان له الى هذه السنة بسع عشرة حجة وولي ابليا امره الحاج وبني الخليفة

دارًا هائلة من حفرها في لسانها من الطير والوحش ما يبهت الرائي فلما فرغت وهبها لولده
ابي نصر محمد وفيها في المحرم اعني سنة ثمان نزل الفرنج بعسقلان وهي خراب فاخذوا
في عمارتها وفي ربيع الاخر قتل المركيس صاحب صور وكان من شياطين الفرنج قدم من
البحر في مركب بمال وتجارة ايام فتح البيت المقدس فدخل صور واهلها في هرج
ومرج وليس لهم راس يملكونه عليهم فقام بامرهم اتم قيام وضبط البلد وحصنها وحاربه
صلاح الدين مدة بعد فتح بيت المقدس فلم يقدر عليهم لتجرد على البلد من يصنع عليه ورحل
وكان المركيس اخذ من بالغ في حصار عكا وكان سبب قتله ان سنان مقدم الاسماعيلية بعث
اليه صلاح الدين ان يرسل من يقتل ملك الانكلتار وان قتل المركيس فله عشرة الاف دينار
فارسل رجلين في زي الرهبان فاتصلا بصاحب صيدا فاظهرا العبادة فانس بهما المركيس
ووثق بهما فقتلاه وقتلا معه وملك بعده صوكندهري ابن اخت ملك انكلتار وبقي الى سنة
اربع وتسعين فسقط من سطح ومات وكان لما رحل خاله الى بلاده ارسل يستعطف صلاح
الدين ويطلب منه خلعة وقال انت تعلم ان لبس القباء والشربوش عندنا عيب وانا البسهما
منك محبة فيك فبعث اليه خلعة سنية بشربوش فلبسها بعكا وفيها في صفر بيت بنو
عامر البصرة بجمعوا مع امرائهم عميرة وكان بها امير فحاربهم فلم يقوبهم وقتل جماعة ودخلوه
وفعلوا كل قبيح وذهب امتعه وفيها في جمادى الاولى استولت الفرنج على حصن الداروم
ثم ساروا ليغيروا على قريتين من القدس فصب المسلمون عليهم البلاء وتابعوا ارسال
السرايا وتلي الفرنج منهم بدواهيه فرجعوا وبعظمهم المسلمون وكان شهاب الدين الغوري
غزا الهند في سنة ثلاث وثمانين فانهزم فلما كان في هذه السنة خرج من غزنة يجيوشه
وقصد عدوه فتجهز الكافر ملك الهند وسار نحوه فلما قاربه تقهقر شهاب الدين وتبعه
ملك الهند الى ان قارب بلاد المسلمين فندب شهاب الدين شطر جيشه فداروا في الليل
حتى صاروا من وراء الهنود وحمل من الغد هو من بين ايديهم واولئك من خلفهم وكثر القتل
في الهنود واسر ملكهم في خلق من جنده وغنم المسلمون ما لا يوصف ومن ذلك اربعة عشر
فيلا فقال ملك الهند ان كنت طالب بلادنا فما بقي فيها من يحفظها وان كنت طالب مال
فعندي اموال تحمل منها جمالك كلها فسار شهاب الدين وهو معه الى قلعته واسمها
اجمير فتملكها شهاب الدين وتملك جميع ما حولها واقطع الجميع لمملوكه قطب الدين ايبك

وقتل

وقتل ملك الهند ورحل الى غزنة مؤيدًا منصورًا وكان عسكر مصر قد خرجوا للغزاة
فاقاموا بالبلس حتى اجتمعت اليهم القوافل وساروا وراء الرمل فتهيات الفرنج لكبستهم
وكمنوا لهم ثم بيتوهم بارض الحسا بطاف الا بكليبر حول العلم في صورة بدوي
فرآهم ساكنين فكبستهم في السحر بخيله ورجله فكان الشجاع من نجا بفرسه وكانت
وقعة شنعا لم يصب الناس مثلها في هذه السنين وشرد الناس في البرية وهلكوا
وحازت الفرنج اموالا وامتعة لا تحصى واسروا خمسمائة وغنموا ثلاثة الاف جمل محمله
فقويت نفوسهم للاغتنام بالظفر والغنائم وعزموا على قصد القدس وسار كندهري
الى صور وطرابلس وعكا يستنفر الناس فهيأ السلطان القدس وحصنها بالحصار
وافسد المياه التي بظاهر القدس كلها وجمع الامراء للمشورة قال القاضي بهاء الدين
ابن شداد فامرني ان احثهم على الجهاد فذكرت ما يسره الله وقلت ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما اشتد به الامر بايع الصحابة على الموت ونحن اولى من تأسى به فيجتمع عند الصخرة
ونحالف على الموت فوافقوا على ذلك وسكت السلطان طويلا والناس على رؤوسهم الطير
ثم قال الحمد لله والصلاة على رسول الله اعلموا انكم جند الاسلام اليوم ومنعته وانتم تعلمون
ان دماء المسلمين واموالهم وذراريهم متعلقة في ذمتكم وان هذا العدو ليس له من
يلقاه غيركم فلو لويتم اعنتكم والعياذ بالله طوى البلاد وكان ذلك في ذمتكم فانكم
انتم الذين تصديتم لهذا واكلتم بيت مال المسلمين فانتدب لجوابه سيف الدين
المشطوب وقال نحن مماليكك وعبيدك وانت الذي انعمت علينا وعظمتنا وليس لنا
الا رقابنا وهي بين يديك والله ما يرجع احد منا عن نصرتك الى ان نموت فقال الجماعة
مثل ما قال وانبسطت نفس السلطان واطعمهم ثم انصرفوا فلما كان عشاء الاخرة
اجتمعنا في خدمته على العادة وسمرنا وهو غير منبسط ثم صلينا العشاء وكانت الصلاة
هي الدستور العام فصلينا واخذنا في الانصراف فاستدعاني وقال اعلمت ما تجدد
قلت لا قال ان ابا الهيجاء السمين نفذ الي اليوم وقال اجتمع اليوم عنده الامراء وانكروا
موافقتنا على الحصار وقالوا لا مصلحة في ذلك فانا نخشى ان يجري علينا ما جرى على اهل
عكا وعند ذلك تؤخذ بلاد الاسلام اجمع والراي انا نعمل مصافا فان هزمناهم ملكنا
بقية بلادهم وان تكن الاخرى سلم العسكر وذهب القدس وقد انحفظت بلاد الاسلام

وعساكرها مدة بغير القدس وكان السلطان رحمه الله عنده من القدس أمر عظيم
لا تحمله الجبال فشقت عليه هذه الرسالة وأقمت تلك الليلة في خدمته إلى الصباح وهي
من الليالي التي أحياها في سبيل الله وكان مما قالوه في الرسالة إنك إن أردتنا نقيم
بالقدس فتكون أنت معنا أو بعض أهلك وإلا فالأكراد لا يدينون للأتراك ولا
الأتراك يدينون للأكراد فانفصل الحال على أنه يقيم من أهله الملك الأمجد صاحب
بعلبك وكان رحمه الله يحدث نفسه بالمقام ثم امتنع من ذلك لما فيه من خطر الإسلام فلما
قارب الصبح قلت له ينبغي أن نرجع إلى الله تعالى وهذا يوم جمعة وفيه دعوة مستجابة
ونحن في أبرك موضع فالسلطان يغتسل للجمعة ويتصدق بشيء سرا ويصلي بين الأذان والإقامة
ركعتين يناجي فيهما ربك ويفوض مقاليد أموره إليه ويعترف بعجزه عما تصدى له فلعله يرحمك
ويستجيب لك وكان رحمه الله حسن الاعتقاد تام الإيمان يتلقى الأمور الشرعية بأحسن انقياد
فلما كان وقت الجمعة صليت إلى جانبه في الأقصى وصلى ركعتين ورأيته ساجدا ودموعه
تتقاطر ثم انقضت الجمعة فلما كان العشي وصلت رقعة من عز الدين جرديك وكان في اليزك
يقول فيها إن القوم قد ركبوا بأسرهم ووقفوا في البر على ظهر ثم عادوا إلى خيامهم وقد سيرنا
جواسيس تكشف ولما كان من الغد يوم السبت وهو الحادي والعشرون من جمادى الآخرة
وصلت رقعة أخرى تخبر أن الجواسيس رجعوا وأخبروا أن القوم اختلفوا في الصعود إلى
القدس والرحيل إلى بلادهم فذهب الفرنسيس إلى الصعود إلى القدس وقالوا إنما جئنا
بسببه فلا نرجع وقال الانكلتير إن هذا الموضع قد أفسدت مياهه ولم يبق حوله ما
من أين نشرب قالوا نشرب من نهر تقوع وهو على فرسخ من القدس فقال كيف نذهب إليه قالوا
نقسم قسمين قسم يذهب إلى السقي وقسم يبقى على البلد فقال إذا أخذ العسكر البراني الذي لم
يذهب مع الدواب ويخرج عسكر البلد على الباقين فانفصل الحال على أنهم حكموا الثلاثمائة من
أعيانهم وحكم الثلاثمائة اثني عشر منهم وحكم الاثني عشر ثلاثة منهم وقد باتوا على حكم الثلاثة
فلما أصبحوا حكموا عليهم بالرحيل فلم يمكنهم المخالفة ورحلوا ليومهم وهو يوم السبت المذكور
نحو الرملة ناكصين على أعقابهم ثم نزلوا الرملة وتواتر الخبر بذلك إلى السلطان وكان يوم
فرح وسرور ثم ورد رسول الانكلتير في الصلح يقول قد هلكنا نحن وأنتم والأصلح حقن الدماء
ولا تعتقد أن خبري عن ضعف لكن الكبش يتأخر لينطح وهذا ابن أختي كند هري قد ملكته هذه

الديار

الديار وقد سلمته إليك يكون تحت حكمك وأن جماعة من الرهبان قد طلبوا منك كنائس فأجبت
بها عليهم وأنا أطلب منك كنيسة في القدس وما راسلك به مع الملك العادل قد تركته
بعني من طلبة القدس وغيرها ولو أعطيتني قرية أو مزرعة لقبلتها فاستشار السلطان
الأمراء فأشاروا بالصلح لما بهم من الضجر والتعب وعلاهم من الديون فاستقر الحال أن
الجواب أن ما جزاء الإحسان إلا الإحسان وابن أختك يكون كبعض أولادي وسيبلغك
ما أفعل معه وأنا أعطيك أكبر الكنائس وهي القمامة والبلاد التي بيدك وما بأيدينا
من القلاع الجبلية يكون لنا وما بين العملين يكون مناصفة وعسقلان وما وراءها يكون
خرابا فانفصل الرسول طيب القلب ثم ورد رسوله يقول أن يكون لنا في القدس عشرون
نفرا وأن من سكن من النصارى والفرنج في القدس لا يتعرض لهم وأما بقية البلاد
فأجابه السلطان بأن القدس ليس لكم فيه سوى الزيارة فقال الرسول وليس على الزوار
شيء فقال السلطان نعم وأطلق لهم بلاد عسقلان يزرعونها وأن يكون قرى الداروم
مناصفة ومنها قسم السلطان عمارة سور بيت المقدس على أخيه وأولاده ولم يزل
مجدا في عمارته إلى أن ارتفعت ومنها كان خلاص سيف الدين علي المشطوب أمير عكا
من الأسر على مال قرره ثم مات في آخر شوال فعين السلطان ثلث نابلس لمصالح
بيت المقدس وباقيها للأمير عماد الدين أحمد ابن المرحوم سيف الدين المشطوب ومنها
ملك الفرنج قلعة الداروم وافتتحوها بالسيف ثم كانت وقعات بينهم وبين المسلمين
كلها للمسلمين عليهم إلا وقعة واحدة كان العادل أخو السلطان مقدمها ودهمهم
العدو وهزموهم ومنها نزل السلطان على يافا وأخذها بالسيف وأخذ القلعة
بالأمان ثم طولوا ساعات الاستقبال وأمهلوا وسوفوا حتى جاءهم ملك الانكلتير بحرا
في البحر بغتة ودخل القلعة وغدروا فأسر السلطان من كان قد خرج منهم وسار إلى
الرملة ثم وقعت الهدنة بينه وبين الفرنج مدة ثلاث سنين وثمانية أشهر وجعل لهم د
من يافا إلى قيسارية إلى عكا إلى صور وأدخلوا في الصلح طرابلس وأنطاكية واستعط
منهم الداروم ودخل في هذا الصلح وهو كاره لما يجده من الحنق والغيظ لكنه مجهود وكثرت
عليه الفرنج وكتب كتاب الصلح بين الجميع في الثاني والعشرين من شعبان ووقعت
الأيمان والمواثيق على ذلك من الفريقين ونودي بذلك وكان في جملة من حضر عقد صلاح

الف

الدين صاحب الرملة فقال لصلاح الدين ما عمل احد ما عملت اسلا احصينا من خرج البنا
في البحر من المقاتله فكانوا ستماية الف رجل ما عاد منهم الى بلادهم من كل عشرة واحد بعضهم
قتلوا وبعضهم مات وبعضهم غرق واذن صلاح الدين في زيارة القدس للفرنج وتردد
الرسل بين السلطان وبين الفرنج ثم سار فنزل بالعوجا وبلغه ان الانكلتير نازل يافا
في نفر يسير فسار ليكبسه فاتى ووجد نحو عشر خيم فحمل السلطان عليهم ولم يتحركوا وكثروا
عن اسباب الحرب فامتنع عسكر السلطان من ذلك وتالم وداد عليهم وسيهم على الحمله
فلم يجب دعاه سوى ولده الملك الظاهر وقال السلطان لصاحب الحو سيف الدين المشطوب
قل للعلامك الدين ضربوا الناس يوم فتح يافا واخذوا منهم الغنيمه يحملون وكان في
نفوس العسكر غيظ على السلطان حيث فوتهم الغنيمة فغضب السلطان واعرض عن
القتال وذكر ان الانكلتير حمل يومئذ برمحه من طرف الميمنة على طرف الميسرة وما
تعرض له احد فرد السلطان وسار الى النطرون ثم الى القدس ومرض الانكلتير وكان
رسله تتردد في طلب الخوخ والكمثرى وكان السلطان يمده بذلك وبالثلج ثم عقدت
الهدنه ونزل نوعا من الغريفين فحلف جماعة من ملوك الفرنج ومن ملوك الاسلام من ال السلطان
ومن امرايه الا عيان وكان يوم الصلح يوما مشهودا عم الفرح هولآ وهولآ ورجع الى
القدس فتمم اسواره ودخل دمشق في شوال وفيها قتل سلطان الروم قلج ارسلان
سنه تسع وثمانين وخمسمايه فيها قدم على الامير شمله الى الخليفه بمفاتيح قلاع ابيه
فخلع عليه وفيها ولي امير الحاج قطب الدين سنجر الناصري وفيها اعيد الى القضا ابو طالب
على ابن البخاري وفيها نزل جيش الى المغلب على مدينة خلاط على يد الباطنية وكان قد سلطن
وضرب لنفسه الطبل في اوقات الصلوات الخمس وفيها سار السلطان طغرل الى الري
فقتل بها الف نفس وعاد الى همدان فمرض وبطل نصفه وفيها خلع على قاضي اصبهان
القادم في صحبه مويد الدين ابن القصاب واعطي سته الاف دينار وتوجه الى بلده
في صحبة الامير سنقر الطويل واملا وتوفي السلطان صلاح الدين فوصل الى
بغداد في رمضان الرسول وفي صحبته لامة الحرب التي لصلاح الدين وفرسه ودينار
واحد وسته وثلاثون درهما لم يخلف من المال سواهما وصحبته ذلك صليب من الذهب الاحمر
كان قد اخذه من القدس وفيها فتحت المدرسه التي تسب بعداد لوالدة الناصر لدين الله

وودرش

ودرس بها ابو علي اليوعاني وفيها عزل السلطان شهاب الدين صاحب غزنه وتقدم
مملوكه ايبك بالجيوش فافتتح ما امكنه وسبا وغنم شيا كثيرا ورجع سالما قال ابن الاثير
انقض كوكبان عظيمان واضطربا وسمع صوت هدة عظيمة وذلك بعد طلوع الفجر
وغلب ضوهما ضوا القمر وضوا النهار سنان بن سلمان بن محمد ابو الحسن
البصري كبير الاسماعيلية وصاحب الدعوة النزارية كان اديبا فاضلا عارفا بالفلسفة
وشي من الكلام والشعر والاخبار بعسير الدعوة النزارية وكان في حدود الخمسين
واربع مايه فيما احسب وهي نسبة الى نزار ابن المستنصر بالله معد بن الظاهر علي بن
الحاكم العبيدي وكان نزار قد بايع له ابوه وبث له الدعاه في البلاد بذلك فمنهم صباح
صاحب الدعوة وكان صباح ذا سمت ودلق واظهار نسك وله اتباع من جنسه فدخل
الشام والسواحل فلم يتم له مراد فتوجه الى بلاد العجم وتكلم مع اهل الجبال والغنم
الجهله من ملك الاراضي فقصد قلعة الموت وهي قلعة حصينة اهلها ضعاف العقول
فقرا وفيهم قوه وشجاعة فقال لهم نحن قوم زهاد نعبد الله في هذا الجبل ونشتري منكم ١
نصف القلعة بسبعة الاف دينار فباعوه اياها واقام بها فلما قوي استولى على الجميع
وبلغت عدة اصحابه ثلثماية ونيفا واتصل بملك تلك الناحيه ان ها هنا قوم يفسدون
عقايد الناس وهم في تزيد وخاف من عاقبتهم فنهض اليهم ونزل عليهم واستولى على سكره
ولذاته فقال رجل من قوم صباح اسمه علي اليعقوبي اي شي يكون لي عندكم ان انا
كفيتكم مونه هذا العدو قالوا يكون لك عندنا ذكر اي تذكرنا في تسبيحنا فقال رضيت
فامرهم بالنزول من القلعة وقسمهم ارباعا في نواحي العسكر ورتب معهم طبول الا ان
اذا سمعتم الصياح فاضربوا الطبول ثم اسهر علي اليعقوبي الفرصه من عدو الملك وهجم
عليه فقتله وصاح اصحابه فقتل الخواص علياً وضرب اولك بالطبول فارجعوا الجيش
وهجموا على وجوههم وتركوا الخيام بما فيها فنقل الجميع الى القلعة وصار لهم اموال واجناد
واستفحل امرهم واما نزار فان عمته طافت منه فناهرت اعيان الدولة على ان تولي اخاه
الامر وله ست تسمى وخاف نزار فهرب الى الاسكندريه وجرت له امور ثم قتل بالاسكندرية
وصار اهل الموت يدعون الى نزار فاخذوا قلعة اخرى وسمع اهل الجبل من الاعاجم
الى الدخول في دعوتهم وباسوا المصريين لكونهم سلوا نزارا وبنوا قلعة ثالثة واتسع

بلادهم وبلادهم واظهر واشتغل الهجوم بالسكين التي سنها لهم على اليعقوبي وارتاح منهم
الملوك وصانعوهم بالتحف والاموال ثم بعثوا داعيا من دعاتهم في حدود الخمس ماية
او بعدها الى الشام يعرف بابي محمد تخرف له امور ليلى ان ملك قلاعا من بلد جبل السماق
كانت بيد النصيرية وقام بعده سنان هذا وكان شهما مهيبا يحلا له ذكا وعود وكان لا
يرى الا ماكثا او ذاكرا او واعظا كان يجلس على حجر ويتكلم كانه حجر لا يتحرك منه الا لسانه
حتى اعتقد جهالهم فيه الالهية وحصل كتبا كثيرة واما صباح فانه قرر عند اصحابه ان
الامام هو نزار فلما طال انتظارهم له وبعث صبيهم به قال انه بين بغداد والبلاد شاسعة
ولا يمكنه السلوك وقد عزم ان يختفي في بطن جارية حامل ويجي سالما ويستانف الولادة ووضعا
بذلك اللهم ثبت علينا عقولنا وايماننا وانه احضر جارية مصرية قد احبلها وقال انه قد اختفى
في بطن هذه فاخذوا يعظمونها ويتخشعون لها ويرتقبون الامام المنتظر ان يخرج منها
فولدت ولدا فسماه حسنا فلما تسلطن خوارزم شاه محمد بن تكش واتسع ملكه وفخم امره
قصد بلاد الملاحدة وهي قلاع حصينة منيعة كثيرة يقال انها ممتدة الى اطراف الهند
وحكم على الملاحدة بعد صباح ابنه محمد ثم بعده الحسن بن محمد بن صباح المذكور فراى الحسن
من الحزم ان يتظاهر بالاسلام وذلك في سنة سبع وستمائة وادعى انه راى عليا عليه السلم
في النوم يامره ان يعيد شعار الاسلام من الصلاة والصيام والاذان وتحريم الخمر ثم
قص المنام على اصحابه وقال الحسن الدين لي فقالوا بلى وقال فتارة ادع التكاليف وتارة
اضعها قالوا سمعا وطاعة فكتب بذلك الى بغداد والنواحي واحتج بمن يجاوره من
الملوك وادخل بلاده الغزاة والفقهاء والمودنين واستخدم في ركابه الف فرس وبنى وذلك
من العجايب وجا رسوله ونايبه في صحبة رسول الخليفة الى الملك الظاهر الى حلب بان
يسلك النايب الاول وبعثهم هذا النايب لاهل قلاعهم التي بالشام فابطل عليهم الظاهر واكرمهم
وخلصوا باظهار الاسلام من خوارزم شاه رجعنا الى اخبار سنان كان اعرج لحجر وقع
عليه من الزلزلة الكاينة في دولة نور الدين فاجتمع اليه جموعه على ماذكر الموفق عبد اللطيف
لكي يقتلوه فقال لهم ولم تقتلوني قال لترجع الينا صحيحا فانا نكره ان يكون فينا اعرج فشكرهم
ودعا لهم فقال اصبروا على ملس هذا وقته ولا طهم ولما اراد ان يحلهم من الاسلام ويسقط عنهم
التكاليف امر جماعة من الاوفيا على عهد الكا عجمة تنزل الى معسكر في شهر رمضان فاكل منها

فاكلوا

فاكلوا معه واستمر امرهم على ذلك واول قدوم سنان كان الى حلب فذكر سعد الدين
عبد الكريم رسول الاسماعيلية قال حكى سنان صاحب الدعوة قال لما وردنا الشام احترت
على حلب فصليت العصر بمشهد علي بظاهر باب الجنان وثم شيخ مسن فسالته من اين يكون
الشيخ قال من صبيان حلب وقال الصاحب كمال الدين في تاريخ حلب اخبرني شيخ ادرك
سنانا ان سنانا كان من اهل البصرة وكان يعلم الصبيان وانه مر وهو طالع الى الحصون
على حمار وحش ولاه اناها صاحب الموت فربا بماس فاراد اهلها اخذ حماره فعده حيد
تركوه وبلغ من امره ما بلغ وكان يظهر النسك حتى انقادوا له فاحضرهم يوما واوصاهم
وقال عليكم بالصفا بعضكم لبعض ولا يمنعن احدكم اخاه شيا هو له فنزلوا جبل السماق
وقالوا قد امرنا بالصفا وان لا يمنع احدنا صاحبه شيا هو له فاخذ هذا زوجة هذا
وهذا بنت هذا وسموا نفوسهم الصفاه فاستدعاهم سنان الى الحصون وقتل
منهم مقتلة عظيمة قال الصاحب كمال الدين وتمكن في الحصون وانقادوا له ما لم
ينقادوا لغيره وتمكن واخبرني علي بن الهواري ان الملك صلاح الدين سير اليه رسولا
وفي رسالته تهديد فقال للرسول سا ريك الرجال الذين القاه بهم واشار الى
جماعة من اصحابه بان يلقوا انفسهم من اعلا الحصن فالقوا انفسهم فهلكوا قال
وبلغني انه احل لهم وطي امهاتهم واخواتهم وبناتهم واسقط عنهم صوم رمضان قال
وقرات بخط ابي غالب بن الحصين في تاريخه وفيه يعني محرم سنة تسع وثمانين هلك سنان
صاحب دار الدعوة النزارية بالشام بحصن الكهف وكان رجلا عظيما خفي الكيد بعيد
الهمة عظيم المخاريق ذا قدرة على الاغوا وخديعة القلوب وكتمان السر واستخدام الطغام
والغفلة في اغراضه الفاسدة واصله من قرية من قرى البصرة تعرف بعقر السدف
خدم روسا الاسماعيلية بالموت وراض نفسه بعلوم الفلاسفة وقرا كثيرا من كتب الجدل
والمغالطة ورسايل اخوان الصفا وما شاكلها من الفلسفة الاقناعية المشوقة
غير المبرهنة بنى بالشام حصونا لهذه الطايفة بعضها مستجدة وبعضها كانت قديمة
فاحتال في تحصيلها وتحصينها وتوعير مسالكها وسالمته الايام وخافته الملوك
من اجل هجوم اصحابه عليهم ودام له الامر بالشام نيفا وثلاثين سنة وسير اليه داعي
دعاتهم من الموت جماعة في عدة مرار ليقتلوه خوفا من استبداده عليه بالرياسة فكان

سنان يعلمهم ويعصمهم بخدعه وتشبه عاسبه لاجله قال كمال الدين وقرات بخط الحسين
ابن علي بن الفضل الرازي في تاريخه قال حدثني الحاجب معين الدين مودود انه حضر
عند الاسماعيليه سنه اثنتين وخمسين وخمسمايه وانه خلا بسنان وساله عن سبب كونه
في هذا المكان فقال انني نشات بالبصرة وكان والدي من مقدميها فوقع هذا الحديث في
قلبي فجرى لي مع اخوتي امر احوجني الى الانفصال عنهم فخرجت بغير زاد ولا ركوب فوصلت
حتى بلغت الالموت فدخلتها وبها الكيا محمد متحكم وكان له ابنان اسمهما الحسن والحسين
فاقعدني معهما في المكتب وكان يبرني برهما ويساويني بهما وبعد حتى مات وولي بعده
ابنه فانفذني الى الشام قال فخرجت مثل خروجي من البصرة فلم اقارب بلدا الا في القليل
وكان قد امرني باوامر وحملني رسايل فدخلت الموصل ونزلت مسجد النجارين وسرت
من هناك الى الرقة وكان معي رساله الى بعض الرفاق بها فادبت الرساله فزودني
واكترى لي بهيمه الى حلب ولقيت اخر ووصلت اليه رساله فاكترى لي بهيمة وانفذني الى
الكهف وكان الامر ان اقيم بهذا الحصن فاقمت حتى توفي الشيخ ابو محمد في الجبل وكان
صاحب الامر وتولى بعده الخواجه علي بن مسعود بغير نص الا باتفاق بعض الجماعة
ثم اتفق الريس ابو منصور بن احمد الشيخ ابي محمد والريس فهد فانفذوا من قتله وبقي
الامر شورى فجا الامر من الالموت بقتل قاتله واطلاق فهد ومعه وصيه وامر ان
نقراها على الجماعة وهذه نسخه المكتوب هذا عهد عهدناه الى الريس ناصر الدين
سنان وامرناه بقرائته على ساير الرفاق والاخوان اعاذكم الله جميع من اختلاف الارا
واتباع الاهوا اذ ذلك فتنه الاولين وبلا الاخرين وفيه عبرة للمعتبرين من تبرا من
اعدا الله واعداوليه ودينه عليه موالاه اوليا الله واولياء الله والاتحاد بالوحدة سنه جوامع
الكلم كلمة الله والتوحيد والاخلاص لا اله الا الله عروة الوثقى وحبله المتين
الا فتمسكوا به واعتصموا عباد الله الصالحين فيه صلاح الاولين وفلاح الاخرين
اجمعوا اراكم لتعليم شخص معين بنص من الله ووليه فتلقوا ما يلقيه اليكم من اوامره ونواهيه
بقول فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا
مما قضيت ويسلموا تسليما فذلك الاتحاد بالوحدة التي هي اية الحق المنجية من المهالك المودية
الى السعادة السرمديه اذ الكثرة علامة الباطل المودية الى الشقاوة المخزية والعياذ

بالله

بالله من دواله وبالواحد من الهة شتى وبالوحدة من الكثرة وبالنص والتعليم من الاراء
والاهوا المختلفة وبالحق من الباطل وبالاخرة الباقية من الدنيا الملعونة الملعون ما
فيها الا ما اريد به وجه الله ليكون علمكم وعملكم خالصا لوجهه الكريم يا قوم انما دنياكم
ملعونة لا هلها فتنة ودوامها للاخرة وخير الزاد التقوى الى ان قال اطيعوا امامكم ولو
كان عبدا حبشيا ولا تتركوا انفسكم قال كمال الدين وكتب سنان الى شهاب الدين
صاحب ... شهاب الدين صاحب قلعه جعبر ان المنايا لا تطا بمنسم الاعلى
فلين صبر مات سيد معشر صبر وان تخرج فغير مفند هذا الساحر بالتسان ولو اني
غير الحمام اتاك نصر بن ماليه ومن لابي تمام وقال ذكر ان سنانا كتب الى نور الدين
محمود بن زنكي والصحيح انه الى صلاح الدين يا ذا الذي بقراع السيف هددنا
لا قام مصرع جنبي حين تصرعه قام الحمام الى البازي يهدده واستيقظت لاسود البر
اضحى يسد فم الافعى باصبعه يكفيه ما يلاقي منه اصبعه وقفنا على تفصيله
وجمله وعلمنا ما هددنا به من قوله وعمله فيا لله العجب من ذبابة تطن في اذن
فيل وبعوضه تعد في التماثيل ولقد قالها من قبلك قوم اخرون فدمرنا عليهم
وما كان لهم من ناصرين للحق تدحضون وللباطل تنصرون وسيعلم الذين ظلموا اي
منقلب ينقلبون ولين صدر قولك في قطع راسي وقلعك لقلاعي من الجبال الرواسي
فتلك اماني كاذبه وخيالات غير صايبه فان الجواهر لا تزول بالاعراض كما ان
الارواح لا تضمحل بالامراض وان عدنا الى الظواهر وعدلنا عن البواطن فلنا في
رسول الله اسوة حسنه ما اوذي نبي ما اوذيت وقد علمتم ما جرى على عترته وشيعته
والحال ما حال والامر ما زال ولله الحمد في الاخرة والاولى وقد علمتم ظاهر حالنا
وكيفيه رجالنا وما يتمنونه من الفوت ويتقربون به الى حياض الموت وفي المثل
او للبط تهدد بالشط فهيي للبلايا اسبابا وتدرع للبلا جلبابا فلاظهرن لك
منك ويكون كالباحث عن حتفه بظلفه وما ذلك على الله بعزيز فاذا وقفت على
كتابنا هذا فكن لامرنا بالمرصاد ومن حالك على اقتصاد واقرا اول النحل واخر ص
وقال كمال الدين حدثني النجم بن اسرايل قال اخبرني المنتجب بن دفتر خوان قال
ارسلني صلاح الدين الى سنان زعيم الاسماعيليه حين وثبوا على صلاح الدين المرة

الى الله بدمشق و ... القطب النيسابوري وارسل معي سهم بيكا وتخويفا فلم يعبه بل
كتب على طرة كتاب صلاح الدين وقال لنا هذا جوابكم   جاء الغراب الى البازي يهدده
وبهت لصراخ الاسد اصبعه   يا من يهددني بالسيف خفه وقم لا قام مضجع حتى تصرعه
يا من يعوقهم الا فعى باصبعه   يكفيه ما لقيت من ذاك اصبعه   ثم قال ان صاحبكم
على طوائم جنده وانا احكم على بواطن جندي ودليله ما تشاهدانه الان ثم دعا عشرة من
صبيان القلعة وكان حصنه المنيف فاستخرج سكينا والقاها الى الخندق وقال
من اراد هذه فليلق نفسه خلفها فتبادروا جميعا وتبعوا خلفها فتقطعوا فعدنا الى
السلطان صلاح الدين وعرفناه فصالحه   وذكر الشيخ قطب الدين في تاريخه ان سنانا
سير رسولا الى صلاح الدين رحمه الله وامره ان لا يؤدي رسالته الا في خلوة ففتشه
صلاح الدين فلم يجد معه ما يخافه فاخلى له المجلس الا نفر يسير فامتنع من اداء الرسالة
حتى يخرجوا فاخرجهم كلهم سوى مملوكين فقال هات رسالتك فقال امرت ان لا اقولها
الا في خلوة فقال هذان ما يخرجان فان اردت ان تذكر رسالتك والا قم فقال فلم لا
يخرج هذان قال لان هولاء مثل اولادي فالتفت الرسول اليهما وقال لهما اذا امرتكما
عن مخدومي بقتل هذا السلطان تقتلونه قالا نعم وجذبا سيفيهما فبهت السلطان وخرج
الرسول واخذهما معه وجنح صلاح الدين الى الصلح والدخول في مراضيه   قلت هذه
رسالة مرسلة الله اعلم بصحتها   وقال كمال الدين انشدني بهاء الدين الحسن بن ابرهيم
ابن الخشاب انشدني منتجب من الاسماعيلية قال انشدني سنان لنفسه

ما اكثر الناس وما اقلهم   وما اقل في القليل النجبا
ليتهم اذ لم يكونوا خلقوا   مهذبين صحبوا مهذبا

قال وقرات على ظهر كتاب لسنان صاحب الدعوة

الفاني الدهر الى معشر   ما فيهم للخير مستمتع
ان حدثوا لم يفهموا سامعا   او حدثوا لم يسمعوا
تعدي اخرني فيهم من دينه   الاحسان ما يصنع

يوسف السلطان
الملك الناصر صلاح الدين ابو المظفر بن الامير نجم الدين ايوب بن شادي بن مروان بن
يعقوب الدويني الاصل التكريتي المولد ودوين بطرف اذربيجان من جهة اران
والكرج اهلها اكراد رواديه والروادية بطن من الهذبانية ولد سنة اثنتين وثلاثين
وخمسمائة بتكريت اذ ابوه والي تكريت وسمع من ابي طاهر السلفي والامام ابي الحسن علي بن ابرهيم
بن

ابن المسلم بن بنت ابي سعد وابي الطاهر بن عوف وعبد الله بن بري النحوي والقطب مسعود
النيسابوري وجماعة وروى الحديث وملك البلاد ودانت له العباد وافتتح الفتوحات
وكسر الفرنج مرات وجاهد في سبيل الله بنفسه وماله وكان في خلفاء الملك واقام في
السلطنة اربعا وعشرين سنة روى عنه يونس بن محمد الفارقي والعماد الكاتب وغيرهما
وتوفي بقلعة دمشق بعد الصبح من يوم الاربعاء السابع والعشرين من صفر وحضر وفاته
القاضي الفاضل وذكر ابو جعفر القرطبي امام الكلاسة انه لما انتهى في القراءة الى قوله
تعالى هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة سمعه وهو يقول صحيح وكان
ذهنه غائبا قبل ذلك ثم توفي وهذه يقظة عند الحاجة وغسله الدولعي واخرج في تابوت
وصلى عليه القاضي محيي الدين بن الزكي واعيد الى الدار التي في البستان التي كان متمرضا
فيها ودفن في الصفة الغربية منها وارتفعت الاصوات بالبكاء وعظم الضجيج حتى ان العاقل
يتخيل ان الدنيا كلها تصيح صوتا واحدا وغشي الناس من البكاء والعويل ما شغلهم عن الصلاة
وصلى عليه الناس ارسالا وتاسف الناس عليه حتى الفرنج لما كان من صدق وفائه اذا عاهد
ثم بنى ولده الملك الافضل صاحب دمشق قبة شمالي الجامع وهي التي شباكها القبلي الى
الكلاسة ونقله اليها يوم عاشوراء من سنة اثنتين وتسعين ومشى بين يدي تابوته واراد
العلماء حمله على اعناقهم فقال الافضل يكفيه ادعيتكم الصالحة وحمله مماليكه واخرج الى باب
البريد فصلي عليه قدام النسر وتقدم في الامامة القاضي محيي الدين باذن ولده ودخل
الافضل لحده واودعه وخرج وسد الباب وجلس هناك للعزاء ثلاثة ايام وذلك خلاف
العادة وخلاف السنة كان كريما جوادا بطلا شجاعا كامل العقل والقوى شديد الهيبة
افتتح بسيفه وبانقاره من اليمن الى الموصل الى اوائل المغرب الى اسوان وفي الروضتين يعني
لابي شامة ان السلطان رحمه الله لم يخلف في خزانته من الذهب والفضة الا سبعة واربعين
درهما ودينارا واحدا صوريا ولم يخلف ملكا ولا عقارا وخلف سبعة عشر ولدا
ذكرا وابنة صغيرة. ومن انشاء العماد الكاتب الى الخليفة على لسان الافضل اصدر العبد
هذه الخدمة وصدره مشروح بالولاء وقلبه معمور بالضياء ويده مرفوعة الى السماء ولسانه
ناطق بالشكر والدعاء وجنانه ثابت من المهابة والمحبة على الخوف والرجاء وطرفه مغض
من الحياء وهو للارض مقبل وللفرض متقبل ... بما قدمه من الخدمات ودخر الاقوات

وقد احاطت العلوم الشريفة بان الوالد السعيد الشهيد الشديد السديد المجيد المبير
للشرك المبيد له نزل مستبقيا على حدود الجد ومصر بل الامصار باجمعها ديار الجهاد شاهد
والاعاد والاغوار في نظر عزمه واحد والبيت المقدس من فتوحاته والملك المعظم من
سماح عزماته وهو الذي ملك ملوك الشرق وعلى عناقها وارسى طواعية الكفر وشد
خناقها وقمع عبدة الصلبان وقطع اصلابها وجمع كلمة الايمان وعصم جنابها وبسط
عدله مبسوط ووده محفوظ وعمله بالصلاح منوط وخروج من الدنيا وهو في الطاعة
الامامة داخل قال العماد لما توفي وملكت اولاده كان العزيز عثمان بمصر يقرب
اصحاب ابيه ويكرمهم والافضل بدمشق يفعل بضد ذلك واشار عليه جماعة كالوزير
الجزري الذي استوزره يعني الضياء بن الاثير وفيه يقول فتياننا الشاغوري

متى ارى وزيركم وما له من وزر يقلعكم الله بذا اوان الجزري

ومن كتاب فاضل اما هذا البيت فان الاخامسة اتفقوا فملكوا وان الاثناعشرية اختلفوا فهلكوا قال خلف
من الاولاد صاحب مصر السلطان الملك العزيز والملك الافضل علي صاحب دمشق
والملك الظاهر غازي صاحب حلب والملك المعز فتح الدين اسحق والملك المؤيد نجم الدين
مسعود والملك الاعز شرف الدين يعقوب والملك الظاهر مظفر الدين خضر والملك
الزاهر مجير الدين داود والملك المفضل قطب الدين موسى والملك الاشرف عز الدين محمد
والملك المحسن ظهير الدين احمد والملك المعظم فخر الدين توران شاه والجواد ركن الدين ايوب
والغالب نصير الدين ملكشاه وعماد الدين شادي ونصرة الدين مروان والمنصور ابا بكر
ومونسة زوجة الكامل وهؤلاء كلهم عاشوا بعده وكان اكثرهم بحلب عند الظاهر واخرهم
موتا توران شاه توفي بعد اخذ حلب وكان بقلعتها قال الموفق عبد اللطيف اتيت
الشام والملك صلاح الدين بالقدس فاتيته فرايت ملكا عظيما يملا العيون روعة والقلوب
محبة قريبا بعيدا سهلا محببا واصحابه يتشبهون به يتسابقون الى المعروف كما قال الله
ونزعنا ما في صدورهم من غل واول ليلة حضرته وجدت مجلسا حفلا باهل العلم يتذاكرون
في اصناف العلوم وهو يحسن الاستماع والمشاركة ويأخذ في كيفية بناء الاسوار وحفر
الخنادق ويتفقه في ذلك ويأتي بكل معنى بديع وكان مهتما في بناء سور القدس وحفر
خندقه يتولى ذلك بنفسه وينقل الحجارة على عاتقه ويتاسى به جميع الناس الاغنياء والفقراء

والاقويا

والاقويا والضعفاء حتى العماد الكاتب والقاضي الفاضل ويركب لذلك قبل طلوع الشمس
الى وقت الظهر ويأتي داره فيمد السماط ثم يستريح ويركب العصر ويرجع في ضوء المشاعل
ويصرف اكثر الليل في تدبير ما يعمل نهارا وقال له بعض الصناع هذه الحجارة التي نقطع
من اسفل الخندق ويبنى بها السور رخوة فقال هكذا تكون الحجارة التي تلي الماء والنداوة
فاذا اضربتها الشمس صلبت وكان يحفظ الحماسة ويظن ان كل فقيه يحفظها فكان ينشد
القطعة فاذا توقف في موضع استطعم فلا يطعم وجرى له ذلك مع القاضي الفاضل ولم
يكن يحفظها فخرج من عنده فلم يزل حتى حفظها وكتب لي صلاح الدين بثلاثين دينارا في الشهر
على ديوان الجامع بدمشق واطلق لي اولاده رواتب حتى تقرر لي في كل شهر مائة دينار ورجعت
الى دمشق واكببت على الاشتغال واقراء الناس بالجامع قال وكان عمه اسد الدين شيركوه
من امراء دولة نور الدين وكان اخوه ايوب معروفا بالصلاح وكان شيركوه معروفا بالشجاعة
وكان لايوب بنون وبنات ولم يكن صلاح الدين اكبرهم وكان شحنة دمشق ويشرب
باشر الملك طلق الخمر واللذات وكان محببا خفيفا على قلب نور الدين يلاعبه بالكرة
وملك مصر وكانت وقعته مع السودان سنة اربع وستين وكان النوبة مائتي الف فنصر
عليهم وقتل اكثرهم وهرب الباقون وابنى سور القاهرة ومصر على يد الامير قراقوش
وفي هذه الايام ظهر ملك الكرج وملك دوين وقتل من المسلمين ثلاثين الفا ثم في سنة سبع
قطع صلاح الدين خطبة العاضد بمصر وخطب للمستضي ومات العاضد واستولى
صلاح الدين على القصر وذخائره وقبض على الفاطميين وفي سنة ثمان وستين فتح اخوه
شمس الدولة برقة وتفوسا وفي سنة تسع مات ابوه ونور الدين وافتتح اخوه شمس
الدين الدولة اليمن وقبض على المتغلب عليها عبد النبي بن مهدي المهدي وكان شاعرا واسود
وفي سنة سبعين سار من مصر وملك دمشق وفي سنة احدى وسبعين حاصر عزاز ووثبت
عليه الاسماعيلية فجرحوه وسلمه الله قال ابن واصل حاصر عزاز ثمانية وثلاثين يوما [illegible]
وقتل عليها كثير من عسكره وكانت تجاور لي الامير جيبه كان السلطان يحضر فيها ويحض الرجال على
الحرب فحضرها والباطنية الذين هم الاسماعيلية في زي الاجناد فوقف اذ قفز عليه واحد منهم
فضرب راسه بسكين فلولا المغفر الزرد كان تحت القلنسوة لقتله فامسك السلطان يد الباطني
بيديه فبقي يضرب في عنقه ضربا ضعيفا والزرد يمنع فادرك السلطان مملوكه بازكوج الامير

فامسك السكين بجرحته وما سيبها الباطني حتى بضعوه ووثب آخر فوثب عليه الامير داود
ابن منكلان فجرحه الباطني الاخر في جنبه فمات وقتل الباطني ثم جا باطني ثالث فامسكه
الامير علي بن ابي الفوارس فضمه تحت ابطه وبقيت يد الباطني من وراه لا تقدر على
الضرب بالسكين ونادى اقتلوني معه فقد قتلني واذهب قوتي وطعنه ناصر الدين
محمد بن شيركوه فقتله وانهزم اخر فقطعوه وركب السلطان الى مخيمه ودمه سايل على
خده واحتجب في بيت خشب واعترض الجند فمن انكره ابعده ثم تسلم القلعة بالامان
وفي سنة ثلاث كسرته الفرنج على الرملة وفر عندما بقي في نفر يسير وفي سنة خمس وسبعين
كسرهم واسر ملوكهم وابطالهم وفي سنة ست امر ببنا قلعة القاهرة على جبل المقطم وفي
سنة ثمان عبر الفرات وفتح حران وسروج والرها والرقة والبيرة وسنجار ونصيبين
وآمد وحاصر الموصل وملك حلب وعوض عنها سنجار لصاحبها عماد الدين زنكي الذي
في العادة بالموصل ثم ان صلاح الدين حاصر الموصل ثانيا وثالثا ثم هادنه صاحبها
عز الدين مسعود ودخل في طاعته ثم تسلم صلاح الدين التوارخ وشهرزور وانزل
اخاه الملك العادل عن قلعة حلب وسلمها لولده الملك الظاهر وعمره احدى عشر سنة
وسير العادل الى ديار مصر نايبا عنه وكان بها ابن اخيه تقي الدين عمر بن شاهنشاه
فغضب حيث عزله واراد ان يتوجه الى المغرب وكان شهما شجاعا فخاف صلاح الدين
من مغبة امره فلاطفه بكل وجه حتى رجع مغضبا وقال انا افتح بسيفي ما استغني به عما
في ايديكم وتوجه الى خلاط وفيها بكتمر فالتقى هو وبكتمر فانكسر بكتمر شر كسرة وسير
تقي الدين وفرسه الى دمشق وانا ابها وكان يوما مشهودا وفي سنة ثلاث وثمانين
فتح صلاح الدين طبرية ونازل عسقلان وكانت وقعة حطين واجتمع الفرنج وكانوا اربعين
الفا على تل حطين وسبق المسلمون الى الما وعطش الفرنج واسلموا نفوسهم واخذوا عن
بكرة ابيهم واسرت ملوكهم ثم سار واخذ عكا وبيروت وقلعة كوكب والسواحل وسار
فاخذ القدس بالامان بعد قتال شديد ثم ان قراقوش التركي مملوك تقي الدين
عمر المذكور توجه الى المغرب لما رجع عنها مولاه واستولى على اطراف المغرب وكسر عسكر تونس
وخطب لبني العباس وان ابن عبد المومن قصد قراقوش ففر منه ودخل البرية ثم دخل
اليه مملوك اخر يسمى بوزبه واتفقا ثم اختلفا ولوا بس مع الملثمة لاحظوا المغرب باسره

ووصلت

ووصلت خيل الملثمة الى قرب مراكش وتهيا الموحدون للهرب لكن ارسلوا رجلا يعرف
بعبد الواحد له راي ودها فقاتل الملثمة بان افسد اكثر اصحابه والعرب الذين حوله
بالاموال وكسرهم مرات وجرت امور ليس هذا موضعها ثم ان الفرنج نازلوا عكا مدة طويلة
وكانوا انما لا يحصون وتعب المسلمون واشتد الامر قال ومدة ايامه لم يختلف عليه احد من
اصحابه وجمع الناس بمونته وكان الناس في زمانه يامنون ظلمه ويرجون رفده واكثر ما
كان يصل عطاه الى الشجعان والى اهل العلم واهل البيوتات ولم يكن لمبطل ولا لصاحب
هزل عنده نصيب ووجد في خزانته بعد موته دينار صوري وثلاثون درهما وكان حسن
الوفا بالعهود حسن العقيدة اذا قدر كثير الصفح واذا نازل بلدا واشرف على اخذه
ثم طلبوا منه الامان امنهم ببذل لم يجيبه لذلك لعوان حظهم وقد عاقد الفرنج وهادنهم
عندما ضرس عسكره الحرب وملوا قال القاضي بها الدين بن شداد قال لي السلطان في
بعض محاوراته في الصلح اخاف ان اصالح وما ادري اي شي يكون مني فيقوى هذا العدو
وقد بقيت لهم بلاد فيخرجون لاستعادة ما في ايدي المسلمين وترى كل واحد من هولاي
يعني اخاه واولاده واولاد اخيه قد قعد في راس تل يعني قلعته وقال لا انزل ويهلك
المسلمون قال ابن شداد فكان والله كما قال توفي عن قريب واشتغل كل واحد من اهل
بيته بناحية ووقع الخلف بينهم وبعد فكان الصلح مصلحة فلو قدر موته والحروب قايمة
فكان الاسلام على خطر وقال الموفق حم صلاح الدين فقصده من الحضرة عند هاتف القوه
ومات قبل الرابع عشر ووجد الناس عليه شبيها بما يجدونه على الانبيا وما رايت ملكا
حزن الناس لموته سواه لانه كان محببا يحبه البر والفاجر والمسلم والكافر ثم تفرق
اولاده واصحابه ايادي سبا ومزقوا في البلاد قلت ولقد اجاد في مدح العماد رحمه الله حيث يقول
وللناس بالملك الناصر الصلاح صلاح ونصر كبير   هو الشمس افلاكه في البلاد ومطلعه سرجه والسرير
اذا ما سطا او حبى واحتبى فما الليث من حاتم ما ثبير   وقد طول القاضي شمس الدين بن خلكان ترجمته
فعلها في تسع وثلاثين ورقة بالقطع الكبير فما فيها ان صلاح الدين قدم به ابوه
وهو رضيع فناب ابوه ببعلبك لما اخذها الاتابك زنكي في سنة ثلاث وثلاثين وقيل انهم
خرجوا من تكريت في الليلة التي ولد فيها صلاح الدين فتطيروا به ثم قال بعضهم لعل فيه الخيرة
وانتم لا تعلمون ثم خدم نجم الدين ايوب وولده صلاح الدين السلطان نور الدين وصبر مما

اميرين وكان اسد الدين شيركوه اخو نجم الدين ايوب ارفع منه منزلة عنده فانه كان مقدم جيوشه
وولي صلاح الدين وزارة مصر وهي كالسلطنة في ذلك الوقت بعد موت اخيه اسد الدين
سنة اربع وستين فلما هلك العاضد في اول سنة سبع اشتغل بالامر مع مداراة نور
الدين ومراعاته فان نور الدين عزم على قصد مصر ليعزله عن نيابته ثم توفي ولما مات نور الدين
سار صلاح الدين الى دمشق مظهرا انه يعمل بنفسه اتابكا لولد نور الدين لكونه صبيا
فدخلها بلا كلفة واستولى على الامور في سلخ ربيع الاول سنة سبعين ونزل بالبلد بدار
ابيه المعروفة بالشريف العقيقي التي هي اليوم الظاهرية ثم تسلم القلعة وصعد اليها
وازال الصبي من الوسط ثم سار فاخذ حمص ولم يشتغل باخذ قلعتها في جمادى الاولى
ثم نازل حلب في سلخ الشهر وهي الوقعة الاولى فجهز السلطان غازي بن مودود اخاه
عز الدين مسعود في جيش كثير لحربه فترحل عن حلب ونزل على قلعة حمص واخذها
وجا عز الدين مسعود فاخذ معه عسكر حلب وسار الى قرون حماه فراسلهم وراسلوه
وحرص على الصلح فابوا وراوا ان المصاف معه ينالون به غرضهم لكثرتهم فالتقوا فكانت
الهزيمة عليهم واسر جماعة وذلك في تاسع عشر رمضان ثم ساق ونزل على حلب ثانيا
فصالحوه واعطوه المعرة وكفرطاب وبارين وجا صاحب الموصل غازي فحاصر اخاه
عماد الدين زنكي بسنجار لكونه انتمى الى صلاح الدين ثم صالحه لما بلغ غازي كسرة اخيه
مسعود ونزل نصيبين وجمع العساكر وانفق الاموال وعبر الفرات وقدم حلب
فخرج اليه ابن عمه الصالح بن نور الدين واقام على حلب مدة ثم كانت وقعة تل السلطان
وهي منزلة بين حلب وحماه جرت بين صلاح الدين وبين غازي صاحب الموصل في سنة احدى
وسبعين فهزم صلاح الدين وزحم غازي فعدا الفرات واعطى صلاح الدين لابن اخيه
عز الدين فرخشاه بن شاهنشاه صاحب بعلبك اخيه السلطان غازي ثم سار فتسلم
منبج وحاصر قلعة عزاز ثم نازل حلب ثالثا في اخر السنة واقام عليها مدة فاخرجوا
ابنة صغيرة لنور الدين الى صلاح الدين فسالته عزاز فوهبها لها ثم دخل الديار المصرية
واستعمل على دمشق شمس الدولة توران شاه وكان قد جا من اليمن وخرج سنة ثلاث من
مصر فالتقى الفرنج على الرملة فانكسر المسلمون يومئذ وثبت صلاح الدين وتحيز بمن معه
ثم دخل مصر ولم يشعث العسكر وتقدم اكثر هذا القول معرفا ونازل حلب في اول سنة

تسع

تسع فطلب منه عماد الدين زنكي بن مودود ان ياخذ ما اراد من القلعة ويعطيه سنجار
ونصيبين وسروج وغير ذلك فحلف له صلاح الدين على ذلك وكان صلاح الدين قد
اخذ سنجار من اربعة اشهر واعطاها لابن اخيه تقي الدين عمر ثم عوضه عنها ودخل حلب
ورتب بها ولده الملك الظاهر وجعل اتابكه بازكوج الاسدي ثم توجه لمحاصرة الكرك
وجاءه اخوه العادل من مصر فنفذت الفرنج وجاءوا الى الكرك نجدة فسير صلاح الدين
تقي الدين عمر يحفظ له مصر ثم رحل عن الكرك في نصف شعبان واعطى اخاه العادل
حلب فدخلها في اواخر رمضان وقدم الظاهر واتابكه فدخلا دمشق في شوال وقيل
ان العادل اعطاه عوض حلب ثلثمائة الف دينار ثم ان صلاح الدين راى ان يعود العادل
الى مصر ويعود الظاهر الى حلب اصلح وعوض بعد العادل بحران والرها وميافارقين
وفي شعبان سنة احدى وثمانين نزل صلاح الدين على الموصل وترددت الرسل بينه
وبين صاحبها عز الدين ثم مرض صلاح الدين فرجع الى حران واشتد مرضه حتى ايسوا
منه وحلفوا لاولاده بامره وجعل وصيه عليهم اخوه العادل وكان عنده ثم عوفي
ومر بحمص وقد مات بها ابن عمه ناصر الدين محمد بن شيركوه فاقطعها لولده شيركوه
ثم استعرض التركة فاخذ اكثرها قال عز الدين بن الاثير وكان عمر شيركوه اثنى عشرة
سنة ثم انه حضر بعد سنة عند صلاح الدين فقال له الى اين بلغت في القران فقال الى
قوله ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا فعجب الحاضرون من
ذكائه وفي سنة اثنتين وثمانين عاد الظاهر فدخل حلب وتوجه ابوه بعدما [illegible] اخيه
الملك العادل فدخل بها على في السنة وفي سنة ثلاث افتتح صلاح الدين بلاد الفرنج
وقهرهم واباد خضراءهم واسر ملوكهم وكسرهم على حطين وافتتح القدس وعكا وطبرية
وغير ذلك وكان قد نذر ان يقتل البرنس ارناط صاحب الكرك فكان ممن وقع في
اسره يومئذ وكان قد غدر به قوم من مصر في حال الهدنة بعذر بهم فناشدوه الصلح
الذي بينه وبين المسلمين فقال ما فيه استخفافا بالنبي صلى الله عليه وسلم وقتلهم فاستحضرهم
صلاح الدين ثم ناول الملك جفري شربة من جلاب وثلج فشرب وكان في غاية العطش ثم
ناولها البرنس فشرب فقال السلطان للترجمان قل للملك جفري انت الذي سقيته والا
انا فما سقيته ثم استحضر البرنس في مجلس اخر وقال انا انتصر لمحمد منك ثم عرض عليه الاسلام

فامتنع فتسلم الينجاه وحل بها كنفه وتممه بعض لخاصته وافتتح في هذا العام من الفتوحات
ما لم يتفقه ملك قبله وطار صيته في الدنيا وهابته الملوك ثم وقع المأتم والنوح في جوانب
الفرنج والى رومية العظمى ونودي بالنفير الى نصرة الصليب فاتى السلطان من عساكر
الفرنج ما لا قبل له به واحاطوا بعكا لحاصروها فسار السلطان اليها ليكشف عنها فبذل
صبره وبذل فوق طاقته وجرت له امور وحروب قد ذكرتها في الحوادث وبقي مرابطا
عليه بحواش تستتب فالله يثيبه الجنة برحمته وكتب القاضي الفاضل بطاقة الى ولده
الملك الظاهر صاحب حلب لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة ان زلزلة الساعة
شيء عظيم كتبت الى مولانا السلطان الملك الظاهر احسن الله عزاه وجبر مصابه
وجعل فيه الخلف في الساعة المذكورة وقد زلزل المسلمون زلزالا شديدا وقد
حفرت الدموع المحاجر وبلغت القلوب الحناجر وقد ودعت اباك ومخدومي وداعا
لا تلاقي بعده وقبلت وجهه عني وعنك واسلمته الى الله مغلوب الحيلة ضعيف القوة
راضيا عن الله ولا حول ولا قوة الا بالله وبالباب من الجنود المجندة والاسلحة
المغمدة ما لم يدفع البلاء ولا ما يرد القضا تدمع العين ويخشع القلب ولا نقول الا
ما يرضي الرب وانا بك يا يوسف لمحزونون واما الوصايا فما يحتاج اليها والآراء فقد
شغلني المصاب عنها واما لائح الامر فانه ان وقع اتفاق فما عدمتم الا شخصه الكريم وان
كان غيره فالمصائب المستقبلة اهونها موته وهو الهول العظيم وقد كتب الى صلاح الدين
ابن التعاويذي بهذه القصيدة يمدحه . ان كان دينك في الصبابة ديني فقف المطي برملتي يبرين
والثم ثرى لو شارفت بي هضبة ايدي المطي لثمته بجفوني وانشد فؤادي في الظباء معرضا فبغير غزلان الصريم جنوني
ونشيدتي بين الخيام وانما غالطت عنها بالظباء العين لله ما اشتملت عليه قبابهم يوم النوى من لولو مكنون
من كل تائهة على اترابها في الحسن غانية عن التحسين خود ترى قمر السماء اذا بدت ما بين سالفتيها وجبين
يا سلو ان ضاعت عهودي عندكم فانا الذي استودعت غير امين هيهات ما للسفح ودار ... وقد
لبت الضنين على المحب بوصله لغرامه من صلاح الدين ۞ وللعلم الدين الشاماني فيه قصيدة مطلعها
ارى النصر مقرونا برايتك الصفرا فسر واملك الدنيا فانت بها احرى ۞ وللمهذب عمر بن محمد الشحنة الموصلي قصيدة
فيه مطلعها ۞ سلام مشوق قد براه التشوق ، على جيرة الحي الذين تفرقوا ، واني امرؤ احببتكم لمكارم
سمعت بها والاذن كالعين تعشق وقالت لي الآمال ان كنت لاحقا بابنا ايوب فانت الموفق

وللقاضي

وللقاضي هبة الله بن سنا الملك فيه

لست ادري باي فتح تهنا يا منيل الاسلام ما قد تمنى انهنيك اذ ملكت شاما ام نهنيك اذ ملكت عدنا
قد ملكت الجنان قصرا فقصرا اذ ملكت الشام حصنا فحصنا لم تقف قط في المعارك الا يا ابن ...
قصدت نحوك الاعادي فرد الله ما املوه عنك وعنا حملوا كالجبال عظما ولكن جعلتها جبالك عهنا
كل من يجعل الحديد له ثوبا وتاجا وطيلسانا وردنا خانهم ذلك السلاح فلا الرمح تثنى ولا المهند طنا
وتولت تلك الخيول ولم تثن عليها بانها البيض تثنى ونصيدهم بحلقة صيد تجمع الليث والغزال الاغنا
وجرت منهم الدماء بحارا اجرت فوقها الجرائر سفنا ضيعت فيهم ولنه وحش ورقص المشرفي فيها وغنى
وحوى الاسر كل ملك يظن الدهر يفنى وملكه ليس يفنى والمليك العظيم فيهم اسير في اداهم ...
كم تمنى اللقاء حتى راه فتمنى لو انه ما تمنى دق من رحمة له القيد والغل عليه فكلما ان انا
واللعين البرنس ارباطه ... للدين مما ان ذكيته ... لكن قدمته فحود
قد ملك البلاد شرقا وغربا وحوت الافاق سهلا وحزنا واعتدى الوصف ... كبيرا
ومن فتوحاته انه افتتح الاسكندرية سنة اثنتين وستين فلما ... اهلها المحاصر لهم
الفرنج اربعة اشهر ثم كشف عنه عمه اسد الدين شيركوه ففارقها وقدما الشام ثم
تملك وزارة العاضد بعد عمه شيركوه سنة اربع وستين وقتل شاور وحارب السودان
واستتب له الامر بديار مصر فاعاد بها الخطبة العباسية واباد بني عبيد وعبيدهم ثم
تملك دمشق بعد نور الدين ثم حمص وحماه ثم حلب وآمد وميافارقين وعدة بلاد
بالجزيرة وديار بكر وارسل اخاه فافتتح له اليمن وسار بعض عسكره فافتتح له بعض بلاد
افريقية ثم لم يزل امره في ارتقا وملكه في اتساع الى ان كسر الفرنج نوبة حطين واسر
ملوكهم ثم افتتح طبرية وعكا وبيروت وصيدا ونابلس والناصرة وقيسارية وصفورية
والشقيف والطور وحيفا ومعليا والفولة وغيرها من البلاد المجاورة لعكا وسبسطية
التي يقال بها قبر زكريا وبيسان وجبيل وعسقلان وغزة وبيت المقدس ثم نازل صور
مدة اشهر فلم يقدر عليها فترحل عنها وافتتح هونين وكوكب وانطرطوس وجبلة وبكسرائيل
واللاذقية وصهيون وقلعة العيد وقلعة الجماهرية وبلاطنس والشغر وبكاس وسرمانية
وبرزية ودربساك وبغراس وكانا كالجناحين لانطاكية ثم عقد هدنة مع ابرنس انطاكية
ثم افتتح الكرك والشوبك وصفد والشقيف المنسوب الى ارنون وحصونا اخرى عدة
ذكرت سائرها في الحوادث رحمه الله واسكنه جنته بفضله سنة تسعين وخمسمائة

في ربيع الاول ولي مجاهد الدين ياقوت الرومي شحنكية بغداد فاقام سياسة البلد اخلا
من المفسدين وفيها كان الحرب بين السلطان شهاب الدين الغوري ملك غزنة وبين بنارس
سلطان الهند وذلك ان ايبك مملوك شهاب الدين لما دخل عام اول الهند فاغار على الاطراف
بنو بنارس وغضب وهو اكبر ملوك الهند قال ابن الاثير ولايته من حد الصين الى بلاد
ملاطوا ومن البحر الى مسيرة عشر ايام من لهاوور عرضا فحشد وجمع وقصد الاسلام
فطلبه شهاب الدين بجيوشه فالتقى الجمعان على نهر ماحون قال وكان مع الهندي
سبع مائة فيل كذا قال ابن الاثير قال وقيل ان عسكره كان الف الف نفس ومن جملة عسكره
عدة امراء مسلمين كانوا في تلك البلاد فصبر الفريقان واشتد الحرب وكان النصر لشهاب
الدين وكثر القتل في الهنود حتى جافت منهم الارض ولحق شهاب الدين تسعين فيلا
وقتل بنارس ملك الهند ولم يعرفه احد الا انه كان قد شد اسنانه بالذهب فبذلك عرف
ودخل شهاب الدين بلاد بنارس وحمل من خزائنها الف واربعمائة حمل وعاد الى غزنة
ومن جملة الفيلة التي اخذها فيل ابيض حدثني بذلك من راه فلما عرضت الفيلة على شهاب
الدين خدمت جميعها الا الفيل الابيض فانه لم يخدم وفيها في جمادى الاولى وصل رسول
من خوارزم شاه وصحبته ابن عبد الرشيد الذي سار في رسالة الخليفة الى خوارزم شاه
يامره بمحاربة المارق طغرل السلجوقي ومرض عبد الرشيد واحس بالموت فامر ولده بالمسير
الى خوارزم شاه لاداء الرسالة فقابل الرسالة بالسمع والطاعة وسار بجيوشه فحارب طغرل
وانتصر عليه وهزم عساكره ونهب امواله وقتله وحمل راسه الى بغداد صحبة رسوله فاورد
للقبة الموكب واتى بالراس على رمح ودخل قابله وهو شاب تركي من امراء خوارزم شاه
واول كتابه الحمد لله الذي جعل المملوك من اخلص للمالك عقيدة ونية واصحهم ولاية
وعبودية واصفاهم سريرة وطوية ولما وردت المراسيم بردع ذلك المارق المنافق
ارسل المملوك داعيا له الى الطريق اللاحب ومشيرا عليه باعتماد الواجب ليعود الى الطاعة
للامام وعارضا عليه تجديد الاسلام او الاستعداد للمصاف والرجوع الى الحكم الا ...
وكان بالري فزلف المملوك اليه في كتيبة شهباء من جنود الامام مقنعة بالزرد المحبوك
محففة بالملكة محفوفة بالملوك سابق حديدها وسود مراسودها وهي كالجبل العظيم
والليل البهيم خلفها السباع والذوبان وفوقها النسور والعقبان وبين يديها شخص

المنون

المنون عريان الى ان وافت ذلك المخذول وموضع حتفه جيش يعجز عن الاحصا وتضيق عنهم الفضا
فصب الله عليهم العذاب لما تراءى الجمعان وبرز الكفر الى الايمان فتلا المملوك قاتلوهم
يعذبهم الله بايديكم الى ان قال وانفذ الله حكمه في الطاغية وعجل بروحه الى الهاوية وملك
المملوك بلادهم قال ابن الاثير وكان الخليفة قد سير نجدة لخوارزم شاه وسير له مع
وزيره ابن القصاب خلع السلطنة فنزل على فرسخ من همذان فارسل اليه خوارزم بعد
الوقعة يطلبه اليه فقال مويد الدين ابن القصاب ينبغي ان تحضر انت وتلبس خلعة امير
المؤمنين من خيمتي وترددت الرسل بينهما فقيل لخوارزم شاه انها حيلة على القبض
عليك فرحل خوارزم شاه ليأخذه فاندفع بين يديه والتجأ الى بعض الجبال فامتنع به
انبانا ابن البزوري قال وهذا طغرل سول له الشيطان عصيان الديوان فتقمص
سربال الطغيان وراسل الديوان وقال اعمروا لي دار السلطنة فهدمت ثم سارت العساكر
الديوانية لقتاله مع الوزير بن يونس وفيها عزل ابو المظفر عبيد الله ابن يونس من
الاستاذ دارية وحبس الى ان مات وولي مكانه تاج الدين ابو الفتح بن رزين وفيها
قبض على الب غازي متولي الحلة واخذت امواله وقتل جزاء بما كذب على الامير طاشتكين
وفي رمضان احضر مويد الدين بن القصاب وشافهه الخليفة بالوزارة وقال يا محمد
قد قلدتك ما ورا بابي وجعلته في ذمتك فاعمل فيما تراه برايك وخلع عليه ورتب
ضرب النوبة على بابه على قاعدة الوزراء ثم توجه الى تستر فافتتح بلاد خوزستان وفي
شوال وقع الرضى عن اولاد الشيخ عبد القادر واخذ ابن الجوزي الى واسط فحبس
بها مدة خمس سنين وكان سلطان مصر في هذه السنة الملك العزيز عماد الدين
عثمان بن صلاح الدين وسلطان دمشق الملك الافضل نور الدين علي بن صلاح
الدين وسلطان حلب الملك الظاهر غياث الدين غازي بن صلاح الدين وحران والرها
وملك البلاد الشرقية بيد الملك العادل سيف الدين ابو بكر وحماه والمعرة وسلميه
ومنبج بيد الملك المنصور محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه وبعلبك بيد الامجد
بهرام شاه بن فرخشاه وحمص بيد المجاهد اسد الدين شيركوه وكان الملك العادل
بالكرك عند موت اخيه وهي مسعره وحصنه فتوجه نحو دمشق لما بلغه مسير الملك العزيز
محاصرا اخاه الافضل ودافعه الظاهر غازي فاصلح بينهم عمهم ورجع ورجع العزيز الى مصر

في رمضان من السنة الماضية ثم ان العزيز قصد دمشق في هذه السنة في شعبان قال
الامام ابو شامة وفيها استعادت الفرنج حصن جبيل بمعاملة من شخص كردي **قلت** ثم
افتتحها الملك الاشرف بعد مائة سنة قال وفيها قدم العادل من الشرق وطلع الى قلعة حلب
وبات فيها واستخلص دلدرم وبني عمه كبراء الدار وهم من اعتقال ابن اخيه الملك الظاهر ثم
قدم دمشق فاصلح بين الاخوين الافضل والعزيز على ان للعزيز من بيسان الى اسوان
وقدم الظاهر من حلب دمشق ثم عاد كل الى بلاده وتزوج العزيز بابنة عمه العادل
قلت وذلك من دهاء الملك العادل فانه بقي يلعب باولاد اخيه لعبا فانه قدم من حلب
بصاحبها وبصاحب حماة ناصر الدين محمد بن عمر وبصاحب حمص وغيرهم واتفقوا على حفظ
دمشق واوضح لهم العادل ان الملك العزيز ان ملك دمشق اخذ منكم بلادكم فلما راي
العزيز اجتماعهم فتر وراسل في الصلح فاستقر الامر على ان يكون له مملكة فلسطين
وهي البيت المقدس وبلادها مع مصر على ان للعادل اقطاعه الاول بمصر وان يكون
نائبا للسلطنة بمصر وان يكون للملك الافضل دمشق والاردن وان للظاهر مملكة حلب
مع جبلة واللاذقية وتفرقوا على ذلك وخرج الافضل يودع اخاه الملك العزيز **قال**
العماد الكاتب قال الافضل كنت قد فارقت اخي منذ سبع سنين وما التقينا الا في هذه
السنة وانشدني لنفسه في المعنى نظرتك نظرة من بعد سبع تقضت بالتفرق من سنين
وغض الطرف عنها طرف غدر مسافة قرب طرف من جفون وحق الدهر لم يسمح بقرب بعيد الرجوع الى الجفون
فالم بعقبه بين بعد الى الحشا عدم السكون ولا تبدي حوشي القرب حتى ترى حسن بعد في الكمين
ولا تدني فتعلي منك الا اذا ادرت رحى الحرب الزبون فليت الدهر يسمح لي باخرى ولو امضى بها حكم المنون
قلت لله درك ما ابدع هذا المعنى فكانت لطافته باعثة استعطاف واستلطاف **قال**
العماد فلو ترك الافضل وفطنته الذكية لجرى الامور على السداد ولكن اصحابه وجلساءه افسدوا
احواله ورموا اكابر امرائه بالمكاتبة والحماية فوقعت الوحشة وقالوا انت اخو السلطنة
وانت اكبر الاخوة وانت ولي عهد ابيك فنفر عنه كبراء دولته وتوجهوا الى العزيز فكان اذا قدم
منهم امير بالغ في اكرامه واخذوا يحرضون العزيز على قصد دمشق واقبل الافضل مع هذا
على الشرب والاغاني ليله ونهاره واشاع ندماؤه ان عمه العادل حضر عنده ليلة وحسن له ذلك
واستحسن المجلس وقال اي حاجة بك الى التكتم وقال ولا خير في اللذات في دونها ستر فقبل

وصيه

وصبه عمه وتظاهر وتدبر وزير الامور برايه الفاسد ثم ان الافضل اصبح يوما تائبا من
غير سبب واراق الخمور واقبل على الزهد واكثر التعبد وواظب على صيام اكثر الاوقات
وشرع في نسخ مصحف وضرب اواني الشرب دراهم ودنانير واتخذ لنفسه مجلسا
وجالس الفقراء **قال** ابن واصل وغيره ولكنه كان قليل السعادة ضعيف الاراء

القاسم بن فيره بن خلف بن احمد ابو محمد وابو القاسم الرعيني الاندلسي الشاطبي
الضرير المقرئ احد الاعلام من جعل كنيته ابا القاسم لم يجعل له اسما سواها وكذلك
نقل ابو الحسن السخاوي والاصح ان اسمه القاسم وكنيته ابو محمد كذا سماه جماعة كبيرة
وذكره ابن الصلاح في طبقات الشافعية ولد في اخر سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة
وقرا القراءات بشاطبة على ابي عبد الله محمد بن علي بن ابي العاص النفزي المعروف بابن
اللاية وارتحل الى بلنسية فقرا القراءات وعرض التيسير حفظا على ابي الحسن بن هذيل
وسمع منه ومن ابي الحسن بن النعمة وابي عبد الله بن سعادة وابي محمد عاشر وابي عبد الله
ابن عبد الرحيم وابي محمد عليم بن عبد العزيز وابي عبد الله بن حميد وارتحل ليحج فسمع من ابي
طاهر السلفي وغيره وكان اماما علامة نبيلا محققا ذكيا واسع المحفوظ كثير الفنون
بارعا في القراءات والرسم يدل على تبحره قصيدتاه اللتان سارت بهما الركبان وخضع لهما فحول الشعراء
وحذاق القراء واعيان البلغاء ولقد سهل بهما الصعب من تحصيل الفن وحفظهما خلق كثير
وقد قراتهما على اصحاب اصحابه وكان اماما قدوة زاهدا عابدا قانتا متقشفا مهيبا كبير
الشان استوطن القاهرة وتصدر للاقراء بالمدرسة الفاضلية وانتفع به الخلق وكان يتوقد
ذكاء روى عنه ابو الحسن بن خيرة ووصفه من قوة الحفظ بامر معجب وروى عنه ايضا ابو
عبد الله محمد بن يحيى الجنجالي وابو بكر بن وضاح وابو الحسن علي بن هبة الله بن الجميزي وابو محمد
عبد الله بن عبد الوارث المعروف بابن فار اللبن وهو اخر من روى عنه وقرا عليه القراءات
ابو موسى عيسى بن يوسف بن اسماعيل المقدسي وابو القاسم عبد الرحمن بن سعيد الشافعي
وابو الحسن علي بن محمد السخاوي وابو عبد الله محمد بن عمر القرطبي والزين ابو عبد الله محمد
المقرئ الكردي والسديد ابو القاسم عيسى بن مكي العامري والكمال علي بن شجاع العباسي
الضرير واخرون فحكى الامام ابو شامة ان ابا الحسن السخاوي اخبره ان سبب انتقال
الشاطبي من شاطبة الى مصر انه اريد على ان يولى الخطابة فاحتج بانه قد وجب عليه الحج وانه

عازم عليه وتركهما ولم يعد اليها نورعا فانما كانوا يلحنون به الخطبا من ذكرهم على المنابر باوصاف
لم يرها سايغة شرعا وصبر على فقر شديد وسمع بالثغر من السلفي ثم قدم القاهرة
فطلبه القاضي الفاضل للاقرا بمدرسته فاجاب بعد تمنع وطا اشترطها وقد زار البيت
المقدس قبل موته بثلاثة اعوام وصام به شهر رمضان قال السخاوي اقطع بانه كان مكاشفا
وانه سال الله كفاف حاله ما كان احد يعلم اي شي هو قال الذهبي في تاريخه تصدر للاقراء
فعظم شانه وبعد صيته وانتهت اليه الرياسة في الاقرا ثم قال ووقفت على نسخة من
اجازته حدث فيها بالقراات عن ابن اللاية عن ابي عبد الله بن سعيد ولم يحدث عن ابن هذيل
قال وتوفي بمصر في الثامن والعشرين من جمادى الاخرة قرات على ابي الحسين اليونيني بعلبك
اخبرك ابو الحسن بن الجميزي انا ابو القسم الرعيني انا ابن هذيل انا ابو داود سليمان بن
نجاح انا ابو عمر بن عبد البر انا سعيد بن نصر نا قاسم بن اصبغ نا محمد بن وضاح نا يحيى بن يحيى
نا مالك عن يحيى بن سعيد اخبرني عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت عن ابيه عن جده
قال بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في اليسر والعسر والمنشط
والمكره وان لا ننازع الامر اهله وان نقول او نقوم بالحق حيث ما كنا لا نخاف في الله
لومة لايم اخرجه البخاري ومن شعره قل للامير نصيحة لا تركنن الى فقيه ان الفقيه اذا اتى
شعيب ابن الحسين ابو مدين الاندلسي الزاهد شيخ اهل المغرب رحمه الله عليه
اصله من اعمال الاشبيلية من حصن منتوجب جال وساح وسكن بجاية مدة ثم سكن تلمسان
وكان كبير الصوفية والعارفين في عصره ذكره ابو عبد الله الابار ولم يورخ له موتا وقال
كان من اهل العمل والاجتهاد منقطع القرين في العبادة والنسك قال وتوفي بتلمسان
في نحو التسعين وخمسمائة وكان اخر كلامه الله الحي ثم فاضت نفسه **الطبقة التسعون**
سنة احدى وتسعين وخمسمائة امامها ابن الجوزي قال في المحرم وصل الخبر على جناح
طاير بقتل الوزير مويد الدين محمد ابن القصاب على همذان وضربت الطبول **قلب**
واعتنى الناصر لدين الله بهذه الحمام اعتناء زايدا قال وولي مويد الدين كل البلاد
امرا واجتمع بخلع اخ خلع عليه وانعم على خوارزمشه وقتلا لم يقصد الوزير دامغان
وقصد خلع اخ الري فدخلها وتحصن بها وخالف على الوزير فحصره فقاد فيها خلع اخ
ودخلها الوزير واقام بها عسكر بغداد ثم وليها فلك الدين سنقر الناصري ثم سار يحارب
خلع

خلع اخ فانكسر خلع اخ ونجا بنفسه ورجع الوزير فدخل همذان فقصد خوارزم شاه
بعث على الوزير وتهدده لما فعل في اطراف بلاده فاستعد الوزير للملتقى فتوفي
دون ذلك وجيش خوارزم شاه وقصد همذان وطارت العساكر هربهم ونبش الوزير
ليسمع الخبر انه قتل في المعركة ثم عاد الى خراسان ثم ان المماليك البهلوانية امروا
عليهم كوكج وملكوا الري واخرجوا فلك الدين سنقر وفيها سار الملك العزيز من مصر
لياخذ دمشق فاخذ الملك الافضل منها وساق الى عمه العادل وهو بقلعة جعبر
وطلب نجدته ثم عطف الى الجيش الظاهر فتسعد به فساق العادل وسبق الافضل
الى دمشق وقام معهما كبار الامرا فرحل العزيز منهزما وسار وراه العادل والافضل
فمنعها من الاسدية والاكراد فلما راى العادل انضمام العساكر الى الافضل
وقيامهم معه خاف ان يملك مصر ولا يسلم اليه دمشق فبعث في السر الى العزيز
يامره بالثبات وان يجعل على بلبيس من يحفظها وتكفل بانه يمنع الافضل فجهز
العزيز الناصرية مع فخر الدين جركس فنزلوا بلبيس وجا الافضل والعادل فنازلوهم
مراد الافضل مناجزتهم او دخول مصر فمنعه العادل من الامرين وقال هذه
عساكر الاسلام فاذا اقتتلوا في الحرب فمن يرد العدو والبلاد بحكمك واخذ يراوغه
وجا القاضي الفاضل في الصلح ووقعت المطاولة واستقر العادل بمصر عند العزيز
ورجع الافضل هذا ملخص ما قاله ابن الاثير وفي هذه المدة جدد الملك العزيز
الهدنة مع ملك الفرنج كندهري وزاد في المدة ثم لم يلبث كندهري ان سقط من مكان
بعكا فمات واختلفت احوال الفرنج قليلا قال ابن واصل ولما عزم العزيز على
قصد الشام ثانيا اشار العقلا على الملك الافضل بملاطفة العزيز ولو فعل لصلح
حاله ولرضي منه العزيز باقامة السكة والخطبة له بدمشق لكن قل ما اشاده ودبره
انفسه من الاكثر من اعتصامه بعمه العادل والالتجا اليه وكان ذلك من فساد الراي
حتى استولى عمه على الامر وغلب على السلطنة ولما رجع الافضل من بلبيس الى دمشق
اقبل ايضا على الزهد والعبادة والامور مفوضة الى ابن الاثير فاحلت به غاية
الاحلال وفيها قدم بغداد شمس الدين علي بن شوحشان بن شمله ومعه نسا
ابيه وجواريه فلقي بالموكب الشريف وكان صبيا بديع الجمال يضرب بحسنه الامثال

وقال ابو شامة فيها قدم العزيز الى الشام ايضا ونزل على الفوار ثم رحل الى مصر لما
سمع بقدوم العساكر مع عمه العادل واخيه الافضل فتبعاه الى مصر وخرج القاضي
الفاضل فاصلح الحال فدخل العادل مع العزيز مصر واقام عنده ورد الملك الافضل الى
دمشق وفيها كانت بالمغرب وقعة الزلاقة وكانت ملحمة عظيمة بين يعقوب بن يوسف
ابن عبد المومن وبين الفنش ملك طليطلة لعنه الله كان الفنش قد استولى على عامة
جزيرة الاندلس وقهر ولاتها وكان يعقوب بمراكش العدوة مشغولا عن نصر اهل
الاندلس بالخوارج الخارجين عليه وبين الاندلس وبين سبتة مكان زقاق مما يكون
من عرض البحر وعرضه ثلاثة فراسخ ويسمى العدوة ورقاق سبتة وعبر ذلك ومنه
دخل المسلمون في المراكب لما افتتحوا الاندلس في دولة الوليد بن عبد الملك واستضرى
الفنش واستفحل امره واتسع ملكه وكتب الى يعقوب يعجزه في الدخول اليه فاخذته
حمية الاسلام وسار فنزل على رقاق سبتة وجمع المراكب وعرض جيوشه فكانوا
مائة الف مرتزقة ومائة الف مطوعة وعدوا كلهم ووصل الى موضع يقال له الزلاقة
وجاء الفنش في مائتي الف واربعين الفا فالتقوا فنصر الله دينه ونجا الفنش في عدد
يسير الى طليطلة وغنم المسلمون غنيمة لا تحصى قال ابو شامة كان عدة من قتل من
الفرنج مائة الف وستة واربعين الفا واسر ثلثون الفا واخذ من الخيام مائة الف خيمة
وخمسون الفا ومن الخيل ثمانون الف راس ومن البغال مائة الف ومن الحمير مائة
الف حمار تحمل اثقالهم لانهم لا جمال عندهم ومن الاموال والجواهر والقماش ما لا يحصى
وبيع الاسير بدرهم والسيف بنصف والحصان بخمسة دراهم والحمار بدرهم وقسم
يعقوب الملقب بامير المومنين الغنائم على مقتضى الشريعة فاستغنوا للابد واما
الفنش فوصل الى بلده على اسوا حال فحلق راسه ونكس صليبه وآلى ان لا ينام على فراش
ولا يقرب النسا ولا يركب حتى ياخذ بالثار واقام يجمع من الجزائر والبلاد ويستعد قال وقيل
انما كانت هذه الوقعة في سنة تسعين وذلك وهم وانما كانت سنة احدى وتسعين
في تاسع شعبان **سنة اثنين وتسعين** وخمسمائة فيها استنيب في الوزارة قاضي
القضاة ابو طالب علي بن علي البخاري وفيها افرج عن الامير مجير الدين طاشتكين الحاج
وولي مملكة بلاد خوزستان ووسمه بالملك وانعم عليه بكوسات واعلام وقال ابو شامة

فيها

فيها قدم الملك العزيز ثالثا الى الشام ومعه عمه الملك العادل **قلت** فحاصر دمشق
مدة يسيرة ووقعت المخامرة من عسكر دمشق ففتحوا الابواب ودخل العزيز والعادل
في رجب قال ابن الاثير كان الذي بلغ الاسباب في ذلك وثوق الافضل بعمه وقد بلغ
من وثوقه انه ادخله بلده وهو غائب عنه وقد كان ارسل اليه اخوه الظاهر يقول
اخرج عمنا من بيننا فانه لا يجيء علينا منه خير وانا اعرف به منك وانا زوج بنته فرد
عليه الافضل انت سيئ الظن واي مصلحة لعمنا في ان يوذينا ولما تقرر العادل بعد
استمال الملك العزيز ووقع معه ان يخرج الى دمشق ويملك دمشق ويسلمها اليه فسار
معه وحصروها واستمالوا الامرا فسلموا اليهم باب توما وفتحه ودخل منه العادل ووقف
العزيز بالميدان فراى ان البلد قد ملك خرج الى اخيه ودخل به البلد واجتمعا بالعادل
وقد نزل في دار اسد الدين شيركوه فبقوا اياما كذلك ثم ارسلا الى الافضل بالتحول
من القلعة فخرج وسلم القلعة الى اخيه **قلت** ورجع العزيز الى مصر واقام العادل
بدمشق فغلب عليها واوقع واخرج اولاد اخيه صلاح الدين عنها وانزل الافضل
في صرخد وقال ابو شامة انفصل الحال على ان خرج الافضل الى صرخد وتسلم البلد
الملك العزيز وسلمها الى عمه واسقط ما فيها من المكوس وبقيت بها الخطبة والسكة
باسم الملك العزيز وقال في الروضتين فيها نزل العزيز بقلعة دمشق ودخل هو
واخوه الافضل متصاحبين الى الضريح الناصري وصلى الجمعة عند ضريح والده
ودخل دار الامير سامة بجوار التربة وامر القاضي محيي الدين ان يسهلها مدرسة
للتربة فهي المدرسة العزيزية ووقف عليها قرية محجة **قلت** ما احسن قول ملك البلاغة
القاضي الفاضل انما هذا البيت فان لا باسمه انفقوا فملكوا وان لا تنامته اهلكوا
فهلكوا واذا عرفتم فانه الجبلة بشريعة واذا حرق ثوب فيليه الا يم بتمزيقه في
واذا كان سمع خصم من يطيقه قال ابو شامة واخذت قلعة بصرى من الملك الظافر
خضر بن صلاح الدين اخذها اخوه قال وفيها بعد خروج الناس من مكة هبت ريح
سودا عمت الدنيا ووقع على الناس رمل احمر ووقع من الركن اليماني قطعة وتحرك
البيت مرارا قال وفيها سار عسكر خوارزم شاه وعلى مقدمته مملوك له فكسر عسكر
الخليفة وكان نيفا وعشرين الفا مقدمهم ابن القصاب الوزير ومن خبر خوارزم شاه انه كان قد

بهم رجعوا في جمادى الاولى ثم وصل همذان وسعى على البلاد الى باب بغداد وبعث الى
الخليفة يطلب السلطنة واعادة دار السلطنة الى ما كانت وان يجي الى بغداد ويكون
الخليفة من تحت يده كما كانت الملوك السلجوقية فانزعج الخليفة واهل بغداد وغلت الاسعار
قال ومنها كانت وقعة اخرى ليعقوب بن يوسف مع الفنش وكان الفنش قد حشد
وجمع جمعا اكثر من الاول ووقع المصاف فكسره يعقوب وساق خلفه الى طليطلة ونازلها
وضربها بالمنجنيق وضيق عليها ولم يبق الا اخذها فخرجت اليه والدة الفنش وبناته
وحريمه وبكين بين يديه وسالنه ابقا البلد عليهن فرق لهن ومن عليهن بالبلد ولو
فتح طليطلة لفتح الى مدينة النحاس وعاد الى قرطبة وقسم الغنائم وصالح الفنش
مدة وقيل ان هذه الوقعة كانت في سنة احدى وتسعين وفيها وفي التي قبلها عاث ابن
غانية الملثم وكان له اتباع وكان بالبرية مع العرب فعاود افريقية وخرب عساكر
البلاد فلهذا صالح يعقوب الفنش ورجع الى المغرب لحرب الملثم **سنة ثلاث
وتسعين** وخمسماية فيها وصل الامير ابو الهيجا الكردي المعروف بالسمين كان
مفرط السمن ومن اعيان امرا الشام ترك خدمة الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين
وقدم بغداد فلقي واكرم وما العوا في احترامه ثم خرج من اخنادة ناقصة للاحردوا
وحاربوا عسكر الديوان وكان هو ببغداد فاعتقل وفيها خطب بالسلطنة وضربت
السكة للملك العزيز كما خطب له عام اول بدمشق وتمت له سلطنة مصر والشام مع
كون عمه العادل صاحب دمشق واخيه صاحب حلب وفي جمادى الاخرى بركة
السلاعين واشطا الى بغداد في يوم وليلة وهذا لم يسمع بمثله وخلع عليه خلع نفيسة
وحصل له مال ثم خلع على ابي الهيجا السمين وامراه بتول همذان وتوفي بعد شهر
وفيها وجه مجير الدين الحسن بن الربيع رسولا الى شهاب الدين الغوري صاحب غزنة
انبانا ابن البروري قال وانقض في شوال كوكب عظيم سمع لانقضاضه صوت عظيم
واهتزت الدور والاماكن فاستغاث الناس واعلنوا بالدعا وظنوا ذلك من امارات
القيمة **قال** وفيها ملك اسمعيل بن سيف الاسلام طغتكين بلاد اليمن بعد ابيه واسا في
ولايته وادعى انه قرشي وخطب لنفسه وتسمى بالهادي ثم قتل **قال** ابو شامة وفي
سوالها فتح العادل يافا عنوة واخربها وكان قد اما هذا اربعون دارية نجدة فلاعانوا

الغلبه

الغلبه دخلوا الكنيسة فاغلقوا ابوابها ثم قتل بعضهم بعضا فكسر المسلمون الباب ووجدوهم
صرعى وهذا ثالث فتح لها لانها فتحت ايام فتح بيت المقدس ثم استرجعها الانكلتير
ثم اخذ ها ثانيا في مرض صلاح الدين ثم افتتحها في هذا الوقت الملك العادل ثم ملكها الفرنج
بعد افتتحها السلطان الملك الظاهر بيبرس ثم خربت **كتب** الفاضل الى محيي الدين بن
الزكي يقول ومما جرى من المعضلات باس من الله طرق ونحن نيام وظن الناس انه اليوم
الموعود ولا يحسب المجلس اني ادسلت العلم محرفا والقول مجرفا فالامر اعظم وذكر
الله اسلم ان لله اي ساعة كالساعة كادت تكون للدنيا كساعة في الليلة الا واسن
ليلة الجمعة تاسع عشر جمادى الاخرة اتى عارض فيه ظلمات متكاثفة وبروق خاطفة
ورياح عاصفة قوي الهوبها واشتد هبوبها وارتفعت لها صعقات ورجفت الجدران
واصطفقت وتلاقت على بعدها واعتنقت وثار عجاج فقيل لعل هذه على هذه قد انطبقت
وتوالت البروق على نظام فلا يحسب الا ان جهنم قد سال منها واد وزاد عصف الريح
الى ان بطل النجوم وكانت تسكن وتعود عودا عنيفا ففر الناس والنسا والاطفال
وخرجوا من دورهم لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا بل يستغيثون ربهم ويستغفرون
ذنبهم ولا يستغربون العذاب لانهم على موجباته مصرون وفي وقت وقوع وانقطاع
باستحقاقه مقرون معتصمين بالمساجد الجامعة وملتقين الاية النازلة من السما لا عناق
الخاضعة بوجوه عانية ونفوس عن الاموال والاهل سالية قد انقطعت من الحياة
علقهم وعميت عن النجاة طرقهم ودامت تلك الليلة الا خيرة واصبح كل يسلم على رفيقه
ويهنيه بسلامة طريقه ويرى انه بعث بعد النفخة وافاق بعد الصيحة والصرخة
وتكسرت عدة مراكب وتعلقت الاشجار الكبار ومن كان بايتا في الطريق من المسافرين
دفنته الريح حيا وركب فما اغنى الفرار شيا والخطب اشق وما قضيت بعد الحق
فما من عباد الله من راى القيمة عيانا الا اهل بلدنا فما اقص الاولون مثلها في الثلاث
والحمد لله الذي جعلنا نخبر عنها ولا نخبر عنا في كلام طويل فيها اخذت الفرنج
بيروت وكان اميرها الامير عز الدين سامة فلما سمع بوصول العدو الى صيدا
هرب وملكها الفرنج ثاني يوم وفيه صنف سلم الحصن فما عليك ملامه ما بلام الذي يوم السلامه
فعطا الحصون من غير حرب سنة سنها بيروت سامه **سنة اربع** وتسعين وخمسماية

فيها نزلت الفرنج على بيروت وقدم منهم جمع كثير في البحر فانتشروا بالساحل وكثر وجل
الناس فقصد الملك العادل صاحب دمشق القاضي محيي الدين الى صاحب مصر الملك
الملك العزيز مستصرخا فجاء العزيز فرحل الفرنج بعد ان قررت معهم الهدنة خمس سنين وثمانية
اشهر وفرح بالناس من اهل الشام فرجا وفيها ملك علاء الدين خوارزم شاه واسمه تكش
ابن ايل ارسلان بخارا وكانت لصاحب الخطا وجرى له معهم حروب وخطوب وانتصر عليهم
وقتل خلقا منهم واسر وسبى ثم حاصرها مدة واخذها عنوة وعفا عن الرعية وكان يقع
في مدة الحصار بين الفريقين سب ويقول الخوارزمية يا اجناد الكفار انتم تعيبون الخطا
علينا انتم مرتدة وفيها مات سنقر الكبير امير القدس وولي بعده صارم الدين
خطلوا المرتشاهي وفيها سار ملك الموصل نور الدين ارسلان شاه بن مسعود بن
مودود فنازل نصيبين واخذها من ابن عمه قطب الدين فسار الى الملك العادل
واستنجد به فسار معه بعسكره وقصدا نصيبين فتركها ارسلان شاه وسار الى بلده
ودخلها وعاد قطب الدين فدخل نصيبين شاكرا للعادل واراد الرجوع في خدمته
الى دمشق فرده ونازل العادل ماردين وحاصرها شهرا وملك ربضها ثم رحل
عنها سنة خمس وتسعين وخمسمائة في ربيع قصد علاء الدين خوارزم شاه الري
وكان قد عصى عليه نائبه بها فحاصره وظفر به وهم بقتله ثم حبسه وقد بعث الخليفة الى
علاء الدين خوارزم شاه تشريفا وتقليدا بما معه من الممالك فقبل الارض ولبس الخلعة
ثم سار وفتح قلعة من قلاع الاسماعيلية على باب قزوين وحصر الموت ثم عاد فوثب الباطنية
على وزيره نظام الملك مسعود بن علي فقتلوه وسلت الاسماعيلية في حصار الموت
رئيس الشافعية صدر الدين محمد الوزان وفيها تقدم بعمارة سور ثانيا على بغداد وجدد
في بنايه الى ان فرغ وفيها ولي سلطنة المغرب والاندلس محمد بن يعقوب بن يوسف
ابن عبد المؤمن بعد موت والده وفي وسط السنة اخرج ابو الفرج بن الجوزي من سجنه
وانبسط مكرما وتلقاه الاعيان وخلع عليه واذن له في الجلوس فجلس وكان يوما
مشهودا وفيها كانت بخراسان الفتنة الهائلة للفخر الرازي صاحب التصانيف انباني
اتى الفيروزكوهي وكان قد فارق بها الدين صاحب باميان وقصد غياث الدين الغوري
خال بها الدين فالتقاه وبجله وانزله وبنى له مدرسة وقصده الفقهاء من النواحي فعظم ذلك

على

على الكرامية وهم خلق بهراة وكان اشد الناس عليه ابن عم غياث الدين وزوج بنته وهو
الملك ضياء الدين فاتفق حضور الفقهاء الكرامية والحنفية والشافعية وفيهم فخر الدين
الرازي والقاضي مجد الدين عبد المجيد بن عمر بن القدوة وكان محترما اماما زاهدا
فتكلم الفخر فاعترضه ابن القدوة واتسع الجدال والبحث وطال فنهض السلطان غياث
الدين واستطال الفخر على ابن القدوة بحيث انه شتمه وبالغ في اهانته وانقضى المجلس فشكا
الملك ضياء الدين الى ابن عمه ما جرى من الفخر بعد انقضاء المجلس وذم الفخر ونسبه الى
الزندقة والفلسفة فلم يحتفل السلطان بقوله فلما كان من الغد جلس ابن عم المجد بن
القدوة في الجامع للوعظ فقال في وعظه لا اله الا الله ربنا امنا بما انزلت واتبعنا
الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ايها الناس انا لا نقول الا ما صح عندنا عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم واما قول ارسطاطاليس وكفريات ابن سينا وفلسفة الفارابي فلا
نعلمها فلاي شي شتم بالامس شيخ من شيوخ الاسلام يذب عن دين الله وبكى فضج
الناس وبكى الكرامية واستغاثوا وثار الناس من كل جانب واستعرت الفتنة وكادوا
يقتتلون ويجري ما يهلك به خلق كثير فبلغ ذلك السلطان فارسل الاجناد وسكنهم
ووعدهم باخراج الفخر واحضره وامره بالخروج وفيها كانت بدمشق فتنة الحافظ عبد
الغني سنة ونيل الاشعرية وهموا بقتله ثم اخرج من دمشق وتفصيل ذلك في ترجمته ان
شاء الله وفيها مات الملك العزيز وكان سيف الدين ازكش الاسدي بالصعيد
فقدم القاهرة فوجد الملك المنصور سلطانا وقد استولى فخر الدين سركس على الامور
فحلف ازكش الامراء على ان يسلطنوا الافضل وارسلوا النجب بالكتب اليه وانعزل عنهم
سركس وزين الدين قراجا وقراسنقر ثم لما قرب الافضل من مصر هربوا الى القدس
فسار الافضل من صرخد ودخل مصر فاحد على بن العزيز وصار اتابكه وسار
بالجيوش فحاصر دمشق وبها العادل قد ساق على البريد من ماردين وترك عليها
الجيش مع ولده الكامل ودخل دمشق قبل ان يصل الافضل بيومين واحرق
جميع ما كان خارج باب الجابية من الفنادق والحوانيت واحرق الشرب وابواب
الطواحين وقطعت الانهار واشتد الامر واحرقت سادرغلة حرستا ودخل
الافضل من باب السلامة وصحبت العوام شعاره وكان محبوبا الى الناس وبلغ الخبر

العادل فكاد يستسلم فتماسك ووصل الذين دخلوا الى باب البريد وكانوا قليلين فوثب
عليهم اصحاب العادل واخرجوهم ثم قدم صاحب حلب وصاحب حمص وسموا الزحف
ثم قوى العادل بخلاف الامرا الذين كانوا بالقدس وضعف الافضل ثم وقعت كبسة على
عسكر المصريين وبقي الحصار الى سنة ست وتسعين وفيها ظهر بدمشق الداعي
العجمي المدعي انه عيسى بن مريم وافسد طايفة واضلهم فافتى العلما بقتله فصلبه
الصارم برغش العادلي وفيها قامت العامة على الرافضة واخرجوهم الى باب الصغير
من دمشق ونبشوا تابوتا بالمرحل من قبر وعلقوا راسه مع كليبين ميتين وفيها ولي
قضا القضاة بالعراق ضيا الدين ابو القاسم بن الشهرزوري **يعقوب بن يوسف**
ابن عبد المومن بن علي الملقب بالمنصور امير المومنين ابو يوسف سلطان المغرب القيسي
المراكشي وامه ام ولد رومية اسمها سحر بويع في حياة والده بامره بذلك عند موته
فملك وعمره يومئذ اثنان وثلاثون سنة وكان صافي السمرة الى الطول ما هو جميل
الوجه اعين افوه اقنى اكحل مستدير اللحية ضخم الشكل جهوري الصوت جزل الالفاظ
صادق اللهجة كثير الاصابة بالظن والفراسة ذا خبرة بالخير والشر وولي الوزارة
لابيه فبحث عن الامور وكشف احوال العمال والولاة وكان له من الولد محمد ولي عهده
وابرهيم وموسى وعبد الله وعبد العزيز وابو بكر وزكريا وادريس وعيسى وصالح
وعثمان ويونس وسعد ومساعد والحسن والحسين فهولا الذين عاشوا بعده وله
عدة بنات ووزر له عمر بن ابي زيد الهنتاتي الى ان مات ثم ابو بكر بن عبد الله بن الشيخ عمر اسى [?]
ثم ابن عم هذا محمد بن ابي بكر ثم هرب محمد هذا وتزهد ولبس عباة ثم استوزر له ابو زيد عبد الرحمن
ابن موسى الهنتاتي وبقي بعده وزيرا لاخيه مدة وكتب له ابو الفضل بن محشوة ثم
بعده ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن عياش الكاتب البليغ الذي بقي الى سنة تسع عشرة
وستمايه وكتب ايضا لولده من بعده وقضى له ابو جعفر احمد بن مضا وبعده ابو عبد الله بن
مروان الوهراني ثم عزله بابي القاسم احمد بن محمد بن بقي ولما بويع كان له من اخوته وعمومته
منافسون ومزاحمون لا يرونه اهلا للامارة لما كانوا يعرفون من شرب صباه فلقي منهم شدة
ثم عبر البحر بعساكره حتى نزل مدينة سلا وبها تمت بيعته لان بعض اعمامه بلغه انه نقم
عليهم وملا ايديهم اموالا لها خطر ثم شرع في بنا المدينة العظمى التي على البحر والنهر

العدوه

العدوه وهي تلي مراكش وكان ابوه قد اختطها ورسمها فشرع هو في بنائها الى ان تمت اسوارها
وبنى فيها جامعا عظيما له الصابة [?] وعمل له منارة في نهاية العلو على هيئة منارة الاسكندرية
لكن لم يتم هذا الجامع لان العمل بطل منه بموته واما المدينة فتمت وطولها اكثر من فرسخ
لكن عرضها قليل بالنسبة ثم سار بعد ان تهيات فنزل مراكش وفي اول ملكه وذلك في سنة
ثمانين خرج عليه صاحب ميورقة الملك المعروف بابن غانية وهو علي بن اسحق بن محمد بن علي بن
غانية فسار في البحر الى بجاية وقصد مدينة بجاية فملكها واخرج من بها من الموحدين في
شعبان من السنة وهذا اول الاختلال وقع في دولة الموحدين واقام ابن غانية ببجاية سبعة
ايام وصلى فيها الجمعة واقام الخطبة للامام الناصر لدين الله العباسي وكان خطيبه
يومئذ الامام ابو محمد عبد الحق الازدي مصنف الاحكام فاحتنق لذلك المنصور ابا يوسف
ورام قتل عبد الحق فعصمه الله وتوفاه قريبا ثم سار ابن غانية بعد ان استخلف على بجاية
ونازل قلعة بني حماد فملكها وملك تلك النواحي فتجهز المنصور لحربه وسار الى بجاية
فهرب ابن غانية وقصد بلاد الجريد فلما وصل المنصور الى بجاية تلقاه اهلها فصفح عنهم
وجهز جيشا مع ابن عمه يعقوب بن عمر ونزل هو تونس فالتقى يعقوب وابن غانية فانهزم
الموحدون انهزاما منكرا وتبعهم جيش ابن غانية من العرب والبربر فقتلوهم في كل وجه
وهلك كثير منهم عطشا ورجع من سلم الى تونس فلم المنصور شعثهم ثم سار بنفسه
والتقى مع ابن غانية مصافا فانكسر اصحاب ابن غانية وثبت هو ومن ابلى الجن [?] جراحا فقر
بنفسه منهزما ناسكا ومات في خيمة اعرابية ثم ان جنده قدموا عليهم يحيى ولحقوا بالصحرا
فكانوا بها مع ملك العربان الى ان رجع المنصور الى مراكش واستعصى اهل قفصة في بعض
المدة ودخلتها بنو غانية فنزل عليها المنصور فحاصر اهلها اشد الحصار واخذها عنوة
وقتل اهلها قتلا ذريعا فقيل انه ذبح اكثرهم صبرا وهدم اسوارها ورجع الى المغرب
واما يحيى بن غانية فانه بعث اخاه ابا محمد عبد الله الى ميورقة فاستقل بها الى ان دخلها
عليه الموحدون قبل الستماية وبقي يحيى بافريقية يظهر مرة ويخمد اخرى وله اخبار يطول
شرحها وفي غيبة المنصور عن مراكش طمع عماه في الامر وهما سليمان وعمر فاسرع المنصور
ولم يتم لهما ما راماه فتلقياه وترجلا له فقبض عليهما وقيدهما في الحال فلما دخل مراكش قتلهما
صبرا فانه [?] جمع القرابة وخافوه ثم اظهر بعد ذلك زهدا وتقشفا وخشونة عيش وملبس

وعظم صيت العباد والصالحين في زمانه وكذلك اهل الحديث وارتفعت منزلتهم عنده
فكان يسالهم الدعاء وانقطع في ايامه علم الفروع وخاف منه الفقهاء وامر باحراق كتب
المذهب بعد ان يجرد ما فيها من الحديث واحرق منها جملة في سائر بلاده كالمدونة وكتاب
ابن يونس ونوادر ابن ابي زيد والتهذيب للبرادعي والواضحة لابن حبيب قال محيي
الدين عبد الواحد بن علي المراكشي في كتاب المعجب له ولقد كنت بفاس فشهدت يؤتى بالاحمال
منها فتوضع ويطلق فيها النار قال وتقدم الى الناس بترك الفقه والاشتغال
والخوض فيه وتوعد على ذلك وامر من عنده من المحدثين بجمع احاديث من المصنفات العشرة
وهي الموطا والكتب الخمسة ومسند ابي بكر بن ابي شيبة ومسند البزار وسنن الدارقطني
وسنن البيهقي في الصلاة وما يتعلق بها على نحو الاحاديث التي جمعها ابن تومرت في
الطهارة فجمعوا ذلك فكان يمليه بنفسه على الناس ويأخذهم بحفظه وانتشر هذا
المجموع في جميع المغرب وحفظه خلق وكان يجعل لمن حفظه عطاء وخلعة وكان قصده
في الجملة محو مذهب مالك رضي الله عنه وازالته من المغرب وحمل الناس على الظاهر من
القران والسنة وهذا القصد بعينه كان مقصد ابيه وجده الا انهما لم يظهراه واظهره
هو اخبرني غير واحد ممن لقي الحافظ ابا بكر بن الجد انه اخبرهم قال دخلت على امير المومنين
ابي يعقوب يوسف اول دخلة دخلتها عليه فوجدت بين يديه كتاب ابن يونس فقال
يا ابا بكر انا انظر في هذه الاراء المتشعبة التي احدثت في دين الله ارايت يا ابا بكر المسالة
فيها اربعة اقوال وخمسة اقوال او اكثر فاي هذه الاقوال الحق وايها يجب ان ياخذ به
المقلد فافتتحت ابين له فقال لي وقطع كلامي يا ابا بكر ليس الا هذا واشار الى المصحف او
هذا واشار الى سنن ابي داود او السيف قال عبد الواحد وظهر في ايام ابي يوسف يعقوب
ما خفي في ايام ابيه وجده ونال عنده طلبة العلم والحديث ما لم ينالوا في ايام ابويه وانتهى
امره معهم الى ان قال يوما بحضرة كافة الموحدين يا معشر الموحدين انتم قبائل فمن نابه منكم امر
فزع الى قبيلته وهؤلاء يعني الطلبة لا قبيل لهم الا انا فمهما نابهم امر فانا ملجاهم ثم عظموا
عند ذلك في اعين الموحدين وبالغوا في احترامهم وفي سنة خمس وثمانين قصد بطروس
الريق لعنه الله مدينة شلب فنازلها واخذها فجهز المنصور ابو يوسف في جيوش
عظيمة وعبر البحر ونزل على شلب فلم يطق الفرنج دفاعه وهربوا منها وسلموها ولم يحمد ذلك

حتى

حتى اخذ لهم حصنا ورجع فمرض بمراكش مرضا عظيما وتكلم اخوه ابو يحيى في الملك ودعا
الى نفسه فلما عوفي قتله صبرا وقال انما املك بقوله صلى الله عليه وسلم اذا بويع لخليفتين
فاقتلوا الاخر منهما وتولى قتله اخوه عبد الرحمن بمحضر من الناس ثم تهدد القرابة واهانهم
فلم يزالوا في خمول وقد كانوا قبل ذلك لا فرق بينهم وبين الخليفة سوى نفوذ العلامة وفي
سنة تسعين انتقض ما بينه وبين الادفنش من العهد وعاثت الفرنج في الاندلس فتجهز
ابو يوسف واخذ في العبور فعبر في جمادى الاخرة سنة احدى وتسعين ونزل اشبيلية
فعرض جيوشه وقسم الاموال وقصد العدو المخذول فتجهز الادفنش فجمع جموعا ضخمة فالتقوا
بفحص الحديد وكان الادفنش قد جمع جموعا لم يجتمع له مثلها قط فلما تراءى الجمعان اشتد
خوف الموحدين وامير المومنين يعقوب في ذلك كله لا مستند له الا الدعاء والاشتغال
بكل من يظن انه صالح ثم التقوا في ثالث شعبان فنصر الله الاسلام وفتح الكافة لهم حتى
لم يبق العدو الا في يوم بلا من يتنفس من وجوه اصحابه واستشهد يومئذ جماعة من الاعلام
منهم الوزير ابو بكر بن عبد الله بن الشيخ عمر اينتي واتى ابو يوسف قلعة رباح وقد هرب
اهلها فدخلها وجعل كنيستها مسجدا واستولى على ما حول طليطلة من الحصون ورد
الى اشبيلية ثم قصد الروم من اشبيلية في سنة اثنتين وتسعين فنزل على مدينة طليطلة
عبوشه فقطع اشجارها وانكى في الروم نكاية بينة ورجع ثم عاد في المرة الثالثة وتوغل
في بلاد الروم الى مواضع لم يصل اليها ملك من ملوك المسلمين ورجع فارسل الادفنش يطلب
المهادنة عشر سنين وعبر بعد هذا الى مراكش في سنة اربع وتسعين قال وبلغني عن
غير واحد انه صرح للموحدين بالرحلة الى المشرق وجعل يذكر لهم البلاد المصرية وما
فيها من المناكر والبدع ويقول نحن ان شاء الله مطهروها ولم يزل هذا عزمه الى ان مات
في صدر سنة خمس وكان في جميع ايامه مؤثرا للعدل بحسب طاقته وبما يقتضيه اقليمه
والامة التي هو فيها وكان يتولى الامامة بنفسه في الصلوات الخمس اشهرا الى ان ابطا
يوما عن العصر حتى كادت تفوت فخرج وقد سبقهم يوما فقال ما ارى صلاتكم الا لنا والا
فما منعكم ان تقدموا رجلا فقد قدم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن عوف
حين دخل وقت الصلاة وهو غائب اما لكم اسوة فكان ذلك سببا لقطعه الامامة وكان
يقعد للناس عامة لا يحجب عنه احد حتى اختصم اليه رجلان في نصف درهم فقضى بينهما وامر

بعضها قليلا وقال انما كان في البلد حكام قد نصبوا لهذا ثم بعد هذا بقي بعده في ايام منصور
واستعمل على القضا ابا القاسم بن بقي فشرط عليه ان يكون قعوده تحت سمع حكمه في
جميع القضايا او هو منه وراسه وكان يدخل اليه امنا الاسواق في الشهر مرتين يسالهم
عن اسواقهم واسعارهم وحكامهم وكان اذا وفد عليه اهل بلد سالهم عن ولاتهم وقضاتهم
فاذا اثنوا خيرا قال اعلموا انكم مسولون عن هذه الشهادة يوم القيمة وربما تلى يا ايها الذين
امنوا كونوا قوامين لله شهدا بالقسط قال وبلغني انه تصدق سنة احدى وتسعين
قبل خروجه الى الغزوة باربعين الف دينار وكان كلما دخلت السنة امر ان يكتب له الايتام
المنقطعون فيجمعون اليه عند فصل فيختنون ويامر لكل صبي منهم بمثقال وثوب ورغيف
ورمانة هذا كله شهدته وبنى بمراكش بيمارستان ما اظن في الدنيا مثله اجرى فيه مياها
كثيرة وغرس فيه من جميع الاشجار وزخرفه وامر له من الفرش بما يزيد على الوصف واجرى
له ثلاثين دينارا كل يوم برسم الادوية وكان كل جمعة يعود فيه المرضى ويقول كيف حالكم
كيف القومة عليكم وفي سنة ست وثمانين ورد عليه من مصر قراقوش المظفري فتى تقي
الدين عمر بن اخي السلطان الملك الناصر والامير شعبان والقاضي عماد الدين جماعة فاكرمهم
واقطعهم حتى قطع رجلا منهم من اهل اربل يعرف باحمد الحاجب مواضع واقطع شعبان
بالاندلس قرى يغل في السنة نحوا من تسعة الاف دينار سوى ما قرر لهم من الجامكية
واخبرني ابو العباس احمد بن ابرهيم بن مطرف بمكة قال قال لي امير المومنين ابو يوسف
يا ابا العباس اشهد لي بين يدي الله اني لا اقول بالعصمة يعني عصمة ابن تومرت
وقال لي وقد استاذنته في فعل شي يتعين لنا وجود الامام يا ابا العباس اين الامام
اين الامام واخبرني ابو بكر بن هاني الجياني قال لما رجع امير المومنين من غزوته تلقيناه
فسالني عن احوال البلد وقضاته وولاته فلما فرغت من جوابه سالني ما قرات من العلم قلت
قرات تواليف الامام اعني ابن تومرت فنظر الي نظر المغضب وقال ما هكذا يقول الطالب
انما حكمك ان تقول قرات كتاب الله وقرات شيا من السنة ثم بعد هذا قل ما شئت وكان
تاج الدين عبد السلام بن حمويه الصوفي دخل مراكش في ايام السيد الامام ابي يوسف
يعقوب ولقد كانت الدولة تسبا به بجملة والمحاسن والفضايل في ايامه بجملة بقصده
العلما لفضله والاعيان لعدله والفقرا لبذله والغزاة لكثرة جهاده والصلحا والعلما لتكبيره

سواده

سواده امداده والزهاد لزهادته وحسن اعتقاده كما قال فيه بعض الشعرا
اهل لان يسعى اليه ويرتجى ويزار من اقصى البلاد على الوجا • ملك غدا بالمكرمات مقلدا وموشحا ومتوجا
عمرت مقامات الملوك بذكره • وتعطرت منه الرياح تارجا • وحد الوجود وقد دجا فاضاه وراه في الزمن العطل فتوجا
ولما قدمت عليهم اكرم مقدمي واعذب لي مسارعه موردي واتيح لي حسن الاقبال والقبول
مقصدي وقربني الرسم والراتب وعين وقتا للدخول الى مجلسه يحضرها ولا صاحب وكان
اكثر مجالسه المرتبة يحضرها العلما والفضلا يفتتح في ذلك بقراة القران ثم تقرا بين يديه
قدر ورقتين وثلاث من الاحاديث النبوية وربما وقع البحث في معانيها ثم يختم المجلس
بالدعا فيدعو هو وكذا كان يدعو عند قربه ولهم الى الركوب ثم ينزل فيبدا بما قصد والذي
اعلمه من حاله انه كان يحفظ القران وكان يحفظ متون الاحاديث ويتكلم في الفقه
والاحكام كلاما بليغا وسائل ومباحث وكان فقها الوقت يرجعون اليه في الفتاوى
والمشكلات وله فتاوى مجموعة وكانوا ينسبونه الى مذهب الظاهر والحكم بالنصوص
وكان فصيح العبارة مهيبا محفوظ الاشارة مع تمام الخلقة وحسن الصورة وطلاقة البشر
لا يرى منه اكفهرار ولا له عن مجالسه اعراض ولا ازورار يدخل عليه الداخل فيراه يرى
الزهاد والعلما وعليه جلالة الملوك وقد صنف كتاب الترغيب في احاديث الصلاة والعبادات
ومن فتاويه حضانة الولد للام ثم للاب ثم للجدة اليمين على المنكر ولا ترد على المدعي بحال
من نكل عن اليمين حكم عليه بما نكل عنه الشفعة لا تسقط الا بتصريح من الذي تجب له اسقاطها
من ادعى العدم واشكلت حبس طالبه بين ان يخلي سبيله وبين ان يحبسه وينفق عليه وله
شعر جيد وموشحات مشهورة وبلغني ان قوما اتوه بفيل هدية من بلاد السودان فوصلهم
ولم يقبل الفيل وقال لا نريد ان نكون اصحاب الفيل وقيل انه جرى ذلك للوالد ابو يوسف
ثم ذكر فصلا فيه طول في كرمه وعدله وحبه الى ان قال فاذا كان عشر ذي الحجة امر ولاة
الزكاة باحضارها فعزلت في الاصناف الثمانية حدثني بعض عمالهم انه فرق في عيد
سنة اربع وتسعين ثلاثا وسبعين الف راس من معز وضان ثم ذكر انه عمل مكتبا فيه جماعة
عرفا وغيرهم ويجري عليهم النفقات والكسوة للصبيان فسالت واحدا فقال نحن فيه
عشر معلمين والصبيان يزيدون على الالف وقد ينقصون وكان يكسو الفقرا في العام
ويعطي اولادهم ويعطي الصبي دينارا قال عبد الواحد وكان مهتما بامر البنا لاجل كل وقف

من قصد بسخده او مدينة بجميعها وزاد في مراكش زيادة كثيرة وامر ان تميز اليهود
بثياب كحلية واكمام مفرطة في الطول والسعة تصل الى قريب اقدامهم وبدلا من العمائم
كلوتات على اشنع صورة كانها البراذع الى تحت آذانهم وشاع هذا الزي فيهم وبقوا
الى ان توسلوا الى ابنه بعده بكل وسيلة وشفاعة فامرهم ابنه بثياب صفر وعمائم صفر
فهم على ذلك الى وقتنا وهو سنة احدى وعشرين وستمائة ذكر تاج الدين بن حمويه انه
سال ابن عطية الكاتب ما بال هذه البلاد يعني المغرب ليس فيها احد من اهل الذمة
ولا كنائس ولا بيع فقال هذه الدولة قامت على رهبة وخشونة وكان المهدي قد قال
لاصحابه ان هولاء الملثمين مبتدعة مجسمة مشبهة كفرة فجوزوا قتلهم وسبيهم بعد ان
يعرضوا عليهم الايمان فلما بعد ذلك واستولوا على السلاطين بعد موت المهدي وفتح
عبد المومن مراكش احضر اليهود والنصارى وقال الستم قد انكرتم ثم بعثوا اوائلكم بعثة
النبي صلى الله عليه وسلم وقد دفعتم ان يكون هو الرسول الموعود به في كتابكم وقلتم ان
الذي ياتي انما ياتي ليشد شريعتنا ويقرر ملتنا قالوا نعم قال فاين منتظركم اذا
سيما وقد غرتم زعمتم لا يتجاوز خمسمائة عام قد انقضت لملتنا ولم يات منكم نبي ولا
نذير ونحن لا نقركم على كفركم ولا لنا حاجة بجزيتكم فاما الاسلام او القتل ثم اجلهم مدة
ليخفف اثقالهم وبيع املاكهم والتروح من بلاده فاما اكثر اليهود فانهم اظهروا الاسلام
تقية فاقاموا على اموالهم واما النصارى فدخلوا الى الاندلس ولم يسلم منهم الا القليل
وخربت الكنائس والصوامع بجميع المملكة فليس فيها مشرك ولا كافر يتظاهر بكفره
الى بعد الستماية وهو حين مصالي عن المغرب قال عبد الواحد وانما حمل ابا يوسف على ما
صنعه بهم شكه في اسلامهم وكان يقول لو صح عندي اسلامهم لتركتهم يختلطون بالناس في
انكحتهم وامورهم ولو صح عندي كفرهم لقتلتهم ولكني متردد فيهم ولم ينعقد عندنا ذمة
ليهودي ولا نصراني منذ قام امر المصامدة ولا في جميع بلاد المغرب بيعة ولا كنيسة انما
اليهود عندنا يظهرون الاسلام ويصلون في المساجد ويقرئون اولادهم القران
جارين على ملتنا وسنتنا والله اعلم بما تكن صدورهم قلت ما سغا ان يسمي هولاء يهود
ابدا انهم مسلمون محنة ابن رشد وسببها انه اخذ في شرح كتاب الحيوان لارسطاطاليس
فهذبه وقال فيه عند ذكر الزرافة رايتها عند ملك البربر كذا غير ملتفت الى ما يتعاطاه

خدمة

خدمة الملوك من التعظيم فكان هذا مما احنقهم عليه ولم يظهروه ثم ان قوما ممن يناويه
بقرطبة ويدعي معه الكفاءة في البيت والحشمة سعوا به عند ابي يوسف بان اخذوا بعض
تلك التلاخيص فوجدوا فيه بخطه حاكيا عن بعض الفلاسفة قد ظهر ان الزهرة احد
الالهة فاوقفوا ابا يوسف على هذا فاستدعاه بحضرة الكبار بقرطبة فقال له اخطك
هذا فانكر فقال لعن الله كاتبه وامر الحاضرين بلعنه ثم امر باخراجه مهانا وبابعاده وابعاد
من يتكلم في شي من هذه العلوم وبالوعيد الشديد وكتب الى البلاد بالتقدم الى الناس في
تركها وباحراق كتب الفلسفة سوى الطب والحساب والمواقيت ثم لما رجع الى مراكش
نزع عن ذلك كله وجنح الى تعلم الفلسفة واستدعى ابن رشد للاحسان اليه فحضر ومرض
ومات في اخر سنة اربع وتوفي ابو يوسف في غرة صفر وولي بعده ولي عهده ابو عبد الله محمد
وكان قد جعله في سنة ست وثمانين ولي العهد وله عشر سنين اذ ذاك وقال الموفق
احمد بن ابي اصيبعة في تاريخه حدثني ابو مروان الباجي قال ثم ان المنصور نقم على ابي الوليد
وامر ان يقيم في بلد اليسانة وان لا يخرج منها ونقم على جماعة من الاعيان وامر ان يكونوا في
مواضع اخر لانهم مشتغلون بعلوم الاوائل والجماعة ابو الوليد وابو جعفر الذهبي ومحمد
ابن ابرهيم قاضي بجاية وابو الربيع الكفيف وابو العباس الشاعر القرابي ثم ان جماعة
شهدوا لابي الوليد انه على غير ما نسب فرضي عنه وعن الجماعة وجعل ابا جعفر الذهبي
مزوارا للاطباء والطلبة ومما كان في قلب المنصور من ابي الوليد انه كان اذا تكلم معه
يخاطبه بان يقول تسمع يا اخي قلت واعتذر عن قوله ملك البربر بان قال انما كتبت
ملك البرين وانما صحفها القاري وقال الامام ابو شامة وفيها توفي خليفة المغرب
ابو يوسف الذي كسر الفنش وكان قد قام بالملك بعد ابيه احسن قيام ونشر كلمة
التوحيد ورفع راية الجهاد وامر بالمعروف ونهى عن المنكر واقام الحدود على اقاربه وعشيرته
وكان سمحا جوادا عادلا مكرما متمسكا بالشرع يصلي بالناس الصلوات الخمس ويلبس
الصوف ويقف للمراة والضعيف اوصى عند الموت الى ولده ابي عبد الله وان يعفو عن
قاطعي الطريق لئلا يترحم عليه توفي في ربيع الاول ومدة ملكه خمس عشرة سنة كتب اليه
الملك صلاح الدين يستنجده على الفرنج ولم يخاطبه في الكتاب بامير المومنين فلم يجبه الى
ما طلب وقال احمد بن ابي اصيبعة في ترجمة ابي جعفر بن الغزال انه لازم الحفيد ابا بكر بن

زهر حتى يبرع في الطب وخدم المنصور وكان المنصور قد ابطل الخمر وشدد في ان لا يوجد
شي منه او يكون عند احد ثم بعد مدة قال المنصور لابي جعفر بن الغزال اريد أن تركب
لي ترياقا فجمع جوايحه فاعوزه الخمر فاعلم المنصور فقال يطلبه من كل ناحية فلعل يقع عند
احد فطلبه حتى يئس فقال المنصور والله ما كان قصدي تعمل الترياق الا لاعتبر هل
بقي عند احد خمر ام لا **قلت** وهذا من احسن التلطف في كشف الامور الباطنة وبلغني
ان الادفنش لما بعث الى ابي يوسف يتهدده ويطلب منه بعض الحصون وكانت المكاتبة
من انشاء وزيره ابن الفخار وهي باسمك اللهم فاطر السماوات والارض وصلى الله على السيد
المسيح روح الله وكلمته الرسول الفصيح اما بعد فلا يخفى على ذي ذهن ثاقب ولا عقل
لازب انك امير الملة الحنيفية كما انا امير الملة النصرانية وقد علمت ما عليه نوابك من
روساء الاندلس من التخاذل والتواكل واهمال الرعية واخلادهم الى الراحة وانا
اسومهم القهر واخلي الديار واسبي الذراري وامثل بالرجال ولا عذر لك في التخلف
عن نصرهم اذا امكنتك يد القدرة وانتم تزعمون ان الله فرض عليكم قتال عشرة منا
بواحد منكم فالان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا ونحن الان نقاتل عشرة منكم بواحد
منا لا تستطيعون دفاعا ولا تملكون امتناعا وقد حكي عنك انك اخذت في الاحتفال
واشرفت على ربوة القتال وتماطل نفسك عاما بعد عام تقدم رجلا وتؤخر اخرى فلا
ادري الجبن بطا بك ام التكذيب بما وعدك ربك ثم قيل لي انك لا تجد الى جواز البحر سبيلا
لعلة لا يسوغ لك التقحم معها وها انا اقول لك ما فيه الراحة واعتذر لك وعنك على
ان تفي بالعهود والمواثيق وكثرة الرهائن وترسل الي جملة من عسكرك بالمراكب والشواني
واجوز بجملتي اليك واقاتلك في اعز الاماكن لديك فان كانت لك فغنيمة كبيرة جلبت
اليك وهدية عظيمة مثلت بين يديك وان كانت لي كانت يدي العليا عليك واستحقيت
امارة الملتين والحكم في البرين فلما وصل كتابه الى ابي يوسف مزقه وقطعه وكتب
على قطعة منه ارجع اليهم فلناتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون
الجواب ما ترى لا ما تسمع وهذا البيت وهو للمتنبي ولا كتب الا المشرفية عندنا ولا رسل الا الخميس العرمرم
ثم استنفر الناس وجمع الجيوش فكانوا مائتي الف في الديوان ومائة الف مطوعة وسار
الى زقاق سبتة فعدا منه الى الاندلس وطلب الادفنش فكان المصاف عند قلعة

رباح

رباح شمالي قرطبة ففتح الله ونصر وكانت ملحمة هائلة قل ان وقع مثلها في الاسلام قيل
انه حصل فيها لبيت المال من دروعهم ستون الف درع واما الدواب فلم يحصر لها
عدد وذكر ابن الاثير في الكامل ان عدد من قتل من الفرنج مائة الف وستة واربعون
الفا وقتل من المسلمين نحو من عشرين الفا واسر من الفرنج ثلاثة عشر الفا وغنم المسلمون
منهم شيا عظيما فمن الخيام مائة الف وثلاثة واربعون الفا ومن الخيل ستة واربعون الفا
ومن البغال مائة الف ومن الحمير مائة الف ونادى يعقوب من غنم شيا فهو له سوى
السلاح قال ثم انه سار الى طليطلة فحاصرها واخذ اعمالها وترك الفرنج في اسوء
حال ورجع الى اشبيلية فاقام الى اثنا سنة ثلاث وتسعين فعاد واغار وسبا
ولم يبق للفرنج قدرة على ملتقاه فالتمسوا الصلح فاجابهم لما اتصل اليه من اخبار ابن
غانية الميورقي الذي خرج عليه في سنة ثمانين وهو علي بن اسحق الملثم وقام بعده اخوه
يحيى بن اسحق فاستولى على بلاد افريقية واستفحل امره فيها ذان ابو يوسف خمسة اعوام
وعاد الى مراكش وشرع في عمل الاحواض والروايا والالات للبرية ليتوجه الى افريقية
ودخل مدينة سلا ليسيرها وكان قد بنى بقرب سلا مدينة على هيئة الاسكندرية سماها
رباط الفتح ثم عاد الى مراكش وبعد هذا اختلفت الاقوال في امره فقيل انه
ترك ما كان فيه وتجرد وساح في الارض حتى انتهى الى بلاد المشرق مختفيا ومات خاملا
خفيا وقيل انه مات ببعلبك وهذا القول خرافة ومنهم من قال رجع الى مراكش وتوفي
بها وقيل مات بسلا وكان مولده في ربيع الاول سنة اربع وخمسين وعاش احدى
واربعين سنة وكان قد امر برفض فروع الفقه وان لا يفتي العلماء الا بالكتاب والسنة
وان تجتهد يعني على طريقة اهل الظاهر **قال** القاضي شمس الدين بن خلكان لقد
ادركنا جماعة من مشايخ المغرب وصلوا الينا الى البلاد وهم على تلك الطريقة مثل ابي
الخطاب بن دحية واخيه ابي عمرو والشيخ محيي الدين بن العربي وكان قد عظم ملكه
واتسعت دائرة سلطنته واليه تنسب الدنانير اليعقوبية **قال** ابن خلكان وحكي
لي جمع كثير بدمشق في سنة ثمانين وستمائة ان بالقرب من المجدل بالبقاع قرية يقال
لها حمارة الى جانبها مشهد يعرف بقبر الامير يعقوب ملك المغرب وكل اهل تلك النواحي
متفقون على ذلك وبين القبر وبين المجدل نحو فرسخين **قلت** الاصح موته بالمغرب توفي

في غرة جمادى الاول وقيل في ربيع الاخر وقيل في صفر كما تقدم **سنة ست** وتسعين
وخمسمائة فيها مات السلطان علا الدين خوارزم شاه تكش وقام بعده ابنه محمد وفيها
كان الملك الافضل والملك الظاهر على حصار دمشق والعساكر خائفة منازلتهم قد
حفروا عليها خندقا من ارض اللوان الى بلدا احترازا من مهاجمة الدمشقيين لهم وعظم
الغلا بدمشق وزاد البلا وكادت ان تعدم الاقوات بالكلية بها وتفرقت اموال
الملك العادل على الامرا والجند واكثر الاستدانة من التجار والاكابر وكان يدبر
الامور بعقل ومكر ودها حتى تماسك امره ثم فارقه جماعة امرا فكتب الى ابنه الملك الكامل
ان اسرع الي بالعساكر وحصر قلعة جعبر ما ستفتحها العساكر فسار الكامل
ودخل جعبر واخذ منها اربعمائة الف دينار وسار الى دمشق وتوانى الامراء عن
معارضته فدخل البلد وقوي به ابوه وضعف امر الظاهر والافضل ووقع بينهما
على مملوك للظاهر الذي كان مليحا اخذه الافضل واخفاه ثم رحل الافضل والظاهر
الى راس الما وافترقا وهجم الشتا وردا الافضل الى مصر والظاهر الى حلب فخرج العادل
تبع الافضل فادركه عند الغرابي من رمل مصر ودخل العادل القاهرة ورجع الافضل
الى صرخد متحوسا وكان في اول السنة قد وصل ابن اخي السلطان خوارزم شاه مستعفيا
عن عمه مما اقدم عليه من مواجهة الديوان بطلب الخطبة فاكرم مورده قال القاضي جمال
الدين بن واصل ثم سار الافضل والظاهر الى راس الما وعزما على المقام به الى ان
ينسلخ الشتا فتواترت الامطار وغلت الاسعار فاتفقا على الرحيل وتاخير الحصار
الى الربيع ودخل الافضل مصر وتفرق عسكره لربيع دوابهم بعد ان خامر منهم طايفة
كبيرة الى العادل ورحل العادل ودخل الرمل فرام الافضل جمع العساكر فتعذر
عليه فخرج في عسكر قليل ونزل السايح وعمل المصاف مع عمه فانكسر وولى المصريون
منهزمين وكان بعضهم مخامرين وتخاذلوا عنه فاضطر الى ان ترك مصر وتعوض
عنها فارقين وحاني وسميساط ودخل العادل القاهرة في الحادي والعشرين من ربيع
الاخر واحتج به الافضل ثم سافر الى صرخد ثم طلب العادل ابنه الكامل وملكه ديار
مصر وجعل ابنه الكامل نايبا عنه فناب عنه قريبا من عشرين سنة ثم استقل بالملك بعده
عشرين سنة واشهرا **وانبانا** ابن الجوزي قال في ربيع الاخر التقى عسكر العادل وعسكر

الافضل

الافضل فانهزم عسكر الافضل وهو الى القاهرة فساق العادل ونزل محاصرا القاهرة
فارسل الافضل الى عمه العادل يطلب منه بعض بلاده فقال العادل اريد دمشق
فلم يجبه ثم آل الامر الى ان رضي بميافارقين وخرج من مصر ودخلها العادل فعمل النيابة
للملك المنصور علي بن العزيز ثم لم يسمح بلطف وتناقل الامرا الى ان ملك الديار المصرية
وخطب لنفسه وقال هذا صبي يحتاج الى المكتب ثم قطع خطبة الصبي. وفيها قدم بغداد
من الغرب رسول الملثمة من محمد ومه اسحق بن يحيى بن اسحق بن على ابنه الملثم المايرقي
الخارج على بني عبد المومن ملقي في الموكب الشريف واخبر ان مرسله اقام الدعوة للخليفة
ببلاده بلاد الغرب **انبانى ابن الجوزي قال اخبرني ان الرسول المذكور كان ملثما لا يظهر**
منه سوى عينيه واقام ببغداد اياما واعطي لوا اسود وخلعا واعيد الى مرسله وحج
من العراق بالناس سنقر الناصري ويعرف بوجه السبع ولما تمكن السلطان الملك العادل
سيف الدين ابو بكر من مملكة مصر سير الامير علم الدين كرجي الاسدي واسد الدين
سرا سنقر لحضار ولده الملك الكامل فدخل الكامل الى القاهرة في اواخر رمضان
من السنة وخرج العادل بامرا الدولة المصرية ما بين رو اصعه ليسيروا الى خلاط وحثهم
على ذلك فلما كان سابع عشر شوال ركب بالسناجق والسيوف المجردة في الدست
فلم يجسر احد من الامرا ان ينطق وامر الخطبا فخطبوا باسمه كما ذكرنا ثم لم يلبث الا اياما
يسيره حتى سلطن ولده الملك الكامل على الديار المصرية وقدم عليه اخوه لامه صاحب
المدرسة الفلكية بدمشق فلك الدين سليمان بن شروة بن جلدك وفيها كان نقص النيل
والغلا والوبا المفرط وخربت ديار مصر وجلا اهلها عنها واشتد البلا في سنة سبع
واكلوا الجيف ثم اكلوا الادميين ومات بديار مصر ما لا يعلمهم الا الله وكسر النيل
من ثلاثة عشر ذراعا الا ثلاث اصابع وقيل لم يكمل اربعة عشر ذراعا **خوارزم**
شاه السلطان علا الدين تكش بن الملك رسلان شاه بن اطسز كذا نسبه الامام ابو
شامه وقال هو من ولد طاهر بن الحسين قال وكان شجاعا جوادا ملك الدنيا من
السند والهند وما وراء النهر الى خراسان الى بغداد فانه كان نوابه في حلوان وكان في ديوانه
مائة الف مقاتل وهو الذي كسر مملوكه عسكر الخليفة وازال دولة بني سلجوق وكان
حاذقا بعلم الموسيقى لم يكن احد العب منه بالعود وكان الباطنية حنقوا عليه من يقتله

وكان خوارزمشاه كثيرا ما يجلس ليلة يلعب بالعود فاتفق انه غنى بيتا بالعجمي معناه قد انصرف
وجهه الباطني فخاف فارتعد فهرب واخذوه وحمل اليه ففتشه فاعترف بفعله وكان
يباشر الحروب بنفسه وذهبت عينه في القتال وكان قد عزم على قصد بغداد وحشد
فوصل الى دهستان فتوفي بها في رمضان وحمل الى خوارزم ودفن عند اهله وقام بعده
ولده خوارزمشاه محمد ولقب علاء الدين بلقب ابيه قال ابن الجوزي وقال السلطان خوارزم
شاه تكش ملك مشهور عنده اداب وفضايل ومعرفة بمذهب ابي حنيفة وبنى مدرسة
بخوارزم للحنفية وله المقامات المشهورة في رضى الديوان منها محاربة السلطان طغرل
وقتله وقطع راسه وبعث الى الوزير مويد الدين محمد بن القصاب خلف وكان قد بعث له تشريف من
الديوان فرده بسبب الشغله وندم واعتذر وطلب تشريفا فبعث له فلبسه ولم يزل نافذ
الامر ماضي الحكم حتى توفي العشرين من رمضان بشهرستانه وحمله ولده قطب الدين محمد ودفنه
بمدرسته بخوارزم وذكر المنذري وفاته في سابع عشر رمضان وقال ابن الاثير حصل له
خوانيق فاشير عليه بترك الحركة فامتنع وسار فاشتد مرضه ومات وولي بعده ولده قطب الدين
محمد ولقب بلقب والده علاء الدين عبد الرحيم بن علي بن الحسن بن الحسن بن احمد بن المفرج
ابن احمد القاضي الفاضل ابو علي ابن القاضي الاشرف ابي الحسن اللخمي البيساني العسقلاني
المولد المصري الدار الكاتب صاحب ديوان الانشاء للدولة الصلاحية وبعدها ولد
في منتصف جمادى الاخرة سنة تسع وعشرين وخمسمائة ولقبه محيي الدين وفي نسبته الى
بيسان نحو زمانه ليس منها وانما ولي ابوه قضاها فلهذا نسب اليها انتهت الى القاضي
الفاضل براعة الانشاء وبلاغة الترسل وله في ذلك معاني مبتكرة لم يسبق اليها لكثرتها
قال القاضي شمس الدين بن خلكان نقل عنه انه قال ان مسودات رسايله في المجلدات
والتعليقات في الاوراق اذا جمعت ما تقصر عن مائة مجلد وله نظم كثير واشتغل بصناعة
الانشاء على الموفق يوسف بن الخلال شيخ الانشاء المتاخرين من خلفاء بني عبيد ثم انه سفر
الى الاسكندرية في شبيبته واقام بها مدة قال عمارة اليمني ومن محاسن العادل بن الصالح
رزيك خروج امره الى والي الاسكندرية بتسيير القاضي الفاضل الى الباب واستخدامه في
ديوان الجيش فانه غرس منه للدولة بل للملة شجرة مباركة متزايدة النماء اصلها ثابت
وفرعها في السماء وقال العماد ونمت الرزية الكبرى وفجيعة اهل الدين باستقلال القاضي

القاضي الفاضل

الفاضل

الفاضل من دار الفناء الى دار البقاء في داره بالقاهرة في سادس ربيع الاخر وكان ليلتئذ
صلى العشاء وجلس مع مدرس مدرسته وتحدث معه ما شاء وطالت المسامرة وانفصل
الى منزله صحيح البدن وقال لغلامه رتب حوائج الحمام وعرفني حتى اقضي من المنام فوافاه سحرا
للاعلام بما امر فصوت الغلام فلم يبد بان كلم الحمام حمى الكلام وان ونوقه بطهارته من
الكوثر اغناه عن الحمام فبادر اليه ولده فالفاه وهو ساكت باهت فلبث يومه لا يسمع له
الا انين خفي ثم قضى سعيدا ولم يبق في حياته عملا صالحا الا وقدمه ولا عهدا في الجنة الا
احكمه ولا عقدا في البر الا ابرمه فان صنايعه في الرقاب واوقافه على سبيل الخيرات متجاوزة
الحساب لا سيما اوقافه لفكاك اسرى المسلمين الى يوم الحساب واعان الطلبة الشافعية
والمالكية عند داره بالمدرسة والايتام بالكتاب وكان للحقوق قاضيا وفي الحقائق
ماضيا بسلطانه مطاع والسلطان له مطيع ما افتتح الاقاليم الا باقاليد ارائه ومقاليد
غناه وغنائه وكنت من حسناته محسوبا والى مناسبة الايه منسوبا اعرف صناعته
وتعرف صناعتي واعارض بضاعته الثمينة بمزجاة بضاعتي وكانت كتابته كتائب النصر
وبراعته رائعة الدهر وبراعته بارئة للبر وعبارته نافثة في عقد السحر وبلاغته للدولة
مجملة وللمملكة مكملة وللعصر الصلاحي على سائر الاعصار مفضلة وهو الذي نسخ اساليب
القدماء بما اقدمه من الاساليب واغربه من الابداع وابدعه من الغريب وما الفيته كرر دعاء
في مكاتبه ولا ردد لفظا في مخاطبه بل ياتي فصوله مبتكرة مبدعة مبتدهة لا مفتكرة
بالعرف والعرفان معروفة لا نكرة وكل الكرام في ظله متقلبون ومن عثرات النوائب بفضله
مستقبلون وبعزائمه يعزون والى عزه يعزون الوفادة ومن الافادة ومن السيادة ولمن
السعادة وقال ابن خلكان في ترجمته ورد للسلطان صلاح الدين من شعره عند وصوله
الى الفرات متشوقا الى النيل   بالله قل للنيل عني انني   لم اشف من ماء الفرات غليلا
وسل الفؤاد فانه لي شاهد   ان كان جفني بالدموع بخيلا   [illegible]
وكان الملك العزيز بن صلاح الدين يميل الى القاضي الفاضل في ايام ابيه واتفق انه احب
قينة وشغف بها وبلغ صلاح الدين فمنعه من صحبتها ومنعها منه فحزن ولم يسعه بعد هذا
بها فسيرت له مع خادم كرة عنبر فكسرها فوجد فيها زر ذهب فلم يفهم المراد به وجاء العزيز
فعرفه الصورة فعمل القاضي   اهدت لك العنبر في وسطه زر من التبر دقيق اللحام

فالورد في العنبر معنا انما هما زد هكذا مستترا في الظلام نمشي على حال يشبه الهوى
ودبا لا يمكن الشرح وله بوابا الليل وقلنا له ان غبت عنا دخل الصبح وله
وسيف عتيق للعلا فان يقل رايت ابا بكر فقل وعتيق فربما به مهوا الطربوا الى الذي
ودع كل باب ما اليه طريق وله رحمه الله بني شنا الملك فيه وقد ولي الوزاره من قصيده

قال الزمان لغيره اذ رامها تربت يمينك لست من اربابها
اذهب طريقك لست من ارببابها وارجع وراك لست من اترابها

وبعز شدنا وسيد عزيا ذلت فزال ايام شمس صعابها وانت سعادته الى ابوابه الا كالذي يسعى الى ابوابها
صوانها خوانها علامها عمالها ابدالها وهابها وبلغنا ان كتبه التي ملكها بلغت
مائه الف مجلد وكان يحصلها من سائر البلاد وذكر القاضي ضيا الدين القاسم بن يحيى
الشهرزوري ان القاضي الفاضل لما سمع ان الملك العادل اخذ الديار المصريه دعا على نفسه بالموت
خشيه ان يستدعيه وزيره صفي الدين بن شكر او يجري في حقه اهانه فاصبح ميتا وكان
له معامله حسنه مع الله وتهجد بالليل وقال العماد في الخريده وقد اثنى عليه وعلى اعيان
مصر تقدم ذكر من جميع افاضل العصر كالقطره في بحر المولى القاضي الاجل الفاضل الاسعد
ابو علي عبد الرحيم بن القاضي الاشرف ابي المجد علي بن البيساني صاحب القران العديم الاقران
واحد الزمان الى ان قال فهو كالشريعه المحمديه نسخت الشرايع يخترع الافكار ويفترع
الابكار وهو ضابط الملك بارايه ورابط السلك باراية ان شا انشا في يوم ما لو دون
لكان لاهل الصناعه خير بضاعه اين قس من فصاحته وقيس في حصافته ومن حاتم وعمرو في
سماحته وحماسته لا من في فعله ولا مين في قوله ذو الوفا والمروه والصفا والفتوه والتقى
والصلاح والندى والسماح وهو من اوليا الله الذين خصوا بكرامته واخلصوا لولايته وهو
مع ما يتولاه من اشغال المملكه لا يفتر عن المواظبه على نوافل صلواته ونوافل صلاته ويختم
كل يوم من القران المجيد ويضيف اليه ما شا الله من المزيد وانا اوثر ان افرد لنظمه ونثره
كتابا فانني غادرت كرمه مع الدين ثم كالشمس في فلك شمسه وكتابه وكالشرى عند ثريا
عله وذكاه فانما تبدوا النجوم اذا لم يبرز الشمس حاجبها وانه لا يوثر ايضا اشاعه ذلك
فانا ممتثل لامر المطاع ملتزم له قانون الاتباع لا اعرف ما ملكني غيره ولا انتدي
الا لما جعلني بصدده قلت وكان احدث بحدثنا شيخنا جمال الدين الفاضلي ان القاضي الفاضل

ذهب

كان القاضي الفاضل [illegible]

ذهب في الرساله الى صاحب الموصل فحضر واحضرت فواكه فقال بعض الحاضرين متكلما على الفاضل
خياركم احدب فقال الفاضل خسنا خير من خياركم وحدثني الفاضلي في اخر سنه احدى
وتسعين ان القاضي والعماد الكاتب كانا في الموكب فقال القاضي الفاضل
اما الغبار فانه مما اثارته السنابك وقال للعماد اجز فقال فالجو منه مغبر لكن تباشر
بادهر في عبد الرحيم فلا امالي مس نابك • قلت وقد سمع ابا طاهر السلفي وابا محمد
العثماني وابا الطاهر بن عوف وابا القاسم بن عساكر الحافظ وعثمان بن سعيد بن فرح
العبدري قال المنذري وزر للسلطان صلاح الدين وركن اليه ركونا تاما وتقدم عنده
كثيرا وكان كثير البر والمعروف والصدقه وله اثار جميله ظاهره مع ما كان عليه من
الاغضا والاحتمال توفي ليله سابع ربيع الاخر وقال الموفق عبد اللطيف ذكر
خبر القاضي الفاضل كانوا ثلاثه اخوه واحد منهم خدم في الاسكندريه وبها مات
وخلف من الخواتم صناديق ومن الحصر والقدور والخزف بيوتا مملوه وكان متى راى خاتما
او سمع به تسبب في تحصيله واما الاخر فكان له هوس مفرط في تحصيل الكتب كان عنده
زها مايتي الف كتاب من كل كتاب نسخ والثالث القاضي وكان له غرام بالكتابه وتحصيل
الكتب ايضا وكان له الدين والعفاف والتقى مواظب على اوراد الليل والصيام والتلاوه
ولما ملك اسد الدين احتاج الى كاتب فاحضر فاعجبه سمته ونقيحته فلما ملك
صلاح الدين استخلصه لنفسه وحسن اعتقاده فيه وكان قليل اللذات كثير الحسنات
دايم التهجد يشتغل بالادب والتفسير وكان قليل النحو لكن له دربه قويه توجب قله اللحن
وكتب من الانشا ما لم يكتبه احد اعرف عند ابن سنا الملك من انشائه اثنين وعشرين مجلدا
وعند ابن القطان احد وعشرين مجلدا وكان متقللا في مطعمه ومنكحه وملبسه
لباسه البياض لا يبلغ جميع ما عليه دينارين ويركب معه غلام وركابي ولا يمكن احدا
ان يصحبه ويكثر تشييع الجنايز وعياده المرضى وزياره القبور وله معروف معروف
في السر والعلانيه وكان ضعيف البنيه رقيق الصوره له حدبه يغطيها الطيلسان
وكان فيه سوء خلق يكمد به في نفسه ولا يضر احدا به ولاصحاب الفضايل عنده نفاق يحسن
اليهم ولا يمن عليهم ولم يكن له انتقام من اعدايه الا بالاحسان اليهم وبالاعراض عنهم وكان
دخله ومعلومه في السنه نحو خمسين الف دينار سوى متاجر الهند والمغرب وغيرها فما مشكونا

ما قال الموفق عبد اللطيف في حق القاضي الفاضل

[illegible] القاضي الفاضل

دخله

أحوج ما كان إلى الموت عند تولي الإقبال وإمارات الإدبار وهذا يدل على أن لله به عناية **عبد المنعم** بن عبد الوهاب بن سعد بن صدقة بن الخضر بن كليب مسند العراق أبو الفرج بن
أبي الفتح الحراني الأصل البغدادي الحنبلي التاجر الأزجي لسكناه درب الأزج ولد في صفر سنة
خمسمائة وبكر به أبوه بالسماع لكنه لم يكثر فسمع أبا القاسم بن بيان وأبا علي بن نبهان وأبا منصور
محمد بن أحمد بن طاهر الخازن وأبا بكر بن بدران الحلواني وأبا غالب إسماعيل بن ملة وأبا طالب الحسين
ابن محمد الزينبي وصاعد بن سيار الدهان والمبارك بن الحسن الغسال وانفرد بالرواية عنهم
وأجاز له أبو الغنائم النرسي وابن بيان وابن نبهان وأبو الخطاب محفوظ الكلوذاني الفقيه
وأبو طاهر عبد الرحمن بن أحمد اليوسفي وأبو العز محمد المختار وأبو علي بن المهدي ومحمد عبد الباقي
الدوري وحمزة بن أحمد الزوزداوري وأبو البركات عبد الكريم بن هبة الله النحوي وله
مشيخة معروفة وكان صحيح السماع والذهن والحواس إلى أن مات صبورا على المحدثين
محبا للرواية دخل مصر مع والده وسكن ثغر دمياط مدة وحج سبع حجج وحج ثامنة معادلة
ويعرف بالبحر روى عنه خلق من الحفاظ وسمع صحيح البخاري من أبي طالب الزينبي فممن روى عنه
الزينبي وابن النجار وابن خليل ومحمد المقدسي البزاز وعمر بن بدر الموصلي وأبو موسى عبد الله بن
الحافظ ومحمد الكرم الكاتب والمداني وأحمد سلامة الحراني ومحيي الدين يوسف بن الجوزي
وشرف الدين شيخ الشيوخ الحموي ويوسف بن شروان وداود بن شجاع البواب وأحمد عبد
الواسع بن أميركاه ومحمد هبة الله بن الدوامي وعبد العزيز بن محفوظ البنا والواعظ شمس
الدين يوسف بن قزغلي البغدادي وابن مبارك الحنبلي المصري والزين بن عبد الدائم والنجيب عبد
اللطيف وهو آخرهم روى عنه بالسماع وبالإجازة الحافظ الضياء وابن أبي اليسر
والقطب أحمد عبد السلام بن أبي عصرون وسعد الدين الخضري وعبد السلام بن حمويه وأبو
العباس أحمد بن أبي الخير ومحمد بن يعقوب بن أبي الدينة والعز عبد العزيز بن الصيقل
وهو آخرهم روى عنه بالإجازة في الدنيا قال الحافظ زكي الدين المنذري سمعت قاضي
القضاة أبا محمد الكناني يقول سمعته يقول بعني ابن كليب تسريت بمائة وثماني وأربعين جارية
وكان يخاصم أولاده في ذلك الشيء أشتري الجارية أشتري إلى أن توفي ليلة السابع والعشرين
من ربيع الأول وقال ابن النجار ألحق الصغار بالكبار وتمتع بصحته وذهنه وحسن صورته
وجمال وجهه وكان لا يمل من السماع نسخ أجزاء بخطه وله سبع وتسعون سنة بخط مليح غير
مرتعش
مربعا

مرتعش ورواه من لفظه وكان من أعيان التجار ذا ثروة واسعة ثم تضعضع حاله وافتقر
واحتاج إلى الأخذ على الرواية ويقال لا يحدث بجزء بن عرفة إلا بدينار وكان صدوقا قرأت عليه
كثيرا **سنة سبع وتسعين وخمسمائة** قال الموفق عبد اللطيف دخلت سنة سبع مفترسة
لأسباب الحياة وما تشوفا من زيادة النيل وارتفعت الأسعار وأقحطت البلاد وضوى
أهل السواد والريف إلى أمهات البلاد والجلي كثر إلى البلاد الناس ومن قوا كل مرق
ودخل خلق منهم القاهرة واشتد بهم الجوع ووقع فيهم الموت عند نزول الشمس الحمل وفي
الهواء أكلوا الميتات والجيف ثم تعدوا إلى أكل الصغار وكثيرا ما يعثر عليهم ومعهم صغار
مشويون أو مطبوخون فيأمر السلطان بإحراق الفاعل رأيت صغيرا مشويا مع رجل وامرأة
أحضرا فقالا لا نحن أبواه فأمر بإحراقهما ووجد بمصر رجل قد جردت عظامه وبقي قفصا وفشا
أكل بني آدم واشتهر ووجد كثيرا وحكى لي جماعة نساء أنه يتوثب عليهن لاقتناص أولادهن
ويحامين عنهن بجهدهن ولقد أحرقت من النساء بمصر في أيام يسيرة ثلاثون امرأة كل منهن
تقر أنها أكلت جماعة ورأيت امرأة أحضرت إلى الوالي وفي عنقها طفل مشوي فضربت أكثر
من مائتي سوط على أن تقر فلا تحير جوابا بل تجدها قد انخلعت عن الطباع البشرية ثم سحبت
فماتت وحكى لنا رجل أنه كان له صديق فدعاه ليأكل فوجد عنده فقراء قدامهم طبيخ اللحم
ولبن معه خبز فرابه ذلك وطلب المرحاض فصادف عنده حراما مشحونة بلحم الآدميين
وباللحم الطري فارتاع وخرج هاربا وقد جرى للأطباء من هذا أن يأتي الطبيب أحدهم
من يأتيه ليخرج فلم يرجع والآخر أعطته امرأة درهمين ومضى معها فلما توغلت به مضايق
الطرق استراب وامتنع وشنعت عليها فتركت درهميها وانسلت وأما الثالث فإن رجلا
استصحبه إلى مريضه بالشارع وجعل في أثناء الطريق يتصدق بالكسر ويقول هذا
وقت اغتنام الأجر ثم أكثر حتى ارتاب به الطبيب ودخل معه دارا خربة فتوقف في الدرج
وفتح الرجل فخرج إليه رفيقه هل حصل صيد ينفع فخرج الطبيب وألقى نفسه إلى اصطبل فقام
إليه صاحب الإصطبل يسأله فأخفى قصته خوفا منه أيضا فقال قد علمت حالك فإن أهل
هذا المنزل يذبحون الناس بالحيل ووجدنا عند عطار عدة خوابي مملوءة بلحم الآدميين
في الملح فسألوه فقال خفت جدب دوام الحرب فيهزل الناس وكان جماعة قد أووا إلى
الحرس فعثر عليهم وطلبوا ليقتلوا فهربوا فأخبرني الثقة أن الذي وجد في بيوتهم أربعمائة جمجمة

وصف القحط الواقع في تلك السنة

ثم ساق بقية حكايته وقال وجميع ما شاهدناه لم نتقصده ولا تتبعنا مظانه وانما هو شي صادفناه
اتفاقا وحكى لي من اثق به انه اجتاز على امراة وبين يديها بغامت قد انسلخ وتغير وهي تاكل من
افخاذه فانكر عليها فزعمت انه زوجها ثم قال واشباه هذا كثير جدا ومما شاع ايضا نبش
القبور واكل الموتى فاخبرنا تاجر مامون حتى ورد من الاسكندرية بكثرة ما عاين بها
من ذلك يعني من اكل بني ادم وانه عاين خمسة اروس صغار مطبوخة في قدر وهذا المقدار بها
كاف واعتقد اني قد قصرت واما موت الفقرا جوعا فشي لا يعلمه الا الله والذي نشاهد
بالقاهرة ومصر هو ان الماشي لا يزال يقع قدمه او بصره على ميت او من هو في السياق وكان
يرفع من القاهرة كل يوم الى الميضاة ما بين مايه الى خمسمايه واما مصر فليس لموتاها
عدد يرمون ولا يوارون ثم عجزوا عن رميهم فبقوا في الاسواق والدكاكين واما
الضواحي والقرى فانه هلك اهلها قاطبة الا من شا الله وان المسافر ليمر بالقرية فلا
يرى فيها نافخ نار ويجد البيوت مفتحة واهلها موتى حدثني في ذلك غير واحد وقال بعضهم
انه مر ببلد ذكر لنا ان فيها اربعمايه دكان للحياكة فوجدناها خرابا وان الحايك في حفرة
حياكته ميت واهله موتى حوله فحضرني قوله تعالى ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون
قال ثم انتقلنا الى بلد اخر فوجدناه ليس به انيس واحتجنا الى الاقامة به لاجل الزراعة
فاستاجرنا من ينقل الموتى فيما حولنا الى النيل كل عشرة بدرهم وخبرني عن صياد بفوهة
تنيس انه مر به في بعض يوم اربعمايه ادمي يقذف بهم النيل الى البحر وانا مررت على
النيل في ساعة نحو عشرة موتى واما طريق الشام فصارت مزرعة لبني ادم وعادت
مادبة لحومهم للطير والسباع وكثيرا ما كانت تتخلص من ضيق الزحام فيبضون
حتى يموتوا واما بيع الاحرار فشاع وذاع وعرض علي جاريتان مراهقتان بدينار
واحد وسالتني امراة ان اشتري ابنتها وكانت جميلة دون البلوغ بخمسة دراهم فعرفتها
ان ذلك حرام فقالت خذها هدية وقد ابيع خلق وحملوا الى العراق وخراسان هذا
ومع ما يكون على شهوا انهم منغمسون في الفحشا لا تهم كانهم مستبيحون وكانوا يزنون بالنسا
حتى ان منهم من يقول انه افتض خمسين بكرا ومنهم من يقول ستين كل ذلك بالكسر
واما مصر فخلا معظمها واما سوق الخليج وزقاق البركة والمقس وما تاخم ذلك فلم
تبق فيها بيت مسكون ولم يبق وقود الناس عوضا الا حطب الا خشب السقوف والابواب

قد عبروا على تعبير اعاذنا الله منه

المرام

الخالية

الخالية فقد استغنى طائفة كثيرة من الناس في هذه النوبة واما النيل فانه اخترق في برموده
اختراقا كثيرا وصار الماء المقبل ثم في ارض جيزة وانحسر الماء عنه كان الجزيرة وظهر في وسطه جزيرة
عظيمة ومقطعات يابسة وتغير ريحه وطعمه ثم تزايد التغير ثم انكشف امره عن خضرة طحلبية كلما
تطاولت الايام ظهرت وكثرت كالتي ظهرت في امس من السنة الخالية ولم تزل الخضرة تتزايد الى اواخر
شعبان ثم ذهبت وبقي في الماء اجزاء يسيرة منبثة وطاب طعمه وريحه ثم اخذ يمتي ويقوى جريه الى
نصف رمضان فقاس ابن ابي الرداد في ماء البركة فكان ذراعين وزاد زيادة ضعيفة الى ثامن ذي
القعدة ثم وقف ولبث اياما فايقن الناس بالبلا واستسلموا للهلاك ثم انه اخذ في زيادات قوية
فبلغ في ثالث ذي الحجة خمسة عشر ذراعا وستة عشر اصبعا ثم انحط من يومه ومس بعض البلاد
كلها الغشم واروى العريشة ونحوها غير ان القرى خالية كما قال تعالى فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم
وندع الا مرا بعض البلاد وبها به شعرا لاردب خمسة دنانير واما بعوض الاسكندرية فبلغ
ستة دنانير ودخلت سنة ثمان وتسعين والاحوال على حالها او في تزيد الى نحو نصف السنة
وتناقص موت الفقرا لقلتهم لا لارتفاع السبب الموجب وتناقص كل الادميين ثم عدم وقل
خطفه لا طعمه من الاسواق لفنا الصعاليك ثم انحط الاردب الى ثلاثة دنانير لقلة الناس
وجف القاهرة وحكى لي انه كان في مصر تسعمايه منسج للحصر فلم يبق الا خمسة عشر منسجا فقس
على هذا امر ملفي الصناع من سائر الاصناف واما الدجاج فعدم راسا لولا انه جلب من الشام
وحكي لي ان رجلا جلب من الشام دجاجا بستين دينارا فباعها بنحو ثمانمايه دينار فلما وجد
البيض بيع بيضة بدرهم ثم كثر واما الفراريج فاشتري الفروج بمايه درهم ثم ابيع بدينار
مدة وقال في امر الخراب فاما الهلالية ومعظم الشارع ودور الخليج وحارة الساسة والمقس
وما تاخم ذلك فلم يبق فيها انيس وانما ترى مساكنهم خاوية على عروشها قال والذي دخل تحت
قلم ديوان الحشرية من الموتى وضمنه الميضاة في مدة اثنين وعشرين شهرا مايه الف واحد عشر
الفا الا اشيا يسيرا قلت هذا في القاهرة قال وهذا مع كثرته نزر في جنب ما هلك بمصر
والحواضر وكل نزر في جنب ما هلك بالاقاليم وسمعنا من الثقات عن الاسكندرية ان الامام
صلى يوم الجمعة على سبعمايه جنازة وان تركة انتقلت في مدة شهر الى اربعة عشر وارثا وان
طائفة يزيدون على عشرين الفا انتقلوا الى برقة واعمالها فعمروها وقطنوا بها وكانت مهلكة عظيمة
جرت في زمان خلفا مصر على يد الوزير اليازوري ونزح عنها اهلها ومن عجب ما اتفق انه شيخ من اطبا

تحت القسم

مدة اشتداد القحط مقدار عدة الموتى تقريب

صحه

اليهود ممن كان يساكنه انه استدعاه رجل وساره وشهره فلما صار في المنزل اغلق الباب ووثب
عليه فجعل في عنقه وهقا ومرث المرض حصته ولم يكن لهما معرفة بالقتل فطالت المناوشة
وعلا ضجيجه فتسامع الناس ودخلوا فخلصوا الشيخ من ساويه رمق وقد وجب خصياه
وكسرت ثنيتاه وحمل الى منزله واحضر ذاك الى الوالي فقال ما حملك على هذا قال الجوع فضربه
ونفاه **خبر الزلزلة** في سحر يوم الاثنين السادس والعشرين من شعبان ارتاع الناس
وهبوا من مضاجعهم مذهوشين وضجوا الى الله ولبث مدة وكانت حركتها كالغربلة او
كخفق جناح الطائر واستقرت على ثلاث رجفات قوية مادت لها الابنية واصطفقت الابواب
وتداعى من الابنية الواهي والعالي ثم تواترت الاخبار بحدوثها في هذه الساعة في البلاد
النائية فصح عندي انها حركت من قوص الى دمياط والاسكندرية ثم بلاد الساحل باسرها
والشام طولا وعرضا وتعفت بلاد كثيرة وهلك من الناس خلق عظيم وامم لا تحصى ولا
اعرف في الشام احسن سلامة منها من القدس وانكت في بلاد الفرنج وسمعنا وصلت الى
خلاط والى قبرس وان البحار تظم وتشوهت مناظره وصار فرقا كالاطواد وعادت المراكب
على الارض ثم تراجع الماء وطفا سمك كثير على سواحله ووردت كتب من الشام بامر
الزلزلة واتصل في كتابات اوردتها بلفظها تقول في احدها حدث زلزلة كادت لها
الارض تسير سيرا والجبال تمور مورا وما ظن احد من الخلق الا انها زلزلة الساعة
واتت الوقت على دفعتين اما الدفعة الاولى فاستمرت مقدار ساعة او تزيد عليها
واما الثانية فكانت دونها ولكن اشد منها واثرت بعض القلاع فاولها قلعة حماة
وفي الكتاب الاخر انها دامت مقدار ما قرا سورة الكهف وان بانياس سقط بعضها
وصفد لم يسلم بها الا ولد صاحبها لا غير ونابلس لم يبق بها جدار قايم سوى حارة
السمرة وكذلك اكثر حوران عادت ولم يعرف للديها موضع تقول فيه هذه القرية الفلانية
قلت هذا كذب وتجوز من كاتب هذه المكاتبة اما استحيا من الله تعالى ثم قال فيه
ونقال ان عرقه خسف بها وكذلك صافيتا قال الموفق والمخبرونا ان بالمقس تلا عليه ربع
كبير فاسناه ورايناه وجدناه بعض الاف فصاعدا وهم على طبقات شتى في قرب العهد وبعده
ورايناه من شكل العظام ومفاصلها وكيفية اتصالها وتناسبها واوضاعها ما افادنا علما لا
نستفيده من الكتب ثم انا دخلنا مصر فراينا فيها دروبا واسواقا عظيمة كانت مغتصة

بالرحام

بالزحام والجميع خال ليس فيه الا عابر سبيل وخرجنا الى سكرجة فرعون فرايت الاقطار
كلها مغتصة بالجثث والرمم وقد غلب على الاكام بحيث حللتها ورايت في هذه الاسكرجة وهي
غطية الجماجم بيضا وسودا ودكنا وقد احتجى كثرتها وتراكمها سائر العظام حتى كانها رؤس
لم تكن معها ابدان او كانها بيدر بطيخ **قال** ابو شامة وجاءت في شعبان سنة سبع زلزلة
هائلة عمت الدنيا في ساعة واحدة هدمت بنيان مصر فمات تحت الهدم خلق كثير ثم امتدت
الى الشام فهدمت مدينة نابلس فلم يبق فيها جدار قائم الا حارة السامرة ومات تحت الهدم
ثلاثون الفا وهدمت عكا وصور وجميع قلاع الساحل **قلت** هذا نقله الامام ابو شامة
من مراة الزمان ومصنفه شمس الدين يوسف رحمه الله كثير الحسف والمجازفة والامر عنده
ورع لم يطلق هذه العبارات اذ لم تصل الصورة الى هذا الحد فقوله اولا عمت الدنيا مجرد
دعوى فما الذي اطلعه على جميع الممالك وقوله فلم يبق منها جدار قائم مجازفة ايضا وقوله
هدمت جميع قلاع الساحل فيه بعض ما فيه كما ترى فلا نعتمد على نقوله **قال** ابو شامة ورمت
بعض المنارة الشرقية بجامع دمشق واكثر الكلاسة والمارستان النوري وعامة دور دمشق
الا القليل وهرب الناس الى الميادين وسقط من الجامع ست عشرة شرفة وتشققت
قبة النسر وتهدمت بانياس وهونين وتبنين وخرج قوم من بعلبك يجمعون الريباس
من جبل لبنان فالتقى عليهم الجبلان فماتوا وتهدمت قلعة بعلبك مع عظم حجارتها وامتد
البحر فصار اطوادا وقذف بالمراكب الى الساحل فتكسرت واحصي من مات في هذه السنة
فكان الف الف ومائة الف انسان ثم قال نقلت ذلك من تاريخ ابي المظفر سبط ابن الجوزي
وقال ابن الاثير لما ملك العادل مصر وقطع خطبة المنصور ولد العزيز لم يرض الامراء بذلك
وراسلوا الظاهر صاحب حلب والافضل بصرخد وتكررت المكاتبات يدعونهما الى قصد
دمشق ليخرج العادل فاذا خرج اليهم اسلموه ودخلوا اليها فعلم الخبر وعرف العادل فكتب
الى ابنه بدمشق يامره ان يحاصر صرخد فعلم الافضل فسار الى حلب فخرج معه الظاهر ونازلا
دمشق واتفقا على ان تكون دمشق للافضل ثم يسيرون الى مصر فاذا ملكاها صارت مصر
للافضل وصارت الشام كلها للظاهر **رجعنا** المنقول ابي شامة **قال** وفي ذي القعدة
حوصرت دمشق حاصرها الافضل والظاهر وعندهما من العساكر حسام الدين بشارة وقاتلوا اهل
دمشق اياما وكان بها المعظم عيسى وبلغ اباه فتقدم من مصر ونزل نابلس وبعث الى الامرا

مكاتبات فيضرهم اليه ثم زحف ابنا صلاح الدين المذكوران على دمشق فوصلوا الى باب الفراديس
واحرقوا فندق تقي الدين وحاربهم الملك المعظم وحفظ البلد وبقوا نحو شهر ثم بعث
العادل فاوقع الخلف بين الاخوين ورحلوا ثم قدم العادل وجهز المعظم مع شركس وقراجا
فحاصروا حسام الدين بشارة ببانياس فتسلمها وسلمها لهم وسلم ولده واخرجوه عن البلد وتسلمها
شركس وتسلم قراجا صرخد قال ابن البزوري قال وفيها سار غياث الدين وشهاب
الدين ملكا الغور من غزنة في جيوشهما الى خراسان وبها الامير جغر مالكوها واستوليا
على مرو وسبزوار الى هراة مكرما لانها وعداه بالجبل ثم سلما مرو الى هندوخان بن
ملكشاه بن علاء الدين خوارزم شاه وكان قد هرب من عمه محمد الى غياث الدين ثم سار غياث
الدين فملك سرخس صلحا وسلمها الى الامير زنكي بن مسعود احد اولاد عمه ثم سار الى
طوس فتسلمها بعد ايام بالامان ثم قصد نيسابور وبها علي شاه بن السلطان خوارزم
شاه وقد استنابه عليها اخوه قطب الدين محمد فراسله في تسليمها فامتنع واظهر القوة فقال
غياث الدين لجيوشه ان دخلتموها فقد ابحت لكم نهبها فزحفوا وجدوا واخذوا البلد
ووقعوا في النهب ثم امر غياث الدين بكف النهب وان يرد كل شخص ما نهب فردوه جميعا
اخبرني بعض التجار قال كنت بها فنهب لي شي في جملته قليل سكر وبساط فحين نودي في
العسكر برد ما نهبوه ردوه عدا البساط والسكر وكنت رايت ما اخذهن في ايدي جماعة
فطلبته فقالوا السكر شربناه ونسالك ان لا تشيع ذلك وان ردت الثمن اعطيناك فجعلتهم
منه في حل ثم خرجت الى ظاهر البلد فرايت البساط ملقى على باب البلد لا يجسر احد ياخذه
فاخذته وانهزمت الخوارزمية واسر علي شاه المذكور واحضر بين يدي السلطان غياث
الدين راجلا فصعب ذلك عليه وانكر على من اسره واركبه فرسا فلما استقر به المجلس احضر
فقال له علي شاه هكذا تفعل يا ولد الملوك فقال لا بل هكذا واخذ بيده واجلسه على سريره
وطيب قلبه وسير من كان صحبته من الامراء الى هراة واستناب بها ضياء الدين محمد بن علي ابن عمه
وولاه حرب خراسان ولقبه الملك علاء الدين واضاف اليه الامراء ثم سلم علي شاه الى
اخيه شهاب الدين الغوري ثم رحل السلطان غياث الدين نحو هراة وسار اخوه شهاب
الدين نحو قهستان وملك بلاد الاسماعيلية وطردهم عنها واظهر بها دين الاسلام واقام
بها فشكا اليه صاحبها السلطان غياث الدين ان يرحل اخاه عنها ففعل ذلك وامر اخاه فابى عليه

فعاوده

فعاوده فرحل عنها الى بلاد الهند مغاضبا لاخيه وارسل مملوكه قطب الدين ايبك فحارب
عسكر الهند فهزمهم وانضم اليه عالم كثير وملك شهاب الدين مدينة عظيمة من مدن الهند بعد
ان هرب ملكها عنه فعلم انه لا يمكن حفظها الا بمقامه بها وذلك لا يمكنه فصالح صاحبها
على مال ورحل عنها قال ابن البزوري وزلزلت الارض بالجزيرة والشام ومصر
فاخربت الزلزلة اماكن كثيرة من بلاد دمشق وحمص وحماه واستولى الخراب على صور وعكا
ونابلس وطرابلس وانخسفت قرية من اعمال بصرى وخربت عدة قلاع وفيها اهتم عبد الله
ابن حمزة العلوي المتغلب على بلاد اليمن بجمع العساكر فجمع اثني عشر الف فارس ونحوها
رجالة فخاف منه الملك المعز اسمعيل بن سيف الاسلام صاحب اليمن ثم ان امراء ابن حمزة
اجتمعوا للمشورة فوقعت عليهم صاعقة فبلغ ذلك اسمعيل فسار لوقته وحارب عسكر ابن
حمزة فهزمهم وقتل منهم ستة الاف وتمكن من اليمن وقهر الرعية وادعى الخلافة وانه اموي
وفي ذي القعدة عاد القاضي مجد الدين يحيى بن الربيع مدرس النظامية وكان قد نفذ
رسولا الى شهاب الدين الغوري وفيها قدم الامير مجير الدين طاشتكين بعسكر من
خوزستان ثم توجه في خامس ذي القعدة حاجا ومحاربا للمعز اسمعيل بن سيف الاسلام
وخرج نائب الوزارة نصير الدين ناصر بن مهدي فتوجه الى الحلبة لاستعراض العساكر
التي تحج مع طاشتكين فاستعرضهم وتوجهوا فلما وصل طاشتكين ارسل الى اسمعيل يحذره
عواقب فعله وينكر عليه فلم يرد عليه العتب فراسل طاشتكين امراء اليمن يحثهم على محاربته
ويامرهم بالجهاد وكانوا قد كرهوا ادعاء اسمعيل من دعوى الامامة فاجابوا كلهم الى
ذلك وكان اسمعيل يركب في ابهة الملك ويتخير كبرا على نفسه ويخالف العوائد الملكية نحوه
السابق وعتي من حوله على اغتياله فركض يوما خلف وحش فوثب عليه القزابلي فضربه
حل كتفه وضربه السابق بدد امعاه ونادوا بشعار الدولة العباسية فلبى دعوتهم جمع من
الامراء وبنو الامر وجوههم مركبا وهيئ لهم دخ فسار في خمسة ايام فوصل جدة ثم الى مكة
فخلع عليهما طاشتكين ونفذهما الى بغداد فاختارا ان يكونا في خدمة طاشتكين نحو خوزستان
وفيها خلع على الامير طغرل المستحري زعيم البلاد الجبلية وفيها وقع وباء مفرط ببلاد
السراة عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله بن حمادي بن احمد بن محمد
ابن جعفر بن عبد الله بن القاسم بن النضر بن القاسم بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد

ابن ابي بكر الصديق عبد الله بن ابي قحافة الحافظ العلامة جمال الدين ابو الفرج بن الجوزي القرشي
التيمي البكري البغدادي الحنبلي الواعظ صاحب التصانيف المشهورة في انواع العلوم
من التفسير والحديث والفقه والوعظ والزهد والتاريخ والطب وغير ذلك ولد تقريبا
سنة ثمان او سنة عشر وخمسمائة واول سماعه سنة ست عشرة وخمسمائة وسمع بعد
ذلك في سنة عشرين وخمسمائة وبعدها فسمع من ابن الحصين وعلي بن عبد الواحد الدينوري
والحسين بن محمد البارع وابي السعادات احمد بن احمد المتوكلي وابي سعد اسمعيل بن ابي
صالح المؤذن وابي الحسن علي بن الزاغوني الفقيه وابي غالب بن البنا واخيه يحيى وابي بكر بن
محمد بن الحسين المزرفي وهبة الله بن الطبر وقاضي المرستان وابي غالب محمد بن الحسن الماوردي
وخطيب اصبهان ابي القاسم عبد الله بن محمد الراوي عن ابن شه وابي السعود احمد بن
المجلي وابي منصور عبد الرحمن بن محمد القزاز وعلي بن احمد بن الموحد وابي القاسم بن
السمرقندي وابن ناصر وابي الوقت وخرج لنفسه مشيخة عن ستة وثمانين نفسا وكتب
بخطه ما لا يوصف ووعظ وهو صغير جدا فقرا الوعظ على الشريف ابي القاسم علي بن يعلى
ابن عوض العلوي الهروي وابي الحسن بن الزاغوني وتفقه على ابي بكر احمد بن محمد الدينوري
وتخرج في الحديث بابن ناصر وقرا الادب على ابي منصور موهوب بن الجواليقي روى عنه ابنه
محيي الدين يوسف وسبطه شمس الدين يوسف الواعظ والحافظ عبد الغني والشيخ
الموفق والبها عبد الرحمن والضيا محمد وابن خليل والدبيثي وابن النجار والبلداني والزين
ابن عبد الدايم والنجيب عبد اللطيف وخلق سواهم وبالاجازة الشيخ شمس الدين عبد الرحمن
واحمد بن ابي الخير والعز عبد العزيز بن الصيقل وقطب الدين احمد بن عبد السلام العصروني
وتقي الدين اسمعيل بن ابي اليسر والخضر عبد الله بن حموية والعز علي بن البخاري وكان
الذي حضه على السماع وافاده الحافظ ابن ناصر وقرا القران على ابي محمد سبط الخياط
وكان فريد عصره في الوعظ وهو اخر من حدث عن الدينوري والمتوكلي ومن تصانيفه كتاب
المغني في علم القران كتاب زاد المسير في علم التفسير تذكرة الاريب في شرح الغريب مجلد
نزهة النواظر في الوجوه والنظاير مجلد كتاب عيون علوم القران هو كتاب فنون الافنان
مجلد كتاب الناسخ والمنسوخ كتاب منهاج الوصول الى علم الاصول وكتاب نفي التشبيه
كتاب جامع المسانيد في سبع مجلدات كتاب الحدايق مجلدان كتاب نفي النقل كتاب المجتبى

كتاب

كتاب النزهة كتاب عيون الحكايات مجلدان كتاب التحقيق في احاديث التعليق مجلدان
كتاب كشف مشكل الصحيحين اربع مجلدات كتاب الموضوعات كتاب الاحاديث الواهية
كتاب الضعفا كتاب تلقيح فهوم العقود في تاريخ العهود كتاب مناقب بغداد كتاب
المذهب في المذهب كتاب الانتصار في مسايل الخلاف كتاب الدلايل في مشهور المسايل
مجلدان كتاب اليواقيت في الخطب الوعظية كتاب المنتخب كتاب نسيم السحر كتاب لباب
زين القصص كتاب المدهش كتاب في فضايل اخبار النسا كتاب المختار في اخبار
الاخيار كتاب صفوة الصفوة كتاب مثير العزم الساكن الى اشرف الاماكن كتاب
المقعد المقيم كتاب تبصرة المبتدي كتاب تحفة الواعظ كتاب ذم الهوى كتاب تلبيس
ابليس كتاب صيد الخاطر ثلاث مجلدات كتاب الاذكيا كتاب الحمقى والمغفلين
كتاب المنافع في الطب كتاب الشيب والخضاب كتاب روضة الناقل كتاب تقويم
اللسان كتاب منهاج الاصابة في محبة الصحابة كتاب صبا نجد كتاب المزعج كتاب
اللهب كتاب المطرب كتاب منتهى المشتهى كتاب فنون الالباب كتاب الظرفا والمتماجنين
كتاب تقريب الطريق الابعد في فضل مقبرة احمد كتاب النور في فضايل الايام والشهور
كتاب العلل المتناهية في الاحاديث الواهية مجلدان كتاب اسباب البداية لارباب
الهداية كتاب سلوة الاحزان كتاب ياقوتة المواعظ كتاب منهاج القاصدين مجلدان
كتاب اللطايف كتاب واسطات العقود كتاب الخواتيم كتاب المجالس اليوسفية
كتاب المحادثة كتاب ايقاظ الوسنان كتاب نسيم الرياض كتاب الثبات عند الممات
كتاب الوفا بفضايل المصطفى كتاب مناقب ابي بكر كتاب مناقب علي كتاب مناقب عمر
كتاب مناقب عمر بن عبد العزيز كتاب مناقب سعيد بن المسيب كتاب مناقب الحسن
البصري كتاب مناقب ابرهيم بن ادهم كتاب مناقب الفضيل كتاب مناقب احمد كتاب
مناقب الشافعي كتاب مناقب معروف كتاب مناقب الثوري كتاب مناقب بشر
كتاب مناقب رابعة كتاب العزلة كتاب مرافق الموافق كتاب الرياضة كتاب النصر على
مصر كتاب كان وكان في الوعظ كتاب خطب اللآلي على الحروف كتاب الناسخ والمنسوخ
في الحديث كتاب مواسم العمر وتصانيف اخر لا يحضرني ذكرها وجعفر في اجداده
هو الجوزي منسوب الى فرضة من فرض البصرة يقال لها جوزة وفرضة النهر ثلمته وفرضة

البحر المحيط السمين ونونه والداني الفرج ابو الحسن وله ثلاث بنات وكانت له عمة صالحة
وكان اهله تجار النحاس ولهذا كتب في بعض السماعات اسمه عبد الرحمن الصفار فلما
ترعرع حملته الى ابن ناصر فاعتنى به وقد رزق القبول في الوعظ وحضر مجلسه الخلفاء
والوزراء والكبار واقل ما كان يحضر مجلسه الوف وقيل انه حضر مجلسه في بعض
الاوقات مائة الف وهذا لا اعتقده انا على انه قد قال هو ذلك وقال عن نفسه ان مجلسه
حزر بمائة الف قال سبطه شمس الدين ابو المظفر سمعته يقول على المنبر في اخر عمره كتبت
باصبعي هاتين الفي مجلد وتاب على يدي مائة الف واسلم على يدي عشرون الفا يهودي
ونصراني قال وكان يجلس بجامع القصر والرصافة والمنصور وباب بدر وتربة
ام الخليفة وكان يختم القران في كل اسبوع ولا يخرج من بيته الا الى الجمعة او المجلس
قال ذكرنا ما وقع لنا من اسامي مصنفاته كتاب المغني احد وثمانون جزءا بخطه الا انه
لم يبيضه ولم يشتهر كتاب زاد المسير اربع مجلدات فذكر عامة ما ذكرناه وزاد عليه
اشياء منها كتاب درة الاكليل في التاريخ اربع مجلدات كتاب المفاخر في ايام الامام
الناصر مجلد كتاب المصباح المضي لفضائل المستضي مجلد كتاب الفخر النوري مجلد
كتاب المجد الصلاحي مجلد كتاب شذور العقود مجلد قال ومن علم العربية فضائل
العرب مجلد كتاب الامثال مجلد كتاب تقويم اللسان جزءان كتاب لغة الفقه جزءان
كتاب تلقيح الاحاديث جزءان قال وكتاب المنفعة في المذاهب الاربعة مجلدان كتاب
منهاج القاصدين مجلدان كتاب احكام الاشعار باحكام الاشعار مجلدان كتاب المختار
من الاشعار عشر مجلدات كتاب المنتخب في الوعظ ثلاث مجلدات كتاب المجلس في الوعظ
مجلدان كتاب درر الفوائد مجلدان الى ان قال مجموع تصانيفه مائتان ونيف
وخمسون كتابا ومن كلامه في مجالس وعظه عقارب المنايا تلسع وخدران جسم
الامل يمنع الاحساس وماء الحياة في اناء العمر يرشح بالانفاس وقال لبعض الولاة
اذكر عند القدرة عدل الله فيك وعند العقوبة قدرة الله عليك واياك ان تشفي غيظك
بسقم دينك وقال لصاحب انت في اوسع العذر من التاخر عني لثقتي بك وفي اضيقه
من شوقي اليك وقال له قائل ما نمت البارحة من شوقي الى المجلس قال لانك تريد ان
تتفرج وانما ينبغي ان لا تنام الليلة لاجل ما سمعت وقال لا تسمع ممن يقول الجوهر والعرض

والاسم

والاسم والمسمى والتلاوة والمتلو لانه شيء لا يحيط به اوهام العوام بل قل امنت بما جاء عن الله
وبما صح عن رسول الله وقام اليه رجل فقال يا سيدي نشتهي منك تكلم بكلمة ننقلها عنك
ايما افضل ابو بكر او علي فقال له اقعد فقعد ثم قام واعاد قوله فاجلسه فقال له اجلس فانت
افضل من كل احد وسأله اخر وكان للتشيع تلك المدة ظاهرا ايما افضل ابو بكر او علي فقال
افضلهما من كانت ابنته تحته وذهب بالكلية او دونه الاحتمال ورضي كل من الشيعة والسنة
بهذا الجواب المدهش وقرا بين يديه قاريان فاطربا الجمع فانشد
الا يا حاديي بطن نعمان هجتما على الهوى لما تغنيتما ليلا الا ايها القمريان غنا وبالحسن كانتما اسمعاني عللا
وقال له قائل ايما افضل اسبح او استغفر قال الثوب الوسخ احوج الى الصابون من البخور
وقال في قوله اعمار امتي ما بين الستين الى السبعين انما طالت اعمار القدماء لطول البادية
فلما شارف الركب بلد الاقامة قيل حثوا المطي وقال من قنع طاب عيشه ومن طمع طال طيشه
قال ووعظ الخليفة فقال يا امير المؤمنين ان تكلمت خفت منك وان سكت خفت عليك
فانا اقدم خوفي عليك على خوفي منك ان قول القائل اتق الله خير من قول القائل انتم اهل بيت
مغفور لكم وقال يوما اهل البدع يقولون ما في السماء احد ولا في المصحف قران ولا في
القبر نبي ثلاث عورات لكم وقال في قوله النبي ملك مصر يفتخر فرعون بنهر ما اجراه وقال
وقد طرب الجمع فهمتم فهمتم وقد ذكره العماد الكاتب في الخريدة وانشد له هذه الابيات
يود حسودي ان يرى بي زلة اذا ما راى الزلات جاء اكاذيب اود على خصمي لسان يقادر على دولي
تري وجه الحساد صفرا لرونقي فان فهمت عادت وهي سود غرابيب قال وقال ايضا
يا صاحبي ان كنت لي او معي فعج الى وادي الحمى نرتع وسل عن الوادي وسكانه وانشد فؤادي في ربا الجمع
حي كثيب الرمل رمل الحمى وقف وسلم لي على لعلع واسمع حديثا قد رووه الصبا تسنده عن بانة الاجرع
وابك فما في العين من فضلة ودونك الغيث من مدمعي وانزل على الشيح بواديهم واشم عشب البلد البلقع
رفقا بنضو قد براه الاسى يا عاذلي لو كان قلبي معي الهي على طيب ليال خلت عودي تعودي مدنفا
اذا تذكرت زمانا مضى فويح اجفاني من ادمعي وقد نالته محنة في اواخر عمره وذلك انهم
وشوا الى الخليفة الناصر به بامر اختلف في حقيقته وذلك في النصف سنة وهو جالس في داره
في السرداب يكتب جاءه من اسمعه غليظ الكلام وشتمه وختم على كتبه وداره وشتت عياله فلما
كان في اول الليل حملوه في سفينة واحدروه الى واسط فاقام خمسة ايام ما اكل طعاما وهو يقول

ابن ثمانين سنة فلما وصل الى واسط انزل في دار وحبس بها وجعل عليها بواب وكان يخدم
نفسه ويغسل ثوبه ويطبخ ويستقي الماء من البير فبقي كذلك خمس سنين ولم يدخل فيها حماما
وكان من جملة اسباب القضية ان الوزير ابن يونس قبض عليه فتتبع ابن القصاب اصحاب ابن
يونس وكان الركن عبد السلام بن عبد الوهاب بن عبد القادر الجيلي المتهم بسوء العقيدة
واصلا عند ابن القصاب فقال له اين انت عن ابن الجوزي فهو من اكبر اصحاب ابن يونس واعطاه
مدرسة جدي واحرق كتبي بمشورته وهو ناصبي من اولاد ابي بكر وكان ابن القصاب شيعيا
خبيثا فكتب الى الخليفة وساعده جماعة ولبسوا على الخليفة فامر بتسليمه الى الركن عبد
السلام فجا الى باب الازج الى دار ابن الجوزي ودخل واسمعه غليظ الكلام المقال كما
ذكرنا وانزل في سفينة ونزل معه الركن لا غير وعلى ابن الجوزي غلالة بلا سراويل وعلى راسه
تخفيفة فاحدر الى واسط وكان ناظرها العميد احد الشيعة فقال له الركن مكني الله
مكني من عدوي لارميه في المطمورة فغضب العميد وزبره وقال يا زنديق ارميه بقولك هات
خط الخليفة لو كان من اهل مذهبي لبذلت روحي ومالي في خدمته فعاد الركن الى بغداد
وكان بين ابن يونس الوزير وبين اولاد الشيخ عبد القادر عداوة قديمة فلما ولي الوزارة
ثم اساء الى الدار بدد شملهم وبعث بعضهم الى مطامير واسط فماتوا بها واهين الركن
باحراق كتبه النجومية وكان السبب في خلاص ابن الجوزي ان ابنه محيي الدين يوسف
ترعرع وقرا الوعظ وطلع صبيا ذكيا فوعظ وتكلمت ام الخليفة في خلاص ابن الجوزي فاطلق
وعاد الى بغداد وكان يقول قرات بواسط مدة مقامي بها كل يوم ختمة ما قرات فيها
يوسف من حزني على ولدي يوسف وشوقي اليه وكان يكتب الى بغداد اشعارا كثيرة وذكره
شيخنا ابن البزوري في تاريخه فاطنب في وصفه وقال فاصبح في مذهبه اماما يشار اليه ويعقد الخنصر
في وقته عليه ودرس بمدرسة ابن الشمحل ودرس بالمدرسة المنسوبة الى الجهة بنفشا
المسمية ودرس بمدرسة الشيخ عبد القادر وبنى لنفسه مدرسة بدرب دينار ووقف
عليها كتبه برع في العلوم وتفرد بالمنثور والمنظوم وفاق على ادباء مصره وعلا على فضلا
دهره له التصانيف العديدة سيل عن عددها فقال زيادة على ثلثمائة واربعين مصنفا
منها ما هو عشرون مجلدا ومنها ما هو كراس واحد ولم يترك فنا من الفنون الا وله فيه
مصنف كان وحيد زمانه وما اظن الزمان يسمح بمثله ومن مؤلفاته كتاب المنتظم وكتابا ذيل

عليه

عليه قال وكان وعظا اختلس القلوب وشغفت النفوس دون الجيوب الى ان قال توفي ليلة
الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من رمضان وصلى عليه الخلق العظيم الخارج عن الحد وشيعوه
الى مقبرة باب حرب وكان يوما شديد الحر فافطر من حره جمع كثير واوصى ان يكتب
على قبره يا كثير الصفح عمن كثر الذنب لديه جاءك المذنب يرجو العفو عن جرم يديه
انا ضيف وجزاء الضيف احسان اليه وقال سبطه ابو المظفر جلس رحمه الله يوم السبت
سابع رمضان تحت تربة ام الخليفة المجاورة لمعروف الكرخي وكنت حاضرا وانشد ابياتا
قطع عليها المجلس وهي الله اسال ان يطول مدتي وانال بالانعام ما في نيتي
لي همة في العلم ما من مثلها وهي التي جنت النحول هي التي كم كان لي من مجلس لو شبهت حالاته لتشبهت
في اسات ونزل فمرض خمسة ايام وتوفي ليلة الجمعة بين العشائين في الثالث عشر من رمضان
في داره بقطفتا وحدثتني والدتي انها سمعته يقول قبل موته ايش اعمل بطواويس رددها
قد حملتم الي هذه الطواويس وحضر غسله شيخنا ضياء الدين بن سكينة وضياء الدين بن
الجبير وقت السحر واجتمع اهل بغداد وغلقت الاسواق وشد التابوت بالحبال
وسلماه الى الناس فذهبوا به الى تحت التربة مكان جلوسه فصلى عليه ابنه علي اتفاقا
لان الاعيان لم يقدروا على الوصول اليه ثم صلوا عليه بجامع المنصور وكان يوما مشهودا
لم يصل الى حفرته بمقبرة احمد بن حنبل الى وقت صلاة الجمعة وكان في تموز فافطر خلق
ورموا نفوسهم في الماء قال وما وصل الى حفرته من الكفن الا قليل قلت وهذا من
مجازفة ابي المظفر قال ونزل في حفرته والمؤذن يقول الله اكبر وحزن الناس وبكوا عليه
بكاء كثيرا وباتوا عند قبره طول شهر رمضان يختمون الختمات بالقناديل والشمع ورآه
في تلك الليلة المحدث احمد بن سلمان الحربي الملقب بالسكر على منبر من ياقوت مرصع بالجوهر
والملائكة جلوس بين يديه والحق تعالى حاضر يسمع كلامه واصبحنا عملنا عزاه وتكلمت يوم
وحضر خلق عظيم وقام عبد القادر العلوي فانشد هذه القصيدة

الدهر عن طمع يعز ويخدع وزخارف الدنيا الدنية تطمع واعنة الامال يطلقها الرجا طمعا واسباب
والموت آت والحياة مريرة والناس بعضهم لبعض يتبع واعلم بانك عن قليل صائر خبرا فكن خبرا بخير يسمع
لعلا ابي الفرج الذي بعد التقى والعلم يوم حواه هذا المضجع حزن على الشرع اصبح والها اذ مثله
من للفتاوى المشكلات وحلها من ذا للخرق المرقع يوما يرفع من المنابر ان يقوم خطيبها ولرد مسالة يقول

من الجدال اذا الشفاه تقلصت وتلاحم القوم الهزبر المصقع من للدياجي قايماً دَيجورها يتلوا الكتاب

اجمال الدين محمد مات التقى والعلم بعدك واستحكم المجمع ما قبره حاذتك كل غمامة هطالة بركاته لا تقلع

فبك الصلاة مع الصلاة فيه به واطربه باربك ماذا يصنع يا احمد احمد في جدالنا الذي ما زال عنك جدالنا

اقسمت لو كشف الغطا الرائم وبدا المليك حوله يتشرع ومحمد يبكي على واله جبرا لزينه والبطين الانزع

في ابيات ومن العجائب انا كانبو مندل بعد انقضاء العزاء عند القبر واذا الخال محيي الدين

يوسف قد صعد من المشط وخلفه تابوت فقلنا ترى من مات في الدار واذا اهلها خاتون

والدة محيي الدين وعمتي ماتت في ليلة الجمعة في عافية وهي قائمة وكان بين موتهما يوم وليلة

وعد الناس ذلك من كراماته لانه كان يعرى بحبها وخلف من الولد عليا وهو الذي اخذ

مصنفات والده وباعها بيع العبيد ومن يزيد ولما احدر والده الى واسط تحيل على كتبه

بالليل واخذ منها ما اراد وباعها ولا بثمن المداد وكان ابوه قد هجره منذ سنين فلما امتحن

صار الباً عليه ومات ابوه ولم يشهد موته وخلف محيي الدين يوسف وكان قد ولد سنة ثمانين

وخمسمائة وسمع الكثير وتفقه وناظر ووعظ في زمن والده الخليفة وقام بامر احتساب

نيابة وولي حسبة بغداد سنة اربع وستمائة ثم ترسل عن الخلفاء وتقلبت به الاحوال حتى بلغ

اشرف مال الى سنة اربعين وستمائة ثم ولي استاذ دارية الخلافة لحوى ولد اسمه عبد

العزيز وهو اكبر اولاده سمع معه من ابن ناصر وابي الوقت الارموي وسافر الى الموصل

ووعظ بها سنة بضع وخمسين وحصل له القبول التام ومات بها شابا وكان له بنات

منهن ام رابعة وشرف النساء وزينب وجوهرة وست العلماء الكبرى وست العلماء

الصغرى قلت ومع تبحر ابن الجوزي في العلوم وكثرة اطلاعه وسعة دائرته لم يكن مبرزا

في علم من العلوم وذلك شان كل من فرق نفسه في بحور العلوم مع انه كان مبرزا في التفسير

وفي الوعظ وفي التاريخ ومتوسطا في المذهب متوسطا في الحديث له اطلاع تام على متونه

واما الكلام على صحيحه وسقيمه فما له فيه ذوق المحدثين ولا نقد الحفاظ المبرزين فانه كثير

الاحتجاج بالاحاديث الضعيفة مع كونه كثير السياق لتلك الاحاديث في الموضوعات

والتحقيق انه لا ينبغي الاحتجاج بها ولا ذكرها في الموضوعات وربما ذكر في الموضوعات

احاديث احسانا قوية ونقلت من خط السيف احمد بن المجد قال صنف ابن الجوزي كتاب الموضوعات

فاصاب في ذكره احاديث شنيعة مخالفة للنقل والعقل وما لم يصب فيه اطلاقه الوضع على احاديث

بكلام

بكلام بعض الناس في احد رواتها كقوله فلان ضعيف او ليس بالقوي او لين وليس ذلك

الحديث مما يشهد القلب ببطلانه ولا فيه مخالفة ولا معارضة لكتاب ولا سنة ولا اجماع

ولا حجة بانه موضوع سوى كلام ذلك الرجل في رواية وهذا عدوان ومجازفة وقد

كان احمد بن حنبل يقدم الحديث الضعيف على القياس قال فمن ذلك انه اورد حديث

محمد بن حمير السليحي عن محمد بن زياد الالهاني عن ابي امامة في فضل قراءة اية الكرسي بعد

الصلوات الخمس وهو من قرا اية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة

الا الموت وجعله في الموضوعات لقول يعقوب بن سفيان محمد بن حمير ليس بالقوي ومحمد

هذا قد روى البخاري في صحيحه عن رجل عنه وقد قال ابن معين انه ثقة وقال احمد بن حنبل

ما علمت الا خيرا قال السيف وهو كثير الوهم جدا فان في مشيخته مع صغرها وهم

في مواضع قال في الحديث التاسع وهو اهتز العرش اخرجه البخاري عن محمد بن المثنى

عن الفضل بن هشام عن الاعمش قلت والفضل انما هو ابن مساور رواه عن ابي عوانة

عن الاعمش لا عن الاعمش نفسه والحادي والعشرين قال اخرجه البخاري عن ابن منير عن

عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار وانما يرويه ابن منير عن ابي النضر عن عبد الرحمن • والسادس

والعشرين فيه انا ابو العباس احمد بن محمد الاثرم وانما هو محمد بن احمد • والثاني والثلاثين

قال اخرجه البخاري عن الاويسي عن ابراهيم بن سعد عن الزهري وانما هو عن ابن سعد عن

صالح عن الزهري وفي التاسع والاربعين نا سعيد نا خالد بن اسمعيل وانما هو حاتم

ابن اسمعيل • وفي الثاني والسبعين انا ابو الفتح محمد بن علي العشاري وانما هو ابو طالب محمد

ابن علي بن الفتح • وفي الرابع والثمانين عن حميد بن هلال عن عفان بن كاهل وانما هو

هصان • وفي الحديث الثاني اخرجه البخاري عن احمد بن ابي اياس وانما هو ادم قال

لنا شيخنا ابو عبد الله الحافظ كتب المشيخة من فرع فاذا فيها احد فاستنكرته فراجعت

الاصل فاذا هو ايضا على الخطا وذكر وما بعض شيوخه وقد حولف ليحيى بن ثابت

وابن حصين وابن المقرب وهذه عدة عيوب في كراريس قليلة وسمعت ابا بكر محمد بن عبد

الغني بن نقطة يقول قيل لابي محمد بن الاخضر لم لا تجيب عن بعض اوهامه قال

انما يتتبع على من قل غلطه فاما هذا فاوهامه كثيرة او نحو هذا قلت وذلك انه كان

كثير التاليف في كل فن فيصنف الشي ويلقيه ويتكل على حفظه قال السيف وما رايت احدا

يتعصب عليه في دينه وعقله وعلمه راضيا عنه قال جدي رحمه الله كان ابو المظفر بن حمدي
احد العدول والمشار اليهم ببغداد ينكر على ابن الجوزي كثيرا كلمات يخالف فيها السنة
قال السيف وعاتبه الشيخ ابو الفتح بن المني في بعض هذه الاشيا التي حكيناها عنه ولما
بان تخليطه اخيرا رجع عنه اعيان اصحابنا الحنابلة واصحابه واتباعه سمعت ابا بكر بن
نقطة يقول سمعت ابا الفتح المندائي (?) يقول كان ابن الجوزي يقول اخاف شخصين ابا المظفر بن حمدي وابا القسم
ابن الفرا فانهما كانا لهما كلمة مسموعة وكان الشيخ ابو اسحق العلثي يكاتبه وينكر عليه سمعت
بعضهم ببغداد انه جاه منه كتاب يذمه فيه ويعيب عليه ما يتكلم به في السنة **قلت** وكلامه
في السنة مضطرب تراه في وقت سنيا وفي وقت متجهما محرفا للنصوص والله يرحمه
ويغفر له وقرات بخط الحافظ ابن نقطة قال حدثني ابو عبد الله محمد بن احمد بن الحسن
الحاكم قال لما انحدر الشيخ ابو الفرج بن الجوزي الى واسط قرا على ابي بكر بن الباقلاني
بكتاب الارشاد لاجل ابنه وقرا معه ابنه يوسف وقال الموفق عبد اللطيف كان ابن
الجوزي لطيف الصورة حلو الشمائل رخيم النغمة موزون الحركات والنغمات لذيذ
المفاكهة يحضر مجلسه مائة الف او يزيدون لا يضيع من زمانه شيا يكتب في اليوم اربعة
كراريس ويرتفع له كل سنة من كتابته ما بين خمسين مجلدا الى ستين وله في كل علم مشاركة لكنه
كان في التفسير من الاعيان وفي الحديث من الحفاظ وفي التواريخ من المتوسعين ولديه
فقه كاف ٥ واما السجع الوعظي فله فيه ملكة قوية ان ارتجل اجاد وان روى ابدع وله
في الطب كتاب اللقط مجلدان وله تصانيف كثيرة وكان يراعي حفظ صحته وتلطيف مزاجه
وما يفيد عقله قوة وذهنه حدة اكثر ما يراعي قوة بدنه ونيل لذته جل غذائه الفراريج
والمزورات ويعتاض عن الفاكهة بالاشربة والمعجونات ولباسه افضل لباس
الابيض الناعم المطيب ونشا يتيما على العفاف والصلاح وله ذهن وقاد وجواب
حاضر ومجون لطيف ومداعبات حلوة وكانت سيرته في منزله المواظبة على القراءة والكتابة
ولا ينفك من جارية حسنا في احسن زي لا يلهيه عما هو فيه بل يعينه عليه ويقويه وقرات
بخط الموقاني ان ابا الفرج كان قد شرب حب البلاذر على ما قيل فسقطت لحيته وكانت
قصيرة جدا وكان يخضبها بالسواد الى ان مات ثم عظمه وبالغ في وصفه ثم قال ومع
هذا فهو كثير الغلط فيما يصنفه فانه كان يصنف الكتاب ولا يعتبره **محمد** بن محمد

بن

ابن حامد بن محمد بن عبد الله بن علي بن محمود بن هبة الله بن أله العلامة المنشي البليغ الوزير عماد الدين
ابو عبد الله الاصبهاني الكاتب المعروف قديما بابن اخي العزيز ولد باصبهان سنة تسع عشرة
وخمسمائة وقدم بغداد وهو ابن عشرين سنة او نحوها ونزل في النظامية وتفقه وبرع في
الفقه على ابي منصور سعيد بن الرزاز واتقن الخلاف والنحو والادب وسمع من ابن الرزاز وابي
منصور بن خيرون وابي الحسن علي بن عبد السلام والمبارك بن علي السمذي وابا بكر بن الاشقر
وابي القاسم علي بن الصباغ وطائفة واجاز له ابو القسم بن الحصين وابو عبد الله الفراوي
ورجع الى اصبهان سنة ثلاث واربعين وقد برع في العلوم فسمع بها وقرا الخلاف على
ابي المعالي الوركاني وابي محمد عبد اللطيف الخجندي ثم عاد الى بغداد وتعانى الكتابة والتصرف
وسمع بالثغر من السلفي وغيره روى عنه ابن خليل والشهاب القوصي والخطيب نوح بن نوح الخوي
والعز عبد العزيز بن عثمان الاربلي وآخرون كان شافعيا تفقه بالنظامية واتقن الخلاف وفنون
الادب وله من الشعر والرسائل ما هو مشهور ولما مهر تعلق بالوزير عون الدين يحيى بن هبيرة
ببغداد فولاه نظر البصرة ثم نظر واسط فلما توفي الوزير ضعف امره فانتقل الى دمشق
فقدمها في سنة اثنتين وستين وخمسمائة فتعرف بقاضي المملكة القاضي كمال الدين الشهرزوري
واتصل بطريقه بالامير نجم الدين ايوب والد صلاح الدين وكان يعرف عمه العزيز من قلعة
تكريت فاحسن اليه ثم استخدمه كمال الدين عند نور الدين في كتابة الانشا **قال** العماد
بقيت متحيرا في الدخول فيما ليس من شاني ولا تقدمت به دربة فجبن عنها في الابتدا
فلما باشرتها هانت علي وصار منه ما صار وكان ينشي بالعجمية ايضا وترقت منزلته عند
السلطان نور الدين واطلعه على سره وسيره رسولا الى بغداد في ايام المستنجد وفوض
اليه تدريس المدرسة المعروفة بالعمادية بدمشق في سنة سبع وستين ثم رتبه في اشراف الديوان
في سنة ثمان فلما توفي نور الدين وقام ولده ضويق من الدين حوله وخوف الى ان ترك ما هو فيه
وسافر الى العراق فلما وصل الى الموصل مرض ثم بلغه خروج السلطان صلاح الدين من مصر لاخذ
دمشق فعاد الى الشام في سنة سبعين وصلاح الدين نازل على حلب فقصده ومدحه
ولزم ركابه وهو مستمر على عطلته الى ان استكتبه واعتمد عليه وقرب منه حتى صار يضاهي الوزرا
وكان القاضي الفاضل ينقطع عن خدمة السلطان على مصالح الديار المصرية فيقوم العماد
مقامه ولمن المصنفات كتاب خريدة القصر وجريدة العصر جعله ذيلا على زينة الدهر

وابي المعالي سعد بن علي الخطيري وسماه زينة الدهر ذيل على دمية القصر وعصرة اهل العصر للباخرزي
والدمية ذيل على يتيمة الدهر للثعالبي والسيل ذيل على كتاب البارع لهارون بن علي المنجم فذكر
العماد في كتابه الشعراء الذين كانوا بعد المائة الخامسة الى سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة
وجمع شعراء العراق والعجم والشام والجزيرة ومصر والمغرب وهو في عشر مجلدات وله كتاب
البرق الشامي في سبع مجلدات وانما سماه البرق الشامي لانه شبه اوقاته في الايام النورية
والصلاحية بالبرق الخاطف لطيبها وسرعة انقضائها وصنف كتاب الفتح القسي في
الفتح القدسي في مجلد وصنف كتاب السيل والذيل وصنف كتاب نصرة الفترة وعصرة
الفطرة في اخبار بني سلجوق ودولتهم وله ديوان رسائل كبير وديوان شعر في اربع مجلدات
وديوان جمعه دوبيت وهو صغير وكان بينه وبين القاضي الفاضل مخاطبات ومحاورات
ومكاتبات قال مرة للقاضي الفاضل سر فلا كبا بك الفرس فقال له دام علا العماد وذلك مما يقرا
مقلوبا وصحيحا قال ابن خلكان ولم يزل العماد على مكانته الى ان توفي السلطان صلاح الدين
فاختلت احواله ولم يجد في وجهه بابا مفتوحا فلزم بيته واقبل على تصانيفه والة معناه
بالعربية العقاب وهو بفتح الهمزة وضم اللام وسكون الهاء واني نقلت ان العقاب جميعه انثى
وان الذي يسافده طائر من غير جنسه وقيل ان الثعلب هو الذي يسافده وهذا من العجائب
قال ابن عنين في ابن سيده ما انت الا كالعقاب فامه معروفة وله اب مجهول وقال الموفق
عبد اللطيف حكى لي العماد من لوصه قال طلبني كمال الدين لنيابته في ديوان الانشاء فقلت لا
اعرف الكتابة قال انا اريد منك ان تثبت ما يجري فصرت ارى الكتب تكتب الى
الاطراف فعلمت في نفسي لو طلب مني ان اكتب مثل هذا ما ذا كنت اصنع فاخذت احفظ الكتب
واحاكيها واروض نفسي فيها واكتب كتبا الى بغداد ولا اطلع عليها احدا فقال الكمال الدين يوما
ليتنا وجدنا من يكتب الى بغداد ويريحنا فقلت انا اكتب ان رضيت فكتب وعرضت عليه فاعجبه
فلما توجه اسد الدين الى مصر في المرة الثالثة صحبه قال الموفق وكان فقيها على طريقة اسعد
الميهني وله مدرسة تحت القلعة ويوم يدرس بها تزول الفقها لسماع كلامه وحسن نكته وكان
بطي الكتابة ولكن دائم العمل وله توسع في اللغة ولا سعة عنده في النحو وتوفي بعدما
قاسا شدائد من ابن شكر وكان فريد عصره نظما ونثرا وقد رايته في مجلس ابن شكر مزحوما
في احريات الناس وقال زكي الدين المنذري كان جامعا للفضائل الفقه والادب والشعر

الجيد

الجيد وله اليد البيضاء في النثر والنظم وصنف تصانيف مفيدة قال وللسلطان الملك
الناصر معه من الاغضاء والتجاوز والبسط وحسن الخلق ما يتعجب من وقوع مثله من مثله توفي
في مستهل رمضان بدمشق ودفن بمقابر الصوفية انبانا احمد بن سلامة عن محمد بن محمد الكاتب
انا علي بن عبد السيد انا ابو محمد الصريفيني انا ابن حبابة نا ابو القاسم البغوي نا علي بن الجعد نا
شعبة عن ابي ذبيان واسمه خليفة بن كعب قال سمعت ابن الزبير يقول لا تلبسوا نساكم الحرير
فاني سمعت عمر يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الاخرة
رواه البخاري عن علي مثله ومن شعره في قصيدة يا مالك الرق قلبي اراك مالك رقه
فما معنى لك خذها فانها مستحقة قد تك نفسي ترفق فما اطيق المشقة وما رسمت اسى
لصارم الجفن منه في مهجتي الف مشقة وحصر مثل معنى بلا غني فيه دقة وله
كنت والقلب بين الشوق والكمد والعين مطروفة بالدمع والسهد
وفي الحشا الفحم للوجد محرقة متى تجد نفحة من ارضكم تتقد يا رايدا وهو شارد في الظلام
وطالبا في المحجر الورد وهو صد ها مهجتي فاقبس من نار ذهاضرها رمقلتي فاغترف من مائها ورد
يا من هو الروح بل روح الحياة ولا بقا بعد فراق الروح للجسد حاولت نقض عهود صنتها لكم
اردت في الحب سلوانا فلم ارد واها لخاصرة في العلب غايبة عن ناظري من هواها ما لخاطري
قوته البطش باللحظ الضعيف وبالخصر النحيف مكان ضعف جلدي لا غرو ان سحرت قلبي مقلتها
نفاثة تفثون السحر في العقد ما الطرف في كحل بالعطف في ميل بالخد في خجل بالقد في ميد
بالراح مرتشفا بالورد مقتطفا بالغصن منعطفا بالثغر كالبرد لا حلت يوما ولا انحرفت من شغف
صلا الغي في الهوى لا من لرشد كالنجم حين هدى كالدهر حين غدا كالصبح حين بدا كالعضب حين بدا
في الحكم طود علا في الحلم بحر ندى في الجود غيث ندى في الباس ليث شرا انشا اني ابن الدبيثي
قال الامام العماد هو امام البلغاء وشمس الشعراء وقطب رحا الفضلاء اشرقت اشعة
فضايله واتادت وانجدت الركبان باخباره واغارت الفصاحة بين دهره وفي البلاغة
سحبان عصره فاق الانام طرا نظما ونثرا وفي رسايله المعاني الابكار والجمل الرياض عند
اسلاف النوار ومن شعره تقضى عمري شوقا الى الوصل والبلاء من ذكر لا حبة ما يبلى
وكان خلي القلب من لوعة الهوى فاصبح من برح الصبابة في شغل واطربه اللاحي فالى عليه
وما كنت الفواد وانما على قنوتي بعد له قائل الذل لحى يا مرشد عقد نطاقه على ناظر واه من الخصر منحل

اذا دام للصدا الغبار ابت له دوادفه الا المقام على وصلى سنة ثمان وتسعين وخمسمائة
في المحرم خلع ببغداد على ابي الحسن علي بن سلمان الحلي وقلد قضاء القضاة وفي رابع عشر صفر
وصل الامير طاشتكين من مكة وفي صحبته ابو ايوب حنظلة بن قتادة بن ادريس العلوي
المتغلب ابوه على مكة يسال ان يقر والده على الامارة وفيها خرج قفل كبير من بغداد الى
الشام فاجتمعهم برغش مملوك بن جهاركس ووصل من القفل بغير تيسير فرجع التجار فقرا
فتقدم الخليفة الى علاء الدين تامش بالخروج في عسكر فقصد برغش واصحابه فظفر بهم
وقتلهم وجي برؤسهم فالقيت بباب النوبي ورد الاموال الى اربابها وبارح عرف هذه
المنقبة في اقاصي البلاد وقدم طاشتكين لتقدم الناس الحج وفيها سار في الرسالة مدرس النظامية
يحيى بن الربيع الى شهاب الدين صاحب غزنه وفي وسط السنة سار فصل الغلاء والوباء من اقليم مصر
وخف الاقليم من الناس ثم زاد النيل كما قدمنا في السنة الماضية وفيها خرج العادل من
دمشق طالبا حلب وكان الملك الافضل بحمص عند صاحبها وهو زوج اخته فالتقى عمه الى
ثنية العقاب فاكرمه وعوضه من ما فاته سميساط وسروج وقلعة جعبر ثم نزل العادل
على حماه فصالحه الملك الظاهر فرجع العادل وفيها في شعبان زلزلة عظيمة شققت قلعة
حمص واخربت حصن الاكراد وتعدت الى قبرس واخربت نابلس ما بقي قال العز النسابة
هذه هي الزلزلة العظمى التي هدمت بلاد الساحل صور وطرابلس وغيرها ورمت بدمشق
روس الماذن وقتلت مغربيا بالكلاسة ومملوكا وقال سبط ابن الجوزي وفيها شرع الشيخ
ابو عمر في بنا جامع الجبل وكان يتقاسمون وما في اسه بحاسن وانفق في اساسه ما كان
يملكه وبلغ مظفر الدين ابن صاحب اربل فبعث مالا لتمامه قلت ومن ثم قيل له الجامع المظفري
ونسب الى مظفر الدين وفيها كان قتله المعز اسمعيل بن سيف الاسلام صاحب اليمن كما ذكرنا
في ترجمته واقيم في الملك بعده اخوه الملك الناصر قال ابن واصل كان له تربيه فعصت في
قلعة منيعة وعندها اموال لا تحصى ونقل عنها انها ما تسلم الحصن الا الى رجل من بيت السلطان
وكان لسعد الدين شاهنشاه بن الملك المظفر عمر ولد يقال له سليمان قد تفقر وحمل الركوة
وحج بزي الفقرا ثم انه كان والده الملك الناصر بن سيف الاسلام وكانت قد تغلبت على زبيد
وهي تنتظر وصول احد من ال ايوب تتزوجه وتملكه وبعثت الى مكة تكشف اخبار الملوك وتكتب
اليها غلامه وعرفها بسليمان هذا فاستحضرته وخلعت عليه وتزوجته وملكته اليمن فلا

ظلما

ظلما وجورا واطرح الملكة واعرض عنها وكتب الى السلطان الملك العادل كتابا اوله
انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم فاستقل العادل عقله وفكر فيمن يبعث لتملك
اليمن سنة تسع وتسعين وخمسمائة انبانا ابن البزوري قال في سلخ المحرم
ماجت النجوم وتطايرت كتطاير الجراد ودام ذلك الى الفجر وانزعج الخلق وخافوا
وضجوا بالدعا الى الله ولم يعهد ذلك الا عند ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وفيها
جمع الملك العادل عسكرا عديدا وفرق عليهم العدد والاموال وقدم عليهم ولده الاشرف
موسى وامره ان يحاصر ماردين فقطع صاحب ماردين الميرة عن عسكر العادل وامر اهل
القلاع ان يقطعوا السبل والميرة والتقى طايفة من هولا بطايفة من هولا فاقتتلوا انهزم
عسكر ماردين بعد ان قطعوا الطرق وتعذر سلوكها وسار جماعة من عسكر العادل الى
راس عين ونفي الملك الاشرف فلم يبلغ غرضه ودخل الملك الظاهر صاحب حلب في الصلح
فاجاب العادل على ان يحمل اليه صاحب ماردين مايه وخمسين الف دينار وان يخطب له
في بلاده وان يضرب السكة باسمه ويكون عسكر ماردين في خدمته فاجاب صاحب ماردين الى
ذلك وذكر سبط ابن الجوزي مثل ما قدمنا من موج النجوم وتطايرها وقال العز النسابة
روي في السما نجوم متكاثفة متطايرة شديدة الاضطراب الى غاية وفيها شرع العادل
في عمارة اسوار قلعة دمشق وفيها مات السلطان غياث الدين الغوري وقبض اخوه
السلطان شهاب الدين اكغازي على جماعة من خواص اخيه واتباعه وصادرهم وبالغ
في التنكيل بامراة اخيه واخذ اموالها وسيرها الى الهند على اسوا حال وهدم تربتها
ونبش ابويها ورمى بعظامهم وفيها سير الملك العادل المنصور علي بن الملك العزيز
وقتل استه مجدا الى مدينة الرها والزمه المقام بها وكان بدمشق هو وامه واخوته فخاف
العادل من ميل الرعية اليه وان يملك دمشق فابعده وفيها بعث الناصر لدين الله الى الملك
العادل واولاده سراويلات الفتوة ومعها الخلع وكان الاشرف بحران ملكه ابوه اياها
مع الرها وغيرها في عام اول وفيها خرج ابن لاون صاحب سيس لحرب البرنس صاحب
انطاكية وعاث وافسد ووقعت ما حلق من الفرنج وتحركوا فاهتم لهم العادل ثم ترحلوا لاجل
الغلا والقحط بعكا وخافوا ان يقطع العادل عن عكا الميرة وفيها سار صاحب حماه
الملك المنصور ونزل بعرين فقصده الفرنج من حصن الاكراد وطرابلس وغيرها والتقاهم

منهم وقتل واسر وذلك في رمضان ثم لم يلبث الفرنج ان جمع منهم في اربع مائة فارس
والف وماتين راجل فالتقاهم صاحب فكسرهم وقتل منهم مقتلة عظيمة واسر جماعة وذلك
في رمضان ومدحه الشعرا سنه ستمايه قال سبط ابن الجوزي فيها سار نور الدين
صاحب الموصل الى تلعفر واخذها وكانت لابن عمه قطب الدين بن عماد الدين صاحب سنجار
فاستنجد القطب بالملك الاشرف فجاء في جمع جمعا كثيرا وساق فعمل مصافا مع صاحب
الموصل فكسره الاشرف واسر جماعة من امرايه منهم مبارز الدين سنقر الحلبي وابنه غازي ثم
اصطلحا في اخر السنه وتزوج الاشرف باخت نور الدين وهي الست الاتابكيه صاحبة
التربه بقاسيون ومنها احترقت خزانة السلاح بدمشق وذهب جميع ما كان فيها
وفيها اخذت العمله المشهوره من مخزن الايتام بقيسارية الفرش واتهم الامير سيف الدين
ابن السلار ومبلغها ستة عشر الف دينار وبعث شنيف ثم ظهرت على ابن الدحسه وقد حبس
بسببها جماعة وفي رمضان توجه اسطول الفرنج لعنهم الله مع عكا في البحر عشرين قطعه
ودخلوا يوم العيد ثم دخلوا في النيل الى بليد فوه فنهبوها واستباحوها ورجعوا
ولم يتجاسروا على هذا مند فتحت ديار مصر وقد دخلوا مرة عند دمياط في النيل ايضا في سنه
سبع وستماية الى قرية نوره وفعلوا نحو ذلك وفيها نزل صاحب سيس على انطاكية
وجد في حصارها فخرج صاحب حلب وخيم على حارم فخاف صاحب سيس على بلاده ورحل
ثم بعد ايام هجم انطاكيه بمواطاة من اهلها فقاتله البرنس ساعة ثم التجا الى القلعه ونادى
بشعار الملك الظاهر وسرح بطاقه الى حلب فبلغ ذلك صاحب سيس ففر الى بلاده وفيها
اقبلت الفرنج من كل فج عميق بعكا عازمين على قصد بيت المقدس فخرج العادل ونزل على
الطور وجاءته النجدة من الاطراف واقبلت الفرنج تعيث على بلاد الاسلام وتاسر وتسبي
واستمر الحال على ذلك شهورا واما القسطنطينيه فلم تزل بيد الروم من قبل الاسلام فلما
كان في هذا الاوان اقبلت الفرنج في جمع عظيم ونازلوها الى ان ملكوها قال ابن واصل
ثم لم تزل في ايدي الفرنج الى سنة ستين وستماية فقصدتها الروم واخذوها من ايدي الفرنج
وهي بايديهم الى الان يعني الى سنه بضع وسبعين وستمايه وفيها ظفر متولي واسط برئيس
الباطنية محمد بن طالب بن عصيه ومعه طايفه فقتلوا بواسط ولله الحمد وكانوا اربعين نفسا
// عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور بن رافع بن حسن بن جعفر الحافظ الكبير

تقي

صاحب التربة الواقعة بقاسيون

عبد الغني الجماعيلي المقدسي الحنبلي مؤلف كتاب الكمال في معرفة الرجال

٨١

تقي الدين ابو محمد المقدسي الجماعيلي ثم الدمشقي الصالحي الحنبلي ولد سنه احدى واربعين
وخمسماية هو والشيخ الموفق في عام وهما ابنا خالة ولد بجماعيل سمع بدمشق ابا المكارم
عبد الواحد بن هلال وابا المعالي ابن صابر وسلمان بن علي الرحبي وببغداد ابا الفتح
ابن البطي والشيخ عبد القادر وابا زرعة المقدسي وهبة الله بن هلال الدقاق واحمد بن
المقرب وابا بكر بن النقور والمبارك بن المبارك السمسار واحمد بن عبد الرحمن الغني الماحسراني
ومعمر بن الفاخر ويحيى بن ثابت والمبارك بن خضير ويحيى بن علي الجنبي والمبارك بن محمد البادرايي
وابا محمد بن الخشاب وطبقتهم وبالموصل ابا الفضل عبد الله بن احمد الخطيب وبهمذان عبد
الرزاق بن اسمعيل القومساني والمطهر بن عبد الكريم واسمعيل بن محمد بن اسمعيل
القومساني وجماعة وباصبهان الحافظ ابا موسى المديني وابا سعد محمد بن عبد الواحد الصايغ
وابا رشيد اسماعيل بن غانم البيع وابا الفتح عبد الله بن احمد الخرقي واحمد بن ابي منصور
الترك وابا رشيد حبيب بن ابرهيم وابا العلا محمد بن محمد بن ناصر وسفيان وغلبا ابني ابي
الفضل بن ابي طاهر الحرفي وسهلان بن ابي الغوارس السباك ومعويه بن علي الصوفي وحمزة
ابن ابي الفتح الطبري وغيرهم وبالاسكندرية ابا طاهر السلفي فاكثر وابا محمد عبد الله العثماني
وعبد الرحمن بن خلف الله المقرى وجماعة وبمصر محمد بن علي الرحبي وعلي بن هبة الله الكاملي
وعبد الله بن بري النحوي وجماعة وحدث باصبهان وبغداد ودمشق ومصر ودمياط
والاسكندريه وكتب ما لا يوصف وصنف التصانيف المفيدة ولم يزل يسمع ويسمع ويكتب
ويجمع الى ان توفاه الله تعالى الى رحمته روى عنه الشيخ الموفق والحافظ عبد القادر
الرهاوي وولداه ابو الفتح محمد وابو موسى عبد الله والحافظ الضيا والحافظ ابن خليل والفقيه
اليونيني وسلمان الاسعردي والزين بن عبد الدايم وعثمان بن مكي الشارعي الواعظ واحمد
ابن حامد بن احمد بن حمد الارتاحي المقرى واسمعيل بن عبد القوي بن عزون وابو عيسى عبد الله
ابن علاق وسعد الدين محمد بن مهلهل الجيتي وبقي هذا الى ربيع الاول سنه اربع وسبعين
وبالاجازة احمد ابن الخير وغيره قال ابو عبد الله بن النجار حدث بالكثير وصنف في الحديث
تصانيف حسنه وكان غزير الحفظ من اهل الاتقان والتجويد قيما بجميع فنون الحديث
عارفا بقوانينه واصوله وعلله وصحيحه وسقيمه وناسخه ومنسوخه وغريبه ومشكله
وفقهه ومعانيه وضبط اسما رواته وكان كثير العبادة ورعا متمسكا بالسنة على قانون

من سمع منهم من شيوخه

السلف ولم يزل بدمشق يعني بعد رجوعه من اصبهان يحدث وينتفع به الناس الى ان تكلم في الصفات
والقران بشيء انكره عليه اهل التاويل من الفقهاء وشنعوا عليه وعقد له مجلس بدار السلطان
حضره القضاة والفقهاء فاصر على قوله وابا حوا اراقة دمه فشفع فيه جماعة الى السلطان من الامرا
الاكراد وتوسطوا في القضية على ان يخرج من دمشق فاخرج الى مصر واقام بها خاملا الى حين
وفاته اخبرنا يعيش بن مالك الحنبلي انا عبد الغني قلت قد كتبت حديثا قرات بخط الحافظ
العلامة شيخ اصبهان ابي موسى المديني يقول ابو موسى عفا الله عنه قل من قدم علينا من
الاصحاب يفهم هذا الشان كفهم الشيخ الامام ضياء الدين ابي محمد عبد الغني بن عبد الواحد
المقدسي زاده الله تعالى توفيقا وقد وفق لتبيين هذه الغلطات على ان في الكتب المصنفة
في معرفة الصحابة عن هذا من الخطا ولا تنفك الكتب المجموعة في ذلك من ذلك وما ذكره كما ذكره
الى ان قال ولو كان الدارقطني وامثاله في الاحيا لصوبوا فعله وقل من يفهم في زماننا لما
فهمه كتبه ابو موسى قلت هذا كتبه على ظهر كتاب تبيين الاصابة لاوهام حصلت في اوهام الصحابة
الذي جمعه الحافظ ابو نعيم وهو مجلد صغير ابان فيه عن حفظ باهر ومعرفة تامة وقال
الضياء ثم سافر الحافظ الى اصبهان وكان خرج وليس معه الا قليل فلوس فسهل الله له من حمله ما قال الضيا
وانفق عليه حتى دخل اصبهان واقام بها مدة وحصل بها الكتب الجيدة وكان ليس بالابيض
الامهق بل يميل الى السمرة حسن الشعر كث اللحية واسع الجبين عظيم الخلق تام القامة
كان النور يخرج من وجهه وكان قد ضعف بصره من كثرة البكاء والنسخ والمطالعة **ذكر
تصانيفه رحمه الله** كتاب المصباح في الاحاديث الصحاح ثمانية واربعين جزءا يشتمل اسامي تصانيفه
على احاديث الصحيحين كتاب نهاية المراد في السنن نحو مائتي جزء لم يبيضه كتاب النواسخ
مجلد كتاب تحفة الطالبين في الجهاد والمجاهدين مجلد كتاب الروضة اربعة اجزا كتاب
فضائل خير البرية اربعة اجزا كتاب الذكر جزءان كتاب الاسرا جزءان كتاب التهجد جزءان
كتاب الفرج جزءان كتاب صلات الاحيا الى الاموات جزءان كتاب الصفات جزءان كتاب
محنة احمد ثلثة اجزا كتاب ذم الرياء جزء ذم الغيبة جزء الترغيب في الدعا جزء الامر
بالمعروف جزء كتاب فضائل مكة اربعة اجزا فضائل رمضان جزء فضائل العشر جزء
فضائل الصدقة جزء فضائل الحج جزء فضائل رجب جزء وفاة النبي صلى الله عليه وسلم
جزء اقسام النبي صلى الله عليه وسلم جزء الاربعون جزء اربعون اخرى الاربعون من كلام

رب

رب العالمين جزء اربعون حديثا بسند واحد اعتقاد الشافعي جزء كتاب الحكايات
سبعة اجزا كتاب غنية الحفاظ في مشكل الالفاظ مجلدتين ذكر القبور جزء مناقب
عمر بن عبد العزيز جزء جزء في الاحاديث والحكايات اكثر من مائة جزء وهذه كلها باسانيده
ومن الكتب بلا اسناد الاحكام في ستة اجزا العمدة في الاحكام جزءان كتاب درر الاثر
تسعة اجزا كتاب السيرة النبوية جزء كبير النصيحة في الادعية الصحيحة جزء الاعتقاد
جزء تبيين اوهام ابي نعيم الحافظ في الصحابة جزء كبير كتاب الكمال في معرفة الرجال عدة مجلدات
وفيه اسناد قال وكان لا يكاد يسئله احد عن حديث الا ذكره له وبينه ولا يسئل عن رجل الا
قال هو فلان بن فلان ويذكر نسبه قال وانا اقول كان الحافظ عبد الغني المقدسي امير المؤمنين
في الحديث سمعته يقول كنت عند الحافظ ابي موسى فنازعني رجل في حديث فقال هو في البخاري
فقلت ليس هو فيه قال فكتب الحديث في رقعة ورفعها الى الحافظ ابي موسى يسئله عنه فناولني
الحافظ الرقعة وقال ما تقول هل هذا الحديث في البخاري ام لا فقلت لا قال فخجل الرجل
وسمعت ابا طاهر اسمعيل بن ظفر يقول جاء رجل الى الحافظ يعني عبد الغني فقال رجل حلف بالطلاق
انك تحفظ مائة الف حديث فقال لو قال اكثر لصدق شاهدت الحافظ غير مرة بجامع
دمشق يساله بعض الحاضرين وهو على المنبر اقرا لنا احاديث من غير جزء فيقرا الاحاديث
باسانيدها عن ظهر قلبه وقيل انه سئل لم لا تقرا من غير كتاب يعني دائما قال انى اخاف العجب وسمعت
الامام ابا العباس احمد بن محمد بن الحافظ قال سمعت على بن فارس التاجر العلثي الصالح
قال الحاج الحافظ من بلاد العجم قلت يا حافظ ما حفظت بعد مائة الف حديث فقال بلى او ما
هذا معناه سمعت ابا محمد عبد العزيز بن عبد الملك الشيباني يقول سمعت التاج الكندي يقول
لم يكن بعد الدارقطني مثل الحافظ عبد الغني يعني المقدسي وقال لعمه ابو الثنا محمود بن لم يكن بعد الدارقطني مثل الحافظ عبد الغني المقدسي
همام الانصاري سمعت التاج الكندي يقول لم ير الحافظ عبد الغني مثل نفسه وقال ابو
نزار ربيعة بن الحسن قد رايت ابا موسى المقدسي وهذا الحافظ عبد الغني احفظ منه قال
الضيا وكل من رايناه من المحدثين ممن راى الحافظ عبد الغني وجرى ذكر حفظه ومذاكرته قال ما
راينا مثله او ما يشبه هذا ثم ذكر الضيا فصلا في حرصه على الحديث وطلبه وتحريضه للطلبة
قال وحرضني على السفر الى مصر وسافر معنا ولده ابو سليمان وله نحو عشر سنين وسير
ملنا ولده محمدا وعبد الله الى اصبهان ثم سفر اسمعيل بن ظفر وزوده واعطاه ما احتاج اليه

فسافر إلى بغداد وأصبهان وخراسان وبلد ذلك حرض أبا الحجاج يوسف بن خليل على السفر
وكان يقرأ الحديث يوم الجمعة بعد الصلاة بجامع دمشق وليلة الخميس بالجامع أيضا
ويجتمع خلق وكان يقرأ ويبكي ويبكي الناس بكاء كثيرا وكان بعد القراءة يدعو دعاء كثيرا
وسمعت شيخنا أبا الحسن علي بن إبراهيم بن نجا الواعظ بالقرافة يقول على المنبر قد
جاء الإمام الحافظ وهو يريد أن يقرأ الحديث فاشتهي أن تحضروا مجلسه ثلاث مرات
وبعدها أنتم تعرفونه وتحصل لكم الرغبة فجلس أول يوم وكنت حاضرا بجامع القرافة فقرأ
أحاديث بأسانيدها حفظا وقرأ جزءا ففرح الناس بمجلسه فرحا كثيرا ثم سمعت ابن نجا
شيخنا يقول قد حصل الذي كنت أريده في أول مجلس قال وكان يجلس بمصر في غير موضع
يقرأ الحديث وكان لا يكاد يضيع شيئا من زمانه بلا فائدة فإنه كان يصلي الفجر ويلقن
القرآن وربما لقن الحديث فقد حفظنا منه أحاديث جمة تلقينا ثم يقوم فيتوضأ ويصلي
ثلاثمائة ركعة بالفاتحة والمعوذتين إلى قبل وقت الظهر ثم ينام نومة ثم يصلي الظهر
ويشتغل إما بالتسميع أو بالنسخ إلى المغرب فإن كان صائما أفطر وإن كان مفطرا
صلى من المغرب إلى العشاء الآخرة فإذا صلى العشاء نام إلى نصف الليل أو بعده ثم
قام فتوضأ وصلى لحظة ثم توضأ ثم صلى كذلك ثم توضأ وصلى إلى قرب الفجر ربما توضأ
في الليل سبع مرات أو أكثر فقيل له في ذلك فقال ما تطيب لي الصلاة إلا ما دامت
أعضائي رطبة ثم ينام نومة يسيرة إلى الفجر وهذا دأبه وكان لا يكاد يصلي فرضين
بوضوء واحد سألت خالي الإمام موفق الدين عن الحافظ فقال وكتب بخطه كان
رفيقي في الصبا وفي طلب العلم وما كنا نستبق إلى خير إلا سبقني إليه إلا القليل
وكمل الله فضيلته بابتلائه بأذى أهل البدعة وعداوتهم له وقيامهم عليه ورزق العلم
وتحصيل الكتب الكثيرة إلا أنه لم يعمر حتى يبلغ غرضه في روايتها ونشرها قال الضياء
وكان يستعمل السواك كثيرا حتى كأن أسنانه البرد سمعت محمود بن سلامة الحراني التاجر
غير مرة يقول كان الحافظ عبد الغني نازلا عندي بأصبهان وما كان ينام في الليل إلا
قليلا بل يصلي ويقرأ ويبكي حتى ربما منعنا النوم إلى السحر أو ما هذا معناه وكان الحافظ
لا يرى منكرا إلا غيره بيده أو بلسانه وكان لا تأخذه في الله لومة لائم وقد رأيته مرة يهريق خمرا
فجبذ صاحبه السيف فلم يخف وأخذه من يده وكان قويا في بدنه وكثيرا ما كان بدمشق

ينكر

ينكر ويكسر الطنابير والشبابات قال خالي الموفق كان لا يصبر عن إنكار المنكر
إذا رآه سمعت فضائل بن محمد بن علي بن سرور المقدسي قال سمعتهم يتحدثون بمصر أن الحافظ
كان قد دخل على الملك العادل فلما رآه قام له فلما كان اليوم الثاني إذا الأمراء قد
جاؤوا إلى الحافظ إلى مصر مثل سركس وأزكش فقالوا آمنا بكراماتك يا حافظ وذكروا
أن العادل قال ما خفت من أحد ما خفت من هذا الرجل فقلنا أيها الملك هذا رجل
فقيه أيش خفت منه قال لما دخل ما خيل إلي إلا أنه سبع يريد أن يأكلني فقلنا هذه كرامة
للحافظ قال الضياء شاهدت بخط الحافظ قال والملك العادل اجتمعت به وما رأيت
منه إلا الجميل فأقبل علي وأكرم وقام لي والتزمني ودعوت له ثم قلت عندنا قصور هو الذي
يوجب التقصير فقال إيش عندك لا تقصير ولا قصور وذكر أمر السنة فقال إيش عندك شيء يعاب
في أمر الدين لا الدنيا ولا بد للناس من حاسدين وبلغني عنه بعد ذلك أنه ذكر عنده العلماء
فقال ما رأيت بالشام ولا مصر مثل فلان دخل علي فخيل إلي أنه أسد قد دخل علي وهذا
ببركة دعائكم ودعاء الأصحاب وكان المبتدعة قد وغروا صدر العادل على الحافظ
وتكلموا فيه عنده وكان بعضهم يقول إنه ربما قتله إذا دخل عليه فسمعت بعضهم أن
بعض المبتدعة أرسل إلى العادل يبذل في قتل الحافظ خمسة آلاف دينار وسمعت
الشيخ أبا بكر بن أحمد الطحان قال كان في دولة الأفضل علي جعلوا الملاهي عند درج
جيرون فجاء الحافظ فكسر شيئا كثيرا منها ثم جاء فصعد على المنبر يقرأ الحديث فجاء إليه
رسول من القاضي يطلبه حتى يناظر في الدف والشبابة فقال الحافظ ذاك عندي حرام
وقال لا أمشي إليه إن كان له حاجة فيجيء هو ثم تكلم على المنبر فعاد الرسول فقال لا بد من
مجيئك قد بطلت هذه الأشياء على السلطان فقال الحافظ ضرب الله رقبته ورقبة السلطان
فمضى الرسول وخفنا من فتنة فما جاء أحد بعد ● سمعت محمود بن سلامة الحراني بأصبهان
قال كان الحافظ بأصبهان فيصطف الناس في السوق ينظرون إليه ولو أقام بأصبهان
مدة وأراد أن يملكها لملكها يعني من حبهم له ورغبتهم فيه قال الضياء ولما وصل إلى مصر
كنا بها فكان إذا خرج يوم الجمعة إلى الجامع لا نقدر نمشي معه من كثرة الخلق يتبركون
به ويجتمعون حوله وكان شيخنا جوادا كريما لا يدخر دينارا ولا درهما ومهما حصل له أخرجه
ولقد سمعت أنه كان يخرج في بعض الليالي بقفاف الدقيق إلى بيوت المحتاجين فإذا فتحوا له

ترك ما معه ومضى ليلا يعرف وكان يفتح له بشيء من الثياب والبرد فيعطيه الناس وربما
كان عليه ثوب مرقع قال سلطان الموفق كان يجود بالشيء ما يصل بيده إليه سرا وعلانية
وقال عبد الجليل الحلاوي كنت بمسجد الوزير فبقيت ثلاثة أيام ما أكلت شيئا فلما كان العصر
يوم الجمعة سلمت على الحافظ ومشيت معه إلى خارج باب الجامع فناولني نفقة فإذا هي
نحو خمسين درهما وسمعت بدر بن محمد الجزري قال ما رأيت أحدا أكرم من الحافظ عبد الغني
قد أدى عني غير مرة سمعت سليمان بن إبراهيم الإسعردي يقول بعث الملك الأفضل إلى
الحافظ بنفقة وقمح كثير ففرقه كله ولم يترك شيئا سمعت أحمد بن عبد الله العراقي حدثني
منصور قال شاهدت الحافظ في الغلاء بمصر وهو ثلاث ليال يؤثر بعشائه ويطوي
سمعت العفيف مفضل بن علي بن عبد الواحد المصري قال سمعت أن الحافظ كان زمان الغلاء
يؤثر بعشائه يعني بمصر قال الضياء وقد فتح له بمصر بشيء كثير من الذهب وغير ذلك
فما كان يترك شيئا سمعت الرضي عبد الرحمن بن محمد بن عبد الجبار سمعت الحافظ يقول سألت الله
أن يرزقني مثل حال الإمام أحمد فقد رزقني صلاته قال ثم ابتلي بعد ذلك وأوذي سمعت
الإمام أبا محمد عبد الله بن أبي الحسن الجبائي يقول كان أبو نعيم قد أخذ على الحافظ ابن
منده أشياء في معرفة الصحابة فكان الحافظ أبو موسى يشتهي أن يأخذ على أبي نعيم في كتابه
فما كان يجسر فلما جاء الحافظ عبد الغني أشار إليه بذلك فأخذ على أبي نعيم في كتابه معرفة
الصحابة نحوا من مائتين وتسعين موضعا فلما سمع بذلك الصدر عبد اللطيف بن
الخجندي طلب الحافظ عبد الغني وأراد هلاكه فاختفى الحافظ وسمعت محمود بن سلامة
الحراني قال لما أخرجنا الحافظ من أصبهان في إزار وذلك أن بيت الخجندي
أشاعرة يتعصبون لأبي نعيم وكانوا رؤساء أصبهان سمعت الحافظ يقول كنا بالموصل
نسمع الجرح والتعديل للعقيلي فأخذني أهل الموصل وحبسوني وأرادوا قتلي من أجل
ذكر أبي حنيفة فيه قال فجاءني رجل طويل معه سيف فقلت لعله يقتلني وأستريح قال فلم
يصنع شيئا ثم أطلقت وكان يسمع هو وابن البرني فأخذ ابن البرني الكراس التي فيها ذكر
أبي حنيفة ففتشوا الكتاب فلم يجدوا شيئا فهذا سبب خلاصه قلت سمعت عبد الحميد
بن حوران سمعت الضياء يقول كان الحافظ يقرأ الحديث بدمشق ويجتمع الخلق عليه فحسد
وشرعوا يعملون لهم وقتا في الجامع ويقرأ عليهم الحديث ويجمعون الناس فهذا ينام

وهذا

وهذا أقل من عند خاص فلم يشف قلوبهم فشرعوا في مكيدة فأمروا الناصح بن الحنبلي بأن
يعظ يوم الجمعة تحت النسر وقت جلوس الحافظ ميعاده إلى العصر فلما كان في بعض
الأيام والناصح قد فرغ وقد ذكر الإمام فدسوا إليه رجلا ناقص العقل من بيت ابن عساكر
فقال للناصح ما معناه إنك تقول الكذب على المنبر فضرب الرجل وهرب وخبئ في الكلاسة
ومشوا إلى الوالي وقالوا هؤلاء الحنابلة ما قصدهم إلا الفتنة وهم وهم واعتقادهم ثم
جمعوا كبراءهم ومضوا إلى القلعة وقالوا للوالي نشتهي أن تحضر الحافظ وسمع مشايخنا
فانحدروا إلى المدينة خالي الموفق وأخي الشمس البخاري والفقهاء وقالوا نحن نناظرهم وقالوا
للحافظ اقعد أنت لا تجئ فإنك حاد ونحن نكفيك فاتفق أنهم أرسلوا إلى الحافظ وحده
ولم يعلم أصحابنا فناظروه وكان أجهلهم يغري به فاحتد وكانوا قد كتبوا شيئا من اعتقادهم
وكتبوا خطوطهم فيه وقالوا له اكتب خطك فلم يفعل فقالوا للوالي اتفق الفقهاء كلهم وهذا
يخالفهم واستأذنوه في رفع منبره فأرسلوا الأسرى فرفعوا ما في جامع دمشق من منبر
وخزانة وقالوا نريد أن لا نجعل في الجامع إلا صلاة الشافعية وكسروا منبر الحافظ
ومنعوه من الجلوس ومنعوا أصحابنا من الصلاة في مكانهم ففاتتهم الظهر ثم إن الناصح
جمع السوقة وغيرهم وقالوا إن لم يخلونا نصلي صلينا بغير اختيارهم فبلغ ذلك القاضي
وهو كان صاحب الفتنة فأذن لهم وخاف أن يصلوا بغير إذنه وكان الحنفية حموهم مقصورتهم
بجماعة من الجند ثم إن الحافظ ضاق صدره ومضى إلى بعلبك فأقام بها مدة وتوجه إلى
مصر فبقي بنابلس مدة يقرأ الحديث وكنت أنا في ذلك الوقت بمصر فجاء شاب من دمشق
بفتاوى إلى الملك العزيز عثمان ومعه كتب أن الحنابلة يقولون كذا وكذا وكان من نواحي
الإسكندرية فقال إذا رجعنا أخرجنا من بلادنا من يقول بهذه المقالة فاتفق أنه لم يرجع
وشب به فرسه وأقاموا ولده موضعه ثم أرسلوا إلى الأفضل وكان بصرخد فجاء وأخذ
مصر فعرف إلى دمشق فاتفق أنه لقي الحافظ في الطريق ففرح به وأكرمه ونفذ يوصي به
بمصر فلما وصل الحافظ إلى مصر تلقي بالبشر والإكرام وأقام بها يسمع الحديث بمواضع
ويحلق وقد كان بمصر كثير من المخالفين لكن كانت رائحة السلطان تمنعهم ثم إن الأفضل
حاصر دمشق ورد عنها بعد أن أشرف على أخذها ورجع إلى مصر فجاء العادل خلفه
فأخذ مصر وبقي بمصر وأكثر المخالفون على الحافظ فاستدعي ولم يحصل لهم بحمد الله ما

ارادوا واكرمه العادل وسافر الى دمشق وبقي الحافظ بمصر وهم لا يتركون الكلام فيه
فلما اكثروا عزم الكامل على اخراجه من مصر ثم ان الحافظ اعتقل في دار سبع ليال سمعت
الفقيه احمد بن العز محمد بن عبد الغني حدثني الشجاع بن ابي زكري الامير قال قال لي الملك الكامل
ها هنا رجل فقيه قالوا انه كافر قلت لا اعرفه قال بلى هو محدث قلت لعله الحافظ
عبد الغني قال نعم هذا هو قلت ايها الملك العلما احدهم يطلب الاخرة والاخر يطلب الدنيا
وانت ها هنا باب الدنيا فهذا الرجل جا اليك او ارسل اليك رقعة قال لا قلت والله هولا
يحسدونه فهل في هذه البلاد ارفع منك قال لا فقلت هذا الرجل ارفع العلما فقال
جزاك الله خيرا كما عرفتني هذا وقال ابو المظفر بن الجوزي في تاريخه اجتمع قاضي دمشق
محيي الدين والخطيب ضيا الدين وجماعة وصعدوا الى متولي القلعة ان عبد الغني قد
اضل الناس ويقول بالتشبيه فعقدوا له مجلسا واحضروه فناظرهم فاخذوا عليه
مواضع منها قوله لا انزهه تنزيها ينفي حقيقة النزول ومنها كان الله ولا مكان
وليس هو اليوم على ما كان ومنها مسالة الحرف والصوت فقالوا اذا لم يكن على ما كان فقد
اثبت له المكان واذا لم تنزهه تنزيها ينفي حقيقة النزول فقد اجزت عليه الانتقال
واما الحرف والصوت فانه لم يصح عن امامك بشي انما المنقول عنه انه كلام الله لا غير
وارتفعت الاصوات فقال له صارم الدين برغش والي القلعة كل هولا على ضلالة
وانت على الحق قال نعم فامر الاسارى بكسر منبره ومنعوا الحنابلة من الصلاة
ففاتتهم صلاة الظهر وقال ابو المظفر في مكان اخر اجتمع الشافعية والحنفية والمالكية
بالملك المعظم بدار العدل وكان يجلس فيها هو والصارم برغش فكان مما اشتهر من
امر عبد الغني الحافظ واصراره على ما ظهر من اعتقاده واجماع الفقها على تكفيره
وانه مبتدع لا يجوز ان يترك بين المسلمين فسال ان يمهل ثلاثة ايام لينفصل عن البلد
فاجيب **قلت** قوله واجماع الفقها تكفيره كلام ناقص وهو كذب صريح انما افتى بذلك
بعض الشافعية الذين تعصبوا عليه واما الشيخ الموفق وابو اليمن الكندي شيخ الحنفية
والحنابلة فكانا معه ولكن نعوذ بالله من الظلم والجهل قال ابو المظفر وسافر عبد الغني
الى مصر فنزل عند الطحانين وصار يقرا الحديث فافتى فقها مصر باباحة دمه فكتبوا الى
ابن شكر الوزير يقولون قد افسد عقايد الناس ويذكر التجسيم على رؤوس الاشهاد فكتب الى
والي

والي مصر بنفيه فمات قبل وصول الكتاب رحمه الله بمسجد المصنع قال وكان يصلي كل يوم وليلة ثلثماية
ركعة ورد الامام احمد وكان يقوم الليل عامة دهره وقلما امكنه ان يسوق الاامل في البلد
سرا وكان اوحد زمانه في علم الحديث وقال الضيا سمعت بعض اصحابنا يقول ان الحافظ امر ان يكتب
اعتقاده فكتب اقول كذا لقول الله تعالى كذا واقول كذا لقول النبي صلى الله عليه وسلم كذا حتى فرغ من
المسايل التي يخالفون فيها فلما وقف عليها الملك الكامل قال اي شي اقول في هذا يقول بقول الله
وقول رسوله صلى الله عليه وسلم **فصل** قال وسمعت ابا موسى بن عبد الغني قال كنت انا والدي بمصر وهو
يذكر فضايل سفين الثوري فقلت في نفسي ان والدي مثله فالتفت الي وقال اين نحن من اوليك
سمعت الزاهد ابرهيم بن محمود البعلبكي يقول كنت يوما عند الشيخ العماد فذكرنا الحفاظ فحدثوه
انهم راوا وقال رب النور على قبر الحافظ عبد الغني كل ليلة او كل ليلة جمعة شك ابرهيم سمعت الامام
ابا العباس احمد بن محمد بن عبد الغني قال رايت البارحة الكمال عبد الرحيم يعني اخي وعليه ثوب ابيض
فقلت اين انت قال في جنة عدن فقلت ايما افضل الحافظ عبد الغني او الشيخ ابو عمر قال ما ادري
واما الحافظ فكل ليلة جمعة ينصب له كرسي تحت العرش ويقرا عليه الحديث وينثر عليه الدر
وهذا نصيبي منه وكان في كمه شي وقد امسك بيده على راس الكم وسمعت عبد الله بن الحسن بن
محمد الكردي بحران قال رايت الحافظ في المنام فقلت له يا سيدي الست قد مت فقال ان الله تعالى بقى
علي وردي في الصلاة او نحو هذا وسمعت القاضي ابا حفص عمر بن علي الهكاري بنابلس يقول رايت
الحافظ عبد الغني في النوم كانه قد جا الى بيت المقدس فقلت حبست عن زيارتك فقال انا حملني النبي
صلى الله عليه وسلم وسمعت الحافظ ابا موسى قال حدثني رجل من اصحابنا قال رايت الحافظ في
النوم وكانه يمشي مستعجلا فقلت الى اين قال ازور النبي صلى الله عليه وسلم فقلت واين هو قال
في المسجد الاقصى فاذا النبي صلى الله عليه وسلم وعنده اصحابه فلما راى الحافظ قام صلى الله عليه وسلم له
واجلسه الى جانبه قال فجعل الحافظ يشكو اليه ما لقي ويبكي ويقول يا رسول الله كذبت في الحديث
الفلاني والحديث الفلاني ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول صدقت يا عبد الغني صدقت يا
عبد الغني قال سمعت ابا موسى قال مرض والدي مرضا شديدا منعه من الكلام والقيام ستة عشر
يوما وكنت كثيرا ما اساله ما تشتهي اشتهي الجنة رحمه الله ولا يزيد على ذلك فلما كان
يوم الاثنين جيت اليه وكان عادتي ابعث من ياتي كل يوم بكرة بما من الحمام يغسل به اطرافه
فلما جينا بالما مد يديه فعرفت انه يريد الوضو فوضاته وقت صلاة الصبح فلما توضا قال يا

عبد الله قم فصل بنا وخفف فقمت فصليت بالجماعة وصلى معنا جالسًا فلما انصرف الناس جئت
وقد استقبل القبلة فقال اقرأ عند رأسي يس فقرأتها فجعل يدعو وأنا أؤمن فقلت له هاهنا
دواء قد عملناه تشربه قال يا بني ما بقي إلا الموت فقلت ما تشتهي شيئًا قال أشتهي النظر إلى وجه الله
سبحانه فقلت ما أنت عني راض قال بلى والله أنا راض عنك وعن إخوتك وقد أخرجت لك ولأخو
ولابن أخيك إبرهيم فقلت ما توصي يا بني قال ما لي على أحد شيء ولا لأحد علي شيء قلت توصيني
بوصية قال يا بني أوصيك بتقوى الله والمحافظة على طاعته فجاء جماعة يعودونه فسلموا فرد
عليهم وجعلوا يتحدثون ففتح عينيه وقال ما هذا الحديث اذكروا الله قولوا لا إله إلا الله
فقالوها ثم قاموا وجعل هو يذكر الله ويحرك شفتيه ويشير بعينيه فدخل رجل من الناس فسلم
عليه وقال له ما تعرفني قال بلى فقمت لأناوله كتابًا من جانب المسجد فرجعت وقد خرجت
روحه وذلك يوم الاثنين الثالث والعشرين من ربيع الأول وبقي ليلة الثلاثاء في المسجد
واجتمع الغد خلق كثير من الأئمة والأمراء وما لا يحصيهم إلا الله ودفناه بالقرافة مقابل
قبر الشيخ أبي عمرو بن مرزوق في مكان ذكر لي خادمه عبد المنعم أنه كان يزور ذلك المكان
ويبكي فيه إلى أن يبل الحصى ويقول قلبي يرتاح إلى هذا المكان فرحمه الله ورضي عنه قال الضيا
وتزوج ببنت خاله رابعة بنت أحمد بن محمد بن قدامة فولدت له محمدًا وعبد الله وعبد الرحمن
وفاطمة وعاشوا كبراء وتسرى بجارية في مصر فلم توافقه ثم بأخرى فولدت له بنتين ماتا
ولم يكبرا سمعت عبد الحميد بن خولان الضيا اخيهم قال لما دخلنا أصبهان كنا سبعة
أحدنا الإمام أحمد بن محمد الحافظ وكان طفلًا فسمعنا على المشايخ وكان شيخنا المؤيد بن الإخوة
عنده جملة حسنة من المسموعات فسمعنا عليه قطعة وكان يتشدد علينا ثم إنه توفي فضاق
صدري لموته كثيرًا لأنه كانت عنده مسموعات لم تكن عند غيره وأكثر ما ضاق صدري لأجله
كتب مسند العدني ومعجم ابن المقرئ ومعجم أبي يعلى وكنت قد سمعت عليه في السفرة الأولى
مسند العدني ولكن لأجل رفقتي فرأيت في النوم كأن الحافظ عبد الغني رحمه الله قد أمسك
رجلًا وهو يقول لي أم هذا أم هذا والذي الرجل الذي أشار إليه هو ابن عائشة بنت معمر فلما
استيقظت قلت في نفسي ما قال هذا إلا لأجل شيء فوقع في قلبي أنه يريد الحديث فمضيت
إلى دار بني معمر وفتشت الكتب فوجدت مسند العدني سماع عائشة مثل ابن الإخوة فلما
سمعناه عليها قال لي بعض الحاضرين إن لها سماعًا بمعجم ابن المقرئ قلت أين هو قال عند فلان

الجبار فأخذناه وسمعناه منها وبعد أيام ناولني بعض الإخوان معجم أبي يعلى سماعها فسمعناه عليها
أنشدنا ابن خولان أنشدنا أبو عبد الله الحافظ سنة ست وعشرين وستمائة أنشدنا أبو عبد الله
محمد بن سعد بن عبد الله لنفسه يرثي الحافظ هذا الذي كنت يوم البين أحتسب فليقض دمعك عني بعض ما يجب
لم يبق في الأسى والسقم جارحة إلا تذوب ودمع إثرها يجب تالله لا يمن صبرًا عنهم أبدًا وفي الحياة
لا تعجبين لو فاتني بعدهم أسفًا وإنما في حياتي بعدهم عجب سقيًا ورعيًا لأيام لنا سلفت
والشمل مجتمع والأنس منتسب والعيش غض وعين الدهر راقدة والبين شت وأثواب الهوى قشب
والدار ما نزحت والورق ما صدحت وحبذا لكم الأجراع والكثب إن تبعدوا أيهم عني مباعدة
فإن مسكنكم في القلب مقترب يا سائرين إلى مصر بربكم رفقًا علي فإن الأجر مكتسب
قولوا لساكنها حييت من سكن يا منية النفس ما ذا الصد والغضب
بالشام قوم وفي بغداد قد أسفوا لا البعد أخلق بلواهم ولا الحقب لولاك ما دعموا الدين
قواعد الحق وأعمال الهدى عطب فاليوم بعدك جمر الغي مضطرم بادي الشرار وركن الرشد مضطرب
فليبكينك رسول الله ما هتفت ورق الحمام وبكى العجم والعرب لم يعرفوك كما حالوا فقد نكبوا
في الشهر واليوم هذا الفخر والحسب أحييت سنته من بعد ما دفنت وسدتها وقد انهدت لها رتب
يا شامتين وهذا ما يسوءهم مستبشرين وهذا الدهر منقلب ليس المنايا بمقصور على سبب
ولا البقاء لممدود له سبب من لم يعظه بياض الشعر يقظه سواد عيش فلا لهو ولا طرب
الصبر أهون ما يطوي غوائله ولا جرعت ما يجني ويجتلب إن تحسبوه كريه الطعم أيسره
سم مذاق ففي أعقابه الضرب ما مات من كان عز الدين يعقبه وإنما الميت من ليس له عقب
ولا يعوض بيت كان يعمره مثل العماد ولا أودى له قطب علا العلا الجمال الدين بعدكما
يحيي العلوم ويحيي الدين والقرب مثل الدراري السواري سيرها أبدًا نجم يغور وتبدو بعده شهب
من معشر هجروا الأوطان وانتهكوا أحمى الخطوب وأبكارًا لما خطبوا شم العرانين يلوي لو سألتهم
بذل النفوس لما هابوا وأن يهبوا بيض مفارقهم سود عواتقهم يمشي بمشيتهم من خطها النجب
نور إذا سألوا نار إذا حملوا سيل إذا نزلوا أسد إذا ركبوا الموقدون وبلد الجبر خامدة والمقدمون
هذا القضاء فإن تجزع فلا جزع على المحب وإن تصبر فلا عجب

الطبقة الحادية والستون

سنة إحدى وستمائة وما تم فيها فيها عزل الناصر لدين الله ولده أبا نصر محمدًا عن ولاية العهد
بعد أن خطب له بولاية العهد سبع عشرة سنة ومال إلى ولده علي ورشحه للخلافة فاخترم في

ابان شبابه فاضطر الناصر الى اعادة عدة الدين ابي نصر وهو الخليفة الظاهر قال ابو شامة منه
ومنها وقع حريق عظيم بدار الخلافة لم ير مثله واحترقت جميع خزائن السلاح والامتعة وقدور
النفط ثم قال وفيها ماذهب بلغه الف الف دينار وسبع مائة الف دينار قال وفيها اغارت
الفرنج الشاميون على العاصي بظاهر حماه فخرج الملك المنصور اليهم وثبت وابلى بلاء حسنا وكسر
عسكره وثبت هو ولولا وقوفه لراحت حماه وفيها كانت جموع الفرنج نازلين بمرج عكا والملك
العادل عند ... نازل في قبالتهم مرابطهم والرسل تتردد في معنى الصلح ثم آخر الامر تقررت
الهدنة مدة بان يكون ما فالهم ومغل الرملة ولد ثم ترحل العادل الى مصر وتفرقت العساكر
الى اوطانهم وفيها اغارت الفرنج على حمص وقتلوا وبدعوا ورد واغانمين وفيها بعث صاحب
حلب عسكرا فحاصروا المرقب وكادوا يفتحونه لولا مقتل اميرهم مبارز الدين اقجا جاءه سهم
فقتله ثم في اواخر العام اغارت فرنج طرابلس على جبلة واللاذقية وكان عليها عسكر الحلبيين
فهزمتهم الفرنج ونال من المسلمين خلق وحصل الوهن في الاسلام وطمعت الملاعين في البلاد
فاهم العادل امرهم ثم خرج من مصر في سنة ثلاث وستمائة واسرع حتى نازل عكا فصالحه
اهلها على اطلاق جميع ما في ايديهم من اسرى المسلمين فقبل الاسرى وترحل عنهم ثم قدم دمشق
وتهيأ للغزاة وعلم ان الفرنج عدو ملعون وسار حتى نزل على بحيرة قدس واستدعى العساكر
والملوك فاقبلوا اليه واشتغل فقصد طرابلس ثم سار فنازل حصن الاكراد واستباح منه برجا
واسر منه خمسمائة ثم توجه الى قلعة قريبة من طرابلس وحاصرها فافتتحها ثم سار الى مدينة
طرابلس فنازلها ونصب عليها المجانيق وقطع جميع اشجارها وخرب اعمالها وقطعوا اعنها
الهوى العين وبقي اياما الى ان اسر من جنده قتلا ومللا فعاد الى حمص فبعث اليه صاحب
طرابلس يخضع له وبعث له هدايا وثلاثمائة اسير والتمس الصلح فصالحه وذلك لما الفرنج ولله — الصلح مع فرنج طرابلس
الحمد وفيها حج من الشام صارم الدين برغش العادلي ووثاب الدين فراجا صاحب صرخد
وقال العز النسابة فيها تغلبت الفرنج على القسطنطينية واخرجوا الروم منها بعد حصر — تغلب الفرنج على قسطنطينية واخراجهم الروم منها سنة ٦٠١
وقتل وجادوا امتلكتها واستنبوا ذخايرها ووصل ما نهب منها الى الشام والى مصر وقال
محمد بن محمد القادسي في تاريخه ان امراة ولدت ولدا براسين واربعة ارجل ويدان — تولد ولد ذي راسين واربعة ارجل
فتوفي وطيف به وفيها كان خروج الكرج على بلاد اذربيجان فعاثوا وقتلوا وسبوا واستد
البلاء ووصلوا الى اعمال خلاط فجمع صاحب خلاط عسكره ونجده عسكر ارزن الروم فالتقوا

الكرج

الكرج فنصرهم الله على الكرج لعنهم الله وقتل في المصاف مقدم الكرج وغنم المسلمون وقتلوا
مقتلة كبيرة **سنة اثنتين وستمائة** فيها استوزر الخليفة الوزير نصير الدين ناصر بن — وزارة نصير الدين العلوي للخليفة
مهدي العلوي الحسني وخلع عليه خلعة الوزارة فركب وبين يديه دواة عليها الف مثقال
وو راه المهدان الاصفر والوية الحمد والكوسات والعهد منشور قدامه والامراء بين
يديه مشاه وفيها هرب الوزير ابو جعفر محمد بن حديدة الانصاري المعزول من دار الوزير — هرب الوزير ابن حديدة
نصير الدين بن مهدي وكان محبوسا عنده ليعذبه وبعبادته حلق لحيته وراسه وهرب
فلم يظهر خبره الا من مراغة بعد مدة وعاد الى بغداد وفيها اغار ابن لاون الارمني على حلب
واستباح نواحي حارم بها فبعث الملك الظاهر غازي اليه جيشا عليهم ميمون القصري
فتهاون وكبسهم ابن لاون وقتل جماعة من العسكر وسبى اميرك فطيس وبلغ الخبر الملك
الظاهر فخرج وقصد حارم فهرب ابن لاون الى بلاده وفيها توجه ناصر الدين الاحدي صاحب
ماردين الى خلاط لمكاتبة اهلها فجاء الملك الاشرف موسى فنازل دنيسر فرجع ناصر الدين
الى ماردين بعد ان بذل خمس مائة الف دينار ولم ينل شيئا وفيها تسلم خوارزم شاه محمد ابلا
الخطا ترمذ فتالم الناس من ذلك ثم بان انه انما فعل ذلك مكيدة ليتمكن بذلك من ملك خراسان
لانه لما ملك خراسان قصد بلاد الخطا واخذها واستباحها وبدع وفيها قصدت الكرج
بلاد خلاط فقتلوا واسروا وبدعوا فلم يخرج اليهم عسكر خلاط لان صاحبها صبي فلما اشتد
البلاء على المسلمين تناخوا وحرض بعضهم بعضا وتجمعت العساكر والمطوعة وعملوا المصاف
مع الكرج وامسكوا على الكرج مضيق الوادي فقتلوهم قتلا ذريعا وبعد ذلك
صاحب اذربيجان ابو بكر بن البهلوان بابنة ملك الكرج لان الكرج ما بقيت الغارات على
بلاده تهادنهم وفيها حمل الى اربل خروف وجهه وجه ادمي وبعض البدن منه وفيها
اتفق علاء الدين صاحب مراغة ومظفر الدين صاحب اربل على قصد اذربيجان واخذها
لاشتغال ابن البهلوان بالخمور واهماله امر المملكة فسار الى تبريز فطلب صاحبها النجدة
من مملوك ابيه ايدغمش صاحب الري واصبهان وكان حسنه بلاد الاسماعيلية فنجده
ارسل الى صاحب اربل يقول انا كنا نسمع عنك انك تحب العلم والخير وكنا نعتقد فيك ذلك
فقد ظهر لنا ضد ذلك لقصدك مال المسلمين لما لك عقل يحجبك واتت صاحب قرية ونحن لنا
من باب خراسان الى خلاط واربل ثم قدر انك هزمت هذا السلطان انما نعلم الى متى لك انا احدهم

فلما سمع مظفر الدين ذلك عاد خائباً ثم قصد ايدغمش وابن البهلوان مراغة وحاصروها
فصالحهم صاحبها على تسليم بعض حصونه ودواهي وفيها سار الملك ايدغمش الى بلاد
الاسماعيلية المجاورة لقزوين فقتل واسر ونهب وحاصرهم فافتتح خمس قلاع وصمم
على حصار الالموت واستيصال شافتهم وفيها واقع ايدغمش طايفة من الخوارزمية نحو
عشرة الاف فكسرهم وكانوا قد عاثوا وافسدوا وفيها قتلوا **شهاب الدين** السلطان ابو
المظفر محمد بن سام الغوري صاحب غزنة قتلته الباطنية لعنهم الله في شعبان وهو
اخو السلطان غياث الدين ابو الفتح محمد المذكور سنة تسع وتسعين وقد امتدت لهما
واتسعا بلاد كثيرة وشهد احد وباعديه قال ابو الحسن بن الاثير في تاريخه قتل السلطان
شهاب الدين الغوري صاحب غزنة والهند وبعض خراسان بمنزله بعد عوده من لهاوور
وذكر ان نفراً من الكفار الكوكرية لزموا عسكره عازمين على اغتياله لما فعل بهم من القتل
والسبي فلما كانت هذه الليلة تفرق عنه اصحابه وكان معه من الاموال ما لا يحصى فانه
كان عازماً على قصد الخطا والاستكثار من العساكر وتفريق المال فيهم وكان على بابه جند
من قتال الكفار فكان السلطان وحده في خركاه فثار اولئك النفر فقتلوا بعض الحرس فصاح
المقتول فثار اليه الحرس من مواضعهم من حول السرادق لينظروا ما الامر واخلوا مراكزهم
فاغتنم الكوكرية الفرصة وهجموا على السلطان فضربوه بالسكاكين وجرحوا فدخل عليه
اصحابه فوجدوه على مصلاه قتيلاً وهو ساجد واخذ اولئك فقتلوا وحفظ الوزير الاموال
الخزائن وصيروا السلطان في محفة وحفوها بالحشم والمصاحف يوهمون انه حي وكانت
الخزانة على الفيل وما بقي حمل وساروا الى ان وصلوا الى كرمان وكان يحفظهم اهل تلك
النواحي فخرج اليهم الامير تاج الدين الدز لقيهما ونزل وقبل الارض وكشفوا المحفة فلما راى
السلطان شق ثيابه وبكى وبكى الامراء وكان يوماً مشهوداً وكان الدز من اكبر مماليكه واخصهم
فلما قتل شهاب الدين طمع ان يملك غزنة وحمل السلطان الى غزنة فدفن في التربة التي
انشاها وكان ملكاً شجاعاً غازياً عادلاً حسن السيرة يحكم بما يوجبه الشرع وينصف الضعيف
والمظلوم وكان يحضر عنده العلماء وقد جاء ابن الفخر الرازي صاحب التصانيف ووعظ عنده مرة
فقال في كلامه يا سلطان العالم لا سلطانك يبقى ولا تلبيس الرازي يبقى وان مردنا الى الله
فانتحب السلطان بالبكاء استوفى ابن الاثير ترجمته وهذا ملخصها وكان شافعياً فلعله

وقيل

وقيل كان حنفياً ولما ملك اخوه غياث الدين باميان اقطعها ابن عمه شمس الدين محمد بن
مسعود وزوجه باخته فولدت منه ولداً اسمه بهاء الدين سام فلما توفي شمس الدين وولي باميان
بعده ابنه عباس اخذ غياث الدين منه الملك واعطاه لابن اخته بهاء الدين وعظم شانه وعظم
محله واحبه امراء الغورية فلما قتل الان خاله سار اليه بعض الامراء يعرفه وكتب اليه الامراء الى
واصل وكتب الى علاء الدين محمد بن علي ملك الغورية يستدعيه اليه والى غياث الدين محمود
ابن السلطان غياث الدين خاله والى حسين بن خرميل والي هراة يامرهما باقامة الخطبة
له وامام اهل غزنة ينتظرونه ومالت الاتراك الخاصكية الى غياث الدين ابن استاذهم
فلما سار من باميان ومعه ولداه علاء الدين محمد وجلال الدين وجد صداعاً فنزل فقوي به الصداع
وعظم فايقن بالموت فاحضر ولديه وعهد الى علاء الدين وامرهما بقصد غزنة وضبط الملك
والرفق بالرعية وبذل الاموال ثم مات فسار ولداه الى غزنة فنزلا دار الملك وتسلطن
علاء الدين وانفق الاموال فلم يطعه الدز وجيشه وسار الى غزنة فالتقاه عسكر
علاء الدين فانهزموا واحاط الدز بالقلعة وحصر علاء الدين ثم نزل بالامان وحلف له
الدز ورده الى باميان في اسوا حال ومال الاتراك نحوه **سنة ثلاث وستمائة** فيها
فارق امير الركب العراقي الركب وقصد الشام وهو الامير وجه السبع فنقضت الاعراب
الحجاج وبكوا وسالوه فقال امير المؤمنين يحسن الي وما اشكوا الا الوزير ابن مهدي
فانه يقصدني لقربي من الخليفة وما على الروح عوض وقدم الشام فاكرمه العادل وبنوه
وفيها ولي قضاء القضاة ببغداد عماد الدين ابو القاسم عبد الله بن الحسين بن الدامغاني
وفيها قبض الخليفة على الركن عبد السلام بن عبد الوهاب بن الشيخ عبد القادر واستاصله
وكان قد بلغه فسقه وفجوره وفيها قدم بغداد حاجاً العلامة برهان الدين محمد بن عمر
ابن مازه الملقب صدر جهان وتلقاه الاعيان وحملت اليه الاقامات وكان معه ثلثمائة
فقيه وكان زعيم بخارا يؤدي الخراج الى الخطا وينوب عنهم بالبلد ويظلم ويعسف
حتى لقبوه صدر جهنم وفيها نزلت الفرنج على حمص فسار من حلب المبارز يوسف
خطلخ ووقع مصاف اسر فيه الصمصام بن العلا خادم صاحب حمص وفيها كانت بخراسان
فتن وحروب قوي فيها خوارزم شاه واتسع ملكه وافتتح بلخ وغيرها من مدن خراسان
وفيها التقى خوارزم شاه وسونج بالقرب من الطالقان فلما تصاف الجيشان حمل الملك

سوح وجهه بين الصفين وساق الى القلب ثم نزل ورمى عنه سلاحه وقبل الارض وقال
العفو فظن خوارزم شاه انه سكران فلما علم صحوه سبه وذمه وقال من يثق الى مثل هذا
وكان نائب غياث الدين الغوري على الطالقان فاستولى خوارزم شاه عليها وقربها نوابه
محمد بن احمد بن نصر بن ابي الفتح الحسن بن محمد بن خالويه الصيدلاني ابو جعفر الاصبهاني
سبط حسين بن منده ولد ليلة عيد الاضحى سنة تسع وخمسمايه وحضر ابا علي الحداد وابا
منصور محمود بن اسمعيل الصيرفي وابا الخير عبد الكريم بن علي فورجه وحمزة بن العباس العلوي
وابا الوفا عبد الجبار بن الفضل الاموي الراوي عن ابي القاسم عبد الرحمن بن ابي بكر الذكواني
وجعفر بن عبد الواحد الثقفي وابا عدنان محمد بن احمد بن ابي نزار وجماعة وسمع جميع المعجم الكبير
للطبراني من فاطمة الجوزدانيه في سنة عشرين وخمسمايه وهو اخر من روى بالحضور عنها ذكرنا
روى عنه ابو موسى بن الحافظ ومحمد بن عمر العثماني ومحمد بن احمد الريحاني والدبيثي والحافظ
الضيا والحافظ بن خليل والحسن بن يونس سبط داود بن معمر وعبد الله بن عبد الاعلى القطان
وعبد الله بن يوسف بن اللمط واسمعيل بن ظفر وابو الخطاب عمر بن دحية واخوه ابو عمرو عثمان
احمد ابن الخير والشيخ شمس الدين والشيخ الفخر والكمال عبد الرحيم واحمد بن شيبان واسمعيل
العسقلاني والبرهان ابرهيم بن الدرجي وغيرهم وكان يعرف بسلفه قال الحافظ الضيا انه
توفي في سلخ رجب وقد سمع منه الضيا شيا كثيرا **سنة اربع وستمايه** فيها ملك
السلطان نصرة الدين ابو بكر بن البهلوان مدينة مراغة وذلك ان صاحبها علا الدين بن قراسنقر
مات وخلف ابنا طفلا فملكوه ثم مات وفيها عبر خوارزم شاه الى بلاد الخطا بجميع جيوشه
وحشد بحاذي سمرقند وحشد اهل الخطا فجرى بينهم وقعات ودام القتال قال ابن الاثير
في سنة اربع عبر علا الدين محمد خوارزم شاه **قلت** ولقبه خوارزم شاه الى ما ورا النهر
لقتال الخطا وكانوا قد طالت ايامهم ببلاد تركستان وما ورا النهر وثقلت وطاتهم على
اهلها ولهم في كل بلد نايب وهم يسكنون الخركاوات على عادتهم وكان مقامهم بنواحي
كاشغر وبلاساغون وكان سلطان سمرقند وبخارا معهو رامعهم فكاتب علا
الدين وطلب منه النجدة على ان يحمل اليه ما يحمله الى الخطا وفرح الاسلام منهم **قلت**
ثم اشتد القتال في بعض الايام بين المسلمين والخطا فانهزم المسلمون هزيمة شنيعة واسر
خلق منهم خوارزم شاه واسر من امرايه الكبار اسرهما رجل واحد ووصل المنكرون الى خوارزم

وتخبطت

وتخبطت الامور واما خوارزم شاه فاظهر انه غلام لذلك الامير وصار يخدمه ويخلعه
خفه فقام الذي اسرهما وعظم الامير وقال لولا اني اخاف القوم عرفوك عندي لاطلقتك ثم تركه
اياما فقال له الامير اني اخاف ان تظن اهلي اني قتلت ويعتقدون ملكي فاهلك واحب ان تقرض
علي شيا من المال حتى احمله اليك وقال اريد رجلا عاقلا يذهب بكتابي اليهم فقال ان اصحابنا
لا يعرفون اهلك قال فهذا غلامي اثق به وهو يمضي ان اذنت فاذن له الخطاي فسيره وبعث
معه الخطاي من يحفظه الى قرب خوارزم فخفروه ووصل السلطان خوارزم شاه بهذه
الجيلة سالما وفرح به الناس وزينت البلاد واما ذاك الامير فهو ابن شهاب الدين
مسعود فقال له الذي اسره ان خوارزم شاه قد عدم فقال له اما تعرفه قال لا قال
هو اسيرك الذي كان عندك فقال لم لا عرفتني حتى كنت خدمته وسرت بين يديه الى مملكته
قال خفنا عليه فقال الخطاي فسر بنا اليه فسارا اليه ثم انه الا اخبار بما فعله اخوه علي شاه
وكزلك خان فسار ثم تبعه جيشه وكان قبل عوده الخطا قد امر اخاه علي على طبرستان
وجرجان وامر كزلك خان على نيسابور وهو يتبعه وولى جلدك مدينة الجام وولى امين
الدين مدينة زوزن وامير الذي كان من اكبر امرايه وكان جمالا قبل ذلك وهو الذي
ملك كرمان وقتل حسين بن خرميل وصار الى غياث الدين الغوري وخضع له وامره
على مرو وسرخس ونوابا ثم جمع عساكره وغيرهم وحضوا واجتمع بسلطان سمرقند وجرى حرب
الخطا الذي ذكرناه فاما ابن خرميل نايب هراه فانه راى صنع عسكر السلطان خوارزم
شاه بالرعيه من النهب والفتك وامسك منهم جماعة وبعث الى السلطان يعرفه ما صنعوا
فغضب وامره بارسال الجند لحاجته اليهم في قتال الخطا وقال اني قد امرت عز الدين
جلدك صاحب الجام ان يكون عندك لما اعلمه من عقله وتدبيره وكتب الى جلدك بامره
بالمسير الى هراه وينقض على ابن خرميل فسار في الفي فارس وقد كان ابوه طغرل متوليا
هراه في دولة سنجر فجلدك اليها بالاشواق ويوثر هلاكها على جميع خراسان فلما خرج تلقته
ولا واعتنقا ثم احاط اصحابه بابن خرميل وهرب غلمانه الى البلد فامر الوزير بغلق هراه
واستعد للحصار فنازل جلدك هراه وارسل الى الوزير يتهدده بانه ان لم يسلم البلد قتل
مخدومه ابن خرميل فنادى الوزير بشعار السلطان غياث الدين محمود الغوري فقدموا
ابن خرميل الى السور فحث الوزير في التسليم فلم يقبل فذبحوه ثم امر خوارزم شاه في كتبه

الى امين الدين صاحب زوزن والى كزلك خان متولي نيسابور بالمسير لحصار هراة فساروا
ونازلوها في عشرة آلاف واشتد القتال وقد كان ابن خرميل حصنها وعمل لها اربعة اسوار
وحفر خندقها وملأها بالمياه واشتغل انى قد بقيت اخاف على هراة شيا واحدا وهو ان تسكر المياه
التي لها ثم ترسل عليها دفعة واحدة فينهدم سورها فلما بلغ اولئك قوله فعلوا ذلك فاحاطت
المياه بها ولم تصل الى السور ولا تنقلع المدينة بل ارتفع الماء في الخندق وكثر الوحل
بظاهر البلد فتأخر لذلك العسكر عنها وهذا كان قصد ابن خرميل فاقاموا اياما
في تشعيث البلد ولما اسر خوارزم شاه كما قدمنا سار كزلك خان مسرعا الى نيسابور
وحصنها وعزم على السلطنة وكذلك هم بالسلطنة علي شاه ودعا الى نفسه واحتاط
خراسان فلما خلص خوارزم شاه ونجا هرب كزلك خان باموال نحو العراق وهرب علي
شاه ملتجئا الى غياث الدين الغوري فتلقاه واكرمه واما خوارزم شاه فانه استعمل
على نيسابور نائبا وجاء فتمم حصار هراة ولم ينل منها غرضا لحسن تدبير وزيرها فارسل
اليه خوارزم شاه يقول انك وعدت عسكري انك تسلم الي البلد اذا حضرت فقال لا
افعل انتم غدارون لا تبقون على احد وانا البلد للسلطان غياث الدين فاتفق جماعة من
اهل هراة وقالوا هلك الناس من الجوع وتعطلت المعايش وهذه سنة اشهر فارسل
الوزير من تمسكهم فثارت فتنة في البلد وعظمت فتمكنها الوزير بنفسه وكتبوا الى خوارزم
شاه وزحف على البلد وهم مختبطون فملكها ولم يبق على الوزير وقتله وذلك في سنة
خمس ثم سلم البلد الى خاله امير ملك ثم شعثه ثم امر خاله ان يسير الى السلطان غياث
الدين محمود بن غياث الدين فيقبض عليه وعلى علي شاه فسار لحربهما فارسل غياث
الدين يبذل له الطاعة فاعطاه الامان فنزل غياث الدين من فيروزكوه فقبض عليه وعلى
علي شاه ثم جاء الامر من خوارزم شاه بقتلهما في وقت واحد من سنة خمس للانسة وفيها
تملك الاوحد ايوب بن العادل مدينة خلاط بعد حرب جرت بينه وبين بلبان صاحبها
وقتل بعد ذلك بلبان على يد ابن صاحب الروم مغيث الدين طغرلشاه وساق القصة ابن الاثير
في تاريخه وابن واصل وغيرهما وخلاط مملكة عظيمة وهي قصبة ارمينية وبلادها
متسعة حتى قيل انها في وقت كانت تقارب الديار المصرية وهذا مبالغة وكانت لشاه
ارمن بن سكمان ثم لمملوكه بكتمر فقتل بكتمر سنة تسع وثمانين وخمسمائة فملكها ولده ثم غلب

عليها

عليها بلبان مملوك شاه ارمن وكان الملك الاوحد قد ملكه ابوه ميافارقين واعمالها
بعد موت السلطان صلاح الدين فافتتح مدينة موش وغيرها وطمع في مملكة خلاط وقصدها
فالتقاه بلبان فكسره فرد الى ميافارقين فحشد وجمع وانجده ابوه بجيش والتقى هو
وبلبان فانهزم بلبان وتحصن بالبلد واستنجد بطغرل شاه السلجوقي صاحب ارزن
الروم فجاء وهزم عنه الاوحد ثم سار السلجوقي وبلبان فحاصرا حصن موش فغدر السلجوقي
ببلبان وقتله وساق الى خلاط ليملكها فمنعه اهلها فساق الى منازكرد فمنعه اهلها فرد
الى بلاده واستدعى اهل خلاط الاوحد فملكوه وملك اكثر ارمينية فهاجت عليه الكرج
وتابعوا الغارات على البلاد واعتزل جماعة من امراء خلاط وعصوا بقلعة فسار لمحاربتهم
الاشرف موسى في جيوشه وتسلموا القلعة بالامان ثم سار الاوحد ليقرر قواعد ملازكرد
فوثب اهل خلاط وعصوا فكر الاوحد وحاصرهم ودخل وبذل السيف فقتل خلقا واسر
الاعيان وكان شهما سفاكا للدماء فتوطدت له الممالك وفيها اتفق الفرنج من طرابلس
وحصن الاكراد على الاغارة باعمال حمص ثم حاصروها فعجز صاحبها اسد الدين عنهم
وانجده الظاهر صاحب حلب بعسكر فاقاموا الفرنج ثم ان السلطان سيف الدين سار
من مصر بالجيوش وقصد عكا فصالحه صاحبها ثم سار فنزل على عين حمص فاغار على
بلاد طرابلس واخذ حصنا صغيرا من اعمالها وقدم ذلك استطرادا في سنة احدى
وستمائة **حنبل** بن عبد الله بن الفرج بن سعادة ابو علي وابو عبد الله الواسطي الاصل
البغدادي الرصافي المكبر راوي المسند عن ابي القاسم بن الحصين وسمع شيئا يسيرا
من ابي القاسم بن السمرقندي واحمد بن منصور بن الموصل وحدث ببغداد والموصل ودمشق
وكان كثير الامراض بالتخم كان الملك المعظم يطعمه تلك الالوان وهو يسرف فيها وكان
ابن الانماطي يكون بجامع المهدي وينادي على الاملاك عاش تسعين سنة او نحوها
قال ابن الحاجب سألت ابن نقطة سالت ابا الطاهر بن الانماطي بدمشق قال حدثني حنبل بن عبد الله
قال لما ولدت مضى بي الى الشيخ عبد القادر الجيلي وقال له قد ولد لي ولد فما اسميه
قال سمه حنبل واذا كبر سمعه مسند احمد بن حنبل قال فسماني كما امر فلما كبرت سمعني
المسند وكان هذا من بركة مشورة الشيخ قال الدبيثي حنبل ابو عبد الله كان دلالا في
بيع الاملاك سئل عن مولده فذكر ما يدل على انه في سنة عشر وخمسمائة قال وتوفي

بعد عوده من الشام في ليلة الجمعة رابع محرم سنة اربع قال ابن الانماطي سمعه ابوه المسند بقراءة ابن الحنبلي في شهرين رجب وشعبان سنة ثلاث وعشرين وسمعت منه جميع المسند ببغداد اكثره بقراءتي عليه في نيف وعشرين مجلسا ولما فرغت من سماعه اخذت ارغبه في السفر الى الشام فقلت يحصل لك من الدنيا طرف صالح ويقبل عليك وجوه الناس ورؤساؤهم فقال دعني فوالله ما اسافر لاجلهم ولا لما يحصل منهم وانما اسافر خدمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اروي احاديثه في بلد لا تروى فيه ولما علم الله منه هذه النية الصالحة اقبل بوجوه الناس اليه وحرك الهمم للسماع عليه واجتمع اليه جماعة لا اعلمها اجتمعت في مجلس سماع قبل هذا بدمشق بل لم يجتمع مثلها قط لاحد ممن روى المسند

قلت سمع من حنبل خلق كثير منهم الضياء والدبيثي وابن العماد وابن خليل والملك المحسن والمفتي احمد بن العز والفقيه اليونيني وابو الطاهر بن الانماطي والتاج بن ابي جعفر ومحمد ابن عبد العزيز بن خلدون والزين محمد بن عمر الانصاري العلاني الاديب المعروف بابن الرفوفي والموفق محمد بن عمر خطيب بيت الابار والصدر البكري واخوه الشرف محمد ومحمد ابن نصر الله بن ابي سراقة الهمداني واحمد بن حنبل المطعم واحمد بن عبد الله بن موسى النابلسي وخطيب مردا واحمد بن كتائب البانياسي واسمعيل بن ابي اليسر والمسلم بن علان وشمس الدين عبد الرحمن بن ابي عمر واحمد بن شيبان والفخر علي وغازي الحلاوي قال الامام ابو شامة وكان حنبل فقيرا جدا وروى المسند باربل والموصل ودمشق وكان كثير الامراض بالتخم كان الملك المعظم يطعمه تلك الالوان وهو يسرف فيها وقال ابن الانماطي كان ابوه عبد الله قد وقف نفسه على السعي في مصالح المسلمين والمشي في قضاء حوائجهم وكان اكثر همه تجهيز من يموت على الطرق

سنة خمس وستمائة فيها قدم الشام شهاب الدين السهروردي في الرسلية ورجع ومعه شمس الدين الدكيا النقادم والتحف فاعرض عن السهروردي ونقموا عليه حب مد يده الى الاموال فاخذ منه الربط ومنع من الوعظ فقال ما قبلتها الا لافرقها في فقراء بغداد وشرع يفرق ذلك قال ابو شامة ومنها زلزلت نيسابور زلزلة عظيمة دامت عشرة ايام فمات تحت الردم خلق عظيم ومنها اتفق الفرنج من طرابلس وحصن الاكراد على الاغارة باعمال حمص ثم حاصروها فعجز صاحبها اسد الدين عن منعهم ونجده الظاهر صاحب حلب بعسكر

قاوموا

قاوموا الفرنج ثم ان السلطان سيف الدين سار من مصر بالجيوش وقصد عكا فصالحه صاحبها ثم سار فنزل على بحيرة حمص واغار على بلاد طرابلس واخذ حصنا صغيرا من اعمالها وقد مر ذلك استطرادا في سنة احدى وستمائة

سنة ست وستمائة فيها نزل الكرج على خلاط فحصروها وكادوا ياخذونها وكان بها الاوحد بن الملك العادل فقاتل ملك الكرج ايواني فحمه ما شا الا ان الليلة الاخرى قلعة خلاط فاتفق انه شرب وسكر وركب في جيوشه وقصد باب البلد فخرج اليه المسلمون ووقع القتال فعثر به فرسه فوقع فكاثر عليه المسلمون وقتل حوله جماعة من خواصه واسر فمات الا في القلعة وهرب جيشه وقيل جرى ذلك في سنة سبع ومنها نازلت الكرج مدينة ارجيش فافتتحوها بالسيف ثم احرقوها واصبحت خاوية على عروشها ولم يبق بها احد ولم يروع الكرج احد فانا لله وانا اليه راجعون وعجز عنهم الملك الاوحد بن العادل وهي له ومنها خرج كيخسرو صاحب الروم وقصد بلاد سيس وافتتح حصنا بالامان وجاءه عسكر حلب واغار وسبى وغنم ومنها افتتح خوارزم شاه مدينة هراة مرة ثانية ومنها نزل السلطان الملك العادل على سنجار بجيوش عظيمة وضربها بالمنجنيق اشهرا وكاد ان يفتحها فارسل الملك الظاهر من حلب اخاه المؤيد مسعودا الى العادل يشفع في اهل سنجار وصاحبها قطب الدين محمد بن زنكي بن مودود فلم يشفعه ومات المؤيد في السفر براس عين وكرهت المشارقة مجاورة الملك العادل فاتفقوا عليه مع صاحب اربل وتشفعوا اليه فرحل بعد ان اخذ نصيبين والخابور ونزل حران وكانت هذه من سيئات العادل يدع جهاد الفرنج ويقاتل المسلمين فانا لله وانا اليه راجعون وقال ابن الاثير في الكامل لما استقر امر خراسان لخوارزم شاه محمد بن تكش عبر جيحون في هذه السنة في جحفل عظيم لجمع الخطا جموعهم والمقدم عليهم طاينكو وكان شيخا مسنا لقي الحروب وكان مؤيدا فيها مدبرا فكانت وقعة لم يشهد مثلها انكسرت فيها الخطا وقتل خلق كثير واسر طاينكو فجيء به الى خوارزم شاه فاجلسه معه على السرير واحترمه ثم سيره الى خوارزم وافتتح خوارزم شاه بلاد ما وراء النهر قهرا وصلحا حتى بلغ اوزكند وجعل نائبه عليها ورجع الى خوارزم وفي خدمته ملك سمرقند وكان من احسن الناس صورة فزوجه خوارزم شاه بابنته ورده ورد معه شحنة يكون بسمرقند على قاعدة ملك الخطا مع صاحب سمرقند فبعث صاحب سمرقند بالخوارزمية وندم لما راى

من سو تدبيرهم وقبح معاملتهم للناس وارسل الى ملك الخطا يدعوه الى سمرقند ليسلمها
اليه ويعود الى طاعته ثم امر بقتل كل من عنده من الخوارزميين ووسط جماعة من اعيانهم
وعلقهم في الاسواق ومضى الى القلعة ليقتل زوجته بنت خوارزم شاه فاغلقت
الابواب ومنعت عن نفسها هي وجواريها وبعثت تقول له انا امراة ومثلي قبيح
فاتق الله في تركها وضيق عليها وجا الخبر الى السلطان بذلك فغضب وقامت قيامته
وامر بقتل كل من بخوارزم من الغربا فمنعته امه وخوفته فاقتصر على قتل كل سمرقندي بها
فهنه اقصاما نفس وامر جيشه بالتجهز الى ما ورا النهر فساروا وسار في ساقتهم
ونازل سمرقند وارسل الى صاحبها يقول له قد فعلت ما لم يفعله مسلم ولا كافر ولا
عاقل وقد عفا الله عما سلف فاخرج عن البلاد الى حيث شئت فامتنع فزحف عليه ونصب
السلالم على السور واخذ سمرقند بالسيف ووقع القتل والنهب ثلاثة ايام فقتلوا منهم
قيل انها مايتي الف وسلم درب الغربا والتجار ثم زحفوا على القلعة فاخذت
واسر الملك فلما احضر قبل الارض وطلب العفو فقتله صبرا واستعمل نوابا على سمرقند
واما الخطا فلما ذهبوا منهزمين اجتمعوا عند ملكهم ولم يكن شهد الوقعة وكان طايفة
من التتار قد خرجوا من بلادهم اطراف الصين قديما فنزلوا ورا بلاد تركستان فكان بينهم
وبين الخطا حروب وشر فلما سمعوا ان خوارزم شاه كسر الخطا قصدوهم مع
مقدمهم كشلوخان فلما راى ذلك ملك الخطا كتب الى خوارزم شاه اما ما كان منك من
اخذ بلادنا وقتل رجالنا فعفو عنه وقد اتانا من هذا العدو ما لا قبل لنا به فان
انتصروا علينا واخذونا فلا دافع لهم عنك والمصلحة ان تسير الينا في عساكرك وتنجدنا
على حربهم وكاتب خوارزم شاه مقدم التتار كشلوخان انني معك على قتال الخطا وكاتب
الخطا انني قادم لنصرتكم وسار في جيوشه الى ان نزل بقرب مكان المصاف فلم يخالطهم
بل اوهم كلا من الطايفتين انه معهم وانه كمين لهم فالتقوا فانهزم الخطا اقبح هزيمة فمال
جيش خوارزم شاه مع التتار عليهم قتلا واسرا فلم يفلت منهم الا القليل مع ملكهم
لجاوا الى جبال منيعة وتحصنوا بها وانضم الى خوارزم شاه منهم طايفة كبيرة وصاروا
من جيشه وارسل يمن على كشلوخان واعترف له وارسل اليه بان يقاسمه مملكة الخطا كما
اتفقا على ابادتهم فقال له خوارزم شاه ليس لك عندي الا السيف فان صحت بالمسالمة والا

سرت

تشرف اليك ثم سار في مقاربته ثم تبين له انه لا طاقة له بالسلطان فاخذ يراوغهم ويسبهم ويتخطفهم
فارسل اليه كشلوخان ليس هذا فعل الملوك هذا فعل اللصوص فان كنت سلطانا فاعمل
مصافا فجعل يغالطه ولا يجيبه لكنه امر اهل فرغانة والشاش واسبيجاب وكاسان وتلك
المدن العامرة بالجلا والجفل الى سمرقند وغيرها ثم خربها جميعها خوفا من التتار ان يملكوها
ثم اتفق خروج جنكزخان والتتار الذين خربوا خراسان على كشلوخان فاشتغل بحربهم عن السلطان
خوارزم شاه فرجع الى بلاد خراسان **قلت** وكان هذا الوقت اول ظهور الطاغية جنكزخان
واول خروجه من اراضيهم الى نواحي الترك وفرغانة واراضيهم براري من بلاد الصين قال
الموفق عبد اللطيف بن يوسف في هذا الشان هو حديث ياكل الاحاديث وخبر يطوي الاخبار
وتاريخ ينسي التواريخ ونازلة تصغر كل نازلة وفادحة تطبق الارض وتملاها من الطول
والعرض وهذه الامة لغتهم مشوبة بلغة الهند لانهم في جوارهم وبينهم وبين مكة اربعة
اشهر وهم بالنسبة الى الترك عراض الوجوه واسعوا الصدور خفاف الاعجاز صغار
الاطراف سمر الالوان سريعوا الحركة في الجسم والراي تصل اليهم اخبار الامم ولا تصل
اخبارهم الى الامم وقلما يقدر جاسوس ان يتمكن منهم لان الغريب لا يتشبه بهم واذا ارادوا
جهة كتموا امرهم ونهضوا دفعة واحدة فلا يعلم بهم اهل بلد حتى يدخلوه ولا عسكر حتى يخالطوه
فلهذا تفسد على الناس وجوه الحيل وتضيق طرق الهرب ويسبقون التاهب والاستعداد
ونساوهم يقاتلن كرجالهم وربما كان للمراة رضيع تعلقه في عنقها وترمي بالقوس يرد
على البلد منهم اولا نفر يسير حتى يطمع فيهم اهله فيتبعون وراه حتى يبعدوا وذاك
النفر ينهزمون من بين ايديهم ثم يتهالون عليهم كقطع الليل فيحملونهم عن المدينة فيجعلونهم كالحصيد
ويدخلون المدينة فيقتلون النسا والصبيان بغير استثنا واما الرجال فربما ابقوا منهم من كان
ذا صنعة او له قوة في الخدمة قال والغالب على سلاحهم النشاب وكلهم يصنعه ونصولهم
قرون وحديد وعظام ويطعنون بالسيوف اكثر مما يضربون بها ولهم جواشن من جلود
وخفاف واسعة وخيلهم تاكل الكلا رطبا ويابسا وما وجدت من ورق وخشب واذا نزلوا
عنها اطلقوها وسروجهم صغار خفاف ليس لها قيمة واكلهم لحم اي حيوان وجد وتمسه
النار تحلة القسم وليس في قتلهم استثنا ولا ابقا وكان قصدهم افنا النوع وفعلوا ذلك
بجميع خراسان ولم يسلم منهم الا اصبهان وغزنة قال ويظهر من حالهم انهم لا يقصدون الملك

والمال بل ابادة العالم سابقا وقال عن هذه القبيلة الخبيثة تعرف بالتترجي سكان البراري
ما وراء الصين ومشتاهم يعرف بارغون وهم طائفة مشهورة بالشر والغدر وسبب ظهورهم
ان اقليم الصين متسع مسيرة دورة ستة اشهر ويقال انه يحوي ستة صور واحدة لا ينقطع الا
عند الجبال والانهار **قلت** وهذا بعيد وهو ممكن والصين ست ممالك ولهم ملك حاكم
على الممالك الستة وهو دوش خان قد تزوج بعمة جنكزخان وهو قانهم الاكبر المقيم بطمغاج
وهو كالخليفة للمسلمين وكان سلطان احد الممالك الستة وهو دوش خان قد تزوج بعمة
جنكزخان فحضر زائرا العمة وقد مات زوجها وكان قد حضر مع جنكزخان كشلوخان واعلمتهما
ان الملك لم يخلف ولدا واشارت على ابن اخيها ان يقوم مقامه فقام وانضم اليه خلق من المغول
ثم سير التقادم الى الخان الكبير فاستشاط غضبا وامر بقطع اذناب الخيل التي اهديت
وطردها وقتل الرسل لكون التتار لم تتقدم لهم سابقة بتملك انما هم بادية الصين فلما سمع
جنكزخان وصاحبه كشلوخان تحالفا على التعاضد واظهرا الخلاف للخان واتاهما امم كثيرة
من التتار وعلم الخان قوتهم وشرهم فارسل يؤانسهم ويظهر مع ذلك انه ينذرهم ويهددهم
فلم يغن ذلك شيئا ثم قصدهم وقصدوه فوقع بينهم ملحمة عظيمة فكسروا الخان الاعظم اقبح
كسرة ونجا بنفسه وملك جنكزخان بلاده واستفحل شره ولم يسلم الخان الا بالمسالمة ورضي بما
بقي في يده من الممالك فسالموه واستمر الملك بين جنكزخان وكشلوخان على المشاركة ثم سارا الى
بلاد ساقون من نواحي الصين فملكاها فمات كشلوخان فقام مقامه ولده فاستضعفه جنكزخان
ووقعت الوحشة وطلب ابن كشلوخان قتالق والمالق فصالحه ملكها ممدوخان بن ارسلان
وملك كاشغر من الترك وقوي وبعد صيته فجرد لحربه جنكزخان ولده دوشي خان في عسكر
التقا فحاربه وظفر به دوشي خان واستقل جنكزخان ودانت له التتار وانقادت له ووضع
لهم قواعد يرجعون اليها فالتزموا بها واوجبوها على نفوسهم بحيث انه من خالف شيئا منها فقد
ضل ووجب قتله واعتقدوا ابنه وتابعوه وبالغوا في طاعته والتزام ما سنه ثم وقع مصاف
ببلاد الترك بين دوشي خان والسلطان خوارزم شاه محمد فانهزم دوشي خان بعد ان
انكى في جيش محمد وعاد محمد الى بلاد سمرقند وهو في هم وفكر لما راى من صبر التتار وبالهم
وكثرتهم وستاتي اخبارهم فيما بعد عند ظهورهم على خوارزم شاه واخذهم ممالكه سنة سبع
عشرة **اسعد** بن المنجا بن بركات بن المؤمل القاضي ابو المعالي وجيه الدين بن

ابي

ابي المنجا التنوخي المعري الاصل الدمشقي الفقيه الحنبلي ولد سنة تسع عشرة وخمسمائة
وارتحل الى بغداد وتفقه بها وبرع في المذهب وسمع ابا سكين الرضواني والقاضي ابا
الفضل الارموي وابا جعفر العباسي وسمع بدمشق من نصر بن احمد بن مقاتل وغيره وولي قضاء
حران في اواخر دولة نور الدين واخذ الفقه عن الشيخ عبد القادر الحنبلي واحمد الحربي وتفقه
ايضا بدمشق على شرف الاسلام عبد الوهاب بن الشيخ ابي الفرج الحنبلي وهو اخر اصحابه
اخذ عنه الشيخ الموفق وروى عنه ابن خليل والضيا والشيخ شمس الدين والمجد علي والحافظ
عبد العظيم والشهاب القوصي واخرون ومن اجله بنى الشيخ مشيدا المدرسة ووقفها عليهم وله
شعر حسن صنف كتاب النهاية في شرح الهداية في بضعة عشر مجلدا وصنف كتاب الخلاصة
وغير ذلك وفي ذريته علما واكابر مات في جمادى الاخرة **محمد** بن عمر بن الحسين بن الحسن بن
علي العلامة فخر الدين ابو عبد الله القرشي البكري التيمي الطبرستاني الاصل الرازي بن خطيب
الري الشافعي المفسر المتكلم صاحب التصانيف ولد سنة اربع واربعين وخمسمائة اشتغل
على والده الامام ضيا الدين عمر وكان من تلامذة محيي السنة ابي محمد البغوي قال الموفق احمد بن
ابي اصيبعة في تاريخه اشتهرت في الافاق مصنفات فخر الدين وتلامذته وكان اذا ركب يمشي
حوله ثلاثمائة تلميذ فقهاء وغيرهم وكان خوارزم شاه ياتي اليه وكان شديد الحرص جدا في العلوم
الشرعية والحكمية حاد الذهن كثير البراعة قوي النظر في صناعة الطب عارفا بالادب
له شعر بالفارسي والعربي وكان عبل البدن ربع القامة كبير اللحية في صوته فخامة كانوا
يقصدونه من البلاد على اختلاف مطالبهم في العلوم وتفننهم فكان كل منهم يجد عنده النهاية
القصوى فيما يرومه منه قرا الحكمة على المجد الجيلي بمراغة وكان المجد من كبار الفضلا وله تصانيف
قلت يعني بالحكمة الفلسفة قال القاضي شمس الدين بن خلكان فريد عصره ونسيج وحده
وشهرته تغني عن استقصاء فضايله ولقبه فخر الدين وتصانيفه في علم الكلام المطالب العالية
وكتاب نهاية العقول وكتاب الاربعين وكتاب المحصل وكتاب البيان والبرهان في الرد
على اهل الزيغ والطغيان وكتاب المباحث العمادية في المطالب المعادية وكتاب المحصول
في اصول الفقه وكتاب عيون المسايل وكتاب تاسيس التقديس في تاويل الصفات وكتاب
ارشاد النظار الى لطائف الاسرار وكتاب اجوبة المسايل البخارية وكتاب تحصيل الحق
وكتاب الزبدة وكتاب المعالم في اصول الدين وكتاب الملخص في الفلسفة وكتاب شرح

الاشارات وكتاب عيون الحكمة وكتاب المكتوم في مخاطبة النجوم وشرح اسما الله الحسنى
ويقال انه شرح المفصل للزمخشري وشرح الوجيز للغزالي وشرح سقط الزند لابي العلا
وله مختصر في الاعجاز ومواخذات جيدة على النحاة وله طريقة في الخلاف وصنف في الطب
شرح الكليات للقانون وصنف في علم الفراسة وله مصنف في مناقب الشافعي وكل
تصانيفه ممتعة ورزق فيها سعادة عظيمة وانتشرت في الافاق واقبل الناس على
الاشتغال فيها ورفضوا كتب المتقدمين وله في الوعظ باللسانين مرتبة عالية
وكان يلحقه الوجد حال الوعظ ويحضر مجلسه ارباب المقالات والمذاهب ويسالونه
ورجع بسببه خلق كثير من الكرامية وغيرهم الى مذهب اهل السنة وكان يلقب بهراة
شيخ الاسلام اشتغل على والده الى ان مات ثم قصد الكمال السمناني واشتغل عليه
مدة ثم عاد الى الري واشتغل على المجد الجيلي صاحب محمد بن يحيى الفقيه النيسابوري وتوجه
معه الى مراغة لما طلب اليها ويقال انه كان يحفظ كتاب الشامل في علم الكلام لامام الحرمين
ثم قصد خوارزم وقد تمهر في العلوم فجرى بينه وبين اهلها كلام فيما يرجع الى المذهب
والعقيدة واخرج من البلد فقصد ما وراء النهر فجرى له ايضا ما جرى بخوارزم فعاد الى
الري وكان بها طبيب حاذق له ثروة ونعمة وله ابنتان ولفخر الدين ابنان فمرض الطبيب
فزوج بنتيه بابني الفخر ومات الطبيب فاستولى الفخر على جميع امواله ومن ثم كانت له
النعمة ولما وصل الى السلطان شهاب الدين الغوري بالغ في اكرامه والانعام عليه وحصلت
له منه اموال عظيمة وعاد الى خراسان واتصل بالسلطان خوارزم شاه محمد بن تكش وحظي
عنده ونال اسنى المراتب وهو اول من اخترع هذا الترتيب في كتبه واتى فيها بما لم يسبق اليه
وكان يذكر الى حال الوعظ وكان لما اثرى لازم الاسفار والتجارة وعامل شهاب الدين
الغوري في جملة من المال ومضى اليه لاستيفا حقه فبالغ في اكرامه ونال منه مالا طايلا
الى ان قال ابن خلكان ومناقبه اكثر من ان تعد وفضايله لا تحصى ولا تحد واشتغل بعلوم
الاصول على والده وابوه اشتغل على ابي القاسم الانصاري صاحب امام الحرمين واسمه
سليمان بن ناصر وقال ابو المظفر سبط ابن الجوزي وابو شامة اعتنى الفخر الرازي بكتب ابن
سينا وشرحها وكان يعظ ويسب الكرامية وينالون منه سبا وتكفيرا وقيل انهم وضعوا
عليه من سقاه السم فمات وكانوا يرمونه بالكبائر ولا كلام في فضله وانما الشناعات قايمة

عليه

عليه باشيا منها انه قال قال محمد التازي وقال محمد الرازي يعني النبي صلى الله عليه وسلم
وبنفسه والتازي هو العربي ومنها انه كان يقرر مسايل الخصوم وشبههم باتم عبارة
فاذا جاء بالاجوبة قنع بالاشارة ولعله قصد الايجاز ولكن لخصمه من المجاز وقد طالع
الفلاسفة الذين اخذ عنهم هذا الفن فقال في كتاب المعالم اطبقت الفلاسفة على ان النفس
جوهر وليست بجسم قال وهذا عندي باطل لان الجوهر يمتنع ان يكون له قرب او بعد من
الاجسام قال الامام ابو شامة وقد رايت جماعة من اصحابه قدموا علينا دمشق وكلهم
كان يعظمه تعظيما كثيرا ولا ينبغي ان يسمع فيمن ثبتت فضيلته كلام يشنع لعله من صاحب
غرض من حسد او مخالفة في مذهب او عقيدة قال وبلغني انه خلف من الذهب ثمانين الف
دينار سوى الدواب والعقار وغير ذلك وخلف ولدين كان الاكبر منهما قد تجند في
حياة ابيه وخدم السلطان خوارزم شاه قلت ومن تلامذته مصنف الحاصل تاج الدين
محمد بن الحسين الارموي وقد توفي قبل وقعة بغداد وشمس الدين عبد الحميد بن عيسى الخسروشاهي
والقاضي شمس الدين الخويي ومحيي الدين قاضي مرند وتفسيره الكبير في اثني عشر مجلدة
كبار سماه فتوح الغيب او مفاتيح الغيب وفسر الفاتحة في مجلد مستقل وشرح نصف الوجيز
للغزالي وله كتاب المطالب العالية في ثلاث مجلدات ولم يتمه وهو من اخر تصانيفه وله كتاب
عيون الحكمة فلسفة وكتاب في الرمل وكتاب في الهندسة كتاب الاختيارات العلائية في
تنجيم وكتاب الاختيارات السماوية تنجيم وكتاب الملل والنحل وكتاب في النبض وكتاب
الطب الكبير وكتاب التشريح لم يتمه ومصنفات كثيرة ذكرها الموفق بن ابي اصيبعة وقال
كان يخطب بالري وكان اكثر مقامه بها وتوجه الى خوارزم ومرض بها وامتد مرضه
اشهرا ومات بهراة بدار السلطنة وكان علا الملك العلوي وزير خوارزم شاه قد تزوج
بابنته وكان لفخر الدين اموال عظيمة ومماليك ترك وحشم وتجمل زايد وعلى مجلسه هيبة
شديدة ومن شعره   نهاية اقدام العقول عقال   واكثر سعي العالمين ضلال
وارواحنا في وحشة من جسومنا   وحاصل دنيانا اذى ووبال   ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا
سوى ان جمعنا فيه قيل وقالوا   وكم قد راينا من رجال ودولة   فبادوا جميعا مسرعين وزالوا
وكم من جبال قد علت شرفاتها   رجال فبادوا والجبال جبال   حكى الاديب شرف الدين
محمد بن عنين انه حضر درس فخر الدين في مدرسته بخوارزم ودرسه حافل بالافاضل واليوم

ثلاث وقد وقع ثلج كثير وبرد خوارزم شديد فسقطت بالقرب منه حمامة وقد طردها
بعض الجوارح فلما وقعت رجع عنها الجارح وخاف فلم تقدر الحمامة على الطيران من
الخوف ومن البرد فلما قام فخر الدين من الدرس وقف عليها ورق لها واخذها فعلت في
الحال

بان الكرام المطعمين اذا اشتوا … في كل مسغبة وثلج خاشف
العاصمين اذا النفوس تطايرت … بين الصوارم والوشيج الراعف
من نبا الورقاء ان محلكم … حرم وانك ملجا للخايف
وفدت عليك وقد تدانى حتفها … فحبوتها ببقايها المستانف
ولو انها تحبى بمال لانثنت … من راحتيك بنايل متضاعف
جاءت سليمان الزمان بشكوها … والموت يلمع من جناحي خاطف
قرم لواه القوت حتى ظله … بازائه يجري بقلب واجف

وله

ماتت به بدع تمادى عمرها … دهرا وكاد ظلامها لا ينجلي
فعلا به الاسلام ارفع هضبة … ورسى سواه في الحضيض الاسفل
غلط امرؤ بابي علي قاسه … هيهات قصر عن هداه ابو علي
لو ان رسطاليس يسمع لفظة … من لفظه لعرته هزة افكل
ولحار بطليموس لو لاقاه من … برهانه في كل شكل مشكل
ولو انهم جمعوا لديه تيقنوا … ان الفضيلة لم تكن للاول

ومن كلام فخر الدين قال رايت الاصلح والاصوب طريقة
القران وهو ترك التعمق والاستدلالات باقسام اجسام السماوات والارضين على
وجوب الرب ثم ترك التعمق ثم المبالغة في التعظيم من غير خوض في التفاصيل فاقرا
في التنزيه قوله والله الغني وانتم الفقرا وقوله ليس كمثله شي وقل هو الله احد واقرا
في الاثبات الرحمن على العرش استوى ويخافون ربهم من فوقهم واليه يصعد الكلم
الطيب واقرا في ان الكل من الله قوله قل كل من عند الله وفي تنزيهه عما لا ينبغي ما
اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك وعلى هذا القانون فقس
واقول من صميم القلب من داخل الروح اني مقر بان كل ما هو الاكمل الافضل الاعظم
الاجل فهو لك وكل ما فيه عيب ونقص فانت منزه عنه واقول ان عقلي وفهمي قاصر عن
الوصول الى كنه صفة ذرة من مخلوقاتك قال الامام ابو عمرو بن الصلاح حدثني القطب
الطوغاني مرتين انه سمع الفخر الرازي يقول ليتني لم اشتغل بالكلام وبكى وقيل ان
الفخر الرازي وعظ مرة عند السلطان شهاب الدين فقال يا سلطان العالم لا سلطانك
يبقى ولا تلبيس الرازي يبقى وان مردنا الى الله فابكى السلطان وقد ذكرنا انه في سنة خمس الفتنة.

الى

التي جرت له مع مجد الدين عبد المجيد ابن القدوة بهراة **وصيته** اوصى بهذه الوصية لما
احتضر لتلميذه ابرهيم بن ابي بكر الاصبهاني يقول العبد الراجي رحمة ربه الواثق بكرم مولاه
محمد بن عمر بن الحسين الرازي وهو اول عهده بالاخرة واخر عهده بالدنيا وهو الذي يلين فيه
كل قاس ويتوجه الى مولاه كل ابق اني احمد الله تعالى بالمحامد التي ذكرها اعظم ملايكته في
اشرف اوقات معارجهم ونطق بها اعظم انبيايه في اكمل اوقات شهاداتهم واحمده بالمحامد
التي يستحقها عرفتها او لم اعرفها لانه لا مناسبة للتراب مع رب الارباب وصلاته على الملايكة
المقربين والانبيا والمرسلين وجميع عباد الله الصالحين ثم اعلموا اخواني في الدين واخلاي
في طلب اليقين ان الناس يقولون ان الانسان اذا مات انقطع عمله وتعلقه عن الخلق
وهذا مخصص من وجهين الاول انه ان بقي منه عمل صالح صار ذلك سببا للدعا والدعا له
عند الله اثر الثاني ما يتعلق بالاولاد وادا الجنايات اما الاول فاعلموا اني كنت رجلا
محبا للعلم فكنت اكتب في كل شي شيا لاقف على كميته وكيفيته سوا كان حقا او باطلا الا
ان الذي نظرته في الكتب المعتبرة ان العالم المخصوص تحت تدبير مدبر منزه عن مماثلة
المتحيزات موصوف بكمال القدرة والعلم والرحمة ولقد اختبرت الطرق الكلامية والمناهج
الفلسفية فما رايت فيها فايدة تساوي الفايدة التي وجدتها في القران لانه يسعى في تسليم
العظمة والجلالة لله ويمنع عن التعمق في ايراد المعارضات والمناقضات وما ذاك الا
للعلم بان العقول البشرية تتلاشى في تلك المضايق العميقة والمناهج الخفية فلهذا اقول
كلما ثبت بالدلايل الظاهرة من وجوب وجوده ووحدته وبراته عن الشركا في القدم والازلية
والتدبير والفعالية فذلك هو الذي اقول به والقى الله به واما ما انتهى الامر فيه الى الدقة
والغموض وكلما ورد في القران والصحاح المتعين للمعنى الواحد فهو كما هو والذي لم يكن كذلك
اقول يا اله العالمين اني ارى الخلق مطبقين على انك اكرم الاكرمين وارحم الراحمين فلك ما
مر به قلمي وخطر ببالي فاستشهد واقول ان علمت مني اني اردت به تحقيق باطل او ابطال
حق فافعل بي ما انا اهله وان علمت مني اني ما سعيت الا في تقرير ما اعتقدت انه الحق وتصورت
انه الصدق فلتكن رحمتك مع قصدي لا مع حاصلي فذاك جهد المقل وانت اكرم من ان
تضايق الضعيف الواقع في زلة فاغثني وارحمني واستر زلتي وامح حوبتي يا من لا يزيد ملكه
عرفان العارفين ولا ينقص ملكه بخطا المجرمين واقول ديني متابعة الرسول محمد صلى الله عليه

وسلم وكما لي الغفران العظيم وتغولني في طلب الدين عليهما اللهم يا سامع الاصوات ويا مجيب
الدعوات ويا مقيل العثرات انا كنت حسن الظن بك عظيم الرجاء في رحمتك وانت قلت
انا عند ظن عبدي بي وانت قلت امن يجيب المضطر اذا دعاه فهب اني ما جئت بشيء فانت
الغني الكريم وانا المحتاج اللئيم فلا تخيب رجائي ولا ترد دعائي واجعلني امنا من عذابك قبل
الموت وبعد الموت وعند الموت وسهل علي سكرات الموت فانك ارحم الراحمين ه من كلام فخر الدين
ان كنت ترحم فقيرا فها انا ذاك وان كنت ترى مغبونا فانا ذاك المغبون وان كنت تخلص غريقا
فانا الغريق في بحر الذنوب وان كنت امنت فانا انا البس عين النقص والحرمان والذل
والهوان واما الكتب التي صنفتها واستكثرت فيها من ايراد السؤالات فليدعني من نظر
فيها بصالح دعائه على سبيل التفضل والانعام والا فليحذف القول السيئ فاني ما اردت
الا تكثير البحث وتشحيذ الخاطر والاعتماد في الكل على الله ه الثاني وهو اصلاح امر
الاطفال والاعتماد فيه على الله ثم انه سرد وصيته في ذلك الى ان قال وامرت تلامذتي
ومن لي عليه حق اذا انا مت يبالغون في اخفاء موتي ويدفنوني على شرط الشرع فاذا دفنوني
قرأوا علي ما قدروا عليه من القران ثم يقولون يا كريم جاءك الفقير المحتاج فاحسن اليه ه
سمعت وصيته كلها من الكمال عمر بن الياس بن يونس المراغي انا التقي يوسف بن ابي بكر
النسائي بمصر انا الكمال محمود بن عمر الرازي قال سمعت الامام فخر الدين يوصي تلميذه
ابراهيم بن ابي بكر فذكرها قلت توفي يوم عيد الفطر بهراة المبارك بن محمد
ابن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني العلامة مجد الدين ابو السعادات ابن
الاثير الجزري ثم الموصلي الكاتب البليغ مصنف جامع الاصول ومصنف غريب الحديث
وغير ذلك ولد بجزيرة ابن عمر في سنة اربع واربعين وخمسمائة في احد الربيعين وبها
نشا وانتقل الى الموصل وسمع بها من يحيى بن سعدون القرطبي وخطيب الموصل واتصل
بخدمة الامير الكبير مجاهد الدين قايماز الخادم الى ان هلك ثم اتصل بخدمة صاحب
الموصل عز الدين مسعود وولي ديوان الانشاء وتوفرت حرمته وكان بارعا في الترسل
له فيه مصنف وعرض له مرض مزمن ابطل يديه ورجليه وعجز عن الكتابة واقام بداره
وانشا رباطا بقرية من قرى الموصل ووقف املاكه عليه وله شعر يسير توفي في اخر
يوم من السنة ودفن برباطه ذكره ابو شامة في تاريخه فقال قرا الحديث والادب

والعلم

والعلم وكان رئيسا مشاورا صنف جامع الاصول والنهاية في الغريب وصنف شرح
مسند الشافعي وكان به نقرس فكان يحمل في محفة قرا النحو على ابي محمد سعيد بن الدهان
وابي الحرم مكي الضرير وسمع من ابن سعدون والطوسي وسمع ببغداد لما حج من ابن كليب
وحدث وانتفع به الناس وكان ورعا عاقلا بهيا ذا بر واحسان واخوه ضياء الدين
مصنف المثل السائر واخوهم عز الدين علي صاحب التاريخ وقال ابن خلكان له كتاب
الانصاف في الجمع بين الكشف والكشاف في تفسيري الثعلبي والزمخشري وله كتاب
المصطفى المختار في الادعية والاذكار وكتاب لطيف في صنعة الكتابة وكتاب البديع
في شرح الفصول في النحو لابن الدهان وله ديوان رسائل رحمه الله قلت روى عنه
ولده والشهاب القوصي وغير واحد وعاش ثلاثا وستين سنة سن نبينا صلى الله عليه وسلم
وسن خير هذه الامة بعد نبيها ثلاثة امير المؤمنين علي رضي الله عنه وهما ابو بكر
وعمر رضي الله عنهما اخر من روى عنه بالاجازة فخر الدين بن البخاري قال ابن الشعار
كان كاتب الانشاء لدولة صاحب الموصل نور الدين ارسلان شاه بن مسعود
ابن مودود وكان حاسبا كاتبا ذكيا الحان قال ومن تصانيفه كتاب الفروق في الابنية
وكتاب الادوا والذوات وكتاب الادعية والمختار في مناقب الاخيار وشرح
غريب الطوال وكان من اشد الناس بخلا يحيى بن الربيع بن سليمان بن حراز العلامة
مجد الدين العمري الواسطي ابو علي بن الفقيه ابي الفضل ولد بواسط سنة ثمان وعشرين
وخمسمائة وقرا القران على ابيه وابي علي محمد بن سعد بن تركان الفراني وعلي الحلا
عن القاضي ابي علي بن ابي حارم بن العرا بواسط لما ولي قضاها ثم قدم ابو علي بغداد
وتفقه بالنظامية على مدرسها الامام ابي النجيب السهروردي وتفقه اولا على والده
وعلى ابي جعفر هبة الله بن البوقي ثم رحل الى نيسابور فتفقه على الامام محمد بن يحيى
صاحب الغزالي وبقي عنده سنتين ونصف وسمع الكثير بواسط من ابي الكرم نصر الله
ابن مخلد بن الجلخت وابي عبد الله محمد بن علي الجلابي واحمد بن عبيد الله الامدي وببغداد
من عبد الخالق اليوسفي وابن ناصر وابي الوقت وبنيسابور من شيخه محمد ومن عبد الله
ابن الفراوي وعبد الخالق بن زاهر وروى الكثير ببغداد وبهراة وعرفه لما مضى اليها
رسولا من الديوان العزيز في سنة ثمان وتسعين وخمسمائة فلما عاد ولي تدريس النظامية

ورزق الجاه والحشمة وقال الدبيثي كان ثقة صحيح السماع عالما بمذهب الشافعي وبالخلاف
والحديث والتفسير كثير القبول قرأ بالعشر على ابن بركات وكان أبوه من الصالحين ويقال
إنهم من ولد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال أبو شامة كان مجد الدين عالما عارفا بالتفسير
والمذهب والأصولين والخلاف دينا صدوقا وقال الموفق عبد اللطيف كان معيد ابن فضلان
وكان أبرع من ابن فضلان وأقوم بالمذهب وعلم القراءات وكان بينهما صحبة جميلة دائما لم أر مثلها
بين اثنين قط فكان يسمع الدرس من الشيخ ولا يفهمه لكثرة فراغه ثم يقوم إلى ابن الربيع فكما
يسمعه منه يفهمه وكانت الفتيا تأتي الشيخ فلا يضع خطه حتى يشاور ابن الربيع ثم إن ابن الربيع
أخذ تدريس النظامية وسير في رسالة إلى خراسان فمات في الطريق **قلت** روى عنه
الدبيثي والضياء وابن خليل وآخرون ولنا إجازة من زاهر الشحامي وتوفي في أواخر ذي القعدة
وأجاز للشيخ شمس الدين عبد الرحمن والفخر علي **سنة سبع وستمائة** فيها عصى
قطب الدين سنجر الناصري بتستر بعد موت طاشتكين أمير الحاج وهو حموه فأرسل إليه الخليفة
الناصر عز الدين نجاح الشرابي والوزير مؤيد الدين القمي نائب الوزارة فلما قربوا من تستر
هرب سنجر بأمواله وأهله إلى صاحب شيراز أتابك موسى فحلف له أن لا يسلمه ثم غدر به
وأسره وأخذ أمواله وفسق بنسائه ثم بعثه مقيدا فأدخل بغداد على بغل وفيها أظهر الناصر
لدين الله الإجازة التي أخذت له من الشيوخ وخرج عنهم جزءا وخرج له وهو المسمى بروح
العارفين وأجاز للأكابر وكتب أجزاء بالعلم ما سألوا على شرطه الإجازة الصحيحة وكتب
العبد الفقير إلى الله تعالى أبو العباس أحمد بن أمير المؤمنين وسلمت إجازة الشافعية إلى
الإمام ضياء الدين عبد الوهاب بن سكينة المتوفى في هذه السنة وإجازة الحنفية إلى ضياء
الدين أحمد بن مسعود التركستاني وإجازة الحنابلة إلى عماد الدين نصر بن عبد الرزاق
الجيلي وإجازة المالكية إلى تقي الدين علي بن جابر المغربي التاجر وفيها قال أبو المظفر
سبط ابن الجوزي خرجت من دمشق بنية الغزاة إلى نابلس وكان الملك المعظم بها فجلست
بجامع دمشق في ربيع الأول وكان الناس من مشهد زين العابدين إلى باب الناطفيين
وكان القيام في الصحن أكثر وحزروا بثلاثين ألفا وكان يوما لم ير بدمشق ولا بغيرها
مثله وكان قد اجتمع عندي شعور كثيرة من التائبين وكنت قد وقفت على حكاية أبي
قدامة الشامي مع تلك المرأة التي قطعت شعرها وقالت اجعله قيدا لفرسك في سبيل الله

فعملت

فعملت من التي اجتمعت عندي شكلا لخيل المجاهدين وكرفسانات وأمرت بإحضارها
على الأعناق وكانت ثلاثمائة شكال فلما رآها الناس صاحوا صيحة عظيمة وقطعوا مثلها
وكانوا ثلاث القيامة وكان المعتمد والي دمشق حاضرا وقام لجمع الأعيان فلما نزلت من
المنبر قام يطرق لي ومشى بين يدي إلى باب الناطفيين فتقدم إلى فرسي فأمسك بركابي
وخرجنا من باب الفرج إلى المصلى وجميع ما كان بالجامع بين يدي وسرنا إلى الكسوة
ومعنا خلق مثل التراب فكان من قرية زملكا فقط نحو ثلاثمائة رجل بالعدد والسلاح
ومن غيرها خلق خرجوا احتسابا وجئنا إلى عقبة فيق والوقت مخوف من الفرنج فأتينا
نابلس وخرج المعظم فالتقانا وفرح بنا وجلست بجامع نابلس وأحضرت الشعور
فأخذها المعظم وجعلها على وجهه وبكى ولم أكن اجتمعت به قبل ذلك اليوم وخرجنا
نحو بلاد الفرنج فأخربنا وهدمنا وأسرنا جماعة وقتلنا جماعة وعدنا سالمين مع المعظم
إلى الطور فشرع المعظم في عمارة حصن عليه وبناه إلى آخر سنة ثمان فتكامل سوره وبقي
فيه مدة بعد ذلك ولا يحصى ما غرم عليه وحج بالناس سيف الدين علي بن سليمان بن جندر
من أمراء حلب وفيها اتفق الملوك على الملك العادل منهم سلطان الروم وصاحب
الموصل وصاحب إربل وصاحب حلب وصاحب الجزيرة اتفقوا على مشاقة العادل
وأن تكون الخطبة بالسلطنة لصاحب الروم كيخسرو شاه بن قلج أرسلان فأرسلوا إلى
الكرج بالخروج إلى خلاط وخرج كل منهم بعساكره إلى طرف بلاده ليجتمع بصاحبه
على قصد العادل وكان بحران وبعثه صهره صاحب آمد فنزل الكرج على خلاط
مع مقدمهم إيواني وصاحبها يومئذ الأوحد بن الملك العادل كما تقدم وإنه أسر
مقدمهم الأوحد وطالع بذلك والده فطار فرحا وعلم بذلك الملوك المذكورون فصرفوا
آراءهم وصالحوا العادل واشترى إيواني نفسه بمائتي ألف دينار وبألفي أسير من
المسلمين وتسليم إحدى وعشرين قلعة متاخمة لأعمال خلاط كان قد تغلب عليها
ويزوج بنته للأوحد وأن يكون الكرج معه أبدا سلما فاستأذن الأوحد والده
في ذلك فأمضاه وأطلقه وعاد إلى مملكته وحمل بعض ما ذكرنا وسرح بالبنت فلما صارت
خلاط للملك الأشرف تزوج بابنة إيواني وفيها كان إملاك نور الدين أرسلان شاه
صاحب الموصل على ابنة العادل بقلعة دمشق على صداق ثلاثين ألف دينار وكان

العقد مع وكيله ثم ظهر انه قد مات بالموصل من ايام وقام ولده عز الدين ومنها ظهرت
على بني السلار الستة عشر الف دينار على ابن الدخينة بعد طول محنته في الحبس وموت
زوجته تحت الضرب وعصره مرات وعصر بناته وابنه وما اقر والشي وكان اكثر الذهب
مدفونا تحته بسجن القلعة واكتشف امرها باستر حال من جهة منصور بن السلار فانه
بحث عنها بسبب انه حبس عليها وجمع من المبلغ عشرة الاف دينار وما تبين ثم مات ابن
الدخينة في الحبس وصلب ميتا بعشاوته الفرس وفيها شرع في بنا المصلى بظاهر
دمشق وعملت ابواب الجامع من جهة باب البريد وبني شاذروان الفوارة وعمل بها
المسجد ورتب له امام ومنها توجه الباشا الفرنسي لعنه الله في مراكب من عكا متوجها الى
ساحل دمياط وارسل عن يمينها وطلع وساد في البر بجيوشه فكبس قرية نوره وسبى
اهلها ورد الى مراكبه ومنها نقصت دجلة نقصا مفرطا حتى خاض الناس دجلة فوق
بغداد وهذا امر لم يعهد مثله قاله ابن الاثير عبد الوهاب بن الامين
ابي منصور علي بن عبيد الله الامام المحدث العالم مسند العراق وشيخها ضياء
الدين ابو احمد البغدادي الصوفي الامين المعروف بابن سكينة وسكينة هي جدته ام ابيه
ولد في شعبان سنة تسع عشرة وخمسمائة وسمع الكثير من ابيه وابي القاسم بن الحصين وابي
غالب محمد بن الحسن الماوردي وزاهر بن طاهر الشحامي والقاضي ابي بكر الانصاري والزاهد
محمد بن حمويه الجويني بافادة ابن ناصر ولازم ابا سعد بن السمعاني لما قدم وسمع معه الكثير
من ابي منصور بن زريق القزاز وابي القاسم بن السمرقندي وابن توبة وحدث الامة الشيخ
ابي البركات اسمعيل بن احمد وهذه الطبقة وقرا القراات على ابي محمد سبط الخياط والحافظ
ابي العلا الهمداني وابي الحسن علي بن احمد بن حمويه وقرا مذهب الشافعي والخلاف على
ابي منصور سعيد بن الرزاز وغيره وقرا العربية على ابي محمد بن الخشاب ولبس خرقة التصوف
من جده ابي البركات وصحبه واخذ معرفة الحديث عن ابن ناصر ولزمه وقرا عليه الكثير وحفظ
عنه الكثير من النكت والفوائد العربية والمعاني الدقيقة وطال عمره ورحل اليه قال الحافظ
ابن النجار ابن سكينة شيخ العراق في الحديث والزهد وحسن السمت وموافقة السنة والسلف
عمر حتى حدث بجميع مروياته وقصده الطلاب من البلاد وكانت اوقاته محفوظة لا تمضي له
ساعة الا في تلاوة او ذكر او تهجد او تسميع وكان اذا قرئ عليه الحديث منع ان يتكلم احد او

لغيره

لغيره وكان كثير الحج والمجاورة والطهارة لا يخرج من بيته الا لحضور جمعة او عيد
او جنازة ولا يحضر دور ابناء الدنيا والرؤساء في هنا ولا في عزا وكان يديم الصيام
غالبا على كبر سنه ويستعمل السنة في مدخله ومخرجه وملبسه واموره ويحب الصالحين
ويعظم العلماء ويتواضع لجميع الناس وكان دائما يقول اسال الله ان يميتنا مسلمين
وكان ظاهر الخشوع غزير الدمعة وكان يعتذر من البكا ويقول قد كبرت سني ورق عظمي
فلا املك عبرتي يقول ذلك خوفا من الريا وكان الله قد البسه ردا جميلا من البها وحسن
الخلقة وقبول الصورة ونور الطاعة وجلالة العبادة وكانت له في القلوب منزلة عظيمة
ومحبة كل احد واذا راه انسان انتفع برؤيته قبل كلامه فاذا تكلم كان البها والنور على الفاظه
ولا يشبع من مجالسته ولقد طفت شرقا وغربا ورايت الائمة والزهاد فما رايت اكمل
منه ولا اكثر عبادة ولا احسن سمتا صحبته قريبا من عشرين سنة ليلا ونهارا وتادبت به
وخدمته وقرات عليه القران بجميع رواياته وسمعت منه اكثر مروياته وكان ثقة
حجة نبيلا علما من اعلام الدين سمع منه الحفاظ علي بن احمد الزيدي والقاضي عمر بن علي
وابو بكر الحازمي وخلق ورووا عنه وهو حي وسمعت ابا محمد بن الاخضر غير مرة يقول
لم يبق ممن طلب الحديث وعني به غير عبد الوهاب بن سكينة يقول كان شيخنا ابن ناصر
يجلس في دار على سرير لطيف وكل من حضر عنده جلس تحت سريره كابن شافع والبا
وامثالهم وما رايته اجلس معه احدا على سريره الا ابن سكينة قال ابن النجار وانبانا
القاضي يحيى بن القاسم مدرس النظامية في ذكر مشايخه ابو احمد بن سكينة كان
عالما دائم التكرار لكتاب التنبيه في الفقه كثير الاشتغال بالمهذب والوسيط
في الفقه لا يضيع شيا من وقته وكنا اذا دخلنا عليه يقول لا تزيدوا على سلام عليكم
مسالة لكثرة حرصه على المباحثة وتقرير الاحكام وقال الدبيثي سمع بنفسه وحصل
المسموعات وسمع اباه وخلقا كثيرا سمى منهم ابا البركات عمر بن ابراهيم العلوي واما
شجاع البسطامي وحدث بمصر والشام والحجاز وكان ثقة ثبتا صحيح الاصول ذا
سكينة ووقار قلت روى عنه الشيخ الموفق وابو موسى بن الحافظ عبد الغني
وابو عمرو بن الصلاح والضياء بن خليل والضياء وابن النجار والدبيثي ومحمد بن عبد الله بن عنبه
الاسكاف ومحمد بن عساكر الطبيب والعماد محمد بن شهاب الدين السهروردي وابو احمد

ابن السلوجي البغدادي وأحمد بن علي النجاد وبكر بن محمد القزويني والحسن بن عبد الرحمن
ابن عمر البادرائي وسعد الله بن عبد الرحمن الطحان وعامر بن مكي الضرير وأبو الفتح عبد الله
ابن علي بن أبي الدبس وأخوه عبد الرحمن وعبد الله بن عقيل والموفق عبد الغافر بن محمد الفاشاني
وعبد الغني بن مكي المعدل وعبد اللطيف بن سالم المعقوني وعثمان بن أبي بكر المغربي وعمر بن
عبد العزيز بن دلف ومكي بن عثمان بن الهيري ونوح بن علي الدوري ويونس بن جعفر الأزجي
النجيب عبد اللطيف الحراني وابن عبد الدائم المقدسي وعامتهم شيوخ شيخنا الدمياطي وروى
عنه بالإجازة الفخر علي بن البخاري وأحمد بن شيبان وجماعة آخرهم موتا المسند المعمر كمال
الدين عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن الوقام شيخ المستنصرية عاش بعده تسعين سنة وورد
ابن سكينة إلى دمشق رسولا وحدث بها في سنة خمس وثمانين وخمسمائة فسمع منه التاج
القرطبي وطبقته قال الإمام أبو شامة وفيها توفي ضياء الدين عبد الوهاب بن سكينة وحضر
أرباب الدولة وكان يوما مشهودا ثم قال وكان من الأبدال قال ابن النجار وغيره توفي في تاسع عشر
ربيع الآخر وكان يوما مشهودا **عمر بن محمد بن معمر** بن أحمد بن يحيى بن حسان المسند الكبير
رحلة الآفاق أبو حفص بن أبي بكر البغدادي الدارقزي المؤدب المعروف بابن طبرزد
والطبرزد هو السكر ولد في ذي الحجة سنة ست عشرة وخمسمائة وسمع الكثير بإفادة أخيه المحدث
أبي البقاء محمد ثم بنفسه وحصل الأصول وحفظها إلى وقت الحاجة إليه وكان أكثرها بخط
أخيه سمع من أبي القاسم بن الحصين وأبي غالب بن البناء وأبي القاسم هبة الله الشروطي
وأبي الحسن علي بن الزاغوني وأبي المواهب أحمد بن ملوك وهبة الله بن الطبر الحريري
وأبي بكر الأنصاري وأبي منصور القزاز وأبي منصور بن خيرون وعبد الخالق بن عبد الصمد
ابن البدن ومحمد وعمر ابني أحمد بن دحروج وأبي غالب محمد بن أحمد بن قريش وأحمد بن منصور
الغزال وإسماعيل بن السمرقندي وأبي الفضل محمد بن المهتدي بالله وأبي البدر إبراهيم بن
محمد الكرخي وأبي الفتح مفلح الدومي والوزير علي بن طراد وأبي العز الكروخي وأبي سعد
أحمد بن محمد الزوري وغيرهم روى عنه خلق لا يمكن حصرهم منهم ابن النجار والضياء والزكي
المنذري والصدر البكري وأخوه الشرف محمد والكمال عمر بن أبي جرادة وأخوه ومحمد بن
الحسن بن الحافظ بن عساكر والكمال محمد بن عمر بن النحوي والشهاب القوصي وأخوه
والمجد محمد بن إسماعيل بن عساكر والكمال عبد الرحمن بن سلمان البغدادي الحنبلي والموفق محمد

بن

ابن عمر خطيب بيت الآبار وأحمد هبة الله الكهفي والعز إسماعيل بن أبي اليسر والقطب
أحمد بن عبد السلام بن أبي عصرون والفقيه أبو العباس أحمد بن نعمة بن أحمد المقدسي والشمس
إسحق بن محمود بن بلكويه الكاتب نزيل مصر والمؤيد أسعد بن المظفر بن القلانسي والبهاء حسن
ابن سالم بن صصرى التغلبي وأبو الفرج طاهر بن محمد الكحال والجمال يحيى بن الصيرفي والشيخ
أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي عمر وأبو الغنائم المسلم بن علان والكمال عبد الرحيم بن عبد
الملك وأحمد بن شيبان وغازي الحلاوي وخديجة بنت ابن راجح وصفية بنت مسعود
ابن شكر وشامية بنت الصدر البكري وزينب بنت مكي وفاطمة بنت الملك المحسن وفاطمة
بنت العماد علي بن عساكر وعبد الرحيم بن يوسف بن خطيب المزة والفخر علي بن أحمد بن
البخاري وهو آخر من سمع منه وآخر من روى عنه بالإجازة الكمال عبد الرحمن المكبر شيخ
المستنصرية وقال ابن نقطة سمع سنن أبي داود من أبي البدر الكرخي بعضها وبعضها من
مفلح الدومي بروايتهما عن أبي بكر الخطيب وسمع كتاب الترمذي من أبي الفتح الكروخي
قال وهو مكثر صحيح السماع ثقة في الحديث توفي في تاسع رجب ودفن بباب حرب
وقرأت بخط عمر بن الحاجب قال ورد علينا ابن طبرزد دمشق وحدث بها وازدحمت عليه
الطلبة بعد بعده مشايخ وأحرار وكتب وكان مسند أهل زمانه وقال ابن الدبيثي كان
سماعه صحيحا على تخليط فيه سافر إلى الشام وحدث في طريقه بإربل والموصل وحران
وحلب ودمشق وغيرها من البلاد وعاد إلى بغداد قبل وفاته وحدث بها وجمعت له
مشيخة عن مائة وثمانين شيخا وحدث بها مرارا وأملى علينا مجالس بجامع المنصور وعاش
تسعين سنة وسبعة أشهر **قلت** يشير ابن الدبيثي إلى أن أبا البقاء أخاه كان ضعيفا
وأكثر سماعه بقراءة أخيه أبي البقاء فالله أعلم وقال الإمام أبو شامة وفيها توفي ابن
طبرزد وكان خليعا ماجنا سافر بعد حنبل إلى الشام وحصل له مال بسبب الحديث
وعاد حنبل إلى بغداد فأقام يعمل تجارة بما حصل له قال وسلك ابن طبرزد طريق حنبل
في استعمال كاغد وعنابي فمرض مدة ومات ورجع ما حصل له إلى بيت المال سمعت
شيخنا أبا العباس بن الظاهري الحافظ كان ابن طبرزد يخل بالصلوات **قلت** ورأيت
بخط ابن طبرزد كتاب طبقات الحنابلة لأبي الحسين بن الفراء وهو آخر من روى عن ابن الحصين
وجماعة وقال ابن المنذري حدث ابن طبرزد هو وأخوه معا في سنة تسع وثلاثين وخمسمائة

عيسى بن عبد العزيز بن يللبخت بن عيسى العلامة ابو موسى الجزولي اليزدكتني البربري
المراكشي المغربي النحوي حج ولزم العلامة ابا محمد عبد الله بن بري بمصر فاخذ عنه العربية
واللغة وسمع من ابي محمد بن عبيد الله صحيح البخاري وصدر من رحلته فتصدر
للافادة بالمرية وبالجزائر وعمل بجاية دهرا واخذ العربية عنه جماعة وكان اماما لا يشق
غباره في العربية ولا يجارى مع جودة التفهيم وحسن العبارة واليه انتهت الرياسة في علم
النحو ولقد اتى في مقدمته بالعجائب التي لا يسبق اليها فكلها حدود واشارات ولقد يكون
الشخص يعرف المسائل من النحو معرفة جيدة فاذا قراها لم يدر ما هي الا بدراسة واشتغل
فكذا واسم هذه المقدمة القانون اعتنى بها جماعة من اذكياء النحاة وشرحوها قال القاضي
شمس الدين بن خلكان بلغني انه كان اذا سئل عن هذه المقدمة اهي من تصنيفك قال لا
وكان متجلا ورعا فقال لانها نتائج خواطره على ابن بري كان يعلقها ثم رجع الى المغرب واشتغل
مدة بمدينة بجاية وروى عنه جماعة من اصحابه وتوفي سنة عشر بمراكش وقال ابو عبد الله
الابار له مجموع في العربية على الجمل كبير الفائدة متداول يسمى بالقانون وقد نسب لي
غيره اخذ عنه حله وتوفي بازمور من ناحية مراكش سنة سبع وستمائة قاله ابو عبد الله بن الصغير
قال الابار وقال غيره سنة ست وولي خطابة مراكش وكان اماما في القراءات ايضا ويللبخت
جله رجل بربري وهو ابن عيسى بن يوماريلي وجزولة بطن من البربر وجيمها ممزوجة بالكاف
وقرات بخط محمد بن عبد الجليل الموقاني انه اعني الجزولي قرا اصول ابن السراج وانه قاسى مدة
مقامه بمصر كثيرا من الفقر ولم يدخل مدرسة وكان يخرج الى الضياع يوم يقوم فيحصل
ما ينفقه على غاية الضيق ورجع الى المغرب فمر ابمدينة فلما وصل الى المرية اوبحوها
رهن كتاب ابن السراج الذي قراه على ابن بري وعليه خطه فانهى المرتهن امره الى الشيخ ابي
العباس الجزولي احد الزهاد بالمغرب وكان يصاحب عبد المؤمن فانهى ابو العباس
ذلك الى السلطان فامر باحضاره وقدمه واحسن اليه وجعله احد من يحضر مجلسه وصنف
كتابا في شرح اصول ابن السراج والمقدمة المشهورة وقصد بها التحشية على الجمل قلت
وممن اخذ عنه ابو علي الشلوبيني وزين الدين يحيى بن معطي وقال العمعطي قرات مذهب مالك واصوله
على ظافر المالكي بمصر وبلغني انه كان يتورع عن نسبة المقدمة لكونها نتائج بحوثه وبحوث رفقائه
على عبد الله بن بري قال واخبرني صديقنا النحوي اللورقي يعني علم الدين انه اجتاز بالجزولي

قال

قال يا بني تخرج الي في هذه مناكه وسالته عن مسالة في التعجب من مقدمته وذلك في سنة
احدى وستمائة قال العمعطي وقد شرح العلم هذا مقدمته واجاد وشرحها ابو علي الشلوبيني
ولم يطل وشرحها شاب من اهل جيان منصور بعلب واحسن في الايجاد قلت
به الشيخ جمال الدين بن مالك محمد بن احمد بن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر الامام القدوة
الزاهد ابو عمر المقدسي الجماعيلي رحمه الله قال ابن اخته الحافظ ضياء الدين مولده في سنة
ثمان وعشرين وخمسمائة بجماعيل شاهد سغط والده سمع الكثير بدمشق من والده ومن ابي
المكارم عبد الواحد بن هلال وابي تميم سلمان بن علي الرحبي وابي الفهم عبد الرحمن بن ابي
العجايز الازدي وابي نصر عبد الرحيم بن عبد الخالق اليوسفي وخلق يطول ذكرهم وبمصر
من عبد الله بن بري النحوي واسمعيل بن قاسم الزيات وغيرهما قلت روى عنه اخوه
الشيخ الموفق وولداه الشرف عبد الله والشمس عبد الرحمن والضياء محمد والزكي عبد العظيم
والشمس بن خليل والشهاب القوصي والزين بن عبد الدايم والفخر علي واخرون قال
الضياء اما اجتهاده كان لا يكاد يسمع دعاء الا حفظه ودعا به ولا يسمع ذكر صلاة
الا صلاها ولا يسمع حديثا الا عمل به وكان يصلي بالناس في نصف شعبان مائة ركعة
وهو شيخ كبير وكان انشط الجماعة وكان لا يترك قيام الليل من وقت شبوبيته سافرت
سافرت معه الى الغزاة فاراد بعضنا بينهم وتعرسنا فقال له الشيخ ابو عمر وقام
هو يصلي وكذا حدثني عمه احمد بن يونس المقدسي انه قال قم في سفر يصلي ونحن نيام وسمعت
اسية بنت محمد وهي التي كانت تدور بينه في مرضه يقول انه ملك لا كل قبل موته حتى عاد
كالعود وقالت مات وهو عاقد على اصابعه يعني يسبح وسمعتها تحدث عن زوجته ام
عبد الرحمن قالت كان يقوم بالليل فاذا جاءه النوم عنده قصبة يضرب به على رجله فيذهب
عنه النوم وكان كثير الصيام سفرا وحضرا وحدثني ولده عبد الله انه في اخر عمره يسرد
الصوم فلامه اهله فقال انما اصوم اغتنم ايامي لاني ان ضعفت عجزت عن الصوم وان
مت انقطع عملي وكان لا يكاد يسمع بجنازة الا حضرها قربه او بعده ولا مريضا
الا عاده ولا يكاد يسمع بجهاد الا خرج فيه وكان يقرا في كل ليلة سبعا من القران مرتلا
في الصلاة ويقرا في النهار سبعا بين الظهر والعصر واذا صلى الفجر وفرغ من الدعاء
والتسبيح قرا ايات الحرس وياسين والواقعة وتبارك وكان قد كتب في ذلك كراسة وهي

معلقة في المحراب ربما قرا فيها خوفا من النعاس ثم يقرئ ويلقن الى ارتفاع النهار ثم
يصلي الضحى صلاة طويلة وسمعت ولده ابا محمد عبد الله يقول كان يسجد سجدتين طويلتين
احداهما في الليل والاخرى في النهار يطيل فيهما السجود ويصلي بعد اذان الظهر قبل سنتها
في كل يوم ركعتين يقرا في الاولى اول المومنين وفي الثانية اخر الفرقان من عقيب سجدتها
وكان يصلي بين المغرب والعشا اربع ركعات يقرا فيهن السجدة ويس وتبارك والدخان
ويصلي كل ليلة جمعة بين العشائين صلاة التسبيح ويطيلها ويصلي يوم الجمعة ركعتين بمائة
قل هو الله احد وحكى ولده عن اهله انه كان يصلي في كل يوم وليلة اثنتين وسبعين ركعة
نافلة ثم ذكر عنه اورادا كثيرة من الاذكار قال الضيا وكان يزور المقابر كل جمعة بعد
العصر ولا يكاد ياتي الا ومعه شي من الشيح في ميزره او شي من نبات الارض وكان
يقرا كل ليلة بعد عشا الاخرة ايات الحرس لا يكاد يتركها وسمعت انه كان اذا دخل منزله
قرا اية الكرسي وعوذ بكلمات واشار بيده الى ما حوله من الدور والجبل يحوطها بذلك و
لا ينام الا على وضو وان احدث توضا واذا اوى الى فراشه قرا الحمد واية الكرسي والواقعة
وتبارك وقل يا ايها الكافرون وربما قرا يس ويسبح ثلاثا وثلاثين ويحمد ثلاثا وثلاثين ويكبر
اربعا وثلاثين ويقول اللهم اسلمت نفسي اليك الحديث وغير ذلك وكان يقول بين سنة
الفجر والفرض اربعين مرة يا حي يا قيوم لا اله الا انت وسمعت ابنته بنت محمد ابنه
تقول كان سيدي لا يترك الغسل يوم الجمعة ولا يكاد يوم يخرج الا ومعه شي يتصدق به
رحمه الله سمعت خالي الامام موفق الدين يقول لما قدمنا من ارض بيت المقدس كان يردد
مع اخي يسمع درس القاضي بن عصرون في الخلاف ثم انا انقطعنا فلقي القاضي اخي يوما
فقال لم انقطعت عن الاشتغال فقال له اخي قالوا انك اشعري فقال ما انا اشعري ولكن
لو اشتغلت على نفسه ما كان احد يكون مثلك او قال كنت تصير اماما قال الضيا وكان رحمه الله
يحفظ الخرقي ويكتبه من حفظه وكان قد جمع الله له معرفة الفقه والفرائض والنحو مع الزهد
والعمل وقضا حوائج الناس وكان يحمل هم الاهل والاصحاب ومن سافر منهم يتفقد اهاليهم
ويدعوا المسافرين ويقوم بمصالح الناس وكان الناس ياتون اليه في الخصومات والقضايا
فيصلح بينهم ويتفقد الاشيا النافعة كالنهر والمصانع والسقاية وكانت له هيبة في القلوب
وسالت عنه الامام موفق الدين فقال فيه اخي وشيخنا ربانا وعلمنا وحرص علينا وكان للجماعة

كوالدهم

كوالدهم يحرص عليهم ويقوم بمصالحهم ومن غاب عن اهله قام بهم وهو الذي هاجر بنا
وهو الذي سفرنا الى بغداد وهو الذي كان يقوم في بنا الدير وحين رجعنا من بغداد
زوجنا وبنى لنا دورا خارجة عن الدير وكان مسارعا الى الخروج في الغزوات فلما تخلف
عن غزاة سمعت ولده ابا محمد عبد الله يقول ان الشيخ جاته امراة فشكت اليه ان اخاها حبس
واوذي فسقط مغشيا عليه ولما جرى للحافظ عبد الغني مع اهل البدع وفعلوا ما فعلوا
جاه الخبر فخر مغشيا عليه فلم يفق الا بعد ساعة وذلك لرقة قلبه وشدة اهتمامه بالدين
واهله وسمعت ولده يقول انه كان يوثر بما عنده لاقاربه وغيرهم وكان كثيرا ما يتصدق
ببعض ثيابه ويبقى معوزا ويكون جبته في الشتا بغير ثوب من تحتها يتصدق بالتحتاني
وكثيرا من وقته بلا سراويل وكانت عمامته قطعة بطانة فاذا احتاج احد الى خرقة او مات
صغير قطع منها له ويلبس الخشن وينام على الحصير وربما تصدق بالشي واهله محتاجون
اليه اكثر ممن تصدق به قال الضيا وكان ثوبه الى نصف ساقه وكمه الى رسغه سمعت
والدي يقول مكثنا زمانا لا ياكل اهل الدير الا من بيت اخي يطبخ عمتك وياكل الرجال
جميعا والنسا جميعا قال وكان اذا جا شي الى بيته فرقه على الخاص والعام وسمعت
محمود بن همام الفقيه يقول سمعت ابا عمر يقول الناس يقولون لا اعلم الا ما دخل مع صاحبه
الحمام وانا اقول لا اعلم الا ما دخل مع صاحبه القبر ومن كلامه اذا لم يتصدقوا
لم يتصدق احد عنكم والسايل ان لم تعطوه انتم اعطاه غيركم وكان يحب اللبن اذا
صفي بخرقة فعمل له مرة فلم ياكله فقالوا له في ذلك فقال الحي ماه تركته ولم يذقه بعد ذلك
سمعت ابا العباس احمد بن يونس بن حسن قال كنا نزولا على بيت المقدس مع الشيخ ابي عمر
وقت حصار المسلمين لها مع صلاح الدين وكان لنا خيمة وكان الشيخ ابو عمر قد مضى الى
موضع وجعل يصلي فيه يوم جاز على الملك العادل فنزل في خيمتنا وسال عن الشيخ
فمضينا الى الشيخ وعرفناه فقال ايش اعمل به ولم يجي اليه فمضى اليه عمر بن ابي بكر واخ الخليب
فجا واطال العادل القعود قال فرجعت الى الشيخ فقال انزل له شيا قال فوضعت
له ولاصحابه اقراصا كانت معنا فاكلوا وقعد زمانا ولم يترك الشيخ صلاته ولا جا سمعت
ابا اسحق ابرهيم بن محمد بن الازهر يقول ما رايت احدا قط ليس عنده تكلف غير الشيخ ابي
عمر سمعت شيخنا ابا اسحق ابرهيم بن عبد الواحد قال سمعت اخي الحافظ يقول غزا اذا

جاء انسان اشتغلنا به عن عملنا وانا احالي ابو عمر فيه للدنيا وللآخرة لما لطف الناس وهو
في اوراده لا يقطعها سمعت ابا احمد عبد الهادي ابن يوسف يقول كان الشيخ ابو عمر يقرا
بعض الليالي فربما غشي على بعض الناس من قراءته واما خطبه فكان اذا خطب ترق
القلوب ويبكي بعض الناس بكاء كثيرا وكان ربما انشا الخطبة وخطب بها وكان سمعنا
ويقرا لنا قراءة سريعة من غير لحن ولا يكاد احد يتقدم من رجله الا قرا عليه شيئا من سمع علانه
وكتب الكثير بخطه المليح من المصاحف والكتب مثل الحلية لابي نعيم والابانة لابن بطة
وتفسير البغوي والمغني لاخيه وسمعته يقول ربما كتبت في اليوم كراسين بالقطع
الكبير وكان يكتب لاهله المصاحف وللناس الخرقة بغير اجرة وقد سمعت ان
الناس كانوا ياتون اليه يقولون اكتب لنا الى فلان الامير فيقول لا اعرفه فيقال
انما نريد بركة رقعتك فيكتب فيقبل رقعته وكان يكتب كثيرا الى المعتمد الوالي
والى غيره فقال له المعتمد انك تكتب الينا في قوم لا نريد ان نقبل منهم شفاعة ونشتهي
ان لا نرد رقعتك فقال اما انا فقد قضيت حاجتي اي قضيت حاجة من قصدني وانتم
ان اردتم ان تقبلوا رقعتي والا فلا فقال له لا نردها او كما قال وكان الناس قد احتاجوا
الى المطر فطلع الى مغارة الدم ومعه جماعة من محارمه النسا فصلى بهم ودعا فجا
المطر حسيد وجرت الاودية شيئا لم يروه وسمعت ابا عبد الله بن راجح يقول
كان المنود الذي اخ استغاث بالفرج على اخيه ونودا الدين مريض فجا الفرج فخرجنا
مع الشيخ ابي عمر الى مغارة الدم وقرانا عشر الاف مرة قل هو الله احد وانا اظن انه
في ليلة القدر ودعونا فجا مطر عظيم على الفرج اشغلهم بنفوسهم وردوا سمعت عبد الله
ابن ابي عمر حدثني ابن الصوري صديق والدي قال جينا يوما الى والدي ونحن جياع
وكنا ملانة فاخرج لنا سكرجة فيها لبن وسكرجة فيها عسل وكسرات فاكلنا وشبعنا
فنظرت اليه كانه لم ينقص قلت لخالي ابي عمر اشتهي ان يهبني جزا بخطك من الاجزا التي
سمعنا على ابي الفرج فارسل الاجزا الي وقال خذ لك منها جزا واترك الباقي عندك
فاخذت جزا ورددتها فبعد مدة سالته عنها فما وجدت بقي منها الا جزا وجزان فقدمت
اذ لم اسمع منه سمعت الامام محمد بن ابي بكر يقول دعاني الشيخ ابو عمر ليلة وكنت اخاف
من ضرر الا كل فما تبدا لي وقال اذا قرا الانسان قبل الا كل شهد الله انه لا اله الا هو

ولإيلاف

لإيلاف قريش ثم اكل فانه لا يضره سمعت الامام ابا بكر بن احمد بن عمر البغدادي قال جا الشيخ
ابو عمر فقال امضي معي الى كفر بطنا وكنت مشتغلا بقراءة القرآن فقلت في نفسي لا امشي معه فاشتغل
عن القراءة بالحديث في الطريق فلما خرجنا من البلد قال تعال انا وانت نقرا حتى لا نشتغل عن
القراءة سمعت الامام ابا بكر عبد الله بن الحسن بن الحسن بن النحاس يقول كان والدي يحب الشيخ
ابا عمر فقال لي يوم جمعة انا اصلي الجمعة خلف الشيخ ومذهبي ان بسم الله الرحمن الرحيم من
الفاتحة ومذهبه انها ليست من الفاتحة واخاف ان يكون في صلاتي نقص فعلت له اليوم
قد ضاق الوقت قال فبعد هذا مضينا الى المسجد فوجدناه فسلم على والدي وعانقه ثم قال
يا اخي صل وانت طيب القلب فانني ما اترك بسم الله الرحمن الرحيم في فريضة ولا نافلة منذ
امنت بالناس فالتفت الى والدي وقال احفظه سمعت ابا غالب مظفر بن سعد بن الفلاس
قال كان والدي يرسل الى الشيخ ابي عمر شيئا كل سنة فارسل اليه مرة دينارين وقد رهما
قال فضاق صدري ثم فكرت فوجدتهما من جهة غير طيبة قال فبعث اليه غيرهما من جهة طيبة
فقبلها او كما قال حدثني ابو محمد عبد الله بن ابي عمر قال حملت زوجته يعني ام عبد الرحمن ابنة
بنت ابي موسى انها لم تحمل بولد قط الا علمت من كلامه وحاله ما حملها من ذكر او انثى فمرة اتاه
رجل بغنم هدية فقال هذه نتركها حتى تلد ونشتري اخرى ونذبحها عقيقة قال فحكى لنا
ابن فضيل فولد له بعد ايام ابنه سليمان ومرة اخرى حملت فقال كان اسم ابي احمد فقضى
هذه النوبة اسمي ابنه احمد فولدت له ابنه احمد ومرة اخرى حملت وراها وهي تخاصم شيئا
فقال هذا حالك وهي واحدة فكيفما اذا صارت اثنتين فولدت بنتا وامثال ذلك سمعت
احمد بن عبد الملك بن عثمان قال جا ابو رضوان واخاه الى الشيخ ابي عمر فقالا له ان فلانا قد
اخذ فلانا وحبسه فادع عليه فبايتا عند الشيخ فلما كان الغد قال تقضى حاجتكم فلما كان
بعد ساعة اذا اخاه قد جا على ابن سمعت ابا محمد عبد الرزاق بن هبة الله بن كتاب قال سمعت
رجلا صالحا يقول امام الشيخ ابو عمر قطبا ست سنين ثم ذكر الصباحي كاتبني ان ابا عمر
صار القطب في اواخر عمره وقال سمعت ابا بكر بن احمد بن عمر المقري يقول انه راى رجلا من اليمن
بمكة قد ذكر انهم يستسقون بالشيخ ابي عمر وانه من السبعة او كما قال سمعت الزاهد احمد بن
سلامة النجار يقول حدثنا الفقيه عبد الرزاق بن ابي الفهم ان رجلا مغربيا جا الى دمشق فسال عن جبل
قاسيون فدل عليه فجا الى الشيخ ابي عمر فقال ما قدمت من الغرب الا لزيارتك وانا عابد الى

الغرب فقيل له ايش السبب فامتنع فالحوا عليه فقال كان لي شيخ بالمغرب لا يخرج الا للصلاة
ثم يعود الى البيت فسالت عنه بعض الليالي فقيل ليس هو هنا فلما اصبحت قلت اين كنت
البارحة قال ان الشيخ محمد بجبل قاسيون اعطي القطابة فمشينا الى تهنئته البارحة
او ما هذا معناه ثم ذكر الضياء حكايات في انه قطب ثم قال حكى لي ابو محمد عبد الله
ابن ابي عمر شيئا من هذا فقال جاءني والدي وجماعة من المشايخ فاستاذنوا عليه وسلموا عليه
ثم خرجوا ثم جاءه جماعة اخرون ووصف كثرة من جاء اليه في ذلك اليوم فقلت له تعرفهم فقال لا
وانا اتفكر الى اليوم في كثرتهم يعني فكانه اشار الى انه قطب ذلك الوقت كان ابو عمر رحمه الله
لا يكاد يسمع بشيء لا يجوز قد عمل الا اجتهد في تغييره وان كان بعض الملوك قد فعله كتب
اليه حتى سمعنا عن بعض ملوك الشام قال هذا الشيخ شريكي في ملكي او كما قال وكان له
هيبة عظيمة حتى ان كان احدنا ليشتهي ان يساله عن شيء فما يجسر ان يساله واذا دخل
المسجد سكتوا وخفضوا اصواتهم واذا عبر في طريق والصبيان يلعبون هربوا واذا
امر بشيء لا يجسر احد ان يخالفه وسمعت خالي موفق الدين بعد موته يقول كان اخي يكفينا
اشياء كثيرة مما نقوى لما يفعل وكان الله قد وضع للشيخ المحبة في قلوب الخلق وكان ليس
بالطويل ولا القصير ازرق العينين وليس بالكثير يميل الى الشقرة عالي الجبهة حسن الثغر
صبيح الوجه كث اللحية نحيف الجسم اول زوجاته عمتي فاطمة وكانت اسن منه كبرت واقعدت
وماتت قبله باعوام وولدت له عمر وخديجة وامنه واولادا غيرهم ماتوا صغارا وتزوج
عليها طاوس امراة من بيت المقدس ولدت ابنين ماتت هي وبنيها في حياته ثم تزوج
فاطمة الدمشقية فولدت له عبد الله وزينب وماتت قبل ام عمر ثم تزوج امنة بنت ابي موسى
فولدت له جماعة كبر منهم احمد وعبد الرحمن وعايشة وحسنة وخديجة الصغرى ومن شعره
الم يك منهاة عن الزهو انني بدا لي شيب الراس والضعف والالم الم بي الخطب الذي لو بكيته حياتي حتى ينفد الدمع لم الم
وله مرثية في ابنه عمر وله هذه الارجوزة وهي طويلة منها انني اقول
فاسمعوا ابياتي يا معشر الاصحاب والاخوان اوصيكم بالعدل والاحسان والبر والتقوى مع الايمان
ثم استمسكوا بطاعة الرحمن واجتنبوا الرجس من الاوثان سمعت اسية بنت محمد بن خلف
تقول لما كان اليوم الذي توفي فيه سيدي وصلى ما فيه واستقبل القبلة وقال اقرؤوا يس وكان
يقول ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون اللهم ثبتكم على الكتاب والسنة وسمعت

اهلنا

اهلنا يقولون ان الماء الذي كان يخرج من تغسيله من السدر وغيره يسعه الناس في
خرقهم ومقانعهم وسمعت ابا اسحق ابرهيم بن محمد بن الازهر غير مرة يقول حزرت من
حضر جنازة الشيخ ابي عمر عشرين الفا وسمعت محمد بن طرخان بن ابي الحسن الدمشقي ومسعود
ابن ابي بكر المقدسي ان عبد الولي بن محمد حدثهم انه كان يقرا عند قبر الشيخ ابي عمر سورة البقرة
وكان وحده فبلغ الى قوله لا فارض ولا بكر قال فغلطت لا ذلول فرد علي
الشيخ ابو عمر من القبر قال فخفت وفزعت وارتعدت وقمت وهذا لفظ حكاية محمد بن طرخان
عن ولد عبد الولي قال ولده وبقي بعد ذلك اياما ثم مات وهذه الحكاية مشهورة سمعت علي
ابن ملاعب العراقي المؤدب قال قرات سورة الكهف عند قبر الشيخ ابي عمر فسمعته من القبر
يقول لا اله الا الله ثم ذكر الشيخ الضياء ماناما في زيارة قبره فذكر في ذلك ثلاثة منامات
ثم ذكر منامات ذكرت رويت له بعد موته ثم ذكر قصيدة ابن سعد يرثيه بها وهي اربعة وثلاثون
بيتا ثم اخرى له اثنا عشر بيتا ثم قصيدة لابي الفضل احمد بن سعد بن احمد المرداوي ستة
وثلاثون بيتا وقال توفي عشية الاثنين الثامن والعشرين من ربيع الاول ونقل
ابو المظفر الواعظ حدثني الزاهد ابو عمر قال هاجر بنا ابي من بلادنا ونزلنا بمسجد ابي صالح
بظاهر باب شرقي فاقمنا به مدة ثم انتقلنا الى الجبل فقال الناس الصالحية ينسبونا
الى مسجد ابي صالح لا انا صالحون ولم يكن بالجبل عمارة الا دير الحوراني واماكن يسيرة
قال ابو المظفر كان معتدل القامة حسن الوجه عليه انوار العبادة لا يزال متبسما نحيل
الجسم من كثرة الصلاة والصيام صليت الجمعة في سنة ست والشيخ عبد الله اليونيني
الى جانبي فلما كان في اخر الخطبة والشيخ ابو عمر يخطب نهض الشيخ عبد الله مسرعا وصعد
الى مغارة توبة وكان نازلا بها فظننت انه احتاج الى وضوء او المه شيء فصليت وطلعت
وراءه وقلت له خير ما الذي اصابك فقال هذا ابو عمر ما تحل خلفه صلاة يقول على المنبر
الملك العادل وهو ظالم فما يصدق قلت اذا كانت الصلاة خلفه لا تصح فخلف من تصح فبينا
نحن في الحديث اذ دخل الشيخ وسلم وحل ميزره وفيه رغيف وخيارتان فكسر الجميع وقال
بسم الله الصلاة ثم قال ابتداء قد روي في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ولدت في زمن
الملك العادل كسرى فنظر الى الشيخ عبد الله وتبسم واكل وقام الشيخ ابو عمر فنزل فقال
الشيخ عبد الله ماذا الا رجل صالح قال ابو المظفر واصابني قولنج قد دخل علي ابو عمر وبيده

خروب مدفوق فقال ستنف هذا وعندي جماعة فقالوا هذا يزيد القولنج ويضر فما
التفت الى قولهم واكلته فبرأت في الحال وقلت له يوما وما كان يرد احدا في شفاعة
وقد كتبت رقعة الى الملك المعظم كيف يكتب هذا والملك المعظم على الحقيقة هو الله
سبحانه ورمى الي الورقة فقال تأملها واذا قد كتب المعظم وكسر الظا فعجبت من ورعه **قلت**
وفي هذا ونحوه انما يلحظ العلمية لا الصفة مثل علي ورافع والحكم مع ان النبي صلى الله عليه وسلم
لم يرخص في التسمية بها قبل سبقها له في العلمية اذ الحج فيه النعت مثل برة اما اذا شاع استعمالها
وغلب فلا يسبق الى الذهن الا العلمية وقال الامام ابو شامة اول ما زرت قبره يعني ابا عمر
وحدث بتوفيق الله رقة عظيمة وبكا وكان معي رفيق فوجد مثل ذلك قال واخبرني بعض الثقات
انه راى الامام الشافعي في المنام فسأله الى اين تمضي قال ازور احمد بن حنبل قال فاتبعته
انظر ما يصنع فدخل دارا فسألت لمن هي فقيل للشيخ ابي عمر رحمه الله **قلت** وله اولاد رحمهم الله
منهم احمد دفنه بالجبل وهو وقف على القران والفقه وقد حفظ فيها القران ام لا الحصيبهم
الله تعالى ومن اولاده الخطيب الامام شرف الدين عبد الله خطب بالجامع المظفري مدة
طويلة وهو والد الامام المفيد العلامة الزاهد العابد العز ابراهيم بن عبد الله وفي اولاده
علما وصلحا قاضي القضاة شرف الدين حسن بن عبد الله ومن احفاده الجمال ابو حمزة احمد بن
عمر بن الشيخ ابي عمر وهو جد شيخنا شيخ الجبل وقاضي القضاة ومسند الشام تقي الدين
سليمان بن حمزة واخر من مات من اولاد الشيخ رحمه الله ولده الامام العلامة شيخ الاسلام
شمس الدين ابو الفرج رضي الله عنهم اجمعين واثابهم الجنة برحمته **سنة ثمان**
وستمائة استهلت والملك العادل مخيم على الطور وابنه المعظم مباشر العمارة وجاء ٦٠٨
الخبر من جهة طرابلس بان الاخبار تتابعت الينا في البحر ان ابن عبد المؤمن كسر الفرنج بارض
طليطلة كسرة عظيمة اباد فيها خلقا منهم ونازل طليطلة قال ابو شامة وفيها كانت زلزلة
عظيمة هدمت اماكن بمصر والقاهرة وابرجة ودورا بالكرك والشوبك وهلك جماعة وال
وفيها قدم رسول من جلال الدين حسن صاحب الالموت يخبر بانهم قد تبرؤوا من الباطنية وبنوا
المساجد والجوامع وصاموا رمضان فسر الخليفة بذلك وفيها امر الخليفة بان يقرا
مسند الامام احمد بمشهد موسى بن جعفر بحضرة صفي الدين محمد بن سعد الموسوي بالاجازة
له من الناصر لدين الله وفيها نهب الركب العراقي وكان اميرهم علاء الدين محمد بن ياقوت وخ

من

من الشام الصمصام اسمعيل النجمي بالناس ومنهم ربيعة خاتون اخت العادل ووثبت
الاسماعيلية على علي ابن عم قتادة امير مكة وكان يشبه قتادة فظنوه اياه فقتلوه عند
الجمرة وثار عبيد مكة واوباشها وصعدوا على جبل منى وكبروا ورموا الناس بالمقاليع
والنشاب ونهبوا الناس وذلك يوم العيد وثانيه وقتلوا جماعة فقال ابن ابي فراس
لابن ياقوت ارحل بنا فلما حصلت الاحمال على الجمال حمل قتادة وعبيده فاخذوا الركب
وقال قتادة ما كان المقصود الا انا والله لا ابقيت من حج العراق احدا وهرب ابن ياقوت
الى ركب الشاميين واستجار بربيعة خاتون ومعها ام جلال الدين صاحب الالموت فارسلت
ربيعة الى قتادة رسالة مع ابن السلار يقول له ما ذنب الناس قد قتلت القاتل وجعلت
ذلك سبيلا الى نهب المسلمين واستحللت دماءهم في الشهر الحرام والحرم وقد عرفت من
نحن والله لئن لم تنته لافعلن واصنعن فجاء اليه ابن السلار وخوفه وقال ارجع عن هذا والا
قصدك الخليفة من العراق ونحن من الشام فكف وطلب مائة الف دينار فجمع له ثلاثون الفا
من العراقيين وبقي الناس حول مخيم ربيعة بين قتيل وجريح وجائع منهوب وقال قتادة ما
فعل هذا الا الخليفة ولئن عاد احد حج من بغداد لاقتلن الجميع ويقال انه اخذ من النهب ما
قيمته الفا الف دينار واذن للناس في دخول مكة فدخل الاصحا فطافوا اي طواف ورحلوا
الى المدينة ودخلوا بغداد على غاية من الفقر والهوان ولم ينتطح فيها عنزان وفيها
قدم ايدغمش صاحب همذان واصبهان والري الى بغداد هاربا من منكلي وكان قد تمكن
من البلاد وبعد صيته وكثرت جيوشه وحاصر ابا بكر بن البهلوان فخرج عليه منكلي وهو من
المماليك ونازعه الامر وكثرت جموعه وكان يوم قدوم ايدغمش الى بغداد يوما مشهودا
في الاحتفال واهتم بغداد بسببه **منصور** بن ابي المعالي عبد المنعم بن ابي البركات
عبد الله بن فقيه الحرم ابي عبد الله محمد بن الفضل المسند الاصيل ابو الفتح وابو القاسم
الفراوي الصاعدي النيسابوري المعدل ولد في رمضان سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة
سمع من جد ابيه وجده وابيه ومن عبد الجبار بن محمد الخواري ومحمد بن اسماعيل الفارسي ووجيه
ابن طاهر الشحامي وغيرهم وكان مكثرا عن جد ابيه قال ابن نقطة كان مكثرا ثقة صدوقا
سمعت منه صحيح البخاري بسماعه من وجيه الشحامي وابي الفتوح عبد الوهاب بن شاه عن
الحفصي ومن ابي المعالي الفارسي عن العبادي وسمعت منه صحيح مسلم وكان يقول انا سمعته

مرارًا كان لنا عنه نسخ نهبت في وقعة الغز ورايت سماعه بالمجلد الاول والثاني والثالث
من صحيح مسلم في سنة ثمان وعشرين وهو ابن اربع سنين وخمسة اشهر بعد السماع على
المجلدات الثلاث احمد بن محمد بن خولة الغرناطي وقال لعل المجلد الرابع ايضا مسموع له
ولم اقف عليه لانه ضاع وجعل الاصل بمجلد غيره قال ابن نقطة ورايت بخط المطهر بن
سديد الخوارزمي وكان طالبا ثقة يقول منصور بن عبد المنعم سمع صحيح مسلم من جده
ابي عبد الله الفراوي وحدثني رفيقنا ابو محمد بن هلالة لما رجع من خراسان قال كان شيخنا
منصور يروي غريب الحديث عن جده بفوات فقرانا عليه فلما دخلت الى سمرقند اوقفنا
وحدث بعض نسخه عند فقيه بغريب الخطابي ومنها القدر الذي يفوت منصور وفيه
سماعه بغير تلك القراءة وبعد التاريخ فكمل له سماع جميعه وهذا انما يدل على صدقه وانه كان
يسمع الشيء من جده غير مرة وسمع جميع تفسير الثعلبي من عباسة العصاري وقال لي ابن هلالة
رايت اصل البيهقي بالسنن الكبير وقد ذهبت منه اجزاء متفرقة فجميع ما وجد من الاصل كان
منه سماع منصور من الفراوي من ابي المعالي الفارسي فقرات عليه جميع الكتاب بسماعه
الموجود والباقي اجازة ان لم يكن سماعا ومولده في رمضان سنة ثلاث وعشرين قلت
قدم بغداد حاجا مع ابيه فحدث بها وروى عنه ابن نقطة والحافظ ابو عبد الله البرزالي
والامام ابو عمرو بن الصلاح وابو عبد الله المرسي وابو محمد عبد العزيز بن هلالة وابو اسحق
ابرهيم بن محصر الواسطي واخرون واجاز لشيخ الغنايم بن علان وللفخر علي وللزكي عبد
العظيم وللجمال يحيى بن الصيرفي واخرين سواهم وتوفي ليلة ثامن شعبان وقرات
بخط الضيا رحمه الله قال ليلة دخلت الى نيسابور توفي منصور الفراوي سنة
تسع وستماية قال ابو شامة فيها نكبة سامة الجبلي صاحب دار سامة التي صيرت
مدرسة البادرائية وكان من كبار الامراء الكبار وهو الذي سلم عنه انه سلم بيروت الى
الفرنج وقال ابو المظفر سبط الجوزي اجتمع الملك العادل واولاده بدمياط وكان
سامة بالقاهرة فاستوحش منهم واتهموه بمكاتبة الظاهر صاحب حلب وحكى المعظم
انه وجد له كتبا واجوبة اليه فخرج سامة من القاهرة كانه يتصيد ثم ساق الى الشام بمماليكه
وطلب قلاعه وهما كوكب وعجلون فارسل والي بلبيس بطاقة الى العادل فقال العادل
من ساق خلفه فله امواله وقلاعه فركب المعظم وانا معه فقال لي انا اريد ان اسوق فتسوق
انت

تسوق انت مع قماشي وساق في ثمانية الى غزة في ثلاثة ايام فسبق سامة واما سامة فانقطع
عنه مماليكه ومن كان معه وبقي وحده وبه نقرس فوصل الى الداروم فراه بعض الصيادين فعرفه
فقال له انزل قال هذه الف دينار واوصلني الى الشام فاخذها الصياد وجاء رفاقه فعرفوه
ايضا فاخذوه على طريق الخليل ليحملوه الى عجلون فدخلوا به قال وانزل في صهيون وبعث
اليه المعظم شرابا وطعاما وقال انت شيخ كبير وبك نقرس وما يصلح لك قلعة فسلم الي عجلون
وكوكب وانا احلف لك على مالك وملكك وتعيش بيننا مثل الوالد فامتنع وشتم المعظم [illegible]
وحبسه بالكرك واستولى على قلاعه وامواله وكان فيه ما قيمته الف الف دينار وخربت
قلعة كوكب الى الارض عجزا من حفظها وفيها في المحرم اصطلح الملك الظاهر مع عمه العادل
وتزوج بابنته وكان العقد بدمشق وكيله على خمسين الف دينار وهي ضيفة خاتون شقيقة
الملك الكامل ونثر النثار على الشهود والقراء وبعث الى حلب في الحال وكان جهازها على مايه
جمل وخمسين بغلا ومعها مايتا جارية فلما دخلت على الظاهر مشى لها خطوات وقدم لها
خمس عقود جوهر قيمتها ثلثمايه الف وخمسون الف درهم واشيا نفيسة وكان عرسا مشهودا
وفيها بعث الخليفة مع الركب لقتادة صاحب مكة خلعا ومالا فخرج لا يودي الركب وفيها
استولى ليون صاحب سيس على انطاكية وشن الغارات على التركمان وشردهم فاجتمعوا عليه
واخذوا عليه المضايق وحصل في واد فقتلوه وقتلوا جميع رجاله قال ابو شامة وهو الذي
كان قد هجم على حموه ونوره وقتل وسبى وفيها عزل العادل وزيره صفي الدين بن شكر وصادره
ونفاه الى الشرق وفيها كانت الوقعة المشهورة بوقعة العقاب بالاندلس بين محمد بن يعقوب
ابن يوسف بن عبد المومن الملقب بالناصر وبين الفرنج ونصر الله الاسلام واستشهد بها
خلق كثير سنة عشر وستماية قال ابن الاثير في الكامل فيها عمرت مدينة على
الساحل باليمن وسميت الاحمدية واخربت مرباط وظفار وغيرهما صاحبها محمود بن محمد
الحميري صاحب حضرموت وكان مبدا ملكه في سنة ستماية ومن شانه انه كان له مركب
يكريه للتجار ثم توصل الى ان وزر لصاحب مرباط وكان ذا كرم وشجاعة ثم ملك مرباط بعد
موت صاحبها فاحبه اهلها لحسن سيرته وبنى هذه المدينة وعمرها عن غير كبيرة ثم حصنها
وحفر خندقها وكان يحب المدح قال ابو شامة وفيها وصل الفيل الى دمشق يحمل هدية
الى صاحب الكرك وفيها ولد الملك العزيز محمد بن الظاهر صاحب حلب وفيها قدم الملك الظاهر

حضر بن السلطان صلاح الدين من حلب للحج ورحل بالركب من بصرى فسلكوا طريق تيما فدخلوا
المدينة واحرم بالحج فلما وصل الى بدر رد من الطريق قال ابو المظفر السبط كان يعقوب
ابن الخباط معه فلما وصل الى بدر وجد عسكر الكامل بن عمه قد سبقه خوفا على اليمن فقالوا
له ترجع فقال قد بقي بيني وبين مكة مسافة يسيرة والله ما قصدي اليمن فقيد وبني واصطلوا
في خباح وارجع فلم يلتفتوا اليه وردوه قال يعقوب ورجعت معه ولم احج قال ابو شامة
وحكى لنا والدي وكان قد حج معهم قال شق على الناس ما جرى عليه واراد كثير منهم ان يقاتلوا
الذين صدوه عن الحج فنهاهم وفعل ما فعل النبي صلى الله عليه وسلم حين صد عن البيت فقص من
شعره وذبح ما تيسر ولبس ثيابه ورجع وعوّل الناس باكية ولم يحج لاجله وفيها حفر
خندق في حلب فظهر قطع ذهب وفضة فكان الذهب نحو عشرة ارطال صوري والفضة
بضعة وستين رطلا وكان على هيئة اللبن قال ابو شامة فيها ورد الخبر بخلاص خوارزم شاه
من اسر التتار وعوده الى ملكه وذلك انه كان قد سار الى الطوايف من التتار بعساكره
فخطر له ان يكشف امورهم بنفسه فسار ودخل عسكرهم في زي التجار هو وثلثة فانكروهم
وقبضوا عليهم وضربوا اثنين حتى ماتا تحت الضرب ولم يقرا ورسموا على خوارزم شاه ورفيقه
فهربا في الليل وفي المحرم قتل ايدغمش صاحب همذان والري وكان قد قدم في سنة
ثمان فانعموا عليه واعطاه الخليفة الكوسات وجهز من بغداد الى همذان فبيته التركمان
وقتلوه وحملوا راسه الى منكلي فعظم قتله على الخليفة وتمكن منكلي من الممالك واستفحل
امره وفي ذي الحجة ولد الملك العزيز بحلب من ضيفة بنت العادل قال ابن واصل فزينت
حلب فصاغ له عشرة مهود من الذهب والفضة ونسج للطفل ثلاث قبيات من اللولو
والياقوت ودرعان وخوذتان وبركستوان من اللولو وغير ذلك وثلاثة سروج مجوهرة
وثلاثة سيوف عليها الذهب والياقوت ورماح اسنتها جوهر منظوم وفرحوا به فرحا
زايدا محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المومن بن علي السلطان الملك الناصر ابو
عبد الله القيسي المغربي الملقب بامير المومنين وامه امة رومية اسمها زهر بويع بعهد
ابيه اليه عند وفاته وكان قد جعله ولي عهده وله عشر سنين في سنة ست وثمانين وبويع
بالامر في صفر سنة خمس وتسعين وخمسماية وكان ابيض اشقر اشهل اسيل الخد حسن
القامة كثير الاطراق طويل الصمت بعيد الغور بلسانه لثغة وكان شجاعا حليما فيه بخل

بالمال

بالمال وعفيفا عن الدماء وقلة خوضه فيما لا يعنيه وله من الاولاد يوسف ولي عهده ويحيى وتوفي
في حياته واسحق استوزر ابا زيد عبد الرحمن بن يوجان وزير ابيه ثم عزله واستوزر اخاه
ابرهيم بن السلطان يعقوب وهو كان اولى بالملك منه قال عبد الواحد بن علي المراكشي وكان
ابرهيم لي محبا وصل الي منه اموال وخلع جمة ايام نيابته على اشبيلية وولي فيه هذه
لكم على هذا الورى التقدم وعليهم التفويض والتسليم الله اعلاكم واعلا امركم وانف الحاسدين رغيم
احسنتم المنصور فهو كانه لم تفتقد معالم ورسوم ومنابر ومحارب ومحابر وحمى يحاط وارامل ويتيم
وبلغني موت ابرهيم في سنة سبع عشرة وستماية قال وكان لابي عبد الله من كتاب الانشا
ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن عياش وابو الحسن علي بن عياش بن عبد الملك بن عياش
وابو عبد الله بن يخلفتن الفازازي وولي له القضا ابو القاسم احمد بن بقي ثم عزله بابي عبد الله
ابن مروان ثم ولي القضا محمد بن عبد الله بن طاهر الواعظ الصوفي الاصولي الذي يذكر
انه علوي وكان قد اتصل بوالده فحظي عنده وسمعته مرة يقول حملت ما وصل الي من امير
المومنين المنصور الى يوسف تسعة عشر الف دينار سوى الخلع والمراكب والاقطاع
ومات على القضا سنة ثمان وستماية ثم ولي بعده القضا ابو عمران موسى بن عيسى بن عمران
الذي كان ابوه قاضيا لابي يعقوب يوسف بن عبد المومن وكان الذي قام ببيعة محمد ابو زيد
عبد الرحمن بن عمر بن عبد المومن الوزير وعبد الواحد بن الشيخ ابي حفص عمر ثم اخذ ولد
في تجهيز الجيوش الى افريقية لان يحيى بن اسحق بن غانية كان قد استولى على اكثر بلادها
واستعمل عليهم ابا الحسن علي بن عمر بن عبد المومن فسار فالتقى هو وابن غانية بين بجاية
وقسنطينة فانهزم الموحدون ورجع علي في حالة سيئة فانتدب ابو عبد الله لحرب
الوزير ابا زيد المذكور فسار حتى بلغ قسنطينة ثم استعمله على افريقية ولما بلغه ان
ابن غانية استولى على مدينة فاس تجهز في جيوشه وسار الى فاس واراد ان يبعث
مراكب الى ميورقة ليستاصل شافة بني غانية واستعمل على الاصطول عمه ابا العلا
ادريس بن يوسف وابا سعيد عثمان بن ابي حفص فسارا وافتتحاها عنوة وقتلا اميرها
عبد الله بن اسحق بن غانية قتله المقدم عمر الكردي قيل انه لما رآه خرج على باب ميورقة
وهو سكران فقتل وذلك في سنة تسع وتسعين وانتهبوا امواله وسبوا حريمه وقدموا
بهم مراكش قال وقد كان قبل هذا قام بالسوس رجل من جزولة اسمه عبد الرحمن بن

الجزائر فاجتمع عليه خلائق فسارت اليه عساكر الموحدين فهزمهم غير مرة ثم قتل بعد ان كاد
ان يملك ويظهر وكان يلقب بابي قصبة وفي سنة احدى وستمائة قصد السلطان ابو
عبد الله بلاد افريقية وقد كان ابن غانية استولى عليها خلا بجاية وقسطنطينة فاقام
ابو عبد الله على المهدية اربعة اشهر يحاصرها وبها ابن عم ابن غانية فلما طال عليه الحصار
سلم البلد وفر الى ابن عمه ثم راى الرجوع الى الموحدين فلقوه احسن ملتقى وقدموا له
نعما سنية ثم سار اليهم سير اخو ابن غانية فاكرموه ايضا قال وبلغني ان جملة ما انفقه ابو
عبد الله في هذه السفرة مائة وعشرون حمل ذهب ورجع الى مراكش في سنة اربع وستمائة
وبقي بها الى سنة سبع ففرغ ما بينه وبين الادفنش ملك الفرنج من الهدنة فسار وعبر
الى اشبيلية ثم تحرك في اول سنة ثمان وقصد بلاد الروم لعنهم الله فنزل على قلعة لهم
فافتتحها بعد حصار طويل ورجع فدخل الادفنش الى ناحية الروم يستنفر الفرنج
حتى اجتمعت له جموع عظيمة من الادفنش ومن الشام حتى بلغ نفيرهم الى القسطنطينية
وجاء معه البرشلوني صاحب بلاد ارغن فبلغ امير المومنين محمد فاستنفر الناس في اول
سنة تسع فالتقوا بموضع يعرف بالعقاب فحمل الادفنش على المسلمين وهم على غير اهبة فانهزموا
وقتل من الموحدين خلق كثير واكثر اسباب الهزيمة اختلاف نيات الموحدين وغضبهم
على تاخير اعطياتهم فبلغني عن جماعة منهم انهم لم يسلوا سيفا ولا شرعوا رمحا بل انهزموا
وثبت ابو عبد الله ثباتا كليا ولولا ثباته لاستوصلت تلك الجموع قتلا واسرا وذلك في
صفر ورجع الملاعين بغنائم عظيمة واصبحوا في طريقهم بياسه عنوة فقتلوا وسبوا
وكانت هذه اشد على المسلمين من الهزيمة وينقل ابو عبد الله محمد بن ابرهيم الحردي في تاريخه
ان الناصر ابا عبد الله محمد بن يعقوب بن يوسف القيسي الكومي صاحب المغرب توفي في
هذه السنة سنة عشر قال والمغاربة يقولون انه كان قد اوصى عبيده وحرسه ان من ظهر لكم
بالليل فهو مباح الدم ثم انه اراد ان يختبر قدر امره فتنكر وجعل يمشي في بستانه فلما راوه
حملوه عرضا لرماحهم فجعل يقول انا الخليفة انا الخليفة فلم يمكنهم استدراك الفائت وتلف
وقام بالامر بعده ابنه المستنصر بالله ابو يعقوب يوسف ولم يكن في بني عبد المومن احسن من
يوسف ولا افصح الا انه كان مشغوفا بالراحة وضعفت دولتهم في ايامه واما عبد
الواحد بن علي المراكشي فانه ينقل في كتابه المعجب ان ابا عبد الله مرض بالسكتة في اول شعبان

ومات

وحما

ومات في خامسه وهذا هو الصحيح لانه ادرك موته وكان شاهدا **الطبقة الثانية**
والستون سنة احدى عشرة وستمائة فيها وصل الخبر ان السلطان خوارزم شاه ملك
كرمان ومكران والسند وسبب ذلك ان من جملة امراء تاج الدين اتابكه الذي اسلفنا
انه كان جمالا ثم سعد بان صار سيروان السلطان فراى منه جلدا وامانة فقدمه فقال
له وولي مدينة زوزن فولاه فوجده ذا راي وحزم وشجاعة فلما ولاه سير اليه يقول له ان بلاد
مكران مجاورة لبلادي فلو اضفت الي عسكرا لاخذتها فنفذ اليه جيشا فسار به اليها
وصاحبها حرب بن محمد بن ابي الفضل من اولاد الملوك فقاتله فلم يقو به واخذ ابو بكر بلاده
سريعا وسار منها الى نواحي مكران فملكها جميعها الى السند وسار منها الى هرمز وهي
مدينة على ساحل بحر مكران فاطاعه صاحبها ملنك وخطب بها لخوارزم شاه وحمل اليه
اموالا وخطب لخوارزم شاه بقلهات وكان خوارزم شاه يصيف بارض سمرقند لاجل
البرد وكان سريع السير اذا قصد جهة تسبق خيله اليها وفيها قصدت الفرنج
بلاد الاسماعيلية ونزلوا على حصن الخوابي وجدوا في الحصار وكانوا حنقين على
الاسماعيلية بسبب قتلهم ابن البرنس صاحب انطاكية شاب ابن ثماني عشرة سنة وثبوا
عليه عام اول فخرج الملك الظاهر بعسكره ليكشف عنهم فترحلت الفرنج عن الحصن
وفيها شرع في تبليط جامع دمشق فابتدي بمكان السبع الكبير وكانت ارضه
قد تكسر رخامها وتحفر وفيها ولي تدريس النورية جمال الدين محمود الحصيري وفيها
توفي صاحب اليمن بن سيف الاسلام واستولى على اليمن شاهنشاه بن تقي الدين عمر
ابن شاهنشاه ابن ايوب فتزوج بام المتوفى ثم بعث الملك الكامل صاحب مصر ولده
الملك المسعود اقسيس الى اليمن فتملكها وكان شجاعا فاتكا ظالما جبارا قيل انه قتل
باليمن ثمان مائة نفس منهم اكابر وفيها اخذ الملك المعظم من ابن قراجا قلعة صرخد
وعوضه عنها مالا واقطاعا ثم اعطاها لمملوكه عز الدين ايبك المعظمي فبقيت في يده الى
ان اخرجه عنها الملك الصالح ايوب وفيها حج الملك المعظم فسار من الكرك على الهجن
ومعه عز الدين ايبك صاحب صرخد وعماد الدين بن موسك والظهير بن سنقر الحلبي
وجدد البرك والمصانع واحتفل بالناس وتلقاه سالم صاحب المدينة وقدم له خيلا
وكانت وقفة الجمعة وقدم معه الشام صاحب المدينة **عبد العزيز** بن ابي نصر محمود بن

المبارك بن محمود الحافظ ابو محمد بن الاخضر الجنابذي الاصل البغدادي التاجر البزاز
ولد سنة اربع وعشرين وخمسمائة وسمع سنة ثلاثين وخمسمائة وبعدها وهلم جرا وكتب
الكثير وعني بالفن غاية العناية سمع من ابي بكر قاضي المرستان وابي القاسم بن السمرقندي
ويحيى بن الطراح وعبد الوهاب الانماطي وعبد الجبار بن توبه وابي منصور بن خيرون وابي
الحسن بن عبد السلام وابي سعد البغدادي وابي الفضل الارموي وابن ناصر وخلق كثير
وحصل الاصول وغالى في اثمانها وحدث نحوا من ستين سنة وصنف تصانيف مفيدة
وكان حافظ العراق في زمانه وكانت له حلقة بجامع القصر للحديث وتخاريجه تدل
على حفظه وتبحره وكان ثقة صالحا دينا عفيفا وكان والده قد سمع من اسمعيل بن ملة وحج
سنة خمس وثلاثين وخمسمائة وله اربعون سنة فلم يرجع وعدم قال الدبيثي لم ادرك من شيوخنا
اوفر نصيبا منه ولا اعز سماعا وحدث بجامع القصر سنين كثيرة وقال ابن نقطة
كان ثبتا ثقة مامونا كثير السماع واسع الرواية صحيح الاصول منه تعلمنا واستفدنا
وما راينا مثله **قلت** روى عنه الحفاظ ابن نقطة والدبيثي وابن النجار والضياء والبرزالي
وابن خليل واليونيني خالد واحمد بن محمد بن سلمان الهمداني ومحمد بن نصر بن عبد الرزاق الحلي
وعلي بن سيما ابن سبط العاقولي والعفيف علي بن عدلان الموصلي النحوي وعلي بن محمد بن
ردنق واحمد بن الحسين البداري الحلي ومحمد سعيد بن الشيف الواسطي والجمال يحيى
ابن الصيرفي والنجيب عبد اللطيف واخوه العز عبد العزيز والنجيب مقداد بن ابي القاسم
القيسي والعلم ابو محمد القاسم بن احمد الاندلسي واسرايل بن احمد القرشي وابنه علي بن
الاحصر وخلق سواهم وتوفي في سادس شوال قال ابن النجار سمعنا يوما جماعة من اولاد
طلبه من الارموي وابن ناصر وما زال يسمع حتى قرا على شيوخنا كتبا كثيرة النفقة ويورثها
للناس في سماعه وراى على كبره في صفته وفي حانوته للتركات الحليفة وكان ثقة نبيلا
ما رايت في شيوخنا مثله في كثرة مسموعاته وحسن اصوله وحفظه واتقانه وكان امينا
حسن السمت متدينا طيبا واجاز للكمال عبد الرحمن **علي بن** المفضل بن علي بن ابي الغيث
مفرج بن حاتم بن الحسن بن جعفر العلامة الحافظ شرف الدين ابو الحسن بن القاضي الانجب
ابي المكارم اللخمي المقدسي الاصل الاسكندراني الفقيه المالكي القاضي ولد في ذي القعدة
سنة اربع واربعين وخمسمائة وتفقه بالثغر على الامام ابي طاهر صالح بن اسمعيل بن بنت

معافى

معافى وللامام ابي الطاهر بن عوف وابي محمد عبد السلام بن عتيق السفاقسي وابي طالب
احمد بن المسلم التنوخي وسمع منهم ومن السلفي فاكثر عنه وانقطع اليه وتخرج به ومن ابي
عبد الله محمد بن عبد الله بن زيادة الله الغفاري وهو من قدماء شيوخه حدثه عن عيسى بن ابي ذر
الهروي وسمع ايضا من ابي الضياء بدر الحدادادي وسالم بن ابرهيم الارموي ومحمد بن
علي بن خلف وعبد الرحمن بن خلف الله المقري وطايفة وقدم مصر سنة اربع وسبعين فشهد
بها عند قاضي القضاة ابي القاسم عبد الملك بن درباس وسمع من العلامة عبد الله بن بري
وعلي بن هبة الله بن عبد الصمد الكاملي وهبة الله بن الطويد ومحمد بن علي الرحبي وطايفة
وجاور بمكة وسمع بالحجاز من احمد بن الحافظ ابي العلا العطار وابي سعد عبد الواحد بن
علي الحويني وجماعة وحدث بالحرمين ومصر والثغر وناب في القضاء بالاسكندرية مدة
ودرس بالمدرسة المعروفة به ودرس بالقاهرة بالمدرسة الصاحبية الى حين وفاته وكان
اماما بارعا في المذهب مفتيا محدثا حافظا له تصانيف مفيدة في الحديث وغيره وكان
ورعا خيرا حسن الاخلاق كبير الاغضاء متفننا في العلم كبير القدر عديم النظير روى
عنه الزكي البرزالي والزكي المنذري والرشيد العطار والعلم عبد الحق بن مكي ابن الرصاع
والشرف عبد الملك بن نصر الفهري القوصي اللغوي والمجد علي بن وهب بن دقيق العيد
المالكي واسحق بن ملكويه الصوفي ومحتسب الاسكندرية الحسن بن عثمان القابسي
والجمال محمد بن سليمان الهواري التونسي ومحمد بن مرتضى بن ابي الجود والشهاب اسمعيل
القوصي والشرف عمر بن عبد الله السبكي القاضي ومحمد بن عبد الخالق بن طرخان والنجيب
احمد بن محمد بن الحسن السفاقسي والمحيي عبد الرحيم بن عبد المنعم بن الدميري وخلق
سواهم قال الحافظ المنذري وكان رحمه الله جامعا لفنون من العلم حتى قال بعض الفضلاء
لما رثيه مجموعا على السرير لم يدفن رحمك الله يا ابا الحسن فقد كنت اسقطت عن الناس
فروضا قال وتوفي في مستهل شعبان بالقاهرة ودفن من يومه بسفح المقطم وله رحمه الله
مقاطيع مليحة منها

وليلا حتى من عنى بريقها ... كان مزاج الراح بالمسك من فيها
وما ذقت فاها غير اني رويته ... عن الثقة المسواك وهو موافيها

وله

اما تمسكت بالماثور عن خبر مرسل ... واصحابه والتابعين تمسكي
عساك اذا ابا العلى نشر دينه ... يا طالب من نشره ان تمسكي
وخافي غدا يوم الحساب جهنما ... اذا لفحت نيرانها ان تمسكي

قلت لبث نفسه قبلت منه وتمسكت بامر ارا الصفا ان من عينا تاويل **سنة اثنتي عشرة**
وستمائة فيها شرع في بنا المدرسة العادلية وفيها اغار الفرنج على بلاد الاسماعيلية ولحقوا
بلطاية نفس وفيها اغارت الكرج على اذربيجان فحازوا ذخايرها وما يزيد على مائة الف اسير
قاله ابو شامة وفيها استولى الملك المسعود بن الكامل على اليمن بلا حرب وانضم اليه عمه
سليمان شاه بن سعد الدين بن صاحب حماة الملك المظفر بعاملته الى قلعة تعز فحاصره
واخذه وبعث به الى مصر هو وزوجته بنت سيف الاسلام وفي صفر نزل قتادة على
المدينة وحاصرها لغيبة سالم اميرها وقطع كثيرا من نخيلها وقتل جماعة ثم رحل عنها خائبا
وفيها ملك خوارزم شاه بلد غزنة واعمالها وغلب على صاحبها تاج الدين الدز باسه فبلغ يلدز
وكان خوارزم شاه وكان الدز في الصيد فجا خوارزم شاه فهجمها فلما بلغ الدز الخبر هرب
على وجهه الى لهاوور وجلس خوارزم شاه على تخت الملك بها ثم قال لمعلم يلدز كيف كان
حال الدز فقال كلا انما الملك السلطان شهاب الدين ولم يكن الدز يقيم بغزنة الا في
الصيف وانا الحاكم بها فقال اذا كنت لا تدعي لم نقيك مع ذلك بكيف يكون حالي معك
وصادره حتى استصفاه ثم قتله وترك ولده جلال الدين خوارزم شاه بغزنة قال ابن الاثير
وقيل ان ذلك كان في سنة ثلاث عشرة واما الدز فانه اتى لهاوور فلم يقنع بل سار
ليفتح دهلي فالتقى هو وصاحبها شمس الدين الترمش مملوك ايبك مملوك شهاب الدين
فانكسر الدز وقتل وكان الدز موصوفا بالعدل والمروة والاحسان الى التجار وفيها عزل
زكي الدين الطاهر بن محيي الدين عن قضا دمشق وولي جمال الدين ابو القاسم عبد الصمد
ابن الحرستاني فقضى بالحق وحكم بالعدل وفيها بطل العادل ضمان الخمر والقيان
فلم يزل ذلك الى بعد موته وفيها وصل السهروردي رسولا من الخلافة الى العادل ونزل
بجوسق العادل وفيها سار من دمشق سالم امير المدينة بمن استخدمه من التركمان والرجال
ليقاتل قتادة صاحب مكة فمات في الطريق وقام ابن اخيه جماز بعده فمضى بادليك وقصد
قتادة فانهزم الى الينبع فتبعوه وحصروه بقلعتها وحصل لجماز بن راجب من الغنيمة مائة
فرس وجمع من عرب طي وعاد الذين استخدموا صحبة الناهض بن الجرخي خادم المعتمد
ومعهم كثير مما غنموه من عسكر قتادة ومن وقعة وادي الصفرا من نسا وصبيان وظهر
فيهم اشراف علويون فسلمهم اشراف دمشق ليواسوهم من الوقف وفيها كسر كيكاوس صاحب

الروم

الروم الفرنج الذين ملكوا انطاكية واخذها منهم وفيها اصلحوا خوارزم شاه غزنة بغير قتال
واخذ ابن لاون انطاكية من الفرنج ثم عاد اخذها صاحب طرابلس من ابن لاون وفيها كان
فيها كانت حركة التتار الى قصد بلاد الترك وفيها انهزم منكلي الذي غلب على همذان واصبهان
والري وقتل واستقرت القواعد على ان بعض بلاده للخليفة وبعضها لجلال الدين الصباحي
ملك الاسماعيلية وصاحب الموت وقلاعها وبعضها لازبك بن البهلوان ولكن كان الخليفة
في شغل شاغل وحزن بموت ابنه علي عن المسرة بهلاك منكلي **علي** بن حميد الزاهد العارف القدوة
الكبير ابو الحسن بن الصباغ توفي بقنا من صعيد مصر ودفن برباطه وكان قد لقي المشايخ والصلحا
وانتفع به خلق وظهرت بركاته على الذين صحبوه وهدى الله به خلقا كثيرا وكان حسن التربية
للمريدين يقعد مقعد الحكم الدينية وله احوال ومقامات توفي في النصف من شعبان قال الحافظ
عبد العظيم اجتمعت به بقنا سنة ست وستمائة **سنة ثلث عشرة** وستمائة قال ابو
شامة فيها احضرت الاوتار الخشب لاجل سقف قبة الجامع وعدتها اربعة كل واحد منها
اثنان وثلاثون ذراعا بالنجار قطعت من الغوطة وكان الدخول بها من باب الفرج الى المدرسة
العادلية الى باب الناطفانيين واقيم لها هناك الصواري ورفعت لاجل القرنة
ثم مدت وفيها شرع في تخريب خندق باب السر وهو الباب المقابل لدار الطعم العتيقة المجاورة
لنهر باناس وكان المعظم ومماليكه والجند ينقلون التراب بالقفاف على قرابيس سروجهم وكان
يعمل كل يوم على طايفة من اهل البلد وعمل فيه الفقها والصوفية قال وفيها كانت الكائنة
بين اهل الشاغور والعقيبة وحملهم السلاح وقتالهم بالرحبة والصيارف وركوب
العسكر ملبسا للفصل بين الفريقين وحضر المعظم بنفسه لاطفا الفتنة فقبض على جماعة
من كبار الحارات منهم رئيس الشاغور وحبسهم وفيها سار المعظم على الهجن الى اخيه الملك
الاشرف واجتمع به بظاهر حران فغاب وضمن في امر حلب عندما بلغه موت صاحبها الملك
الظاهر وكان قد سبق من الاشرف اتفاق مع القائم بامرها فرجع المعظم بعد سبعة عشر
يوما ولم يظهر الا انه كان يتصيد وفيها فرغ من بنا المصلى بظاهر دمشق ورتب له خطيب
وهو الشيخ صدر الدين معيد الفلكية ثم ولي بعده بها الدين بن اخي البيسر ثم بنو حسان
قلت وهم الى الان قال سبط الجوزي وفيها ذهبت الى خلاط ووعظت بها وحضر
الملك الاشرف ٥ وفيها ذهب شهاب الدين عبد السلام بن اخي عمر رسولا من الملك العزيز

محمد بن الظاهر صاحب حلب بسال تقليدا من الديوان بحلب وفيها وعظ ابن الجوزي بحران
وحضر الاشرف وفخر الدين بن تيمية وكان يوما مشهودا قال ابن الاثير فيها وقع بالبصرة
برد قيل ان اصغره كان مثل النارنجة الكبيرة قال وقيل في اكبره ما يستحيي الانسان ان يذكره
قلت ارض العراق قد وقع فيها هذا البرد غير مرة زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن
ابن سعيد بن عصمة بن حمير العلامة تاج الدين ابو اليمن الكندي البغدادي المقرئ النحوي اللغوي
ولد في شعبان سنة عشرين وخمسمائة وحفظ القران وهو ابن سبع سنين وكمل القراءات العشر
وله عشر سنين وكان اعلى اهل الارض اسنادا في القراءات فاني لا اعلم احدا من الامة عاش
بعد ما قرا القراءات ثلاثا وثمانين سنة غير هذا مع انه قرا على اسند شيوخ العصر بالعراق
ولم يبق احد ممن قرا عليه مثل بقائه ولا قريبا منه بل اخر من قرا عليه الكمال بن فارس وعاش
بعده نيفا وستين سنة ثم انه سمع الحديث على الكبار وبقي مسند الزمان في القراءات
والحديث قرا القراءات المشهورة والغريبة فاكثر على شيخه ومعلمه واستاذه الامام ابي
محمد سبط ابي منصور الخياط وافاده وحرص عليه في الصغر واسمعه الحديث وارسله
الى الشيوخ الكبار فقرا بالكفاية في القراءات الست على الامام المعمر ابي القاسم هبة الله
ابن احمد الطبري الحريري وقرا بالموضح في القراءات العشر على مؤلفه ابي منصور محمد بن عبد
الملك بن خيرون وقرا للسبعة على ابي بكر محمد بن برهيم خطيب المحول وعلى ابي الفضل
محمد بن المهتدي بالله ثم سمع الحديث من القاضي ابي بكر محمد بن عبد الباقي وابي القاسم
هبة الله بن الطبر وابي منصور القزاز ومحمد بن احمد بن توبة واخيه عبد الجبار وابي القاسم
ابن السمرقندي وابي الفتح بن البيضاوي وطلحة بن عبد السلام الرماني ويحيى بن علي بن الطراح
وابي الحسن بن عبد السلام وابي القاسم عبد الله بن احمد بن يوسف والحسين بن علي سبط الخياط
والمبارك بن نغوبا وعلي بن عبد السيد بن الصباغ وعبد الملك بن ابي القاسم الكروخي وسعد
الخير الانصاري وطائفة سواهم وله مشيخة في اربعة اجزاء خرجها ابو القاسم علي بن القاسم
ابن عساكر وقرا النحو على ابي السعادات هبة الله بن الشجري وابي محمد بن الخشاب وشيخه
ابي محمد سبط الخياط واخذ اللغات عن ابي منصور موهوب بن الجواليقي وقدم دمشق
في شبيبته وسمع بها من ابي الحسين عبد الرحمن بن عبد الله بن ابي الحديد وتفرد بالرواية عنه
وعن كثير شيوخه ثم قدم الشام ومصر وسكن دمشق ونال الحشمة الوافرة والتقدم وازد
عليه

عليه الطلبة وكان حنبلي المذهب فانتقل حنفيا لاجل الدنيا وتقدم في مذهب ابي حنيفة وافتى
ودرس وصنف واقرا القراءات والنحو واللغة والشعر وكان صحيح السماع ثقة في النقل
ظريفا حسن العشرة طيب المزاح مليح النظم قرا عليه القراءات علم الدين السخاوي ولم يسندها
عنه وعلم الدين القاسم بن احمد الاندلسي وكمال الدين ابو اسحق بن فارس وجماعة وحدث
عنه الحافظ عبد الغني والشيخ الموفق والحافظ عبد القادر وابن نقطة وابن النجار وابو
الطاهر بن الانماطي والبرزالي والضيا والزكي عبد العظيم والزين خالد والتقي
ابن ابي اليسر والجمال ابن الصيرفي واحمد بن سلامة الحداد والقاضي ابو الفرج عبد الرحمن
ابن ابي عمر والقاضي ابو عبد الله محمد بن العماد ابرهيم وابو الغنائم المسلم بن علان والمؤمل
ابن محمد البالسي وابو القاسم عمر بن احمد بن العديم وابو حفص عمر بن محمد بن ابي عصرون
وابو الحسن علي بن احمد بن البخاري وابو عبد الله محمد بن الكمال ومحمد بن مؤمن ويوسف بن
المجاور وست العرب بنت يحيى الكندي واسمعيل بن العفيف احمد بن ابرهيم بن يعيش
المالكي ومحمد بن عبد المنعم بن القواس واخرون روى عنه بالاجازة ابو حفص بن القواس
ثم ابو حفص عمر بن ابرهيم العقيمي الاديب وتوفي ببغداد في شوال سنة تسع وتسعين
وستمائة قال ابن النجار سلمه ابوه في صغره الى سبط الخياط فلقنه القران وجوده
عليه ثم حفظه القراءات وله عشر سنين الى ان قال تفرد باكثر مروياته وسافر عن بغداد
سنة ثلاث واربعين ودخل همذان فاقام بها سنين يتفقه على مذهب ابي حنيفة على
سعد الرازي بمدرسة السلطان طغرل ثم ان اباه حج سنة اربع واربعين فمات في
الطريق فعاد ابو اليمن الى بغداد ثم توجه الى الشام واستوزره فرخشاه ثم بعده
اتصل باخيه تقي الدين عمر صاحب حماة واختص به وكثرت امواله وكان المعظم يقرا
عليه الادب ويقصده في منزله ويعظمه قرات عليه كثيرا وكان يصلني بالنفقة ما رايت
شيخا اكمل منه فضلا ولا اتم منه عقلا ونبلا وثقة وصدقا وتحقيقا ورزانة مع دماثة
اخلاقه وكان مهيبا وقورا اشبه بالوزرا من العلما لجلالته وعلو منزلته وكان اعلم اهل
زمانه بالنحو اظنه يحفظ كتاب سيبويه ما دخلت عليه قط الا وهو في يده يطالعه في
مجلد واحد رفيع يكان يقراها بلا كلفة وقد بلغ التسعين وكان قد متع بسمعه
وبصره وقوته وكان مليح الصورة ظريفا اذا تكلم ازداد حلاوة وله النظم والنثر والبلاغة

الكامله الى ان قال حضرت الصلاة عليه وقال ابو شامة ورد الكندي ديار مصر يعني في
سنة بضع وستين وخمسمائة قال وكان اوحد الدهر وفريد العصر فاستمال عليه عز الدين
فرخشاه بن شاهنشاه بن ايوب ثم ابنه الامجد صاحب بعلبك ثم تردد اليه بدمشق
الملك الافضل علي بن صلاح الدين واخوه الملك المحسن وابن عمه الملك المعظم عيسى بن
العادل وقال ضياء الدين بن ابي الحجاج الكاتب عنه كنت في مجلس القاضي الفاضل فدخل
فرخشاه فجرى ذكر شرح بيت من ديوان المتنبي فذكرت شيئا فاعجبه فسال القاضي عني
فقال هذا العلامة تاج الدين الكندي فنهض فرخشاه واخذ بيدي واخرجني معه الى
منزله ودام اتصالي به قال وكان الملك المعظم يقرا عليه دايما قرا عليه كتاب سيبويه نصا
وشرحا وكتاب الحماسة وكتاب الايضاح وشيئا كثيرا وكان ياتي من القلعة ماشيا الى
دار تاج الدين بدرب العجم والمجلد تحت ابطه وحكى ابن خلكان ان الكندي قال كنت قاعدا
على باب ابي محمد بن الخشاب النحوي وقد خرج من عنده ابو القاسم الزمخشري وهو يمشي في جاون
خشب لان احدى رجليه كانت سقطت من الثلج ومن شعر الكندي

دع المنجم يكبو في ضلالته ان ادعى علم ما يجري به الفلك
تفرد الله بالعلم القديم فلا الانسان يشركه فيه ولا الملك
اعد للرزق من اشراكه شركا وبيست العدتان الشرك والشرك
ارى المرء يهوى ان تطول حياته وفي طولها ارهاق ذل وازهاق
تمنيت في عصر الشبيبة انني اعمر والاعمار لا شك ارزاق
فلما اتاني ما تمنيت ساءني من العمر ما قد كنت اهوى واشتاق
يخيل لي فكري اذا كنت خاليا ركوبي على الاعناق والسير اعناق
ويذكرني مر النسيم وروحه حفاير يعلوها من الترب اطباق
وها انا في احدى وتسعين حجة لها في ارعاد مخوف وابراق
يقولون ترياق لمثلك نافع وما لي الا رحمة الله ترياق

وله

لبست من الاعمار تسعين حجة وعندي رجاء بالزيادة مولع
وقد افلت احدى وتسعون بعدها ونفسي الى خمس وست تطلع
ولا غرو ان اهمى سالما فقد يدرك الانسان ما يتوقع
وقد كان في عصري رجال عرفتهم حبوها وبالآمال فيها تمتعوا
وما عاق قبلي عاقلا طول عمره ولا امه فرقه للعقل موضع

وقال الحافظ ابن نقطة كان الكندي مكرما للغرباء حسن الاخلاق
فيه مزاح وكان من ابناء الدنيا المشتغلين بها وبايثار مجالسة اهلها وكان ثقة في الحديث
والقراءات صحيح السماع سامحه الله وقال الامام موفق الدين كان الكندي اماما في القراءة
والعربية انتهى اليه علو الاسناد في الحديث وانتقل الى مذهب ابي حنيفة من اجل الدنيا

الا انه كان على السنة وصى الي بالصلاة عليه والوقوف على دفنه ففعلت ذلك وللسخاوي
فيه لم يكن في عصر عمرو مثله وكذا الكندي في اخر عصر فهما زيد وعمرو وانما بني النحو على زيد وعمرو
وللشجاع بن الدهان الفرضي فيه يا زيد زادك ربي من مواهبه نعمى يقصر عن ادراكها الامل
لا بدل الله حالا قد حباك بها ما دار بين النحاة الحال والبدل النحو انت احق العالمين به
اليس باسمك فيه يضرب المثل وقال جمال الدين القفطي ابو اليمن الكندي اخرجا كان
ببغداد سنة ثلاث وستين وخمسمائة واستوطن حلب مدة وصحب بها الامير بدر الدين حسن
ابن الداية النوري واليها وكان يبتاع الخليع من الملبوس ويتجر به الى بلد الروم ثم نزل دمشق
وصحب عز الدين فرخشاه واختص به وسافر معه الى مصر واقتنى من كتب خزائنها عدة ما
ابيع ثم استوطن دمشق وقصده الناس وكان لينا في الرواية معجبا بنفسه فيما يذكره
ويرويه واذا نوظر جبه بالقبيح ولم يكن موفق العلم رايت له اشياء باردة قال واشتهر عنه
انه لم يكن صحيح العقيدة **قلت** قوله لم يكن صحيح العقيدة فيه نظر الا ان يكون اراد انه
على عقيدة الحنابلة فالله اعلم وقال الموفق عبد اللطيف اجتمعت بالكندي النحوي وجرى
بيننا مباحثات وكان شيخا بهيا ذكيا مثريا له جانب من السلطان لكنه كان معجبا بنفسه
موذيا لجليسه **قلت** لانه اذاه ولقبه بالمطجن قال وجرت بيننا مباحثات فاظهرني
الله عليه في مسايل كثيرة ثم اني اهملت جانبه وقال ابو الطاهر الانماطي توفي الكندي في
خامس ساعة من يوم الاثنين سادس شوال وصلي عليه بجامع دمشق بعد صلاة العصر
القاضي ابن الحرستاني وبظاهر باب الفراديس الحصيري الحنفي وبالجبل الشيخ الموفق
ودفن بتربته وعقد العزاء له تحت النسر يومين وانقطع بموته اسناد عظيم وكتب كثيرة

سنة اربع عشرة وستمائة فيها كان الغرق ببغداد بزيادة دجلة وركب الخليفة
سفينة وخاطب الناس وجعل يبكي ويقول لو كان هذا يرد عنكم بمال او حرب دفعته
عنكم قال ابو شامة وقد نقله من كلام ابي المظفر سبط ابن الجوزي ان شاء الله ما هدمت
بغداد باسرها والمحال ووصل الماء الى راس السور ولم يبق له ان يطفح على السور الا
مقدار اصبعين وانتقل الناس الى الهلاك ودام ثمانية ايام ثم نقص الماء وبقيت بغداد من الجانبين
تلولا لا اثر لها **قلت** هذا من جسف ابي المظفر فهو مجازف قال ابو المظفر وفيها قدم
خوارزم شاه محمد بن تكش في اربع مائة الف وقيل في ستمائة الف ووصل همذان قاصدا بغداد

فاستدعاه الخليفة وفرق الاموال والعدد وارسله مع الشيخ شهاب الدين السهروردي فاهانه
ولم يحتفل به واستدعاه واوقفه الى جانب الخيمة ولم يجلسه قال فحكى شهاب الدين قال استدعاني
الى خيمة عظيمة لها دهليز لم ار مثله في الدنيا وهو من اطلس والاطناب حرير وفي الدهليز
ملوك العجم على طبقاتهم كصاحب اصبهان وصاحب همذان والري قال ثم دخلنا الى خيمة
اخرى وفي دهليزها ملوك ما وراء النهر ثم دخلنا عليه وهو شاب له شعرات قاعد على تخت ساذج
وعليه قباء بخاري يساوي خمسة دراهم وعلى راسه قطعة جلد تساوي درهما فسلمت عليه فلم يرد
ولا امرني بالجلوس فخطبت خطبة بليغة ذكرت فيها فضل بني العباس ووصفت الخليفة
بالزهد والورع والتقى والدين والترجمان يعيد عليه قولي فلما فرغت قال للترجمان قل له
هذا الذي تصفه ما هو في بغداد بل انا اجيء واقيم خليفة يكون بهذه الصفة ثم ردنا بغير
جواب ونزل عليهم بهمذان الثلج فهلكت خيلهم وركب الملك خوارزم شاه يوما فعثر به فرسه
فتطير ووقع الفساد في عساكره وقلت الميرة وكان معه سبعون الفا من الخطا ورده الله
عن بغداد وقال ابو شامة ذكر محمد بن محمد النسوي في كتابه الذي ذكر فيه وقائع التتار
مع علاء الدين محمد ومع ولده جلال الدين قال حكى لي القاضي مجير الدين عمر بن سعد الخوارزمي
انه ارسل الى بغداد مرارا اخرها مطالبة الديوان بما كان لبني سلجوق من الحكم والملك ببغداد
فابوا ذلك واصحب المذكور في عودته شهاب الدين السهروردي رسولا مدافعا قال وكان
عند السلطان من حسن الاعتقاد برفيع منزلته ما اوجب تخصيصه بمزيد الاكرام والاحترام
تميزا له عن سائر الرسل الواردة عليه من الديوان فوقف قائما في صحن الدار فلما استقر المجلس
بالمجلس بالشيخ قال ان من سنة الداعي للدولة القاهرة ان يقدم على اداء رسالته حديثا فاذن
له السلطان وجلس على ركبتيه ادبا عند سماع الحديث فذكر الشيخ حديثا معناه التحذير
من اذية آل العباس فقال السلطان اما انا فما اذيت احدا من آل العباس ولا قصدتهم بسوء وقد
بلغني ان في محابس امير المؤمنين خلقا منهم يتناسلون بها فلو اعاد الشيخ هذا الحديث على مسامع امير
المؤمنين كان اولى وانفع فعاد الشيخ فانه ثم عزم على قصد بغداد وقسم نواحيها اقطاعا وعملا
وسار الى ان علا عقبة اسداباد فنزلت عليه ثلوج غطت الكراحي والخيام وبقي بلده ايام
فعظم اذ ذاك البلاء وشمل الهلاك خلقا من الرجال ولم ينج شي من الجمال وتلفت ايدي رجاله
وارجل اخرين فرجع السلطان عن وجهه ذلك على خيبة مما هم به وفيها تجمع الفرنج وانثالوا
من

من البحر بفارسهم وراجلهم لاجل قصد بيت المقدس وتتابعت الامداد من رومية الكبرى
التي هي دار الطاغية الاعظم المعروف بالبابا لعنه الله وتجمعوا كلهم بعكا عازمين على
استيفاء الثار مما تم عليهم في الدولة الصلاحية فعمل الملك العادل لما خرجوا اليه ووصلوا
الى عين جالوت وكان على بيسان فاحرقها وتقدم الى جهة عجلون ووصل الغوار فقطع
الفرنج خلفه الاردن واوقعوا بالترك وعادوا على البلاد وجاء الامر الى المعتمد والي دمشق
بالاهتمام والاستعداد واستخدام الرجالة وتدريب دروب قصر حجاج والشاغور وطرق
البساتين وتغريق اراضي داريا واحتاط البلد وارسل العادل الى ملوك البلاد يستحث
العساكر ونزل مرج الصفر وضج الناس بالدعاء ثم رجع الفرنج نحو عكا بما حازوه من النهب
والاسارى ووصل الملك المجاهد صاحب حمص ففرح به الناس قال ابو المظفر بن الجوزي
فيها انفسخت الهدنة بين المسلمين والفرنج وجاء العادل من مصر بالعساكر ونزل بيسان
والمعظم عنده في عسكر الشام فخرج الفرنج من عكا عليهم ملك الهنكر فنزلوا عين جالوت في
خمسة عشر الفا وكان شجاعا خرج معه جميع ملوك الساحل فقصدوا العادل فتاخر العادل
وتقهقر فقال له المعظم الى اين فشتمه بالعجمية وقال بمن اقاتل اقطعت الشام مماليكك وتركت
اولاد الناس وساق فعبر الشريعة وجاء الفرنج الى بيسان وبها الاسواق والغلال والموا
وشي كثير فاخذت الفرنج الجميع ورحلوا منها بعد ثلاثة ايام الى قصير الغور ووصلوا الى بلد
الى خربة اللصوص والجولان واقاموا يقتلون ويسبون ثم عادوا الى الغور ونزلوا تحت
الطور فاقاموا اياما يقاتلون من فيه وحاصروهم وكان معهم سلم عظيم فرجعوا ونصبوه
فاحرقه المسلمون بالنفط وقتل تحته جماعة من اعيان الفرنج منهم بعض الملوك واستشهد
يومئذ الامير بدر الدين محمد بن ابي القاسم وسيف الدين بن المرزبان وكان في الطور ابطال
المسلمين فاتفقوا على انهم يقاتلون حتى الموت ثم رحل الفرنج عنهم الى عكا وجاء المعظم فاطلق
الطور الاموال وخلع عليهم ثم اتفق العادل وابنه المعظم على خراب الطور كما ياتي واما ابن
اخت الهنكر فقصد جبل صيدا في خمس مائة من الفرنج الى جزين فاخلاها اهلها فنزلها الفرنج
ليستريحوا فتحدرت عليهم الرجال من الجبل فاخذوا خيولهم وقتلوا اعيانهم واسر مقدمهم ابن
اخت الهنكر وقيل انه لم يسلم من الفرنج الا ثلاثة انفس قلت وكثرت جيوش الفرنج بالساحل
وعموا ما لابو يوسف ثم قصدوا دمياط لخلوها من الجيش وكانت عساكر الاسلام متفرقة ففرحوا كانت

بالطور محصورين وقد ذهبت مع المعظم بن كامل القدس عسكروا بنابلس ووقفه
مع السلطان في وجه العدو عن دمشق واشرف المسلمون على خطة صعبة وكان
الملك العادل مع عسكره خائفا خايفا خايفا من لقاء العدو وهو في قل من الناس لان
نكسروا لا تقوم للاسلام بعده قايمة فاندفع بين ايديهم قليلا قليلا حتى كفى الله شرهم

ابرهيم بن عبد الواحد بن علي بن سرور الشيخ العماد المقدسي الحنبلي الزاهد القدوة
ابو اسحق رضي الله عنه اخو الحافظ عبد الغني ولد بجماعيل في سنة ثلاث واربعين وخمسماية
وهو اصغر من الحافظ بسنتين وهاجر الى دمشق في سنة احدى وخمسين والتي بعدها
للفرنج لعنهم الله فيمن هاجر من المقادسة وسمع من ابي المكارم عبد الواحد بن هلال وابي
تميم سلمان بن علي الرحبي وابي نصر عبد الرحيم بن يوسف البغدادي وابي المعالي بن صابر
وجماعة وببغداد صالح بن المبارك بن الرخلة وابي محمد بن الخشاب النحوي وعبد الله بن عبد
الصمد السلمي وشهدة الكاتبة وابي الحسين عبد الحق اليوسفي وجماعة وبالموصل من ابي
الفضل عبد الله بن احمد الخطيب روى عنه الضيا المقدسي وابن خليل والبرزالي والعوضي
والزكي المنذري وابن عبد الدايم والشيخ شمس الدين عبد الرحمن وابنه الشيخ شمس الدين محمد
والعز بن البخاري والشمس محمد بن الكمال والتاج عبد الوهاب بن زين الامنا واخرون قال
الضيا كان ليس بالادم كثيرا ولا بالطويل ولا بالقصير واسع الجبهة مقرون الحاجبين
اشهل العينين فيهما اتساع قايم الانف يخرج شعره من عند اذنيه وكان في بصره ضعف سافر
الى بغداد مرتين الاولى في سنة سبع وستين صحبة الموفق بعد ان حفظ القران عن ظهر
وقيل انه حفظ الغريب للعزيزي وحفظ الخرقي والتقى الدرس من تفسير القران ومن
الهداية واشتغل بالخلاف على ناصح الاسلام بن المني وقد شاهدته يناظر عنده وسافر
سنة احدى وثمانين في صحبة ابن اخيه العز بن الحافظ وكان عالما بالقراات والنحو والفرايض
وقرا القراات على ابي الحسن علي بن عساكر البطايحي واقرا بها وصنف الفروق في المسايل
الفقهية وصنف كتابا في الاحكام لم يتمه وكان كثير الاشتغال والاشغال لا يتفرغ للتصنيف
وكان لا يكاد يفتر من الاشتغال اما باقرا القران او الاحاديث او باقرا الفقه والفرايض
وام بحران مدة فاشتغلوا به وكان يشتغل بالجبل اذا كان الامام موفق الدين في المدينة فاذا
صعد الموفق نزل هو فاشتغل في المدينة وسمعت الموفق يقول ما يقدر يعمل مثل العماد كان

يتألف

يتألف الناس ويفرق بهم حتى انه ربما كرر على انسان كلمات يسيرة من بكرة الى الفجر قال
الضيا وكان يكون في جامع دمشق من الفجر الى العشا لا يخرج الا لما لابد له منه يقري
الناس القران والعلم فاذا لم يبق له من يشتغل عليه اشتغل بالصلاة فسالت موفق الدين
عنه فقال كان من خيار اصحابنا واعظمهم واشدهم ورعا واكثرهم صبرا على تعليم القران
والفقه وكان داعيا الى السنة وتعلم العلم والدين واقام بدمشق مدة يعلم الفقرا ويطعمهم
ويذل لهم نفسه وتواضع لهم وكان من اكثر الناس تواضعا واحتقارا لنفسه وخوفا من الله
وما اعلم انني رايت اشد خوفا منه وكان يكثر الدعا والسوال وكان يطيل الركوع والسجود
ويقصد ان يقتدي بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يقبل من احد يعذله في ذلك
ونقلت له كرامات كثيرة هذا كتبته بخط موفق قال الضيا ولم ار احدا احسن صلاة منه ولا
اتم منها بخشوع وخضوع وحسن قيام وقعود قيل انه كان يسبح في ركوعه وسجوده عشرا
يتانى في ذلك وربما كان بعضهم يقول النبي صلى الله عليه وسلم قد امر بالتخفيف وقال افتان
انت يا معاذ فلا يرجع ويستدل عليهم باحاديث منها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يكون في
الركعة الاولى حتى يمضي احدنا الى البقيع ويقضي حاجته ويأتي النبي صلى الله عليه وسلم ثم يركع
وربما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم انسا قال لم ار احدا اشبه صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم
من هذا الفتى يعني عمر بن عبد العزيز قال فحزرنا في سجوده عشر تسبيحات وروى ثابت ان انسا
قال لا الو ان اصلي بكم صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثابت وكان يصنع شيا لا اراكم
تصنعونه كان اذا رفع راسه من الركوع انتصب قايما حتى يقول القايل قد نسي واما
صلاته وكان يقضي صلوات فربما قضى في اليوم والليلة صلوات ايام عديدة وسمعت الامام عبد
المحسن بن عبد الكريم المصري يقول سمعت الشيخ العماد يقول فاتني صلاة العصر قبل
ان ابلغ وقد اعدتها مائة مرة وانا اريد ان اعيدها ايضا واما صيامه فكان يصوم يوما ويفطر
يوما وكان كثير الدعا بالليل وفي النهار وكان اذا دعا كان القلب يشهد باجابة دعايه
من كثرة ابتهاله واخلاصه وقد روي ان الله يحب الملحين في الدعا وكان يمضي الصلاة يوم
الاربعا يمضي الى مقابر الشهدا بباب الصغير فيدعو ويجتهد له وللمسلمين الى قرب العصر
لا يكاد يفوته ذلك لما روي عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا في بعض الايام فلما كان يوم
الاربعا بين الظهر والعصر استجيب له قال جابر فما اصابني امر غايظ فتوخيت ذلك الوقت

قد عوف الا رجوت الاجابة قال وكان يفتح عليه من الادعية شي ما سمعته من غيره قط وجرى
بيننا ذكر اجابة الدعا فقال ما رايت مثل هذا الدعا او قال اسرع اجابة بالله يا الله انت الله
لا والله انت الله لا اله الا انت الله الله الله انه لا اله الا الله ومن دعايه المشهور اللهم اغفر
لا قسانا قلبا واكبرنا ذنبا واثقلنا ظهرا واعظمنا جرما واقلنا حيا منك ووفا بعهدك واكثرنا
تخليطا ونفس بطا وتقصيرا وتغيرا وتسويفا وطول امل مع قرب اجل وسو عمل وكان يدعو يا
دليل الحيارى دلنا على طريق الصادقين واجعلنا من عبادك الصالحين واجذبنا اليك
جذبة حين نموت واصلح ما بيننا وبينك ولا تمقتنا وان كنت مقتنا فاغفر لنا ولا تسقطنا
من عينك يا كريم ومن ورعه كان اذا افتى في مسالة يحترز فيها احترازا كثيرا وسمعت
بعض الشافعية انه كان يتعجب من فتاويه من كثرة احترازه فيها وكان اذا اخذ من لحيته
شعرة او برى قلما احتفظ بذلك ولا يدعه في المسجد ويخرجه سمعنا ابا محمد بن عبد الرزاق
ابن هبة الله قال سمعت الشيخ عبد الله البطايحي يقول اشكلت علي مسالة في الورع
فما وجدت من افتاني فيها الا العماد وقيل انه كان اذا دخل الخلا فيتنفس ان يسمي خرج فسمى
ثم دخل واما زهده فما اعلم انه قط ادخل نفسه في شي من امر الدنيا ولا تعرض لها ولا نافس
فيها وقد كان يجي الاصحابنا بعض الاوقات شي فما اعلم انه حضر يوما قط عندهم في شي
من ذلك وما علمت انه دخل الى عند سلطان ولا وال ولا تعرف باحد منهم ولا كانت له
رغبة في ذلك وكان قويا في امر الله ضعيفا في بدنه لا تاخذه في الله لومة لايم وسمعته
يقول لرجل كيف ولدك قال مقبل مدرك فقال لا تكذب وكان كثير الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر لا يرى احدا يسي صلاته الا قال له وعلمه وبلغني انه خرج مرة الى فساق فكسر ما
معهم فضربوه ونالوا منه حتى غشي عليه فقال فاراد الوالي ضربهم فقال ان تابوا والتزموا
الصلاة فلا تؤذهم وهم في حل فتابوا ورجعوا عما كانوا عليه سمعت شيخنا موفق
الدين قال من عمري اعرفه يعني العماد وكان بيتنا قريبا من بيتهم يعني في ارض المقدس
ولما جينا الى هنا فما افترقنا الا ان نسافر ما عرفت انه عصى الله معصية سمعت والدي
يقول انا اعرف العماد من صغره ما اعرف له صبوة ولا جهلة وذكر شيخنا ابو محمد عبد الرحمن
ابن عيسى البروري الواعظ شيخنا عماد الدين في طبقات اصحاب ابن المني فقال فقيه ورع
وكمل وجمع بين العلم والعمل احد الورعين الزهاد وصاحب ليل واجتهاد متواضع

صلف

صلف ظريف قرا القران بالقراات وله المعرفة الحسنة بالحديث مع كثرة السماع والبدا الباسطة
في الفرايض والنحو الى غير ذلك من الفضايل له الخط المليح المشهور بسور البغوي ولبس لله
هذا مع طيب الاخلاق وحسن العشرة فما ذاق مر المودة اعذب من اخلاقه فسبحان من صبرني على
فراقه سمعت الامام ابا ابرهيم محاسن بن عبد الملك التنوخي يقول كان الشيخ العماد جوهرة العصر
قال لقينا الا عرف وانا صغير ان جميع من كان في الجبل يتعلم القران كان يقرا عليه وختم جماعة
من اصحابنا وكان له صبر عظيم على من يقرا عليه سمعت بعضهم يقول ان من قرا على الشيخ العماد
لا يشقى الحنة ابدا وكان يتالف الناس ويتلطف بالغربا والمساكين حتى صار من تلامذته جماعة من
الاكراد والعرب والعجم وكان يتفقدهم ويطعمهم ما امكنه ولقد صحبه جماعة من انواع المذاهب
ورجعوا عن مذاهبهم لما شاهدوا منه وكان بيته ماوى الناس وكان يتصرف كل
ليلة الى بيته من الفقرا جماعة كبيرة وكان يتفقد الناس ويسال عن احوالهم كثيرا ويلقاهم
بالبشر الدايم وكان من كرامه الاصحابه يظن كل واحد ان ما عنده مثله من كثرة ما يكرمه وياخذ
بقلبه وكان يبعث بالنفقة سرا الى الناس وغير ذلك كثيرا سمعنا ابا محمد عبد الله بن حسن
ابن محمد الهكاري المقري بحران يقول رايت في النوم قايلا يقول لي العماد يعني ابراهيم بن عبد
الواحد من الابدال قرابة خمس ليال كذلك وقال الضيا وقد سمعت خلقا من الناس يصفونه
بالصلاح والزهد والورع ولا يشكون انه من اوليا الله وخاصته ومن الداعين الى السنة وطاعة
سمعت الزاهد احمد بن سلامة بن احمد بن سلمان الحراني حدثني الشيخ خليفة بن شقير الحراني
وكان من اعبد اهل زمانه كان يصلي من بكرة الى الصباح العصر وكان يقوم طول الليل
قد مضيت مرة الى زيارة القدس على رجلي فوصلت وانا جايع فنمت فاذا رجل يوقظني
فاذا رجل ومعه طبيخ فقال اقعد كل فقلت كيف اكل وانا لا اعلم من اين هو فقال هو
حلال وما عملته الا لاجلك فاكلت ثم جاني مرة ثانية فقال لي جاني اربعة رجال فقالوا اجر اك الله
خيرا حيث اوصلت المعروف الى اهله او ما هذا معناه فقلت ومن انتم قالوا نحن اقطاب الارض
فقلت فمن سيدكم قالوا الشيخ العماد المقدسي حدثني ابو الربيع سليمان بن ابرهيم بن احمد
قال كنت عند الشيخ العماد في المسجد فكان يوم يفتح له بشي لا يطعمني شيا ويوم لا يفتح له بشي
يرسل الي بشي وقال جرى لي هذا كثيرا وسمعت ابا موسى عبد الله بن الحافظ عبد الغني قال حدثني
مكي الشاغوري المؤذن قال كنت يوما امشي خلف العماد في سوق الكبير فاذا صوت طنبور فلما

[illegible]

وصلنا الى عند صاحبه قال الشيخ لا حول ولا قوة الا بالله وينفض كمه فرايت صاحب الطنبور قد
وقع وانكسر الطنبور فقيل لصاحبه ايش بك ايش جرى عليك فقال انا ما ادري سمعت عباس
ابن عبد الدايم الكنانى يقول كنت يوما مع العماد في مقابر الشهدا فرجعنا وانا خلفه فقلت في نفسي
اللهم اني احبه فيك فاجعلني رفيقه في الجنة قال فالتفت الي وقال اذا لم تكن الجنة لله فما تنفع
شيا او كما قال توفي العماد رحمه الله عليه عشا الاخرة ليلة الخميس السادس عشر من ذي
القعدة وكان صلى تلك الليلة المغرب بالجامع ثم مضى الى البيت وكان صايما فافطر على شي
يسير ولما اخرجت جنازته اجتمع خلق فما رايت الجامع الا كانه يوم الجمعة من كثرة الخلق
وصلى عليه شيخنا موفق الدين وكان لا يمكنه يطرد الناس عنه والا كانوا من كثرتهم من يتبرك به
يخرقون الكفن وازدحموا حتى كاد بعض الناس ان يهلك وخرج الى الجبل خلق كثير وما رايت
جنازة قط اكثر خلقا منها خرج القضاة والعدول ومن لا يعرفهم وحكي عنه انه لما جاه الموت
جعل يقول يا حي يا قيوم لا اله الا انت برحمتك استغيث فاعفني واستقبل القبلة وتشهد
ومات قال وتزوج اربع نسوة واحدة بعد واحدة منهن خديجة بنت الشيخ ابي عمر واخرهن
عزيه بنت عبد الباقي بن علي الدمشقي فولدت له القاضي شمس الدين محمد قاضي مصر والعماد احمد
ابنا العماد وسمعت التقي احمد بن محمد بن عبد الغني قال رايت الشيخ العماد في النوم على حصان
فقلت له يا سيدي الى اين قال ازور الجبار وسمعته يقول سمعت الحسن بن جعفر الاصبهاني
يقول رايت العماد في النوم فقلت ما فعل الله بك فقال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي
وجعلني من المكرمين وسمعت الامام الواعظ ابا المظفر يوسف سبط الجوزي يقول لما
كانت الليلة التي دفن فيها العماد رايته في مكان متسع وهو يرقا في درج عرفات فقلت
كيف بت فاني بت اجل همك فانشدني رايت الاهي حين انزلت حفرتي وفارقت اصحابي واهلي وجيرتي
فقال جزيت الخير عني فانني رضيت فها عفوي لديك ورحمتي دابت زمانا تامل الفوز والرضى
فوقيت نيراني ولقيت جنتي قال الضيا وسمعت الامام ابا محمد عبيد بن هرون السوادي صاحب
الشيخ العماد وخادمه يقول رايت الشيخ في النوم وهو ينشد هذه الابيات وانشدنيها
وسمعت الامام ابا محمد عثمان بن حامد بن حسن المقدسي يقول رايت الحق عز وجل في النوم
والشيخ العماد عن يمينه ووجهه مثل البدر وعليه لباس ما رايت مثله او ما هذا معناه وكان
الشيخ العماد يصلي في حلقة الحنابلة مرارا وكان يطيل الاركان الصلاة قياما وركوعا

وسجودا

وسجودا وكان يصلي الى خشبتين معترضتين موضع المحراب وجدد المحراب سنة سبع عشرة
وستماية قلت ثم جدد هذا المحراب في سنة ست وستين وقال ابو المظفر في مراته كان
الشيخ العماد يحضر مجلسي دايما ويقول صلاح الدين يوسف فتح الساحل واظهر الاسلام
وانت يوسف احييت السنة بالشام قال ابو شامة نشر انه كان يرد ذكرا من كلام جدك
ابي الفرج ومن خطبه ما يتضمن امرار ايات الصفات وما صح في الاحاديث على ما ورد
من غير ميل الى تاويل ولا تشبيه ولا تعطيل ومشايخ الحنابلة العلما هذا اختيارهم وهو جيد
قلت وقال الزكي المنذري انه توفي ليلة السابع عشر من ذي القعدة فجاة ثم وجدت في
ومات الضيا بخطه انه توفي ليلة السابع عشر وبخطه في ترجمة العماد انه توفي في السادس عشر
والله اعلم سنة خمس عشرة وستماية في ربيع الاول نزلت الفرنج على دمياط فبعث الملك
العادل العساكر التي عنده مع الصغير الى ابنه الملك الكامل وطلب ابنه المعظم وقال له
قد بنيت هذا الطور وهو يكون سبب خراب الشام وارى المصلحة ان تخربه ليتوفر ما فيه
على حفظ دمياط فتوقف المعظم ثم ارضاه بمال ووعده ببلاد فاجاب واخلاه وخربه وكان
قد غرم على بنايه اموالا لا تحصى قال ابن واصل لما طالت اقامة جيوش الفرنج مرج عكا
اشار عقلاوهم بقصد الديار المصرية وقالوا صلاح الدين انما استولى على البلاد بتملكه مصر
فصمموا وركبوا البحر الى دمياط فنزلوا على برجيزتها وزحفوا على برج السلسلة وكان
مشحونا بالرجال وكان الكامل قد اقبل ونزل ببر دمياط ودام الحصار والقتال اربعة
اشهر وجاءت الكامل النجدات من الشام ومات الملك العادل في وسط الشدة واستراح
وفي ربيع الاخر كسر الملك الاشرف بن العادل ملك الروم كيكاوس ثم جمع الملك الاشرف
عساكره وعسكر حلب ودخل بلد الفرنج ليشغلهم بانفسهم عن قصد دمياط فنزل على صافيتا
وحصن الاكراد فخرج ملك الروم ووصل الى رعبان يريد ان يملك حلب فنزل اليه الملك الافضل
من سميساط فاخذا رعبان وتل باشر فقصده الملك الاشرف الى حلب ونزل على الباب وبزاعه
وتقدم بين يديه العرب وقدم الروم فعملوا مصافا فانهزم العرب فكسرهم العرب وبعث الاشرف
خلة من عسكره الى دمياط وفي جمادى الاولى اخذت الفرنج من دمياط برج السلسلة فبعث الكامل
يستنصح باسه فدق ابوه لما بلغه الخبر ومرض مرضه الموت قال ابو شامة وعرض شيخنا علم الدين
السخاوي بيده على يدي وقال هو قفل الديار المصرية وقد رايته وهو برج على

على الصدر

في وسط النيل ودمياط بحذايه من شرقيه والجيزة بحذايه على حافة النيل من غربيه وفي ناحيته
المراكب من البحر المالح وفي جمادى الآخرة التقى المعظم والفرنج على الغيمون فنصر الله وقتل
منهم خلقا واسر مايه فارس قال وفيها وصل رسول خوارزم شاه علا الدين محمد بن
تكش الى العادل فبعث في جوابه الخطيب جمال الدين محمد الدولعي والنجم خليل قاضي العسكر
فوصلا الى همذان فوجدا خوارزم شاه قد اندفع من بين يدي الخطا والتتار وقد جاء على
عسكره فسار الى بخارا فاجتمع المذكوران بولده جلال الدين فاخبرهما بوفاة العادل الذي
ارسلهما وكان الخطيب قد استناب ابنه يونس ولم يكن له اهلية فولى الموفق عمر بن خطيب بيت
الابار الى ان تقدم الدولعي وفي رجب اراد الملك المعظم المكوس والخمور وما كان ابوه
ابطله فقيل انه ضمن الخمر بدمشق والحشيش سلمانه درهم قال ابو المظفر فعلت له قد خلفت سيف
الدين غازي ابن اخي نور الدين فانه كذا فعل لما مات نور الدين فاعتذر بقلة المال ودفع
الفرنج ثم سار الى بانياس وراسل الصارم متولي تبنين بان يسلم الحصون فاجابه وخرب
بانياس وتبنين وقد كانت قفلا للبلاد وملجا للعباد واعطى جميع التي كانت لسركس
لاخيه العزيز عثمان وزوجه بابنة سركس واظهر انه ما خرب هذا الا خوفا من استيلا الفرنج
وبعث الكامل اليه يستنجد به وعدى الفرنج الى بر دمياط فاخلا لهم العساكر الخيام فطمعوا
ثم عاد عليهم الكامل فطحنهم وقتل خلقا فعادوا الى دمياط وفيها توفي صاحب الروم
كيكاوس وكان ظالما فاتكا جبارا فاسقا وفيها توفي الملك القاهر عز الدين مسعود
ابن ارسلان بن مسعود بن مودود بن زنكي بن اقسنقر ٥ وفيها عاد السلطان خوارزم شاه
محمد الى نيسابور واقام بها مدة وقد بلغه ان التتار خذلهم الله تعالى قاصدون مملكته ما
ورا النهر وجاءه من جنكزخان رسل وهم محمود الخوارزمي وخواجا علي البخاري ومعهم من
طرف هذا الترك من المسك وغيره والرسالة تشتمل على التهنئة بسلامة خوارزم شاه ويطلب
منه المسالمة والهدنة وقال ان الخان الاعظم يسلم عليك ويقول ليس يخفى علي عظم شانك
وما بلغت من سلطانك ونفوذ حكمك على الاقاليم وانا ارى مسالمتك من جملة الواجبات
وانت عندي مثل اعز اولادي وغير خاف عنك انني ملكت الصين وانت اخبر الناس ببلادي
وانها مثارات العساكر والخيول ومعادن الذهب والفضة وفيها كفاية عن طلب غيرها
فان رايت ان تعقد بيننا المودة وتامر التجار بالسفر لتعم المصلحتين فعلت فاحضر السلطان

خوارزم شاه

حسان
خوارزم شاه محمود الخوارزمي وقال انت منا والينا ولا بد لك من موالاة بيننا ووعده ما لا
ان صدقه واعطاه معضدة مجوهرة نفيسة وشرط عليه ان يكون عينا له على جنكزخان فاجابه
ثم قال له اصدقني احكزخان ملك طمغاج الصين قال نعم فقال ما ترى في المصلحة قال الاتفاق
فاجاب الى ملتمس جنكزخان قال فسر جنكزخان بذلك واستمر الحال على المهادنة الى ان وصل
من بلده تجار وكان خال السلطان خوارزم شاه ينوب على بلاد ما ورا النهر ومعه عشرون
الف فارس فشرهت نفسه الى اموال التجار وكاتب السلطان يقول ان هولا القوم
قد جاوا بزي التجار وما قصدهم الا ان يجسوا البلاد فان اذنت لي فيهم
فاذن له بالاحتياط عليهم فقبض عليهم واصطفى اموالهم فوردت رسل جنكزخان الى خوارزم شاه
يقول انك اعطيت امانك للتجار فغدرت والغدر قبيح وهو من سلطان الاسلام اقبح فان
زعمت ان الذي فعله خالك بغير امرك فسلمه الينا والا سوف تشاهد مني ما تعرفني به
فحصل عند خوارزم شاه من الرعب ما خامر عقله فتجلد وامر بقتل الرسل فقتلوا فيا لها
من حركة لما هدرت من دم ما للاسلام اجرت بكل قطرة سيلا من الدم ثم انه اعتمد من التدبير
الردي لما بلغه مسير جنكزخان اليه انه امر بعمل سور سمرقند ثم شحنها بالرجال فلم تغن
شيا وولت سعادته وقضي الامر **ابو بكر** السلطان الملك العادل سيف الدين والدنيا
ابن الامير نجم الدين ايوب بن شاذي بن يعقوب بن مروان بن الدويني ثم التكريتي ثم الدمشقي
ولد ببعلبك في سنة اربع وثلاثين اذ ابوه نايب عليها للاتابك زنكي والد نور الدين
محمود وهو اصغر من اخيه السلطان صلاح الدين بسنتين وقيل مولده سنة ثمان
وثلاثين وقيل ولد في اول سنة اربعين قال ابو شامة توفي الملك العادل سيف
الدين ابو بكر محمد بن ايوب وهو بكسمه اشهر ومولده ببعلبك وعاش ستا وسبعين سنة
ونشا في خدمة نور الدين مع ابيه واخوته وحضر مع اخيه صلاح الدين يعول عليه كثيرا
واستنابه بمصر مدة ثم اعطاه حلب ثم اخذها منه لولده الظاهر واعطاه الكرك عوضها
ثم حران قال غيره كان افخر الملوك بالملك وملك من بلاد الكرج الى قرب همذان
والشام والجزيرة ومصر والحجاز واليمن الى حضرموت وقد ابطل كثيرا من الظلم والمكوس
وقال ابو المظفر سبط ابن الجوزي امتد ملكه من الكرج الى همذان والجزيرة والشام ومصر
واليمن وكان خليقا بالملك حسن التدبير حليما صفوحا مجاهدا عفيفا دينا متصدقا

امرا بالمعروف ناهيا عن المنكر طهر جميع ولايته من الخمور والخواطي والمكوس والمظالم
كذا قال ابو المظفر والعهدة في هذه المجازفة عليه قال وكان الحاصل من جهة ذلك
بدمشق خصوصا مائتي الف دينار فابطل الجميع لله واعانه على ذلك واليه المعتمد
وفعل في غلا مصر عقيب موت العزيز ما لم يفعله غيره كان يخرج بالليل ومعه الاموال
يفرق فيها ولولاه لمات الناس كلهم وكفن في ملكه لسنة متتابعة الف نفس من الغربا
قلت هذا ضعيف من لا يستحي الله فيما يقوله قال ابن خلكان ولما ملك صلاح الدين حلب
في صفر سنة تسع وسبعين اعطاها للعادل فاستقل اليها في رمضان ثم نزل عنها في
سنة اثنتين وثمانين للملك الظاهر فاعطاه صلاح الدين الكرك وقضاياه مشهورة
مع الافضل والعزيز واخر الامر استقل بمملكة الديار المصرية ودخل القاهرة في ربيع
الاخر سنة ست وتسعين وملك معها البلاد الشامية والشرقية وصفت له الدنيا
ثم ملك اليمن سنة اثني عشر وستمائة وسير اليها ولد ولده الملك المسعود صلاح الدين
يوسف المعروف باقسيس بن الكامل وكان ولده نجم الدين الملك الاوحد ينوب عنه
بميافارقين فاستولى على خلاط وبلاد ارمينية في سنة اربع وستمائة ولما تمهدت له
البلاد قسمها بين اولاده الكامل والمعظم والاشرف وكان عظيم ملكه وجميل سيرته
وحسن عقيدته ووفور دينه وحزمه وميله الى العلما مشهورا وصنف له فخر الدين
الرازي كتاب تاسيس التقديس وسيره اليه من خراسان ولما قسم البلاد بين اولاده
كان يتردد بينهم وينتقل من مملكة الى اخرى وكان الغالب يصيف بالشام ويشتي بالديار
المصرية قال وحاصل الامر انه تمتع من الدنيا ونال منها ما لم ينله غيره قال وولد بدمشق
في المحرم سنة اربعين وقيل سنة ثمان وثلاثين **قلت** ولما افتتح ولده اقليم اذربيجان
فرح العادل فرحا عظيما وسير استاذ داره الدكز وقاضي العسكر نجم الدين خليل الى
الخليفة يطلب التقليد بمصر والشام وخلاط وبلاد الجزيرة فاكرما وارسل اليه الشيخ
شهاب الدين السهروردي بالتشريف ومر بحلب ووعظ بها واحترمه الظاهر وبعث معه
بها الدين بن شداد بثلاثة الاف دينار ليسر بها اذا البس العادل الخلعة ويلقاه العادل
الى القصير وكان يوما مشهودا ثم في الغد افيضت عليه الخلعة وهي جبة سودا بطراز ذهب
وعمامة سودا بطراز ذهب وطوق ذهب فيه جوهر وقلد بسيف محلى جميع قرابه بذهب

وحصان

وحصان اشهب بمركب ذهب وعلم اسود مكتوب فيه بالبياض القاب الناصر لدين
الله ثم خلع السهروردي على المعظم والاشرف لكل واحد عمامة سودا وثوب اسود
واسع الكم وخلع على الصاحب بن شكر كذلك ونثرا الذهب من رسل صاحب حلب
وحماه وحمص وغيرهم وركب الاربعة بالخلع ثم عادوا الى القلعة وقرا ابن شكر التقليد
على كرسي وخوطب العادل شاهنشاه ملك الملوك خليل امير المومنين ثم توجه السهروردي
الى مصر وخلع على الكامل وفيها امر السلطان بعمارة قلعة دمشق والزم كل واحد
من ملوك اهل بيته بعمارة برج اعني في سنة اربع وستمائة وقال الموفق عبد اللطيف في سيرة
العادل كان اصغر الاخوة واطولهم عمرا واعمقهم فكرا وانظرهم في العواقب واشدهم
امساكا واجمعهم للدرهم وكان فيه حلم واناة وصبر على الشدايد وكان سعيد الجد
عالي الكعب مظفرا بالاعدا من قبل السما وكان اكولا نهما يحب الطعام واختلاف
الوانه وكان اكثر اكله في الليل كالخيل وله عندما ينام رضيع ويأكل رطلا بالدمشقي
خبيص السكر يجعل هذا كالجوارشن وكان كثير الصلاة ويصوم الخميس وله صدقات
في كثير من الاوقات وخاصة عندما تنزل به الافات وكان كريما على الطعام يحب من
يواكله وكان قليل الامراض قال لي طبيبه بمصر اني اكل خبز هذا السلطان سنين
كثيرة ولم يحتج الى سوى يوم واحد احضر اليه من البطيخ اربعون حملا فكسر الجميع بيده
وبالغ في الاكل منه ومن الفواكه والاطعمة فعرضت له تخمة فاصبح فاشير عليه بشرب الما
الحار وان يركب طويلا ففعل واخر النهار تعشى وعاد الى صحته وكان يلحظ كثيرا من
امنا السراري وكان غيورا لا يدخل داره خصي الا دون البلوغ وكان يحب ان يطبخ لنفسه
مع ان في كل دار من دور حظاياه مطبخ دايرا وكان عفيف الفرج لا يعرف له نظر الى غير
حلايله يحب له اولاد من الذكور والاناث سلطن الذكور وزوج البنات بملوك الاطراف
احسن ما جرى من ذلك بعد وفاته ان ملك الروم كيقباذ خطب الى الملك الكامل اخته و
احتفل احتفالا شديدا واجتمع في العرس ملوك وملكات وكان العادل قد اوقع
الله بغضته في قلوب رعاياه والمحبة عليه في قلوب جنده وعملوا على قتله اصنافا من
الحيل الدقيقة مرات كثيرة وعندما يقال ان الحيلة قد تمت ينفسخ وينكشف ويحسم موادها
ولولا اولاده يتولون بلاده لما انتسق ملكه على اخيه صلاح الدين فانه انما حفظ ملكه

بالمحبة له وحسن الطاعة ولم يكن رحمه الله بالمنزلة المكروهة وانما كان الناس قد اعتادوا دولة
صلاح الدين واولاده فتغيرت عليهم العادة دفعة واحدة ثم ان وزيره ابن شكر بالغ
في الظلم ومن سياسته الجميلة انه كان يعرف حق الصحبة ولا يتغير على اصحابه ولا يحجبهم
وهم عنده في حظوة وكان يواظب على ما كان ابوه صلاح الدين يكون اول داخل واخر
خارج وبهذا اجلبه يكاد يشاورون في امور الدولة لما جرب من نفوذ رايه ولما تسلطن الافضل
بدمشق والعزيز بمصر قصد العزيز دمشق وحاصرها وداق جنده عليها شدايد فرحل
عنها ثم حاصرها نوبة ثانية ومنعه عمه العادل فاخذها وعوض الافضل بصرخد ولم
يزل العادل يعمل في الذروة والسنام حتى اقطعه العزيز دمشق وهي السبب في ان
تملك البلاد كلها واعطى ابن النحاج يعني كاتب الجيش لما جاءه بمنشورها الف دينار
ثم اخذ بدقيق الحيلة حتى استنسر العزيز على مصر ويقيم هو بدمشق يمنع في شانيهما
فعظم بعض اصحابه ورمى بالمستوفية بين يديه وقال الم يكفك انك اعطيته دمشق حتى تعطيه
مصر فنهض العزيز لوقته على غرة ولحق بمصر ثم شغب الجند وجرت امور الى ان اجتمع الافضل
والعادل وقصدا مصر وخامر جميع الاجناد على الملك العزيز وصاروا الى الافضل
والعادل حتى ملكا مصر والقاهرة منهم وتهدمت دولة العزيز ثم اصبحت وقد عادت
احسن مما كانت وصار معه كل من كان عليه ورجع الملك العادل في خدمته ورد الافضل
الى الشام ثم ان العادل توجه الى الشام وحشد وعبر الفرات ونازل قلعة ماردين
وحاصرها وبذل الاموال واخذ الربض ثم ان الملك الافضل وجد فرصة ونزل هو
واخوه الملك الظاهر صاحب حلب على دمشق يوم الثلثا فاصبح الملك العادل داخلها
من ابواب دمشق فانقطعت قلوبهم وتحيروا متى وصل وكان لما سمع بنزولهم اسباب
ابنه الكامل وساق على النجايب في البرية ولحق بدمشق قبل نزولهم بليلة ومع هذا فضايقوه
وكان اكثر اهل المدينة معهم عليه الى ان اختلف الاخوان ايهما يملكها وتنافسا وتقاطعا
ورحل الملك الظاهر وضعف الافضل ورحل وبلغت نفقة العادل عليها وعلى ماردين
الف الف دينار وسعد العادل باولاده فمن ذلك امر خلاط شاه ارمن ملك مملوكه
بكتمر ومات بعد صلاح الدين بنحو شهرين قتلته الملاحدة وملك بعده هزاردينارى مملوكه
وبقي قليلا ومات وتملك بعده ولد بكتمر وكان جميل الصورة حديث السن فاجتمع اليه

الاراذل

الاراذل يفسدون وحسنوا له طريقهم فقتل الاخيار وملكوا عليهم بلبان مملوك شاه
ارمن وقتل ولد بكتمر او حبسه وكانت اخته ست بكتمر متزوجة بالملك المغيث طغريل
ابن قلج ارسلان صاحب ارزن الروم وبين بلبان والمغيث معاقدة ومعاضدة ولابن بكتمر
جماعة يهوونه فكاتبوا الملك الاوحد بن العادل صاحب ميافارقين فقصد خلاط فسار
المغيث لينصر بلبان فانكف الاوحد وطمع المغيث في خلاط فاغتال بلبان فقتله ابن حوبار
وسلم المغيث خلاط فحصل له من اهلها غير ذعر ملكهم فمنعوه ثم انه قبض بيده على الحساب
المتني الصعاب وقال له بعض الامرا ابذل قدر الف دينار وانا الضامن حصول البلد
قال اخاف ان لا يحصل ويضيع مالي فعلموا انه صغير الهمة فنفروا عنه وكاتبوا الاوحد
فجا وملكها ثم احتلموا عليه وتكثروا فبذل فيهم السيف فانهزم طايفة قال الموفق فقال لي
بعض خواصه انه قتل في مدة يسيرة ثمانية عشر الف نفس من الخواص وكان يقتلهم ليلا بيده
ويلقون في الابار وما لبث الا قليلا واختل عقله ومات وتوهم ابوه انه جن فسير اليه
ابن زيد المعزم وصدقة الطبيب من دمشق وتملك خلاط بعده اخوه الاشرف ومات
الظاهر قبله بسنتين فلم يهني الملك بعده وكان كل واحد منهما يستطر موت الاخر فلم
يصف له العيش لامراض لزمته بعد طول الصحة والخوف من الفرنج بعد طول الامن وخرجوا
الى عكا وتجمعوا على الغور فنزل العادل قبالتهم على بيسان وخفي عليه ان نزل على عقبة
فيق وكانوا قد هدموا قلعة كوكب وكانت ظهرهم ولم يقبل من الجواسيس ما اخبروه بما
عزم عليه الفرنج من الغارة فاغتر بما عودته المقادير من طول السلامة فغشيت الفرنج عسكره
على غرة وكان قد اوى اليهم خلق من البلاد يعتصمون به فركب منجدا ورماح الفرنج في اثره
حتى وصل دمشق على شفا وهم بدخولها فمنعه المعتمد وشجعه وقال المصلحة ان تقيم
بظاهر دمشق واما الفرنج فاعتقدوا ان هزيمته مكيدة فرجعوا من قرب دمشق بعد
ما عاثوا في البلاد فسادا واسروا وعادوا الى بلادهم وقصدوا دمياط في البحر فنازلوها
وكان قد عرض له قبل ذلك ضعف ورعشة وصار يعتريه ورم الانثيين فلما هزم من الجبل على
خلاف العادة ودخله الرعب لم يستقل الا مدة يسيرة ومات بظاهر دمشق وكان مع حرصه
يبذل المال عند الشدايد على يد الاهانة وبذله وشرع في بنا قلعة دمشق فقسم ابراجها
على امرايه واولاده وكان الحفارون يحفرون الخندق ويقطعون الحجارة تخرج من تحته

حرة بيرتها ما معيش ومن نوادره ان عمرا العما قد بلغه ان شاهدا شهد على القاضي
زكي الدين الطاهر بقضية مزورة فتكلم عمر في الشاهد وجرحه فبلغ العادل فقال من
عادة عمر الجرح والتوصاص فقال اللهم حاسبني حسابا يسيرا فقال رجل ما حضر له
يا مولانا ان الله قد يسر حسابك قال وبلك وكيف ذلك قال اذا حاسبك فقل له
المال كله في قلعة جعبر لم اوخذ منه في قليل ولا كثير وقد كانت خزائنه بالكرك ثم نقلها
الى قلعة جعبر وبها ولده الملك الحافظ فسول له بعض اصحابه الطمع فيها فاخذها
الملك العادل ونقلها الى قلعة دمشق فحصلت في قبضة المعظم فلم ينازعه فيها اخوته
وقيل ان المعظم هو الذي سول لاخيه الحافظ الطمع والعصيان ففعل ولم يفطن انها مكيدة
ليرجع الاموال اليه ثم انه اخرج نصارى اهل دمشق واستصفى اموالهم وجيلهم وشرع
تضع على املاك دمشق القطايع والخراجات الثقيلة الخمس على البساتين والثمن على
الملك درهات قرات بخط الكندي في تذكرته لشرف الدين بن فضل الله عنه انه عشر
بدمشق والذي ان القاضي بها الدين ابرهيم بن ابي اليسر حدثه قال بعثني الملك العادل
رسولا الى علا الدين سلطان الروم فبالغ في اكرامي فجرى ذكر الكيميا فانكرتها فقال ما
احدثك الا ما تم لي وقف لي رجل مغربي فسلم علي فكلمني في هذا فاخذته وطلبت منه اصنافا فا
عبثها فشرع يعمل فعمل لي ذهبا كثيرا حتى اذهلني ثم بعد مدة طلب مني اذنا في السفر فابيت
فالح حتى غضبت وكدت اقتله وهددته وجذبت السيف فقال ولا بد ثم صفق بيديه وطار
وخرج من هذا الشباك فهذا رجل صح معه الكيميا والسيميا قلت وقد سمع من ابي
طاهر السلفي وغيره وحدث روى عنه ابنه الملك الصالح اسمعيل والشهاب القوصي وابو بكر
ابن النشبي وكان له ستة عشر ولدا وهم شمس الدين مودود والد الملك الجواد والملك
الكامل محمد والملك المعظم عيسى والملك الاشرف موسى والملك الاوحد ايوب والملك
الفايز ابرهيم والملك شهاب الدين غازي والملك العزيز عثمان والملك الامجد حسن
والملك الحافظ ارسلان والملك الصالح اسمعيل والملك المغيث عمر والملك القاهر
اسحق ومجير الدين يعقوب وتقي الدين عباس وقطب الدين احمد وخليل وكان له
عدة بنات فمات في ايامه شمس الدين مودود ويقال مودود والمغيث عمر وخلف ولدا
لقب باسم ابيه وهو المغيث محمود بن عمر وكان من احسن اهل زمانه رباه عمه المعظم ومات

سنة

سنة ثلثين وستمايه ومات منهم في حياته الملك الامجد ودفن بالقدس ثم نقل فدفن
جوار الشهدا بموته من عمل الكرك واخر اولاده وفاة عباس وهو اصغر الاولاد توفي الى
سنة تسع وستين وستمايه وكان مولده في سنة ثلاث وستمايه وقد روى الحديث
وكان العادل اخر افراد العالم وتوفي في سابع جمادى الاخرة بعالقين منزله بقرب
دمشق فكتموا الى الملك المعظم ابنه وكان بنابلس فجا في ليله وانى قصره وصبره
في محفة وجعل عنده خادما يروح عليه ودخلوا به قلعة دمشق والدولبا يونا الى
المحفة وسجفها مرفوعة يعني انه مريض فيقبلون الارض فلما صار بالقلعة اظهروا
موته ودفن بالقلعة ثم نقل الى تربته ومدرسته في سنة تسع عشرة قال ابو المظفر بن
الجوزي دخلوا به القلعة ولم يجدوا له كفنا في تلك الحال فاخذوا عمامة وزيره النجيب بن
فارس فكفنوه بها واخرجوا قطنا من مخده ولم يقدروا على فاس فسرق كريم الدين فاسا
من الخندق فحفروا له في القلعة سرا وصلى عليه ابن فارس قال وكنت قاعدا بجنب المعظم
وهو واجم ولم اعلم بحاله فلما دفن ابوه قام قايما وشق ثيابه ولطم على وجهه وعمل العزا
ولما دخل رجب زرد المعظم المكوس والخمور وما كان ابطله ابوه فقلت له قد خلفت
سيف الدين غازي بن اخي نور الدين فانه كذا فعل لما مات نور الدين فاعتذر بقلة
المال وبالفرنج ثم سار الى بانياس وراسل الصارم وهو بتبنين في تسليم الحصون
فاجابه وخرب بانياس وتبنين وكانت قفلا للبلاد واعطى جميع البلاد التي كانت
لسركس لاخيه الملك العزيز عثمان وزوجه بابنة سركس سنة ست عشرة وستمايه
فيها وصل الخبر بانفصال السلطان خوارزم شاه عن جيحون فاضطرب مدينة خوارزم
وملكت خاتون والدة السلطان وامرت بقتل من كان معتقلا بخوارزم من الملوك وكان
بها نحو عشرين ملكا وخرجت من خوارزم ومعها حرم السلطان وحرمه وساقت الى قلعة
ايلال بمازندران ثم اسرت واما السلطان فانه لم يزل منهزما الى ان قدم نيسابور ولم
يقم بها الا ساعة واحدة وعاد الى نسا ثم ساق الى ان وصل الى مرج همدان ومعه
نحو عشرين الفا ولم يشعر الا وقد احدق به العدو وقاتلهم بنفسه وشمل
القتل كل من كان معه ونجا في نفر يسير الى الجبل ثم منها الى الاستدار وهي امنع
ناحية في مازندران ثم سار الى خانه البحر واقام بقرية بنود المسجد ويصلي فيه اماما ويقرا

الغزاة وبكى فلم يلبث في كبسة الشاد هرب وركب في مركب فوقع فيه النشاب وخاض
خلفه طايفة فصدمهم عموا الماء عن حوقه فبقي في لجة ولحقه علة ذات الجنب فقال سبحان الله
ملك الملوك لم يسع لنا من ملكنا مع سعتها قدر ذراعين يدفن فيها ثم عبروا ابا او الى الابعاد
فلما وصل الى الجزيرة التي هناك اقام بها طريدا وحيدا والمرض يزداد به ثم مات وكفن في
شاش فراش كان معه في سنة سبع عشرة وفي اول السنة اخرب المعظم اسوار القدس خوفا
من استيلا الفرنج عليه وقد كان قد وقف على اتم العمارة واحسن الاحوال وكثرة السكان
قال ابو المظفر كان المعظم قد توجه الى اخيه الكامل الى دمياط والكشف عنها وبلغه
ان طايفة من الفرنج على عزم القدس فاتفق هو والامرا على تخريبه وقالوا قد خلا الشام من
العساكر فلو اخذته الفرنج حكموا على الشام وكان بالقدس اخوه الملك العزيز وعز
الدين ايبك استاد دار فكتب المعظم اليهما بامرهما بخرابه فتوقفا وقالا نحن نحفظه فاعادها
امره وكد بخرابه فشرعوا في الخراب في اول المحرم ووقع في البلد صيحة وخرج الرجال والنسا
الى الصخرة فقطعوا شعورهم ومزقوا ثيابهم وخرجوا هاربين وتركوا اثقالهم وما
شكوا ان الفرنج تصبحهم وامتلات بهم الطرقات فبعضهم قصد مصر وبعضهم الى الكرك
وبعضهم الى دمشق وهلكت البنات من الحفا ومات خلق من الجوع والعطش ونهب ما
في البلد وبيع الشي بعشر ثمنه حتى ابيع قنطار الزيت بعشرة دراهم ورطل النحاس بنصف درهم
وعلى هذا النمط وذم الشعرا المعظم وقال واحد رجب حلل المحرم وخرب القدس في المحرم
وقال مجد الدين محمد بن عبد الله قاضي الطور   مررت على القدس الشريف مسلما على ما تبقى من ربوع كانجم
ففاضت دموع العين مني صبابة على ما مضى في عصرنا المتقدم   وقد رام علج ان يعفي رسومه
وشمر عن كفي لئيم مذمم   فقلت له شلت يمينك خلها لمعتبر او سائل او مسلم
فلو كان يفدى بالنفوس فديته وهذا صحيح الظن في كل مسلم   قال ابن الاثير لما ملكت
الفرنج برج السلسلة قطعوا السلاسل لتدخل مراكبهم في النيل ويتحكمون في البر فنصب
الملك الكامل عوض السلاسل جسرا عظيما فقاتلوا عليه قتالا شديدا حتى قطعوه فاخذ
الكامل عدة مراكب كبارا وملاها حجارة وغرقها في النيل فمنعت المراكب من سلوك النيل
فقصدت الفرنج خليجا يعرف بالازرق كان النيل يجري قديما عليه فحفروا وعمقوه واجروا الماء
فيه واصعدوا مراكبهم فيه الى بورة فلما صاروا في بورة حاذوا الملك الكامل وقاتلوه في الماء

ورجعوا اليه غير مرة واما دمياط فلم يتغير على اهلها شي لان الميرة متصلة بهم والنيل يحجز بينهم
وابوابها مفتحة فاتفق موت الملك العادل فضعفت النفوس وكان عماد الدين احمد
ابن المشطوب اكبر امير بمصر والامرا ينقادون له فاتفق مع جماعة وارادوا ان يخلع الكامل
ويملك اخيه الفايز فبلغ الخبر الكامل ففارق المنزل ليلا ففارق منزله ليلا وسار الى
قرية اشموم فاصبح العسكر وقد فقدوا سلطانهم فلم يقف الاخ على اخيه وتركوا اثقالهم
وعبرت الفرنج النيل الى بر دمياط امنين في ذي القعدة وحازوا المعسكر بما فيه وكان شيئا
عظيما فملكه الفرنج بلا تعب ثم لطف الله ووصل المعظم بعد هذا بيومين والناس في امر مريج
فقوي قلب اخيه وثبته واخرجوا ابن المشطوب الى الشام واما العربان فتجمعت وعاثت
فكانوا اشد على المسلمين من الفرنج قال واحاط الفرنج بدمياط وقاتلوها برا وبحرا وعملوا
عليهم خندقا يمنعهم وهذه عادتهم وادامو القتال واشتد الامر على اهلها وتعذرت
عليهم الاقوات وغيرها وسئموا القتال لان الفرنج كانوا يتناوبون القتال عليهم لكثرتهم
ولم يكن بدمياط من الكثرة ما يجعلون القتال عليهم بالنوبة ومع هذا فصبروا وصبرا لم يسمع
بمثله وكثر القتل فيهم والجراح والموت ودام الحصار عليهم الى السابع والعشرين من شعبان
من سنة ست عشرة فعجز من بقي بها عن الحفظ لقلتهم وتعذر القوت عليهم فسلموا بالامان
واقام طايفة عجزوا عن الحركة وبث الفرنج سراياهم ينهبون ويقتلون وشرعوا في تحصين
دمياط وقال العز في ذلك وبقي الكامل في اطراف بلاده يحميها ولما ملك الفرنج دمياط
فانثالوا اليها من كل فج عميق واصبحت دار هجرتهم وخاف الناس كافة من الفرنج بعد فتح دمياط
واشرف الاسلام على خطة خسف اقبل التتار من المشرق واقبل الفرنج من المغرب واراد
اهل مصر الجلا عنها فمنعهم الكامل وتابع كتبه على اخويه المعظم والاشرف يحثهما على الحضور
وكان الاشرف مشغولا بما دهمه من اختلاف الكلمة عليه ببلاده عند موت القاهر صاحب
الموصل وبقي الكامل مدة طويلة مرابطا في مقابلة الفرنج الى سنة ثمان عشرة فنجده الاشرف
وكان الفرنج قد ساروا من دمياط وقصدوا الكامل ونزلوا مقابله وبينهما بحر اشموم وهو
خليج من النيل وبقوا يرمون بالمنجنيق والجرخ الى عسكر المسلمين وقد تيقنوا هم وكل
الناس انهم يملكون الديار المصرية واما الكامل فتلقى الاشرف وسر بقدومه وسار المعظم
فقصد دمياط واتفق الاشرف والكامل على قتال الفرنج وتقربوا وتقدمت شواني المسلمين

فقاتلت شواني الفرنج واخذوا للفرنج ثلاث قطع بما فيها فقويت النفوس وترددت الرسل في
الصلح وبذل المسلمون لهم تسليم بيت المقدس وعسقلان وطبرية وصيدا وجبلة واللاذقية
وجميع ما فتحه صلاح الدين رحمه الله سوى الكرك فلم يرضوا وطلبوا ثلثماية الف دينار عوضا
عن تخريب بيت المقدس ليعمروه بها فلم يتم امر وقالوا لا بد من الكرك فاضطر المسلمون الى قتالهم
وكان الفرنج لاعتدادهم في نفوسهم لم يستصحبوا معهم ما يقوتهم عدة ايام ظنا منهم ان العساكر
الاسلامية لا تقوم لهم وان القرى تبقى بايديهم وتكفيهم فعبر طايفة من المسلمين الى الارض التي
عليها الفرنج ففجروا النيل فركب اكثر تلك الارض ولم يبق للفرنج جهة يسلكونها غير جهة
واحدة ضيقة فنصب الكامل الجسور على النيل وعبرت العساكر فملكوا الطريق التي يسلكها
الفرنج الى دمياط ولم يبق لهم خلاص ووصل اليهم مركب كبير وحوله عدة حراقات فوقع
عليها شواني المسلمين فظفر المسلمون بذلك كله فسقط في ايدي الفرنج واحاطت بهم عساكر
المسلمين واشتد عليهم الامر فاحرقوا خيامهم ومجانيقهم واثقالهم وارادوا الزحف الى
المسلمين فعجزوا وذلوا فراسلوا الكامل يطلبون الامان ليسلموا دمياط بلا عوض فبينما الرسل
مترددة اذ اقبل جمع كبير لهم رهج شديد وجلبة عظيمة من جهة دمياط فظنه المسلمون نجدة
للفرنج فاذا به الملك المعظم فخذل الفرنج لعنهم الله وسلموا دمياط واستقرت القاعدة
في سابع رجب سنة ثمان عشرة وتسلمها المسلمون بعد يومين وكان يوما مشهودا ولما دخلها
العسكر راوها حصينة قد بالغ الفرنج في تحصينها بحيث بقيت لا ترام فلله الحمد على ما
انعم به وهذا كله ساقه ابن الاثير رحمه الله مفصلا في سنة اربع عشرة وقال غيره
وهو سعد الدين مسعود بن حمويه فلما انتظم امر الصلح جلس السلطان في خيمته وحضر
عنده الملوك فكان على يمين السلطان صاحب حمص الملك المجاهد ودونه الملك الاشرف
شاه ارمن ودونه الملك المعظم عيسى ودونه صاحب حماه ودونه الحافظ صاحب جعبر
ومقدم بجند حلب ومقدم بجند الموصل ومقدم بجند ماردين ومقدم بجند اربل ومقدم
عسكر ميافارقين وكان على يساره نايب الباب وصاحب عكا وصاحب قبرص وصاحب
طرابلس وصاحب صيدا وعشرون من الكنود لهم قلاع في المغرب ومقدم الداوية ومقدم
الاسبتار وكان يوما مشهودا ورتب السلطان على بعضهم وكان يحمل اليهم في كل يوم خمسين الف
رغيف ومايتي اردب شعير وكانوا يبيعون عندهم بالخبز ثمانا لهم من الجوع فلما سلموا دمياط

اطلق

اطلق السلطان رهاينهم وبقي صاحب عكا حتى يطلقوا رهاين السلطان فابطاوا وركب السلطان
ومعه صاحب عكا وكان خلفه هايلة فاخرج السلطان من صدر قباه صليب الصلبوت الذي
كان صلاح الدين اخذه من خزاين خلفاء مصر فلما راه صاحب عكا رمى بنفسه الى الارض وشكر
السلطان وقال هذا عندنا اعظم من دمياط قال له السلطان خذ هذا فكان عندي واركب
في مركب ورح بعد رهاينه فلم يفعل وبعث الصليب مع قسيس وحكى بعضهم قال في شعبان
احدث الفرنج دمياط وكان المعظم قد جهز اليها ناهض الدين بن الحرجي في جماعة راجل يحملو
على الخنادق وقتل الناهض ومن كان معه وضعف اهل دمياط المساكين ووقع فيهم الوبا والغلا
وعجز الملك الكامل عن نصرتهم فسلموها بالامان وفتحوا للفرنج فغدروا لعنهم الله وقتلوا
واسروا وجعلوا الجامع كنيسة وبعثوا بالمصاحف ورؤوس القتلى الى الجزاير وكان بدمياط
الشيخ ابو الحسن بن قفل الزاهد صاحب زاوية فما تعرضوا له قال ابو شامة انا رايته بدمياط
سنة ثمان وعشرين وبلغ الكامل والمعظم فبكيا بكاء شديدا وقال الكامل للمعظم ما لك مقام
ما يفيد فامض الى الشام وشوش خواطر الفرنج واجمع العساكر من الشرق قال ابن واصل في اخذ
دمياط وحين جرى هذا الامر الفظيع ابتنى الملك الكامل مدينة وسماها المنصورة عند مفترق
البحرين الآخذ احدهما الى دمياط والآخر الى اشموم ومصبه في بحيرة تنيس ثم نزلها الجيش
وبنى عليها سورا وذكر ابن واصل ان تملك الفرنج دمياط كان في عاشر رمضان قال ابو
المظفر وكتب الي المعظم وانا بدمشق ان يحرض الناس على الجهاد ويقول اني كشفت ضياع
الشام فوجدتها الفي قرية منها الف وستماية قرية املاك لاهلها واربعماية سلطانية
وكم مقدار ما يقيم هذه الاربعماية من العساكر فاريد ان تخرج الدماشقة ليبذلوا اعراضهم كلهم
فقرات عليهم كتابه في الميعاد فتقاعدوا وكان تقاعدهم سببا لاخذ الخمس والثمن من
اموالهم وكتب الي اذا لم يخرجوا فسر انت الى الساحل وقد نزل على قيسارية
فاقمنا في اسبوعها عنوة ثم نزل على حصن الثغر فافتتحه وهدمه وقدم دمشق وفيها
البس الملك المعظم قاضي القضاة زكي الدين الطاهر القبا والكلوته بمجلس الحكم بداره
قال ابو المظفر كان في قلب المعظم منه حزازات كان يمنعه من اظهارها حياؤه من ابيه وكان يشكوا
الي مرارا ومرضت ست الشام عمة المعظم وكانت اوصت بدارها مدرسة فاحضرت القاضي

المذكور والشهود وأوصت إلى القاضي وبلغ ذلك المعظم فعز عليه وقال يحضر إلى دار
عمتي بغير إذني وسمع كلامها ثم اتفق أن القاضي حضر جابي العزيزية وطلب منه حسابا
فأغلظ له فأمر بضربه فضرب بين يديه كما يفعل الولاة فوجد المعظم سبيلا إلى إظهار ما
في نفسه وكان الجمال المصري وكيل بيت المال عدوا للقاضي فجاء فجلس عند القاضي والشهود
حاضرون فبعث القاضي بقجة فيها قباء وكلوتة وأمر أن يحكم بها بين الناس فقام من خوفه
فلبسهما وحكم بين اثنين قال أبو شامة حكى لي مدرسة هو السديد سالم بن عبد الرزاق خطيب
عقربا وجاء الذي ألبسه الخلعة إلى عند شيخنا السخاوي فتناوله الشيخ وضرب بيده على
الأخرى فكان مما حكى أن قال أمرني السلطان أن أقول له السلطان يسلم عليك ويقول لك
الخليفة سلام الله عليه إذا أراد أن يشرف واحدا خلع عليه من ملابسه ونحن نسلك طريقته وفتحت
البقجة فلما رآها وجم فأمرته بترك التوقف بين يديه ووضع القباء على كتفيه ووضع عمامته وحط
الكلوتة على رأسه ثم قام ودخل بيته قال أبو شامة ومن لطف الله به أن كان المجلس في داره
ثم لزم بيته ولم تطل حياته بعدها ومات في صفر سنة سبع عشرة رمى قطعا من كبده وتأسف
الناس لما جرى عليه وكان يحب أهل الخير ويزور الصالحين وكان بقي نوابه يحكمون بين الناس
ابن الشيرازي وابن سني الدولة وشرف الدين بن الموصلي الحنفي كان يحكم بالطرخانية بجيرون
ثم بعد مدة أضيف إليهم الجمال المصري وقال أبو المظفر كانت واقعة قبيحة ولقد قلت له
يوما ما فعلت هذا إلا بصاحب الشرع ولقد وجب عليك دية القاضي فقال هو أحوجني
إلى هذا ولقد ندمت واتفق أن المعظم بعث إلى الشرف ابن عنين حين تزهد خمرا
ونردا وقال سبح بهذا فكتب إليه يا أيها الملك المعظم سنة أحدثتها تبقى على الآباد
تجري الملوك على طريقك بعدها خلع القضاة وتحفة الزهاد سنة سبع عشرة
وستمائة فيها قصد مظفر الدين صاحب إربل الموصل فخرج إليه بدر الدين لؤلؤ فكسره
مظفر الدين وأفلت لؤلؤ وحده ونازل مظفر الدين الموصل فجاء الملك الأشرف من حران
نجدة للؤلؤ ثم وقع الصلح وفيها كانت فتنة ابن المشطوب لما كان المعظم بديار مصر
عام أول بلغه أن الملك الفائز أخاه قد اتفق مع الأمير عماد الدين بن المشطوب أحد الأمراء
الكبار على أخيه الكامل وقد استحلف للفائز العساكر فعرف الكامل فرحل إلى أشموم وهم

بالتوجه

بالتوجه إلى اليمن وتشوش من البلاد فقال له المعظم لا بأس عليك وركب وجاء إلى خيمة ابن
المشطوب فخرج إلى خدمته بغير خف وركب معه فسير معه فأبعده وقال أخي الأشرف قد
طلبك فسر إليه مسرعا فقال ما معي نفقة ولا غلماني فوكل به جماعة وقال هؤلاء في خدمتك
وأعطاه نفقة جمة مائة دينار وقال كل شيء تريد يلحقك في الحال فسار وجهز المعظم جميع
أحواله خلفه ثم رجع إلى مخيمه فجاء الكامل إليه وقبل الأرض بين يديه وأما الفائز فخاف خوفا
عظيما واجتاز ابن المشطوب على دمشق وحماة وعدى الفرات إلى الأشرف فتلقاه وأكرمه
فصار يركب بالشابة ويعمل له موكبا كالأشرف فأعطاه أرجيش فتجبر وطغى وخامر على
الأشرف وطلع إلى ماردين ثم قصد سنجار في هذه السنة وساعده صاحب ماردين
فسار لحربه الملك الأشرف فدخل ابن المشطوب إلى تلعفر فأنزله بدر الدين لؤلؤ صاحب
الموصل بالأمان وحمله معه إلى الموصل ثم قيده وبعث به إلى الأشرف فألقاه في الجب
فمات بالقمل والجوع وكان عماد الدين بن نور الدين صاحب قرقيسيا مع الأشرف فكاتب
ابن المشطوب فعلم الأشرف فحبسه وبعث به مع العلم قيصر المعروف بتعاسيف إلى قرقيسيا
وعانة فعلقه تحت العلقتين وعذبه وسلم تعاسيف جميع بلاده وأراد الأشرف أن يرميه
في الجب فشفع فيه الملك المعظم فأطلقه فسار إلى دمشق فأحسن إليه المعظم واشترى
لسانه بن حموش من نواحي العقيبة وبنى فيه قبة وأقام به إلى أن مات ودفن بالقبة وهي
على الطريق في آخر عمارة العقيبة من شماليها بغرب وفيها تزوج الأخوان المنصور إبراهيم
والمسعود أحمد ابنا أسد الدين بابنتي الملك العادل لأخيه الصالح إسماعيل لأبويه وتزوج
أخوهما يعقوب بابنة المعظم وتزوج عمر بن المعظم بابنة أسد الدين ومهر كل منهن ثلاثون ألف دينار
ودرس بالعزيزية القاضي ابن الشيرازي وفيها عمل عزاء الشيخ الشيوخ بن حمويه بجامع دمشق
فتكلم واعظ وأنشد أبيات ابن سينا هبطت إليك من المحل الأرفع فأنكر القاضي الجمال
المصري وقال هذه الأبيات قول زنديق وأمر بالنزول فتعصب له جماعة فتم ونزل وشكى
المتهم العصبية بعد أن جذبت سكاكين ثم عزل ابن الشيرازي من العزيزية بالأمرية وفيها قتل صاحب
سنجار أخاه فسار الملك الأشرف إليها فأخذها وعوض صاحبها الرقة فنزل من سنجار بأهله وهو
آخر ملوك البيت الأتابكي ومدة ملكهم أربع وتسعون سنة ومات بعد أن تسلم الرقة بقليل وانقصف
شبابه ولم يمتع بعد قتل أخيه وفي رجب كانت وقعة البرلس وكانت وقعة هائلة بين

الفرنج والكامل فقتل الكامل منهم عشرة آلاف واخذ غنايمهم وخيلهم وانهزموا الى دمياط
وفيها عزل المعظم عن ولاية دمشق وولي العزيز خليل وحج فيها المعظم بالركب وحج
ركب بغداد امير الناصري فقتل بمكة وعاد ركب العراق مع الشاميين وكان نايب اقباش
يقلبه بامرة مكة لحسن بن قتاده ابن ادريس لان اباه مات في وسط العام فجاء بعرفات
راجح اخو حسن وقال انا اكبر ولد قتاده فولني وظن حسن ان اقباش قد ولى راجحا فغلق
مكة بوجه اقباش فشبكه وركب يسكن الفتنة ويصلح بين الاخوين فبرز عبيد حسن يقاتلونه
فقال ما قصدي القتال فلم يلتفتوا اليه وثاروا به فانهزم اصحابه وبقي وحده فجا عبد فعرقب
فرسه فوقع فقتلوه وحملوا راسه على رمح فنصب بالمسعى وارادوا نهب العراقيين فقام
المعظم في الامر وخوف الحسن من الكامل والمعظم وكان اقباش قد اشتراه الناصر لدين الله
وهو امرد بخمسة الاف دينار ولم يكن بالعراق احسن منه صورة وكان عاقلا متواضعا
وحزن عليه الخليفة   خروج التتار قال ابو المظفر سبط ابن الجوزي كان اول
ظهورهم بما وراء النهر سنة خمس عشرة فاخذوا بخارى وسمرقند وقتلوا اهلها وحاصروا
خوارزم شاه ثم بعد ذلك عبروا النهر وجد والخطا فكسروا خوارزم شاه فانضم اليهم
الخطا وصاروا اتباعا لهم وكان خوارزم شاه قد ابا الملوك من مدن خراسان فلم يعد التتار
احدا في وجههم فطووا البلاد قتلا واسرا وساقوا الى ان وصلوا همذان وقزوين في
هذه السنة وتوجهوا الى اذربيجان وقال ابن الاثير بقيت عدة سنين معرضا عن
ذكر هذه الحادثة استعظاما لها كارها لذكرها اقدم رجلا واوخر اخرى فمن الذي
يسهل عليه ان يكتب نعي الاسلام فياليت امي لم تلدني وياليتني مت قبل حدوثها حتى جماعة
على تسطيرها فنقول هذا الفصل يتضمن ذكر الحادثة العظمى والمصيبة الكبرى التي عقمت
الدهور عن مثلها عمت الخلائق وخصت المسلمين فلو قال القايل ان العالم منذ خلقه الله
الى الآن لم يبتلوا بمثلها لكان صادقا فان التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ومن اعظم ما يذكرون
فعل بخت نصر ببني اسرائيل بالبيت المقدس وما البيت المقدس بالنسبة الى ما خرب هولاء
الملاعين وما بنو اسرائيل بالنسبة الى ما قتلوا فهذه الحادثة التي استطار شررها وعم
ضررها وسارت في البلاد كالسحاب استدبرته الريح فان قوما خرجوا من اطراف الصين
فقصدوا بلاد تركستان مثل كاشغر وبلاساغون ثم منها الى بخارا وسمرقند فيملكونها

ويفعلون

ويفعلون باهلها ما نذكره ثم تعبر طايفة منهم الى خراسان فيفرغون منها ملكا وتخريبا
وقتلا وابادة الى الري وهمذان الى حد العراق ثم يقصدون اذربيجان ونواحيها ويخربونها
ويستبيحونها في اقل من سنة امر لم يسمع بمثله ثم ساروا من اذربيجان الى دربند شروان فملكوا
مدنه ولم يسلم غير القلعة التي فيها ملكهم وعبروا عندها الى بلد اللان واللكز فقتلوا
واسروا ثم قصدوا بلاد قفجاق وهم من اكثر الترك عددا فقتلوا من وقف وهرب الباقون
الى الغياض ورؤوس الجبال وفارقوا بلادهم واستولى التتار عليها ومضى طايفة
اخرى غير هولاء الى غزنة واعمالها وسجستان وكرمان ففعلوا مثل هولاء بل اشد هذا ما لم
يطرق الاسماع مثله فان الاسكندر الذي ملك الدنيا لم يملكها في هذه السرعة وانما ملكها
في نحو عشر سنين ولم يقتل احدا انما رضي بالطاعة وهولاء قد ملكوا اكثر المعمور من الارض
واحسنه واعمره في نحو سنة ولم يبق احد في البلاد التي لم يطرقوها الا وهو خايف يترقب
وصولهم اليه ثم انهم لم يحتاجوا الى ميرة ومدد ياتيهم فانهم معهم الاغنام والبقر والخيل
ياكلون لحومها لا غير واما خيلهم فانها تحفر الارض بحوافرها وتاكل عروق النبات
ولا تعرف الشعير واما ديانتهم فانهم يسجدون للشمس عند طلوعها ولا يحرمون شيا
وياكلون جميع الدواب وبني ادم ولا يعرفون نكاحا بل المراة ياتيها غير واحد فاذا جا
الولد لا يعرف اباه وسببها انهم اخذ الممالك لان خوارزم شاه محمد كان قد استولى على
البلاد وقهر ملوكها وقتلهم فلما انهزم من التتار لم يبق في البلاد من يمنعهم ولا من
يحميها ليقضي الله امرا كان مفعولا وهم نوع من الترك مساكنهم جبال طمغاج بينها
وبين بلاد الشرق اكثر من ستة اشهر وكان ملكهم جنكزخان قد فارق بلاده وسار الى نواحي
تركستان وسير جماعة من الاتراك التجار ومعهم شي كثير من النقرة والقندز وغير ذلك الى
بلاد ما وراء النهر لتشتري الثياب والكسوة فوصلوا الى مدينة من بلاد الترك تسمى اوترار وهي
اخر ولاية خوارزم شاه وله نايب فلما ورد عليه هذه الطايفة ارسل عرف السلطان
فبعث بامره بقتلهم واخذ ما معهم وكان شيا كثيرا وكان بعد مملكة مملكة الخطا وقد سد
الطرق من بلاد تركستان وما بعدها من البلاد لان طايفة من التتار ايضا كانوا قد خرجوا
من قديم الزمان والبلاد للخطا فلما ملك خوارزم شاه وكسر الخطا واستولى على بلادهم استولى
هولاء التتار على تركستان وصاروا يحاربون نواب خوارزم شاه فلذلك منع الميرة عنهم من

من الكسوات وغيرها وقيل غير ذلك فلما قتل اولئك التجار بعث جواسيس يكشفون له جيش
جنكزخان فمضوا وسلكوا المفازة والجبال وعادوا بعد مدة واخبروا بانهم يفوقون الاحصا
وانهم من اصبر خلق الله على القتال لا يعرفون هزيمة ويعملون سلاحهم بايديهم فندم خوارزم شاه
على قتل تجارهم وحصل عنده فكر زايد فاحضر الفقيه شهاب الدين الخيوقي فاستشاره فقال
اجمع عساكرك ويكون النفير عاما فانه يجب على الاسلام ذلك ثم تسير بالجيوش الى جانب سيحون
وهو نهر كبير يفصل بين الترك وبلاد ما ورا النهر فيكون هناك فاذا وصل اليه العدو وقد
سار مسافة بعيدة لقيناه ونحن مستريحون وهم في غاية التعب فجمع الامرا واستشارهم
فلم يوافقوه على هذا بل قالوا الراي ان نتركهم يعبرون سيحون الينا ويسلكون هذه الجبال
والوعر فانهم جاهلون بطرقها ونحن عارفون بها فنقوى حينيذ عليهم ونهلكهم فبيناهم
كذلك اذ قدم رسول جنكزخان يتهدد خوارزم شاه ويقول تقتلون تجاري وتاخذون اموالهم
استعدوا للحرب فاني واصل اليكم بجمع لا قبل لكم به وكان قد سار وملك كاشغر بلاساغون
وازال عنها التتار الاولى فلم يظهر لهم اثر ولا بقي لهم خبر بل ابادهم فقتل خوارزم شاه الرسول
واما اصحابه فحلق لحاهم وردهم الى جنكزخان يقولون له انه سائر اليك وبادر خوارزم شاه
ليسبق خبره ويكبس التتار فقطع مسيرة اربعة اشهر فوصل الى بيوت التتار فما وجد فيها
الا الحريم فاستباحها وكان التتار قد ساروا الى محاربة ملك من ملوك الترك يقال له كشلوخان
فهزموه وغنموا امواله وعادوا فجاءهم الصريخ بما جرى فجدوا السير فادركوا خوارزم شاه
وعملوا معه مصافا لم يسمع بمثله واقتتلوا اشد قتال وبقوا في الحرب ثلاثة ايام ولياليها
وقتل من الطائفتين خلق لا يحصون وثبت المسلمون وابلوا بلاء حسنا وعلموا انهم ان انهزموا
لم يبق للمسلمين باقية وانهم يؤخذون لبعدهم عن البلاد واما الكفار فصبروا لاستنقاذ
اموالهم وحريمهم واشتد بهم الامر حتى كان احدهم ينزل عن فرسه وقرنه راجل يتضاربان بالسكاكين
وجرى الدم حتى زلقت الخيل فيه من كثرته واستفرغ الفريقان وسعهم في الصبر وهذا
القتال كله مع ابن جنكزخان فان اباه لم يحضر الوقعة ولم يشعر بها وقتل من المسلمين عشرون الفا
ومن الكفار ما لا يحصى فلما كانت الليلة الرابعة نزل بعضهم مقابل بعض فلما كان الليل اوقد
التتار نيرانهم وتركوها على حالها وساروا وكذلك فعل المسلمون ايضا كل منهم قد سئم القتال
ورجع المسلمون الى بخارا فاستعدوا للحصار لعلم خوارزم شاه بعجزه لان طائفة من التتار
لم

لم يقدر ان يظفر بهم فكيف اذا جاؤوا باجمعهم مع ملكهم جنكزخان فامر اهل بخارا وسمرقند يستعدون
للحصار وجعل ببخارا عشرين الف فارس وفي سمرقند خمسين الف فارس وقال احفظوا
البلاد حتى اعود الى خوارزم واجمع العساكر واعود ثم عبر النهر ونزل على بلخ فعسكر
هناك واما التتار فانهم اقبلوا فنازلوا بخارا وحاصروها ثلاثة ايام وزحفوا ففر من بها
من العساكر وطلبوا خراسان في الليل فاصبح البلد خاليا من العساكر فاخرجوا القاضي
بدر الدين بن قاضي خان ليطلب لهم الامان فاعطوهم الامان واعتصم طائفة من العسكر
بالقلعة ففتحت ابواب بخارا للتتار في رابع ذي الحجة سنة ست عشرة فدخلت التتار ولم
يتعرضوا الى احد بل طلبوا الحواصل السلطانية وطلبوا منهم المساعدة على قتال من بالقلعة
واظهروا العدل ودخل جنكزخان لعنه الله واحاط بالقلعة ونادى في البلد ان لا يتخلف
احد ومن تخلف قتل فحضر كلهم لطم الخندق فطموه بالتراب والاخشاب حتى ان التتار كانوا
ياخذون المنابر وربعات الكتاب العزيز فيلقونها في الخندق فانا لله وانا اليه راجعون
ثم زحفوا على القلعة وبها اربعمائة فارس فمنعوها اثني عشر يوما فوصلت النقوب الى
سورها واشتد القتال فغضب جنكزخان ورد اصحابه ذلك اليوم وباكرهم من الغد
وجدوا في القتال فدخلوا القلعة وصدهم اهلها حتى قتلوا عن آخرهم ثم امر جنكزخان ان يكتب
روسا البلد ففعلوا ثم احضرهم فقال اريد منكم النقرة التي باعكم خوارزم شاه فانها لي فاحضر
كل من عنده شي منها ثم امرهم بالخروج من البلد فخرجوا مجردين فامر التتار ان ينهبوا البلد
ينهبوا البلد فنهبوه وقتلوا من وجدوا به وامر التتار ان يقتسموا المسلمين فتمزقوا كل ممزق
واصبحت بخارا خاوية على عروشها وسبوا النسا ومن الناس من قاتل حتى قتل وكذا فعل
الامام ركن الدين امام زاده والقاضي صدر الدين واولادهم ثم القى التتار النار
في البلد والمدارس والمساجد وعذبوا الناس في طلب المال ثم رحلوا نحو سمرقند وقد
تحققوا عجز خوارزم شاه عنهم واستصحبوا اسارى بخارى معهم مشاة في اقبح حال ومن
عجز قتلوه فاحاطوا ايضا بسمرقند وبها خمسون الف مقاتل فخرج اليهم الشجعان من الرجالة
وغيرهم فانهزموا لهم واطمعوهم ولم يخرج من الخمسين الف احد لما قد وقر في قلوبهم من الرعب
وكان التتار قد اكمنوا لهم فلما جاوزت الرجالة ذلك الكمين خرجوا عليهم وحالوا بينهم وبين البلد
فلم يسلم منهم احد قال وكانوا على ما قيل سبعين الفا رحمهم الله فضعفت نفوس الجند

ذا الغلمة و اشتغلوا بالهلاك وطلب الجند الامان فاجابوهم وفتحوا البلد وخرجوا الى التتار
باهاليهم واموالهم فقال لهم التتار ادفعوا الينا سلاحكم وخيلكم واموالكم ونحن نسيركم
الى مامنكم ففعلوا ذلك فلما كان رابع يوم نادوا في العوام ليخرجوا كلهم ومن تاخر قتل فخرج
الجميع ففعلوا بهم كما فعلوا باهل بخارا من النهب والسبي واحرقوا الجامع وذلك في المحرم من
هذه السنة ثم سير جنكزخان عشرين الف فارس خلف خوارزم شاه فاتوا جيحون فعملوا
من الخشب مثل الاحواض البسوها جلود البقر لئلا يدخلها الما ووضعوا فيها سلاحهم
وامتعتهم والقوا الخيل في الما وامسكوا باذنابها وتلك الحياض مشدودة اليهم فكان
الفرس يجذب الرجل والرجل يجذب الحوض فعبروا كلهم فلم يشعر خوارزم شاه الا وقد
خالطوه واختلفت الخطا عليه كما ذكرنا وانهزم وساقوا وراه الى ان ركب البحر الى قلعة
له فايسوا منه وقصدوا الري وبلاد مازندران فملكوها في اسرع وقت وصادفوا في
الطريق والدة خوارزم شاه ونساه وخزاينه وكان قصدها اصبهان فاخذوها وسيروها
برمتها الى جنكزخان وهو بسمرقند ثم دخلوا الري وقتلوا وسبوا ووصلوا الى زنجان
ففعلوا ثم عطفوا الى قزوين فحاصروها واخذوها بالسيف وقتل من الفريقين ما لا يحصى
قيل بلغوا اربعين الفا ثم ساروا الى اذربيجان فاستباحوها ثم نازلوا تبريز وبها ازبك بن البهلوان
فصالحهم على مال وتحف فساروا عنه ليشتوا على ساحل البحر لانه قليل البرد وبه المرعى فوصلوا
الى موقان وتطرقوا الى بلاد الكرج فبرز لهم الكرج عشرة الاف مقاتل فحاربوهم ثم
انهزموا فتبعهم التتار الى قرب تفليس وذلك في ذي القعدة من سنة سبع عشرة ثم ساروا
الى مراغة وكانت لامراة فحاصروها ثم ملكوها بالسيف وقتلوا ما لا يحصى واختفى خلق
فكان التتار ياخذون الاسرى ويقولون نادوا في الدروب ان التتار قد رحلوا فاذا
نادى اوليك خرج من اختفى فيقتلونه حتى قيل ان رجلا من التتار دخل دربا فيه ما يزيد
على مائة رجل فما زال يقتل واحدا واحدا حتى افناهم ولم يمد احد منهم اليه يده نعوذ بالله من
الخذلان ثم رحلوا الى نحو اربل فاجتمع بعض عسكر العراق وعسكر الموصل مع مظفر الدين
فلما سمعوا باجتماع العساكر رجعوا وظنا منهم ان العساكر تتبعهم فلما لم يروا احدا يتبعهم اقاموا
واقام العسكر عند دقوقا ثم عادوا الى بلاد همذان وغيرها وجعلوا لهم بها شحنة
وارسلوا اليه يامرونه ليطلب لهم من اهلها اموالا وقماشا ولم يكن بقي لهم شيا فاجتمع العا

عند

عند الرئيس بهمذان ومعهم رجل فقيه قد قام في اجتماع الكلمة على الكفار فقال لهم الرئيس
العلوي كيف الحيلة ونحن نعجز عنهم فما لنا الا المصانعة بالاموال فقالوا له انت اشد علينا
من الكفار واغلظوا فقال انا واحد منكم فاصنعوا ما شيتم فوثبوا على الشحنة فقتلوه وتحصنوا
فتقدم التتار وحاصروهم فخرج اليهم العامة والرئيس والفقيه في اوايلهم فقتلوا من التتار خلقا
وجرح الفقيه عدة جراحات وافترقوا ثم خرجوا من الغد فاقتتلوا اشد قتال وقتل من التتر
اكثر من اليوم وارادوا الخروج في اليوم الثالث فعجز الفقيه عن الركوب من الجراحات
وطلب الناس الرئيس فاذا به قد هرب في سرب صنعه الى ظاهر البلد هو واهله الى قلعة
هناك فتحصن بها فبقي الناس حيارى الا انهم اجتمعت كلمتهم على الجهاد الى ان يموتوا وكان
التتار قد عزموا على الرحيل لكثرة من قتل منهم فلما لم يروا احدا خرج لقتالهم طمعوا واستدلوا
على ضعفهم فقصدوهم وقاتلوهم وذلك في رجب من سنة ثمان عشرة وستمائة ودخلوا البلد
بالسيف وقاتلهم الناس في الدروب وبطل السلاح للزحمة واقتتلوا بالسكاكين فقتل ما لا
يحصى ثم القى التتار في همذان النار فاحرقوها ورحلوا الى تبريز وقد فارقها صاحبها
اوزبك بن البهلوان وكان لا يزال منهمكا على الخمور يسقى الشهر والشهرين لا يظهر واذا
سمع هيعة طار وله جميع بلاد اذربيجان واران ثم قصد نقجوان وسير نساه واهله الى
خوي فقام بامر تبريز شمس الدين الطغرائي وجمع كلمة اهلها وحصن البلد فلما سمع التتار
بقوتهم ارسلوا يطلبون منهم مالا وثيابا فسيروا اليهم ذلك ثم رحلوا الى بيلقان فحصروها
وطلب اهلها رسولا يقررون معه الصلح فارسل اليهم مقدما كبيرا فقتلوه فزحف التتار
على البلد واخذوه عنوة في رمضان من سنة ثمان عشرة ولم يبقوا على صغير ولا كبير وكانوا
يفجرون بالمراة ثم يقتلونها ثم ساروا الى كنجة وهي ام بلاد اران فعلموا كثرة اهلها وشجاعتهم
فلم يقدموا عليها وطلبوا منها حملا فاعطوا ما طلبوا وساروا عنهم الى الكرج والكرج قد
استعدوا لهم فالتقوا فانهزم الكرج واخذهم السيف فلم يفلت منهم الا الشريد فقتل منهم
نحو ثلثين الفا وعاث التتار في بلاد الكرج وافسدوا ثم قصدوا دربند شروان فحاصروا
مدينة شماخي ثم اخذوها عنوة ثم ارادوا عبور الدربند فلم يقدروا على ذلك فارسلوا رسولا
الى شروان شاه يقولون ارسل الينا رسولا فارسل عشرة من كبار اصحابه فاخذوا احدهم فقتلوه
ثم قالوا للباقين ان انتم عرفتمونا طريقا نعبر فيه فلكم الامان والا قتلناكم فقالوا ان هذا الدربند

ليس فيه طريق البتة ولكن فيه موضع هو أسهل ما فيه من الطرق فساروا معهم فيه إلى البلاد
إلى الطريق صعب وأخبرهم فلما عبروا دربند شروان ساروا في تلك الأراضي وفيها أمم كثيرة منهم
اللان واللكز وطوائف من الترك فنهبوا وقتلوا كثيرا من اللكز وهم كفار ومسلمون ثم وصلوا
إلى اللان وهم أمم كثيرة فجمعوا جمعا من القفجاق فقاتلوهم فلم يظفر واحد منهم فأرسلت التتار إلى
إلى القفجاق يقولون نحن وأنتم جنس واحد وهؤلاء اللان ليسوا منكم حتى تنصروهم ولا دينهم مثل
دينكم ونحن نعاهدكم أننا لا نتعرض لكم ونحمل إليكم من الأموال والمتاع ما شئتم فوافقوهم على
ذلك واعتزلوا عن اللان فأوقع التتار باللان وقتلوا منهم خلقا وسبوا وساروا بعد ذلك إلى
القفجاق وهم آمنون متفرقون فبيتوهم وأوقعوا بهم كعادتهم ومكرهم لعنهم الله ففر من سلم
واعتصم بالغياض وبعضهم التجأ ببلاد الروس وأقام هؤلاء التتار في بلاد القفجاق وهي
كثيرة المرعى في الشتاء ووصلوا إلى مدينة سوداق وهي مدينة القفجاق وهي على بحر الخزر
وإليها تصل المراكب والتجار تشتري منها القندز والبرطاسي وغير ذلك وبحر الخزر هذا متصل
بخليج قسطنطينية ولما وصلت هذه الطائفة من التتار إلى سوداق ملكوها وتفرق أهلها
فبعضهم هرب إلى الجبال وبعضهم ركب البحر ثم أقام التتار ببلاد القفجاق إلى سنة عشرين
وستمائة وأما الطاغية جنكزخان فإنه بعدما سير هذه الطائفة المذكورة في تتبع خوارزم شاه
قسم أصحابه عدة أقسام فسير كل قسم إلى ناحية فسير طائفة إلى غزنة وطائفة إلى كلانة
وهي حصينة على جانب جيحون وسارت كل طائفة إلى الجهة التي أمرت بقصدها واستولت
عليها قتلا وسبيا وتخريبا ثم لما فرغوا من ذلك عادوا إلى الملك جنكزخان وهو بسمرقند فجهز
جيشا عظيما مع أحد أولاده لحرب جلال الدين بن علاء الدين خوارزم شاه وسير جيشا آخر
فعبروا جيحون آخر كلام عز الدين بن الأثير رحمه الله قلت ونازلت التتار خوارزم وحاصروها
ثلاثة أشهر واستولوا عليها في صفر سنة ثماني عشرة ونزل عليها أوكتاي الذي ولي الأمر بعد
أبيه جنكزخان ومعه باجي ملك في جيش عرمرم مائة ألف أو يزيدون ولما يجدوا بها حجارة لم
عمدوا إلى أصول التوت فقطعوها ودوروها ورموا بها بدلا عن حجارة المنجنيق وحرص
أوكتاي كل الحرص أن يسلموها بالأمان ولا يؤذي فيها فأجابه الأكابر وأبى السفهة فغلبوهم
على رأيهم باغرائهم وجرى عليها حرب لم يسمع بمثله حتى أنه كانت تؤخذ المحلة منها فيقاتل
أهلها ثم ينضمون إلى المحلة التي تليها فما زالوا إلى أن أخذت محلة بعد محلة حتى لم يبق معهم إلا
ثلاث

محال فتزاحم فيها الخلائق فطلبوا الأمان فحسد فلم يؤمنوا وقتلوهم صبرا هذا معنى ما ذكره
أبو سعد شهاب الدين النسوي قلت ومما أحدث التتار بنيسابور ومرو وهراة وبلخ وترمذ
وسرخس وطوس وخوارزم وسابر مدن خراسان وذهب تحت السيف أمم لا يحصيها
إلا الله تعالى وقال الموفق عبد اللطيف أشعب من التتار فرسان كما سمعنا منهم لسانا
من فرقة قصدت أذربيجان وأران ثم بلاد الكرج وفرقة أتت على همذان وأصبهان وطالت
حلوان تقصد بغداد أما الأولى فأفسدت البلاد التي مرت عليها فلما وصلوا إلى بلاد الكرج
جمع الكرج جموعهم ولقوهم فانهزموا بين يدي الكرج وقتل من صميمهم ثلاثة آلاف ومن الأتباع والعلوج حتى
عدد كثير وبعد ملك الكرج فتداركه الأمراء فاستنقذوه من أيديهم العصل واعتصم
بعض القلاع والتتر يموجون في البلاد بالفساد ويعضون على من يسلم الأنامل من الغيظ
انفرد منهم فارس فقال ملك الكرج أما عندنا من يخرج إليه فاستحى بطل من الكرج وخرج إليه
فما علم أن ملا البتري وافتاد فرسه ورجع دوبيا واختطف الفرس لعله بسنه ففجع ملك الكرج
وقال انظروا كأنه قد وزن من الثمن ثم حشد الكرج مرة أخرى واستنجد بعسكر أرزن
الروم وقال الناس إنهم لا يرجعون فلما اشتدت شوكة الكرج رجع التتر بغير أمر يعرف
ولا سبب مخوف بل لسعادة لحقت وإقدام تقيت وكان هذا سنة ثمان عشرة وأما ما درن
ورجع التتر إلى شروان فأخذوها بالسيف وقتلوا أهلها وتجاوزوا الدربند فسروا بالسيف
وعبروا إلى أمم القفجق واللان وعملوا فيهم بالسيف ثم مات ملك الكرج وكان شابا وتولت
أخته وسيرت إلى الملك المغيث صاحب أرزن تخطب أحد ولديه الصغير وهو ابن بنت
بكتمر صاحب خلاط وهو طفل عمره سبع عشرة سنة فزوجها به وشاع الخبر أنه تنصر وخرج
في هذه السنة من دقيق الترك ما لم تجر به العادة حتى فاضوا على البلاد وكلهم وصلوا من ناحية
تفليس وهم من فضلات سيوف التتر وكل واحد يحكي هولا ما عاين حكت جارية منهم قالت
عوت كلاب بلادنا عويا شديدا وتابعت على أذنابها وأهلها يضربونها فلا تزيد بعد ثلاث
ساعات أو أربع فإذا بالخيل بعساكر التتر فابتدؤوا بالكلاب ثم بالناس وأرض القفجاق
واسعة معتدلة الهواء عذبة الماء سحر ساقيها ويحرق عيونها وهي أرض حرة طيبة التربة
وعيشهم كثرة السلاح ملك النعجة الأربعة في البطن والخمسة وقل ما تلد واحدا وعيشهم
على الحضرية بكار الكسب شركاء وأما الفرقة التي قصدت بغداد فردهم الله بقوته

العقل وحسن التدبير اما اولا فان صاحب اربل سمع ان التتر قد وصلوا الى الاكراد واليهم انتهى
العلم باللصوصية فسلطهم عليهم يسرقونهم ويقتلونهم صبرا في نومهم فيصبحون وقد ذكروا
مكاتب في جهات لا يهتدون من اين ولا كيف ثم ان الخليفة جمع الجموع وعسكر العساكر وحشر
فنادى واقبلت اليه البعوث من كل حدب ينسلون فلما سمعوا بوصول رسول التتر نفذوا
الى صاحب اربل بان يحتفل ويظهر جمع عسكره ويدخل بينهم من العوام والفلاحين من يتقويه
بهم فلما وصل الرسول اربل يلقاه عساكر قطعت قلبه وصاروا يشكون ويغلبه كلا من يقوم
يستقبلوه ويعاودوا ويقفوا بين يديه فلما دخل في ولاية دقوقا على لزلى العساكر اضعاف
ذلك وصاحبها من مماليك الخليفة فامر ان يضرب خيم عظيمة ويبسط بين يديها بسطا قد
نصف في شج ونصب سريرا عاليا فوق تخت يصعد اليه بدرج واظهر زينة عظيمة ووقف
عشرون الفا بسيوف مجردة فلما وصل الرسول ... العساكر الى حد البسط فامر ان يترجل
فيمتنع من ذلك فهموا به فلما وصل الى بين يدي التخت امر بالسجود كرها والصمصامات تناخذه ... عات
السيوف يدهشه ثم اخرج الى بغداد فلقيته عساكر بغداد صغرت في عينه ما راى لم تركوا
ببغداد فرسانا ولا رجالا ولا حمالا حتى اركبوه رجلا ومعه شيء من السلاح واكثرهم بالاعلام ن
والبرك اسطوانات وطلي بعضهم بالنفط ويرمون بالبندق الزجاج فيه النفط مملوا
البرية بالنيران فلما وصل الى بغداد وصل اليه صحبة العسكر باصناف العدد الفاخرة
المسمعة بالاطلس المكلل بالجواهر على الخيل المسومة فلما وصل الى باب النوبي الى العتبة
التي يقبلها الملوك قيل لهم ... دون ذلك فامر ان يقبل اسفل منها ثم حمل الى دار ثم
اخرجوا بالليل خفية على طريق غير مسلوكة ووردوا الى اربل وقال للرسول انما هرباك في
الخفية خوفا عليك من العامة فوصل وقد امتلا قلبه رعبا ودماغه خيالات فوقه
ما اثبتته عيانه فعلموا انهم لا قبل لهم ببغداد فرجعوا خائبين واما اهل اصبهان فقفلوا
ابواب المدينة وقالوا لهم ادخلوا فدخل منهم قوم فما شربوا انفاسهم حتى اهرقوا دماءهم فكروا
راجعين وكذلك فعل اهل رسالاتهم ... وسبيل الملك الاشرف عنهم فقال انما اقول في
قوم لم يوجد منهم اسير قط لكن يقاتل الى ان يقتل ويخلص ولما وصلت الى اردن الروم
وصرت هذه الكلمة قد سيرها ملك الكرج فيها وصف من حروبهم واما قتالهم فلا يسمى القتال
الى احد الا والحال توجب اضعافه ولا يقال كم قتل من بلد كذا وانما يقال كم بقي واجتمعت

بناجر اشروه وكانت تتوجهم لم ... الاجتماع التجار من جميع البلاد الى نيسابور يتحصنون بها
فنزل لها التتر فاخذوها في اربعة وعشرين يوما واتوا على اهلها بالقتل وعليها بالاحراق
والخراب حتى غادروا كان لم تغن بالامس ... هربت منهم مرات ووقع في الاسر ثم
هربت في المرة الاخيرة وتعلقت بجبل فلما رحلوا طالعت هؤلاء قال نزلنا وكان يشبعها فاحصينا
القتلى حتى بلغ الف وخمسين الفا ووجدنا الاموال ملقاة وجزنا ببلاد الملاحدة
وهي على عادتها لم يتشعث منها شيء وحكى لنا تاجر خراساني قال انه اختفى بجبل وخرج
بعد ايام فراى الارض مسطوحة بالقتلى والاموال والمواشي وكنت انا وعشرة سلمنا
ولو كانت معنا عقولنا لاخذنا من الاموال ما يعوف الآمال وانما اخفينا حمل دقيق
على جمل ... الموفق ومما اهلكوه بلاد فرغانة وهي تشتمل ... مسيرة اربعة اشهر
وكل من هرب منهم يحملوا في قتله بكل ممكن واذا اجتمعوا في مجالس انسهم ونزهتهم احضروا
قوما من الاسارى واخذوا يمثلون بواحد واحد بان يقطعوا منه عضوا بعد عضو وكلما
اضطرب وصاح تضاحكوا وعجبوا وربما حطوا السيف في جوفه او لبته قليلا قليلا ومتى
التمس الشخص رحمتهم ازدادوا قساوة وان اوقع لهم نساء فايقات في الحسن منعوا
بهن ما ما ... فتلوهن وحكت لنا امراة تحلب انهم ذبحوا ولدها وشربوا الدم ثم نام الذابح
فقامت وذبحته وهربت هي وزوجها وقد كان السلطان خوارزم شاه محمد بن تكش
سار قاهجا اما وكان عسكره اوساما ليس لهم ديوان ولا اقطاع واكثرهم اتراك كفار
ومسلمون جهال لا يعرف تعبئة العسكر في المصاف ولم يعود اصحابه الا المهاجمة والنسيس
لم يرد ولا ذروع وفيها لهم بالنشاب وكان يقتل بعض القبيلة ويستخدم باقيها وفي قلوبهم
الضغائن ولم يكن فيه شيء من المداراة لا لاصحابه ولا لاعدائه فخرج عليه هؤلاء التتار وهم
يتواثبون بكلمة واحدة وقلب واحد ورئيس واحد مطاع فلم يمكن ان يقف مثل خوارزم شاه
بين ايديهم وورد الى البلاد منهم ما لم يعهد والبلاد خالية عن ملك فلم يبق عند احد منهم
دفاع وصاروا كالغنم لا تندفع عنها ذئابا فلما وصل التتر الى اصبهان لم يرع اهلها الا بهم
معوقون بحمل السلاح فلم يكن عندهم احقر من هذا العدو الى ان قال والله سبحانه يحب
العدل والعمارة ويامر بها وهؤلاء الملاعين يبغضونها اذ لا دين لهم ولا عقل وكل حيوان
ردي الخلق فعنده خلق اخر حميد كالكلب والخنزير والنمر والذئب وهؤلاء فقد جمعوا من كل

حيوان ردي خلقه فاجتمعت منهم الزرادات محصنة قال ابن واصل بعث جنكزخان
جيشا فعبروا جيحون وتسلموا بلخ بالامان وقرروا بها شحنة ولم ينهبوها ثم قصدوا
قلعة الطالقان وهي لا ترام حصانة وارتفاعا وبها الشجعان فحصروها ستة اشهر
وعجزوا عنها فسار اليها جنكزخان بنفسه وحصرها ومعه خلائق من المسلمين اسرى
فبقي عليها اربعة اشهر وقتل عليها خلائق ثم امر بجمع له من الاخشاب ما امكن وصاروا
يعملون صفا من خشب وصفا من تراب وما زالوا حتى صار تلا يوازي القلعة وصعدت
الرجال فيه ونصبوا عليه المجانيق فرمت الى وسط القلعة فخرج من فيها على حمية وحملوا
على التتر فنجت الخيالة وسلكوا الجبال وملكت الرجالة واستباحت التتر القلعة
ثم جهز جنكزخان الجيش الى مرو وبها من المقاتلة نحو مائتي الف من جند وعرب وتجار فعسكروا
بظاهرها عازمين على لقاء العدو فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا ثم انهزم المسلمون وقتل
اكثرهم ثم نازلت التتر مرو وجدوا في حصارها اربعة ايام فتسلموها بالامان وخرج
اليهم اميرها فخلع عليه ابن جنكزخان وعاهده على امره مرو وقال اريد ان تعرض اصحابك لـ عام
ننظر من يصلح لخدمتنا فنعطيه اقطاعا فلما حضروا قبض عليهم وامرهم ان يكتبوا التجار
البلد واعيانه في جريدة وارباب الصنائع في جريدة ففعلوا ثم ضربت اعناق الجند والا
ثم صادروا الاعيان وعذبوهم حتى استنفضوا اموالهم وقتلوا نساء مرو وذراريها واسراها ثم امر
باحراق البلد فاحرق بعد ثلاثة ايام ثم امر بقتل العامة كافة فاحصيت القتلى بها فكانوا
سبع مائة الف ثم ساروا الى نيسابور فحصروها خمسة ايام وبها عسكر عجزوا عن التتر
فاخذ البلد ثم اخرجوا الناس فقتلوهم وسبوا الحريم وعاقبوا ذوي المال وسارت
فرقة الى طوس فبدعوا بها ثم ساروا الى هراة فحصروها عشرة ايام واخذوها بالامان
ثم قتلوا بعض اهلها وجعلوا بها شحنة ثم ساروا الى غزنة فالتقاهم السلطان جلال الدين
فكسرهم فوثب اهل هراة وقتلوا الشحنة فلما رجع المنهزمون قتلوا عامة اهل هراة وسبوا
الذرية واحرقوا البلد ورجعوا الى جنكزخان وهو بالطالقان يجهز جيوشه وكان قد بعث
جيشا عظيما لحصار خوارزم فنازلوها خمسة اشهر وبها عسكر وشجعان فقتل خلائق من
العسكرين ثم اخذت عنوة وقتل اهلها ثم سلطوا عليها نهر جيحون فغرقت وتهدمت **عبد الله**
ابن عثمان بن جعفر بن محمد اليونيني الزاهد اسد الشام رحمه الله كان شجاعا طوالا

مهيبا

مهيبا حاد الحال كانه نار كان يقوم نصف الليل الى الفجر فمن رآه نائما ضربه وكان له
عصاة اسمها العافية حكى الشيخ عبد الله بن شكر اليونيني قال كان الشيخ رحمه الله في
شنو بيته قد انقطع في الجبل وكانت اختنا تاتيه كل يوم بقرص وبيضتين فاتته
بذلك مرة واذا بفقير قد خرج من عنده ومعه قرص وبيضتان فقالت له من اين لك هذا
قال من رجل قاعد له شهر كل يوم يعطيني قرصا وبيضتين فاتته وسالته فنهرها
وزعق فيها **قلت** وكان امارا بالمعروف نهاء عن المنكر شجاعا صاحب سلاح ظاهر
وباطن مقبلا على شانه مجدا لا يفتر حاضر القلب دائم الفكر لا تاخذه في الله لومة لائم
وكان من حصن اشتد لخرج فيطرح في شعرا بوبين فاداره السفاره حلوه الى امين
وكانت امراة صالحة فلما انتشا كان يتعبد بجبل لبنان وكان كثير الغزو ولازم السلطان
صلاح الدين وقد جمع مناقبه خطيب زملكا ابو محمد عبد الله بن العز عمر المقدسي قال
حدثني الشيخ اسرائيل عن الشيخ علي القصار قال كنت اذا رايت الشيخ عبد الله هبته
كانه اسد فاذا دنوت منه وددت اني اشق قلبي واجعله فيه قال ابن العز وحدثني
الزاهد خليل بن عبد الغني بن مقلد قال كنت بحلقة الحنابلة الى جانب الشيخ عبد الله
فقام ومعه خادمه نوبة الى الكلاسة ليتوضا واذا برجل متجند يفرق ذهبا فلما
وصل الي اعطاني خمسة دنانير وقال اين سيدي الشيخ قلت يتوضا فجعل تحت سجادته
ذهبا وقال اذا جا قل له مملوكك ابو بكر التكريتي يسلم عليك وتسالني تدعو له فجاء الشيخ
وانا العب بالذهب في عبي ثم ذكرت له قول الرجل فقال نوبة من ذا يا سيدي قال صاحب
دمشق وادابه فرجع ووقف قدام الشيخ والشيخ يصلي فلما سلم اخذ السواك
ودفع به الذهب وقال يا ابو بكر كيف ادعو لك والخمور دايرة في دمشق وتغزل
امراة وقية سعها فوحدة منها قرطبش فلما راح ابطل ذلك وكان الملك العادل
قال ابن العز واخبرني المعمر محمد ابو الفضل قال كنت عند الشيخ وقد جا اليه المعظم فلما
جلس عنده قال يا سيدي ادع لي قال يا عيسى لا تكن نحس مثل ابيك قال يا سيدي
وابي كان نحس قال نعم اظهر المكس وافسد على الناس المعاملة وما كان يحتاج
قال فلما كان الغد اخذ الملك المعظم ثلاثة الاف دينار وطلع الى عند الشيخ بها
وقال هذه تشتري بها ضيعة للزاوية فنظر اليه وقال قم يا ممتحن يا مبتدع لا ادعو الله

يسقى الارض ويسلعك فما نقعد نائما على السجادة حتى اعتنا انا اخشى ساقيه ذهب وسار فيه
كما قال واخبرني اسمعيل ابن ابرهيم عن ابي طالب النجاد قال انكر الشيخ عبد الله على صاحب بعلبك
وكان اسمه محمد فارسل اليه الامجد يقول ان كانت بعلبك لك فاشتهي ان تطلقها
لي فلما بلغه رسول لا مجدد لك قال واخبرني الامام ابو الحسن الموصلي قال حضرت مجلس الشيخ
الفقيه ببعلبك وهو على المنبر فسالوه ان يحكي شيا من كرامات الشيخ عبد الله فقال بصوت
جهير كان الشيخ عبد الله عظيم كنت عنده وظهرت بالجبة الجبل سحابة سودا مظلمة ظاهر
منها العذاب فلما قربت قام الشيخ وقال الى بلدي ارجعي فرجعت السحابة ولو لم اسمع هذه
الحكاية من الفقيه ما صدقت ه حدثني الشيخ اسرايل ان الشيخ محمد المسكاكيني حدثه وكان
لا يكاد يفارق الشيخ قال دعاني انسان والح علي فاسه وخرجت في الليل من السور من
عند عمود الراهب وجيت الى الزاوية فاذا الشيخ وهو يقول يا مولاي نرسل الى الناس
في حوايجهم من هوانا افضيها انت لهم يا مولاي ابرهيم النصراني من جبة بشر بن يا مولاي
ودعا له فبهت لذلك ونمت ثم قمت الى الفجر وبقيت يومين عنده فلما كان الليل وانا
خارج الزاوية اذا شخص فقلت ايش تعمل هنا واذا به ابرهيم النصراني فقلت ايش جابك
قال ان الشيخ قلت تكون في المغارة قال رايت البارحة رسول الله صلى الله عليه وسلم في
النوم وهو يقول تروح الى الشيخ عبد الله وتسلم على يده فقد شفع فيك فاتيت الشيخ
واذا به في المغارة فقص على الشيخ الرويا فتغرغرت عينا الشيخ بالدموع وقال اتاني رسول الله
صلى الله عليه وسلم شوح فاسلم ابرهيم وجا منه رجلا صالحا قال واخبرني العماد احمد بن
محمد بن سعد قال طلعنا جماعة الى زيارة الشيخ الفقيه محمد فقلت ما سيدي حدثنا عن
منام الشيخ عبد الله البعد فقال اخبرني الشيخ عبد الله البقعة قال كنت قد رايت من ثلاث عشرة
سنة كاني في مكان واسع مضي وفيه جماعة منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فجيت اليه
وقلت يا رسول الله خذ على العهد ومددت يدي اليه فقال لعبد الشيخ عبد الله اعدتها
عليه ثلاثا وهو يقول لعبد الشيخ عبد الله فلما كان البارحة جا الي شخص وقال رايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم وهو يقول لك قل لعبد الله البقعة يخرج من المدينة ولا
يمسك قلت يا رسول الله فما يصدقني قال قل له بعلامة ما راى وقال لي خذ علي العهد فقلت
له بعد الشيخ عبد الله قال ولو لم ترى هذا المنام ما اعلمت بمنامي احدا قال فقلت ما بعد بهذا

شي اخرج قال فسكت بعد ايام او ما هذا معناه اخبرني الشيخ اسرايل حدثني عبد الصمد
قال والذي لا اله الا هو منذ خدمت الشيخ عبد الله ما رايته استند الى شي ولا سعل ولا
تنخع ولا بصق وقال الشيخ الفقيه حضرت الشيخ عبد الله مرتين وساله ابن خاله حميد ان
يرزق فقال زوجتي حامل ان جات بولد فما اسميه قال سم الواحد سليمان والاخر داود
فولدت ابنين توما وقال له ابنه محمد امراتي حامل ان جات بولد فما اسميه قال سم الاول عبد الله
والثاني عبد الرحمن وعن سعيد المارديني قال جا رجل الى بعلبك الى الشيخ فقال والجان المرخ
قال فسكت لحيته وقال هذا الشيخ النحس ما تعوده هاهنا ودنا المرخ وقال ابو
المظفر سبط ابن الجوزي في ترجمة الشيخ عبد الله اليونيني كان صاحب رياضات ومجاهدات
وكرامات ومجاهدات واشارات لم يقم لاحد تعظيما لله وكان يقول لا ينبغي القيام
لغير الله صحبته مدة وكان لا يدخر شيا ولا يمس دينارا ولا درهما وما لبس طول عمره
سوى الثوب الخام وقلنسوة من جلد ماعز يساوي نصف درهم وفي الشتا يبعث له بعض
اصحابه فروة فيلبسها ثم يوثر بها في البرد قال لي يوما ببعلبك يا سعد انا ابقى اياما في هذه
الزاوية فما اكل شي فقلت له انت صاحب القبول كيف تجوع قال لان اهل بعلبك يتكل
بعضهم على بعض فاجوع انا وحدثني خادمه عبد الصمد قال كان ياخذ ورق اللوز فيركه
ويستفه وكان الامجد يزوره فكان الشيخ يهينه ويقول يا امجد انت ظالم وتفعل وتفعل وهو
يعتذر اليه واظهر العادل قراطيس سود فقال الشيخ يا مسلمين انظروا الى هذا الفاعل
الصانع يفسد على الناس معاملاتهم فبلغ العادل ذلك فابطلها وسافرت الى العراق
سنة اربع وحججت وصعدت يوم عرفات واذا بالشيخ عبد الله قاعد مستقبل القبلة
فسلمت عليه ورحب بي وسالني عن طريقي ونغدت عنه الى الغياب ثم قلت ما يقوم فمضى
الى المزدلفة فقال اسبقني الى رفاق فاتيت مزدلفة ومنى فدخلت مسجد الخيف فاذا
بالشيخ توبه فسلم علي فقلت اين نزل الشيخ قال اي ما شيخ قلت عبد الله اليونيني قال خلفته
ببعلبك فتعجبت وقلت مبارك فهم وقبض على يدي وبكى وقال بالله ايش معنى هذا قلت
رايته البارحة على عرفات ثم رجعت الى بغداد ورجع توبه الى دمشق وحدث الشيخ
عبد الله ثم حدثني الشيخ توبه قال فقال لي اما يستحي منك فلان فتى والفتى لا يكون غمازا فلما
عدت الى الشام عتبني الشيخ وحدثني الكمال يعقوب قاضي البقاع قال كنت عند الجسر

الابيض واذا بالشيخ عبد الله قد جاوز الى ثور واذا انا بصراني عابر ومعه بغل عليه حمل خمر فعثر البغل ووقع فصعد الشيخ وقال يا فقيه تعال فتعاونه حتى حملناه فقلت في نفسي ايش هذا الفعل ثم مشيت خلف البغل الى العقبة فجا الى دكان الخماد فحل الظرف وقلبه واذا به خل فقال له الخماد ويحك هذا خل منكي وقال والله ما كان الا خمرا من ساعة وانما انا اعرف العلة ثم ربط البغل في الخان ورد الى الجبل وكان الشيخ قد صلى الظهر عند الجسر في مسجد قال فدخل عليه النصراني واسلم وصار فقيرا قال ابو المظفر وكان الشيخ شجاعا ما يبالي بالرجال قلوا او كثروا وكان قوسه ثمانين رطلا وما فاته غزاه في الشام قط وكان يتمنى الشهادة ويلقي نفسه في المهالك حدثني خادمه عبد الصمد قال لما نزل العادل الى بلاد الفرنج الى صافيتا قال لنا الشيخ عليك انزل الى عبد الله البعه فاطلب لي بغلته قال فاتيته بها فركبها وخرجت معه فنزل في يونس وقمنا نصف الليل فحيا الحمد لله الفجر فقلت له لا تتكلم فهذا مكمن الفرنج فرفع صوته وقال الله اكبر فجاوبته الجبال فلبست من الفرنج ونزل فصلى الفجر وركب فطلعت الشمس واذا قد لاح من ناحيته حصن الاكراد طلب ابيض فظنهم لا يستنار فقال الله اكبر ما اكبرك من يوم اليوم امضي الى صاحبي وساق اليهم وساقوا اليهم وشهر سيفه فقلت في نفسي شيخ ويحنه بغلته وبيده يسوق الى طلب فرنج فلما كان بعد لحظة وقربوا الا ذاهم عامه حمير وحش فحسنا الى حمص فجا الملك المجاهد اسد الدين وقدم له حصانا فركبه ودخل معهم وفعل عجايب وقال الشيخ عبد الله يقول للفقيه محمد يعني وفيك نزلت ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل وقال ابن العديم في تاريخ حلب اخبرني الفقيه محمد اليونيني ان الشيخ عبد الله كان يصلي بعد العشا الاخرة وردا الى قرب ثلث الليل فكان للمه يعاتب ربه عز وجل ويقول يا رب الناس ما يا موني الا لاجلك وانا قد سالتك في المراة العلانية والرجل العلاني ان تقضي حاجته وقصتها فهكذا يكون وكان يتمثل بهذه الابيات كثيرا ويبكي

شفيعي اليكم طول شوقي اليكم وكل كريم للشفيع قبول
وعذري اليكم انني في هواكم اسير وما سورا الغرام ذليل
فان تقبلوا عذري فاهلا ومرحبا وان لم تجيبوا فالمحب حمول
ساصبر لا عنكم ولكن عليكم عسى لي الى ذاك الجناب وصول

قال الصاحب ابو القاسم وقد صحبته ووهب لي قميصا له ادرق وقال لي يوما ببيت المقدس يا ابا القاسم اعشق

تعلق

تعلق ما استحببت وذلك في سنة ثلاث وستمائة ثم بعد مدة سار في جامع دمشق وقال عشقت بعد فقلت لا قال شي عليك واتفق اني تزوجت بعد ذلك بسنة وملت الى الزوجة ميلا عظيما فما كنت اصبر عنها قال الامير الكبير قرات في تاريخ ابن العديم بخطه قال سمعنا العلامة ابو عبد الله محمد بن ابي الحسين اليونيني كنت عند الشيخ يوما فجاءه رجلان من العرب فقال لا اطلع اليك قال لا قد هب احدهما وجلس الاخر فقال فلما الرايد يذهب حقا وانما يتفع الناس فمكث في الارض ثم قال له اطلع فطلع فاقام عندنا ايام فقال الشيخ تحب ان اريك قبرك قال نعم فاتى به المقبرة فقال هذا قبرك فاقام بعد ذلك اثني عشر يوما او بضعة عشر يوما ثم مات فدفن في ذلك المكان وكان له زوجة ولها بنت فطلبت ان يزوجني بها فتزوجت امها وقالت هذا فقير ما له شي فقال والله اني لي دارا قد رسمت له وفيها ما جاد وابنتك عنده الا دوان وله كفاية على الدوام فقالت ترى هذا قال لها نعم فرحتها ورات ذلك واقامت معي سنين وذلك سنة فحاصر الملك العادل سنجار وكانت امراة بعد موتها فطلب زواجي وتشفعت بزوجة الشيخ فلما اكثرت على سكوتها الى الشيخ فقال طول وخلي يومين ثلاثة ما تعود تذكرها قال فقدم ابن عمها من مصر ابنه بكيب بعد ايام فتزوج بها وما عدت رايتها وكراماته في هذا كثيرة. كتب الفقيه تحت هذا الكلام صحيح ذلك كتبه محمد بن الحسين اليونيني وقال ابو القاسم بن العديم توفي في عشر ذي الحجة وهو صايم وقد جاوز الثمانين فقال لي الفقيه محمد كنت عند الشيخ ما لبعث الى داود المؤدب فقال وصيتك في غد فظن المؤذن انه يريد يوم الغد وكان ذلك يوم الجمعة وهو صايم فلما جا وقت الافطار قال الكاربية يا داود احد عطشانا فسقته ما اللسوف فات ثلث الليل واصبح وجلس على حجر موضع قبر مستقبل القبلة فمات وهو جالس ولم يعلم بموته حتى حركوه فوجدوه ميتا فجاذلك المؤذن وغسله رحمه الله قلت وله اصحاب كبار منهم ولدا محمد والشيخ الفقيه والشيخ عبد الله بن عبد العزيز والشيخ عيسى بن احمد والشيخ توبه ومحمد سيف واقدمهم الشيخ عبد الخالق اليونيني توفي بيونين في هذه السنة ايضا وكان صالحا زاهدا كبير القدر صاحب كرامات وهو عم الشيخ عيسى اليونيني محمد بن بكش بن ايل ارسلان بن سر بن محمد بن يوشكين السلطان علاء الدين خوارزم شاه قد ذكرنا قطعة

من اخبار هذه الحوادث اباد ملوك العالم ودانت له الممالك واستولى على الاقاليم قال
ابن واصل نسب علاء الدين ينتهي الى البتكين احد مماليك السلطان الب ارسلان بن
جغري بيك السلجوقي قال الامام عز الدين بن الاثير كان صبورا على التعب وادمان السير
غير متنعم ولا مقبل على اللذات انما همته في الملك وتدبيره وحفظه وحفظ رعيته قال
وكان فاضلا عالما بالفقه والاصول وغيرهما وكان مكرما للعلماء محبا لهم محسنا اليهم
يحب مناظرتهم بين يديه ويعظم اهل الدين ويتبرك بهم فحكى لي بعض خدم حجرة النبي صلى الله عليه
وسلم لما عاد من خراسان قال وصلت الى خوارزم ودخلت الحمام ثم قصدت باب السلطان
فلما دخلت عليه اجلسني بعد ان قام لي ومشى واعتنقني وقال لي انت تخدم حجرة النبي
صلى الله عليه وسلم قلت نعم فاخذ بيدي وامرها على وجهه وسالني عن حالنا وعيشنا
وصفة المدينة ومقدارها واطال الحديث معي فلما خرجت قال لولا اننا على عزم السفر الساعة
لما ودعتك وانا نريد ان نعبر جيحون الى الخطا وهذا طريق مبارك حيث راينا من يخدم
الحجرة الشريفة ثم ودعني وارسل الي جملة من النفقة وقال ابو المظفر بن الجوزي انه توفي في
سنة خمس عشرة فغلط وقال كان قد افنى ملوك خراسان وما وراء النهر وقتل صاحب سمرقند
واخلى البلاد من الملوك واستقل بها فكان ذلك سببا للهلاكه ولما نزل همذان كتب الوزير
مؤيد الدين محمد القمي نائب الوزارة الامامية عن الخليفة عساكر خوارزم شاه ووعدهم
بالبلاد فاتفقوا مع الخطا على قتله وبعث القمي اليهم بالاموال والخيول سرا فكان ذلك
سببا للوهن وعلم بذلك فسار من همذان الى خراسان ونزل مرو فصادف في طريقه الخيول
والهدايا والكتب الى الخطا وكان معه منهم ستون الفا فلم يمكنه الرجوع لفساد عسكره
وكان بخاله من امراء الخطا وقد حلفوا ان لا يطلع خوارزم شاه على ما دبروا عليه في الليل وكتب
له صورة الحال ووقف بازايه فنظر الى السطور وفهمها وهو يقول خذ لنفسك فالساعة
تقتل فقام وخرج من تحت ذيل الخيمة ومعه ولداه جلال الدين والاخر فركب وسار
ثم دخل الخطا والعساكر الى خيمته فلم يجدوه فنهبوا الخزائن والخيول فيقال انه كان في
خزانته عشرة الاف الف دينار والف حمل قماش اطلس وغيره وكانت خيله عشرين الف فرس
وبغل وله عشرة الاف مملوك فهرب وركب في مركب صغير الى جزيرة فيها قلعة ليتحصن بها
فادركه الاجل فدفن على ساحل البحر وهرب ولداه وتفرقت الممالك بعده واخذ التتار

البلاد قلت وكانت سلطنة علاء الدين محمد بن تكش في سنة ست وتسعين وخمسمائة عند
موت ابيه السلطان علاء الدين تكش قال الموفق عبد اللطيف كان تكش اعور منهمكا كثير
اللعب بالملاهي استدعي من الديوان العزيز لدفع اذى طغريل السلجوقي صاحب همذان
فقتل طغريل وسير براسه وتقدم يطلب حقوق السلطنة فتحركت امة الخطا الى بلاده
فتحرك فالجاته الضرورة ان يرجع بغتة الى خوارزم وتولى بعده الامر ولده فكان ابنه
محمد شجاعا شهما مغوارا مقداما سعيدا الوجه غازيا لا يشق له غبار ويقطع المسافات
الشاسعة في زمان لا يتوهم العدو انه يقطعها في اضعافه وكان هجاما فاتكا غدارا
قاولما فتك باخيه واحضر راسه اليه وهو على الطعام فلم يكترث وكان قليل النوم
كثير اليقظة طويل النصب قصير الراحة يخدم في الغدوات اصحابه ويجيعون وينمو
تحرسهم وثيابه وعدة فرسه لا تبلغ دينارا لذته في نصبه وراحته في تعبه كثير الغنائم
والانفال سريع التفريق لها ولا نفاق وكان له معرفة ومشاركة للعلماء وصحب الفخر
الرازي قبل الملك فلما تملك رعى له ذلك فوسع عليه الدنيا وبسط يده لكن هذا الملك
استفزه العجب والتيه والثقة بالسلامة واوجب له ذلك ان يستبد برايه وينكب عن
ذكر العواقب جانبا واستهان بالاعداء ونسي عواقب الزمان ومن عجبه كان يقول محمد ينصر
دين محمد ثم قطع خطبة بني العباس من مملكته وترك غزو الكفار واخذ يتصدى لعداوة
قبلة الاسلام وملاذ الشريعة بغداد وعزم على قصد تفليس ليجعلها ثغرا لملكه ويحكم
منها على بلاد الروم والارمن والقفجاق وسائر بلاد العرب والعجم فافسد الامور باساءة
التدبير وقتل نفسه بشدة حرصه وحركته قبل وقته واراد ان يتشبه بالاسكندر واين
الاعمى من البصير واين الولي من رجل تركي واين الاسكندر مع فضله وعدله والطهارة
كلمة التوحيد كان في صحبته ملثما به حكيم يسمع منهم ويطيع وكان يجعل ارسطوطاليس
نائبه على بلاده ولا يحل ولا يعقد الا بمشورته ومراسلته في استخراج رايه كذا قال
الموفق واخطا في هذا لكنه ملبس الاسكندر صاحب ارسطاطاليس هو الذي قص الله
سبحانه قصته في القران فالذي في القران رجل مؤمن واما الاخر فمشرك يعبد الوثن
واسمه اسكندر بن فيلبس المقدوني على دين الحكماء لا دعا اسم الله ولم يملك الدنيا ولا طافها
بل هو من جملة ملوك اليونان ثم قال الموفق وقد علم بالتجربة والقياس ان كل ملك لا يكون

فصح اقامة الحق وبسط العدل والعمارة فهو وشيك الزوال واول ما صنع هذا انه
ظاهر امة الخطا فنازلهم بامة التتر حتى استاصلهم ولم يبق منهم الا من دخل تحت طاعته
وصار من عسكره واستخدم سبعة امراء من احواله وجعلهم من قلب عسكره وخواصه ثم
اشتغل الى امة التتر فجمعهم بالسيف ولم منهم الا مستتسلم في زمرته وكانت بلاد ما
وراء النهر في طاعة الخطا وملوك بخارا وسمرقند وغيرهما يودون الاتاوة الى الخطا
والخطا يبسطون فيهم العدل وكانت هذه الامم سدا بين ترك الصين وبينا ففتح
هذا الملك بغلبه معرفته هذا السد الوثيق ثم افسد تلك الممالك والامصار والى
على خراب البلاد وافساد القلوب وابداعها اصناف الاحن والعداوات وظن انه
لم يبق فيهم من يقاومه فاشتغل الى خراسان وسجستان وكرمان ثم العراق واذربيجان
وطمع في الشام ومصر وحدثته نفسه بجميع اقطار الارض وكان ذلك سهلا عليه
قد يسره الله عليه لو ساعده والله اعلم التوفيق بحسن التدبير واصالة الراي والرفق
وعدم العسف وكان يستحضر التجار ويكشف منهم اخبار الممالك لما انه وفي بعض
الليالي قال لي ابن الاثير بعلى وزير الملك الظاهر غازي ان السلطان الملك جهوم لما اتصل
به من اخبار خوارزم شاه وطمعه في الشام فقلت له هذا سعادة للسلطان وكلك ولي
قال وكيف قال هذا ملك واسع الدايرة لا يقدر ان يعبر الى الشام وغرضه القهر
والاستيلا وسلطاننا فيه ملق وحسن تودد ومداراة فاذا قاربه لاطفه واتحفه
فاذا استولى على ممالك الشام لم يحصن بنفسه وامراء يحقون لك فاستدعى بنا حرجس
بعد اذى وحادثه فزعم انه حاصره وبايعه وذكر من احواله انه بقي اربعة ايام او نحوها
على ظهر فرسه ولا ينزل وانما ينتقل من فرس الى فرس ويتيمم ويطوي البلاد فاذا دنا
الى البلد الذي يقصده في نفر يسير فيهجم ثم يصبحه من عسكره عشرة الاف وخمسة وعشرون
الفا وفي كثير من الاوقات يأتي المدد وقد قضى الحاجة بنفسه وفي كثير من الاوقات
يبعث البعوث ويأتي اخبرا وقد قضيت الحاجة او لا وربما هجم البلد في نفر دون المائة
فيقضي حاجته وربما قتل ملك ذلك البلد واسره ثم تندفق جموعه وقال ان شرجه وبحامه
لا يبلغ قيمتها دانقا ولا يبلغ قيمة ثيابه دانقين وحكى انه في بعض غاراته نزل باصحابه
اخر الليل وكانوا في شعب فارسا فامرهم بالهجعة واخذ خيلهم يسيرها بعد ما

استغنى

استغنى من بعد وسقى الجميع فلما علم انهم قد اخذوا واقروا النوم نصب انقظ بعضهم وامرهم
بالحراسة ثم هجع يسيرا ونهض ونهضوا كالعفاريت وهجموا على المدينة وقتلوا ملكها
وسال الي الوزير عنه مرة اخرى فقلت لا يمكنه ان يدخل الشام لانه اناني يجمع قليلا لم ينل
غرضا مع شجاعة اهل الشام والفلاحون يكفونه واني يجمع كثيرا لم يحمله الشام لان
جبالهم كل الحشيش ولا حشيش بالشام واما الشعير ففي كل مدينة كفاية دوابها
ثم اخذت احسب معه ما في حلب من الدواب فبلغت مع التكثير خمسين الفا فاذا
ورد سبعمائة الف فرس اخذ واعلف شهرا في يوم او يومين ثم انهم ليس لهم صناعة
في الحرب سوى المهاجمة واخذهم البلاد انما هو بالرعب والهيبة لا بالعدل والمحبة
وهذه الحال لا ينفع مع شجاعة اهل الشام وعقيب موت الملك الظاهر غازي وصل
رسوله الى حلب فاحتفل الناس وخرجت الدولة للقائه واذا به رجل صوفي وخلفه
صوفي قد رفع عكازا على راسه ومعه اثنان من عسكره ورسول صاحب اربل فصعد
القلعة وقال بحضرة الامراء سلطان السلاطين يسلم عليكم ويعتب اذ لم تهنوه بافتتاح
العراق واذربيجان وان عدد عسكره قد بلغ سبعمائة الف فاحسنوا المعذرة بانه
قالوا انا في حزن بموت ملكنا وضعف في نفوسنا واذا اسلطنا فنحن عبيده وكان كلامه
وشكله يشهد بغلبة عقل مرسله ثم توجه الى الملك العادل بدمشق وقال سلطان
السلاطين يسلم عليك وقال نصل الخدمة فقد اربعك ان تكون مقدم الركاب فقال
السمع والطاعة ولكن لنا شيخ هو كبيرنا نشاوره فاذا امر حضرنا قال ومن هو قال
امير المومنين فانصرف والناس يهزؤون منه قال وسمعنا انه جعل عز الدين كيكاوس
صاحب الروم امير علم له والخليفة خطيبا وكل ملك جعل له خدمة واما الملوك الذين
كانوا بحضرته فكان يذلهم ويهينهم اهانة فلم يزل لا ها ت فكان اذا ضربت له النوبة
يجعل طبول الذهب في اعناق الملوك وهم قيام يضربون وهذا يدل على اعتزازه بدنياه
وقلة ثقته بالله تعالى ثم انه وصل همذان واصبهان وبث عساكره الى حلوان ونحوها
اربل وواصله مظفر الدين بالمؤن والازواد وخافه اهل بغداد فجمعوا وحشدوا
واستعدوا للحصار والقتال جميعا ثم ان الله احرمهم على جميل عادته في ان يدافع عنهم وذلك
انه احلت عليه بلاد ما وراء النهر فرجع على عقبه وقهقر لا يدري ما خلفه مما بين يديه

وايضا فانه لما وصل حلوان نزل عليهم ثلج ونوع عظيم فقال بعض خواصه هذا من كرامات بيت
النبوة ولما اباد امتى الخطا والتتر وهم اصحاب الجند وتركستان وسكن طوائف اخر
يسمون التتر ايضا وهم صنفان صنف يسكنون طمغاج وما يليها ويسمون الابوابية وصنف
يسكنون مما يلي الهند وصنف لصنف يحمل يسمى سنك سلاخ وفيه حرق الى الهند ومنه دخل
السلطان محمد هذا الى الهند فخافهم من حيث لا يحتسبون فوقع بين طائفتي التتر فانهزمت
الابوابية الطمغاجية الى ان خالطوا اطراف بخارا وسمرقند واتصل بهم ان السلطان محمد
بنواحي بغداد وان المسافة بعيدة فطمعوا في البلاد لخلوها عنه فاتاه الخبر وهو بهمذان
فارتد على عقبيه حتى قدم بخارا فجمع وحشد وعزم على لقائهم وسير ولده جلال الدين بخمسة عشر
الفا وجعلهم كمينا فنمى الخبر الى الطمغاجية وملكهم هو جنكزخان فتوغلوا على الكمين وطحنوه
وهرب جلال الدين بعد جهد جهيد حتى اتصل بابيه فاجمع رايهم على ان يضرب معهم مصافا
فتواعدوا للقاء اول يوم فجبن من ذلك السلطان محمد اذ لم يجر له عادة ان يثبت بين يدي عدو
فلما تشوا اليوم الثاني والثالث ضعفت نفسه ونفس اصحابه وتغيرت نياتهم واستشعروا
الخوف والخور ثم وصلت الجواسيس تخبره بان العدو على نصف عسكره في العدد فخيل اليه
من الحدثان في اصحابه فخامر بن فقبض على كبارهم فازدادت النيات فسادا وتوهم ان
عسكره قد صفا فضرب معهم مصافا اخر فطحطح ووصل بخارا منهزما ونادى في الناس
استعدوا للحصار ثلاث سنين فخلوا عنه فراى من الراي ان يرجع الى نيسابور ويجمع
بها الجيوش ولم يبطئ ان الطمغاجية بعد ان زحفوا تلاحقوا والحاز للثمانية ايام وابادوا
اهلها ثم هجموا خراسان فاشار عليه وزيره عماد الملك ان يلتجئ بهمذان وضمن له ان يجمع له
من العساكر والاموال مقدار حاجته فلما وصل الري الا وطلائعهم على راسه فانهزم الى
قلعة برجين وقد نصب فاقام بها يومين واذا بهم عليه فسعى بنفسه الى دربند مازندران
موضع يعرف باوسن ومعه يلملمه فاداستن عراة لين سهم دمت فلما مضهم الجوع استطعموا
من اكراد هناك فلم يحصلوا ابهم فقالوا السلطان معنا فقالوا انا نعرف السلطان فلا لحقوا
في المسلمة اعطوهم شيا فتب وقصعة لبن فتودعوها ثم رجع الى نهاوند ومر على اطراف
البلاد الى همذان ثم الى مازندران وقعقعه زماحم وسبوهم قد ملات مسامعه ومناطع
منزل بجزيرة هناك بموضع يعرف باوسكون فمرض بالاسهال الذريع وطلب دوا ناعوزه الخبز

ومات

ومات هناك وذكر انه حمل في البحر الى دهستان وذكر اخرون انه لما صار في السفينة
لم يزل يضرب راسه بعد انهزامه الى ان مات واما ابنه جلال الدين فنفذ به البلاد
فرمته ما الهند ثم انعطف الهند الى كرمان كما ياتي في ترجمته ان شا الله تعالى ٥ قال النسوي
ولما نحل من خاف جيحون الى نيسابور والناس يتسللون لم يقم بها الا ساعة رعبا تمكن من
صدره وذعرا داخل صميم قلبه فحكى لي الامير تاج الدين عمر البسطامي قال وصل السلطان
بسطام فاستحضرني واحضر عشر صناديق وقال هذه كلها جواهر وفي هذين الصندوقين
جوهر تساوي خراج الدنيا باسرها فامرني بحملها الى قلعة اردهن ففعلت واخذت خط
متوليها بوصولها مختومة فحاصر التتار القلعة الى ان صالحهم متوليها على تسليم الصناديق
اليهم بختومها فحملت الى جنكزخان ووصل السلطان الى اعمال همذان في عشرين الفا فلم يرعه
الا صيحة العدو ففاتهم بنفسه وشمل القتل جل اصحابه ونجا هو في نفر يسير الى مازندران
ثم الى حافة البحر فاقام بقرية هناك يحضر المسجد ويصلي مع امام القرية ويتلو وينذر
النذور ان سلمه الله الى ان كبسه التتار بها فبادر الى مركب فوقعت فيه سهامهم وخاض خلفه
ناس فغرقوا وحدثني غير واحد ممن كان مع السلطان في المركب قالوا كنا نسوق المركب
وبالسلطان من علة ذات الجنب ما ايسه من الحياة وهو يظهر الاكتئاب ضجرا ويقول لم يبق
لنا من ملكنا قدر ذراعين نحفر فنقبر فما الدنيا لساكنها بدار فلما وصل الى الجزيرة سر بذلك
واقام بها فريدا طريدا والمرض يزداد وكان في اهل مازندران ناس يتقربون اليه بالماكول
والمشروب وما يشتهيه فقال في بعض الايام اشتهي ان يكون عندي فرس يرعى حول خيمتي
فلما سمع الملك حسن اهدى اليه فرسا ومن قبل كان اختيار الدين امير اخور السلطان مقدما
على ثلاثين الف فارس يقول لو شئت لجعلت اصحابي ستين الفا من غير كلفة وذلك انه استرعى
من كل حصان للسلطان في البلاد حصانا فيلحقون على ثلاثين الفا فناهيك بهذا بعدما بين
الحالين ومن حمل اليه في تلك الايام شيئا من الماكول وغيره كتب له توقيعا بمنصب جليل وربما
كان الرجل يتولى كتابة توقيع نفسه لعدم موقع فامضاها بعد ولده جلال الدين ثم حل به الحمام
وانقضت الايام فغسله شمس الدين الحاجب ومقرب الدين الفراش وما كان عنده كفن ودفن
بالجزيرة   اذل الملوك وصاد القروم   وصير كل عزيز ذليلا   وحف الملوك به خاضعين
وزفوا اليه رعيلا رعيلا   فلما تمكن من امره   وصادف لذا الارض الا قليلا   واوهمه الغر ان الزمان

بلغ

اذا رامه ازند عنه كليلا انثنه المنية معاطه وسلت عليه حساما صقيلا فلم يغن عنه حماه
ولم يجد مع اله قبيلا كذلك يفعل بالشامتين وبعضهم الدهر جيلا فجيلا وقال شمس الدين
الجزري رحمه الله في تاريخه كان لخوارزم شاه علاء الدين تضرب النوبة في اوقات الصلوات
الخمس كعادة الملوك السلجوقية فلما قصد العراق في سنة اربع عشرة وستمائة ترك بها
نوبة لاولاده جلال الدين وغيره وجعل لنفسه نوبة ذي القرنين كانت تضرب وقت
المطلع والمغيب فعملها سبعة وعشرين دبدبة من الذهب ورصعها بالجواهر وبقي يوم
اخبر اضرب فيها على سبعة وعشرين ملكا من اكابر الملوك واولاد السلاطين وقصد
التجبر والعظمة ثم قصد العراق في اربع مائة الف فوصل الى همذان وقيل كان معه ستمائة
جمل تحت كل جمل حمل الف دينار وكان قد ابادا الملوك واستولى على الاقاليم ثم قال
هذا ما نقله ابن الاثير وغيره قال شمس الدين وحكى لي تقي الدين ابو بكر بن علي بن كمون
الجزري السفار سنة نيف وسبعين قال حدثني ابن عمي شمس الدين محمد التاجر وكان
صاحب الحريري بعث معه [illegible] الى العجم هدايا الى السلطان خوارزم شاه فكانوا
يحملون ما بعث به لكونه من بلاد اتابك زنكي قال فحكى لي حيشي الملك خوارزم شاه
ومعه يومئذ مقدار ستمائة الف راكب ومعهم اتباع تقاربهم وتلك البراري تموج بهم كالبحر
فسمعوا في بعض الليالي في المخيم واذا بصوت ينادي يا كفرة اقتلوا الفجرة فتتبع ذلك
الصوت فلم ير احدا الا الطيور طائرة فلما كان ثاني ليلة سمع ذلك الصوت بعينه ورأى
الطيور فلما كانت الليلة الثالثة سمع ذلك الصوت بعينه فما سكت الا وقد دخل اليه
حاله تحذره من الفتك به كما ذكرنا قال وحكى لي الصالح عز الدين ابو بكر الاربلي قال
كان ابن خالي حاجب مظفر الدين صاحب اربل فحدثني قال ارسلني مظفر الدين الى خوارزم شاه
رسولا فاكرمني واجلسني فوق رسول الخليفة وفوق الملوك الذين هم في خدمته مكانا
عليا من التقيا من عسكره وممن هو داخل في طاعته بلغنا انه الف وخمسين الفا وكانوا يجيئا
الى المكان يقولون هذا رسول العبير مظفر الدين فسالت بعض الوزراء كم يكون عدة جيش
السلطان قال المدونة يكون تومان التومان عشرة الاف قلت وكانت دولته احدى
وعشرين سنة ثم رايت سيرته وسيرة ولده لشهاب الدين محمد احمد بن علي النسوي في مجلد فذكر
فيه سعة ممالكه وقهره البلاد والعباد واستيلائه على خراسان وخوارزم واطراف العراق ومازندران

وكرمان

وكرمان ومكران وكيش وسجستان والغور وغزنة وباميان وما وراء النهر والخطا وما
يقارب اربع مائة مدينة وذكر من عظمة امته ان كان الخطابه امورا لم يسمع بمثلها من عظمتها
ونفوذ امرها وقتلها النفوس وجبروتها وان جنكزخان اسرها ورماه الذل والهوان
والجوع المؤيد بن محمد بن علي بن الحسن بن محمد بن ابي صالح رضي الدين ابو الحسن الطوسي ثم
النيسابوري المقرئ مسند خراسان في زمانه ولد سنة اربع وعشرين وخمسمائة وسمع صحيح
مسلم في سنة ثلاثين من ابي عبد الله الفراوي وصحيح البخاري من وجيه الشحامي وابي المعالي
محمد بن اسماعيل الفارسي وعبد الوهاب بن شاه والموطا من هبة الله بن سهل السيدي وسنن
الغوث الغنيق وتفسير الثعلبي من عائشة العصارى واكثر الوسيط للواحدي في التفسير
من عبد الجبار بن محمد الخواري والغاية في القراآت لابن مهران من زاهر بن طاهر الشحامي
والاربعين للحسن بن سفيان من فاطمة بنت زعبل وتفرد بالرواية عنها وعن هبة الله الفراوي
وغيرهم وطال عمره ورحل الناس اليه من الاقطار وكان ثقة معمرا جليلا روى عنه خلق
كثير منهم العلامة جمال الدين محمود الحصيري شيخ الحنفية والامام تقي الدين عثمان بن
الصلاح شيخ الشافعية والقاضي شمس الدين احمد الخليل الخويي وابن نقطة والبرزالي
وابن النجار والضياء والمرسي والصريفيني والكمال بن طلحة والبكري والمجد محمد بن محمد الاسفرايني
وابو الحسن علي بن يوسف الصوري والمجد محمد بن سعد الهاشمي ومحمد بن عمر بن الحويس الاسعردي
واسحق بن عبد المحسن الحنبلي وشمس الدين زكي بن حسن البيلقاني ومفضل بن علي القرشي
والقاسم بن ابي بكر الاربلي وغيرهم وبالاجازة خلق منهم شمس الدين عبد الواسع الابهري
وتاج الدين محمد بن ابي عصرون وشرف الدين احمد بن عساكر وزينب البعلبكية واجاز له العلامي
ابو بكر الانصاري وابو منصور عبد الرحمن بن محمد القزاز وجماعة وتوفي في ليلة الجمعة العشرين
من شوال واراحه الله من التتار رحمه الله فانهم بعد شهر واكثر اخذوا البلاد واستباحوها
سنة ثمان عشرة وستمائة فيها التقى السلطان جلال الدين بن خوارزم شاه هو وتولي خان
مقدم التتار ابن جنكزخان جلال الدين وركب كافهم فقتلا بالسيف وقتل مقدمهم تولي خان بن
جنكزخان واسر خلقا من التتار فلما وصل الخبر الى جنكزخان قامت قيامته ولم يتقر له قرار
دون ان جمع التتار وسار مجدا اليه الى جانب السند وكان جلال الدين قد انثنى عنه اخوه
وجماعة من العسكر فضعف وعليه الوقت في استجاعهم لقرب التتار منه وركب في شوال سنة

بمان عشر فالتقى الجمعان وثبت السلطان جلال الدين في شرذمة منهم ثم حمل بنفسه على قلب جنكزخان
فمزقه وولى جنكزخان منهزماً وكادت الدائرة تدور عليه لولا انه كان قد كمن قبل المصاف
نحو عشرة آلاف فخرجوا على ميمنة السلطان وعليها امين ملك فانكسرت وانكسر ايضاً جلال الدين
فتبدد نظامه وتقهقر إلى حافة السند فرأى والدته ونساءه يصحن بالله اقتلنا وخلصنا
من الاسر فامر بهن فغرقن وهذه من عجائب المصائب نسأل الله حسن العواقب فلما سدت
دونه المذاهب واحاطت به النوائب والسيوف وراءه وفي البحر امامه فرش فرسه في الما
على انه يموت غريقاً فعبر به فرسه ذلك النهر العظيم لطفاً من الله به وتخلص إلى تلك
الجهة ونحا اربعة آلاف راجل من اصحابه حفاة عراة ثم وصل اليه مركب من بعض الجهات
وفيه ماكول وملبوس فوقع ذلك منه بموقع فلما علم صاحب الجودي ان جلال الدين
وصل إلى بلاده طلبه بالفارس والراجل فبلغ ذلك جلال الدين فعظم عليه لان معه
اصحابه مجرحين وضعفا فاحتمل من مكانه وامر من معه من اصحابه ان كل جريح يقدر على الحركة
فليصحبه والا فليحز راسه وسار عازماً على ان يقطع نهر السند ويختفي بمن معه في بعض
الجبال والآجام ويعيشوا من الغارات واعتقد الهنود انه وقومه من التتار فصاح
جلال الدين بمن معه من الخيل وتقدم ملك الهند بجمعه فلما راى جلال الدين حمل عليه
ملك الهند بجيشه وثبت له جلال الدين إلى ان قاربه واستوفى عليه بسهم في فواده فسقط
قتيلاً وانهزم جيشه وحاز جلال الدين الغنائم والاموال فعاش بذلك ثم رحل إلى
سجستان واخذ ماله بها من الاموال وانفق فيمن معه وتماثل امره وقال القاضي
واصل كان جلال الدين بعد هذه في ستين الفا فقصد عسكر جنكزخان في اثني عشر الفا
فكسرهم فسير جنكزخان مع ابنه عسكراً فوصل إلى كابل فالتقى الجمعان واقتتلوا قتالاً
عظيماً فانهزمت التتار وقتل منهم خلق واخذت اموالهم ثم جرت فتنة لما يريده الله وهو ان
الامير سيف الدين بغراق التركي كان شجاعاً مقداماً وقع بينه وبين وارة السلطان
امير بسبب اجل الغنيمة فاقتتلوا فقتل اخو بغراق فغضب وقال انا اهزم الكفار ويقتل
اخي على السحت وفارق العسكر وقصد الهند وتبعه شطر الجيش فلاطفه السلطان
جلال الدين وسار بنفسه اليه وذكره الجهاد وخوفه من الله وبكى بين يديه فلم يرجع وسار
مغاضباً فوصل الخبر بوصول جنكزخان في جموعه فعجز السلطان وسار فوصل إلى ماء السند

وهو

وهو نهر كبير فلم يجد من السفن ما يعبر فيه وتبعه جنكزخان والحج في طلبه فالتقى الجمعان
واشتد الحرب حتى قيل ان ما مضى من الحروب كان لعباً بالنسبة اليه ودام القتال ثلاثة
ايام وقتل خلق من الفريقين وفي التتار اكثر فتحيز التتار ونزلوا وضعف المسلمون وجاءتهم
سفن فعدوا فيها وما علموا بما اصاب التتار من القتل والجراح ولو عرفوا لكروا عليهم فتدارك
التتار غزنة وملكوها لوقتها فقتلوا وسبوا واستولوا على الحد ثم اخربوها فوقها وقال
ابو شامة فيها توجه الملك المعظم إلى اخيه الملك الاشرف فاجتمع به بحران ثم دعاه صاحب
ماردين فبالغ في الخدمة وقدم له تحفاً وزوج المعظم بنته الواحدة بناصر الدين صاحب
ماردين وفيها جاءت الاخبار ان التتر قاربوا بغداد فانزعج الخليفة وامر الناس بالعبور
واستخدم واستعد وحصن البلد وفي جمادى الآخرة استرد المصريون دمياط من الفرنج
كما ذكرناه ورجع المعظم من حران وحضر معه الملك الاشرف عيشه قال ابو المظفر فاجتمعت
به وحرضته على نصرة الاسلام وقلت المسلمون في ضايقة واذا اخذت الفرنج الديار
المصرية ملكوا إلى حضرموت وعفوا اثار الحرمين وانت تلعب اجمعت به يشلميه فقال
ارموا الخيام فسبقته إلى حمص وبشرت المعظم واصبحت اطلاب الاشرف مادة
على حمص وجا طلب الاشرف والله ما رايت احمل منه ولا احسن رجالاً وعدة فاتفقا
على ان يدخلا الساحل إلى طرابلس يشوشون على الفرنج فانطق الله الاشرف فقال يا
خوند عوض ما ندخل الساحل وتضعف خيلنا وتضيع الوقت ما نروح إلى دمياط ونستريح
فقال المعظم قول رماة البندق قال نعم فقبل المعظم قدمه ونام الاشرف فخرج المعظم
يصيح الرحيل إلى دمياط وساق إلى دمشق وتبعته العساكر وانتبه الاشرف ندخل
الحمام فلم ير حوله من يحمله احداً فاخبروه فسكت ثم ساق فنزل القصير فاقام اياماً ثم عرض
العساكر بمواضع وجلسا في الطيارة والناس يدعون لهما بالنصر واما من في دمياط
فانهم خرجوا بالفارس والراجل وكان البحر زايداً جداً فجاوا إلى ترعة فارسوا عليها
وفتح المسلمون عليهم الترع من كل مكان واحدقت بهم عساكر الكامل فلم يبق لهم وصول
إلى دمياط وجا اسطول المسلمين فاخذوا مراكبهم ومنعوا عنهم الميرة من دمياط وكانوا
خلقاً عظيماً وانقطعت اخبارهم عن دمياط وكان فيهم مائة كند وثمانمائة من الخيالة وصاحب
عكا ومن الرجالة ما لا يحصى فلما عاينوا الهلاك ارسلوا إلى الكامل يطلبون الصلح ويسلمون

اليه دمياط فاجابهم ولو طول روحه يومين لاخذ برقابهم فبعث اليهم ولده نجم الدين
ايوب وابن اخيه شمس الملوك وجاءت ملوكهم الى الكامل فتلقاهم وانعم عليهم ووصل
اليه المعظم والاشرف بالجيوش في تلك الحالة في رجب فعمل الكامل فتلقاهم وانعم عليهم
ووصل اليه المعظم والاشرف بالجيوش في تلك الحالة في رجب فعمل الكامل سماطا عظيما
واحضر ملوك الفرنج ووقف في خدمته الاخوان والامرا وكان يوما مشهودا وقام
راجح الحلي الشاعر فانشد قطعة مليحة منها ونادى لسان الكون في الارض رافعا
عقيرته في الخافقين ومنشدا اعباد عيسى ان عيسى وحزبه وموسى جميعا ينصران محمدا
واشار الى الاخوة الثلاثة ثم سار الفرنج في البر والبحر الى عكا ورجعت العساكر فاقام
الاشرف بمصر وصافى اخاه بعد ما كان في النفس عاتبا منها واتفقا على المعظم وفيها
كتب الخليفة الى الافاق باعادة ابي نصر محمد الى ولاية العهد وفيها ولي قضاء دمشق
جمال الدين المصري وعمل لنا سور دمشق ما نيا الف دينار وقد ذرع فجاء دوره ستة
الاف ذراع **احمد بن عمر** بن محمد الزاهد القدوة الشيخ نجم الدين الكبرى ابو الجناب
الصوفي شيخ خوارزم سمعنا بالعلا الفرضي يقول انما هو نجم الكبرا ثم خفف وغير وقيل
نجم الدين الكبرى وهو من خيوق ويقال الخيوقي وهي من قرى خوارزم وطاف
البلاد وسمع بها الحديث واستوطن خوارزم وصار شيخ تلك الناحية وكان صاحب حديث
وسنة وملجا للغرباء عظيم الجاه لا يخاف في الله لومة لائم سمع بالاسكندرية من ابي طاهر
السلفي وبهمذان من الحافظ ابي العلا ومحمد بن بنيمان وبنيسابور من ابي المعالي الفراوي
روى عنه عبد العزيز بن هلالة وشيخ خطيب داريا وناصر بن منصور العرضي وسيف
الدين الباخرزي تلميذه واخرون وقال ابن نقطة هو شافعي المذهب امام في السنة
واثنى عليه وقال ابن هلالة جلست عنده في الخلوة مرارا ووجدت من بركته شيئا عظيما
وشاهدت في خلوتي عنده امورا عظيمة عجيبة وسمعت من يخاطبني باشياء حسنة وقال
اخر كان النجم الكبرى فقيها شافعيا مفسرا زاهدا عارفا فسر القران العظيم في اثني عشرة
مجلدة ودخل الشام ونزل بخانكاة القصر بحلب **قلت** وكان شيخنا عماد الدين الحزامي
يعظمه ولكن في الاعزاز الى له كلاما فيه شي من لوازم الاتحاد وهو ان شا الله سالم من ذلك
فانه محدث معروف بالسنة والتعبد كبير الشان ومن مناقبه انه استشهد في سبيل الله

وذلك

وذلك ان التتار لما نزلت على خوارزم في ربيع الاول من السنة خرج فيمن خرج ومعه جماعة من
مريديه فقاتلوا على باب خوارزم حتى قتلوا مقبلين غير مدبرين ولقد اجتمع به الفخر الرازي صاحب
التصانيف وفقيه اخر وقد تناظرا في معرفة الله وتوحيده فاطالا الجدال فسالا الشيخ
نجم الدين عن علم المعرفة فقال واردات ترد على النفوس تعجز النفوس عن ردها فساله
فخر الدين كيف الوصول الى ادراك ذلك قال بترك ما انت فيه من الرياسة والحظوظ وكما قال
له فقال هذا ما اقدر عليه وانصرف عنه واما رفيقه فانه تزهد وتجرد وصحب الشيخ ففتح
عليه وهذه حكاية حكاها لنا الشيخ ابو الحسين اليونيني ولا احفظها جيدا وممن اخذ عنه
احمد بن علي النغشي وعبد العزيز بن هلالة اخبرنا ابو عاصم نافع الهندي سنة اربع وسبعين
انا سعيد بن المطهر الباخرزي انا شيخنا ابو الجناب احمد بن عمر الخيوقي سنة خمس عشرة وستمائة
انا ابو العلا الحافظ بهمذان ح وانبانا احمد بن سلامة وغيره عن اللبان عن ابن كليب قالا انا علي
ابن احمد انا محمد بن محمد انا الصفار ثنا الحسن بن عرفة ثنا سلم بن سالم عن نوح بن ابي مريم
عن ثابت عن انس قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه للذين احسنوا الحسنى وزيادة
قال للذين احسنوا العمل في الدنيا الحسنى وهي الجنة والزيادة النظر الى وجه الله الكريم
هذا حديث منكر تفرد به سلم بن سالم البلخي وهو ضعيف باتفاق عن نوح الجامع شيخ
مرو وليس بثقة بل متروك وقد روى له الترمذي في جامعه والله اعلم **سنة تسع عشرة**
وستمائة قال ابو شامة فيها ظهر بالشام جراد عظيم اكل الزرع والشجر فطلب الملك المعظم
من بلاد العجم طيرا يقال له السمرمر ياكل الجراد فارسل الصدر البكري المحتسب وزين
معه صوفه وقال تمشي الى العجم فهناك عين يجتمع عليها السمرمر فتاخذ من مائها في قوارير
وتعلقها على روس الرماح فاذا راها السمرمر تبعك وما كان مقصوده الا ان يبعثه الى
السلطان جلال الدين بن علاء الدين ليتفق معه وذلك لما بلغه اتفاق اخويه بمصر عليه فسار
البكري واجتمع بجلال الدين وقرر معه الامور بالايمان وجعله سندا له فلما عاد
ولاه مشيخة الشيوخ مع حسبة دمشق وفيها حج خلق كثير لكونها وقفة الجمعة وازدحم
الناس بمكة حتى مات في جماعة قال ابن سبط الجوزي وحج من الشام صاحبها الملك المسعود
ابن الكامل في عسكر عظيم ومنع علم الناصر لدين الله ان يصعد الى الجبل واصعد علم
ابيه ويقال انه اذن في العلم في اخر شي وبدا منه جبروت عظيم حكى لي شيخنا جمال الدين

الحصيري قال رأيته وقد صعد على قبة زمزم وهو يرمي حمام مكة بالبندق ورأيت غلمانه يضربون
الناس بالسيوف في أرجلهم في المسعى والدم يجري على ساقات الناس قال أبو شامة أساء إلى
المسعود على مكة وبنى القبة على مقام إبراهيم وكثر الجلب إلى مكة في أيامه ولعظم هيبته
قلت الأشرار وأمنت الطرق قال وفيها نقل تابوت العادل إلى تربته فأحضر المصحف
الجامع وصلى عليه الخطيب الدولعي وألقى الدرس بمدرسته القاضي جمال الدين المصري..
وحضر السلطان المعظم وبحث وجلس المدرس عن يسار السلطان وعن يمينه شيخ الحنفية
جمال الدين الحصيري ويليه فخر الدين بن عساكر شيخ الشافعية ثم القاضي شمس الدين بن
الشيرازي ثم محيي الدين بن الزكي وتحت المدرس السيف الآمدي ثم القاضي شمس الدين
ابن سني الدولة ثم نجم الدين خليل قاضي العسكر ودارت حلقة صغيرة والخلق تملأ الإيوان
وكان قباله المعظم في الحلقة شيخنا تقي الدين بن الصلاح وفيها ملك بدر الدين لؤلؤ
صاحب الموصل قلعة شوش على مرحلتين من الموصل وكان صاحبها عماد الدين زنكي قد
سار إلى أزبك بن البهلوان سلطان أذربيجان وخدم معه وأقطعه خبزا وأقام عنده
وفيها استولت التتار على بلاد القفجاق وفيها أو في حدودها بلغ جلال الدين بن
خوارزم شاه أن شمس الدين إيلتمش قد أصعد في ثلاثين ألف فارس ومائة ألف راجل
فتجلد جلال الدين على ملتقاه وسار وقدم قدامه جهان بهلوان أزبك فحمل على يزك إيلتمش
فهجم على جماعة منهم وحضر إلى جلال الدين من أعلمه ثم وصل بعد ذلك رسول إيلتمش يطلب
الصلح ويقول ليس يخفى عليك ما وراءنا من عدو الدين وأنت سلطان المسلمين وابن سلطانهم
وإن رأيت أن أزوجك ابنتي فمال السلطان جلال الدين إلى ذلك ولم يصرح بذلك حاله
ثم جاءته الأخبار أن إيلتمش وقباجة وسائر ملوك الهند قد اتفقوا على جلال الدين وأن يمسكوا
عليه حافة البحر فعظم ذلك عليه واستناب جهان على ما يملكه من الهند وسار إلى العراق
وقاسى الشدائد والمشاق في تلك البراري التي بين الهند وكرمان فوصل في أربعة آلاف
منهم من هو راكب البقر والحمير وذلك في سنة إحدى وعشرين وستمائة ثم قدم شيراز
فأتاه الأتابك علاء الدولة مذعنا بالطاعة لأنه كان قد استوحش من أخيه غياث الدين
ورغب جلال الدين فيه وخطب ابنته فزوجه بها واستظهر جلال الدين بمصاهرته ثم رحل إلى
أصبهان فخرجوا لتلقيه وأخرجوا له الخيل والسلاح فلما بلغ غياث الدين توسطه في

البلاد

البلاد ركب إليه في ثلاثين ألف فارس ورجع جلال الدين عند ذلك آيسا مما كان يؤمله
وسير إلى غياث الدين رسولا يقول حين ضاقت علي الأرض بما رحبت قصدتك
لأستريح عندك أياما وحيث علمت أن ما عندك للضيف غير السيف رجعت فلما بلغت
غياث الدين الرسالة عاد عما كان عزم عليه من قتال أخيه جلال الدين وتفرق عسكره
وكان جلال الدين قد سير مع رسوله عدة خواتيم يوصلها إلى جماعة من الأمراء فمنهم من
تناول الخاتم وسكت وأجاب إلى القدوم عليه ومنهم من بادر بالخاتم إلى غياث الدين
فغضب وقبض على الرسول فركب جلال الدين في ثلاثة آلاف وأسرع حتى أناخ بغياث
الدين وهو على غير أهبة للمصاف فركب فرس النوبة وهرب ودخل جلال الدين خيمة
غياث الدين وبها والدة غياث الدين فأخذ في احترامها وإكرامها وقال لها ما بقي من
بني أبي سواه فسيرت والدته خلفه فعاد إليه فلازمه وحضر إلى باب جلال الدين من
كان بخراسان والعراق ومازندران من المتغلبين على البلاد ففرق العمال على البلاد
وسار نحو خوزستان وسير رسولا إلى بغداد فأكرموه وفرحوا بسلامة جلال الدين
في مثل هذا الوقت الصعب سنة عشرين وستمائة قال أبو شامة فيها عاد الملك
الأشرف من مصر فالتقاه المعظم وعرض عليه النزول بالقلعة فامتنع ونزل بجوسق
والده العادل وبدت الوحشة بين الأخوة الثلاثة وأصبح الأشرف رحل من السحر ونزل
على ضمير ثم سار إلى حران وكان قد استناب أخاه شهاب الدين غازي صاحب ميافارقين
على خلاط وجعله ولي عهده ومكنه من بلاده فسولت له نفسه العصيان وحسن له ذلك
الملك المعظم وكاتبه وأعانه وكذا كاتبه صاحب إربل ومالوا بجنوده فأرسل الأشرف
إلى غازي يطلبه فامتنع فأرسل إليه يا أخي لا تفعل أنت ولي عهدي والبلاد بحكمك فأظهر
العصيان فجمع الأشرف عساكره وعساكر حلب وقصد خلاط وقال ابن الأثير فيها كانت
الوقعة بين التتار الذين جاؤوا من دربند شروان والقفجاق والروس وصبر الفريقان
أياما ثم انهزم القفجاق والروس ولم يسلم منهم إلا اليسير عبد الله بن أحمد بن محمد
ابن قدامة بن مقدام بن نصر شيخ الإسلام موفق الدين أبو محمد المقدسي الجماعيلي ثم الدمشقي
الصالحي الحنبلي صاحب التصانيف ولد بقرية جماعيل في شعبان سنة إحدى وأربعين
وخمسمائة وهاجر فيمن هاجر مع أبيه وأخيه وله عشر سنين وحفظ القرآن واشتغل في

صغير وسمع من ابيه سنة نيف وخمسين وارتحل الى بغداد في اوايل سنة احدى وستين
في صحبة ابن خالته الحافظ عبد الغني فادركا من حياة الشيخ عبد القادر خمسين يوما فنزلا
في مدرسته وشرعا يقرآن عليه في مختصر الخرقي وسمع منه ومن هبة الله بن هلال الدقاق
وابي الفتح بن البطي وابي زرعة المقدسي واحمد بن المقرب واحمد بن محمد الرحبي واحمد بن
عبد الغني الباجسراي وابي المكارم حيدرة بن عمر العلوي وخديجة النهروانية وشهدة
الكاتبة ونفيسة البزازة وسعد الله بن الدجاجي وعبد الله بن منصور الموصلي وابي بكر بن النقور
وابي محمد بن الخشاب وعلي بن عبد الرحمن بن تاج القرا ومعمر بن الفاخر وعبد الواحد بن
الحسين البادري وعمر بن بنيمان الدلال ومحمد بن محمد بن السكن والمبارك بن محمد البادرايي
وابي شجاع محمد بن الحسين المادرايي والمبارك بن المبارك السمسار وابي طالب المبارك بن
خضير وابي حنيفة محمد بن عبيد الله الخطيبي وهبة الله بن المحدث عبد الله بن احمد بن السمرقندي
ويحيى بن ثابت البقال وغيرهم وتفقه على ابي الفتح بن المني وقرا عليه بقراءة ابي عمرو وقرا
على ابي الحسن البطايحي بقراءة نافع وسمع بدمشق من ابي المكارم عبد الواحد بن هلال وابي تميم
سلمان بن علي الرحبي وابي المعالي بن صابر وطايفة وبالموصل من ابي الفضل الطوسي الخطيب
وبمكة من المبارك بن علي بن الطباخ روى عنه البها عبد الرحمن وابن نقطة والجمال ابو موسى
والضيا وابن خليل والبرزالي والمنذري والجمال ابن الصيرفي والشهاب ابو شامة والمحب
ابن النجار والزين بن عبد الدايم وشمس الدين بن ابي عمر والعز ابراهيم بن عبد الله بن ابي عمر والفخر
علي والتقي بن الواسطي والشمس بن الكمال والتاج عبد الخالق والعماد عبد الحافظ بن بدران
والعز اسمعيل بن الفرا والعز احمد بن العماد وابو الفهم السلمي ويوسف الغسولي واخوهم
ابن الفرا وزينب بنت الواسطي وخلق كثير اخرهم موتا التقي بن مومن حضر عليه قطعة
من الموطا وكان اماما مفتيا مصنفا متفننا متبحرا في العلوم كبير القدر اخبرنا عبد الحافظ
بقراتي انا ابو محمد بن قدامة انا عبد الواحد بن الحسين انا ابو عبد الله الحسين بن احمد بن محمد
ابن طلحة انا ابو القاسم الحسن بن الحسين بن المنذر ثنا عمر بن دينار املا ثنا ابو يزيد يوسف
ابن يزيد بن كامل ثنا ابن ابي مريم ثنا عثمان بن مكتل وانس بن عياض قالا ثنا الحرث بن
عبد الرحمن عن عبد الرحمن مولى ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال احب البلاد
الى الله مساجدها وابغض البلاد الى الله اسواقها قال ابن النجار كان يعني الشيخ موفق

الدين

الدين امام الحنابلة بالجامع وقد سمع منه ببغداد رفيقه عبد العزيز بن طاهر الخياط
سنة ثمان وستين وخمسمايه وكان ثقة حجة نبيلا غزير الفضل نزها ورعا عابدا
على قانون السلف على وجهه النور والوقار ينتفع الرجل برويته قبل ان يسمع كلامه
وقال عمر بن الحاجب هو امام الايمة ومفتي الامة خصه الله بالفضل الوافر والخاطر
الماطر والعلم الكامل طنت بذكره الامصار وضنت بمثله الاعصار قد اخذ بمجامع
الحقايق النقلية والعقلية فاما الحديث فهو سابق فرسانه واما الفقه فهو فارس
ميدانه اعرف الناس بالفتيا وله المولفات الغزيرة وما اظن الزمان يسمح بمثله متواضع
عند الخاصة والعامة حسن الاعتقاد ذو اناة وحلم ووقار وكان مجلسه عامرا
بالفقها والمحدثين واهل الخير وصار في اخر عمره يقصده كل احد وكان كثير العبادة
دايم التهجد لم ير مثله ولم ير مثل نفسه وقال الضيا في سيرته كان تام القامة ابيض
مشرق الوجه ادعج العينين كان النور يخرج من وجهه لحسنه واسع الجبين طويل
اللحية قايم الانف مقرون الحاجبين صغير الراس لطيف اليدين والقدمين نحيف
الجسم متعه الله بحواسه حتى توفي رحل هو والحافظ عبد الغني فاقاما ببغداد نحوا
من اربع سنين ثم رجعا وقد حصلا الفقه والحديث والخلاف اقاما خمسين ليلة عند
الشيخ عبد القادر ومات ثم اقاما عند ابي الفتح بن الجوزي ثم اشتغلا الى رباط الشيخ
محمود النعال واشتغلا على ابن المني ثم سافر هو ثانيا الى بغداد سنة سبع وستين هو
والشيخ العماد فاقاما سنة وكان افقههما عبد الله اخو وعبد الملك بن عيسى فضيقا
عليهما بكونهما حنبليين فرجع بها الى دمشق ثم حج سنة ثلاث وسبعين والدي وعمرو
ابن عبد الله وردوا على درب العراق **ذكر تصانيفه** البرهان في القران
جزان مسئلة العلو جزان الاعتقاد جزء ذم التاويل جزء كتاب القدر جزان
كتاب فضايل الصحابة جزان كتاب المتحابين جزان جزء فضل عاشورا جزء فضايل
العشر ذم الوسواس جزء مسيح جزء ضخم وغير ذلك من الاجزا وصنف المغني في
الفقه في عشر مجلدات كبار والكافي في اربعة مجلدات والمقنع مجلد والعمدة مجلد
لطيف والروضة مجلد صغير والرقة مجلد صغير مختصر الهداية مجلد صغير
التبيين في نسب القرشيين مجلد صغير الاستبصار في نسب الانصار مجلد كتاب

مختصر العلل للخلال مجلد ضخم قال الضياء رأيت الإمام أحمد بن حنبل في النوم وألقى علي مسألة
في الفقه فقلت هذه في الخرقي فقال ما قصر صاحبكم الموفق في شرح الخرقي قال الضياء
وكان رحمه الله إماماً في القرآن وتفسيره إماماً في علم الحديث ومشكلاته إماماً
في الفقه بل أوحد زمانه فيه إماماً في علم الخلاف أوحد زمانه في النجوم السيارة والمنازل
وسمعت الوجيه داود بن صالح المقرئ بمصر قال كنت أتردد إلى الشيخ أبي الفتح بن المني
فسمعته يقول وعنده الإمام موفق الدين إذا خرج هذا الفتى من بغداد احتاجت إليه
وسمعت البهاء عبد الرحمن بن إبراهيم يقول كان شيخنا أبو الفتح بن المني يقول للشيخ الموفق
اسكن هنا فإن بغداد مفتقرة إليك وأنت تخرج من بغداد ولا تخلف فيها مثلك وكان
الموفق يقول إن لي أولاداً ولا يمكنني المقام وكان شيخنا العماد يعظم الشيخ الموفق تعظيماً
كثيراً ويدعو له ويقعد بين يديه كما يقعد المتعلم من العالم وسمعت الإمام أبا عبد الله
محمد بن محمود الأصبهاني يقول ما رأى أحد في زمانه مثل الشيخ الموفق وسمعت الإمام
المفتي أبا عبد الله عثمان بن عبد الرحمن الشافعي عن شيخنا موفق الدين ما رأيت مثله كان
مؤيداً في فتاويه شاهدت بخط شيخنا العماد إبراهيم بن عبد الواحد وقفت على وصية
شيخنا وسيدنا الإمام العالم الأوحد الصدر شيخ الإسلام موفق الدين الذي شهد بفضله
وعلمه الموالف والمخالف الناصر للسنة المحمدية والسالك للطريقة النبوية الأحمدية
القامع البدعة المردية الردية وسمعت الإمام المفتي شيخنا أبا بكر محمد بن معالي بن غنيمة
ببغداد يقول ما أعرف أحداً في زماننا أدرك درجة الاجتهاد إلا الموفق وسمعت
الإمام الحافظ الزاهد أبا عبد الله اليونيني يقول وكتبه لي قال أما ما علمته من أحوال شيخنا
وسيدنا موفق الدين فإنني إلى الآن ما أعتقد أن شخصاً ممن رأيته حصل له من الكمال في
العلوم والصفات الحميدة التي يحصل بها الكمال سواه فإنه رحمه الله كان كاملاً في صورته
ومعناه من حيث الحسن والإحسان والحلم والسؤدد والعلوم المختلفة والأخلاق
الجميلة والأمور التي ما رأيتها كملت في غيره وقد رأيت من كرم أخلاقه وحسن عشرته ووفور
حلمه وكثرة علمه وغزير فطنته وكمال مروءته وكثرة حيائه ودوام بشره وعزوف نفسه عن الدنيا
وأهلها والمناصب وأربابها ما قد عجز عنه كبار الأولياء فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ما أنعم الله على عبد نعمة أفضل من أن يلهمه ذكره فقد ثبت بهذا أن إلهام الذكر أفضل

من

من الكرامات وأفضل الذكر ما يتعدى نفعه إلى العباد وهو تعليم العلم والسنة
وأعظم من ذلك وأحسن ما كان جبلة وطبعاً كالحلم والكرم والعقل والحياء وكان الله
قد جبله على خلق شريف وأفرغ عليه المكارم إفراغاً وأسبغ عليه النعم ولطف به في
كل حال قال الضياء وكان لا يكاد يناظر أحداً إلا وهو يتبسم فسمعت بعض الناس
يقول هذا الشيخ يقتل خصمه بتبسمه وسمعت الفقيه أحمد بن مهدي العلثي يقول ناظر
الموفق ابن فضلان يعني يحيى بن محمد الشافعي فقطعه الموفق قلت وكان ابن فضلان
يضرب به المثل في المناظرة وأقام الموفق مدة يعمل حلقة يوم الجمعة بجامع دمشق
يناظر فيها بعد الصلاة ويجتمع إليه أصحابنا وغيرهم ثم ترك ذلك في آخر عمره وكان يشتغل
عليه الناس من بكرة إلى ارتفاع النهار ثم يقرأ عليه بعد الظهر إما الحديث وإما من
تصانيفه إلى المغرب وربما قرئ عليه بعد المغرب وهو يتعشى وكان لا يري لأحد
ضجراً وربما تضرر في نفسه ولا يقول لأحد شيئاً حدثني ولده أبو المجد قال الحاجي
والمدى يوماً جماعة يقرؤون عليه فطولوا وفرغ ذهنه أن لا يقول لأحد شيئاً في هذا الفقه
الذي لنا فإن أخذ العلم الذي يصلحون به بقية فكتب فسمعوا من ذلك وقالوا لعلنا أطلنا
وقاموا واشتغل الناس عليه مدة بالخرقي والهداية ثم بمختصر الهداية الذي جمعه ثم بعد
ذلك اشتغل عليه الخلق بتصانيفه المقنع والكافي والعمدة وكان يقرأ عليه النحو
ويشرحه ولم يترك الاشتغال إلا من عذر وانتفع به غير واحد من البلدان ورحلوا إليه
وكان لا يكاد يراه أحد إلا أحبه حتى كان كثير من المخالفين يحبونه ويصلون خلفه
ويمدحونه مدحاً كثيراً وكنا وكنت أعرف في عهد أولاده أنهم كانوا يتخاصمون عنده
ويتضاربون وهو لا يتكلم وكما يقرأ عليه ويحضر من لا يفهم فربما أعرض ذلك الرجل بما
لا يكون في ذلك المعنى فيغتاظ غيره ويقول ليس هذا من هذا وجرى ذلك غير مرة فما
أعلم أنه قال له قط شيئاً ولا أوجع قلبه وكانت له جارية تؤذيه بخلقها فما كان يقول لها
شيئاً وكذلك غير هؤلاء من نسائه وسمعت البهاء عبد الرحمن يقول لم أر من أحد ألطف احتمالاً منه
ولا أكثر احتمالاً وكان متواضعاً يتفقد أهله المساكين ويسمع كلامهم ويقضي حوائجهم
ويعطيهم وكان حسن الأخلاق لا يكاد يراه أحد إلا مبتسماً يحكي الحكايات لجلسائه ويحدثهم
ويمزح ولا يقول إلا حقاً سمعت البهاء عبد الرحمن يقول قد صحبنا في الغزاة فكان يمازحنا

وبسط معنا ونقصد بذلك طيب قلوبنا فما رأينا أكرم منه ولا أحسن صحبة كان عندنا صبيان
يشتغلون من حوران وكانوا يلعبون بعض الأوقات إذا ما خلوا فشكى بعض الجماعة إلى
الشيخ أبي عمر فقال أخرجهم من عندنا ثم قال بعض أصحاب الموفق فذكر ذلك له فقال دعهم
وهل يصنعون إلا أنهم يلعبون هم صبيان لا بد لهم من اللعب إذا اجتمعوا وأنتم كنتم مثلهم
وكان بعض الأوقات يرانا نلعب فلا ينكر علينا ولقد شاورته في أشياء متعددة فيشير علي بشيء
فأراه بعد كما قال وكم قد جرى على أصحابنا من غم وضيق صدر من جهة السلاطين واختلافهم
فإذا وصل الكلام إليه أشار بالرأي السديد الذي يراه فيكون في رأيه اليمن والبركة وكان
أخوه الشيخ أبو عمر مع كونه الأكبر لا يكاد يعمل شيئا حتى يشاوره سمعت الإمام الزاهد أبا عبد الله
محمد بن أبي الحسين اليونيني قال كنت بعض الأوقات لا أرى القراءة وبعضها أتركها فقال لي
الموفق يا فلان في صومعتك من يأتيك بليس قلت في صومعتي أويس القرني قال ما يقول لك قلت
يقول لي ما أحب أن أكون محدثا ولا مفتيا ولا قاضيا في نفسي شغل عن الناس فقال والله مليح
ما يقول لك يقول لك هذه ليلة السجود فتسجد إلى الصباح هذه ليلة البكا فتبكي إلى
الصباح قلت لا قال هذا مقصوده أنك تبطل العلم وتفوتك فضيلته وما يحصل لك
فعل أويس فبعد ذلك ما بقي يلبس في هذا المعنى قال الضيا وكان لا يناقش أهل
الدنيا ولا يكاد أحد يسمعه يشكو وربما كان أكثر حاجة من غيره وكان إذا حصل له شيء من
الدنيا فرقه ولم يتركه وسمعت البها عبد الرحمن يقول كان فيه من الشجاعة كان يتقدم
إلى العدو ولقد أصابه على القدس جرح في كفه ولقد رأيت أناسه على قلعة صفد وكان يرى
الكفار فكان هو يجعل النشابة في الفوق ويرى الكافر أنه يرميه فيستتر منه فيفعل ذلك
غير مرة ولا يرمي حتى يمكنه فرصة ولما مات ابنه أبو الفضل محمد بهمذان جاءه خبره فحدثني
بعض من حضره أنه استرجع وقام يصلي قلت كان فاضلا مشتغلا عاش سبعا وعشرين
سنة قال ولما مات ابنه أبو المجد عيسى وكان عنده صبر واحتسب وسمعت عنه أنه كان لا
يطلب من أهل بيته أن يغسلوا ثيابه ولا يطعموا ولا يكلفهم بل يقوم عندهم مثل الضيفان جاءوا
إلى أكل وإلا سكت وكان يصلي صلاة حسنة بخشوع حسن ركوع وسجود ولا يكاد يصلي
سنة الفجر والمغرب والعشاء إلا في بيته اتباعا للسنة وكان يصلي كل ليلة بين العشاءين ركعتين
بالم تنزيل السجدة وتبارك الذي بيده الملك وركعتين بيس والدخان لا يكاد يخل بهن وكان

يقوم

يقوم من الليل سحرا يقرأ بالسبع وربما رفع صوته بالقراءة وكان حسن الصوت رحمه الله سمعت
الحافظ الزاهد أبا عبد الله اليونيني قال لما كنت أسمع شناعة الخلق على الحنابلة بالتشبيه
عزمت على سؤال الشيخ الموفق عن هذه المسألة وهل هي مجرد شناعة عليهم أو قال بها بعضهم
أو هي مقالة لا نظهرها عن علمائهم إلا إلى من يوثق به وبقيت مدة شهور أريد أن أسأله فما
سنح لي خلو المكان من خلو الطريق بلي وصعدت معه إلى الجبل فلما كنا عند الدرب
المقابل لدار ابن محارب وما اطلع على ضميري سوى الله عز وجل جعلت أريد أستدعي
فالتفت إلي وأنا خلفه فقال لي التشبيه مستحيل وما نطقت أنا له بما كنت من قولي الخ
باستدعي فلما قال لي ذلك تجلدت وقد أحببت أن أريد أن أسأله عنه وكشف الله له
الأمر فقلت له لم قال لأن من شرط التشبيه أن نرى الشيء ثم نشبهه من الذي رأى الله
ثم شبهه لنا وسمعت أبا عبد الله محمد بن محمد بن جعفر المقرئ يقول جئت إلى
الشيخ الموفق وعنده جماعة فسلمت فرد علي ردا ضعيفا فقعدت ساعة فلما قام
الجماعة قال لي اذهب فاغتسل فبقيت متفكرا ثم قال لي اذهب فاغتسل فتفكرت فإذا
قد أصابني جنابة من الليل ونسيتها وسمعت الشريف أبا عبد الله محمد بن كامل
العباسي يقول كنت يوما أتفكر في نفسي لو أن لي شيئا من الدنيا لبنيت مدرسة
للشيخ الموفق وجعلت له كل يوم ألف درهم ثم إني قمت فجئت إليه فسلمت عليه
فنظر إلي وتبسم وقال إذا نوى الشخص نية خير كتب له أجرها وقال أبو شامة
وذكر الشيخ الموفق فقال كان إماما من أئمة المسلمين وعلما من أعلام الدين في العلم
والعمل صنف كتبا كثيرة حسانا في الفقه وغيره ولكن كلامه فيما يتعلق بالعقائد
في مسائل الصفات على الطريقة المشهورة عن أهل مذهبه فسبحان من لم يوضح له الأمر
فيها على جلالته في العلم ومعرفته بمعاني الأخبار والآثار سمعت منه مسند الشافعي
بفوت ورقتين وكان الصحيح بنسخة شاهين وقال غير واحد عن عز الدين بن عبد السلام
شيخ الشافعية أيما كان أعلم فخر الدين بن عساكر أم الشيخ الموفق فغضب فقال
والله موفق الدين كان أعلم بمذهب الشافعي من ابن عساكر فضلا عن مذهبه قال
أبو شامة ومن أظرف ما يحكى عن الموفق أنه كان يجعل في عمامته ورقة مصرورة فيها
رمل يرمل به الفتاوى والإجازات فخطفت عمامته ليلا فقال لخاطفها يا أخي خذ من

العمامة الوقعة بإزائها ورد العمامة على رأسي ورأيت في أوسع الحال فظن الخاطف أنها فضة
وراها ثقيلة فأخذها ورمى العمامة له وكانت صغيرة عتيقة قال وكان الموفق بعد موت أخيه
هو الذي يؤم في الجامع المظفري ويخطب فإن لم يحضر فعبد الله بن أخيه يؤم ويخطب ويصلي
الموفق بمحراب الحنابلة إذا كان في البلد وإلا صلى الشيخ العماد ثم كان بعد موت الشيخ
العماد يصلي فيه أبو سليمان بن الحافظ عبد الغني وكان الموفق إذا فرغ من صلاة العشاء الآخرة
يمضي إلى بيته بالرصيف ويمضي معه من فقراء الحلقة من قدر الله فيقدم لهم ما تيسر يأكلونه
معه وقال الضياء سمعت أختاي رقية وآسية تقولان إنه لما حضره الموت هللنا فهلل
وجعل يستعمل في التهليل حتى توفي رحمه الله قال وسمعت الإمام أبا محمد إسماعيل بن حماد
الكاتب يقول رأيت ليلة عيد الفطر كأني عند المقصورة ورأيت كأن مصحف عثمان قد
عرج به وأنا قد لحقني من ذلك غم شديد وكأن الناس لا يكترثون لذلك فلما كان الغد قيل
مات الشيخ الموفق وسمعت صالح بن عبد الله الحبشي يقول إنه رأى ليلة توفي الشيخ
الموفق كأن القرآن قد رفع من المصاحف وسمعت الإمام عبد المحسن بن عبد الكريم
المصري يقول رأيت ليلة الأحد في ... مردك وهي في جبل بني هلال على دمشق
صواعقها خر أصابه جبل قاسيون فقلنا قد احترقت دمشق قال وخرج أهل قريتنا
الرجال والنساء يتفرجون على الضوء فلما جينا إلى بعض الطريق إذا الحريق الذي كان
بدمشق فقالوا أما كان بها حريق فلما وصلنا إليها قال لنا ابني إن الشيخ الموفق توفي
فقلت ما كان هذا النار إلا لأجله قال الضياء وقد سمعنا نحو هذا من غير واحد يحدثه
أنه رأى ذلك بحوران وبالطريق وسمعت العدل أبا عبد الله محمد بن نصر بن قوام الـ...
بعد موت الشيخ الموفق بأيام قال رأيت ليلة الجمعة في الثلث الأخير الجو ...
على عليائي يعرفني قائمة يعني ليس هو على الأرض وإلى جانبي رجل خطر في قلبي أنه الخضر
عليه السلام فذكرنا الشيخ الموفق فقال الحق المحض هل تعرف أخته وابنته فقال لا قال
بلى أذهب معي هاني الموفق وخطر ببالي أنه يعني يقول فإني أعددت لهم ما لا عين رأت
ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم انتبهت وقد سأل الضياء منامات كثيرة في
سيرة الشيخ الموفق تركتها خوف الإطالة ثم قال تزوج بنت عمه مريم بنت أبي بكر بن عبد الله
ابن سعد فولدت له أولادا عاش منهم في كبر أبو الفضل محمد وأبو المجد عيسى وأبو العز يحيى

وصفية

وصفية وفاطمة فمات بنوه في حياته ولم يعقب منهم سوى عيسى وتسرى بجارية ثم ماتت هي
وزوجته بعدها ثم تسرى بجارية وجاء منها بنت ثم ماتت البنت وزوج الجارية ثم تزوج إلى
عزية بنت إسماعيل وتوفيت قبله ومن شعره
أتغفل يا ابن أحمد والمنايا ... شوارع يخترمنك عن قريب
أغرك أن تخطتك الرزايا ... فكم للموت من سهم مصيب
كؤوس الموت دائرة علينا ... وما للمرء بد من نصيب
إلى كم تجعل التسويف دأبا ... أما يكفيك إنذار المشيب
أما يكفيك أنك كل حين ... تمر بقبر خل أو حبيب
كأنك قد لحقت بهم قريبا ... ولا يغنيك إفراط النحيب
قال الضياء توفي يوم السبت يوم الفطر
ودفن من الغد وكان الخلق لا يحصي عددهم إلا الله عز وجل وكنت فيمن غسله توفي بمنزله بدمشق

عبد الرحمن بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين الإمام المفتي فخر الدين أبو منصور
الدمشقي الشافعي بن عساكر شيخ الشافعية بالشام ولد في سنة خمسين وخمسمائة وسمع من عميه
الصائن هبة الله وأبي القاسم الحافظ وعبد الرحمن بن أبي الحسن الداراني وحسان بن تميم
الزيات وأبي المكارم عبد الواحد بن هلال وداود بن محمد الخالدي ومحمد بن أسعد العراقي وأبي
المعالي بن صابر وجماعة وتفقه على الشيخ قطب الدين النيسابوري وبرع في الفقه وزوجه القطب
بابنته فجاءه منها ولد سماه جده قطب الدين مسعود ومات شابا ولو عاش لخلف جده وأباه
وقد ولي فخر الدين تدريس الجاروخية ثم تدريس الصلاحية بالقدس ثم بدمشق تدريس التقوية
فكان يقيم بالقدس شهرا وبدمشق شهرا وكان عنده بالتقوية فضلاء الوقت حتى كانت تسمى
نظامية الشام وهو أول من درس بالعذراوية وذلك في سنة ثلاث وتسعين لما ماتت الست
عذراء بنت شاهنشاه بن أيوب أخت عز الدين فرخشاه فدفنت بدارها وكانت أمرت بدارها
لأنها فوقفتها الإمام على الشافعية والحنفية وكان لا يمل الشخص من النظر إليه لحسن سمته
واقتصاده في لباسه ولطفه ونور وجهه وكان لا يخلو لسانه من ذكر الله في قيامه وقعوده
وكان يسمع الحديث تحت النسر وهو المكان الذي كان يسمع فيه على الحافظ أبي القاسم عمه
قال أبو شامة سألته مسائل فقهية وكان الملك العادل قد أرسل إليه ليوليه القضاء
فطلبه ليلا فأتاه فتلقاه وأجلسه إلى جانبه فجلس مستوفزا فأحضر الطعام فلم يأكل منه
شيئا فألح عليه أن يتولى القضاء فقال حتى أستخير الله تعالى فأخبرني من كان معه قال فرجع
إلى بيته ووقف يصلي ويتضرع ويبكي إلى الفجر ثم صلى الصبح ودخل بيته الصغير الذي عند محراب
الصحابة وكان أكثر النهار يتعبد ويفتي ويطالع فيه ويجدد الوضوء من طهارة المئذنة وهذا

البيت الذي كان يخرج منه خلفاء بني امية قبل ان يعمر الوليد الجامع قال فلما طلعت اليه من جهة السلطان
جماعة فاصر على الامتناع واشار بتولية ابن الحرستاني فولي وكان قد خاف ان يكره على القضا فجهز
اهله للسفر وخرجت المحاير الى ناحية حلب فردها الملك العادل وعز عليه ما جرى قال
وكان يتورع من المرور في رواق الحنابلة لئلا ياثموا بالوقيعة فيه وذلك ان عوامهم يبغضون
بني عساكر لانهم اعيان الشافعية الاشعرية وعزله الملك المعظم عن تولية المدرسة العادلية
لكونه انكر عليه تضمين المكوس والخمور ثم انه الماح اخذ منه التقوية واخذت منه قبل ذلك
الصلاحية التي بالقدس وما بقي له الا الجاروخية وقال ابو المظفر الجوزي كان زاهدا عابدا
ورعا منقطعا الى العلم والعبادة حسن الاخلاق قليل الرغبة في الدنيا توفي في عاشر رجب
ولم يتخلف عن جنازته الا القليل قال ابو شامة اخبرني من حضر وفاته قال صلى الظهر ثم جعل
يسال عن العصر فقيل له لم يقرب وقتها فتوضا ثم تشهد وهو جالس وقال رضيت بالله ربا
وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا لقنني الله حجتي واقالني عثرتي ورحم غربتي ثم قال وعليكم السلام
فعلمنا انه قد حضرت الملائكة ثم انقلب على قفاه ميتا وغسله الفخر بن المالكي والتاج بن اخيه زين
الامنا وكان مرضه بالاسهال وصلي عليه بالجامع اخوه زين الامنا ومن الذي قدر على الوصول
الى سريره وقال عمر بن الحاجب هو احد الائمة المبرزين بل واحدهم فضلا وكبيرهم قدرا
شيخ الشافعية في وقته وكان ثقة ثبتا زاهدا ثقة كثير التهجد غزير الدمعة حسن الاخلاق كثير
التواضع قليل التعصب سلك طريق اهل اليقين وكان اكثر اوقاته في بيته في الجامع ويرى
اكثر اوقاته في بيته في نشر العلم وكان مطرح التكلف وعرض عليه مناصب وولايات دينية
فتركها ولد في رجب سنة خمسين وفي رجب توفي وكان الجمع لا يحصى من الكثرة حدث
بمكة ودمشق والقدس وصنف في الفقه والحديث عدة مصنفات وسمعنا منه وقال
الشهاب القوصي في معجمه كان شيخنا فخر الدين كثير البكا سريع الدموع كثير الورع
والخشوع وافر التواضع عظيم الخلق كثير التهجد قليل الهجوع مبرزا في علمي الاصول
والفروع جمعت له العلوم والزهادة وعليه تفقهت واخذت الافادة لازم القطب
النيسابوري حتى برع قرات عليه من حفظي كتاب الخلاصة للغزالي وسمعت منه الاربعين
البلدية له ودفن بجوار تربة شيخه القطب قلت وروى عنه الزكي البرزالي والضيا
المقدسي والتاج عبد الوهاب بن زين الامنا والزين خالد والكمال العديمي وسمعنا بالاجازة

على

على عمر بن الفقاس وتفقه عليه جماعة منهم الشيخ عز الدين بن عبد السلام

يوسف ملك الغرب

يوسف بن محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المومن بن علي السلطان المستنصر بالله
الملقب بامير المومنين ابن يعقوب القيسي المغربي صاحب المغرب لم يكن في بني عبد المومن
احسن منه صورة ولا ابلغ خطابا ولكنه كان مشغوفا باللذات ومات وهو شاب في هذه
السنة ولم يخلف ولدا فاتفق اهل دولته على تولية الامر لابي محمد عبد الواحد بن يوسف بن
عبد المومن بن علي فلم يحسن التدبير ولا المداراة وولد يوسف في سنة اربع وتسعين وخمسمائة
وامه ام ولد رومية اسمها قمر وكان في صباه في التمرة شديد الكحل يشبهونه كثيرا بجده وكانت
دولته عشر سنين وشهرين ووزر له ابو يحيى الهزرجي وحجبه مبشر الخصي ثم فارح الخصي
وقضى له قاضي ابيه ابو عمران موسى بن عيسى وكتب له الانشا ابو عبد الله ابن عياش كاتب ابيه
وجده ثم ابو الحسن بن عياش ثم توفيا سنة بضع عشرة فاحضر من مرسية قاضيها ابا عبد الله
محمد بن عطية الغزاري فولاه الكتابة وكان الذين قاموا ببيعته عم جده ابو موسى عيسى بن
عبد المومن وكان يعيش اخر اولاد عبد المومن وفاة تاخر الى حدود العشرين وستمائة و[illegible]
علي بن عمر بن عبد المومن وكانا قائمين على راسه يوم البيعة ياذنان للناس قال عبد الواحد بن علي
التميمي حضرت يوم البيعة فبايعه القرابة ثم اشياخ الموحدين وابو عبد الله بن عياش قائم
يقول للناس تبايعون امير المومنين ابن امرا المومنين على ما بايع عليه اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم من السمع والطاعة في المنشط والمكره واليسر والعسر والنصح له
وللعامة المسلمين ولكم عليه ان لا يجمر بعوثكم وان لا يدخر عنكم شيئا مما تعمكم مصلحته وان
يعجل لكم العطا اعانكم الله على الوفا واعانه على ما قلد من اموركم ولاربعة اشهر من ولايته
قبض على رجل خارجي يدعي انه من بني عبيد وانه ولد العاضد لصلبه اسمه عبد الرحمن قدم
البلاد في دولة ابي يوسف وطلب الاجتماع به فلم ياذن له فاقام بالبلاد مطرحا الى ان
حبسه ابو عبد الله في سنة ست وتسعين مخمسة خمس سنين ثم اطلقه بعد ان ضمنه يحيى بن
ابي ابراهيم الهزرجي فخرج من مراكش الى صنهاجة فاجتمع عليه طائفة وعظموه لانه كان كثير
الصمت والاطراق حسن السمت عليه سيما الصالحين رايته مرتين ثم قصد سجلماسة في
جمع كبير فخرج اليه متوليها سليمان بن عمر بن عبد المومن فهزمه العبيدي وقتل سليمان ونازل
سجلماسة باشر اعوده ولم يزل العبيدي يسعى في قبائل البربر ولا تتم له امر لغربة بلده ولسانه

ولكونه عديماً لعشيرة فقبض عليه متولي غاش ابراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن ثم صلبه ووجه
برأسه الى مراكش وهو معلق هناك مع عدة رؤوس من القواد وكان ابو يعقوب هذا اشهل
قططاً وجلست بين يديه فرأيت من حلاوة نغمته وسؤاله عن حرمات لا يعرفها اكثر السوقة
ما قضيت منه العجب توفي في شوال او ذي القعدة واضطرب الامر واشرأب الناس للخلاف
بعده

الطبقة الثالثة والستون

سنة احدى وعشرين وستمائة فيها استرد الاشرف
خلاط من اخيه شهاب الدين غازي وابقى عليه ميافارقين وفيها ظهر السلطان جلال الدين
ابن خوارزم شاه بعدما انفصل عن بلاد الهند وكان على اذربيجان وحكم عليها وراسله
الملك المعظم ليعينه على قتال اخيه الاشرف وكتب المعظم الى صاحب اربل في هذا المعنى
وبعث ولده الناصر داود اليه رهينة وفيها استولى بدر الدين لؤلؤ على الموصل واظهر ان
محمود الملك القاهر قد توفي وكان قد امر بخنقه وفيها بنيت دار الحديث الكاملية بين
القصرين وجعل ابو الخطاب بن دحية شيخها وفيها قدم الملك المسعود اقسيس على
ابيه الملك الكامل من اليمن طامعاً في اخذ الشام من عمه المعظم وقدم لابيه اشياء عظيمة
منها ملامة فيله ومائتا خادم قال ابن الاثير وفيها عادت التتار من بلاد القفجاق ووصلت
الى الري وكان من سلم من اهلها قد عمروها فلم يشعروا الا بالتتر بغتة فوضعوا فيهم السيف
ونهبوا وساروا الى ساوه ففعلوا بها كذلك ثم ساروا الى قم وقاشان وكانت عامرة فاخذوها
ثم وصلوا الى همذان فقتلوا اهلها ثم ساروا الى تبريز فوقع بينهم وبين الخوارزمية مصاف
وفيها سار غياث الدين محمد بن السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه الى بلاد فارس فلم يشعر
صاحبها اتابك سعد الا بوصوله فلم يتمكن من الامتناع واحتمى بقلعة اصطخر فملك غياث
الدين شيراز بلا تعب واقام بها واستولى على اكثر بلاد فارس وبقي لسعد بعض الحصون
وتصالحا على ذلك وفيها او قبلها بيسير جرت واقعة قبيحة وهي ان الكرج لعنهم الله تعالى
لم يبق منهم من بيت الملك احد سوى امرأة فملكوها عليهم قال ابن الاثير ثم طلبوا لها رجلاً يتزوجها
وينوب عنها في الملك ويكون من بيت مملكة وكان صاحب ارزن الروم مغيث الدين طغرل شاه
ابن قلج ارسلان بن مسعود بن قلج ارسلان وهو من الملوك السلجوقية وله ولد كبير فارسل الى
الكرج يخطب الملكة لولده فامتنعوا وقالوا لا نملكها مسلماً فقال لهم ان ابني يتنصر ويتزوجها
فاجابوه فتنصر وتزوج بها واقام عندها حاكماً في بلادهم نعوذ بالله من الخذلان وكانت

تهوى

تهوى مملوكاً لها وكان هذا الزوج يسمع عنها القبائح ولا يمكنه الكلام لعجزه فدخل يوماً فرآها
مع المملوك فانكر ذلك فقالت ان رضيت بهذا والا انت اخبر ثم نقلته الى بلد ووكلت به
وحجرت عليه واحضرت لها رجلين وصفا لها بحسن الصورة فتزوجت باحدهما وبقي معها
يسيراً ثم فارقته واحضرت آخر كنجياً وهو مسلم فطلبت منه ان يتنصر لتتزوجه فلم يفعل
فارادت ان تتزوجه فقام عليها الامراء وغيرهم ابوا في عقدهم فقالوا لها فضحتنا بين الملوك
بما تفعلين قال والامر بينهم متردد والرجل الكنجي عندهم وهي تهواه

سنة اثنتين

وعشرين وستمائة في ربيع الاول وصل السلطان جلال الدين الى دقوقا فافتتحها بالسيف
وسبا ونهب وفعل بها فعل الكفار واحرق البلد لكونهم شتموه ولعنوه على الاسوار ثم
عزم على قصد بغداد فانزعج الخليفة ونصب المجانيق وحصن بغداد وفرق العدد
والاهراء وانفق الف الف دينار قال ابو المظفر قال لي الملك المعظم كتب الي جلال الدين
يقول تحضر انت ومن عاهدني واتفق معي حتى نقصد الخليفة فانه كان السبب في هلاك ابي وفي
مجي الكفار الى البلاد وجدنا كتبه الى الخطا وتواقيعه لهم بالبلاد والخلع والخيل
قال المعظم فكتبت اليه انا معك على كل حال الا على الخليفة فانه امام المسلمين قال فسلم هو على
بغداد وكان قد جهز جيشاً الى الكرج الى تفليس فكتبوا اليه ادركنا فما لنا بالكرج طاقة
فسار اليهم وخرج اليه الكرج وعمل معهم مصافاً فظفر بهم فقتل منهم سبعين الفاً قاله
ابو شامة واخذ تفليس بالسيف وقتل بها سبعين الفاً ايضاً وذلك في ثاني ذي الحجة وقال
ابن الاثير سار جلال الدين من دقوقا فقصد مراغة فملكها واقام بها واعجبته فشرع
في عمارتها فاتاه الخبر ان ايغان طائسي خال اخيه غياث الدين قد جمع عسكراً نحو خمسة
الاف ونهب بعض اذربيجان وسار الى البحر من بلاد اران فشتا هناك فلما عاد نهب اذربيجان
مرة ثانية وقصد الى همذان بمراسلة الخليفة واقطاعه اياها فسمع جلال الدين بذلك فسار
جريدة ودهمه فبيته في الليل وهو نازل في غنائم كثيرة ومواشي اخذها من اذربيجان فاحاط
بالغنائم وطلع الضوء فرأى جيش ايغان السلطان جلال الدين والجتر على راسه فسقط
في ايديهم وارعبوا فارسل ايغان زوجته وهي اخت جلال الدين تطلب لزوجها الامان
فامنه وحضر اليه وانضاف عسكره الى جلال الدين وبقي ايغان وحده الى ان اضاف اليه
جلال الدين عسكراً من عسكره وعاد الى مراغة وكان ازبك بن البهلوان صاحب اذربيجان قد

قد سار من تبريز الى كنجة خوفاً من جلال الدين فارسل جلال الدين الى العسكر يطلب منهم ان
يتردد عسكره اليهم ليمتاروا فاجابوه الى ذلك فتردد العسكر وباعوا واشتروا ثم مدوا
اعينهم الى اموال الناس فصادروا يأخذون الشيء بالغصب ثم ارسل جلال الدين الى شحنة
الى تبريز وكانت زوجة اوزبك ابنة السلطان طغرل بن ارسلان شاه بن محمد بن ملكشاه
مقيمة بالبلد وكانت الحاكمة في بلاد زوجها وهو منهمك في اللذات والخمور ثم شكى اهل
تبريز الى الشحنة فانصفهم جلال الدين منه ثم قدم تبريز فلم يمكنوه من دخولها فحاصرها
خمسة ايام وقاتله اهلها اشد قتال ثم طلبوا الامان وكان جلال الدين يذمهم ويقول انهم
قتلوا اصحابنا المسلمين وبعثوا برؤوسهم الى التتار فلهذا خافوا منه فلما طلبوا الامان
ذكر لهم فعلهم هذا فاعتذروا بانه انما فعل ذلك ملكهم فقبل عذرهم وامنهم واخذ البلد
وامن ابنة طغرل وذلك في رجب وبعث ابنة طغرل الى خوي محروسة محترمة ونزل بالعدل
في تبريز ونزل يوم الجمعة الى الجامع فلما دعا الخطيب للخليفة قام قائماً حتى فرغ من الدعاء
ثم سير جيشاً الى بلاد الكرج لعنهم الله ثم سار هو وعمل معهم مصافاً هائلاً قال ابن
الاثير الذي بلغنا انه قتل من الكرج عشرون الفاً وانهزم مقدمهم ايواني ووجه جلال
الدين عسكره لحصار القلعة التي لجأ اليها ايواني وفرق جيوشه في بلاد الكرج يقتلون
ويسبون مع اخيه غياث الدين ثم تزوج جلال الدين بابنة السلطان طغرل لانه ثبت عنده
ان زوجها اوزبك حلف بطلاقها على امر وفعله واقام بتبريز مدة وجهز جيشاً الى كنجة فاخذوها
وتحصن اوزبك بقلعتها ثم ارسل يخضع لجلال الدين فقنع عنه وفي سلخ رمضان توفي الناصر
لدين الله قال ابو المظفر سبط ابن الجوزي وفيها حججت راكباً في المحمل السلطاني المعظمي
فجاءنا الخبر بموت الخليفة بعرفة فلما دخلنا للطواف اذا الكعبة قد البست كسوة الخليفة
فوجدت اسم الناصر في الطراز في جانبين واسم الخليفة الظاهر في جانبين وهو ابو
نصر محمد بويع بالخلافة وكان جميلاً ابيض مشرباً بحمرة حلو الشمائل شديد القوى بويع
وهو ابن اثنين وخمسين سنة فقيل له الا تتفسح قال قد لقس الزرع فقيل يبارك الله في
عمرك فقال من فتح دكاناً بعد العصر ايش يكسب ثم انه احسن الى الرعية وابطل المكوس وازال
المظالم وفرق الاموال وغسل الناصر محيي الدين يوسف بن الجوزي وصلى عليه ولده الظاهر
بامر الله بعد ان بويع بالخلافة قال ابن الساعي بايعه اولاً اهله واقاربه من اولاد الخلفاء

ثم

ثم مؤيد الدين محمد بن محمد القمي نائب الوزارة وعضد الدولة ابو نصر بن الضحاك استاذ الدار
وقاضي القضاة محيي الدين بن فضلان الشافعي والنقيب الطاهر قوام الدين الحسن بن معد
الموسوي ثم بويع يوم عيد الفطر البيعة العامة وجلس بثياب بيض وعليه الطرحة
وعلى كتفه بردة النبي صلى الله عليه وسلم في شباك القبة التي بالتاج وكان الوزير قائماً
بين يدي الشباك على منبر واستاذ الدار دونه بمرقاة وهو الذي يأخذ البيعة على الناس
ولفظ المبايعة ابايع سيدنا ومولانا الامام المفترض الطاعة على جميع الانام ابا نصر
محمداً الظاهر بامر الله على كتاب الله وسنة نبيه واجتهاد امير المؤمنين وان لا خليفة سواه
ولما انسلت الستارة توجه الوزير وارباب الدولة وجلسوا للعزاء ووعظ محيي الدين
ابن الجوزي ثم دعا الخطيب ابو طالب الحسين بن المهتدي بالله وبعد ايام عزل ابن فضلان
عن قضاء القضاة وولي ابو صالح نصر بن عبد الرزاق بن الشيخ عبد القادر وخلع عليه قال
ابن الاثير فيها اشتد الغلاء بالموصل والجزيرة جميعها فاكل الناس الميتة والسنانير والكلاب
فقدت الكلاب والسنانير ولقد دخلت يوماً الى داري فرأيت الجواري يقطعن اللحم ورأيت
حواليه اثني عشر سنوراً ورأيت اللحم في هذا الغلاء في الدار وليس عنده من يحفظه من
السنانير لعدمها ولبثن من لم يكن كثير ومع هذا فكانت الامطار متتابعة الى آخر
الربيع فكلما جاء المطر غلت الاسعار وهذا لم يسمع بمثله الى ان قال واشتد الوباء وكثر
الموت والمرض وكان يحمل على النعش الواحد عدة من الموتى

الناصر لدين الله

احمد امير المؤمنين الامام الناصر لدين الله ابو العباس بن الامام المستضيء بامر الله ابي
محمد الحسن بن الامام المستنجد بالله ابي المظفر يوسف بن الامام المقتفي لامر الله ابي عبد الله
محمد بن الامام المستظهر بالله احمد بن المقتدي بامر الله ابي القاسم الهاشمي العباسي البغدادي
ولد يوم الاثنين عاشر رجب سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة وبويع في اول ذي القعدة سنة
خمس وسبعين وكان ابيض اللون تركي الوجه مليح العينين انور الجبهة اقنى الانف خفيف
العارضين اشقر اللحية رقيق المحاسن نقش خاتمه رجائي من الله عفوه اجاز له ابو الحسين
عبد الحق اليوسفي وابو الحسن علي بن عساكر البطائحي وشهدة وجماعة واجاز هو لجماعة من الكبار
فكانوا يحدثون عنه في حياته ويتنافسون في ذلك وما غرضهم العلو ولا الاسناد وانما
غرضهم التفاخر واقامة السعادة والوسم ولم يل الخلافة احد اطول مدة منه الا ما ذكر

عن الخوارج العبيديين فانه بقي في الامر بديار مصر المستنصر نحواً من ستين سنة وكذا بقي
الامير عبد الرحمن ابو الحكم الاموي بالاندلس خمسين سنة وكان المستضيء ابوه قد تخوف منه فاعتقله
ومال الى اخيه ابي منصور وكان ابن العطار واكثر الدولة مع ابي منصور وخطبة المستضيء
بعشا والمجد بن الصاحب ونفر يسير مع ابي العباس فلما بويع ابو العباس قبض على ابن
العطار وسلمه الى المماليك وكان قد اساء اليهم فاخرج بعد ايام ميتاً وسحب في شوارع بغداد
ومكن المجد بن الصاحب فوق الحد وطغى واتت به الحال الى ان قتل قال الموفق عبد اللطيف
وكان الناصر لدين الله شاباً مرحاً عنده ميعة الشباب يشق الدروب والاسواق اكثر
الليل والناس يهابون لقياه وظهر التشيع بسبب ابن الصاحب ثم انطفى بهلاكه وظهر
التشنيع المفرط ثم زال وظهرت الفتوة والبندق والحمام الهادي وتفنن الناس في ذلك
ودخل فيه الاجلاء ثم الملوك فالبسوا الملك العادل واولاده سراويل الفتوة وكذا البسوا
شهاب الدين الغوري ملك غزنة والهند وصاحب كيش واتابك سعد صاحب شيراز والملك
الظاهر صاحب حلب وتخوفوا من السلطان طغرل وجرت بينهم حروب وفي الاخر
استدعوا تكش لحربه وهو خوارزم شاه فخرج في جحفل لجب والتقى معه على الري واحتز
راسه وسيره الى بغداد ثم تقدم تكش نحو بغداد يلتمس رسوم السلطنة فتحركت عليه
امة الخطا فرجع الى خوارزم وما لبث ان مات وكان الناصر لدين الله قد خطب لولده الاكبر
ابي نصر بولاية العهد ثم ضيق عليه لما استشعر منه وعين اخاه ثم الزم ابا نصر بان اشهد
على نفسه انه لا يصلح وانه قد نزل عن الامر واكبر الاسباب في نفور الناصر من ولده هو
الوزير نصير الدين بن مهدي العلوي فانه حبب الى الخليفة فساد نيته ولده بوجوه كثيرة
وهذا الوزير افسد قلوب الرعية والجند وبغضه اليهم والى ملوك الاطراف وكان يحمل
على اهلها بالارهاب تارة وبالقتل اخرى ولا يقدر احد ان يكشف للخليفة حال الوزير
حتى تمكن الفساد وظهر فقبض عليه بعد وفي اثناء ذلك ظهر بخراسان وما وراء النهر
خوارزم شاه محمد بن تكش وتجبر وطغى واستعبد الملوك الكبار وفتك بكثير منهم
وابادا امما كثيرة من الترك فاباد امة الخطا وامة الترك واسا الى ما في الامم الذين لم
يصل اليهم سيفه ورهبه الناس كلهم وقطع خطبة بني العباس من بلاده وصرح بالوقيعة
فيهم وقصد بغداد فوصل الى همذان وبوادره الى حلوان فوقع عليهم ثلج عظيم عشرين

يوما

يوما فعطلهم في عيرابانه فاشعره بعض خواصه ان ذلك غضب من الله حيث يقصد بيت
النبوة والخليفة مع ذلك قد جمع الجموع وانفق الصدقات واستعد بكل ما تصل المكنة اليه
لكن الله رد شره ورده على عقبيه وقد سمع ان امم الترك قد تالبوا عليه وطمعوا في البلاد
لبعده عنها فقصدهم فقصدوه ثم كايدوه وكاثروه الى ان مزقوه في كل وجهة وبلبلوا
لبه وشتتوا شمله وملكوا عليه اقطار الارض حتى ضاقت عليه بما رحبت وصار ابن نوحه
وجد سبوقهم يتحكم فيه فما دفت به البلاد حتى لم يجد موضعا يحويه ولا صديقا يؤويه
فشرق وغرب وانجد واسهل واصحر واجبل والرعب قد ملك لبه وبعد ذلك قضى نحبه
قال وكان الشيخ شهاب الدين لما جاء في الرسالة خاطبه بكل قول ولاطفه ولا يزداد الا
طغيانا وعتوا ولم يزل الامام الناصر مدة حياته في عز وجلالة وقمع للاعداء واستظهار
على الملوك لم يجد ضيما ولا خرج عليه خارجي الا قمعه ولا خالف الا دمغه وكل من اضمر له سوءا
رماه الله بالخذلان وابادة وكان مع سعادة جده شديد الاهتمام بمصالح الملك لا
يخفى عليه شيء من احوال رعيته كبارهم وصغارهم واصحاب اخباره في اقطار البلاد يوصلون اليه
احوال الملوك الظاهرة والباطنة حتى يشاهد جميع البلاد دفعة واحدة وكانت له حيل
لطيفة ومكايد غامضة وخدع لا يفطن لها احد يوقع الصداقة بين ملوك متعادين وهم
لا يشعرون ويوقع العداوة بين ملوك متفقين وهم لا يفطنون قال ولو اخذنا في نوادر
حكاياته لاتضاحت الى صحف كثيرة ولما دخل رسول صاحب مازندران بغداد كانت
تاتيه ورقة كل صباح بما عمل في الليل فصار يبالغ في التكتم والورقة تاتيه فاختلى ليلة
بامراة دخلت من باب السر فصبحته الورقة بذلك وفيها كان عليكم دواج فيه صورة الافيلة
فتحير وخرج من بغداد وهو لا يشك ان الخليفة يعلم الغيب لان الامامية يعتقدون ان
الامام المعصوم يعلم ما في بطن الحامل وما وراء الجدار واتى رسول خوارزم شاه
برسالة مخفية وكتاب مختوم فقيل ارجع فقد عرفنا ما جئت به فرجع وهو يظن انهم يعلمون
الغيب ووصل رسول اخر فقال الرسالة معي مشافهة الى الخليفة فحبس ونسي نحو ستة اشهر
ثم اخرج واعطى عشرة الاف دينار فذهب الى خوارزم شاه وصار صاحب خبرهم وسير
جاسوسا يطلعه على اخبار عسكر خوارزم شاه لما توجه الى بغداد وكان لا يقدر احد ان
يدخل منهم الا قتلوه فابتدا الجاسوس وشوه خلقته واظهر الجنون وانه قد ضاع له حمار

فانسوا به وضحكوا منه وتزودوا منهم ادعيه يوما ثم عاد الى بغداد فقال لهم ما بي وتسعون
القا الا ان يزيدوا القا او ينقصوا القا وكان لنا صرا ذا الطعام اشبع را ذا ضرب اوجع وله معه صح
مواطن يعطي فيها عطا من لا يخاف الفقر ووصل معه رجل ببغا يقرا قل هو الله احد تحفة
للخليفة من الهند فاصبحت ميتة واصبح حيران فجاه فراش يطلب منه الببغا فبكى وقال الليلة
ماتت فقال قد عرفنا انها ميتة وقال كم كان في ظنك ان تعطيك الخليفة قال خمسمايه دينار
فقال هذه خمسمايه دينار خذها فقد ارسلها اليك امير المومنين فانه علم بحالك منذ خرجت
من الهند وكان صدر جهان قد صار الى بغداد ومعه جمع من الفقها وواحد منهم لما خرج من
داره من سمرقند على فرس جميلة فقال له اهله لو تركتها عندنا لئلا يوخذ منك في بغداد
فقال الخليفة لا يقدر ان ياخذ هاهنا امر بعض الوقادين ان يجيء يدخل بغداد ويضربه
وياخذ الفرس ويهرب في الزحمة ففعل فجا الفقيه يستغيث ولا يغاث فلما رجعوا من الحج
خلع على صدر جهان واصحابه سوى ذلك الفقيه وبعد الفراغ منهم خلع عليه واخرج الى
الباب وقدمت له فرسه وعليها سرج من ذهب وطوق وقيل له لم ياخذ فرسك الخليفة انما
اخذها اتوني فخر مغشيا عليه واشتمل بكرامتهم قلت يجوز ان يكون الخليفة او لبعض
خواصه رئي من الجن فخبره باضعاف هذا والخطب في هذا سهل فقد رايناه الموخ بها (?)
في زماننا امثال واكثر منه قال الموفق عبد اللطيف وفي وسط ولايته اشتغل برواية
الحديث واستناب نوابا في ذلك واجرى عليهم جرايات وكتب للملوك والعلما اجازات
وجمع كتابا سبعين حديثا ووصل على يد شهاب الدين الى حلب وسمعه الملك الظاهر
وجماعة الدولة وشرحته شرحا حسنا وسيرته صحبة شهاب الدين وبسبب انعكافه على
الحديث ان الشريف العباسي قاضي القضاة تسلم اليه نوبو فاحضر القاضي وملايه
شهود فعزل القاضي بان حرك عمامته فقط وعزر الملايه بان ركبوا جمالا وطيف بهم المدينة
يضربون بالدرة ثم مات واحد تلك الليلة واخر لبس لبس الفساق ودخل بيوتهم والثالث
لزم بيته واختفى وهو احد البديعين المحدث رفيقا فبعد مدة احتاج واراد بيع كتبه
ففتش الحراز فوجد فيه اجازة للخليفة من مشايخ بغداد فرفعها فخلع عليه واعطاه مايه دينار
وجعل وكيلا عن امير المومنين في الاجازة والتسميع قلت اجاز الناصر لجماعة من
الاعيان فحدثوا عنه منهم ابو احمد بن سكينة وابو محمد بن الاخضر وقاضي القضاة ابو القاسم

س

ابن الدامغاني وولده الظاهر بامر الله والملك العادل وبنوه المعظم والكامل والاشرف
قال ابن النجار شرفني بالاجازة فرويت عنه بالحرمين وبيت المقدس ودمشق وحلب
وبغداد واصبهان ونيسابور ومرو وهمذان ثم روى عنه حديثا بالاجازة التي اذن له
بخطه وقال الموفق عبد اللطيف وادام سنين يراسل جلال الدين حسن صاحب الموت
يراوده ان يعيد شعار الاسلام من الصلاة والصيام وغير ذلك مما رفعوه في زمان سنان
ويقول انكم اذا فعلتم ذلك كنا يدا واحدة ولم يتغير عليكم من احوالكم شي ومن يروم هذا
من هوية فقد رام منال العيوق واتفق ان رسول خوارزم شاه بن تكش ورد في امر من
الامور فزور على لسانه كتب في حق الملاحدة يشتمل على الوعيد وعزم الايقاع بهم وانه
يستخرج قلاعهم ويطلب من الخليفة المعونة في ذلك واحضر رجل منهم كان قاطنا ببغداد
ووقف على الكتب واخرج بها وكتب اخرى على وجه النصيحة نصف الليل على البريد فلما
وصل الموت ازعجهم فاوجد مخلصا الا التظاهر بالاسلام واقامة شعاره وسيروا
الى بغداد رسولا معه ما ينيف شاب منهم وقدنا بهم كاراتهم ومخانق وعليها لا اله الا الله
محمد رسول الله وطافوا بها في بغداد وجميع من حولها يعلن بالشهادتين وكان
الناصر لدين الله قد ملا القلوب هيبة وخيفة فكان مرهبه اهل الهند ومصر كما يرهبه
اهل بغداد فاحيا هيبة الخلافة وكانت قد ماتت بموت المعتصم ثم ماتت بموته ولقد
كنت بمصر والشام في خلوات الملوك والاكابر فاذا جرى ذكره خفضوا اصواتهم هيبة
واجلالا وورد بغداد تاجر معه متاع دمياط المذهب فسالوه عنه فانكر فاعطي
علامات منه من عدده والوانه واصنافه فازداد انكاره فقيل له من العلامات انك
نقمت على مملوكك التركي فلان فاخذته الى سيف بحر دمياط خلوة وقتلته ودفنته
هناك ولم يشعر بذلك احد وقال ابن النجار في ترجمة الناصر دانت له السلاطين ودخل
تحت طاعته من كان من المخالفين وذلت له العتاة والطغاة وانقهرت بسيفه الجبابرة
والبغاة واندحض اضداده واعداوه وكثر انصاره واولياوه وفتح البلاد العديدة
وملك من الممالك ما لم يملكه من تقدمه من الخلفاء والملوك وخطب له ببلاد الاندلس
وبلاد الصين وكان اشد بني العباس يتصدع لهيبته الجبال ويذل لسطوته الاقيال
وكان حسن الخلق لطيف الخلق كامل الظرف فصيح اللسان بليغ البيان له التوقيعات

المسددة والكلمات المؤيدة كانت ايامه غرة في وجه الدهر ودرة في تاج الفخر وقد حدثني
الحاجب ابو طالب علي بن محمد بن جعفر قال برز توقيع من الناصر لدين الله الى جلال الدين بن
يونس صدر المخزن لا ينبغي لارباب هذا المقام ان يقدموا على امر لم ينظروا في عاقبته
فان النظر قبل الاقدام خير من الندم بعد الفوات ولا يؤخذ البرآء بقول الاعداء فلكل ناصح
كاشح ولا يطالب بالاموال من لم يخن في الاعمال فان المصادرة مكافاة للظالمين وليكن
العفاف والتقى رقيبان عليك قال الحاجب ابو طالب وبرز توقيع اخر منه الى ابن يونس
قد تكرر تقدمنا اليك مما افترضه الله علينا ويلزمنا القيام به كيف يهمل حال الناس حتى
تم عليهم ما قد نسخ باطنها مصحف الرجل ونقابل العامل ان لم تقع بحجة شرعية وقال الامام
ابن واصل كان الناصر شهما شجاعا ذا فكرة صائبة وعقل رصين ومكر ودهاء وكانت
هيبته عظيمة جدا وله اصحاب اخبار في العراق وسائر الاطراف يطالعونه بجزئيات
الامور حتى ذكر ان رجلا ببغداد عمل دعوة وغسل يده قبل اضيافه فطالع صاحب الخبر
الناصر بذلك فكتب في جواب ذلك سوء ادب من صاحب الدار وفضول من كاتب المطالعة
قال وكان مع ذلك ردي السيرة في الرعية مائلا الى الظلم والعسف فخربت في ايامه العراق
وتفرق اهلها في البلاد واخذ اموالهم واملاكهم وكان يفعل افعالا متضاددة الى ان
قال وكان يتشيع ويميل الى مذهب الامامية بخلاف ابائه قال وبلغني ان شخصا كان يرى
صحة خلافة يزيد فاحضره الخليفة ليعاقبه فقيل له اتقول بصحة خلافة يزيد فقال انا
اقول ان الامام لا ينعزل بارتكاب الفسق فاعرض الناصر عنه وامر باطلاقه وخاف المحاققة
قال وسئل ابن الجوزي والخليفة يسمع من افضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال افضلهم بعده من كانت ابنته تحته وهذا جواب يحتمل ابا بكر وعليا رضي الله عنهما
وكتب الى الناصر خادم له اسمه يمن ورقة فيها عتب فوقع فيها يمن يمن يمن يمن يمن
يمن وقال ابو المظفر الجوزي قل بصر الخليفة في الاخر وقيل ذهب جملة وكان خادمه
رشيق قد استولى على الخلافة واقام مدة يوقع عنه وكان بالخليفة امراض مختلفة منها
عسر البول والحصى ووجد منه شدة وشق ذكره مرارا وما زال يعتريه حتى قتله وغسله
خال محيي الدين يوسف وقال الموفق اما مرض موته فسهو ونسيان بقي به ستة اشهر ولم
يشعر احد من الرعية بكنه حاله حتى الوزير واهل الدار وكان له جارية قد علمها الخط

نفسه

بنفسه فكانت تكتب مثل خطه فكتب على التواقيع بشورة قهرمانة الدار وفي خلال ذلك
نزل جلال الدين محمد خوارزم شاه على ضواحي بغداد هاربا مستعصما من الجالب والرجالة
والدواب فافسد بقدر ما كانت تصل يده اليه وكانوا ابدا دونه ولا يصفون فيه امرا
لغيبة راي الخليفة عنهم الى ان راح الى اذربيجان ونهب في ذهابه دقوقا واستباحها
وكانت خلافته سبعا واربعين سنة توفي في سلخ رمضان وبويع لولده ابي نصر ولقب
بالظاهر بامر الله وكانت خلافته تسعة اشهر وذكر العدل شمس الدين محمد بن ابراهيم
ابن ابي بكر الجزري قال حدثني والدي قال سمعت الوزير مؤيد الدين ابن العلقمي لما كان
على الاستادارية يقول ان الماء الذي يشربه الامام الناصر كانت تجيبه الدواب من
فوق بغداد بسبعة فراسخ ويغلى سبع غلوات كل يوم غلوة ثم يحبس في الاوعية سبعة
ايام ثم يشرب منه وبعد هذا ما مات حتى سقي المرقد ثلاث مرات وشق ذكره واخرج منه
الحصى وقال ابن الساعي فاصبح الناس يوم الاحد يعني يوم الثلاثين من رمضان
وقد غلقت ابواب دار الخلافة وتولى غسله محيي الدين ابن الجوزي وصلى عليه ولده الظاهر
بامر الله بعد ان بويع بايعه اولا اقاربه ثم نائب الوزارة مؤيد الدين محمد القمي وولده فخر
الدين احمد والاستاذ دار عضد الدولة ابو نصر بن الضحاك وقاضي القضاة محيي الدين
ابن فضلان الشافعي والنقيب قوام الدين ابو علي الموسوي ودفن بصحن الدار ثم نقل
بعد شهور الى الترب ومشى الخلق بين يدي جنازته واما بيعة الظاهر فهي في سنة
اثنتين في الحوادث وقال ابن الاثير بقي الناصر ثلاث سنين عاطلا عن الحركة بالكلية
وقد ذهبت احدى عينيه وفي الاخر اصابه دوسنطاريا عشرين يوما ومات ولم يطلق
في طول مرضه شيئا مما كان احدثه من الرسوم وكان سيء السيرة خرب في ايامه العراق
وتفرق اهله في البلاد واخذ اموالهم واملاكهم قال وكان يفعل الشيء وضده وجعل
همه في رمي البندق والطيور المناسيب وسراويلات الفتوة ونقل الظهير الكازروني
في تاريخه واجازه لي ان الناصر في وسط خلافته هم بترك الخلافة وبالانقطاع الى التعبد
وكتب عنه ابن الضحاك توقيعا قرئ على الاعيان وبنى رباطا للفقراء واتخذ الى جانب
الرباط دارا لنفسه كان يتردد اليها ويحادث الصوفية وعمل له ثيابا كبيرة بزي الصوفية
قلت ثم ترك ذلك ورمل الله يسامحه ويرحمه ابن تيمية محمد بن ابي القاسم الخضر بن محمد

ابن الحصري علي بن عبد الله الإمام فخر الدين أبو عبد الله بن تيمية الحراني الفقيه الحنبلي
الواعظ المفسر صاحب الخطب شيخ حران وعالمها ولد في شعبان سنة اثنتين وأربعين
وخمسمائة بحران وتفقه بحران على الفقيه أبي الفتح أحمد بن أبي الوفا وأبي الفضل حامد بن
أبي الحجر وتفقه ببغداد على الإمام أبي الفتح نصر بن المني وأبي العباس أحمد بن بكروس
وسمع من أبي الفتح بن البطي ويحيى بن ثابت وأبي بكر بن النقور وأبي طالب بن خضير وسعد الله
ابن نصر الدجاجي وأبي منصور جعفر بن الدامغاني وشهدة وخلق وقرأ العربية على
أبي محمد بن الخشاب وله مصنف مختصر في مذهب أحمد وشعر حسن حج وله امرأة
حامل فلما كان بتيماء رأى طفلة قد خرجت من خباء فلما رجع إلى حران وجد امرأته قد ولدت
بنتا فلما رآها قال يا تيمية يا تيمية فلقب به وأما ابن النجار فقال ذكر لنا أن جده محمدا كانت
أمه تسمى تيمية وكانت واعظة فنسب إليها وعرف بها **قلت** وكان فخر الدين إماما
في التفسير إماما في الفقه إماما في اللغة وله خطابة بلده ودرس ووعظ وأفتى وقد سمع
بحران من الشيخ أبي النجيب السهروردي قدم عليهم قال الشهاب القوصي قرأت عليه
ديوان خطبه بحران وروى عنه الإمام مجد الدين عبد السلام ابن أخيه والجمال يحيى بن
الصيرفي وعبد الله بن أبي العز بن صدقة والفقيه أبو بكر بن الياس الرسعني نزيل القاهرة
والسيف عبد الرحمن بن محفوظ والشهاب الأبرقوهي والرشيد عمر بن إسمعيل الفارقي
سمع منه جزء البانياسي وإنما ظهر بعد موته مات في صفر أخبرنا الأبرقوهي أنا أبو
عبد الله بن تيمية أنا ابن البطي أنا علي بن محمد الأنباري أنا أبو عمر بن مهدي أنا محمد بن مخلد
نا أحمد بن منصور الرمادي نا عمر بن حكام نا شعبة عن مالك عن عمرو بن مسلم عن سعيد
ابن المسيب عن أم سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من رأى هلال ذي الحجة فأراد أن
يضحي فلا يأخذن من شعره ولا من أظفاره حتى يضحي رواه مسلم توفي في حادي عشر صفر بحران
وقدم دمشق رسولا سنة ستمائة فحدث بها **سنة ثلاث وعشرين وستمائة** فيها
قدم محيي الدين يوسف بن الجوزي بالخلع واللقب من الظاهر بأمر الله إلى المعظم والكامل
والأشرف قال أبو المظفر سبط ابن الجوزي قال لي المعظم قل له إن المصلحة رجوعك
عن هذا الخارجي يعني جلال الدين إلى أخويك ونصلح بينكم وكان المعظم قد بعث مملوكه
أيدكين إلى السلطان جلال الدين فجاء من تفليس وأنزله على خلاط والأشرف حصين

بحران

بحران قال فقلت له إذا رجعت عن جلال الدين وقصدني أخوتي تنجدوني قال
نعم قلت ما لكم عادة تنجدون أحدا هذه كتب الخليفة عندنا ونحن على دمياط ونحن نكتب إليه
نستصرخ به ويقول لنا نجد ونا فيجي الجواب بأن قد كتبنا إلى ملوك الجزيرة ولم يفعلوا وقد
اتفق أخوتي علي وقد نزلت الخوارزمية على خلاط إن قصدني الأشرف منعه الخوارزمي
وإن قصدني الكامل كان لي وفيها قدم الأشرف دمشق وأطاع المعظم وسأله
أن يسأل جلال الدين أن يرحل عن خلاط وكان قد أقام عليها أربعين يوما فبعث
المعظم فرحل الخوارزمي عن خلاط وكان المعظم يلبس خلعة الخوارزمي ويركب فرسه وإذا
حادث الأشرف حلف برأس خوارزم شاه جلال الدين فتألم الأشرف وتوجه إلى
الملك الكامل وفيها في شهر جمادى الآخرة جاء جلال الدين الخبر أن نائبه بكرمان
قد عصى عليه وطمع في تملك ناحيته لاشتغال السلطان بحرب الكرج وبعده فسار
السلطان جلال الدين يطوي الأرض إلى كرمان وقدم بين يديه رسولا إلى المتولي
بكرمان بالخلع ليطمئنه فلما جاءه الرسول علم أن ذلك مكيدة لخبرته بجلال الدين فتحول
إلى قلعة منيعة وتحصن وأرسل يقول أنا العبد المملوك ولما سمعت بمسيرك إلى البلاد
أخليتها لك ولو علمت أنك تبقي علي لحضرت إلى الخدمة فلما عرف جلال الدين علم أنه لا يمكنه
أخذ ما بيده من الحصون لأنه يحتاج إلى تعب وحصار فنزل بقرب أصبهان وأرسل
إليه الخلع وأقره على ولايته فما مسها هو كذلك إذ وصل الخبر من تفليس بأن عسكر الأشرف
الذي بخلاط قد هزموا بعض عسكره فساق كعادته يطوي المراحل حتى نازل مدينة
منازكرد في آخر السنة ثم رحل من جمعته فنازل خلاط فقاتل أهلها قتالا شديدا ووصل
عسكره إلى السور وقتل خلق من الفريقين ثم زحف ثانيا وبالغ وعظمت نكايته عسكره
في أهل خلاط ودخلوا الربض وشرعوا في السبي والنهب فلما رأى ذلك أهل خلاط تناخوا
وأخرجوهم ثم أقام يحاصرها فجاءت كثرة البرد والثلج فرحل عنها بعدما بلغه من فساد التركمان
في بلاد أذربيجان وجد في السير فلم يرعهم إلا والخوارزمية قد أحاطت بهم فأخذتهم السيوف
وكثر فيهم النهب والسبي وفي شعبان سار علاء الدين ملك الروم فأخذ عدة
حصون للملك المسعود صاحب آمد وفيها جمع البرنس صاحب أنطاكية جموعه
وقصد الأرمن فقتل وصوله ولم يخلف ولدا ذكرا فملك الأرمن بنته عليهم وزوجوها

بابن البرنس وسكن عندهم ثم غدرت الارمن وخافوا ان يستولي الفرنج على قلاعهم وبلادهم
فقبضوا على ابن البرنس وسجنوه فسار ابوه لحربهم فلم يحصل له غرض فرجع قال ابن الاثير
ومنها اصطاد صديق لنا ارنبا ولها انثيان وذكر وله فرج انثى فلما شقوا بطنه وجدوا
فيه جروين سمعت هذا منه ومن جماعة كانوا معه وقالوا اما نحن فنسمع ان الارنب يكون
سنة ذكرا وسنة انثى ولا نصدق فلما راينا هذا علمنا انه قد حمل وهو انثى وانقضت السنة
فصار ذكرا ويحتمل ان يكون خنثى قال ابن الاثير كنت بالجزيرة ولنا جار له بنت اسمها
صفية فبقيت كذلك نحو خمس عشرة سنة واذا قد طلع لها ذكر رجل ونبتت لحيته فكان
له فرج امراة وذكر رجل قال ومنها ذبح انسان بالموصل كبش غنم فاذا لحمه وراسه
مر شديد المرارة وهذا شي لم يسمع بمثله وفي ذي الحجة زلزلت الموصل وغيرها
وخرب اكثر شهرزور لاسيما القلعة فانها انجحفت بها وبقيت الزلزلة تتردد عليهم
نيفا وثلاثين يوما وخرب اكثر قرى تلك الناحية وفي هذه السنة انخسف القمر مرتين
ومنها برد ما عهد لعادة حتى كان المسافر يجد البرد فيتركها ومن معروفه بحران انه
بحث ان الثلج فيها حد الكف وكان بردها في هذه السنة من العجايب وفيها كثرت الذئاب
والخنازير والحيات وقتل كثير منها وفيها كان قحط وجراد كثير بالموصل وجاء برد كبار
افسد الزرع والمواشي قيل كان وزن البردة مائتي درهم وقيل رطلا بالموصل وفي رجب
توفي امير المومنين الظاهر بامر الله وكانت خلافته تسعة اشهر ونصف وبويع ابنه الاكبر
ابو جعفر المنصور بالله فبايعه جميع اخوته وبنو عمه قال ابن الساعي حضرت بيعة العامة
فلما رفعت الستارة شاهدته وقد جمل الله صورته ومعناه وعمره اذ ذاك خمس وثلاثون سنة
وكان ابيض مشربا حمرة ازج الحاجبين ادعج العينين سهل الخدين اقنى رحب الصدر عليه
قميص ابيض وتقيرا ابيض مسكن وعليه طرحة قصب بيضاء ولم يزل الناس الى ان اذن الظهر
ثم جلس كذلك يوم الاحد ويوم الاثنين واحضر من دير الشاك شمس الدين احمد الناقد
وقاضي القضاة ابو صالح الجيلي فرقيا المنبر فقال الوزير مويد الدين القمي لقاضي القضاة
امير المومنين قد وكل ابا الازهر احمد هذا وكالة جامعة في كل ما يتجدد من بيع واقرار وعتق
وابتياع فقال القاضي اهكذا يا امير المومنين فقال نعم فقال القاضي وليتني يا امير المومنين
ما ولاني والدك رحمه الله فقال نعم وليتك ما ولاك والدي فنزلا واثبت القاضي الوكالة

وفي

وفي شعبان قدم الصاحب ضياء الدين نصر الله بن الاثير رسولا على صاحب الموصل بدر
الدين ما وردا الرسالة وهذه نسختها ما الليل والنهار لا يعتقبان ولقد عظم حادثهما
وما للشمس والقمر لا ينكسفان وقد فقدنا لهما قمرا وحشا الدنيا وكانت ابنتيهما وجمع من
بينهما المضجع واحد وهو سيدنا ومولانا الظاهر امير المومنين الذي جعلت ولايته رحمة
للعالمين واحسن اسوة النبي صلى الله عليه وسلم الذي هو سيد ولد ادم ثم ذكر فصلا قال
ابن الساعي وخلعة الخلع فبلغني ان عدتها ثلاثة الاف خلعة وخمسمائة ونيف وستون
خلعة وركب الخليفة ظاهرا لصلاة الجمعة بجامع القصر وركب ظاهرا يوم الاثنين الاتي
دجلة بابهة الخلافة ثم ركب والناس كافة مشاة وورآه الشمسة والالوية المذهبة والقضب
تضرب وراء السلاحية فقصد السرادق الذي ضرب له ونزل به ساعة ثم ركب وعاد في طريقه
وفيها التقى جلال الدين ملك الخوارزمية الكرج وكانوا في جمع عظيم الى الغاية فكسرهم
وامر عسكره ان لا يبقوا على احد فتبعوا المنهزمين ولم يزالوا يستقصون في طلب الكرج الى
ان كادوا يفنونهم ثم نازل تفليس واخذها عنوة وكانت دار ملك الكرج وقد اخذوها
من المسلمين من سنة خمس عشرة وخمسمائة وخربوا البلاد وقهروا العباد فاستاصلهم الله في
هذا الوقت ولكل اجل كتاب **الرافعي** عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم بن الفضل العلامة
امام الدين ابو القاسم الرافعي القزويني الشافعي صاحب الشرح الكبير ذكره الشيخ تقي
الدين ابن الصلاح فقال اظن اني لم ار في بلاد العجم مثله كان ذا فنون حسن السيرة جميل
الامر صنف شرح الوجيز في بضعة عشر مجلدا لم يشرح الوجيز بمثله وقال الشيخ محيي الدين
النواوي الرافعي من الصالحين المتمكنين كانت له كرامات كثيرة ظاهرة وقال ابو عبد الله محمد
ابن محمد الاسفرايني في الاربعين له شيخنا هو شيخنا امام الدين وناصر السنة صدقا كان
اوحد عصره في العلوم الدينية اصولا وفروعا ومجتهد زمانه في المذهب وفريد وقته
في التفسير كان له مجلس بقزوين للتفسير ولتسميع الحديث صنف شرحا لمسند الشافعي
واسمعه سنة تسع عشرة وستمائة وصنف شرحا للوجيز ثم صنف اوجز منه وكان زاهدا
ورعا متواضعا سمع الكثير وتوفي في حدود سنة ثلاث وعشرين بقزوين وقال ابن
الصلاح كانت وفاته في اواخر سنة ثلاث او اوايل سنة اربع وكان والده ابو الفضل
قد سمع الكثير بنيسابور وقزوين وروى عن ملكداد بن علي القزويني وعبد الخالق الشحامي..

وعمر بن احمد الصفار وطبقتهم ومات بعد الثمانين وقد روى ابو القاسم عن ابي زرعة بالاجازة
لقيه الحافظ زكي المنذري في الحج وسمع منه بالمدينة **الظاهر بامر الله** محمد امير المومنين
الظاهر بامر الله ابو نصر بن امير المومنين الناصر لدين الله احمد بن المستضي بامر الله الحسن
ابن يوسف الهاشمي العباسي البغدادي ولد سنة احدى وسبعين وخمسمايه وبايع له ابوه
بولاية العهد في سنة خمس وثمانين وخطب له على المنابر ونثر عند ذكره الدنانير وعليها
اسمه ولم يزل الامر على ذلك حتى قطع ذلك ابوه في سنة احدى وستمايه وخلعه واكرهه
وزوى الامر عنه الى ولده الاخر فلما مات ذلك الولد اضطر ابوه الى اعادته فبايع له وخطب
له في شوال سنة ثمان عشرة واستخلف عند موت والده فكانت خلافته تسعة اشهر ونصفا
وقد روى عن والده بالاجازة قبل ان يستخلف قال ابن النجار تقدم ابوه بجلوسه بالتاج
الشريف في كل جمعة ويقعد في خدمته استاذ الدار ليقرى عليه مسند احمد بن حنبل
باجازته من والده ثم قال انا ابو صالح الجيلي انا الظاهر بامر الله ابو نصر بقراتي انا ابا ابي
انا عبد المغيث ابن زهير وعن انا ابن الحصين فذكر حديثا بهذا السند النازل كما ترى
قال ابن الاثير في كامله ولما ولي الظاهر اظهر من العدل والاحسان ما اعاد به سنة العمرين
فانه لو قيل ما ولي الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز مثله لكان القايل صادقا فانه اعاد من
الاموال المغصوبة والاملاك الموجودة في ايام ابيه وقبلها شيا كثيرا واطلق المكوس في
البلاد جميعها وامر باعادة الخراج القديم في جميع العراق وباسقاط جميع ما جدده ابوه
وكان ذلك كثيرا لا يحصى فمن ذلك ان يعقوبا كان يحصل منها قديما عشرة الاف دينار فلما
استخلف الناصر كان يوخذ منها في السنة ثمانون الف دينار فاستغاث اهلها وذكروا
ان املاكهم اخذت فاعادها الظاهر الى الخراج الاول ولما اعاد الخراج الاصلي على البلاد
حضر خلق وذكروا ان املاكهم قد يبست اكثر اشجارها وخربت فامر ان لا يوخذ الا من
كل شجرة سالمة وهذا عظيم جدا ومن عدله ان صنجة المخزن كانت راجحة نصف قيراط في
المثقال يقبضون بها ويعطون بصنجة البلد فخرج خطه الى الوزير واوله ويل للمطففين
الايات وفيه قد بلغنا كذا وكذا فتعاد صنجة الخزانة الى ما يتعامل به الناس فكتبوا اليه ان هذا
فيه تفاوت كثير وقد حسبناه في العام الماضي فكان خمسة وثلاثين الف دينار فاعاد
الجواب ينكر على القايل ويقول يبطل ولو انه ثلثمايه الف وخمسون الف دينار ومن عدله
ان

ان صاحب الديوان قدم من واسط ومعه ازيد من مايه الف دينار من ظلم فردها على اربابها
واخرج المحبسين وارسل الى القاضي عشرة الاف دينار يعطيها عمن اعسر وقيل له في هذا الذي
تخرجه من الاموال لا تسمح نفس ببعضها فقال انا فتحت الدكان بعد العصر فاتركوني افعل
الخير فكم بقيت اعيش قال وتصدق ليلة النحر **قلت** ولم يات عليه شواله فان عيد الفطر
كان يوم مبايعته قال تصدق وفرق في العلما والصلحا مايه الف دينار وكان نعم الخليفة
جمع الخشوع مع الخضوع لربه والاحسان الى رعيته ولم يزل كل يوم يزداد من الخير والاحسان
وكان قبل موته قد اخرج توقيعا بخطه الى الوزير ليقراه على الاكابر فقال رسوله امير
المومنين يقول ليس غرضنا ان يقال مرسوم او نفذ مثال ثم لا يبين له اثر بل انتم
الى امام فعال احوج منكم الى امام قوال فقراه الوزير فاذا في اوله اعلموا انه ليس
امهالنا اهمالا ولا اغضاونا اغفالا ولكن لنبلوكم ايكم احسن عملا وقد عفونا لكم
عما سلف من خراب البلاد وتشريد الرعايا وتقبيح الشريعة واظهار الباطل الجلي في صورة
الحق الخفي حيلة ومكيدة وتسمية الاستيصال والاجتياح استيفا واستدراكا لاغراض
انتهزتم فرصتها مختلسة من براثن ليث باسل وانياب اسد مهيب تتفقون بالفاظ
مختلفة على معنى واحد وانتم امناوه وثقاته فتميلون رايه الى هواكم فتطيعكم وانتم
له عاصون والان فقد بدل الله بخوفكم امنا وبفقركم غنا وبباطلكم حقا ورزقكم
سلطانا يقيل العثرة ولا يواخذكم الا من اصر ولا ينتقم الا ممن استمر يامركم بالعدل
وهو يريده منكم وينهاكم عن الجور وهو يكرهه لكم يخاف الله فيخوفكم مكره ويرجو الله خلفا صح
ويرغبكم في طاعته فان سلكتم مسالك نواب الله في ارضه وامنايه على خلقه والا
هلكتم والسلام قال ولما توفي وجد في بيت من داره الوف رقاع كلها مختومة
فقيل له لم لا تفتحها قال لا حاجة لنا فيها كلها سعايات وقال ابو شامة في تاريخه
وكان امير المومنين ابو نصر جميل الصورة ابيض مشربا حمرة حلو الشمايل شديد القوى
بويع وهو ابن اثنين وخمسين سنة فقيل له الا تتفسح قال قد لقس الزرع فقيل بارك
الله في عمرك قال من فتح دكانا بعد العصر ايش يكسب ثم انه احسن الى الناس وفرق الاموال
وابطل المكوس وازال المظالم وقال ابو المظفر ابن الجوزي حكى لي عنه انه دخل الخزاين فقال
له خادم في ايامك تمتلي فقال ما فعلت الخزاين لتمتلي بل لتفرغ وتنفق في سبيل الله فان

تعالى فإن الجمع شغل التجار وقال إني واصل أظهر العدل وأزال المكس وظهر للناس
وكان يوم لا نظير له إلا نادرا قلت توفي في ثالث عشر رجب وبويع بعده ولده المستنصر بالله
رحمه الله تعالى سنة اربع وعشرين وستماية فيها جرت وقعة بين جلال الدين الخوارزمي
وبين التتار وكان يتوقع مجيء التتار فقد قصدوا اصبهان فجمع عسكره وتهيأ
للملتقى لكون اولاده وحرمه فيها فلما وصلوا ازاح علل الجند بما احتاجوا اليه ومنهم اربعة
الاف صوب الري ودامغان بركا فكانت الاخبار ترد من جهتهم وهم يتجسسون والتتار
يتقدمون الى ان جاء اليزك واخبروه بما في عسكر التتار من الابطال المذكورين مثل
باجي نوين وباقو نوين واسرطغان ووصلت التتار فنزلوا شرقي اصبهان وكان
المنجمون اشاروا على السلطان جلال الدين بمصابرتهم ثلاثة ايام والتقاهم في اليوم
الرابع فلزم المكان مرتقب اليوم الموعود وكان من امره وجيشه قد ابرز عجوا من التتار
والسلطان يتجلد ويظهر قوة ويشجع اصحابه ويسهل الخطب ثم استحلفهم ان لا يهربوا
وحلف هو واحضر قاضي اصبهان ورئيسها وامرهما بعرض الرجالة في السلاح فلما
رأى التتار تأخر السلطان عن الخروج اليهم ظنوا انه امتلأ خوفا فجردوا الفي فارس الى
الجبال يغادون ويجمعون ما يقوتهم مدة الحصار فدخلوا الجبال وتوسطوها فجهز السلطان
وراءهم ثلاثة الاف فارس فاخذوا عليهم المضايق والمسالك وواقعوهم وقتلوا فيهم
واسروا ثم خرج في اليوم الموعود وعبى جيشه للمصاف فلما تراءى الجمعان خذله اخوه
غياث الدين وفارقه بعسكره وسعد جهان بهلوان لوحشة حدثت له ذلك الوقت وتغافل
السلطان عنه ووقف التتار كراديس متفرقة مترادفة فلما صادمهم جلال الدين امر
رجالة اصبهان بالعود ورأى عسكره كثيرا وتباعد ما بين ميمنة السلطان وميسرته
حتى لم تعرف الواحدة منهما ما حال الاخرى فحملت ميمنة على ميسرة التتار فهزمتها وحملت
ميسرته كذلك فلما امسى السلطان ورأى انهزام التتار نزل فاتاه احد امرائه وقال له
قد عشنا دهرا نرتقب يوما نفرح فيه فما حصل لنا مثل هذا اليوم وانت جالس فلم
يزل به حتى ركب وعبا الحرف وكان اخر النهار فلما شاهد التتار السواد الاعظم خرج جماعة
من شجعانهم وكمنوا لهم وخرجوا وقت المغرب على ميسرة السلطان كالسيل وحملوا حملة
واحدة فزالت الاقدام وانهزموا وقتل من الامراء الب خان واربق خان ولوح خان وبولوخان

وما

وماج الفريقان وحمي الوطيس واشتد القتال واسر علاء الدولة اتابك صاحب يزد ووقف
السلطان في القلب وقد تبدد نظامه وتفرقت اعلامه واحاط به التتار وصار المخلص من
شبه الاختلاط اضيق من سم الخياط ولم يبق معه الا اربعة عشر نفسا من خواص مماليكه
فاتهم على حمية فطعن طعنة لولا الاجل لهلك ثم افرج له الطريق وخلص له المضيق ثم
ان القلب والميسرة تمزقت في الاقطار فمنهم من وقع الى فارس ومنهم من وصل كرمان
ومنهم من قصد تبريز وعادت الميمنة بعد يومين فلم يسمع بمثله مصاف انهزام كلا
الفريقين وذلك في الثاني والعشرين من رمضان ثم لحق السلطان الى اصبهان وتحصن
بها فلم تتصل التتار اليه ورحلوا الى خراسان وقال ابن الاثير وفي هذه السنة قتل الاسماعيلية
اميرا كان لجلال الدين خوارزم شاه قد اقطعه مدينة كنجة وكان نعم الامير يكثر على جلال الدين
ما يفعله عسكره من النهب والشر فعظم قتله على جلال الدين واشتد عليه فسار بعساكره
الى بلاد الاسماعيلية من حدود الموت الى كردكوه بخراسان فخرب الجميع وقتل اهلها وسبى
ونهب واسترق الاولاد وقتل الرجال وكان قد عظم شرهم وزاد ضررهم وطمع عدوهم
ولقاهم الله بما عملوا بالمسلمين ثم سار الى التتار وحاربهم وهزمهم وقتل واسر ثم جمعوا
له وقصدوه وفيها سارت عساكر الملك الاشرف مع الحاجب حسام الدين علي الى خوي
لمكاتبة من اهلها فاخذوها ثم اخذوا مرند وتقويت شوكته قال ابن الاثير ولو داموا لملكوا
الناحية انما عادوا الى خلاط واستصحبوا معهم زوجة جلال الدين خوارزم شاه
وهي ابنة السلطان طغرل بن ارسلان السلجوقي وكان قد تزوج بها بعد ازبك بن البهلوان
فاهملها ولم يلتفت اليها فخافته مع ما حرمه من الامر والنهي وكاتبت الحسام علي المذكور
تطلبه لتسلم اليه البلاد وكان بدمشق في سنة اربع قضاة شافعيان وحنفيان الخوي
قاضي القضاة ونائبه نجم الدين بن خلف وشرف الدين عبد الوهاب الحنفي والعزيزي
السنجاري وسبق بن السقلاطوني العدل نفسه بسبب مال عليه للدولة طولب به وكان
عدلا من نيف واربعين سنة من شهود شرف الدين بن عصرون وفيها احضر الكرجي
المحتسب الجمال ابن الحافظ والشرف الاربلي والبرادلي وقرر معهم ان يرتبوا مسندا احمد
على الابواب وقرر للجمال في الشهر خمسين درهما وللاخرين ستين درهما وبذل لهم الورق
واجرة النساخ فاطلبه ثم هذا ومرض الملك المعظم فتصدق واخرج المسجونين واعطى الاشرف

الف غرارة وفرقوا على الفقها والصوفية وغيرهم ثمانين الفا وخمسماية غرارة وخلف من الحصرة
لولده الناصر واشترى بن دوبدان حصانا صغيرا للمعظم بالف دينار مصرية واحضرها
فامر بالتصدق بها بالمصلى فازدحم الخلق لذلك فمات ثمانية انفس ثم مات المعظم في
اخر ذي القعدة عن تسع واربعين سنة واوصى ان يغسله الحصيري مات قبل صلاة
الجمعة وحل ابنه الكلوتة والمماليك ولطموا في الاسواق ومرا النجيب العرا يا داود
انا جعلناك خليفة في الارض فضحك الناس وقال ابو شامة قدم رسول الانبرور ملك الفرنج
من البحر على المعظم بعد اجتماعه باخيه الكامل يطلب البلاد التي فتحها السلطان صلاح
الدين فاغلظ له وقال له قل لصاحبك ما انا مثل الغير ما له عندي الا السيف وفيها
حج بالشاميين شجاع الدين علي بن السلار وهي اخر امرته على الركب وانقطع بعد هذا ركب
الشام مدة لسبب الفتن وكان قد حج من بغداد قبل سلطانها شهاب الدين غازي
ابن العادل الحج ايضا قال ابو المظفر كان يقله سنامه جمل ومعه خمسون هجينا
عليها خمسون مملوكا وسار على الرحبة وعانه ولبسات الى كربلا الى الكوفة فبعث
الخليفة له [illegible] ونفله والفي دينار فلما عاد لم يصل الكوفة بل سار في الطريق
فكاد يهلك هو ومن معه عطشا حتى وصل الى حران وتوفي الملك المعظم وقام بعده
ابنه الناصر داود **جنكزخان** طاغية التتار وملكهم الاول الذي خرب البلاد
واباد العباد وليس للتتار ذكر قبله انما كانوا ابادية الصين ملكوه عليهم واطاعوه طاعة
اصحاب نبي لنبي بل طاعة العباد المخلصين لرب العالمين وكان مبدا ملكه في سنة تسع
وتسعين وخمسماية واستولى على بخارى وسمرقند في سنة ست عشرة واستولى على مدن
خراسان في سنة ثمان عشرة واخر سنة سبع عشرة ولما رجع من حرب السلطان جلال الدين
خوارزم شاه على نهر السند وصل الى مدينة [illegible] من بلاد الخطا فمرض بها ومات في رابع
رمضان من سنة اربع وعشرين وكانت ايامه خمسا وعشرين سنة وكان سنه قبل ان يلي
الملك [illegible] ومات على دينهم وكفرهم وبلغنا انه خلف من الاولاد الذين يصلحون للسلطنة
ستة وفوض الامر الى اوكتاي احدهم بعد ما استشار الخمسة الاخرين في ذلك فاجابوه فلما
هلك جنكزخان امتنع اوكتاي من الملك وقال في اخوتي واعمامي من هو اكبر مني فلم يزالوا به حتى
من ربيعين يوما حتى تملك وحكم على الملوك ولقبوه قاآن الاعظم ومعناه الخليفة فما قبلوه [illegible]

جيوشه وفتح فتوحات وطالت ايامه وولي بعده الامر مونكوكا وهو القاآن الذي كان
اخوه هولاكو ومن جملة مقدميه ونوابه على خراسان وولي بعده مونكوكا اخوه قبلاي
وقد طالت ولايته قبلاي ونفي في الامر نيفا واربعين سنة كاخيه وعاش الى سنة ثلاث
وسبعين وستماية ومات سنة خمس بمدينة خان بالق التي هي كرسي المملكة وهي ام الخطا
واما سكت فهو اسم جبل يلك الديار وهو حد بين بلاد الهند وبين بلاد الخطا فقبلاي
هذا ومونكوكا وهولاكو واخوه وهم اولاد تولي بن جنكزخان وقد قتل تولي في مصافة عظيمة
بينه وبين السلطان جلال الدين خوارزم شاه سنة ثماني عشرة وستماية بخراسان من ناحية
غزنه **الملك المعظم** عيسى السلطان الملك المعظم شرف الدين ابن السلطان الملك العادل
سيف الدين ابي بكر بن ايوب بن شاذي صاحب دمشق الفقيه الحنفي الاديب ولد بالقاهرة
في سنة ست وسبعين وخمسماية ونشا بالشام وحفظ القران وتفقه وبرع في المذهب
واعتنى بالجامع الكبير فشرحه في عدة مجلدات بمعاونة غيره ولازم تاج الدين الكندي مدة وكان
ينزل الى داره بدرب العجم من القلعة والكتاب تحت ابطه فاخذ عنه كتاب سيبويه وشرحه
للسيرافي واخذ عنه الحجة في القراءات لابي علي الفارسي والحماسة وغير ذلك من الكتب
المطولة وحفظ الايضاح في النحو وسمع المسند من حنبل المكبر وسمع من عمر بن طبرزد
وغيره وله ديوان شعر قال ابو المظفر سمعت منه ديوانه وصنف في العروض ومع ذلك
كان يقع [illegible] الوزن في بعض الاوقات وكان محبا لمذهبه متغاليا فيه كثير الاشتغال مع كثرة
الاشتغال وكان محبا للفضيلة قد جعل لمن يعرض المفصل للزمخشري مائة دينار ولمن
يحفظ الجامع الكبير مائتي دينار ولمن يحفظ الايضاح ثلاثين دينارا سوى الخلع وقد
حج في ايام والده سنة احدى عشرة وستماية وجدد البرك والمصانع واحسن الى الحجاج
كثيرا وبنى سور دمشق والطارمة التي على باب الحديد والخان الذي على باب الجابية
وبنى بالقدس مدرسة وبنى عند جعفر الطيار رضي الله عنه مسجدا وعمل بمعان دار
مضيف وحمامين وكان قد عزم على تسهيل طريق الحاج وان يبني في كل منزلة وكان يتكلم
مع العلما ويناظر ويبحث وكان ملكا ظريفا وافر الحرمة مشهورا بالشجاعة والاقدام وفيه
تواضع وكرم وحيا وقد ساق بهجين فرسخا واحدا من دمشق الى الاسكندرية في ثمانية ايام
في حدود سنة سبع وستماية الى اخيه الملك الكامل محمد فلما التقيا قال له الكامل بعد ما

ان اعتنقه والتزمه اطلع اركب فقال واذا المطي بنا بلغن محمدا فظهورهن على الرجال حرام
فطرب الكامل واعجبه وكان قد اعد الجواسيس والقصاد من الفرنج كانوا على كعبه فلذلك
كان يطلع ويعتسف ويصادر واخرب القدس لعجزه عن حفظه من الفرنج وادار الجود
وكان يملك من العريش الى حمص والكرك والشوبك والى العلى وكان عدم الالتفات
الى ما يرغب فيه الملوك من الابهة والتعظيم ونهى نوابه عن مزاحمة الملوك في طلوع العلم
على جبل عرفات وكان يركب وحده مرارا عديدة ثم يتبعه غلمانه يتطاردون خلفه وكان
مكرما لاصحابه كانه واحد منهم ويصلي الجمعة في تربة عمه صلاح الدين ويمشي منها
الى تربة ابيه توفي في سلخ ذي القعدة سنة اربع ودفن بالقلعة ثم نقل الى تربته ومدة سنة
تقاسيون سنا محمد الله ونقلت خط الصبا قال كان شجاعا فقيها وكان يشرب الخمر
المسكر ويتجوز به وكان ربما اعطى العطاء الكثير لمن لا يستحق ويحبس لشربه واستنفد
طلبا كثيرا لبلاد الشام وامر بخراب بيت المقدس وغيرها من الحصون وقال ابن
الاثير كان عالما بعدة علوم فاضلا فيها منها الفقه ومنها علم النحو وكذلك اللغة تحقيق
العلم في سوقه وقصده العلماء من الآفاق واكرمهم واعطاهم الى ان قال لم يسمع احد
منه ما يعيبه كلمة ترفعه وكان يقول كثيرا اعتقادي في الاصول ما سطره ابو جعفر
الطحاوي واوصى ان يدفن في لحد وان لا يبنى عليه بناء بل يكون قبره تحت السماء وكان يقول
في مرضه لي عند الله في امر دمياط ما ارجو ان يرحمني به وقال ابن واصل كان جند
المعظم ثلاثة آلاف فارس لم يكن عند احد من اخوته جند مثلهم في فرط تجملهم وحسن
زيهم وكان بهذا العسكر القليل يقاوم اخوته وكان الكامل يخافه لما يتوهمه من ميل
عسكر مصر اليه لما يعلمونه من عنايته بامر اجناده وكان المعظم يخطب لاخيه الكامل
في بلاده ويضرب السكة باسمه ولا يذكر اسمه مع الكامل وكان مع شهامته وعظم هيبته
قليل التكلف جدا لا يركب في السناجق السلطانية في غالب اوقاته بل في جمع قليل وعلى
راسه كلوته صفرا بلا شاش ويخترق الطرق ولا يطرق له احد ولقد رايته بالبيت
المقدس في سنة ثلاث وعشرين والرجال والنساء يزاحمونه ولا يردهم ولما كثر هذا
منه ضرب به المثل فصار من فعل فعلا لا يتكلف فيه قيل قد فعله بالمعظمي وكان شيخه في الفقه
جمال الدين الحصيري يتردد اليه والى الجندي كثيرا وكان قد بحث كتاب سيبويه وطالعه

مرات

مرات فبلغني ان اباه قال له كيف خالفت اهلك وصرت حنفيا قال يا خوند الا ترضون
ان يكون فيكم واحد مسلم قاله على سبيل المداعبة سنة خمس وعشرين وستمائة
في صفر جاء منشور الولاية من الخليفة للملك الكامل لا من اخيه الملك الناصر داود وتحركت
الفرنج وانبثوا في السواحل لان الهدنة فرغت وفيها اغار المسلمون على اعمال صور وغنموا
كثيرا من المواشي وفيها نزل الملك العزيز عثمان بن العادل على بعلبك ليأخذها من
الملك الامجد فارسل اليه الناصر داود يأمره بالرحيل عنها فرحل وقد حقد على الناصر
فقالوا انه كاتب الملك الكامل وحثه على قصد دمشق وانها في يده فقدم الكامل وانضاف
اليه العزيز وجاء الملك المجاهد اسد الدين شيركوه وكانت عنده ضغينة على المعظم لكونه
نازل حمص وشعث ظاهرها فاستنجد الملك الناصر بعمه الملك الاشرف فجاء واكرمه
غاية الاكرام ونزل بالمرج وكان رسوله الى الاشرف فخر الدين بن بصاقة ولما
وصل الكامل الى الغور وبلغه قدوم الاشرف رجع الى غزة وقال انا ما خرجت على ان
اقاتل اخي فبلغ ذلك الاشرف فقال لابن اخيه الناصر ان اخي قد رجع حردان والمصلحة
انني الحقه واسترضيه فنزل الكامل غزة وارسل اليه ملك الفرنج يطلب منه القدس
وقال انا قد حضرت لنجدتك بمقتضى مراسلتك ومعي عساكر عظيمة فكيف ارجع بلا شي فاعطاه
بعض القدس وسار الاشرف الى الكامل واجتمع به في القدس فكان يحدثه على الناصر لا
له واتفق الاخوان على اخذ البلاد من الناصر وان دمشق تكون للاشرف وانضاف
اليهما من عسكر الناصر اخوته الملك الصالح اسمعيل وابن عم الناصر شهاب الدين محمود
ابن المغيث وعز الدين ايدمر وركن الدين الحكاكي وجاء المظفر شهاب الدين غازي بن
العادل فاجتمع الكامل بفلسطين وقد كان الناصر خرج ليلتقي عمه الكامل واعتقد
ان الاشرف قد اصطلح عنده فسار الى الغور فلما سمع باجتماع اعمامه عليه ليمسكوه
رجع الى دمشق فحصنها واستعد للحصار وفيها عزل الصدر البكري عن مشيخة الشيوخ
وعن حسبة دمشق وولي المشيخة عماد الدين بن حمويه والحسبة رشيد الدين بن الهادي
وفيها نزل جلال الدين بن خوارزم شاه مرة ثانية على خلاط ثم هجم عليه الشتا فرحل
الى اذربيجان وخرج الحاجب علي من خلاط فاستولى على خوي وسلماس وتلك النواحي وساق
فاخذ خزائن جلال الدين وعائلته وعاد الى خلاط فقيل له ايش فعلت تحرشت به لتهلك البلاد

فلم يفعل ومنها جرى الكوبر الشاعي من واسط الى بغداد في يوم وليلة ووصل الى باب
سور الحلبة قبل الغروب بساعة وردف فنوّلا عظيما واعطي خلعا واموالا من الدولة
والتجار ومن جملة ما حصل له نيف وعشرون فرسا وثمانين الف وسبع مائة دينار
ومن الذهب خمسة الاف واربع مائة دينار واسمه معتوق الموصلي ولا دون خدمة
الشرابي ذكر هذا ابن الساعي وفيها شرع في اساس المستنصرية ببغداد وكان مكانها
اصطبلات وابنية وتولى عمارتها استاذ دار الخلافة ومنها وقبلها التي قبلها كما
تقدم بعبارة اخرى عادت التتار الى الري وجرى بينهم وبين جلال الدين حروب وكان
هؤلاء التتار قد سخط عليهم جنكزخان وابعدهم وطرد مقدمهم فقصد خراسان فراها
خرابا فقصد الري ليتغلب على تلك النواحي فالتقى هو وجلال الدين فاقتتلوا اشد قتال
ثم انهزم جلال الدين ثم عاود ثم انهزم وقصد اصبهان واقام بها وبين الري وجمع
جيشه واتاه ابن اتابك سعد بعد وفاة والده ثم عاد جلال الدين فضرب مع التتار فانما
بينما هم مصطفون انفرد غياث الدين اخو السلطان وقصد ناحية فظنهم التتار
يريدون ان ياتوهم من ورائهم فانهزموا وتبعهم صاحب بلاد فارس واما جلال
الدين فانه لما راى مفارقة اخيه له ظن ان التتر قد رجعوا خديعة ليستدرجوه فانهزم
ايضا ولم يجسر ان يدخل اصبهان خوفا من الحصار فمضى الى سميرم واما صاحب فارس
فلما ساق وراء التتار وابعد ولم ير جلال الدين خاف ورد عن التتار ورأى التتر
انه لا يطلبهم احد فوقفوا ورجعوا الى اصبهان وحاصروها وظنوا ان جلال الدين قد هلك
فبينما هم كذلك اذ وصل اليهم قاصد من جلال الدين يعرفهم بانه سالم وانه يجمع ويحشد
اهل اصبهان ففرح اهل البلد وقويت نفوسهم وفيهم شجاعة طبيعية فقدم عليهم ودخل
اليهم ثم خرج بهم فلقوا التتار فانهزم التتار اقبح هزيمة وساق جلال الدين وراءهم
قتلا واسرا واقام بالري فاتته رسل ابن جنكزخان يقول ان هؤلاء ليسوا من اصحابنا انما
نحن ابعدناهم فاطمان جلال الدين من جانب جنكزخان وعاد الى اذربيجان واما غياث
الدين اخوه فقصد خوزستان فلم يمكنه نايب الخليفة من دخولها فقصد بلاد الاسماعيلية
والتجى اليهم واستجار بهم فقصد جلال الدين بلاد الاسماعيلية لينهبها ان لم يسلموا اليه اخاه
فارسل مقدمهم يقول لا يجوز لنا ان نسلمه اليك لكن نحن نتركه عندنا ولا نمكنه ان يقصد شيئا

من

بلادك والضمان علينا فاجابهم الى ذلك وعاد فنازل خلاط ومنها تملك علاء الدين كيقباد
صاحب الروم مدينة ارزنكان وكان صاحبها بهرام شاه قد طال ملكه لها وجاوز ستين
سنة فمات ولم يزل في طاعة قلج ارسلان واولاده فملك بعده ولده علاء الدين داود شاه
فارسل اليه كيقباد يطلب منه عسكرا ليسير معه الى مدينة ارزن الروم ليحاصرها وان
يكون معهم فاتاه في عسكره فقبض عليه واخذ بلده وكان له حصن كماخ وله فيه والي فتهدده
ان لم يسلم الحصن نفسا فارسل الى نايبه فسلم الحصن فلما سمع صاحب ارزن الروم ان
كيقباد انه يقصده استنجد بالامير حسام الدين علي الحاجب نايب الملك الاشرف
على خلاط فسار الحسام ونجده فرد كيقباد لذلك ولان العدو اخذ واله حصن حصينا
وهو مطل على البحر عاصى فاتاه واستعاده منهم ثم اتى انطاكية فشتى بها ومنها ظهر
محضر للعباسيين اسند الى نجم الدين مهنا قاضي المدينة ان حكام ابن يحيى بن يوسف بن جعفر
ابن ابرهيم بن محمد الممدوح بن عبد الله الجواد بن جعفر الطيار سكن بقرية بالشام تعرف
باهل عناك واولد بها وعقبه بها وبالشام ومن نسله فلان وساق نسبه الى حكام وبقرية
بالمسارة بنو المنجا للتدريس يحكمون ان نظرها اليهم ويعدم الحول الى المعتمين ان لا
يمكنوا منوى الا باذنه ومنها طلع الفرنج من البحر وعكا الى صيدا وكانت مناصفة
لهم وللمسلمين فاستولوا عليها وحصنوها وتم لهم ذلك وقويت شوكتهم وجاء الامبرور
ملك الالمان ومعناه ملك الامراء وكان قبل مجيئه قد استولى على قبرص وقدم عكا
فارتاع المسلمون لذلك وقدم الكامل كما مر من مصر واقام على تل العجول ثم كاتب الامبرور
واتفق معه على الناصر داود ولى المعظم ونشب الكامل بالكلام ولم يكن عساكر الامبرور
وصلت اليه من البحر وخافه المسلمون وملوك الفرنج بالساحل فكاتبوا الكامل اذ ا...
مصاف يمسك الامبرور فسيرا الى الامبرور كتبهم واوقعه عليها وعرفه الامبرور ذلك
واجابه الى كل ما يريد وقدمت رسله على الكامل يستنظر لما اولاه وترددت بينهم المراسلات
وسير الامبرور الى الكامل يتلطف معه ويقول انا عتيقك واسيرك وانت تعلم اني اكبر ملوك
البحر وانت كاتبتني بالمجي وقد علم البابا وسائر ملوك البحر باهتمامي وطلوعي فان انا رجعت
خايبا انكسرت حرمتي بينهم وهذه القدس فهي اصل اعتقادهم وحجهم والمسلمون قد اخربوها
وليس لها دخل طايل فان راى السلطان اعزه الله ان ينعم علي بقصبة البلد والزيارة يكون صدقه

منه ومرتفع راسي بين الملوك وان شاء السلطان ان يكشف عن محصولها واحمل اليه مقداره
الى اخر انه فعلت فلما سمع الكامل ذلك مالت نفسه وجاوبه اجوبة مغالطة والمعنى فيها
نعم امشاني ابن لبردي قال وفي المحرم منها استدعى الامير علا الدين الدويدار الظاهري
ابو شجاع الطبرسي وخلعت عليه خلعة الزعامة وهي قبا اطلس بعطي وشربوش كبير
وفرس بعدة كاملة والمغنى بالزعماء وفيها وصل قاضي الري رسولا من عند جلال الدين
منكوبري بن خوارزم شاه وفيها عقد عقد علا الدين الدويدار المذكور على ابنة بدر الدين
صاحب الموصل على صداق مبلغه عشرون الف دينار وفيها قدم بغداد من الحجاج
اخت السلطان صلاح الدين يوسف زوجة مظفر الدين صاحب اربل وابن اخيها
الملك المحسن احمد فخلع على المحسن وفي رمضان خلع على علا الدين الدويدار خلعة هود
عظيمة واعطي تسعة احمال كوسات وفيها تغلب ابن على معظم الاندلس فكان ملكه
تسعة اعوام سنة ست وعشرين وستمائة في ربيع الاول اخلا الكامل البيت
المقدس وسلمه الى الانبرور وصالحه على ذلك وعلى تسليم جملة من القرى فدخله الفرنج
مع الانبرور وكانت هذه من الوصمات التي دخلت على المسلمين وتوغر القلوب على
الكامل فانا لله وانا اليه راجعون ثم انه تبعها بحصار دمشق واذى المسلمين
ونزل جيشه على الحسونة وقطعوا عن دمشق بانياس والقنوات ثم قطعوا ثورا
وثورا ونهبوا البساتين واحرقوا الجواسق ثم حرب بين عسكر الناصر داود وبين
عسكر عمه الكامل وقعات وقتل جماعة وجرح جماعة واحرقت حواضر البلد فلما كان
يوم رابع جمادى الاولى وقعت بينهم وقعة عظيمة قال ابو شامة قتل فيها خلق كثير
ونهب قصر حجاج والشاغور واطلق فيها النيران وتسلموا حصن عزتا صلحا مع
متوليه وفي تاسع جمادى الاخرة وصل الكامل فنزل عند مسجد القدم فانفذ الناصر
اليه جماعة من الكبرا الدولعي والقاضي شمس الدين الخويي والقاضي شمس الدين
الشيرازي والشيخ جمال الدين الحصيري ساله عنه في السلام والخدمة ثم خرج من الغد
عز الدين ايبك استاد الدار فاستدعاه الكامل فتحدث له في الصلح فلما كان يوم منتصف الشهر
كان بينهم وقعة تلقا باب الحديد وفي الميدان وانتصر الدمشقيون ثم اصبح من الغد
النهب والحريق بظاهر باب توما وبدعوا في الغوطة وغلت الاسعار وصار اللحم

بسنة

بسنة دراهم والجبن بسنة دراهم ايضا واشتد الحصار ثم انهم زحفوا على دمشق من
غربيها مرارا ويكون الكرة عليهم واخذوا مسجد خاتون ومسجد الشيخ اسمعيل وجامع
الطاحون وجوسق الميدان حصونا وظهرا لهم واحرق الناصر حول ذلك مدرسة
اسد الدين وخانكاه الطواويس وتلك الخانات وجرت امور ثم زحفوا في تاسع رجب
الى ان قاربوا باب الحديد ثم كان استتمام الصلح في اول شعبان وذلك ان الملك الناصر
داود خرج ليلة رابع عشر رجب الى الكامل واجتمع به ثم اجتمع به مرات وتقرر الصلح
ان الناصر رضي بالكرك ونابلس وبعض الغور والبلقا ثم دخل الملك الكامل القلعة
ونزل الى قبر والده ووجه العسكر فنازلوا حماه وحاصروها وفي اواخر شعبان تسلم
الكامل دمشق لاخيه الملك الاشرف واعطاه عوضها حران والرها وراس عين
والرقة ثم توجه الى الشرق ليتسلم هذه البلاد فسار في تاسع رمضان فلما نزل على
حماه خرج اليه خدمة صاحبها صلاح الدين قلج ارسلان بن الملك المنصور محمد بن عمر
وسلم اليه الكامل حماه فاعطاها لاخي صاحبها لكونه اكبر سنا ولان العهد من ابيه
كان اليه ثم سار الى حران ونزل عسكره على بعلبك وجا اليها الاشرف من دمشق
فحاصر الملك الامجد ثم تسلموا البلد وبقي الحصار على القلعة ورجع الاشرف قال
ابو شامة وكان في اخر دولة المعظم قد كثر الاشتغال بعلوم الاوايل فاخره
الله بدولة الملك الاشرف قال ابو المظفر بعث الاشرف اخاه الملك الصالح اسمعيل
فحاصر بعلبك وضربها بالمجانيق ثم وضايقها ثم توجه اليها الاشرف فدخل ابن مرزوق
بينه وبين صاحبها الملك الامجد فاخذت منه وجا الى دمشق فاقام بداره وفيها نازل
جلال الدين خلاط وضايقها باوباشه فاغاروا ونهبوا وهجموا احسنه وقتلوا اهلها
بلاد دنيسر والكامل على حران فاقام البرك على الطريق نحو فاخرجتهم وتوجهت
طايفة منهم الى ميافارقين فالتقاهم المظفر غازي فكسر وجرح وهو اشجع اولاد
العادل ولم يزل جلال الدين بجد في حصار خلاط حتى افتتحها في اخر العام سنة سبع
وعشرين وستمائة قال ابو شامة اخذت بعلبك من الامجد في ربيع الاخر ورحل الاشرف
الى الشرق واستعمل على دمشق اخاه اسمعيل فلما كان في شوال جانا الخبر بان السلطان
الملك الاشرف التقى الخوارزمي يعني جلال الدين وان الاشرف كسره في اواخر رمضان وقد

كان الخوارزمي استولى على خلاط واخذها من نواب الاشرف بعد ان اكلوا الجيف والكلاب
وزاد فيهم الوبا وسوا اسيا ما لم يسمع بمثله لعلمهم بخوارزم شاه ولم يقدر عليها الا بمخامرة
اسمعيل الايواني تدلى اليه واستوثق منه ثم اطلع الخوارزمية بالحبال واستلموها
فانا لله وانا اليه راجعون وسار الاشرف لحربه واتفق هو وصاحب الروم على لقائه
فكسروا الخوارزمية ووقع منهم خلق في واد فهلكوا ونهبوا وسبوا اياما وضربت
البشاير في البلاد وقال ابو المظفر بن الجوزي اخذ خوارزم شاه جلال الدين مدينة
خلاط في جمادى الاولى بعد حصار عشرة اشهر وكان فيها مجير الدين ابن العادل واخوه
تقي الدين وزوجة الاشرف بنت ملك الكرج فاسرهم جلال الدين فارسل صاحب
الروم الى الاشرف يامره بالمسير فانه يخاف منه واخاه الملك الكامل فقال نعم
مصلحة بجمع جيشه وسار الى صاحب الروم وكان معه اخواه شهاب الدين غازي والملك
العزيز عثمان وابن اخيه الملك الجواد وجمع ملك الروم جيوشه ايضا واجتمعا
والتقاهم الخوارزمي فانكسر كسرة عظيمة واخذ الاشرف خلاط وارسل الى الخوارزمي
يطلب اخوته فارسلهم ولم يرسل المراة قال عبد اللطيف بن يوسف كسر الله الخوارزمي
باخف مونة بامر لم يكن في الحساب فسبحان من هدم ذاك الجبل الراسي في لحظة ناظر
وفيها رجعت رسل الخليفة من عند جلال الدين منكوبرتي ملك الخوارزمية وخلع على
رسوله الذي قدم معهم وفيها خرج الموكب الشريف لتلقي رسول الملك محمد بن
يوسف بن هود المغربي صحبة رسول الملك الكامل زعيم مصر فاخبر ان ابن هود
استولى على اكثر بلاد المغرب التي بيد بني عبد المومن وانه خطب بها للمستنصر بالله
فحمد فعله وكتب له منشور يتضمن شكر همته العالية وفيها سير جلال الدين
الخوارزمي الى المستنصر يطلب منه سراويل الفتوة ليتشرف بذلك فسيره اليه
مع تحف ونعم لا تحصى ووبش التوبة ففرح بذلك وتشرف وقبل الارض مرات وفيها
ملك المامون تلمسان وخطب فيها للمستنصر بالله واما امر الخوارزمية وكسرتهم
قال الموفق فتح بعض الامرا باب خلاط للخوارزمية في جمادى الاخرة لا ركونا
الى دينهم وعممهم بل ايثارا للموت في شدة القحط فدخلوا وملوا وسبوا واستحلوا
الحرمات دخلوا نصف الليل فبقوا كذلك الى اخر صبيحته ثم رفعوا السيف وشرعوا

بني

في المصادرات والعذاب وكانوا اسعد من الفقها والاجناد بالقتل والتعذيب اكثر
من غيرهم واما الكامل فانصرف الى مصر بغتة فضعف الناس واتفق ان الخوارزمي
ارمل الشام والروم عفى اثارها واباد سكانها ثم اصطلح الاشرف وعلا الدين صاحب
الروم صلحا تاما بعد عداوة اكيدة وجيشوا الجيوش والقلوب مع ذلك مشحونة خوفا
ولم نزل على وجل مفرط من اللقا المخشي حتى اتاح الله كسرة الخوارزمي باهون مونة
فقرات في كتاب بعض الاجناد انا رحلنا من سيواس وطلبنا منزلا يقال لها ياسي
جمن في طرف اعمال ارزنكان اذ بها عشب ومياه فلما سمع العدو بمجي العسكر ساق
سوقا حثيثا في ثلاثة ايام ونزل المرج المذكور وبه جماعة من عسكر فكبسهم بكرة الرابع
والعشرين من رمضان وضرب الاشرف المصاف مع الخوارزمي وقامت الحرب على
ساق الى قرب الظهر ثم نصر الله وكسر العدو شر كسرة وكان معه خلق لا يحصون
والمصاف في اليوم التاسع والعشرين من رمضان قال الموفق ثم تواصل الناس
ومعهم السبي والاخايذ من المماليك والدواب والاسلحة والكل ردي ساع الجوشن
بثلاثة دراهم والفرس هناك بخمسة وفي حلب بعشرين درهما وبلا شي في غاية الرداة
وكذا ثيابهم وساير اسلحتهم ووصل منهم اسرى فيهم رجل حكى لمن انس به من الفقها
العجم قال ان صاحبنا دهش وتحير لما شارف عسكر الشام فلما رايناه كذلك انقطعت
قلوبنا ولولا عسكر الشام ابدنا عسكر الروم انا بنفسي قتلت منهم خمسين فارسا
ويحكي بسبب لنا جندي قال وصلنا المرج باسي جمان ونحن متوجهون الى خلاط
على ان العدو بها فاذا بعسكر الخوارزمي محيط بنا فوقع على طايفة من عسكر الروم فقتل
منهم نحو مايتين ونهب واسر ثم نزل العدو ووقع جيش الخوارزمي على عسكر الروم
ونحن نرى الغبرة فاباد منهم قتلا واسرا وقد كثر القول بانهم قتلوا من عسكر الروم
سبعة الاف من جيادهم وقيل اكثر واقل وقال لي رجل من اهل ارزنجان ان جميع
عسكر الروم كانت بها وعدتهم اثنا عشر الفا فلم يخلص منهم الا جريح او هارب بوعل
الجبل وان صاحب الروم بقي في ضعفه من اصحابه نحو خمسة الاف واصبحنا يوم الخميس
على تعبية ووقعت منا وثبات فكان اصحابنا ابدا يحملون عليهم وعرفنا قتالهم وتشابههم
وضعف خيلهم وقلة فروسيتهم فتبدل خوفنا منهم بالطمع واحتقرناهم وتعجبنا كيف غلب

هو لا انما كثير ين وبقية الليل واصبح الناس فهزم عنه ارسلان الى الملك الاشرف فسالهما عن
اصحابهم فقالا هم ملتوين للقاء وبقي الاشرف يجول بين الصفوف ويشجع الناس على لقاء العدو
واصبح الناس يوم السبت على تعبية تامة فسال الاشرف الملوكين عن موضع الخوارزمي
فقالا هو على ذلك التل وعليه شعرية كبيرة اطلس وعلى راسه كنفد برجم صغير محيط بقبابيه
فحمل طايفة من الخوارزمية على عسكر الروم فتقدم الاشرف الى سنقر الدين ومعه
من عسكر مصر الف وخمسماية فارس والى عسكر حمص وحلب وحماه فاستدعى الف فارس وندب
بعض امرا العرب في الف فارس من العرب فحملوا على التل الذي عليه الخوارزمي فلما عاين
الموت لا محالة مقبلا انهزم فلما راى جيشه فراره انهزموا واما الذين حملوا على عسكر الروم
فبقوا في الوسط فلم يفلت منهم احد لان الخوارزميين لشدة رعبهم لم يقدروا على الهرب ولم
يهتدوا سبيلا واكثرهم نزلوا عن خيولهم والتجوا الى بطون الاودية والسوق الحربية فتبعهم
فيها الفلاحون والغلمان وقتلهم اضعف الناس في الحرب منهم بلا شك الاف على بلاد حاسب
خرج اليهم الفلاحون الروم والنصارى فقتلوهم عن اخرهم ولحق الخوارزمي عند هربه نحو ماتي
حصان ووصل خلاط في سبعة انفس واخذ حرمه وما خف من المال وانحدر على ملازجرد
وكانت محصورة بزنبره ووصل جاننا فاطعمه وزبره ثم دخل اذربيجان بالخزي والصغار
فصادر اهل خوي وملك منهم جماعة تحت العقوبة واما الاشرف فلو ساق بعسكره وراهم
لاتى عليهم قتلا واسرا وتسلم ارزن الروم وسلمها الى علا الدين كيقباد واخذ ملكها جبرا
من جميع مملكته واما صاحبها ابن مغيث الدين بن علا الدين فانه زى بالحيلة نحو النخا
الى كهف في اخذوه اخذ الخسا ثم نزل الاشرف على ملازجرد وصمم على ان يدخل وراء الخوارزمي
واقام شهورا ثم نزل ارسلان في الصلح فاصطلحا على ما يوثر الملك الاشرف فرجع وفرق العسكر
وامنت خلاط وشرعت تعمر وحكى امير قال حملنا على الخوارزمي فوقع عسكره في واد وهلكوا
رحمناهم على سفح لعضي الوادي عميق فنكر دسوا خيولهم فقطعوا اربا اربا واشرفنا على
الوادي ثاني يوم فرايناه مملوا بالهلكى لم تحدقهم خيلا لا خادم الخوارزمي مكسور الرجل
واخذنا اليلما نقلنا لنقتل لعل ان يكون فيهم جلال الدين الخوارزمي وامير خلق من خواصه واعلامهم
وسناجقه وذكروا ان العرب اخذوا من خيمته باطية ذهب وزنها خمسة وعشرون رطلا
فقلم ابادها الملك الاشرف والعجب ان هذه الوقعة لم يقتل فيها من عسكر الشام احد

ولا

ولا جرح ولم يزل الا رجل من عسكر حمص جرح بسهم وزالت هيبة الخوارزمية من القلوب وزال
سعدهم **سنة ثمان وعشرين وستماية** في رجب وصل من المغرب واخبر ان بعض بني
عبد المومن صعد الجبل وجمع من امم البربر نحو ماتي الف ونزل بهم وهاجم ملكه وقتل
عمه وكان قد ولي الامر دونه وقتل من اصحابه نحوا من خمسة عشر الفا وسير الى الاندلس يهدد
ابن هود فاطاعه بشرط ان لا يكون عنده احد من الموحدين الا اذا احتاج اليهم للغزاة
وفي رجب وصل قرمون الى الشام واخبر ان التتر خرجوا الى الخوارزمي وانهم كسروه وفتح
كسرة وان الكفار الذين كانوا في حملة عسكره غدروا به وعادوا الى اصحابهم وان الجمعة كلهم
تفرقوا عنه وبقي في ضعفة من اصحابه وهم قليلون لا يسد بهم ولا به فهكذا كل ملك
يوسس على الظلم يكون سريع الهدم وقال ابن الاثير وهذه السنة هي اخر كتابه فلعلها اولها
وصل التتار من بلاد ما وراء النهر وقد كانوا بعده وكل قبيل ينهبون ما يرونه والبلاد
خاوية على عروشها فلما انهزم جلال الدين خوارزم شاه من العام الماضي ارسل مقدم
الاسماعيلية يعرف التتار ضعف جلال الدين فبادرت طايفة وقصدوا اذربيجان فلم
يقدم جلال الدين على لقائهم فملكوا مراغة وعاثوا باذربيجان فسار نحو امد وتفرق جنده
فتبعه التتار ليلة فنجا وتمزق اصحابه في كل وجه فقصد طايفة منهم حران فاوقع بهم الامير
صواب مقدم الملك الكامل بحران وقصد طايفة منهم سنجار والموصل وغير ذلك وتخطفهم
الملوك والرعيه وطمع فيهم كل احد حتى الفلاحون والاكراد وانتقم الله منهم ودخل التتار
ديار بكر في طلب جلال الدين لا يعلمون اين سلك فسبحان من بدل عزهم ذلا وكثرتهم قله
واحدق التتار باسعرد بالامان ثم غدروا بهم وبذلوا فيهم السيف ثم ساروا منها الى مدينة
طنزه ففعلوا فيها كذلك ثم ساروا في البلاد ينهبونها الى ان وصلوا الى ماردين والى
نصيبين الى ان قال وخرجت هذه السنة ولم يتحقق لجلال الدين خبر ولا يعلم هل قتل
او اختفى والله اعلم **قلت** وفي المحرم وصل الملك مظفر الدين صاحب اربل الى بغداد
واحتفل لقدومه وجلس المستنصر بالله له وحضر ارباب الدولة كلهم ورفع الستر
عن الشباك فاذا المستنصر جالس فقبل الجميع الارض وارقى باب الوزارة مويد الدين
واستاذ الدار مرقاة من الكرسي المنصوب بين يدي الشباك واستدعى مظفر الدين فطلع
واشار بيده بالسلام على المستنصر ثم قرا اليوم اكملت لكم دينكم الاية فرد المستنصر السلام

فقبل الارض عدة مرار فقال له انك اليوم لدينا مكين امين في كلام مضمونه ثبت عندنا اخلاصك
في العبودية فقبل الارض واذن له في الانكفا واسبلت الاستار وادخل حجرة فخلع عليه
فرجية ممرح ومن تحتها قبا اطلس اسود وعمامة قصب كحلية بطرز ذهب وقلد بسيفين محلاة
بالذهب واعطي فرسا بسرج ذهب وكنبوش ومشدة حرير ورفع وراه سنجقان مذهبان
ثم اجتمع بالخليفة يوما اخر وخلع عليه ايضا واعطي رايات وكوسات وستين الف دينار
وخلع على جماعة من اصحابه ● وفيها جدد لمشهد ابي بكر من جامع دمشق امام راتب وفيها
كان الغلا بمصر لنقص النيل ● وفيها قدم الملك الاشرف دمشق وحبس الحريري بقلعة عزتا
وافتى جماعة بقتله وزندقته فاحجم السلطان عن القتل وامر السلطان بتشييد دار الامير قيماز
النجمي لتعمل دار حديث فهي الدار الاشرفية وان يكون للشيخ تسعون درهما وهو الجمال ابو موسى
ابن الحافظ فمات ابو موسى قبل ان تكمل بناوها ● وفيها درس بالتقوية العماد الحرستاني
وبالشامية الجوانية ابن الصلاح وحضر الملك الصالح الدرس وتكلموا في هذه المدرسة وارادوا
ابطالها وقالوا هي وقف على الحنفية وعملوا محضرا ان سودكين المعروفة به اولا وقفها على
الحنفية وشهد بذلك بالاستفاضة فلم ينهض ذلك ● وفيها صلب التاج التكريتي
الكحال لانه قتل جماعة حيلا في سنة ودفنهم ففاحت الرائحة وعدمت امراة عنده فصلب
وسمروه ● ودرس بالصاحبة مدرستها ربيعة خاتون اخت الناصح الحنبلي وكان يوما مشهودا
حضرته الواقفة ورا الستر ● **ابن القطان** علي بن محمد بن عبد الملك بن يحيى بن ابرهيم الكتامي
الحميري المغربي الفاسي الحافظ ابو الحسن بن القطان سمع ابا عبد الله بن الفخار فاكثر عنه
وابا الحسن بن النقرات وابا جعفر بن يحيى الخطيب وابا ذر الخشني وطايفة قال الابار كان
من ابصر الناس بصناعة الحديث واحفظهم لاسما رجاله واشدهم عناية بالرواية راس
طلبة العلم بمراكش ونال بخدمة السلطان دنيا عريضة وله تواليف درس وحدث وقال
ابن مسدي معروف بالحفظ والاتقان امام من ايمة هذا الشان مصري الاصل مراكشي الدار
كان شيخ شيوخ اهل العلم في الدولة المومنية فتمكن من الكتب وبلغ غاية الامنية وولي
قضا الجماعة في اثنا انقلاب تلك الدول فسعى واجرا الاول وتمت عليه اغراض سهلت فيها
اعراض سمع ابا عبد الله بن زرقون وابا بكر بن الجد وخلقا عاف الفنا لمدامه عن لقايه
واجاز لي **قلت** طالعت جميع كتابه الوهم والايهام الذي عمله على سنن ما وقع من ذلك

لعبد

لعبد الحق في الاحكام يدل على تبحره وفنونه في الحديث وسيلان ذهنه لكنه تعنت وتكلم في
حال رجال فما انصف بحيث انه زعم ان هشام بن عروة وسهيل بن ابي صالح ممن تغير واختلط
وهذا منه فانه سكته ولكن محاسنه جمة وتوفي في ربيع الاول وهو على قضا سجلماسة **سنة**
تسع وعشرين وستماية فيها اتى الديوان العزيز ان التتر قصدوا اذربيجان وعاثوا
بها لان صاحبها جلال الدين بن خوارزم شاه قتل قتله كردي بحربة وكان قد انهزم من
التتار لما بيتوه وساقوا وراه حتى بقي وحده وقتل فارسين من التتار ولجا الى جبل به
اكراد فقتله هذا الكردي باخ له كان قتل وعاثوا وافسدوا ووصلوا الى شهرزور وندب
المستنصر بالله الامرا في الجيوش وسار مظفر الدين صاحب اربل اعانة بجيش بغداد
ليلتقي التتار ففاتته العساكر مع جمال الدين قشتمر الناصري وشمس الدين قيران وعلا
الدين الدكز وفلك الدين وساروا الكل نحو شهرزور فبلغ ذلك التتار فهربوا وتمرض
مظفر الدين وعاد الى بلده ● وفي شوال تقدم الى استاد دار الخلافة شمس الدين ابي
الازهر احمد بن محمد بن الناقد والى مويد الدين ابي طالب محمد بن احمد بن العلقمي مشرف دار
التشريفات بالقبض على نايب الوزارة القمي وعلى ولده فخر الدين احمد وعلى اخيه واصحابه فمضى
جماعة بسيوف مجردة ودخلوا دار الوزارة وقبضوا على مويد الدين القمي ثم على ولده واخيه
وحبسوا وكانت مدة ولايته الوزارة بصورة النيابة لا الوزارة المحضة ثلاثا وعشرين
سنة ثم تولى نيابة الوزارة ابن الناقد المذكور ثم ولي الاستاد دارية مويد الدين بن
العلقمي الرافضي ● **خوارزم شاه** خوارزم شاه السلطان جلال الدين منكوبري بن السلطان
علا الدين محمد بن تكش بن ارسلان بن اتسز بن محمد بن نوشتكين الخوارزمي لما قصد جنكزخان
بجيوشه بلاد ما ورا النهر اخلوها من العساكر اذ ثم مع السلطان علا الدين بهمدان فرجع
علا الدين منزعجا وسير ولده جلال الدين هذا في خمسة عشر الف فارس بين يديه فتوغل في
البلاد فاحاط به جنكزخان بجيوشه فطحنوه وتخلص بعد الجهد ووصل الى ابيه ولما زال
ملك ابيه ومات غريبا تقاذفت جلال الدين البلاد فرمته بالهند ثم لفظته الهند الى كرمان
ثم الى سواد العراق وساقته المقادير الى بلاد اذربيجان واران وعدى ما بيد ازبك
واخرجه من بلاده واخذ زوجته بنت السلطان طغريل وتزوج بها وعمل مصافا مع
الكرج فكسرهم كسرة لا انجبار معها وقتل ملوكهم وقوي امره وكثرت جموعه وافتتح تفليس

وتقلبت به الاحوال حكى الشهاب النسوي في سيرة خوارزم شاه قال كان جلال الدين اسمر
قصيرا تركي الشكل والعبارة وكان يتكلم بالفارسية ايضا واما شجاعته فحسبك منها
ما اوردته من وقعاته وكان اسدا ضرغاما اشجع فرسانه اقداما وكان حليما لا يغضب
ولا يشتم وقورا لا يضحك الا تبسما ولا يكثر كلاما وكان يختار العدل غير انه صادف
ايام الفتنة فغلب وهذه السيرة في جملة منها عجائب له من الانقلاع والاغماض وفرط شجاعة
وفي الاخر بلا شجاعة وكبسه التتار في الليل فخانه نحو مائة فارس ثم تفرقوا عنه الى ان بقي
وحده وساق خلفه خمسة عشر من التتار والجواسيس طلبه فثبت لهم وقتل منهم اثنين فوقفوا
وطلع الى جبل بنواحي امد به اكراد فاخذه رجل كبير منهم فعرفه انه السلطان ووعده بكل
جميل ففرح الكردي ومضى ليحضر خيله ويعلم بني عمه وينهض بامره وتركه عند امه فجا كردي
جري فقال ايش هذا الخوارزمي تخلونه عندكم فقيل له اسكت ذا هو السلطان فقال ان كان
هكذا فقد قتل بخلاط اخي ثم شد عليه بحربة معه فقتله في الحال ٥ وقال الموفق عبد اللطيف
كان اسمر نحيفا سمجا لان امه هندية وكان يلبس طرطورا فيه من شعر الخيل مصبغا بالوان
وكان اخوه غياث الدين اجمل الناس صورة وارقهم بشرة لكنه ظلوم غشوم وهو ابن تركية
قال والزنا فيهم يعني في الخوارزمية فاشي واللوط ليس يقبح ولا يعد وانشرط الكبر والصغر
والغدر خلق لا يزايلهم اخذوا قلعة عند تفليس بالامان فلما نزل اهلها وبعدوا يسيرا
عادوا عليهم فقتلوا من كان يصلح للقتل وسبوا من كان يصلح للسبي وورد علي رجل من تفليس
كان يقرأ علي الطب فحكى لي ذلك كله وانه اقام بتفليس ست سنين واكتسب مالا جما
بالطب فلما قرب الخوارزميون جا رسولهم الى الملكة بكلام لين فبينا هو في مجلسها
وقد وصل قاصد يخبر بان القوم في اطراف البلاد يعيثون فقالت للرسول اهكذا تكون
الملوك يرسلون رسولا بكلام ويفعلون خلافه وامرت باخراجه وبعد خمسة عشر يوما وصلوا
فخرج اليهم حسن الكرج فقال ايواني ترتب العسكر قلبا وميمنة وميسرة فقال شلوه مولا
احقر من هذا انا اكفي امرهم فنزل في قدر سبعة الاف اكثرهم تركمان ينهود وكان في
راسه سكر فتقدم فصار في وسطهم واحاطوا به ووقع عليه فقال ايواني هذا شلوه قد
كسر ردرابنا واخذ في مضيق وتبعه المنهزمون فحطوا في مضيق عميق حتى هلك اكثرهم
وتحصن ايواني بمن معه في القلاع فبقي الخوارزميون يعيثون ويفسدون اي شي وجدوه

واعتصمت

واعتصمت الملكة بقلاع في مضايق ثم ان ابن لشديد التفليسي قصد الاصلاح لمنا منه
انهم يستهونون الناس وان لم يوالا وعهدا فخرج يطلب الامان لاهل المدينة اجمعين
من المسلمين والكرج واليهود فاخذ خط جلال الدين اخيه بهلاك المدينة وجميع وختومهم
والوجاماني فضة مكتوبا بالذهب يسمى بايزه وتوثق فساعة دخلوا انهبوا املاك
ابن الشديد ونعته وندم وعملوا بجميع الناس كذلك وسبوا المسلمين وغيرهم واستحلوا
اموالهم وحريمهم وصاروا لا يتركون زوجة حسنا ولا ولدا حسنا ويهجم الواحد منهم
على قوم فيستدعي بطعام وشراب ويواخي زوجة صاحب الدار ويطلبها للفراش
ويقول هكذا حوننا ثم يصبح فان وجد لهم ولدا يعجبه اخذه معه وان كان عند احد سلعة
واراد بيعها فنادى عليها بخمسين دينارا اخذها بخمسة دنانير فان تكلم صاحبها ضربه
بمقرعة معه رانيتها مطرقة فربما مات وربما غشي عليه قال وعددهم لا يبلغ مائة الف
ربما كان ستين الفا كلهم جياع بجمعه ليس لهم مدد وكلهم عليهم اقبية القطن وسلاحهم
النشاب القليل المصنعة يرمون عن قسي ضعاف لا تؤثر في الدروع وليس لهم ديوان
ولا عطا انما لهم نهب ما وجدوه ولا تمكنه ان يكفهم عن شي قال لي وجميع من جرب التتر يشهد ان
* سيرهم خير من سيرة الخوارزمية ثم قال الموفق ولما توجه جلال الدين الى غزنة والهند
تارا من جنكزخان واستحوذ على كلها فارسل معه جيشا فاقاموا في قتال لسنين ايام
كثيرة ثم انهزم وحيدا فقيدا وتوجه نحو كرمان وكان بها ملكان كبيران فاحسنا اليه
فلما قوي شيئا غدر بهما وقتل احدهما وقتلني شيراز على نقد وجيه واكثر معه رجاله
فدفع به صاحبها نحو بغداد فافسد في شهرابان وتلك النواحي وكان اخوه غياث الدين
قد انفرد في ملا بين رجلا هاربا ومعه صوفي يتصل به فلما نام تواطأ الجماعة على قتله
والتوثب براسه الى التتر فاحس بذلك الصوفي فتركهم حتى ناموا وايقظه واعلمه
فعاجلهم فذبحهم وترك منهم قوما يشهدون بما عزموا عليه ثم دخل اصبهان فعطف احد
فاحسنوا اليه واجتمع اليه سواد عسكر ابيه وجاءته خلع من بغداد وتشريف ووعد
بالسلطنة فسمع بوصول اخيه فقال لا يصل الا بامر الديوان فاستاذن فاذن له فلما
وصل جلال الدين خاف من اخيه فاعتقله وقيده مدة في قوي واستظهر ثم اطلقه قلت
وفي الحوادث ان السبكي قطعة من اخباره ولقد كان سدا بين التتر وبين المسلمين

والشام عن مصر وقد ذهب إليه في الرسلية الصاحب محيي الدين يوسف بن الجوزي
فدخل إليه فرآه يقرأ في المصحف ويبكي واعتذر عما يفعله جنده بكثرتهم وعدم طاعتهم
وفي آخر أمره كسره الملك الأشرف وصاحب الروم فراح دواحا بخسا ثم بعد أيام اغتاله
كردي وطعنه بحربة فقتله في أوائل سنة تسع وعشرين بأخ له كان قد قتل على يد الخوارزمية
ونفر وحشة من بعده وذلوا **قلت** لم يشتهر موته إلا في سنة تسع وإنما كان في نصف
شوال سنة ثمان **سنة ثلاثين وستمائة** فيها افتتح الملك الكامل ثغر آمد بعد أن ضربها
بالمجانيق فسلمها صاحبها الملك المسعود مودود بن الصالح الأتابكي وخرج وفي
رقبته منديل فرسم عليه واستولى على أمواله وقلاعه وبقي حصن كيفا عاصيا فسير أخويه
الأشرف والمظفر غازي ومعهما المسعود تحت الحوطة فعذبه الأشرف عذابا عظيما
لكونه لم يسلم حصن كيفا ولأنه كان يبغضه قال أبو المظفر بن الجوزي فقال لي الملك
الأشرف وجدنا في قصره خمسمائة حرة من بنات الناس للفراش ثم سلمت القلعة في
صفر وعاد الأشرف إلى دمشق قال أبو شامة سمعت الصاحب بدر الدين جعفر
الآمدي يحكي عن غيظه يوم دخول الكامل إلى آمد شيئا ما أحسن يعبر عنه قال وأخذ
جميع رؤساء آمد إلى مصر وكنت أنا وابن أخي الشمس وأخي الموفق فيهم فلما وصلنا
الفرات قال أخي اسمعوا مني لا شك أنا نعبر إلى بلاد ليس فيها أحد يعرفنا ولا نعتضد
ولا معنا مال نتجر فيه فعاهدوني على أداء الأمانة في خدمتنا فعاهدناه فرزقنا الله
بالأمانة أنا خدمنا في أجل المناصب بمصر والشام ورأيت جماعة ممن كانوا أكبر منا
ببلدنا في مصر يستعطون بالأوراق واستغرق أهل آمد وتمزقوا ونقل الصلاح الإربلي
في أمر الملك المسعود أنه كثرت عنه الأقاويل واشتهر عنه أنه كانت تمتد إلى حرم
رعيته فكل نساء يطفن في آمد ويكشفن عن كل مليحة فإذا أعجبته لك سير من يحضرها
قهرا ويحملوها إليه لا يلام ويردها وكان ظالما ولما كلموه في تسليم بلاده وأن الكامل يعطيه
خبزا جليلا بمصر قال بشرط أن لا يحجر علي فإني ما أصبر عن المعاني والنساء فلما أدى
الصلاح الرسالة إلى الكامل تضاحكوا وعمل الصلاح وكان شاعرا

ولما أخذنا آمدا بسيوفنا   ولم يبق للمخذول صاحبها حس   غدا طالبا منا أمانا مؤكدا
وقال مناي ما تطيب به النفس   سلامة أيري ثم كل سكه   فقلنا له خذها تمنيت بالنحس

ثم

ثم تسلم الكامل جميع ذلك لولده الصالح نجم الدين أيوب وتوجه القاضي الأشرف أحمد بن
القاضي الفاضل رسولا من الكامل ثم عاد مع رسول الخلافة الصاحب محيي الدين
ابن الجوزي إلى الكامل ومعه تقليد من المستنصر بالله بسلطنة الكامل من إنشاء
الوزير أبي الأزهر أحمد بن الناقد وبخط العدل ناصر بن رشيد وفي أعلاه بخط الوزير
للآراء المقدسة زادها الله جلالا وتعظيما مزيد شرفها في سوحه وتحت البسملة
علامة المستنصر بخطه الله القاهر فوق عباده وأوله خطبة وإسراف في تعظيم
الخليفة ذنبه وأمره بتقوى الله وبكذا وبكذا وفي أوائله ولما وفق الله تعالى نصير
الدين محمد بن سيف الدين أبي بكر بن أيوب من الطاعة المشهورة والخدم المشكورة إلى أن
قال ووسمه يعني الخليفة بالملك الأجل السيد الكامل المجاهد المرابط نصير الدين
ركن الإسلام أثير الإمام جمال الأنام سيد الخلافة تاج الملوك والسلاطين قامع الكفرة
والمشركين ألب غازي بك محمد بن أبي بكر معين أمير المؤمنين عاينه لسوابق خدمه
وخدم أسلافه **وفيها** كان الغلاء ببغداد وأبيع كر القمح بستة وثمانين دينارا وفيها
وقع بين صاحب ماردين وبين صاحب الروم والملك الأشرف فنزل صاحب ماردين
وجاءته عساكر الروم فحاصروا حران والرها والرقة واستولوا على الجزيرة وفعلت
الروم في هلاك البلاد كما يفعل التتار وفيها جمع راجح بن قتادة جمعا وقدم مكة
فدخلها وطرد عنها عسكر صاحب مصر الملك الكامل وفي ربيع الأول نفذ أبو صالح
نصر بن عبد الرزاق الجيلي رسولا إلى مظفر الدين صاحب إربل وبدر الدين صاحب
الموصل وفي رمضان توفي صاحب إربل فقدم إلى شرف الدين إقبال الخاص
الشرابي بالتوجه إلى إربل فتوجه بالعساكر وجعل مقدمها جمال الدين قشتمر وكان
بقلعة إربل خادمان برتقش وخالص فكاتبا عماد الدين زنكي صهر مظفر الدين
يحثانه على المجيء ليعطيانه البلد فلما وصل عسكر الخليفة عصيا وتمردا وشرعوا في
محاربتهم وتفاقم الشر ثم زحف العسكر على البلد وحمي القتال ثم ظهروا على إربل وألقوا
النار في أبوابها ودخلوها ونهب الأكراد بعض الدور وسلمت القلعة ورتب
بها نواب الخليفة وضربت البشائر ببغداد وأمر على إربل شمس الدين باتكين أمير البصرة
فسار إليها ورتب بها عارض الجيش تاج الدين محمد بن صلايا العلوي وفيها جاء من جهة

ومنها جامع جنة الكامل بن عشكر استولوا على مكة وهرب راجح بن قتادة وفيها فرغ دار الحديث
الاشرفية وفتحت ليلة نصف شعبان وقرئ بها البخاري على ابن الزبيدي وسمعه خلائق
وكانت اولا تعرف بدار قايماز النجمي مولى نجم الدين ايوب **العبادي** عبد الله بن
ابرهيم بن احمد بن عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز بن محمد بن جعفر بن هرون بن محمد بن احمد
ابن محبوب بن الوليد بن عبادة بن الصامت رضي الله عنه الانصاري العبادي المحبوبي
البخاري العلامة جمال الدين ابو الفضل كان محدثا مدرسا عارفا بمذهب ابي حنيفة وكان
ذا هيبة وعبادة واليه انتهت رياسة الحنفية بما وراء النهر اخذ المذهب عن عماد الدين
ابي العلا عمر بن بكر بن محمد الزرنجري البخاري عن ابيه شمس الائمة عن شمس الائمة عبد العزيز
ابن عمر بن مازه البخاري كلهما عن شمس الائمة ابي بكر محمد بن ابي سهل السرخسي عن شمس الائمة
عبد العزيز بن احمد الحلواني البخاري عن القاضي ابي علي الحسين بن خضر النسفي عن ابي بكر
محمد بن الفضل الكماري البخاري عن الاستاذ ابي محمد عبد الله بن محمد بن يعقوب الحارثي البخاري
السبذموني عن ابي عبد الله بن ابي حفص احمد بن حفص البخاري عن ابيه عن محمد بن الحسن
الشيباني عن ابي حنيفة وتفقه ايضا على القاضي فخر الدين ابي المحاسن الحسن بن منصور
ابن محمود الاوزجندي المعروف بقاضي خان وسمع الحديث منهما ومن ابي المظفر عبد الرحيم
ابن السمعاني وجماعة تفقه عليه خلق وسمعوا منه منهم سيف الدين سعيد بن المطهر الباخرزي
والقاضي شرف الدين محمد بن محمد بن عمر العدوي وقال لنا ابو العلا الفرضي روى لنا عنه
جمال الدين محمد بن محمد بن ابرهيم الحسيني البخاري والامام شهاب الدين ابو منصور محمد بن ابي بكر
ابن ابي الليث والامام معز الدين محمد بن محمد الدمرقي والعلامة حافظ الدين ابو الفضل
محمد بن محمد بن نصر البخاري ولد في جمادى الاولى سنة ست واربعين وخمسمائة وتوفي
في جمادى الاولى ايضا سنة ثلاثين وستمائة وصلي عليه ابنه شمس الدين احمد كذا
انبانا بذلك الفرضي **عز الدين بن الاثير** علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد
العلامة عز الدين ابو الحسن بن الاثير ابي الكرم الشيباني الجزري المورخ الحافظ اخو
اللغوي مجد الدين صاحب النهاية وجامع الاصول والوزير ضياء الدين نصر الله ولد
بالجزيرة العمرية سنة خمس وخمسين وخمسمائة ونشا بها ثم تحول بهم والدهم الى الموصل
فسمعوا بها واشتغلوا سمع من خطيب الموصل ابي الفضل ويحيى الثقفي ومسلم بن علي الشيحي

وغيرهم

وغيرهم وسمع ببغداد لما سار اليها رسولا من عبد المنعم بن كليب ويعيش بن صدقة الفقيه
وعبد الوهاب بن سكينة وكان اماما نسابة مورخا اخباريا اديبا نبيلا محتشما وكان
بيته مأوى الطلبة واقبل في اواخر عمره على الحديث وسمع العالي والنازل حتى سمع لما
قدم دمشق من ابي القاسم بن صصرى وزين الامنا وصنف التاريخ المشهور المسمى بالكامل
على الحوادث والسنين في عشر مجلدات واختصر الانساب لابي سعد السمعاني وهذبه
وافاد فيه اشيا وهو في مقدار النصف واقل وصنف كتابا حافلا في معرفة الصحابة جمع فيه
بين كتاب ابن منده وكتاب ابي نعيم وكتاب عبد البر وكتاب ابي موسى في ذلك وزاد وافاد وصنع
في تاريخ الموصل وقدم الشام رسولا وحدث بحلب ودمشق روى عنه الدمياطي والشهاب
القوصي والمجد بن ابي جرادة ووالده ابو القاسم في تاريخه واخرون من اهل الشام والجزيرة
وبالاجازة الشرف بن عساكر وسنقر القضائي وقال ابن خلكان بيته بالموصل مجمع الفضلاء اجتمعت
به بحلب فوجدته مكملا في الفضائل والتواضع وكرم الاخلاق فترددت اليه وكان طواشي
الخادم اتابك الملك العزيز قد اكرمه واقبل عليه **فصل** في نسبته الجزري الى جزيرة ابن عمر نسبة
الى عبد العزيز بن عمر البرقعيدي هو الذي بناها فنسبت اليه قاله ابن خلكان وقال رايت في
تاريخ ابن المستوفي في ترجمة ابي السعادات المبارك اخيه الاكبر انها من جزيرة اوس وكامل
ابني عمر بن اوس التغلبي قال وقيل انها منسوبة الى يوسف بن عمر الثقفي امير العراق
والله اعلم **فصل** في نسبه كان نسبه بخطه علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري وكذا ذكره
الحافظ المنذري والقوصي في معجمه والظاهري في تخريجه للصاحب مجد الدين العقيلي
وابو الفتح بن الحاجب في معجمه وغيرهم وهو سبيل الاختصار وله اشباه ونظائر وانما
هو علي بن محمد بن محمد كما هو في تسمية اخويه وابن اخيه شرف الدين وكذا ذكره
القاضي بن خلكان وابو المظفر بن الجوزي وابن الساعي وغيرهم وبه صححه المنذري في ذكر
اخويه فقال محمد بن محمد بن محمد **فصل** في وفاته رايت بتصحيح على طبقة تاريخها في نصف
شعبان سنة ثلاثين ثم رايت وفاته في رمضان من السنة بخط ابي العباس احمد الجوهري
واما المنذري وابن خلكان وابن الساعي وابو المظفر الجوزي وشيخنا ابن الظاهري
فقالوا توفي في شعبان ولم يعينوا اليوم واما القاضي سعد الدين الحارثي فقال توفي في
الخامس والعشرين من شعبان **صاحب اربل** كوكبوري بن علي بن بكتكين بن محمد السلطان

الملك المعظم مظفر الدين ابو سعيد بن صاحب اربل الامير زين الدين ابي الحسن علي
كوجك التركماني وكوجك لفظ اعجمي معناه لطيف القد كان شجاعا شهما ملك بلادا
كثيرة اعني كوجك ثم فرقها على اولاد الملك قطب الدين مودود صاحب الموصل وكان
موصوفا بالقوة المفرطة وطال عمره وحج هو والامير اسد الدين شيركوه بن شاذي في سنة
خمس وخمسين وخمسمائة ومات في اخر سنة ثلاث وستين باربل وله مدرسة بالموصل
واوقاف فلما مات ولي اربل مظفر الدين هذا وهو ابن اربع عشرة سنة وكان اتابكه مجاهد
الدين قايماز ثم تعصب عليه مجاهد الدين وكتب محضرا انه لا يصلح واعتقله وشاور الخليفة
في امره واقام موضعه اخاه زين الدين يوسف بن علي وطرد مظفر الدين عن البلاد فتوجه
الى بغداد فلم ينجح فقدم الموصل وبها الملك سيف الدين غازي بن مودود فاقطعه
حران فاقام بها مدة ثم اتصل بخدمة السلطان صلاح الدين وتقدم عليه وتمكن منه وزاد
في اقطاعه الرها سنة ثمان وسبعين وزوجه باخته ربيعة خاتون وكانت قبله عند
سعد الدين مسعود بن الامير معين الدين انر الذي ينسب اليه قصير معين الدين
وتوفي سعد الدين في سنة احدى وثمانين وخمسمائة وشهد مظفر الدين مع السلطان
صلاح الدين مواقف كثيرة ابان فيها عن نجدة وقوة وثبت يوم حطين وبين ثم وفد اخوه
زين الدين يوسف على صلاح الدين عنه وخدمه من اربل فمرض في العسكر على عكا وتوفي
في رمضان سنة ست وثمانين فاستنزل صلاح الدين مظفر الدين عن حران والرها فعمل
واعطاه اربل وشهرزور فسار اليها وقدمها في اخر السنة ذكره القاضي شمس الدين
واثنى عليه وقال لم يكن شيء احب اليه من الصدقة كان له كل يوم قناطير مقنطرة من الخبز
يفرقها ويكسو في السنة خلقا ويعطيهم الدينار والدينارين وبنى اربع خوانك للزمنى
والعميان وملأها بهم وكان ياتيهم بنفسه كل خميس واثنين ويدخل الى كل واحد في
بيته ويسأله عن حاله ويتفقده بشيء وينتقل الى الاخر حتى يدور على جميعهم وهو يباسطهم
ويمزح معهم وبنى دارا للنساء الارامل ودارا للضعفاء الايتام ودارا للملاقيط رتب
بها جماعة من المراضع وكان يدخل البيمارستان ويقف على كل مريض ويسأله عن
حاله وكان له دار مضيف يدخل اليها كل قادم من فقير او فقيه فيها الغداء والعشاء واذا
عزم على السفر اعطوه ما يليق به وبنى مدرسة للشافعية والحنفية وكان يأتيها كل وقت

ويعمل

سماطا فاذا طاف وخلع من ثيابه يسير الجماعة شيئا من الانعام ولم يكن له لذة سوى السماع
فانه كان لا يتعاطى المنكر ولا يمكن من ادخاله البلد وبنى للصوفية خانقاتين فيهما
خلق كثير ولهما اوقاف كثيرة وكان ينزل اليهم ويعمل عندهم السماعات وكان يبعث امناءه
في العام مرتين بمبلغ يفتك به الاسرى فاذا وصلوا اليه اعطى كل واحد شيئا ويقيم في
كل سنة سبيلا للحج ويبعث في العام خمسة الاف دينار للمجاورين وهو اول من اجرى الماء
الى عرفات وعمل ابارا بالحجاز وبنى له هناك تربة قال واما احتفاله بالمولد فان الوصف
يقصر عن الاحاطة به كان الناس يقصدونه من الموصل وبغداد وسنجار والجزيرة وغيرها
خلائق من الفقهاء والصوفية والوعاظ والشعراء ولا يزالون يتواصلون من المحرم الى
اوائل ربيع الاول ثم ينصب قباب خشب نحو العشرين منها واحدة له والباقي لاعيان
دولته وكل قبة اربع خمس طبقات ثم تزين من اول صفر وتقعد فيها جوق المغاني والملاهي
وارباب الخيال ويبطل معايش الناس للفرجة وكان ينزل كل يوم العصر ويقف على قبة
قبة ويسمع غناءهم ويتفرج على خيالاتهم ويبيت في الخانقاه يعمل السماع ويركب عقيب
الصبح يتصيد ثم يرجع الى القلعة قبل الظهر هكذا يفعل كل يوم الى ليلة المولد وكان
يعمله سنة في ثامن الشهر وسنة في ثاني عشره للاختلاف فيخرج من الابل والبقر والغنم
شيئا زائدا عن الوصف ميزفونه بالطبول والمغاني الى الميدان ثم ينحر ويطبخ الالوان
المختلفة ثم ينزل وبين يديه الشموع الكثيرة وفي جملتها شمعتان او اربع اشك من الشموع
الموكبية التي تحمل كل واحدة على بغل يسندها رجل حتى اذا اتى الخانقاه نزل واذا كان
صبيحة يوم المولد انزل الخلع من القلعة على ايدي الصوفية في البقج فينزل شيء كثير ويجتمع
الرؤساء والاعيان وغيرهم ويتكلم الوعاظ وقد نصب له برج خشب له شبابيك الى
الناس والى الميدان وهو ميدان عظيم يعرض الجند فيه يومئذ ينظر اليهم تارة والى
الوعاظ تارة فاذا فرغ من العرض مد السماط في الميدان للصعاليك وفيه من الطعام
شيء لا يحد ولا يوصف ومد سماطا ثانيا في الخانقاه للناس المجتمعين عند الكرسي ولا
يزالون في الاكل ولبس الخلع الى العصر ثم يبيت تلك الليلة هناك فيعمل السماعات
الى بكرة وقد جمع له ابو الخطاب بن دحية اخبار المولد فاعطاه الف دينار وكان كريم
الاخلاق كثير التواضع مائلا الى اهل السنة والجماعة لا ينفق عنده سوى الفقهاء والمحدثين

وكان قليل الالتفات على الشعر واهله ولم ينقل انه انكسر في مصاف ثم قال وقد طولت
ترجمته لما له علينا من الحقوق التي لا نقدر على القيام بشكرها ولم اذكر عنه شيئا على سبيل
المبالغة بل كل ذلك مشاهدة وعيان ولد بقلعة اربل في المحرم سنة تسع واربعين
وخمسمائة وقال ابن الساعي طالت على مظفر الدين مراعاة اولاد العادل ولم يجد منهم
اعانة على نوابه كما كان يؤملهم في حروبهم فاخذ مفاتيح اربل وقلاعها وسار الى بغداد
وسلم ذلك الى المستنصر بالله في اول سنة ثمان وعشرين فاحتفلوا له وجلس له الخليفة
ورفع له الستر عن الشباك فقبل الارض ثم طلع الى كرسي نصب له وسلم وقرأ
اليوم اكملت لكم دينكم الاية فرد عليه المستنصر السلام فقبل الارض مرارا فقال المستنصر
انك اليوم لدينا مكين امين وقال انما معناه ثبت عندنا اخلاصك في العبودية ثم البست
التتاري ثم خلعوا على مظفر الدين وقلد سيفين ورفع وراءه سنجقان مذهبة ثم
اجتمع بالخليفة يوما اخر وخلع ايضا عليه ثم اعطى رايات وكوسات وستين الف
دينار وخلعوا على خواصه **قلت** واما ابو المظفر الجوزي فقال في مرآة الزمان والعهدة
عليه فانه جساف مجازف لا يتورع في مقاله كان مظفر الدين صاحب اربل ينفق
في كل سنة على المولد ثلاثمائة الف دينار وعلى الخانقاه مائتي الف وعلى دار المضيف مائة
الف وعلى الاسارى مائتي الف دينار وفي الحرمين والسبيل ثلاثين الف دينار
وقال من حضر المولد مرة عددت على السماط مائة فرس قشلمش وخمسة آلاف رأس
شوي وعشرة آلاف دجاجة ومائة الف زبدية وثلاثين الف صحن حلوى قال
ابن الجوزي وابو شامة توفي سنة ثلاثين وقال الحافظ ابن الدبيثي توفي في هذه السنة
باربل سمع من حنبل الرصافي وغيره وحدث وقال ابن خلكان توفي ليلة الجمعة رابع عشر
رمضان سنة ثلاثين ثم حمل وقت الحج بوصيته الى مكة فاتفق ان الحاج رجعوا تلك السنة
لعدم الماء فاعيد ودفن بالكوفة وكوكبري كلمة تركية معناها ذئب ازرق
الطبقة الرابعة والستون سنة احدى وثلاثين وستمائة فيها جاء الكامل
واجتمع باخوته وبصاحب حمص الملك المجاهد شيركوه وساروا الى ان دخلوا الروم من عند
النهر الازرق فوجدوا عساكر الروم قد حفظوا الدربند ووقفوا على رؤوس الجبال
وسدوا الطرق بالحجارة وكان الاشرف ضيق الصدر من جهة الكامل لانه طلب منه

الرقه

الرقة فقال الكامل ما يكفيه كرسي ملك ابيه فاجتمع شيركوه بالاشرف وقال ان حكم
الكامل على الروم اخذ جميع ما بايدينا فوقع التقاعد منهما فلما رأى الكامل ذلك عبر
الفرات ونزل السويداء وجاء صاحب خرت برت الارتقي فقال عندنا طريق سهلة
ندخل منها فجهز الكامل بين يديه الملك الصالح وابن اخيه الملك الناصر داود وصوابا
الخادم فلم يرعهم الا وعلاء الدين صاحب الروم بالعساكر وكان صواب في خمسة آلاف
فقتلوا واسر صواب وطايفة منهم الملك المظفر صاحب حماة وقتل طايفة وهرب الباقون
فضعف الكامل ودخل آمد ثم اطلق علاء الدين صوابا والمظفر والامراء مكرمين واعطى
الكامل اذ ذاك ولده الصالح حصن كيفا واستناب صوابا بآمد ورجع الى الشام
خائبا وفيها تسمى لولو صاحب الموصل بالسلطنة وضرب السكة باسمه وقال ابو الحسن
علي بن انجب بن الساعي وفيها تكاملت المدرسة المستنصرية ببغداد ونقل اليها
الكتب وهي مائة وستون حملا وعدة فقهائها مائتان وثمانية واربعون فقيها من
المذاهب الاربعة واربعة مدرسون وشيخ حديث وشيخ نحو وشيخ طب وشيخ
فرايض فرتب شيخ الحديث ابو الحسن ابن القطيعي ورتب فيها الخبز والطبيخ والحلاوة
والفاكهة وانبانى محفوظ ابن البزوري قال تكاملت المستنصرية وكانت في غاية
الحسن ونهايته وخلع على استاذ الدار العزيزة متولي عمارتها وعلى اخيه علم الدين
ابي جعفر ابن العلقمي وعلى حاجبه وعلى المعمار وعلى مقدم الصناع ونقل الى الخزانة
الكتب الكثيرة من الكتب النفيسة فبلغني انه حمل اليها ما نقله مائة وستون حمالا
سوى ما نقل اليها فيما بعد واوقفت وجعل الشيخ عبد العزيز شيخ الصوفية برباط
الحريم وخازن كتب دار الخلافة هو وولده ضياء الدين احمد ينظران في ترتيبها فرتبا
الكتب احسن ترتيب وفي بعض الايام اتفق حضور امير المؤمنين عندهما لينظر
فسلم عليه عبد العزيز وتلا قوله تعالى تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات
تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا فخشع المستنصر بالله امير المؤمنين ورد
عليه السلام وكلمه وجبر قلبه وشرط لكل مذهب من الاربعة معيدين واثنان وستون
فقيها وان يكون بالدار المتصلة بالمدرسة ثلاثون يتيما يتلقنون **قلت** ثم رأيت نسخة
كتاب وقفها انه خمسة كراريس والوقف عليها عدة رباع وحوانيت ببغداد وعدة قرى

كان ورد بغداد ما قيمته تسع مائة ألف دينار فيما قال لي ولا أعلم في الدنيا بعدد وقفها وقفا
أصلا سوى أوقاف جامع دمشق وقد يكون وقفها أوسع من وقفها فعاملة دجيل
قصر سمكة وهي ثلاثة آلاف وسبعمائة جريب والحد وضياعه كلها ومساحته ستة
آلاف وأربعمائة جريب والأجمة كلها وهي خمسة آلاف جريب وخمسون ومن نهر الملك
برقطا كلها وهي خمسة آلاف وخمسمائة جريب وناحية البدو وهي ثلاثة آلاف وتسع مائة
وتسعون جريبا وفوسنسا وهي ثلاثة آلاف جريب ونيف وقرية مريد كلها وهي أربعة
آلاف جريب ومائة وثمانون جريبا ومن ذلك ناحية طسني ومساحتها ثمانية آلاف ومائة
جريب ومن ذلك سستا وهي ثلاثة آلاف جريب وزيادة وناحية الأرجا وهي أربعة آلاف
جريب ومن ذلك ناحية البسطامية وهي أربعة آلاف جريب والعراشة ألف جريب
وقرية خد النهرين وهي ألف جريب ومائتا جريب والخطابية وهي أربعة آلاف وثمان
مائة جريب وناحية بريدى وهي ستة آلاف وخمسمائة جريب ومن ذلك السدادية
ومبلغها عشرون ألف جريب ومائتان وخمسون جريبا وحصن بعه وهو أربعة
آلاف جريب وثمان مائة ومن ذلك قرهاطيا ستة آلاف جريب ومن ذلك حصن خراسان
وهي خمسة آلاف جريب وتسعمائة جريب وما أضيف إلى ذلك وهو سبعة آلاف جريب
ومائتا جريب ومن أعمال نهر عيسى قرية الحديدة وهي ألفا جريب وستمائة جريب والعطشة
وهي ستة آلاف وأربعمائة جريب وقرية المسل وهي خمسة آلاف وخمسمائة جريب
ومسا وهي ألفان وخمسمائة جريب وقرية الدينارية وهي أربعة آلاف وستمائة جريب
والناصرية كلها وهي ستة عشر ألف جريب دار المرتزقة مرار وفاق هذه المدرسة على ما
بلغني نحو من خمسمائة نفس المدرسون فمن دونهم وبلغني أن تبعة الوقف تكفي الجماعة
وستغل هذه القرى مع كرى الرباع فضله فكذا فليكن البر وإلا فلا وحدثني الثقة
أن ارتفاع وقفها بلغ في بعض السنين وحاليا نيفا وسبعين ألف مثقال ذهب وفي
خامس رجب يوم الخميس فتحت وحضر نائب الدولة والقضاة والمدرسون والأعيان
وكان يوما مشهودا وفيها سار ركب العراق فبلغهم أن العرب قد طموا المياه ودعوا
على إخفاء الركب فرد بالناس قيران الظاهري أميرهم ووصلوا إليهم في ذي الحجة إلى بغداد
وماتت الجمال والناس وكانت سنة عجيبة وكان معهم نائب مظفر الدين صاحب إربل

ليدفن

ليدفن بمكة فعاد دوابه ودفنوه بمشهد علي رضي الله عنه وفيها أقيمت بمسجد جراح
الجمعة بالشاغور وفيها أمر وزير دمشق وابن جربان بعلق بباب الجامع حبل
من دخل من أصحاب الحريري علق فيه

ابن الزبيدي الحسين بن أبي بكر المبارك بن
محمد بن يحيى بن مسلم الشيخ سراج الدين أبو عبد الله الربعي الزبيدي الأصل البغدادي
الفقيه الحنبلي البابصري العربي نسبة إلى ربيعة الفرس ولد سنة ست وأربعين
وخمسمائة تقريبا وقيل سنة خمس وأربعين وسمع من جده ومن أبي الوقت السجزي وأبي
الفتوح الطائي وأبي زرعة المقدسي ولأبي حامد الغرناطي وأبي زيد جعفر بن زيد
ابن نوبد الحموي وغيرهم وأجاز له أبو علي العراد وغيره وحدث ببغداد ودمشق وحلب
وكان فقيها فاضلا دينا خيرا حسن الأخلاق فحملوا إليه صغار دمشق بمدرسة الوزير عون
الدين يحيى بن هبيرة وحدث عنه خلق لا يحصون منهم أبو عبد الله الدبيثي والضياء
والبرزالي وابن أبي عمر وسالم بن ركاب وعمر بن محمود الورع ونصر بن عبيد السوادي
والشهاب أحمد بن محمد الحريري والشيخ إبراهيم بن عبد الله الأرموي والنقي عمر بن يعقوب
الإربلي والمنصور محمود بن الملك الصالح إسماعيل والحافظ محمد بن أبي سعيد شاهنشاه
ابن الأمجد والمفتي تاج الدين عبد الرحمن والخطيب محيي الدين محمد بن الحرستاني وجمال
الدين عبد الكافي ومجد الدين يوسف بن المهتار ومحيي الدين يحيى بن القلانسي ومجد
الدين محمد بن أبي طالب الأنصاري ومحيي الدين يحيى بن علي الموسوي الحسيني وسعد
الخير ونصر ابنا النابلسي وعلاء الدين علي بن محمد المراكشي والكمال محمد بن عبد الواحد بن أبي بكر
الحموي والرشيد عثمان بن أبي الفضل بن المجير الجيلي والبدر يوسف بن إبراهيم الزراد
سبط ابن الحنبلي والحاج عبد الرحمن بن عباس الجبار والمحيي يحيى بن أحمد بن المعلم والفخر
عمر بن يحيى الكرخي والعماد عبد الله بن محمد بن حسان الخطيب وبدر الأتابكي والمعمر العماد
أبو بكر بن هلال بن عباد الحنفي والصفي إسحاق بن إبراهيم الشقراوي والكمال علي
ابن محمد القرشي وإسماعيل أبو الحسن الدويني والكمال عبد الله بن قوام والشمس
محمد بن هاشم العباسي والنجم أبو تغلب الفاروثي والعماد يوسف بن الشقاري والشرف
أحمد بن عساكر والأمين أحمد بن رسلان والعماد أحمد بن محمد بن سعد والعز إسماعيل
ابن الفرا وعلي بن عثمان اللمتوني وعلي وعمر وأبو بكر بنو ابن عبد الدائم ومحمد بن نوال الرصافي

وابو بكر بن عجومه الحمار والشمس محمد بن حازم وعلي بن بقا الزاهد والبدر يوسف بن عطا
والعز احمد بن العماد ونصر الله بن عياش واحمد بن ابرهيم المرقوفي وعمر بن ابي الفتوح الصحراوي
ومحمد بن ابي الذكر الصقلي والعماد عبد الحافظ بن بدران ويحيى بن العدل واحمد بن المجاهد
واحمد بن عمر البوسي ومحمد بن قايماز الطحان ومحمد بن علي بن الواسطي ومحمد بن ابي بكر
المقيري وسونج التركماني وعبد الصمد الحسناني وعبد الحميد بن خولان واحمد بن
ابي بكر الهمداني ومحمد بن يوسف الذهبي ونصر بن ابي الضوء العامري الزبداني وعبد
الدايم بن احمد القباني واحمد بن زيد الجمال وعيسى بن ابي محمد المغاري وعلي بن محمد
البعلي والمعين احمد بن مومن وسنقر القضائي الحلبي والشرف عمر بن محمد الفارسي والعلا
علي بن احمد الحنفي والشهاب محمد بن مشرف التاجر والمفتي رشيد الدين اسمعيل بن المعلم
والبدر حسن بن احمد بن عطا وعيسى المطعم والقاضي تقي الدين سليمان بن قدامة وعثمان
ابن ابرهيم الحمصي واحمد بن ابي طالب الحجار وخديجه بنت سعد وهديه بنت عبد
الحميد وخديجه بنت الرضي وفاطمة بنت الامدي وصفيه بنت المراغي وفاطمة
بنت البطائحي وزينب بنت الاسعردي وست الوزرا بنت المنجا وهدية بنت عسكر
وفاطمة بنت العز قرات بخط السيف بن المجد قال بقي في نفسي عند سفري من بغداد سنة
لا يبقى بلد بلا شيخ يروي البخاري ثم ذكر قصة ابن روزبه وانه سفره في سنة ست
وعشرين واعطوه خمسين دينارا من عند الصالح العادلي فلما وصل الى راس عين
ارغبوه فقعد وسمعوا منه البخاري ثم سار فارغبوه في حران وسمعوا منه الكتاب
ثم فعلوا به اهل حلب كذلك وحرصوا ان لا يصل الى دمشق وخوفوه من حصار
دمشق فرجع الى بغداد قال السيف فمضيت اليه وقد ذاق الكسب فانه حصل له
اكثر من مائة دينار فاشتط علينا واشترط حمله ومن يخدمه ويعمر عند اهله ونزودهم
ذلك فكلمنا ابا الحسن بن القطيعي فاشترط مثل ذلك فمضيت الى ابي عبد الله بن
الزبيدي وانا لا اطمع به فقال استخير الله ثم قال لا تعلم احدا وحرضه على التوجه ابنه
عمر وكان على الشيخ دين نحو ستين دينارا فاحاله ذكر انه لما سافر فاستغناه فكان يخفف
المونه كثير الاحتمال حسن الصحبة كثير الذكر فنعم الصاحب كان قلت ولما قدم فرح
السلطان الاشرف بقدومه وذلك في اثنا رمضان فاحضره الى القلعة ولازمه وسمع

منه

منه الصحيح في ايام يسيرة ثم نزل الى دار الحديث الاشرفية وقد فتحت من نحو شهر فحشد
الناس له وتزاحموا عليه وفرغوا عليه الصحيح في شوال ثم حدث بالكتاب وبمسند الشافعي
بالجبل واشتهر اسمه وبعد صيته ثم سافر في الحال الى بلده فدخل بغداد مريضا وتوفي
الى رحمة الله في الثالث والعشرين من صفر ودفن بمقبرة جامع المنصور وقد حدث من
نسخه جامعه

سنة احدى وثلاثين وستمائة

فيها شرع الملك الاشرف في بنا جامع
العقيبة وكان قبل ذلك خانا يقال له خان الزنجاري فيه الخمور والخواطي فانفق عليه
اموالا كثيرة وفيها في صفر وصل الى الديوان العزيز رسول نور الدين عمر بن رسول الذي
استولى على بلاد اليمن وارسل تقادم وتحفا وفيها ختن الخليفة عبد الله بن المستنصر
بالله وهو المستعصم الذي قتلته التتار وختن معه ابن اخيه المظفر علي بن الناصر فعملت دعوة
هائلة غرم عليها عشرة الاف دينار واعطى بن الناصر شيا كثيرا امر لكل الف دينار وخلع
عدة وفيها طلب الوزير نصير الدين بن الناقد واستحضر الولاة والتجار والصيارف
ثم فرشت الانطاع وافرغ عليها الدراهم التي ضربت بامر المستنصر بالله فقام الوزير
والدولة خدمة لرويتها ثم قال قد رسم مولانا امير المومنين بمعاملتكم بهذه الدراهم
عوضا عن قراضة الذهب رفقا بكم وانقاذا لكم من التعامل بالحرام من الصرف الربوي
فاعلنوا بالدعا والطاعة ثم سعرت كل عشرة منها بدينار امامي وادرت بالعراق فقال
الموفق ابو المعالي القاسم بن ابي الحديد لا عدمنا جميل رايك فينا انت باعدتنا عن التطفيف
ورسمت اللجين حتى الفناه ما كان قبل بالمالوف ليس للجمع كان منعك للصرف ولكن للعدل والتعريف
وفي ربيع الاول كانت وقعة اهل سبتة مع الفرنج وذلك ان متوليها اليبشتي كان قد
بالغ في ما لغيهم فكانوا ياتون بالتجارات مكة والى الغاية بسببه بحيث انهم صادروا ابها
اكثر من اهلها فطمعت الفرنج وراموا تملك البلد واعملوا الحيلة وكان لا بد من العباس
السبتي بان احدهما قد بدا البحر والاخر قد بدا البر فخرج قاربا البر بونة بجليسه لا حد
الحاج من القبايل فحرم الملاعين على امرهم ولبسوا اسلحتهم وخرجوا فطلبوا من سقا
ما فاني فقتلوه وشرعوا في القتال وثار المسلمون اليهم والتحم الحرب فقتلوا من اهل الربض
خلقا وسد اهل البلد الباب في وجوههم ورموهم بالنشاب من المرامي واشتغل الصريخ
الى قايد البر فكر بالجيش في كفنا والافرنج قد ملكوا الربض وسدوا ابوابه الواحد وهم

على ان يعلفوا السلابي فحمل الجيش عليهم حملة صادقة فدخلوا عليه فلم يفلت منهم الا الشريد
فغدروا ابا البحر هادبيث وغنم المسلمون من الاموال ما لا يوصف وذهب المهزومون
واستنجدوا ابا الفرج ثم اقبلوا في هيئة ضخمة من الرجال والمراكب وآلات الحصار والمجانيق
ونازلوا اشبيلية واستعدا الامر وطلب المسلمون المصالحة فقالوا لا نرد حتى تغرموا لنا
جميع ما اخذ لنا في العام الماضي فاعطوا جميع ذلك التزم المشتي لم يذلك وعجز عن
البعض فشرع في مصادرة العامة فتوغلت صدورهم عليه وقال له الاعيان الراي
يا ابا العباس ان تصالح صاحب المغرب وكانه احتشم منهم القيام عليه فاطاف على كره فكاتبوا
الرشيد عبد الواحد مع وزيره وفتح اهل سبتة له البلد واسروا السبتي هو وابنه الواحد
ثم قتلا بالسم بمراكش وهرب ابنه الاصغر في البحر فما استقر الا بعدن واما الفرج فنازلوا
على اثر ذلك بلنسية واخذوها **ابن الفارض** عمر بن علي بن مرشد بن علي الاديب البليغ
شرف الدين ابو القاسم الحموي الاصل المصري المولد والدار ابن الشيخ ابي الحسن الفارض
سيد شعراء العصر وشيخ الاتحادية ولد في رابع ذي القعدة سنة ست وسبعين
وخمسمائة بالقاهرة وسمع بها الدين القاسم بن عساكر شيئا قليلا وذكره الحافظ زكي
الدين عبد العظيم في معجمه وقال سمعت منه من شعره وقال في الوفيات كان قد جمع في
شعره بين الجزالة والحلاوة **قلت** وديوان شعره مشهور وهو في غاية الحسن
واللطافة والبراعة والبلاغة لولا ما شانه بالتصريح بالاتحاد الملعون في الدعابة
وارق استعارة كما لوح ضمنه شم وها انا اذكر لك منه ابياتا تشهد بصدق دعواي
فانه قال تعالى الله عما يقول   وكل الجهات الست نحوي مشيرة بما تم من نسك وحج وعمرة
لها صلواتي بالمقام اقيمها   واشهد فيها انها لي صلت   كلانا مصل واحد ساجد
الى حقيقته بالجمع في كل سجدة   الى كم اواخي الستر ها قد هتكته وحل اواخي الحجب في عقد بيعتي
وها انا ابدي في اتحادي مبدأ   وانهي انتهائي في تواضع رفعتي   فاني لم اخز دونه اشف واحدا
حجاك ولم يثبت لبعد تثبت   ففي موقفي لا بل الي توجهي   ولكن صلاتي لي ومني كعبتي
فلا تك مفتونا بحسنك معجبا   بنفسك موقوفا على لبس غرة   وفارق ضلال الفرق فالجمع منتج
هدى فرقة بالاتحاد تحدث   وصرح باطلاق الجمال ولا تقل بتقييده ميلا لزخرف زينة
فكل مليح حسنه من جمالها معار له او حسن كل مليحة   بها قيس لبنى هام بل كل عاشق

كمجنون

كمجنون ليلى وكثير عزة   وما ذاك الا ان بدت بمظاهر   فظنوا سواها وهي فيهم تجلت
وما زلت اياها واياي لم تزل   ولا فرق بل ذاتي لذاتي احبت   وليس معي في الملك شيء سواي
والمعية لم تخطر على المعية   وها دحية الكلبي في الامين بسا بصورته في بدء وحي النبوة
اجبريل قل لي كان دحية اذ بدا   لمهدي الهدى في صورة بشرية   ولا تك ممن طيشته دروسه
بحيث استقلت عقله فاستفزت   فثم وراء النقل علم يدق عن مدارك غايات العقول السليمة
تلقيته عني ومني اخذته   ونفسي كانت من عطائي ممدتي   ولا تك باللاهي عن اللهو جملة
فهزل الملاهي جد نفس مجدة   منزهة بالدر صنعي منزها عن الشرك بالاغيار جمعي الفتي
بني مجلس الاذكار سمع مطالع   ولي حانة الخمار عين طليعة   وما عقد الزنار حكما سوى يدي
وان حل بالاقرار بي فهي حلت   وان خر للاحجار في البد عاكف   فلا تعد بالانكار بالعصبية
فقد عبد الدينار معنى منزه عن العار بالاشراك بالوثنية   وما زاغت الابصار في كل ملة
وما زاغت الافكار في كل نحلة   وما حار عن الشمس عن غرة صبا   واشراقها من نور اسفار غرتي
وان عبد النار المجوس وما انطفت كما جاء في الاخبار في الف حجة   فما قصدوا غيري وان كان قصدهم
سواي وان لم يظهروا عقد نية   راوا ضوء نوري مرة فتوهموه نارا فضلوا في الهدى بالاشعة
توفي ابن الفارض في جمادى الاولى ثاني يوم منه بمصر وقد جاوز [illegible] وانشدنا
غير واحد له قال عند الموت ها دنت المنية لما انكشف له الغطا
ان كان منزلتي في الحب عندكم   ما قد لقيت فقد ضيعت ايامي
امنية ظفرت نفسي بها زمنا   واليوم احسبها اضغاث احلام   **السهروردي**
عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عمويه الشيخ شهاب الدين ابو حفص وابو عبد الله القرشي
التيمي البكري الصوفي السهروردي الزاهد العارف شيخ العراق رضي الله عنه ولد في
رجب سنة تسع وثلاثين وخمسمائة بسهرورد وقدم بغداد وهو امرد فصحب عمه الشيخ
ابا النجيب عبد القاهر واخذ عنه التصوف والوعظ وصحب ايضا الشيخ عبد القادر وصحب
بالبصرة الشيخ ابا محمد بن عبد وسمع من عمه ومن ابي المظفر هبة الله ابن الشبلي ومن ابي الفتح
ابن البطي ومعمر بن الفاخر وابي زرعة المقدسي واحمد بن المقرب وابي الفتوح الطائي
وسلامة بن احمد بن الصدر ويحيى بن ثابت وجماعة وحدث ببغداد بين الطراد عنهم ومشيخته جزء لطيف
اتصل لنا روى عنه ابن الدبيثي وابن نقطة والضياء والبرزالي وابن النجار والقوصي

والشرف بن النابلسي والظهير محمود بن عبيد الله الزنجاني والشمس ابو الغنائم بن علان والمجد
ابن الواسطي والعز احمد بن ابرهيم الفاروثي الخطيب والشمس عبد الرحمن بن الزين والرشيد
ابن ابي القاسم والشهاب الابرقوهي واخرون وبالاجازة البدر حسن بن الخلال والكمال
احمد بن العطار والفخر اسمعيل بن عساكر والشمس محمد بن محمد بن ابي الشيرازي والمجد سليمان القاضي
وجماعة وكناه بعضهم ابا نصر وبعضهم ابا القاسم قال ابن الدبيثي قدم بغداد عمه ابي النجيب
وكان له في الطريقة قدم ثابت ولسان ناطق وولي عدة ربط للصوفية ونفذ رسولا
الى عدة جهات كان ابوه ابو جعفر قد قدم بغداد وتفقه على اسعد الميهني وكان فقيها
واعظا قال ابن النجار قتل ابوه بسهرورد وعمره ستة اشهر كان ببلدنا شحنة ظالم فاعانه
جماعة وادعوا ان امرهم بذلك فاعلنوا المقتول وقتلوا ابي فمضى العوام الى الغلمان
فقتلوهم وثارت الفتنة فاخذ السلطان اربعة منهم وصلبهم حتى سكنت الفتنة فكبر
قلبهم على عمي ابي النجيب ولبس القباء وقال لا اريد التصوف حتى استرضي رجعة الدولة
ثم قال ابن النجار في الشيخ شهاب الدين كان شيخ وقته في علم الحقيقة وانتهت اليه الرياسة
في تربية المريدين ودعاء الخلق الى الله وتسليك طريق العبادة والزهد صحب عمه وسلك
طريق الرياضات والمجاهدات وقرا الفقه والخلاف والعربية وسمع الحديث ثم انقطع
ولازم الخلوة وداوم الصوم والذكر والعبادة الى ان خطر له علو سنه ان يظهر للناس
ويتكلم عليهم فعقد مجلس الوعظ بمدرسة عمه على دجلة فكان يتكلم بكلام مفيد من غير
تزويق ولا تنميق وحضر عنده خلق عظيم وظهر له قبول عظيم من الخاص والعام
واشتهر اسمه وقصد من الاقطار وظهرت بركات انفاسه على خلق من العصاة
فتابوا ووصل به خلق الى الله وصار له اصحاب كالنجوم ونفذ رسولا الى الشام مرات
والى السلطان خوارزم شاه وراى من الجاه والحرمة عند الملوك ما لم يره احد ثم رتب شيخا
بالرباط الناصري وبرباط البسطامي ورباط المامونية ثم انه اضر في اخر عمره واقعد ومع
هذا فما اخل بالاوراد وداوم الذكر وحضور الجمعة في محفة والمضي الى الحج الى ان دخل
في عشر المائة وضعف فانقطع في منزله قال وكان تام المروة كبير النفس ليس للمال عنده
قدر لقد حصل له الوف كثيرة فلم يدخر شيئا ومات ولم يخلف كفنا وكان مليح الخلق والخلق
متواضعا كامل الاوصاف الجميلة قرات عليه كثيرا وصحبته مدة وكان صدوقا نبيلا صنف
في

في التصوف كتابا شرح فيه احوال القوم وحدث به مرارا يعني عوارف المعارف قال
واملى في اخر عمره كتابا في الرد على الفلاسفة وذكر انه دخل بغداد بعد وفاة ابي الوقت
المحدث وقال ابن نقطة كان شيخ العراق في وقته صاحب مجاهدة وايثار وطريقة حميدة
ومروة تامة واوراد على كبر سنه وقال يوسف الدمشقي سمعت وعظ ابي جعفر والد
السهروردي ببغداد في جامع القصر وفي المدرسة النظامية وتولى قضاء سهرورد
وقتل وقال ابن الحاجب ملتقى هو والامام ابو الفرج ابن الجوزي في النسب في القاسم
ابن النضر بن القاسم بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن الصديق ابي بكر
رضي الله عنه وقال ابو عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله عمويه بن سعد بن الحسين بن
ابن القاسم بن النضر **قلت** وقد ذكرنا النسب بن الجوزي في ترجمة ابنا ابي مسعود بن
حمويه ان قاضي القضاة بدر الدين يوسف السنجاري حكى عن الملك الاشرف موسى ان
السهروردي جاء رسولا فقال في بعض حديثه يا مولانا طلبت كتاب الشفاء لابن سينا
من خزائن الكتب ببغداد وغسلت جميع النسخ ثم في اثناء الحديث قال كان السنة ببغداد
مرض عظيم وموت فقلت كيف لا يكون وانت قد غسلت الشفاء وقد لبست الخرقة
بالقاهرة من الشيخ ضياء الدين عيسى بن يحيى الانصاري السبتي وقال البسنيها
الشيخ شهاب الدين بمكة في سنة سبع وعشرين وستمائة وتوفي الشيخ في اول المحرم
السنة ببغداد **الشيخ غانم** غانم بن علي بن ابرهيم بن عساكر بن حسين الشيخ القدوة
الزاهد ابو علي الانصاري السعدي المقدسي النابلسي احد مشايخ الطريق ولد بقرية
بورين من عمل نابلس سنة اثنتين وستين وخمسمائة وسكن القدس عام انقذه السلطان
من الفرنج سنة ثلاث وثمانين وساح بالشام ورافق الصالحين وكان زاهدا عابدا
مخبتا قانتا لله موثرا للخمول والانقباض صاحب احوال وكرامات حكى ابنه الشيخ
عبد الله ان اباه اخبره ان رجلا من الصديقين اجتمع به ساعة قال فلما وقف بين يدي
في بدء ان نزعت الدنيا من قلبي ولما نهضت قال لي واما من خاف مقام ربه ونهى النفس
عن الهوى فان الجنة هي الماوى فجعلت هذه الاية قدوتي الى الله وسلكت بها طريقي
وجعلتها نصب عيني لكل شي فالتقيت نفسي فان قالت النفس كل اجوع وان قالت نم اسهر
وان قالت استرح اتعبتها قال ابنه عبد الله انقطع رحمه الله في الصخرة بالاقصى السليماني

ست سنين وصحب الشيخ عبد الله الارموي بقية عمره وعاشا جميعا مصطحبين قال
وحج ثلاث مرات محرما من القدس فقال رجعت من الحج وانا مريض لا استطيع الكلام
فانطرحت في البرية فجاني معربي فسلم فرددت له فقال قم فاقامني وجعل يده تحت جناحي
ثم سار بي فحدثني بما انا فيه وبما يكون مني لا اشك انني سايرته في الهوا غير اني قريب من الارض
مقدار ساعة ثم قال اجلس فجلست ونام معي فاستيقظت فلم اجده ووجدت نفسي قريبا
من الشام وانا طيب ولم احتج بعد ذلك الى طعام ولا شراب حتى دخلت بيت المقدس
ثم احد ولده عبد الله يصف توكله وفناه ومحبته ورضاه ومقاماته وان اخلاقه كريمة
وهيبته عظيمة وانه بقي عشرين سنة لم يضع احد طاقية على راسه ثم ساله الفقرا
ان يلبس جبة فلبسها فانه ما القي احدا الا تبسم له قال ورايت ابن شيرا المعري وحج
سنة ثم قدم وحضر عند الفقرا فقال كيف كان وصول الشيخ فقالوا الشيخ ما حج فقال
والله لقد سلمت عليه على الجبل وصافحته ثم اتى اليه وسلم عليه وقال يا شيخ غانم اما
سلمت عليك بالجبل فتبسم وقال يا شمس الدين هذا يكون بحسن نظرك والسكوت
اصلح وحكى الشيخ القدوة ابرهيم بن عبد الله الارموي قال حضرت مع والدي سماعا
حضره الشيخ غانم والشيخ طي والشيخ علي الحريري فلما تكلم الحادي حصل للشيخ غانم
حال عظيم وقام في [illegible] ادار ادارا فاذا انا في غير ذلك الموضع ورايت بلادا عجيبة واشجارا
غير المعهودة وبلاشا موشيجي نورانيه ورايت شيخا خارجا من باب حديقة وهو
يسوق بقرا بها الى ذلك فلما جلس في الشيخ قال له الشيخ طي او غيره اين كان وظيفة
ولد الشيخ عليك في هذه الغومة فلم ينطق فقال والدي الشيخ عبد الله فرج ولدي
في اقليم الهند وحانستكنا الشيخ غانم هذه الحكاية يرويها عن الشيخ ابرهيم قاضي
القضاة ابو العباس بن صصرى في جزء مليح حفيد شيخنا شمس الدين المذكور المولى
الامام ابو عبد الله محمد بن الشيخ علا الدين اعانهما الله ورحمهما وقال توفي في غرة شعبان
سنة اثنين وثلثين ودفن في الحضيرة التي بها صاحبه ورفيقه الشيخ عبد الله الارموي
بسفح قاسيون **سنة ثلاث وثلاثين وستمايه** في المحرم دخل بغداد الناصر داود
ابن المعظم وتلقاه الموكب وخلع عليه قبا اطلس وشربوش واعطي فرسا بسرج ذهب
واقيمت له الاقامات والمامر بالحلة عمل له زعيمها سماطا عظيما فقيل انه غرم على الدعوة

اثنى

اثنى عشر الف دينار ولما اراد التوجه خلع عليه قبا اسود وفرجية ممرج وعمامة قصب
بحلية مذهبة واعطي وشايا عشله حربعر بعني الى الرصه واعطي علما وحملا بين وخيم وكراع
والالات وعدة ارس من الخيل وبقج قماش وخمسة وعشرين الف دينار وذلك بعد الصلح
بينه وبين عمه الكامل والاشرف وارسل في صحبته رسولا الى الكامل وسار وفي رمضان
وفي ربيع الاول جاءت فرقة من التتار الى اربل فتواقعوا عسكرها فقتل جماعة من التتار
وقتل من الاربليه نفر يسير ثم ان التتار ساقوا الى الموصل ونهبوا وقتلوا فاهتم المستنصر
بالله وفرق الاموال والسلاح وخرج العساكر ودخلوا الدربند ورد عسكر بغداد وكان
عليهم جمال الدين قشتمر وفيها عزل ابو المعالي ابن مقبل عن قضا القضاه وتدريس
المستنصريه وولي التدريس ابو المناقب محمود بن احمد الريحاني الشافعي ثم ولي قضا
القضاه ابو المفضل عبد الرحمن بن اللمعاني ه وفيها وصل سراج الدين عبد الله بن عبد
الرحمن السرمساحي المالكي الى بغداد باهله فولي تدريس المالكيه بالمستنصريه وبانت
فضايله وفيها وصل الى بغداد ايضا شهاب الدين احمد بن يوسف الانصاري الحلبي الحنفي
وولي تدريس المستنصريه وفيها عدا الكامل والاشرف الفرات الى الشرق واستعاد
الكامل حران والرها من صاحب الروم فاخرب قلعة الرها ثم نزل على دنيسر فاخربها
فجاه كتاب صاحب الموصل ان التتار قد قطعوا دجلة في مايه طلب ووصلوا الى سنجار
فخرج اليهم معين الدين بن كمال الدين بن مهاجر فقتلوه ورد الكامل والاشرف الى
الشام فاتت عساكر الروم والخوارزميه الى ماردين فنزل اليهم صاحبها واتوا الى
نصيبين فاخربوها وبدعوا وعملوا فيها اعظم مما فعل الكامل بدنيسر ولا حول ولا
قوة الا بالله قال سعد الدين بن شيخ الشيوخ واجازه لنا فيها وصلت الاخبار من مصر
بان فيها وباء عظيما بحيث انه مات في شهرين وثلاثون الف انسان ثم ساق كيفية حصار
الكامل لحران ونصل عليها عدة من المسلمين وزحف عليها الكامل والاشرف مرات
وخرج خلق كثير ثم اخذها بالامان من نواب صاحب الروم واحلهم في القيود وجرت
امور قبيحة جدا وفي رمضان كان الملك الكامل بدمشق نازلا في دار صاحب بعلبك
التي داخل باب الفراديس فاعطى امرة مايه فارس للصاحب عماد الدين عمر بن الشيخ وفي
اخر السنه حشد صاحب الروم وجمع ونازل حران وامد وبعثوا الرعيه سنه وبراد الاد

العادل نسأل الله اللطف ثم جرت أمور. ومنها أخذت الفرنج لعنهم الله قرطبة بالسيف
واستباحوها فقال لنا أبو حيان توفي أبو الربيع بإشبيلية بعد استيلاء النصارى
على قرطبة سنة ثلاث وثلاثين وقال ابن الأبار استولت الروم على قرطبة في شوال
سنة ثلاث وثلاثين **قلت** هي أكبر مدائن الأندلس وما زالت دار إسلام من زمن
الوليد بن عبد الملك إلى أن استولت النصارى الآن عليها بالأمان

القاضي الجيلي

نصر بن عبد الرزاق بن الشيخ عبد القادر أبي صالح بن جنكي دوست قاضي القضاة عماد الدين
أبو صالح بن الحافظ الزاهد الإمام ابن الجيلي ثم البغدادي الأزجي الفقيه الحنبلي
ولد في ربيع الآخر سنة أربع وستين وخمسمائة وأجاز له وهو ابن شهر أبو الفتح بن البطي
وأبو محمد بن الخشاب والمبارك بن محمد البادرائي وغيرهم وسمع من أبيه وعلي ابن عساكر
البطائحي وخديجة بنت أحمد النهرواني وشهدة بنت الإبري وعبد الحق اليوسفي ومسلم
ابن ثابت النحاس وأحمد بن المبارك المرقعاتي وسعيد بن صافي الجمالي وعيسى الدوشابي
ومحمد بن بدر الشيحي وفاطمة بنت أبي غالب محمد بن الحسن الماوردي وأبي شاكر السقلاطوني
وجماعة وتفقه على والده وأبي الفتح بن المني ودرس وأفتى وناظر وبرع في المذهب روى
عنه الدبيثي وابن النجار والشرف بن النابلسي والشمس محمد بن هامل والعز الفاروثي
والتاج العراقي والجمال محمد بن الدباب والجمال محمد البكري والعلاء بن بلبان الناصري
والشهاب الأبرقوهي وآخرون وجمع لنفسه أربعين حديثا سمعناها من الأبرقوهي ودرس
بمدرسة جده وبالمدرسة الشاطئية وتكلم في الوعظ والفقه والتصوف وولي القضاء للظاهر
بأمر الله وأول دولة المستنصر بالله ثم صرف بسبيل الضياع عنه فقال فقيه خير كريم النفس
وذكره ابن النجار فقال قرأ الخلاف على أبي محمد بن علي النوقاني الشافعي ودرس بمدرسة
جده وبنيت له دكة بجامع القصر للمناظرة وجلس للوعظ وكان له قبول تام ويحضره خلق
كثير وأذن له في الدخول على الأمير أبي نصر محمد ابن الإمام الناصر في كل جمعة لسماع مسند
الإمام أحمد منه بإجازته من أبيه الناصر فحصل له به أنس فلما استخلف ولاه القضاء في ذي
القعدة سنة اثنتين وعشرين فسار السيرة الحسنة وسلك الطريقة المستقيمة وأقام ناموس
الشرع ولم يحاب أحدا في دين الله وكان لا يمكن أحدا من الصياح بين يديه ويمضي إلى الجمعة
ماشيا ويكثر الشهود من دوابهم بمجلسه فلما أفضت الخلافة إلى المستنصر أقره أشهرا ثم عزله

روى الكثير وكان ثقة متحريا له في المذهب اليد الطولى وكان لطيفا متواضعا
مزاحا كيسا وكان مقداما رجلا من الرجال سمعته يقول كنت في دار الوزير القمي وهناك
جماعة إذ دخل ذو هيبة فقاموا له وخدموه فقمت وظننته بعض الفقهاء فقيل هذا ابن
كرم اليهودي عامل دار الضرب فقلت له تعال إلى هاهنا فجاء ووقف بين يدي فقلت له
ويلك توهمتك فقيها فقمت إكراما لذلك ولست ويلك عندي بهذه الصفة ثم رددت ذلك
عليه وهو قائم يقول الله يحفظك الله يبقيك ثم قلت اجلس هناك بعيدا عنا فذهب
قال وحدثني أنه رسم له بردف ابن الخليفة وأنه زاد يومئذ قرأ الإمام أحمد فقيل لي
دفع رسمك إلى ابن توما النصراني وامض إليه فخذه فقلت والله لا أمضي ولا أطلبه فبقي
ذلك الذهب عنده إلى أن قتل لعنه الله في السنة الأخرى وأخذ الذهب من داره
فبعد إلي توفي في سادس عشر شوال ودفن في الدكة التي لقبر الإمام أحمد بن حنبل
وقيل بل دفن معه في قبره تولى ذلك الرعاع والعوام فقبض على من فعل ذلك وعوقب
وحبس ثم نبش أبو صالح ليلا بعد أيام ولم يعلم أين دفن رحمه الله **قلت** وأجاز لإبرهيم
ابن حاتم البعلبكي وإسماعيل بن عساكر وفاطمة بنت سليمان والبدر حسن بن الخلال
والقاضي الحنبلي وعيسى بن المطعم وأحمد بن الشحنة وسعد بن محمد بن سعد وأبي بكر بن عبد
الدايم وأبي نصر بن مميد

سنة أربع وثلاثين وستمائة في المحرم قصد جماعة عياره
مريض ببغداد وطلعوا وجلسوا عنده على مشرفة فانخسفت بهم فماتوا جميعا سوى المريض
وكانوا تسعة ومنها صرع الطيور الأمير زكي الدين إسماعيل بن صاحب الموصل فادعى
لشرف الدين إقبال الشرابي وبعث بالطير إلى بغداد فقبله وعلق ببغداد ونثر عليه
ألف دينار فالتقطها رماة البندق ولم يحج أحد هذا العام من العراق وجرى على ركب
الشام نكبة شديدة من العطش قيل نحو ومن على درب خيبر وفيها وقع الصلح
بأمر الخليفة بين الكامل وبين صاحب الروم في شهر المحرم وفيها جاء بدمشق سيل
عرم قدر قامة وسطه خرب الخانات والدور التي بالعقيبة من تحتها إلى باب الفرج
وذهب للناس شيء كثير ومنها مات صاحب حلب الملك العزيز وصاحب الروم علاء الدين
ومنها كان عرس مجاهد الدين أيبك الدويدار الصغير على بنت بدر الدين صاحب الموصل
وكان عرسا ما شهد مثله وخلع عليه الخليفة وأعطاه ونوه باسمه ومشى في ركابه الأمراء

وتلقاه الوزير الملك واعطى انواعا كثيرة وتحفا واستمر دخوله الى دار الخلافة في كل يوم
وفيها نزل التتار على اربل وحاصروها ونقبوا السور واخذوها عنوة وقتلوا
وسبوا وجافت اربل بالقتلى وكان بها نائب البلد بالقلعة فقاتلهم ثم ان التتار
نقبوا القلعة وجعلوا النقب اسربا وطرقا وقلت المياه على اهل القلعة ومات بعضهم
بالعطش ولم يبق الا اخذ القلعة ثم لطف الله بمن بقي بالقلعة ورحلت التتار بمكاسب
لا تحصى وفيها وقع بين الكامل والاشرف لان الاشرف طلب من اخيه الرقة فامتنع
وارسل اليه عشرة الاف دينار عوضها فردها فغضب الكامل وقال يكفيه عشرته للمغاني
فتنمر الاشرف وبعث الى حلب والشرق فاتفقوا معه واما الكامل فانه خاف ومضى
الى مصر فلما دخل ما بقي الارض شكرا وقال رأيت دوحتي في قلعتي انبا في بعد ذلك
سعد الدين ان ابن عمه فخر الدين حكى له ذلك وفي ذي القعدة احتاط الاشرف على ديوان
الكامل الذي بدمشق وامر بنفي نوابه وختم على الحواصل من غير ان يتصرف فيها **ابن**
سالم سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الحميري الكلاعي الاندلسي البلنسي هو
الحافظ الكبير ابو الربيع بن سالم ولد في رمضان سنة خمس وستين وخمسمائة وكان
بقية اعلام الحديث ببلنسية ذكره ابو عبد الله الابار فقال سمع ببلده ابا العطاء بن نذير
وابا الحجاج بن ايوب ورحل فسمع ابا القاسم بن حبيش وابا بكر بن الجد وابا عبد الله بن زرقون
وابا عبد الله بن الفخار وابا محمد بن عبيد الله وابا محمد بن بونه وابا الوليد بن رشد وابا
محمد بن الفرس وابا عبد الله بن عروس وابا محمد بن جمهور ونجبة بن يحيى وخلقا سواهم واجاز
له ابو العباس بن مضا وابو محمد عبد الحق صاحب الاحكام واخرون وعني اتم عناية
بالتقييد والرواية وكان اماما في صناعة الحديث بصيرا به حافظا حافلا عارفا
بالجرح والتعديل ذاكرا للمواليد والوفيات يتقدم اهل زمانه في ذلك وفي حفظ اسماء
الرجال خصوصا من تأخر زمانه وعاصره وكتب الكثير وكان الخط الذي يكتبه لا نظير له
في الاتقان والضبط مع الاستبحار في الادب والاشتهار بالبلاغة فردا في انشاء الرسائل
مجيدا في النظم خطيبا فصيحا مفوها مدركا حسن السرد والمساق لما يقوله مع الشارة
الانيقة والزي الحسن وهو كان المتكلم عن الملوك في مجالسهم والمبين عنهم لما يريدونه
على المنبر في المحافل وولي خطابة بلنسية في اوقات وله تصانيف مفيدة في عدة فنون الف

كتاب

كتاب الاكتفاء في مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم والثلاثة الخلفاء وهو في اربعة
مجلدات وله كتاب حافل في معرفة الصحابة والتابعين لم يكمله وكتاب مصباح الظلم
يشبه الشهاب وكتاب في اخبار الامام ابي عبد الله البخاري وسيرته وكتاب الاربعين
وتصانيف سوى ذلك كثيرة في الحديث والادب والخطب واليه كانت الرحلة في
عصره للاخذ عنه اخذت عنه كثيرا وسمعت بعض الحديث كلاما لا ينقطع وحضني
على هذا التاريخ يعني تكملة الصلة قال وامدني من تقييداته وطرفه بما استعين به واستشهد
بكائنة اسد على بلاده فاستشهد من بلنسية مقبلا غير مدبر في العشرين من ذي الحجة سنة اربع
وثلاثين وكان ابدا يحدثنا ان السبعين منتهى عمره لرؤيا رآها وهو اخر الحفاظ والبلغاء
المترسلين بالاندلس وقد روى عنه ابو العباس بن الغماز قاضي تونس عدة دواوين قال
ابن الغماز انشدنا ابو الربيع لنفسه   قباح اما تشغلني ظنوني وخوفي افكاري بعاملي
وكيف اعتذاري عن ذنوبي وقبحها وما لي العذر الجميل جميعي   على انا من حسن ظني عالفني
معاذا لحصن في المعاد حصين   فان وعيني سالفات تقدمت فحسن يقيني بالاله يقيني
قال ابن مسدي لم القى مثله جلالة ونبلا ورياسة وفضلا كان اماما مبرزا في فنون
من منقول ومعقول ومنثور وموزون جمع الفضائل وبرع في علوم القرآن والتجويد
والادب فكان ابن بجدته وابا نجدته وهو ختام الحفاظ ندبت لديوان الانشاء فاستعفى
احد القراءات عن اصحاب ابن هذيل رحل واختص بابي القاسم بن حبيش وبمرسية اكثر
عنه رحمه الله وقال ابو العباس بن الغماز وله كتاب الاربعين عن اربعين شيخا وكتاب
الموافقات العوالي وجزء المسلسلات ابو محمد المنذري في العشرين من ذي الحجة توفي
الحافظ ابو الربيع الكلاعي الخطيب الكاتب شهيدا بيد العدو خذله الله بظاهر
بلنسية ومولده بظاهر مرسية في مستهل رمضان سنة خمس وستين سمع ببلنسية من محمد
ابن جعفر النحوي وابي الحجاج يوسف بن عبد الله وابي بكر احمد بن ابي المطرف وبمرسية
من ابي القاسم عبد الرحمن بن حبيش وباشبيلية وشاطبة وغرناطة وسبتة ومالقة
ودانية وجمع مجاميع مفيدة تدل على غزارة علمه وكثرة حفظه ومعرفته بهذا الشان وكتب
الينا بالاجازة من بلنسية سنة اربع عشرة وستمائة **سنة خمس وثلثين وستمائة**
فيها اختلفت العساكر الخوارزمية الذين في خدمة الصالح نجم الدين ايوب عليه وهموا بالقبض عليه

هرب الى سنجار وترك خزاينه فنهبها الجوارزمية فلما صار في سنجار سار اليه بدر الدين
صاحب الموصل وطلب منه الصلح فابا فبعث الملك الصالح قاضي سنجار بدر الدين وخلق
لحيته ودلاه من السور فاجتمع بالخوارزمية وشرط لهم كلما ارادوا فساقوا من حران في ساعة
فكبسوا بدر الدين فهرب على فرس النوبة وانهبوا خزاينه وثقله واستغنوا وفيها
اخذ اسد الدين صاحب حمص عانه من صاحبها صلحا واحتوى عليها وجعل له بها
واليا وفيها وصل الامير خضر بن السلطان صلاح الدين الى بغداد في ستمايه فارس لان
الخليفه كان قد سير الى الشام مالا يستخدم به جيشا لحرب التتار فدخلها في شوال
ودخل بعده الملك المظفر عمر والملك السعيد غازي ابنا الملك الامجد صاحب بعلبك
ومعهما عساكر نفذ بهم الكامل وفيها قدم بغداد الرسول من ملكة الهند بنت السلطان
شمس الدين ايلتمش مملوك السلطان شهاب الدين الغوري وسبب ملكها ان اخاها
ركن الدين هلك في السنه الماضيه فلم ينهض بتدبير الرعية وتفرقت عليه عساكره
فقبضت عليه اخته هذه وملكت واطاعها الامرا ولقبت رضية الدنيا والدين
وفيها ولي قضا دمشق شمس الدين احمد الخوي وهو اول قاض رتب مراكز الشهود
بالبلد وكان قبل ذلك يذهب الناس الى بيوت العدول يشهدونهم ولم يحج احد ايضا
في العام من العراق بسبب كسرة التتار لعسكر الخليفه واخذ اربل في السنه الماضيه
ومات السلطانان الاخوان الاشرف والكامل ولما انقضا عزا الاشرف تسلطن اخوه
الصالح اسمعيل ابو الجيش وركب وعن يمينه صاحب حمص الملك المجاهد اسد الدين
وحمل الغاشية عز الدين ايبك المعظمي وفيها وصلت التتار الى دقوقا وقتلوا الناس
خصوصا اهل العراق واخذوا الجيش في مصادرة الروسا بدمشق فصادر العلم
تعاسيف واولاد مزهر وابن عريف البدوي واخذ اموالهم وحبسهم واخرج الحريري
من قلعة عزتا لكنه منعه من دخول دمشق ثم جا عسكر الكامل صاحب مصر الى قرب
دمشق فحصنها ابو الجيش وقسم الابرجة على الامرا وجا عز الدين ايبك من صرخد وامر
بفتح الابواب وجا الاجل الكامل الناصر داود صاحب الكرك فنزل المزه ونزل مجير الدين
وتقي الدين ابنا العادل بالقابون وقدم الكامل فنزل عند مسجد القدم وقطعت المياه
عن المدينه ووقع الحصار وغلت الاسعار وسد ابواب البلد ورد الكامل ماء بردا الى ثورا

وغنى

172

وغنى واحرق ابو الجيش العقيبة والطواحين لئلا يحتمي بها المصريون وزحف الناصر داود
الى باب توما ووصلت النقوب ولم يبق الا فتح البلد ثم تاخر الناصر لان وطاة بورة جا
امر الكامل بذلك لئلا يفتح البلد على يده واحرق قصر حجاج والشاغور وبعض الناس
وتمت فباح ثم مال الامر الى ان اعطي الصالح اسمعيل بعلبك وبصرى واخذت منه دمشق
ودخل الكامل القلعه في نصف جمادى الاول وما هناه الله بها بل مات بعد شهرين بدمشق
وبهت الخلق ولم يعرفوا عليه لحب ونة ثم اجتمع عز الدين ايبك وسيف الدين علي بن قليج وعماد
الدين وفخر الدين ابنا شيخ الشيوخ والركن الهكاري وتشاوروا فانفصلوا على غير شي
وكان الناصر داود بدار سامة فجاه الركن الهكاري فقال له الطريق وبعد اليه عز الدين
ايبك تقول اخرج الاموال واعتق في مماليك ايبك والعوام معك وتملك البلد ويبقوا
محصورين في القلعة فلم يصح حال فاصبحوا واجتمعوا في القلعة وذكروا الناصر
وذكروا الجواد وكان ناظرا على الناصر عماد الدين بن الشيخ لانه كان بينهم في مجالس
الكامل مباحثات فحطبه الناصر ويستجهله فحقد عليه وكان اخوه فخر الدين يميل
الى الناصر فاشار عماد الدين بالجواد ووافقه الباقون وارسلوا اميرا الى الناصر داود
في الحال فقال اش قعود كم في بلد القوم فقام وركب وازدحم الناس من بابه الى القلعه
وما شكوا انه يتسلطن وساق فلما تعدى مدرسة العماد الكاتب وخرج من باب الزقاق
انعطف الى باب الفرج فصاحت الناس لا لا وانقلب البلد فذهب الى القابون
ووقع بعض الامرا في الناس بالدبابيس فهربوا وسلطنوا الجواد وفتح الخزاين وبذل
الاموال قال ابو المظفر بن الجوزي فبلغني انه فرق ستمايه الف دينار وخلع خمسة الاف
خلعه وقال سعد الدين بن حمويه بلغت النفقه سبعمايه الف دينار وضيعوا الخزائن
واساوا التدبير وكانت النفقة في الطواشي عشرين دينارا وبلا بين دينارا دينارا والامير
بصيف ما بالعشاده وبطلت الخمور والقحاب والمكوس ووجموا ابا القبض على الناصر واخرج
من القابون ووصل الى عجلون ثم نزل غزة واستولى على الساحل فخرج اليه الجواد في عسكر
مصر والشام وقال للاشرفية كاتبوه واطمعوه ففعلوا فاغتر وساق الى نابلس
بخزاينه ومعه سبعمايه فارس فاحاطت به الجيوش فانهزم جريدة وحازوا خزاينه
وخصايبه ودوابه وكانت خزاينه على سبعمايه جمل واستغنوا غنى الابد وانفق هو مال

ابو المظفر فبلغني ان عماد الدين بن الشيخ وقع بسفط جوهر وفصوص مما استوهبه من الجواد
فاعطاه اياه وتوجه فخر الدين بن الشيخ وعمه امرا الى مصر وفيها سلطان مصر الملك العادل ولد
الملك الكامل وانضم اليه حاشية ابيه وفي ذي القعدة كانت الوقعة بين المسلمين وبين الامير
جمال الدين بكلك وعدة جيشه سبعة الاف فارس وعدة العدو سبعة عشر الف فانكسر
المسلمون من بعد ان نكوا وقتلوا خلقا من التتار وكادوا ينتصرون عليهم ووصل المنهزمون
الى بغداد وهلك الاكثر وعدم في الوقعة مقدمهم بكلك ويقال انه قتل في الوقعة
قريب من خمسين اميرا فانا لله وانا اليه راجعون **الملك الكامل** محمد السلطان الملك الكامل
ناصر الدين ابو المعالي وابو المظفر بن السلطان الملك العادل سيف الدين ابي بكر محمد بن ايوب
ابن شاذي صاحب مصر ولد بمصر سنة ست وسبعين وخمسمائة واجاز له العلامة عبد الله
ابن بري وابو عبد الله بن صدقة الحراني وعبد الرحمن بن الخرقي قرات بخط ابن مسدي في
معجمه كان الكامل محبا في الحديث واهله حريصا على حفظه ونقله وللعلم عنده سوق
قائمة على سوق خرج له ابو القاسم بن الصفراوي اربعين حديثا وسمعها جماعة وحكى
عنه مكرم الكاتب ان اباه العادل استجاز له السلفي قبل موت السلفي بايام قال ابن مسدي
ثم وقفت انا على ذلك واجاز لي ولابني قلت وملك الديار المصرية اربعين سنة شطرها
في ايام والده وقيل ولد في ذي القعدة سنة خمس وسبعين قال المنذري انشا دار
الحديث بالقاهرة وعمر القبة على ضريح الشافعي واجرى الماء من بركة الحبش الى حوض السبيل
والسقاية ومما على باب القبة المذكورة ووقف غير ذلك من الوقوف على انواع من اعمال البر
بمصر وغيرها وله المواقف المشهودة في الجهاد بدمياط المدة الطويلة وانفق الاموال
الكثيرة وكافح العدو المخذول برا وبحرا ليلا ونهارا يعرف ذلك من شاهده ولم يزل على
ذلك حتى اعز الله الاسلام واهله وخذل الكفر واهله وكان معظما للسنة النبوية واهلها
راغبا في نشرها والتمسك بها موثرا للاجتماع مع العلما والكلام معهم حضرا وسفرا وقال
غيره كان الملك الكامل فاضلا عادلا شهما مهيبا عاقلا محبا للعلما يباحثهم وبهم انشا
وله شعر حسن وما سعال في العلم وقيل انه شكى اليه ركبدار استاذه بانه استخدمه
ستة اشهر بلا جامكية فانزل استاذه من فرسه والبسه ثياب الركبدار والبس الركبدار
ثيابه وامره بخدمة الركبدار وحمل مداسه ستة اشهر وكانت الطرق امنة في زمانه وقد

بعث

بعث الملك المسعود اقسيس فافتتح اليمن والحجاز ومات قبله وورث منه اموالا عظيمة
وكانت رايته صفرا وفيه يقول البهاء زهير: ملك هز عطفا الدين في حلل النصر وردت على اعقابها
واقسم ان ذاقت بنو الاصفر الكرى لما حلمت الا باعلامك الصفر ثلاثة اعوام اقمت واشهرا
تجاهد فيهم لا بزيد ولا عمرو وليلة نفر العدو رايتها بكثرة من اردته ليلة النحر
فيا ليلة قد شرف الله قدرها فلا غرو ان سميتها ليلة القدر وهي من غرر القصايد
ولما بلغته وفاة اخيه الاشرف سار الى دمشق وقد ملكها اخوه الصالح فحاصره واخذها
منه وملكها واستقر بقلعتها في جمادى الاولى من السنة فلم يمتع بها وعاجلته المنية ومات
بعد شهرين بالقلعة في رجب ولم يشعر احد بموته ولا حضره احد من شدة هيبته بل مرض
بالسعال والاسهال نيفا وعشرين يوما وكان في رجله نقرس ولم يعرف الناس علته لحفظهم
بهيبته لما سمعوا بموته وكان فيه جبروت ومن عدله الممزوج بالعسف انه شنق جماعة
من الاجناد على امد في اكال شعير اخذوه وكذا لما نازل دمشق بعث صاحب حمص رجالة
نجدة لاسمعيل عدتهم خمسون نفسا فاخذهم وشنقهم كلهم ذكر شمس الدين محمد بن ابرهيم
الجزري ان عماد الدين يحيى البصراوي الشريف قال حكى لي الخادم الذي للكامل قال طلب مني
الكامل طستا حتى يتقيا فاحضرته وكان الملك الناصر داود على الباب ليعوده فقلت
داود على الباب فقال ينتظر موتي فانزعج فخرجت وقلت ما ذا وقته السلطان منزعج فنزل
الى دار سامة وكان نازلا بها ودخلت الى السلطان فوجدته قد قضى والطست بين يديه
وهو مكبوب على المخدة قال ابن واصل حكى لي طبيبه قال اصابه لما دخل قلعة دمشق
زكام فدخل الحمام وصب على راسه ماء شديد الحرارة اتباعا لقول محمد بن زكريا الرازي في كتاب
سماه طب ساعة قال من اصابه زكام فصب على راسه ماء شديد الحرارة انحل زكامه لوقته
وهذا لا ينبغي ان يحمل على اطلاقه قال فانصب من دماغه مادة الى فم معدته فتورمت
وعرضت له حمى شديدة واراد القي فنهاه الاطبا وقالوا ان تقيا هلك فخالفهم وتقيا فهلك لوقته
قال ابن واصل وحكى لي الحكيم رضي الدين قال عرضت له خوانيق فابتعاد وتقيا دما كثيرا
ومدة واراد القي ايضا فنهاه ابي موفق الدين ابرهيم واشار به بعض الاطبا فقيا فانصبت
بقية المادة الى قصبة الرية وسدتها فمات قال ابن واصل استوزر في اول ملكه وزير ابيه
صفي الدين بن شكر فلما مات لم يستوزر احدا بل كان يباشر الامور بنفسه وكان ملكا جليلا مهيبا

حازماً شديداً لا احسن التدبير لمملكته عفيفاً حليماً عزّ في ايامه ديار مصر عمارة كبيرة وكانت
عنده مسايل غريبة من اللغة والنحو يوردها فمن اجاب حظي عنده قال المنذري توفي بدمشق
في الحادي والعشرين من رجب **قلت** دفن بالقلعة في تابوت ثم نقل سنة سبع وثلثين
الى تربة بنيت له الى جانب السميساطية وفتح لها شباك الى الجامع الاموي وخلف
ولدين الملك العادل ابا بكر والملك الصالح ايوب والصاحبة

الملك الاشرف

موسى السلطان الملك الاشرف مظفر الدين ابو الفتح شاه ارمن ابن الملك العادل ابي بكر محمد
ابن ايوب ولد بالقصر بالقاهرة سنة ست وسبعين وخمس ماية وسمع من عمر بن طبرزد وسمع
صحيح البخاري من ابي عبد الله بن الزبيدي روى عنه الشهاب القوصي وغيره وسماعه ابو الحسين
اليونيني بالدعيبة حديثاً خرجت له اعطاه ابوه اول شي القدس ثم اعطاه حران والرها
وجهزه اخوه الملك المعظم بالخيل والمماليك وساد وتنقلت به الاحوال وجرت له امور
اشرنا الى كثيرها في الحوادث وكثرة المواصلة وكسر الخوارزمية والروم ولقب شاه
ارمن لملكه مدينة خلاط وهي قصبة ارمينية وتملك دمشق سنة ست وعشرين واخذها
من الناصر داود بن المعظم فاحسن الى اهلها وعدل فيهم وازال عنهم بعض الجور واحبوه
وكان فيه دين وخشية وعفة في الجملة وسخاء مفرط حتى لقد قال ابن واصل كان يطلق
الاموال الجليلة ولم نسمع ان احداً من الملوك في العطايا بعد آل برمك فعل فعله في العطاء ومن
سعادته انه عاد اخوه الاوحد بخلاط فما تل ودخل الحمام فاراد الاشرف الرجوع الى حران
فقال له طبيب الاوحد اصبر فان الاوحد هو ميت فما قام ليلة ومات الاوحد فاستولى
على مملكة خلاط جميعها **قلت** الا انه كان منهمكاً في الخمر والملاهي وكان مليح الشكل
حلو الشمايل وافر الشجاعة يقال انه لم تكسر له راية قط وكان يحب الفقرا والصالحين
ويتواضع لهم ويزورهم ويصلهم ويجيز الشعرا وكان في رمضان لا يغلق باب القلعة
ويخرج منها صحون الحلوا الى اماكن الفقرا وكان ذكياً فطناً شارك في الصنايع ومحاسنه
كثيرة الله يسامحه قال ابو المظفر وكان يحضر الملك الاشرف مجالسي بخلاط وحران ودمشق
وكان عفيفاً ولما كنت عنده بخلاط قال لي والله ما مددت عيني الى حريم احد ولا ذكر ولا
انثى ولقد جاتني عجوز من عند بنت شاه ارمن صاحب خلاط بورقة فذكرت ان الحاجب علي قد
اخذ ضيعتها فكتبنا باطلاقها فقالت العجوز هي تسال الحضور بين يديك فعندها سر

فقلت

فقلت باسم الله فقامت وغابت ساعة ثم جات بها فاذا امراة ما رايت احسن من قدها
ولا اظرف من شكلها كان الشمس تحت نقابها فخدمت ووقفت فقمت لها وقلت انت في
هذا البلد وما اعلم بك فسفرت عن وجه اضات منه المنظرة فقلت استتري وقالت
مات ابي صاحب هذه المدينة واستولى بكتمر على البلاد وكان لي ضيعة اعيش منها اخذها
الحاجب علي وما اعيش الا من عمل النقش وانا في دور الكرا فبكيت وامرت لها بقماش وان
تصلح دار لسكناها وقلت باسم الله فقالت العجوز يا خوند ما جات الى خدمتك الا حتى
تحظى بك الليلة ساعة سمعت كلامها اوقع الله في قلبي تغير الزمان وان يملك خلاط غيري
ويحتاج بنتي الى ان تقعد مثل هذه القعدة فقلت معاذ الله والله ما هو من شيمتي ولا خلوت
بغير محارمي فخذيها وانصرفي كريمة فقامت باكية وهي تقول صان الله عواقبك كما صنتني
وحدثني قال اهدي الي مملوك بالرها وكان لم يكن في زمانه احسن منه وكان
لا يدري بهمتي به وكنت احبه وهو عندي اعز من الولد وبلغ عشرين سنة فضرب غلاماً له
فمات فاستغاث اولياوه واثبتوا انه قتله وجاوا يطلبون الثار فاجتمع عليهم مماليكي
وقالوا نحن نعطيكم عشر ديات فابوا وطردوهم فوقفوا الي فقلت سلموه اليهم فسلموه فقتلوه
خفت الله ان امنعهم حقهم لغرض نفسي قال ابو المظفر وفضيلته بحران مشهورة مع اصحاب
الشيخ حياة لما بددوا المسكر بين يديه وكان يقول بها نصرت قال ابو المظفر لما عاد من
دمشق وطلعت الى الكرك اقمت عند الناصر فكنت اتردد الى القدس من سنة ست وعشرين
الى سنة ثلاث وعشرين وثلاثين ثم جرت اسباب اوجبت قدومي دمشق سنة تعدى
وزارني وطلع علي فما سمعت من لفظه ما قال لا بارك الله في البعد ولو ساعة ليعلم الناس
انك قد رضيت وزالت الوحشة وبعث لي بغلة الخاص وعشرة الاف درهم واقمت بدمشق
الى ان توفي ارغد عيش معه وحدثني الفقيه محمد اليونيني قال حكى لي فقير صالح قال
لما مات الاشرف رايته في المنام وعليه ثياب خضر وهو يطير مع الاوليا فقلت ايش
نفعك مع هواك وانت كنت تفعل وتصنع فتبسم وقال الجسد الذي كان يفعل بك الافاعيل
عندكم والروح التي كانت تحب هولا قد صارت معهم قال وقيل انه قال الابيات من نظمه
كتب بها الى الامام الناصر   العبد موسى طرفه لما غدا   بغداد انسى عندها نار الهدى
عبد اعد لدى الاله وسيلة   دنيا ودينا احمدا ومحمدا   هذا تقوم بنصرتي في هذه   عند الخطوب وذاك اشا

وما انشده الملك الاشرف   لولا هيف القد وغنج المقل   ما كنت تجرعت كؤوس العذل
في حب مقرطق من الترك بلي   امري واماله وان اصبح لي   وقال ابو المظفر كنت اعتني الاشرف
في مرضه لما احس بوفاته فقلت له استعد للقاء الله فما يضرك قال لا والله بل ينفعني
ففرق البلاد واعتق مائتي مملوك وجارية ووقف دار فرخشاه التي يقال لها دار السعاده
وبستان النيرب على ابنته واوصى لها بجميع الجواهر وقال سعد الدين مسعود بن حمويه
في تاريخه وقف دار السعاده على ابنته وبستانه بالنيرب واوصى لها بجميع الجواهر واعتق
مائتي مملوك ومائتي جاريه وفي اخر ذي الحجه غشي عليه حتى ظنوا انه قد مات فحاروا به الى
القلعه من النيرب وقد اناف على الخمسين واصل خلف بنتا واحدة تزوجها ابن عمها الملك الجواد
يونس لما ملك دمشق فلما ملك عمها الصالح اسمعيل دمشق ثانيا فسخ نكاحها منه لانه
حلف بطلاقها في امر وفعله ثم تزوجها بابن الملك المنصور وهي معه الى الان قلت
وقد انشا جامع العقيبه وكان خانه قال ابو المظفر ابن الجوزي جلست فيه لما فرغ فحضر
وبكى واعتق كثيرا من المماليك وانشا بالقلعه مسجد ابي الدردا وانشا مسجد باب
النصر ومسجد القصب ومسجد حاج وجامع بيت الابار ودار الحديث واخرى بالجبل
ولم يخلف ولدا ذكرا وانشا دار السعادة وبنا النيرب الدهشه وصفه بقراط ومن
حسنات الاشرف قال ابن واصل في تاريخه وقعت بدمشق فتنة بين الشافعيه والحنابلة
بسبب العقائد وتعصب الشيخ عز الدين بن عبد السلام على الحنابله وجرى بذلك
خبط طويل حتى كتب عز الدين الى الاشرف يقع في الحنابله وذكر الناصح بن الحنبلي وعرض
بانه ساعد على فتح باب السلامه لعسكر الملك الافضل والملك الظاهر لما حاصرا العادل
بدمشق فكتب الاشرف بخطه وقد رايته يا عز الدين الفتنه ساكنه فلعن الله مثيرها واما
حديث باب السلامه كما قال الشاعر   وجرم جره سفهاء قوم   فحل بغير جانيه العذاب
قال وقد تاب الاشرف في مرضه واكثر الابتهال الى الله والاستغفار والذكر الى ان
توفي تائبا وختم له بخير وقال ابن الجوزي مرض الملك الاشرف في رجب سنة اربع وثلاثين
مرضتين مختلفتين في اعلاه واسفله فكان الجرايحي يخرج العظام من راسه وهو يسبح الله
ويحمده واشتد به المه فلما ايس من نفسه قال لوزيره ابن جرير في اي شي تكفنوني فما في خزانتي
تحملني اكثر من عقد فقال عندنا في الخزانة نصافي فقال حاشا لله اكفن من الخزانة ثم نظر الى ابن موسك

الامير

الامير فقال قم واحضر رديفي فقام وعاد وعلى راسه مبرد صوف ففتحه فاذا فيه خرق
من اثار الفقرا وطاقيات قوم صالحين مثل الشيخ مسعود الرهاوي والشيخ يونس
البيطار وفي ذلك ازار عتيق يساوي نصف درهم او نحوه فقال هذا يكون على جسدي
اتقي به حر جهنم فان صاحبه كان من الابدال كان حبشيا اقام بجبل الرها مده يزرع
قطعة ارض زعفران ويتقوت منها وكنت ازوره فاعرض عليه المال فيمتنع فوهبني
هذا الازار وقال لي احرمت فيه عشرين حجة قلت واما تعظيمه للفقيه محمد اليونيني فامر
زايد كان عنده بالقلعه وهو في سماع البخاري فتوضا الفقيه ثم قام ونفض تخفيفته
وقدمها الى يديه ليتنشف بها او ليطاها عليها انا اشك حدثني بذلك شيخنا ابو الحسين بن
اليونيني وقد سار مره الى بعلبك فنزل بدار الفقيه قبل كل شي فاتى دار الفقيه ونزل فدق الباب
فقيل من فقال موسى قال ابو المظفر بن الجوزي مات في يوم الخميس رابع المحرم ودفن
بالقلعه قال وكان اخر كلامه لا اله الا الله ونقل الى تربته بعد اربعة اشهر وقال
سعد الدين في تاريخه كان مرضه دماملا في راسه ومخرجه تنشر جرحه ودود ورفع منه
لحم واظهر الناس عليه حزنا عظيما ولبس اجناده وحاشيته البلاسات والخيص وجابت
نساهم الى باب القلعه يندبن ويبكين وعلقت الاسواق سنة ست وثلاثين
وستمائه فيها اقتص الملك الجواد صاحب دمشق على الوزير صفي الدين بن مرزوق
واخذ منه اربعمائه الف درهم وسجن بقلعة حمص فبقي ثلاث سنين لا يرى الضوء وقيل
حبس اثني عشر سنه ولكن اسد الدين شيركوه اظهر موته وفيها تهيا الجواد وضعف عن
سلطنة دمشق وقايض الملك الصالح نجم الدين ايوب بن الكامل بدمشق سنجار وعانه
وكان الجواد قد سلط على اهل دمشق خادما يقال له الناصح فصادر وضرب
وعلق قال ابو المظفر وحبس الطرابي اياما واطلق وخرج الجواد عن دمشق وتسلمها
الملك الصالح وعز في اول جمادى الاخر والملك الجواد والملك المظفر الحموي بين يديه
يحملان الغاشية بالنوبة فنزل بالقلعه ثم ندم الجواد حيث لا ينفعه الندم وطلب الامرا
وحلف جماعة فعلم الملك الصالح فهم ان يحرق عليه داره فدخل ابن جرير في الصلح وخرج
الجواد الى النيرب ووقف الناس على باب النصر يدعون عليه ويسمعونه لكونه صادرهم
واسا اليهم فارسل اليه الصالح ليرد الى الناس اموالهم فما التفت وسافر واستورد الصالح

جمال الدين علي بن جرير وزير الاشرف فمات بعد ايام قلت ثم ولي الوزارة بعده على ما ذكر سعد
الدين في جريدته تاج الدين بن الموصلي الاربلي وحصل بدمشق الغلا وبيعت الغرارة بمائتين وعشرين
درهما وتوجه الملك الصالح قاصدا ديار مصر وكان عمه عماد الدين اسمعيل صاحب بعلبك
ليسير اليه فسار الصالح نجم الدين الى نابلس واستولى على بلاد الناصر داود في شوال فسار
الناصر داود في شوال وسار الناصر الى مصر وامام الصالح منبسط قدوم عمه الصالح اسمعيل
وكان ولده في الجيش وعسكره عند الملك الصالح وعمه في باطن الامر قد كاتب ولده وناصر الدين
ابن يغمور ليحلفان له الجند والاموال تفرق بدمشق بيد ابن النجم بن سلام ولم يكن احد يجسر ان
يعرف الملك الصالح لهيبته وجبوا اسواق البلد لاجل سوقة العسكر من كل دكان عشرة دراهم
وفي شوال سرق النعل الذي بدار الحديث فشدد اولوا الامر على القوام واهل الدار وضربوه
في تراب وحدثني ابو القاسم بن عمران عن غير واحد من مشايخ سبتة ان الفرنج استولوا على جميع قرطبة
سنة ست هذه وذكر ان استيلاءهم على اشبيلية كان في سنة ثلاث وثلاثين كما ذكرنا فالله
اعلم وفي صفر سنة ست اخذت الفرنج بلنسية بعد حصار خمسة اشهر سنة سبع
وثلاثين وستمائة في صفر خرج الملك الصالح عماد الدين اسمعيل من بعلبك وقد تهيات
له الامور كما يريد وذلك بتدبير وزيره الامين الطبيب السامري بعث الى دمشق الاموال
والخلع ففرقت ثم خرج من بعلبك بالفارس والراجل على انه متوجه الى نجدة ابن اخيه نجم الدين ايوب
الى نابلس من طريق بانياس فبات بالمجدل وسرح بطاقة الى نجم الدين بانه واصل اليه وساق
سحرا الى عقبة دمر وقصد دمشق فوصل الى عقبة دمر ووقف بها صاحب حمص اسد
الدين من جهة منين وقصدوا باب الفراديس وهجموا البلد فنزل الصالح بداره في درب
الشعارين ونزل اسد الدين بداره تجاه العزيزية ثم اصبحوا من الغد يوم الاربعاء فزحفوا
على القلعة ونقبوها من عند باب الفرج وكان بها الملك المغيث عمر بن الملك الصالح نجم
الدين وكان الصالح عماد الدين يكاتب ابن اخيه ويعده بالمجي ويشير اليه بطلب منه ولده المغيث
الى بعلبك كي يقيم عوضه في بعلبك فبعث به اليه وكان عز الدين ايبك صاحب صرخد
قد كاتب الصالح عماد الدين واتفق معه ثم ان الصالح عماد الدين ملك القلعة بالامان
ثم نكث وقبض على المغيث عمر وحبسه في برج وحرقت لذلك دار الحديث الاشرفية ودور
وحوانيت من شان الحصار ونصب على القلعة سبعة مجانيق واخذ وافي التقويم احدث

بالامان وبلغ نجم الدين ما جرى فشير عمه مجير الدين وتقي الدين والمدكس والمسرى اتفق فيهم
وقال سوقوا الى دمشق قبل ان يؤخذ القلعة فساقوا فبلغهم اخذ القلعة فما لوا على نجم الدين
وفروا على اهليهم واسبابهم وانضموا الى الصالح عماد الدين وبقي له الدست وبقي الصالح
نجم الدين في مماليكه وجاريته ام خليل فطمع فيه اهل الغور والقبائل واتفق عود الملك
الناصر من مصر عن غير رضى فاخبروه بما تم فارسل عسكره فاحاط بالملك الصالح نجم الدين
وحملوه على بغلة بلا مهماز واحضروه الى الناصر فاعتقله بالكرك سبعة اشهر فطلبه الملك
العادل اخاه نجم الدين من الملك الناصر وبذل فيه مائة الف دينار وطلبه ايضا عمه الملك
الصالح وصاحب حمص فما اجابهم الناصر واتفق معه على امان وعهود ثم خرج به وقصد مصر
فلما بلغ الملوك اخراجه نالوا من الناصر وعادوه واحلفت على الملك العادل ولد الملك
الكامل عساكره وكاتبوا الملك الصالح اخاه يسالونه الاسراع فوصل الى بلبيس في اواخر
ذي القعدة وبها منصوب مخيم الملك العادل فنزل به وذكر ابو عبد الله الجزري وغيره قصة
نجم الدين ايوب قال نفى في غلمانه وطمع فيه اهل الغور والعشران وكان مقدمهم شيخ جاهل
يقال له تبل البيساني فما زال والواه وهو يحمل فيهم واخذ وانتقض ثقله ثم نزل على
سبسطية وكان الوزيري قد عاد الى نابلس فارسل اليه يقول قد مضى ما مضى وما زالت
الملوك كذا وقد جئت مستجيرا بابن عمي ونزل في الدار التي للناصر بنابلس ثم كتب الوزيري
الى الناصر بخبر الخبر فبعث الناصر عماد الدين بن موسك والظهير بن سنقر الحلبي في ثلاثمائة
فارس فركب الصالح نجم الدين فلقيهم فقالوا طيب قلبك الى بيتك جئت فقال الامنطوانس
عمي الى ما فعلت وقد استجرت به فقالوا قد اجارك وما عليك باس فاقاموا اياما ما ذلين حوله
فلما كان في بعض الليالي ضرب بوق النفير وقيل جاءت الفرنج فركب الناس والعساكر ومماليك
الصالح وساقوا الى سبسطية ثم جا ابن موسك وابن سنقر اليه فدخل ابن سنقر اليه وقال يطلع
الى الكرك الى ابن عمك واخذ سيفه وقال ابو المظفر بن الجوزي فبلغني ان جاريته كانت حاملا
فاسقطت واخذوه الى الكرك فحدثني بالقاهرة سنة تسع وثلاثين قال اخذوني على بغلة بلا
مهماز ولا مقرعة وساروا الى بلاد اثنام والله ما كلمت احدا منهم كلمة واقمت بالكرك اشهرا
ورسموا على الباب ثمانين رجلا وحكى لنا الشامي هذه الواقعة ثم ان الوزيري اطلع حراسه
وخيله وحواصله الى الصلت وبقيت حاشيته بنابلس ووصل علا الدين بن النابلسي من مصر من

عند الملك العادل الى الناصر يطلب الصالح ويعطيه مائة الف دينار فما اجاب فلما طال
مقامه استشار عماد الدين موشك وابن قليج ثم اخرجه وتحالفا واتفقا في عبد العطوف يحكي
الصالح قال حلفني الناصر على اشيا ما تقدر عليها ملوك الارض وهو ان اخذ له دمشق
وحمص وحماه وحلب والجزيرة والموصل وديار بكر ونصف ديار مصر واعطيه نصف ما
في الخزاين من المال والجواهر والخيل والثياب فحلفت له من تحت القهر والسيف قال
وبرز العادل الى بلبيس يقصد الشام فاختلف عليه العسكر وقبضوه وارسلوا الى
الصالح نجم الدين يعرفونه ويحثونه على المجي فسار ومعه الناصر وابن موسك وجماعة
امرا فقدموا بلبيس فنزل الصالح في مخيم اخيه واخوه معتقل في خركاه من المخيم وكان محيي
الدين يوسف بن الجوزي بمصر وقد خلع على الملك العادل وعلى الوزرا لقب الملك المسرى
من جهة الخليفة وحدثني الصالح نجم الدين قال والله ما قصدت بمجي الملك الناصر معي الا
خفت ان تكون معولة علي ومنذ فارقنا غير تغير علي ولا شك ان بعض اعداي اطمعه
في الملك فذكر لي جماعة من مماليكي انه تحدث معهم في قتلي ولما افرج عني ندم وهي يجلسني ثانيا
فتممت موجبي على ابن قليج فقال له ما كان قصدك الا ان تتوجه او لا الى دمشق فيا اخذها
ماذا اخذناها قعدنا الى مصر قال فلما اسا ملبس شرب الناصر تلك الليلة وسطح الى
خركاة العادل فخرج من الخركاه وقبل الارض بين يديه فقال له كيف رايت ما اشرت عليك
ولم تقبل مني فقال يا خوند التوبة فقال طيب قلبك الساعة اطلقك ثم جا فدخل على الخيمة
ووقف فقلت بسم الله اجلس قال لا ما اجلس حتى تطلق العادل فقلت اقعد وهو يكرر
الحديث فسكت ولو اطلقته لضرب ارقابنا كلنا قال فنام فما صدقت بنومه وقمت في
الليل فاخذت العادل في محفة ودخلت به القاهرة ثم بعثت الى الناصر بعشرين الف دينار
فردها وذكر الصالح نجم الدين قول الناصر بين يدي ورجل يعني ليلة بلبيس فقلت ما
اظن هذا يبدو امنه هو رجل عاقل فاقسم بالله ان هذا وقع واما الصالح اسمعيل فلما
استقر بقلعة دمشق خطب للعادل بن الكامل صاحب مصر ثم لنفسه وقدم عليه عز
الدين ايبك من صرخد ثم قوى المرض بصاحب حمص فسار الى الها وفي ربيع الاول دفع
الشهاب القوصي الى الصالح يستخلص الاموال من اهل دمشق فصفعه الصالح وحبسه
وحبس الوزير تاج الدين ابن الولي الاربلي وزير الصالح ايوب وفيها اخذ صاحب الموصل

بدر

بدر الدين لولو سنجار من الملك الجواد بموافقة من اهلها السوسية الجواد فيهم فانه صادرهم
وخرج بتصيد ويحج في البرية فبعثوا الى بدر الدين فجا وفتحوا له فمضى الجواد الى عانة ولم
يبق له سواها ثم باعها للخليفة وفيها درس الشيخ عبد العزيز الحلي بالشامية البرانية
وفيها انزل الملك الكامل من القلعة في تابوته الى تربته التي عملت له وفتح شباكها الى
الجامع الاموي وفي ربيع الاخر ولي خطابة دمشق الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد
السلام فخطب خطبة عرية من البدع وازال الاعلام المذهبة واقام عوضها سودا بابيض
ولم يؤذن قدامه سوى مؤذن واحد وعزل الذي قبله وهو اصيل الدين الاسعردي
وفيها امر الملك الصالح اسمعيل خطبا دمشق ان يخطبوا لصاحب الروم معه وفيها
كانت الزيادة في ايام المستنصر حتى انشل عمر هدم وخرب وفيها ولي قضا دمشق
بعد تدريسه بالشامية القاضي الرفيع وكان قاضي بعلبك في ايام الصالح وفيها
طار الخبر الى بغداد ان رجلا بخارا يعرف بابن الكرم له اتباع قال لاصحابه اني قادر على
كسر التتار بمن يسعني يقوّله الله بغير سلاح فتبعه طايفة ونهضوا على صحبته الليلة
ومن معه فهربوا وقوي امره وتبعه الخلق فبلغ ذلك حرماغون ملك التتار فوجه
فيه حلشا وشحنه فخرج اليهم ابن الكرم في الوف كثيرة بلا سلاح وتقدم امامهم فحم
عليهم التتار لا رايا فاقدم الحرب وحمل على ابن الكرم فقتله وشد التتار على الناس
قتلا وتقال ان عدة الناس كانوا ستين الفا وقال ابن الساعي فيها رعل الخلايق
ببغداد في الخلع في العيد فبعث عدد المخلوع عليهم باكثر من ثلاثة عشر الفا ولم يحج ركب من
العراق وفي المحرم حسنوا الحريري بقرتا لاجل صبي من قرابة القيمري خلق راسه
وصحبه وفيها قدم رسول لامير الذي تملك اليمن نور الدين عمر بن علي بن رسول
التركماني الى الديوان العزيز وهذا ولد باليمن وخدم مع صاحبها الملك المسعود
اقسيس بن الكامل فلما مات اقسيس علت همة هذا واستولى على البلاد وملكها وقطع
خطبة الكامل وطرد نوابه وخطب لنفسه وارسل يطلب من المستنصر بالله تقليدا بسلطنة
اليمن ونفي الملك في سنة باليمن وفي ذي القعدة كان الصالح عماد الدين اسمعيل قد قبض
على جماعة من امرا الكاملية فحبسهم وضيق عليهم فماتوا منهم ايبك قصب البان وبلبان صح
الدنيسري وايبك الكردي وبلبان المجاهدي رحمهم الله تعالى سنة ثمان وثلاثين

وفيها سلم الملك الصالح ابو الجيش اسمعيل قلعة الشقيف الى الفرنج فتملكها صاحب صيدا فانكرا
على الصالح الشيخان عز الدين بن عبد السلام وابو عمرو بن الحاجب فعزل عز الدين عن الخطابة
وحبسهما بالقلعة وولى الخطابة وتدريس الغزالية الخطيب العماد داود بن عمر المقدسي
خطيب بيت الابار ثم اطلقهما بعد مدة وامرهما بلزوم بيتهما وفيها قال ابو المظفر بن الجوزي
قدم رسول ملك التتار ومعه كتاب الى صاحب ميافارقين شهاب الدين غازي ابن العادل
والى الملوك عنوان الكتاب من نايب رب السما ماسح وجه الارض ملك الشرق والغرب قاان
اعني ملوك الاسلام بالدخول في طاعة القاان الاعظم وقال لشهاب الدين قد جعلتك سلحدار
وامرك ان تخرب اسوار بلادك فقال الا انا من جملة الملوك الذين رسل اليهم مهما فعلوا فعلته وفي
ذي الحجة قدم بغداد شمس الدين بن بركات خان بن دولة شاه ولد ملك الخوارزمية وله عشر
سنين فتلقاه الموكب الشريف وخلع عليه شربوش واركب فرسا بسرج ذهب ثم قدم بعده
ابن كشلي خان احد امرا الخوارزمية فخلع عليه ولم يحج احد في هذا العام من بغداد وفي اولها
وصل الناصر داود من مصر الى غزة فكان بينه وبين الفرنج وقعة كسرهم فيها وفيها وصل الركب
الشامي فنهبهم احد بني العرب بين تيما وخيبر وفيها قبض الصالح ايوب على جماعة امرا
من امرا دولة ابيه ثم قال ابو المظفر وهذا الرسول شيخا لطيفا مسلما اصبهانيا حكى لشهاب
الدين عجايب منها قال بالقرب من بلاد قاان قريبا من ياجوج وماجوج على البحر المحيط اقوام ليس
لهم روس واعينهم في مناكبهم وافواههم في الرقبة واذا راوا الناس هربوا قال وعندهم من
الشبك وهناك طايفة تزدرع في الارض بزرا يتولد غنم كما تتولد الدود ولا يعيش الخروف اكثر
من شهرين او ثلثة مثل بقا النبات وان هذه الغنم لا تتناسل واخر ان عندهم ادمي بري على
جسمه شعر كثير وجبل بريه لا يلحق وفيها سار جيش حلب ومعهم الملك المنصور ابرهيم صاحب
حمص الى حران فعملوا مع الخوارزمية مصافا فانكسرت الخوارزمية وقتلوا واسروا واخذ
المنصور حران وعصت عليه القلعة وفيها هاجت الامرا بمصر واختلفوا فمسك منهم منهم صح
الملك الصالح عدة فسكن الوقت وفيها تسلم الروم عسكر الروم امد بعد حصار طويل
وقتل بهم اتسز رهاسلا بن الف دينار وفيها ظهر بالروم البابا التركماني وادعى النبوة
وكان يقول قولوا لا اله الا الله البابا ولي الله واجتمع عليه خلق عظيم فجهز صاحب الروم جيشا لقتاله
فالتقوا فقتل في الوقعة ازيد من اربعة الاف وقتل البابا لا رحمه الله وفيها جا الملك الجواد والصالح

ابن

ابن شيركوه صاحب حمص ومعهم جيش من الخوارزمية وقصدوا حلب فنازلوا بزاعة في
خمسة الاف فارس فخرج اليهم عسكر حلب في الف وخمسماية فارس فكسروا وانهزم عسكر حلب وقتلوا
واسروا وقربوا الى الجيلان وقطعوا الماء عن حلب ثم ردوا فنهبوا منبج وقتلوا اهلها ولهذا عمل
المصاف على حران سنة تسع وثلاثين وستماية استهلت والتتار في هذه السنين بلادهم
من الخطا الى قرب العراق واربل وغاراتهم تبدع كل وقت والناس منهم في رعب وراسلهم
الى الان المستنصر بالله ثلاث مرات واما الخوارزمية فزالت دولتهم وتمزقوا وقطنت
اذلا بهم وفيها قدم الملك الجواد ملتجيا الى الملك الصالح ايوب مجا فحبسه الصالح
ونوى ان يمسكه فرد الجواد من الرمل والتجا الى الملك الناصر بالكرك وفيها قدم
كمال الدين بن شيخ الشيوخ في جيش من المصريين فراغة فجهز الناصر عسكره مع الجواد
فالتقوا فكسرهم الجواد واخذ كمال الدين بن الشيخ اسيرا واحضر الى بين يدي الناصر فوبخه
وقال الجواد لا توبخه ثم بعد قليل تخيل الناصر من الجواد فامسكه وبعث به الى بغداد
تحت الحوطة فلما نزل بنواحي لادق عرقه بطن من العرب فاطلقوه فالتجا الى خاله الصالح
صاحب دمشق ثم لم يثبت وقصد الفرنج وبقي معهم مدة ثم رجع الى دمشق فحبسه الصالح
بحصن عزتا وهلك في سنة احدى واربعين وفيها شرع الصالح صاحب مصر في
عمارة المدرسة بين القصرين وفي عمارة قلعة الجزيرة واخذ املاك الناس وخرب نيفا
وثلاثين مسجدا وقطع الف نخلة وعزم على هذه القلعة دخل مصر عدة سنين ثم اخربها غلمانه
في سنة احدى وخمسين وستماية وفيها خلص الوزير صفي الدين ابرهيم بن مرزوق من حبس
حمص بعدان بقي به عدة سنين وكان الملك الجواد وصاحب حمص قد تعصبا عليه واخذا
منه اموالا عظيمة فيقال اخذا منه اربعماية الف درهم وفيها دخل الشيخ عز الدين بن عبد
السلام الشافعي الى ديار مصر واقبل عليه السلطان اقبالا عظيما وولاه الخطابة والقضا
فعزل نفسه من القضا مرتين وانقطع وفيها دخل بالجوار طايفة من التتار بلاد الروم
فعاثوا وسفكوا وهرب منهم السلطان غياث الدين وضعف عن الملتقى وفيها ولي
تدريس النظامية محي الدين بن عبد الله بن الباذرايي مدرس مدرسة الامام الناصر وخلع عليه
بطرحه وفيها غارت الخوارزمية ونهبت وسبت نصيبين وراس عين ودنيسر وقتلوا
عدد اكثر من المسلمين ثم طلبوا الصلح مع المظفر غازي فحلف لهم وحلفوا له ومقدمهم الكبير هو

بركه خان وهم نحو خمسة آلاف فارس ودون بركه خان في الرتبة اختيار الدين بردي خان
وقد كان أمير حاجب السلطان جلال الدين خوارزم شاه وهو شيخ بطين أبله ثم كشلوخان
تربية جلال الدين شاب عاقل وابن أخت جلال الدين وبهادر وبلجرى وتنكلوا وغيرهم من
الأمراء وهذا بركه خان شاب مليح أول ما طر شاربه فتزوج الملك المظفر بابنة عم بركه خان
وتسلطت الخوارزمية على بلاد الجزيرة وبالغوا في العيث والفساد وخربوا أعمال الموصل
حتى أبيع الثور بأربعة دراهم والقنطار الحديد بدرهمين ثلاثة والحمار بثلاثة دراهم لكثرة
الشيء ولكونه حراما قال سعد الدين هذا كله وقال في رمضان نقوا الجزيرة من ميافارقين
وأما فيها الكتب افسادهم أولاد الناس موسى بن يونس بن محمد بن منعة بن مالك العلامة
كمال الدين أبو الفتح الموصلي الشافعي أحد الأعلام ولد في صفر سنة إحدى وخمسين وخمسمائة
بالموصل وتفقه على والده ثم توجه إلى بغداد فتفقه بالنظامية على معيدها السديد السلماسي
بالخلاف والأصول وقرأ العربية بالموصل على الإمام يحيى بن سعدون وببغداد على
الكمال عبد الرحمن الأنباري وتميز وبرع في العلم ورجع إلى الموصل وأقبل على الدرس
والاشتغال والاستكثار من العلوم حتى اشتهر اسمه وبعد صيته ورحل إليه الطلبة وتزاحموا
عليه قال القاضي شمس الدين بن خلكان وهو من بعض تلامذته اشتغل عليه الفقهاء وجمع
من العلوم ما لم يجمعه أحد وتفرد بعلم الرياضي قال وقيل إنه كان يتقن أربعة عشر فنا
من العلوم وكان الحنفية يقرؤون عليه مذهبهم ويحل مسائل الجامع الكبير وكذلك أهل الذمة
يقرؤون عليه التوراة والإنجيل ويشرحهما لهم شرحا يعترفون أنهم لا يجدون من يوضحهما
لهم مثله وكذلك في كل فن من أخذ معه فيه يتوهم أنه لا يعرف سواه لجودة معرفته به وبالجملة
فأخبار فضله في جميع العلوم مشهورة حتى إن الأثير مفضل بن عمر الأبهري على جلالة قدره
في العلم وما له من التصانيف كالتعليقة في الخلاف والزيج يجلس بين يديه ويقرأ عليه والناس
يوم ذاك يشتغلون في تصانيف الأثير وسئل الشيخ كمال الدين عن الأثير ومنزلته في العلوم
فقال ما أعلم فقيل وكيف وهو في خدمتك منذ سنين عديدة واشتغل عليك فقال لأني
مهما قلت له يتلقاه بالقبول وما طاولني في بحث قط حتى أعلم حقيقة فضله ولما خرج الشيخ
قال الأثير لما بلغه أنهم لم ينصفوه من دار الخلافة ولاسيما دخل بغداد مثل أبي حامد الغزالي
ووالله ما بينه وبين الشيخ نسبة قال ابن خلكان وكان الشيخ يعرف الفقه والأصلين والخلاف

والمنطق

كمال الدين بن يونس

والمنطق والطبيعي والإلهي والمجسطي وإقليدس والهيئة والحساب والجبر والمقابلة
والمساحة والموسيقى معرفة لا يشاركه فيها غيره وكان يقرئ كتاب سيبويه والمفصل
للزمخشري وكان له في التفسير والحديث وأسماء الرجال يد جيدة وكان يحفظ من التاريخ
والأخبار شيئا كثيرا وله شعر حسن وكان الأثير يقرأ عليه في المجسطي وهي لفظة يونانية
أي الترتيب وكان شيخنا تقي الدين بن الصلاح يبالغ في الثناء عليه ويعظمه فقيل له يوما
من شيخه فقال هذا الرجل خلقه الله عالما لا يقال على من اشتغل فإنه أكبر من هذا وطول
ابن خلكان ترجمته ثم قال ومن وقف على هذه الترجمة فلا ينسبني إلى المغالاة فمن كان من
فاضلا وعرف ما كان عليه الشيخ عرف أني ما أعطيته وصفا ونعوذ بالله من الغلو ثم إن القاضي
رحمه الله أنصف وقال كان رحمه الله يتهم في دينه لكون العلوم العقلية غالبة عليه وعمل فيه
العماد المغربي وهو عمر بن عبد النور الصنهاجي النحوي أجدك أن قد جاد بعد التعبس غزال بوصل لي وأصبح مؤنسي
وعاطيته صهباء من فيه مزجها كرقة شعري أو كدين ابن يونس وللعماد هذا فيه وقد حضر درس
الشيخ جماعة بالطيالسة كمال الدين للعلم والعلى فهيهات ساع في معاليك يطمع
إذا اجتمع النظار في كل موطن فغاية كل أن تقول ويسمعوا فلا تحسبوهم من عناد تطيلسوا
ولكن حياء واعترافا تقنعوا وقال الموفق أحمد بن أبي أصيبعة في تاريخ الأطباء في ترجمة
كمال الدين هو علامة زمانه وأوحد أوانه وقدوة العلماء وسيد الحكماء أتقن الحكمة
وعلم الفلسفة وتميز في سائر العلوم كان يقرئ العلوم بأسرها وله مصنفات في نهاية
الجودة ولم يزل مقيما بالموصل وقيل إنه كان يعرف علم السيميا وله كتاب تفسير القرآن
وكتاب شرح التنبيه وكتاب مفردات ألفاظ القانون وكتاب في الأصول وكتاب
عيون المنطق وكتاب لغز في الحكمة وكتاب في النجوم قال ابن خلكان توفي بالموصل في رابع
عشر شعبان ولما ترددت إليه وقع في نفسي أن [illegible] فرزقت ولدي
الأكبر في صفر سنة إحدى وخمسين [illegible] يعني كمال الدين موسى [illegible]
قال وعجبت من موافقته له في تاريخ المولد بينهما مائة سنة كاملة وقال الموفق عبد اللطيف
ولما كان سنة خمس وثمانين وخمسمائة بحيث لم يبق ببغداد من يأخذ عني وعلا ما يشكل علي
دخلت الموصل فلم أجد فيها بغيتي لكن وجدت الكمال بن يونس جيدا في الرياضيات والفقه
متطرفا من باقي أجزاء الحكمة قد استغرق عقله ووقته حب الكيميا وعملها حتى صار يستخف بكل

ما عداها وقال ابو شامة توفي في نصف شعبان سنة اربعين وستمائة فيها عزم
الصالح صاحب مصر على قصد الشام فقيل له البلاد مختلفة فجهز الجيش واقام وفيها
كانت وقعة هائلة بين صاحب ميافارقين شهاب الدين وبين عسكر حلب كانت الخوارزمية
قد خربوا بلاد الموصل وقراها وماردين وحلفوا لصاحب ميافارقين وحلف لهم ووافقهم
صاحب ماردين وجمع صاحب ميافارقين التركمانات وهم مقدموا الخوارزمية وساروا وهم
فقال لا بد من غزو ملك الموصل وقالوا هم لا بد من القتال فلما كان في المحرم ركبوا وطلبوا
من جبل ماردين الى الخابور وساقوا الى المجدل ووقف التركمانات ميمنة وميسرة وعلى
صاحب ميافارقين في القلب واقبل عسكر حلب فصدموا صدمة رجل واحد فانهزمت
الخوارزمية وركب الحلبيون اقفيتهم اسرا وقتلا ونهبوا اثقال غازي وعساكره واغنام
التركمان ونساءهم وكانوا خلقا وابيع الرأس الجيد من الغنم بدرهم والشاة بدرهم ونهبت نصيبين
وسبى اهلها فلما عاد الى المواصلة والخوارزمية ثم فعلوا كذلك برأس العين والخابور
وحران قباح وفيها ملك شهاب الدين غازي مدينة خلاط وفي شوال قدم احمد بن
محمد بن هود مرسية بجماعة من وجوه الفرنج فملكهم مرسية صلحا وفيها كان الوباء ببغداد
وزادت الامراض وتوفي المستنصر بالله وبويع ابنه المستعصم بالله ابو احمد عبد الله بن
منصور الذي استشهد على يد التتار وفيها سار من مصر الجيش لمحاصرة الصالح
اسمعيل وعليهم كمال الدين ابن الشيخ فمات بغزة فقيل انه سقي السم وقال سعد الدين الجويني
وفي المحرم اخذت التتار دار الروم وقتلوا كل من فيها وانجفل اهل خلاط وتفرقوا
خوفا من التتار ثم حكى كسرة الحلبيين للمظفر وللخوارزمية ثم قال حكى شخص من اهل نصيبين
قال نهبت نصيبين في هذه السنة سبع عشرة مرة من المواصلة والماردانية والفارقية
ولولا انشاء بيننا هجينا في البلاد فما شاء الله كان المستنصر بالله منصور المستنصر بالله
امير المؤمنين ابو جعفر بن الظاهر بامر الله امير المؤمنين محمد الناصر لدين الله ابي العباس احمد بن
المستضيء بامر الله الحسن بن المستنجد يوسف بن المقتفي الهاشمي العباسي البغدادي ولد
سنة ثمان وثمانين وخمسمائة وامه جارية تركية بويع بعد موت ابيه في رجب سنة ثلاث وعشرين
قال ابن النجار فنشر العدل في الرعايا وبذل الانصاف في القضايا وقرب اهل العلم والدين
وبنى المساجد والربط والمدارس والمارستانات واقام منار الدين وقمع المتمردة

ونشر

ونشر السنن وكف الفتن وحمل الناس على اقوم سنن وقام بامر الجهاد احسن قيام وجمع
الجيوش لنصرة الاسلام وحفظ الثغور وافتتح الحصون الى ان قال وكان ابيض اشقر
الشعر ضخما قصيرا وخطه الشيب فخضب بالحناء ثم ترك الخضاب وقال الموفق عبد اللطيف
بويع ابو جعفر فسار السيرة الجميلة وعمر طرق المعروف الداثرة واقام شعار الدين ومنار
الاسلام وعم بشجاعته وبذله واجتمعت القلوب على حبه والالسنة على مدحه ولم يجد
احد من المتعنتين فيه معابا قد اطبقوا عليه وكان جده الناصر يقربه ويحبه ويسميه القاضي
لعقله وهديه وانكاره ما يجده من المنكر والناس معه اليوم في بلهنية هنيئة وعيشة مرضية
وسيرة الخوارزم شاه يلتمس منه سرا وبذل لقتوه فسيرا اليه مع امر الحجر ونحف وقسما
سرا اليه فرس النوبة فسر بذلك وابتهج وقبل الارض مرارا ايشكر ابيه على هذه المنزلة التي
رزقها وحرمها ابوه ثم انه اذعن له بالعبودية والطاعة وقال ابن واصل بنى المستنصر على
دجلة من الجانب الشرقي مما يلي دار الخلافة مدرسة ما بني على وجه الارض احسن منها
ولا اكثر وقفا وهي باربعة مدرسين على المذاهب الاربعة وعمل فيها بيمارستانا وكرا
ورتب فيها مطبخا للفقهاء ومزملة للماء البارد ورتب لبيوت الفقهاء الحصر والبسط
والفحم والاطعمة والورق والحبر والزيت وغير ذلك وللفقيه بعد ذلك في الشهر دينارا
ورتب لهم حماما ورتب لهم بالحمام قومه وهذا ما سبق اليه وللمدرسة شبابيك على
دجلة وللخليفة منظرة مطلة على المدرسة يحضر فيها الخليفة ويسمع الدروس الى ان قال
واستخدم عساكر عظيمة لم يستخدم مثلها ابوه ولا جده وكانت تزيد على مائة الف وعشرين
الف فارس او اكثر من ذلك قال ابن واصل وكان ذا همة عالية وشجاعة واقدام
عظيم فقصدت التتار البلاد فلقيهم عسكره فهزموا التتار هزيمة عظيمة وكان له اخ يقال
له الخفاجي فيه شهامة زائدة كان يقول ان وليت لاعبرن بالعساكر جيحون
واخذ البلاد من ايدي التتار واستاصلهم فلما مات المستنصر لم ير الدويدار والكبير
الشرابي تقليد الخفاجي خوفا منه واقاما ابا احمد للينه وضعف رايه ليكون لهما الامر ليقضي الله
امرا كان مفعولا وقد رثاه الناصر داود بقصيدة فائقة مطلعها ادار به الناعي عشية يستعي
واحمت نار الحزن ما بين اضلعي واخرست مني مقولا ذا براعة يصوغ افانين القريض الموسع
بعثت الى الناس والجود والحجى فاوقع امالي واجرت ادمعي وقال الحافظ عبد العظيم

مولده في صفر سنة ثمان وثمانين وتوفي في العشرين من جمادى الاولى منها وكان بارعاً
في فعل الخير مجتهداً في تكثير اعمال البر ولم يزد ذلك الا اداء جميله كثيرة وانشا المدرسة
المعروفة به ورتب فيها من العود الدالة على تفقده لاحوال اهل العلم وكثرة تمكنه
بما يقتضي براحتهم وازاحة عللهم ما هو معروف لمن شاهده وسمع به وانبانا
ابن البزوري انه توفي يوم الجمعة عاشر جمادى الاخرة وكذا قال ابن النجار في تاريخه
وغيره وهو الصحيح وقول المنذري وهم قال ابن البزوري توفي بعد عن احدى وخمسين سنة
واربعة اشهر وسبعة ايام وكتم موته يومه فخطبوا له يوم مد خضر شرف الدين
اقبال الشرابي ومعه جمع من الخدم الى التاج الشريف وحضروا بين يدي ولده ابي احمد عبد الله
فسلم عليه اقبال بامير المومنين واستدعاه الى سدة الخلافة ثم عرف الوزير واستاذ
الدار ذلك واستكتماه الى الليل ثم استدعى الوزير فجاء من باب السر الذي بدار الامير علاء الدين
الدويدار المقابل لداره واستدعى وهو على جزع فحضر واحضر ايضاً مويد الدين
محمد بن العلقمي استاذ الدار فقبلا بين يدي الشجرة فقبلا الارض وهنياه بالخلافة
وعزياه بالمستنصر وبايعاه واحضر جماعة من الاسرة الشريفة من اعمامه واولاد الخلفا
ثم خرج الوزير وسلم الى الزعما والولاة محال بغداد وامران لا يركب احد من الامرا
من داره وفي بكرة السبت راى الناس ابواب الحلبة مغلقة وجلس عبد اللطيف بن
عبد الوهاب الواعظ واخبر بوفاة الخليفة وجلوس ولده المستعصم بالله ومولده
سنة سبع وستمائة ثم لما ارتفع النهار استدعي الاعيان للبيعة وجلس الوزير بحجه
ودونه بمرقاة استاذ الدار فكان ياخذ البيعة على الناس وصورتها ابايع سيدنا
ومولانا امير المومنين على كتاب الله وسنة رسوله واجتهاد رايه الشريف وان لا
خليفة للمسلمين سواه فبايع الناس على درجاتهم ثم اسبلت الستارة وبايع من الغد
الامرا الصغار والمماليك الجاميين ثم بايع في اليوم الثالث من بقي من الامرا والتجار
وسائر الناس ثم جلس للملا للعزا بالمستنصر وتكلم المحتسب جمال الدين ابو الفرج
عبد الرحمن بن محيي الدين يوسف بن الامام ابي الفرج بن الجوزي وتكلم الشعرا فاول
من اورد متقدمهم صفي الله عبد الله بن جميل كاتب المخزن بقصيدته التي يقول فيها
عزا العزا واعوز الالمام واستوحشت ما اعطت الايام   تدع العيون بعد فراقهم

عوض

عوض الدموع دماً ملبس ثلام   يا نوا فلا قلبي يقر قراره اسفاً ولا جفني القريح ينام
فعلى الدين فقدتهم وعدمتهم مني تحية موجع وسلام   ثم انشد الشعرا وعزوا بالمستنصر
وهنوا المستعصم ثم برزت مطالعة على يد اقبال الشرابي في بكتمر ويسمل الخدم بين
يديه فقراها الوزير وراها الاستاذ الدار على الناس فكان يا خلاصتها التاسي والتسلي
والوعد بالعدل والاحسان

الطبقة الخامسة والستون سنة احدى

واربعين وستمائة فيها تردد الرسل بين الصالح اسمعيل وبين ابن اخيه الصالح نجم
الدين على اطلاق ابنه الملك المغيث من حبس قلعة دمشق وكتب المغيث وخطب للصالح
نجم الدين بدمشق ولم يبق الا ان يتوجه المغيث الى مصر ورضي صاحب مصر بتقاد دمشق
على عمه ومشى الحال فافسد امين الدولة وزير اسمعيل القضية وقال لمخدومه هذا
خاتم سلطان لا تخرجه من يدك تعدم الملك فتوقف ومنع الملك المغيث من الركوب
وشرع الفساد وكتب الصالح نجم الدين الخوارزمية فعبروا وانقسموا فتهم فئات
طائفة على البقاع وجات طائفة على غوطة دمشق فنهبوا في القرى وسبوا وقتلوا
وحصن الصالح اسمعيل دمشق واغلقت فسادوا الى غزة قال شمس الدين بن
الجوزي ودخلت تلك الايام الى الاسكندرية فوجدتها كما قال الله تعالى ذات
عماد ومعمورة بالعلما والاوليا كالشيخ محمد القباري والشاطبي وابن ابي
الشامة ووعظت بها مرتين وفيها حاصر صاحب حمص عجلون وقتل من اصحابه يوم
الزحف نحو ثلثمائة ونفاك انفق على الحصار اربع مائة الف دينار ولم يقدر عليها
فترحل عنها وجات بدمشق الزيادة العظمى فوصلت الى جامع العقيبة وفيها
استولت التتار على بلاد الروم صلحا مع صاحبها بان يحمل اليهم كل يوم الف دينار
وفرسا ومملوكا وجارية وكلب صيد وكان ذلك بعد وقعة كبيرة بين التتار والسلمي
فانكسر المسلمون في المحرم وقتل الجليون وكانوا في المقدمة فلم ينج منهم الا القليل
وحاصرت التتار قيصرية واستباحوا سيواس ثم اصبحوا قيصرية واستباحوها وكان
صاحب الروم شابا لعابا طالما قليل العقل يلعب بالكلاب والسباع فعضه سبع
كان واقامت التتار ستة بالروم وفيها هلك الرفيع قاضي دمشق وفي صدور
اعوانه وولي القضا محيي الدين بن الزكي وفيها حج بالعراقيين الامير مجاهد الدين

اسك الدويدار ومعه والده المستعصم بالله وخرج معها اربعمائة مملوك وكان مع
الدويدار اربعمائة فارس ومع قيران مائتان واربعون فارسا وكان عدة السلامات
اثنى عشر سبيلا وحدث المولى شمس الدين محمد ابن ابرهيم الجزري في تاريخه عن والده انه
حج في هذا العام من بغداد وعدت جمال الركب جميعها عند مدائن عائشة فكانوا زيادة
على مائة وعشرين الف جمل وكان مع الدويدار ستين الف دينار وستة الاف خلعة
ثوب وقميص وشمعتانية لتفرق فيها على العربان والمجاورين وعطشانه في الطريق **وفيها**
ما اعطى السلطان اسمعيل الفرنج اماكن ودخلوا القدس وصعدوا الصخرة كسروا
منها قطعتين ورموا عليها الخمر وذبحوا عندها خنزيرا **الجواد** توفى السلطان
الملك الجواد مظفر الدين بن الامير مظفر الدين مودود بن الملك العادل سيف الدين
ابى بكر محمد بن ايوب كان في خدمة عمه الملك الكامل فوقع بينهما واقع فغضب وسار الى
عمه الملك المعظم فاقبل عليه واحسن اليه ثم عاد الى مصر واصطلح الكامل فلما مات
الملك الاشرف جاء مع الكامل الى دمشق فلم يلبث الكامل ان مات وتملك الملك الجواد
دمشق وكان جوادا كلقبه لكن كان حوله ظلمة وهو مبذر للمال في الخزاين فقصد الناصر
داود والتقاه فانهزم الناصر وكان المصاف على مكان يقال له ظهر حمار فاحتوى الجواد
على خزاين الناصر ودوابه ثم دخل نابلس ونزل بدار المعظم واحتوى على ما فيها
وولى نوابه بالقدس واعمالها فلما بلغ العادل ابن الكامل ذلك خاف منه وامره
برد بلاد الناصر اليه وبالرجوع الى دمشق فترحل ودخل دمشق في تجمل عظيم وزينت
زينة ما سمع بمثلها وتمكن واستقل بالسلطنة الا ان الخطبة للعادل قبل الجواد
ما ندب له عماد الدين بن شيخ الشيوخ وفي وقعة ظهر حمار يقول الحماد بن عبد واجاد
يا فقيها قد ضل سبل الرشاد ۞ ليس يغني الجدال يوم الجلاد ۞ كيف ينجو ظهر الحمار هزيما
من جواد يكر فوق جواد ۞ وكان يحب الصالحين والفقراء وتقلبت به الاحوال وعجز
عن مملكة دمشق وتعلقل مكاتب الملك الصالح نجم الدين بن الكامل فقدم وسلم اليه
دمشق وعوضه سنجار وعانة وسار الى الشرق فلم يتم له الامر واخذت منه سنجار
وبقي في عانة وسار الى بغداد فلم يعجبه وباع عانة للخليفة بجملة من الذهب ثم سار الى
الديار المصرية واتفق على الملك الصالح فهم بالقبض عليه فسبب الى الكرك الى عند الملك الناصر

فقبض

فقبض عليه الناصر ثم انفلت منه وقدم على الملك الصالح اسمعيل صاحب دمشق فلم يتمكن به
فقصد ملك الفرنج الذي بالساحل صيدا وبيروت فاكرموه فشهد معهم وقعة قلنسوة
وهي قرية من اعمال نابلس فقتلوا فيها الف مسلم فنعوذ بالله من مكر الله وما امكنه ان يقع
من المسلمين بكلية ثم بعث اليه اسمعيل الامير ناصر الدين بن يغمور ليتحيل في القبض عليه
بخديعة فيقال انه اتفق معه على اسمعيل ثم ان اسمعيل ظفر بالجواد وسجنه بحصن عزتا
وسجن بن يغمور بقلعة دمشق وطلب الفرنج الملك الجواد من اسمعيل وقالوا لا بد لنا منه
فاظهر انه قد مات واهله يقولون انه خنقه والله اعلم ودفن في شوال بقاسيون
بتربة المعظم ويقال كانت امه افرنجية **سنة اثنتين واربعين وستمائة** فيها نزلت
الخوارزمية بنواحي غزة كما تقدم طال مقامهم وبعث اليهم الصالح نجم الدين بالنفقة والخلع
والخيل وامدهم بجيش من عنده وامرهم ان ينازلوا دمشق فاتفق الصالح اسمعيل والناصر
داود والمنصور ابرهيم صاحب حمص وفرنج الساحل الذين اعطاهم اسمعيل الشقيف
وصفد وغير ذلك وعذب اسمعيل والي الشقيف لكونه تمنع من تسليم الشقيف وسار
بنفسه الى الشقيف وسلمها الى الفرنج قال الراوي فخرج المنصور بعسكر دمشق مع
الفرنج وخرج الناصر داود بعسكره من نابلس مع الظهيري سنقر والوزيري قال ابو المظفر
وكنت يومئذ بالقدس فاجتمعوا على يافا وكان المصريون والخوارزمية على غزة وسار
الملك المنصور والعسكر تحت صلبان الفرنج ورايتهم والقسيسون في الاطلاب يصلبون
ويقسسون وبايديهم كاسات الخمر يسقون الفرنج فاقتتلوا الخوارزمية والمصريون فكانت
الوقعة بين عسقلان وغزة وكانت الفرنج في الميمنة وعسكر الناصر في الميسرة والملك
المنصور في القلب وكان يوما مشهودا التقوا فانكسرت الميسرة واسر الظهيري سنقر
وانهزم الوزيري ونهبت خزانة الظهيري ثم انهزم الملك المنصور واحاطت الخوارزمية
بالفرنج وكان عسكر المصريين قد انهزموا ايضا الى قرب العريش وكان عدد الفرنج يومئذ
الفا وخمسمائة فارس وعشرة الاف راجل وما كانت الا ساعة حتى حصدهم الخوارزمية
بالسيوف واسروا منهم ثمانمائة قال ابو المظفر فذهبت ثاني يوم الى موضع المصاف
فوجدتهم يعدون القتلى فقالوا هم زيادة على ثلاثين الفا وبعث الخوارزمية بالاسارى
وبالرؤوس الى مصر ووصل المنصور في نفر يسير ونهبت خزانته وخيله وقتل اصحابه

وجعل يبكي ويقول قد علمت انا الماسر باخذ صلاة الفرج انا لا نفلح ثم جهز الملك الصالح
معين الدين بن الشيخ في العساكر لحصار دمشق ودخلت الاسارى القاهرة وملئت
الحبوس بهم وحصل الصالح اسمعيل واخذ منها الحصار وجرى بها عليهم ولا حول الا بالله
والله المستعان ومنها ورد كتاب بدر الدين صاحب الموصل يقول لجبايته قررت على اهل
الشام تطيعه في كل سنة عشرة دراهم على الغني وعلى الوسط خمسة دراهم وعلى الفقير
درهم وقرأ القاضي محيي الدين بن الزكي الكتاب على الناس وشرعوا في الجباية **قلت**
اظن هذا مصالحة عنهم للتتار وان سعد الدين ذكر في تاريخه في اخر سنة احدى واربعين
وصل رسول التتار الى صاحب ميافارقين وطلب الدخول في طاعتهم وان في المحرم سنة
اثنتين جهز صاحب ميافارقين رسل التتار بهدية عظيمة وان في اواخر المحرم اخذت التتار
خلاط وعبروا الى مدلس فانتسب مع المظفر الى حصن كيفا ثم نفذ الى ميافارقين جهز
امه وزوجته وما خف معهما من جواهر ومصاغ وطلعوا الى حصن كيفا عند المعظم وكذا
الملك الصالح وطلب المظفر ولده الملك السعيد وكان شابا مليحا شجاعا ذكيا فقال
تعود الى ميافارقين وتجمع الناس والعسكر لقتال التتر وانا فامضي الى مصر والى بغداد
لجمع الجيوش واستنفار الناس فابى وقال اما افارق جدي ولا السلطان فضربه ابن عمه
بسكين فقتله وقتلوه بعده في الحال ثم سار المظفر وانا معه الى نصيبين ثم الى ماكسين
واخذنا على بلاد الخابور ثم سرنا الى عانة ومن بلد ثم عدنا الى الجانب الغربي فوصلنا
اقامة الخليفة وجاء الخبر ان التتار وصلوا الى سنجار وجاءنا رسول من بغداد معه
خوسجاناه ورواناه ... طريق مصر فعدنا الى عانة وجاءتنا الكتب برحيل التتار
عن البلاد لان الطبق وقع في خوارزم ... مشهد علي ثم سرنا الى ان وصلنا حران
ثم الى ميافارقين وفيها في ثالث صفر خرج الاعيان الى الملتقى ام الخليفة وقد رفعوا
العدد والمدرسون والقضاة وقد طرحوا الطرحات وجعلوا اعلامهم ... وخرج
ثاني يوم استاذ دار الخلافة مؤيد الدين محمد بن العلقمي بالقميص والنقباء ... العروة
متقلدا سيفا ووراءه ثلاثة اسياف وتوجهوا الى ديوان فكان اصحابهم يحضر الى زعيم الحاج
مجاهد الدين الدويدار وقد نصب هناك سرادق عظيم فيه اصحابهم وقبل الارض على
باب السرادق فيقول الامير كافور ويقول قد عرف حضورك فلما قرب ابن العلقمي نزل

وليس

وليس بقبا دابلا غرة وعز عن مركوبه فقبلها اجماعا وقصد السرادق ومعه زعيم الحاج ثم
قبل الارض فخرج اليه كافور فتشكوله ثم احضرت سيارة بمسرعه ديوان فنزلت فيها والدة الخليفة
قال وخلع على الدويدار وانعم عليه بخمسة عشر الف دينار وفي ربيع الاول ولي وزارة
العراق مؤيد الدين محمد بن العلقمي بعد موت ابن الناقد الوزير ثم ولي الاستاذ دارية الصاحب
محيي الدين يوسف بن الجوزي وفي ذي الحجة وقعت بطاقة ببغداد ان التتار خذلهم الله
دخلوا شهرزور وهرب صاحبها ملك الدين محمد بن سنقر الى بعض القلاع وانهم قتلوا
وفسقوا وبدعوا فانا لله وانا اليه راجعون وفي اواخر السنة شرعوا اعني المصريين والخوارزمية
في حصار دمشق وعلى العساكر معين الدين بن الشيخ **القاضي الرفيع** عبد العزيز بن
عبد الواحد بن اسمعيل قاضي القضاة بدمشق رفيع الدين ابو حامد الجيلي الشافعي الذي
فعل بالناس الافاعيل كان فقيها فاضلا متكلما مناظرا متفلسفا رديء العقيدة معرا
قدم الشام وولي قضاء بعلبك في ايام صاحبها الملك الصالح اسمعيل ووزيره امين الدولة
السامري فنفق عليهما فلما انتقلت نوبة السلطنة بدمشق الى اسمعيل ولاه القضاء
فاتفق هو وامين الدولة في الباطن على المسلمين فكان عنده شهود زور قد استعملهم ومدعون
وزور فيحضر الرجل الى مجلسه من المتمولين فيدعي عليه المدعي بان له في ذمته الف دينار
او الفي دينار فيبهت الرجل ويتحير وينكر فيقول المدعي لي شهود ويحضر اولئك الشهود
فيلزمه الحكم ثم يقول له صالح غريمك فيصالحه على النصف او الاكثر او اقل فاستبيحت للناس
اموال لا تحصى بمثل هذه الصورة وفي خبره صدر الدين عبد الملك بن عساكر بخطه ان
القاضي الرفيع دخل من توجهه الى بغداد رسولا وخرج لتلقيه الوزير امين الدولة والمنصور
ابن السلطان اسمعيل ودخل في زحم عظيم وعليه خلعة سوداء وعلى جميع اصحابه فقيل انه
لم يدخل بغداد ولا اخذت منه رسالته وودوا اشتروا الخلع من عنده اصحابه وشرع الملك
الصالح في مصادرة الناس على يد الرفيع الجيلي وكتب الى نوابه في القضاء يكتب منهم احصاء
ما تحت ايديهم من اموال اليتامى فهذا القاضي ما ولي قاض مثله كان يسلك طريق الولاة
ويحكم بالرشوة ويأخذ من الخصمين ولا يعدل احدا الا بمال وما اخذ ذلك جهرا وفسقه
ظاهر وقد استعار اربعين طبقا ليهدي فيها هدية الى صاحب حمص فلم يردها الى
الناس ما فعله الجور الولاة واصحاب الشرط وغارت الحيلة في ايامه ومشت البسابيس

وضعفت وحصل القحط وبقي الناس في البساتين يشتغلون بالجراد وبطلت طواحين
كثيرة وصار نهر ثورا ونهر القنوات لا يبلغ طاحونة مغلا وبقيت في ولاية عمي خلف مائة
الف وابنة فما اعطى لبنت فلسا واذن الرفيع للنساء في دخول جامع دمشق وقال ما هو
باعظم من الحرمين فدخلن وامتلا بالرجال والنسا ليلة النصف وتنادى الناس بذلك
في شكوا الى السلطان فمنع النساء منه قال ابو المظفر بن الجوزي حدثني جماعة اعيان انه
كان فاسد العقيدة دهريا مستهزيا بامور الشريعة يجي الى صلاة الجمعة سكرانا وان داره
كانت مثل الخانة يشهد بهذا الاشيا عندي جماعة عدول وحكى لي جماعة ان الوزير السامري
بعث به في الليل من دمشق الى قلعة بعلبك على بغل باكاف فاعتقله واستاصله
ثم بعث به الى مغارة افقه في جبل لبنان فاهلكه بها وبعث اليه عدلين شهدا عليه
ببيع املاكه فحدثني احدهما قال رأيته وعليه قندورة صغيرة وعلى راسه تخفيفة فبكى وقال
معكم شي اكل فاني والله ما اكلت شيا فاطعمناه من زادنا وشهدنا عليه ببيع املاكه
للسامري ونزلنا من عنده فبلغنا انهم جاوا اليه فايقن بالهلاك وقال دعوني اصلي ركعتين
فقام يصلي وطول فرفسه داود من راس شقيف مطل على نهر ابراهيم فما وصل الى القرار
الا وقد تقطع وحكى لي اخر ان ذيله تعلق بسن الجبل فضربوه بالحجارة حتى مات وذكر
ناصر الدين محمد بن المنظري عن عبد الخالق رئيس النيرب قال لما سلم القاضي الرفيع الى
المقدم داود سيف النقمة وانا ايضا وصلنا به الى الشقيف وجهه عن ماء فقال اغتسل
واتشهد تمكنوني اغتسل واصلي فنزل واغتسل وصلى ودعا ثم قال افعلوا ما شيتم فدفعه
داود فما وصل الى الوادي الا وقد تلف قال ابو المظفر وحكى لي اعيان الدماشقة
ان الموفق الواسطي هو كان اساس البلا فتح ابواب الظلم وحسن للرفيع علاجهم واخذ
لنفسه من اموال الناس ستماية الف درهم واخر امر الموفق انه عذب عذابا ما عذبه احد
وكسرت ساقاه ومات تحت الضرب والقي في مقابر النصارى فاكلته الكلاب وصار عبرة
قلت ولعمري ان سبب هلاكه اعني الرفيع وهذا ان الناس استغاثوا الى الصالح
اسمعيل من الرفيع ورافعوه وكثرت الشناعة فخاف الوزير السامري وعمل هلاكهما ليمحوا
التهمة عن نفسه ويرضي الناس ولئلا يقرا عليه وقيل ان السلطان كان عارفا بالامور وقتلهم
فالله اعلم ولم يعد الناس قضية الرفيع محنة بل نقمة نسال الله الستر والعافية وكان

القبض

القبض عليه في اخر سنة احدى واربعين وذكر واقعته في سنة اثنتين ابن الجوزي وجمع
فان فيها اشتهر اعدامه وقال الامام ابو شامة وفي ذي الحجة سنة احدى قبض على
اعوان الرفيع الجيلي الظلمة الاوجاش وكبيرهم الموفق حسين الواسطي بن الرواس
وسجنوا ثم عذبوا بالضرب والعصر والمصادرة ولم يزل ابن الرواس في العذاب والحبس الى
ان فقد في جمادى الاولى سنة اثنتين قال وفي ثاني عشر ذي الحجة اخرج الرفيع من داره وحبس
بالمقدمية قال ثم اخرج ليلا وذهب به فسجن بمغارة افقه من نواحي البقاع ثم انقطع خبره
وذكروا انه توفي ومنهم من قال القي من شاهق وقيل خنق وولي القضا محي الدين بن
الزكي قال ابن واصل حكى لي ابن صبح بالقاهرة انه ذهب بالرفيع الى راس شقيف
فعرف اني اريد رميه فقال بالله عليك امهل حتى اصلي ركعتين فامهلته حتى صلاهما ثم
رميته فهلك وقال غيره كان الرفيع فقيها بالعذراوية وبالشامية والعادلية وكان يشغل
الناس وكان ذكيا كثير التحصيل وصارت بينه وبين امين الدولة عشرة فاتصل بالوزير وصحبه
الكبير فولاه قضا بعلبك فلما توفي القاضي شمس الدين الخويي طلبه امين الدولة وولي
قضا دمشق فصار له جماعة يكتبون محاضر زور على الاغنيا ويحضرونهم فينكرون
فيخرجون المحاضر فيعتقلهم بالجاروخية فيصالحون على البعض وسير في السر الى امين
الدولة بعض ذلك فكثرت الشكاوى وبلغ السلطان فامر بكشف ما حمل الى الخزانة
من مدة وكان الوزير لا يحمل الى الخزانة الا اليسير فقال الرفيع الامور عندي مضبوطة
مكتوبة فخافه الوزير وشغب عليه قلب السلطان وحذره غائلته فقال انت جئت به
وانت تتولى امره ايضا فاهلكه ومن تعاليق عبد الملك بن عساكر قال وليلة استهلت
سنة اثنتين نزل الوالي بن بكا الى دار الرفيع واحتاطوا على ما فيها وشرعوا بعد يوم في
البيع فمن ذلك اربع عشرة بغلة ومماليك وتسع ماية مجلد وجواد واثاث وشادروا
بالقاضي في السوق طرطورا وتوجهوا به نحو بعلبك وولي القضا محي الدين بن الزكي
وذكر صاحبنا شمس الدين محمد ابن ابراهيم في تاريخه قال وفيها يعني سنة اثنتين عزل الرفيع
الجيلي عن قضا دمشق وكان في اخر السنة الماضية قد عزل عن القضا وسبب عزله واهلاكه
الوزير السامري فان الرفيع كتب بيده ورقة الى الملك الصالح يقول قد حملت الى خزانتك
الف الف دينار من اموال الناس فقال الصالح ولا الف الف درهم واوقفنا السامري على الورقة

عات

فامكر مبلغ الربيع فقال انا احافقه فقال السامري هذا اقرا كل البلاد واقام علينا الشنا
والراي عزله ليتحقق الناس انك لم تامره فعزله واعطى العادلية لكمال الدين التفليسي وصهر
الخويي والشامية الكبرى لتقي الدين محمد بن رزين الحموي والعذراوية لمحيي الدين يحيى
ابن الزكي والاميبية لابن عبد الكافي ثم ولي القضا محيي الدين وناب له صدر الدين احمد
ابن سني الدولة واستنط محيي الدين عدالة اصحاب الرفيع وهم العز بن القطان والزين
ابن الحموي والجمال ابن سيده والموفق الواسطي وسالم المقدسي وابنه محمد وكان
الطامة الكبرى الموفق فانه اهلك الحرث والنسل وقال الموفق احمد ابن ابي اصيبعة
كان ابن العذراوية يشتغل في انواع العلوم والطب وقرات عليه شيا من العلوم الحكمية
وكان فصيح اللسان قوي الذكا كثير الاشتغال والمطالعة وولي قضا بعلبك وكانت
صدقته للصاحب امين الدولة وبينهما عشرة وله من الكتب كتاب شرح الاشارات والتنبيهات
واختصار الكليات من القانون وغير ذلك شمس الايمة محمد بن عبد الستار بن محمد
العمادي الكردري البراعمي وبراعمين قصبة من قصبات كردر من اعمال جرجانية
خوارزم العلامة شمس الايمة ابو الوجد كان استاد الايمة على الاطلاق والموفود عليه
من الافاق في الخوارزم على برهان الدين ناصر بن عبد السيد المطرزي مصنف شرح
المقامات وتفقه بسمرقند على شيخ الاسلام برهان الدين علي ابن ابي بكر بن عبد الجليل
المرغيناني وسمع منه وتفقه ببخارى على العلامة بدر الدين عمر بن عبد الكريم الورسكي
وابي المحاسن الحسن بن منصور قاضي خان وجماعة وبرع في المذهب واصوله وتفقه
عليه خلق ورحل اليه الى بخارى جماعة منهم ابن اخيه العلامة محمد بن محمود العمي وسيف
الدين الباخرزي وسمع الفرضي العلامة حافظ الدين محمد بن محمد بن نصر وظهير الدين
محمد بن عمر النوحابادي وجماعة ذكرهم الفرضي ومن خطه نقلت هذا كله ولد سنة تسع
وخمسين وخمسمائة وتوفي ببخارا في محرم سنة اثنتين واربعين وستمائة ودفن عند الامام
عبد الله بن محمد بن يعقوب الحارثي البخاري سنة ثلاث واربعين وستمائة
في اولها وصل الصاحب معين الدين بن شيخ الشيوخ بالجيوش والخوارزمية فنازل
دمشق وضايقها وزحفوا على البلد من نواحيه فلما كان يوم عاشر المحرم بعث الصالح
اسمعيل الى معين الدين سجادة وابريق وعكازا وقال اشتغل لك بهذا اولى فبعث اليه

المعين

المعين بجنك وزمر وقال له الجريري وقال ما بعثت به يصلح لي وهذا يصلح لك ثم اصبح
فزحف على دمشق ورموا النيران في قصر حجاج ورموا بالمجانيق وكان يوما عظيما وبعث
الصالح النفطية فاحرقوا جوسق العادل والعقيبة ونهبت بيوت الناس ورموا
على الطرق ودام الحصار الى ربيع الاول فخرج الملك المنصور صاحب حمص من عند
الصالح فاجتمع ببركة خان مقدم الخوارزمية ثم عاد فلما طال الامر فتحت دمشق في جمادى
الاولى قال سعد الدين الجويني كان امير الدولة في ايام الحصار يشتغل بالطلاسم
والسحر وعمل خيلا من خشب ووجوهها مقلوبة الى اذنابها ودفنها بظاهر البلد وعمل
ثورا من عقاقير ووضعه على منارة الجامع ووضع فيه النار فلم يغن شيا قال ابن الجوزي
وبعث امين الدولة السامري الى ابن الشيخ يطلب شيا من ملبوسه فبعث اليه بفرجيه وعمامة
ومنديل فلبسها وخرج اليه بعد العشا وتحدث معه ساعة ثم عاد الى البلد ثم خرج مرة اخرى
فوقع الحال وخرج الصالح وصاحب حمص الى بعلبك وسلموا البلد ودخل من الغد
معين الدين بن الشيخ دمشق وكان المغيث بن الصالح نجم الدين قد مات بحبس القلعة
ودفن عند جده بالكاملية وكان معين الدين حسن السياسة لم يمكن الخوارزمية من دخول
البلد خوفا ان ينهبوها ثم جهز الوزير السامري تحت الحوطة الى مصر واما الخوارزمية
فلم يطلعوا على الصلح فربطوا الداريا ونهبوها وغضبوا على ابن الشيخ ورحلوا عن
دمشق وراسلوا الصالح اسمعيل في ان يكون معهم وانتقض الصلح وعادت الخوارزمية
فحاصروا البلد وبه معين الدين بن الشيخ وجاءهم اسمعيل من بعلبك بعد موت ابن الشيخ وضيقوا
على دمشق وقلت بها الاقوات واكلوا الجيف وبلغت الغرارة القمح الف وستمائة درهم
وابيعت الاملاك والامتعة بالهوان وبلغ الخبز كل وقيتين الا ربع بدرهم واللحم رطل
بسبعة دراهم وهلك الناس فيها بالجوع على الطرق وانتنت الدنيا بهم ووقع المرض
والوبا المفرط وال الامر بان عجزوا عن دفن اكثر الناس فكانوا يحفرون لهم حفاير
ويرمون الموتى فيها بلا غسل ولا كفن هذا والخمور دايرة والفسق ظاهر والمكوس
بحالها فلما علم الصالح نجم الدين بانقلاب الدست راسل الملك المنصور بعسكره وبسيله
فاجابه وتوفي في وسط الامر معين الدين بن شيخ الشيوخ في رمضان وكان قد نزل بدار
سامة ودخل الشهاب رشيد فتسلم القلعة وولي معين الدين القضا صدر الدين بن سني

الدولة والولاية جمال الدين هارون ووصل سيف الدين بن قليج من عجلون منفصلاً عن الناصر
واوصى بعجلون وباموالة للصالح نجم الدين ونزل بدار الفلوس ومات وقال شهاب الدين
ابو شامة في اولها اجتمع على دمشق عساكر عظيمة من المصريين والخوارزمية وغيرهم واحرق
قصر حجاج والشاغور وجامع جراح ونصبت المجانيق ورمي بها من باب الجابية وباب
الصغير ورمي بمجانيق نصبت من داخل البلد وترامى الفريقان وامر بتخريب عمارة
العقيبة واحرق حكر السماق وغير ذلك واشتد الغلا وعظم البلا حتى ابيع التبن
كل اوقية [illegible] ثم احرقت العقيبة قال ابو المظفر بن الجوزي فحكى ان رجلا كان له
عشر بنات ابكار فقال لهن اخرجن يعني لما احرقت العقيبة فقلن والله لا نخرج الحريق
اهون من الفضيحة فاحترقن في الدار **قلت** هذه حكاية منكرة وابن الجوزي حاطب ليل
وصاحب عجائب وقال سعد الدين بن حمويه في ذكر اسفاره من خطه [illegible]
ثم خرجنا من حماة في اول ربيع الاول مع رسل حماة ومعهم مائتا فارس لخوف الطريق فنزلنا
سلمية وسرنا منها والخوارزمية على الطرقات ياخذون من كل احد شيئا الى ان نزلت
عند ابن عمي معين الدين بالقرب من المصلى فخلع علي ورايت دمشق وقد قطع العسكر اكثر
اشجارها ونصب انهارها وخربت اكثر ديارها وكان الصالح اسمعيل قد خرب
ارباضها واحرقها وخرب عسكر مصر بقية العمارة التي يليهم بحيث ما بقي بظاهر البلد عمارة
تسكن وكان عليها المجانيق منصوبة من باب الجابية الى باب النصر وفي ربيع الاول قفز
الينا ابن صاحب صرخد فاعطاه ابن عمي الف دينار وخلعة وفرسا وكان في اكثر الايام يفرق
خمسمائة خلعة وخمسة الاف دينار على العسكر قال ابو شامة وفي ثامن جمادى الاولى
زال الحصار وطلع ونزح عن البلد سلطانه الملك الصالح عماد الدين ورفيقه صاحب
حمص الى بعلبك وحمص ودخل في الغد نائب صاحب مصر معين الدين حسن بن شيخ الشيوخ
صدر الدين فنزل في دار سامة وهي الدار المعظمية الناصحية وعزل محيي الدين بن الزكي
عن القضا وولى ابن سنى الدولة ومنها وصلت الى خلاط الست خاتون الكرجية ابنة ملك
الكرج ايواني ومعها منشور من ملك التتار بها فان خلاط واعمالها اطلاقا وارسلت الى الملك
شهاب الدين غازي بن العادل تقول انا اخت زوجة اخيك الملك الاشرف فان تزوجت بي
ما البلاد لك فما اجابها وكان جلال الدين بن خوارزم شاه قد اخذها لما تملك خلاط فغاب

خبرها

خبرها هذه المدة وكانت قبل الاشرف عند الملك الاوحد اخيه ومنها بعث الملك الصالح
صاحب مصر الامير حسام الدين بن ابي علي ليحضر ولده الملك المعظم توران شاه من حصن كيفا
فبعث اليه الملك المظفر شهاب الدين غازي الخيل والمماليك وكذلك فعل صاحب ماردين
فخاف المعظم ولم يجب اباه قال ابو المظفر فحكى لي الامير حسام الدين بن ابي علي ان الصالح كان
يكره مجي ابنه اليه وكان اذا قلنا له ارسل احضره يغضب وينفض يده ويقول اجيبه اقتله وكان
القضا موكلا بالمنطق ومنها اخرج الصالح نجم الدين بن الصاحب فخر الدين بن شيخ الشيوخ
من السجن بعد ان حبسه ثلاث سنين ولقي شدايد وضر حتى كان لا ينام من القمل ومنها
وجه امير المومنين مع جمال الدين عبد الرحمن بن الصاحب محيي الدين بن الجوزي خلعة السلطنة
الى الملك الصالح نجم الدين ثوب وفي عمامة سودا وفرجية مذهبة وثوبان ذهب وسيفان
حليته ذهب وعلمان وطوق ذهب وحصان بعدة فاخرة ونثر ذهب ولبس السلطان الخلعة
بمصر وجهوا ايضا خلعة للصاحب معين الدين وفي ثوب واسع مذهب وعمامة وسيف
وفرس بعدته فاعطاها السلطان للامير فخر الدين لبسها لموت معين الدين وخلعة
وفرسا للملك المعظم ولد السلطان وخلعا لاصحابه ومنها وصلت التتار الى يعقوبا
فعاثوا وافسدوا فخرج من بغداد الدوادار الصغير في عسكر بغداد فالتقاهم في ربيع
الاخر فكسرهم وردوا ومعه الاسرى وقال ابو شامة في ثامن عشر شوال بلغت الغرارة
ستماية درهم وذلك في تاسع اذار بدمشق وفي اخر شوال بلغت الغرارة القمح مائة
دينار صورية وفي عاشر ذي القعدة تفاقم الامر وبيع الخبز الاسود اوقيتان بدرهم وخبز
الشعير وقيتان ونصف وفي ثاني عشر ذي القعدة بلغت الغرارة الفا وماتي درهم كاملية
والزبيب كل اوقيتين بدرهم والباقلا الاخضر رطل بدرهم وربع ويوم عيد النحر
بيع رطل الخبز بسبعة دراهم ثم نزلت الاسعار وفي اخر السنة نزل الى رطل بدرهمين وبعد
شهر رخص واشتري رطل وثلث بدرهم **السيف** احمد بن عيسى بن العلامة موفق الدين
عبد الله بن احمد بن محمد بن قدامة الامام الحافظ الزاهد القدوة سيف الدين بن المجد
الحنبلي ولد سنة خمس وستماية وسمع ابا اليمن الكندي وابا القاسم الحرستاني وداود بن
ملاعب واحمد بن عبد الله السلمي العطار وموسى بن عبد القادر وابن البنا وجده وتخرج
بخاله الشيخ الضيا ورحل الى بغداد سنة ثلاث وعشرين فسمع الفتح بن عبد السلام وعلي بن

بغداد وهذه الطبقة ثم رحل سنة ست وعشرين وكتب بخطه المليح ما لا يوصف وصنف
وخرج وسود مسودات لم يتمكن من تبييضها وكان مع محنة بصيرا بالحديث ورجاله
عاملا بالاثر صاحب عبادة وتهجد وانابة وكان اماما فاضلا ذكيا حاد القريحة تام المروءة
كثير الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولو طال عمره لساد اهل زمانه علما وعملا رحمه الله
ورضي عنه سمع منه الشهاب ابو بكر الدشتي ومات قبل اوان الرواية فانه عاش ثلاثا وثلاثين
سنة وتوفي بعد ان لقي خلقا كثيرا وتدين لذلك وسعى بكل ممكن في اول شعبان
ومحاسنه جمة وله مصنف كبير في الرد على ابن طاهر في السماع **ابن الصلاح** عثمان بن
عبد الرحمن بن عثمان بن موسى بن ابي نصر الامام مفتي الاسلام تقي الدين ابو عمرو بن الامام
البارع ابي القاسم صلاح الدين النصري الكردي الشهرزوري الشافعي ولد سنة سبع
وسبعين وتفقه على والده الصلاح بشهرزور وكان والده شيخ تلك الناحية ثم نقله الى
الموصل فاشتغل بها مدة وبرع في المذهب قال ابن خلكان في تاريخه بلغني انه كرر على
جميع المهذب ولم يطر شاربه ثم ولي الاعادة عند العلامة العماد بن يونس **قلت** وسمع
من عبيد الله بن احمد بن السمين ونصر الله بن سلامة الهيتي ومحمود بن علي الموصلي وعبد المحسن
ابن خطيب الموصل وعبد الله بن ابي السنان بالموصل ورحل وله بضع وعشرون سنة الى
بغداد فسمع بها من ابي احمد عبد الوهاب بن سكينة وعمر بن طبرزد وبنيسابور من اسمعيل
ابن اسمعيل ابرهيم الخباز وبهمذان من ابي الفضل بن المعزم وجماعة وبنيسابور من منصور
الفراوي والمؤيد الطوسي والقاسم بن الصفار ومحمد بن الحسن الصرام وابي المعالي بن
ناصر الانصاري وابي النجيب اسمعيل القارئ وزينب الشعرية وبمرو من ابي المظفر عبد
الرحيم بن السمعاني ومحمد بن اسمعيل الموسوي وابي جعفر محمد بن محمد السنجي ومحمد بن عمر
المسعودي وجماعة ودخل الشام في سنة سبع عشرة وقبلها فسمع من الموفق شيخ الحنابلة
وقبل ذلك وسمع من القاضي جمال الدين بن الحرستاني وسمع بحران من الحافظ عبد
القادر ثم في النوبة الثانية درس بالقدس بالمدرسة الصلاحية فلما خرب المعظم اسوار
القدس قدم دمشق وبها درس بالرواحية وولي سنة ثلاثين مشيخة الدار الاشرفية
ثم تدريس الشامية الصغرى وكان اماما بارعا متبحرا في العلوم الدينية بصيرا
بالمذهب ووجوهه خبيرا باصوله عارفا بالمذاهب جيد المادة من اللغة والعربية حافظا
للحديث

للحديث متقنا فيه حسن الضبط كبير القدر وافر الحرمة مع ما هو فيه من الدين والعبادة
والنسك والصيانة والورع والتقوى وكان عديم النظير في زمانه قال ابن خلكان
كان احد فضلاء عصره في التفسير والحديث والفقه وله مشاركة في فنون عدة وكانت
فتاويه مسددة وهو احد اشياخي الذين انتفعت بهم وكان من العلم والدين على قدم حسن
اقمت عنده للاشتغال ولازمته سنة اثنتين وثلاثين وقد جمعت فتاويه في مجلد
وله اشكالات على الوسيط وقال ابن الحاجب في معجمه امام ورع وافر العقل حسن السمت
متبحر في الاصول والفروع بالغ في الطلب حتى صار يضرب به المثل واجهد
نفسه في الطاعة والعبادة **قلت** وكان حسن الاعتقاد على مذهب السلف يرى
الكف عن التاويل ويؤمن بما جاء عن الله ورسوله على مرادهما ولا يخوض ولا يتعمق
وفي فتاويه سئل عمن يشتغل بالمنطق والفلسفة فاجاب الفلسفة اس السفه
والانحلال ومادة الحيرة والضلال ومثار الزيغ والزندقة ومن تفلسف عميت بصيرته
عن محاسن الشريعة المؤيدة بالبراهين ومن تلبس بها قارنه الخذلان والحرمان واستحوذ
عليه الشيطان واظلم قلبه عن نبوة محمد صلى الله عليه وسلم الى ان قال واستعمال
الاصطلاحات المنطقية في مباحث الاحكام الشرعية من المنكرات المستبشعة
والرقاعات المستحدثة وليس بالاحكام الشرعية ولله الحمد افتقار الى المنطق اصلا
وهو قعاقع قد اغنى الله عنها كل صحيح الذهن فالواجب على السلطان اعزه الله ان يدفع
عن المسلمين شر هؤلاء المشائيم ويخرجهم من المدارس ويبعدهم وللشيخ فتاو هكذا مسددة
رحمه الله ورضي عنه وكان معظما في النفوس حسن البزة كثير الهيبة يتادب معه السلطان
فمن دونه تفقه عليه خلق كثير منهم الامام شمس الدين عبد الرحمن بن نوح المقدسي والامام
شهاب الدين عبد الرحمن بن اسمعيل ابو شامة والامام كمال الدين سلار والامام
كمال الدين اسحق والامام كمال الدين بن رزين قاضي الديار المصرية والعلامة شمس الدين
ابن خلكان قاضي الشام وروى عنه الفخر عمر بن يحيى الكرجي والمجد يوسف بن المهتار
وابنه محمد والتاج عبد الرحمن شيخ الشافعية والكمال ابو بكر محمد بن احمد بن الشريشي والزين
عبد الله بن مروان مفتي الشافعية والجمال عبد الكافي الربعي والشرف احمد الفزاري
والشرف احمد بن عساكر والكمال عبد الله بن قوام والشهاب محمد بن مشرف والشرف

...عمر بن خواجا امام الصدر محمد بن يوسف الارموي والشمس محمد بن يوسف الذهبي والامام
محمد بن النابلسي والشرف محمد بن خطيب بيت الابار والقاضي احمد بن علي الجيلي والشهاب
محمد بن العفيف وغيرهم وانتقل الى رحمة الله في سحر يوم الاربعاء الخامس والعشرين من
ربيع الاخر وحمل على الرؤوس وازدحم عليه الخلق وكانت على جنازته هيبة وخشوع
فصلي عليه بالجامع وشيعوه الى عند باب الفرج فصلي عليه بداخله ثانيا ورجع الناس
لاجل حصار البلد بالخوارزمية وخرج به دون العشرة مشمرين ودفنوه بمقابر الصوفية
وقبره في طرفها الغربي على الطريق ظاهر وعاش ستا وستين سنة

السخاوي

علي بن محمد بن عبد الصمد العلامة علم الدين ابو الحسن الهمداني السخاوي المصري شيخ
القراء بدمشق ولد سنة ثمان او تسع وخمسين وخمسمائة وسمع بالثغر من السلفي وابي
الطاهر بن عوف وبمصر من ابي الجيوش عساكر بن علي وابي القاسم البوصيري واسمعيل
ابن ياسين وجماعه وبدمشق من ابن طبرزد والكندي وحنبل وسمع الكثير من الامام
ابي القاسم الشاطبي وقرا عليه القراات وعلى ابي الجود غياث بن فارس وعلى ابي الفضل
محمد بن يوسف الغزنوي وبدمشق على ابي اليمن الكندي قرا عليهما بالمبهج لسبط الخياط
ولكن لم يسند عنهما القراات فانهم يقولون ان الشاطبي قال له اذا مضيت الى الشام
فاقرا على الكندي ولا ترو عنه وقيل انه راى الشاطبي في النوم فنهاه ان يقرا بغير ما
اقراه وكان اماما علامه مقرئا محققا مجودا بصيرا بالقراات وعللها ماهرا بها
اماما في النحو واللغه اماما في التفسير كان يحقق هذه العلوم الثلاثه ويحكمها
وله شعر رايق ومصنفات في القراات والتجويد والتفسير وله معرفه تامة بالفقه
والاصول وكان يفتي على مذهب الشافعي ويتصدر للاقراء بجامع دمشق وازدحم عليه
الطلبة وقصدوه من البلاد وتنافسوا في الاخذ عنه وكان دينا خيرا متواضعا
مطرحا للتكلف حلو المحاضرة مطبوع النادرة حاد القريحة من اذكيا بني ادم وكان وافر
الحرمة كبير القدر محببا الى الناس روى الكثير من العوالي والمؤتلف وكان ليس له شغل
الا العلم والافادة قرا عليه خلق كثير الى الغاية ولا اعلم احدا من القراء في الدنيا
اكثر اصحابا منه ومن مصنفاته شرح الشاطبيه في مجلدتين وشرح الرائيه في مجلد في
رسم المصحف وكتاب جمال القرا وتاج الاقرا وكتاب منير الدياجي في تفسير الاحاجي

وكتاب

وكتاب المفسر الى الكهف في اربع مجلدات وكتاب المفصل في شرح المفصل للزمخشري
وغير ذلك مما لم يحضرني ذكره اقرا عنه القراات شمس الدين ابو الفتح محمد بن علي الانصاري
وشهاب الدين ابو شامه وزين الدين عبد السلام الزواوي ورشيد الدين ابو بكر بن
ابي الدر المكيني وتقي الدين يعقوب الجرايدي وجمال الدين ابرهيم الفاضلي ورضي الدين
جعفر بن دبوقا الحراني وشمس الدين محمد بن الدمياطي ونظام الدين محمد التبريزي
والشهاب محمد بن مزهر وروى عنه من شيوخنا الدين القاسم الشيخ زين الدين الفارقي
والجمال عبد الواحد بن كثير النقيب وقد قرا عليه القراات ونسي ورشيد الدين اسمعيل
ابن المعلم وقد قرا عليه القراات ونسي والشمس محمد بن قايماز وقد قرا عليه القراات
ونسي ورايت اجازته بالقراات له وشرف الدين احمد بن ابرهيم الخطيب وقد قرا عليه لنافع احمد صح
وابي عمرو وعاصم واقرا عنه وبرهان الدين ابرهيم بن ابي الحسن المخزومي وقد قرا عليه
ختمه والشهاب احمد بن هرون التاجر وقد قرا القران وعرض عليه الشاطبيه وابو علي
ابن الخلال والزين ابرهيم بن الشيرازي وابو المحاسن بن الخرقي وقد قرا عليه القران
بتجويده وكمال الدين احمد بن العطار وابرهيم بن اخي علاء الدين بن النصير وزين الدين
احمد بن محمود العلانسي وقد قرا عليه القراات وترك والصدر اسمعيل بن يوسف بن
مكتوم وقال قرات عليه ختمه لابي عمرو وذكره القاضي ابن خلكان في تاريخه وقال رايته
مرارا راكبا بهيمة الى الجبل وحوله اثنان وثلاثة يقرون عليه في اماكن مختلفة دفعة
واحده وهو يرد على الجميع قلت وفي نفسي شي من صحة الرواية على هذا النعت لانه لا
يتصور ان يسمع مجموع الكلمات فما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وايضا فان مثل هذا
الفعل خلاف السنة ولا اعلم احدا من شيوخ المقريين كان يترخص في هذا الا الشيخ علم
الدين وكان رحمه الله اقعد بالعربيه والقراات من تاج الدين الكندي ومحاسنه
كثيره وفوايده غزيره ومن شعره   قالوا غدا ناتي ديار الحمى   وينزل الركب بمغناهم
وكل من كان مطيعا لهم   اصبح مسرورا بلقياهم   قلت فلي ذنب فما حيلتي   باي وجه اتلقاهم
قيل اليس العفو من شانهم   لا سيما عمن ترجاهم ○ وقد ذكره العماد الكاتب في السيل
والذيل فقال علي بن محمد السخاوي عرض لي قاضي الاسكندريه على السلطان الملك
الناصر صلاح الدين هذه القصيدة نظامه بعكا بالمعسكر المنصور في سنة ست وثمانين

وخمسمائة وأثنى على فضله وفهمه وأدبه وعلمه وهي   بين العواذل من صب ومحبوب
يظل ذو الشوق في بعد وتقريب   صبر المتيم في قرب الديار به أولى من الصبر في ناي وتغريب
وهي طويلة أورد منها العماد قطعة في مدح السلطان وقد مدح الأديب رشيد الدين
عمر الفارسي بقصيدته التي أولها   فاق الرشيد فأمسى يحرم الأمم وضوع جعفر ورد الإمام
وبين وفاتي المذكورين أكثر من مائة سنة قال أبو شامة وفي ثاني عشر جمادى الآخرة توفي
شيخنا علم الدين علامة زمانه وشيخ أقرانه بمنزله بالتربة الصالحية ودفن بقاسيون
وكانت على جنازته هيبة وجلالة وإخبات ومنه استفدت علوما جمة كالقراءات والتفسير
وفنون العربية وصحبته من شعبان سنة أربع عشرة وستمائة ومات وهو عني راض
قلت وكان شيخ الإقراء بالتربة المذكورة وله تصدر وحلقة بجامع دمشق وكانت
حلقته عند المكان المسمى بقبر زكريا مكان الشيخ علم الدين البرزالي الحافظ **الضياء**
محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إسمعيل الحافظ الحجة الإمام ضياء الدين أبو عبد الله
السعدي المقدسي ثم الدمشقي الصالحي صاحب التصانيف النافعة ولد بالدير المبارك
في سنة تسع وستين وخمسمائة وسمع من أبي المعالي بن صابر ومحمد بن حمزة بن أبي الصقر وأبي
المجد الفضل بن الحسين البانياسي وأبي الحسين أحمد بن الموازيني والخضر بن طاوس ويحيى
الثقفي وأبي الفتح عمر بن علي الجويني وابن صدقة الحراني وإسمعيل الجنزوي وخلق ولزم
الحافظ عبد الغني وتخرج به وحفظ القرآن وتفقه ورحل أولا إلى مصر سنة خمس وتسعين
فسمع أبا القاسم البوصيري وإسمعيل بن ياسين والأرتاحي وبنت سعد الخير وعلي بن
حمزة وجماعة ورحل إلى بغداد بعد موت ابن كليب فلهذا روى عن أصحابه وفاته الأخذ عنه
وقد أجاز له ابن كليب ومن هو أكبر من ابن كليب كشهدة والسلفي فسمع من المبارك بن المعطوش
وهو أكبر شيخ له ببغداد وأبي الفرج بن الجوزي وعبد الله بن أبي المجد وبعا ابن حمد وعبد الله
ابن أبي الفضل بن مروح وعبد الرحمن بن محمد بن فلاح الشط وطائفة من أصحاب قاضي المرستان
وابن الحصين وعرض القرآن على عبد الواحد بن سلطان ثم دخل أصبهان بعد موت أبي
المكارم اللبان وسمع من أبي جعفر الصيدلاني وأبي القاسم عبد الواحد الصيدلاني وخلف
ابن أحمد الفراء والمفتي أسعد بن محمود العجلي وأبي الفخر أسعد بن سعيد بن روح وأسعد
ابن أحمد الثقفي الضرير وإدريس بن محمد الآلوسي وزاهر بن أحمد الثقفي أخو أسعد والمؤيد بن

الأخوة

الأخوة وعفيفة الفارفانية وأبي زرعة عبد الله بن محمد العمراني وخلق سواهم وبهمذان
من عبد البر بن عثمان بن صالح وجماعة ورجع إلى دمشق بعد الستمائة ثم رحل إلى أصبهان
ثانيا فأكثر بها وتزيد وحصل شيئا كثيرا من المسانيد والأجزاء ورحل منها إلى نيسابور
فدخلها ليلة وفاة منصور الفراوي فسمع من المؤيد الطوسي وزينب الشعرية وأبي القاسم
الصفار ورحل إلى هراة فأكثر بها عن أبي روح عبد المعز وجماعة ورحل إلى مرو فأقام
بها نحوا من سنتين وأكثر بها عن أبي المظفر بن السمعاني وجماعة وسمع بحلب وحران
والموصل وقدم دمشق بعد خمسة أعوام بعلم كثير وكتب وأصول نفيسة فتح الله عليه
بها هبة ونسخا وشراء وسمع بمكة من أبي الفتوح ابن الحصري وحج ورجع ولزم الاشتغال
والنسخ والتصنيف وسمع في خلال ذلك على الشيخ الموفق وبابسه وأجاز له السلفي وشهدة
وأحمد بن علي بن الناعم وأسعد بن يلدرك ويحيى الرهباني وابن شاتيل وعبد الحق
اليوسفي وأبو الحرم عبد الرحيم اليوسفي وعيسى الدوشابي ومحمد بن نسيم العيشوني ومسلم
ابن ثابت النحاس وأبو شاكر السقلاطوني وعبد الله بن بري النحوي وأبو الفتح عبد الله بن
أحمد الخرقي وخلق كثير ذكره ابن الحاجب بالسبعة فقال شيخنا أبو عبد الله شيخ وقته ونسيج
وحده علما وحفظا وثقة ودينا من العلماء الربانيين وهو أكبر من أن يدل عليه مثلي كان شديد
التحري في الرواية ثقة فيما يرويه مجتهدا في العبادة كثير الذكر منقطعا عن الناس
متواضعا في ذات الله صحيح الأصول سهل العارية ولقد سألت في رحلتي عنه جماعة
من العلماء بأحوال الرجال فأطنبوا في حقه ومدحوه بالحفظ والزهد حتى أنه لو تكلم
في الجرح والتعديل لقبل منه سألت أبا عبد الله البرزالي عنه فقال حافظ ثقة جبل دين
وذكره ابن النجار في تاريخه فقال كتب وحصل الأصول وسمعنا بقراءته الكثير وأقام
بهراة ومرو مدة وكتب الكتب الكبار بهمة عالية وجد واجتهاد وتحقيق وإتقان كتبت
عنه ببغداد ودمشق ونيسابور وهو حافظ متقن ثبت حجة عالم بالحديث والرجال ورع
تقي زاهد عابد محتاط في أكل الحلال مجاهد في سبيل الله ولعمري ما رأت عيناي مثله
في نزاهته وعفته وحسن طريقته في طلب العلم سألته عن مولده فقال في جمادى الأولى
سنة تسع وستين ورأيت بخط مولدي في سادس جمادى الآخرة والله أعلم **قلت**
الثاني هو الصحيح فإنه كذلك أخبر لعمر بن الحاجب قلت سمعت الحافظ أبا الحجاج المزي

وما رايت مثله يقول الشيخ الضيا اعلم بالحديث والرجال من الحافظ عبد الغني ولم يكن في
وقته مثله وحكى النجم بن النجار عن ابن العز عبد الرحمن بن محمد بن الحافظ قال اما جامع الدار
قطني مثل شيخنا الضيا وقال الشرف ابو المظفر بن النابلسي ما رايت مثل شيخنا
الضيا ذكر تصانيف الضيا كتاب الاحكام يعوز قليلا في ثلاث مجلدات كتاب فضايل
الاعمال في مجلد الاحاديث المختارة خرج منها تسعين جزا وهي الاحاديث التي تصلح
ان يحتج بها سوى ما في الصحيحين خرجها من مسموعاته كتاب فضايل الشام جزان
كتاب فضايل القران جزء كتاب الجنة كتاب النار كتاب مناقب اصحاب الحديث كتاب
النهي عن سب الاصحاب كتاب سيرة المقادسة كالحافظ عبد الغني والشيخ الموفق
والشيخ ابي عمر وغيرهم في عدة اجزا وله تصانيف كثيرة في اجزا عديدة لا يحضرني ذكرها
وله مجاميع ومسموعات كثيرة وله كتاب الموافقات نيف وخمسين جزا وبنى مدرسة
على باب الجامع المظفري واعانه عليها بعض اهل الخير وجعلها دار حديث وان يسمع
فيها جماعة من الصبيان ووقف بها كتبه واجزاه وفيها من وقف الشيخ الموفق والبها
عبد الرحمن والحافظ عبد الغني وابن الحاجب وابن سلام وابن هامل والشيخ علي الموصلي
وقد نهبت في نكبة الصالحية نوبة غازان وراح منها شي كثير ثم تماسكت وتراجع حالها
وفيها بحمد الله الان جملة نافعة للطلبة وكان رحمه الله قلما ينزل من الجبل الصالحية فلا اف
يدخل البلد او يحدث به ولا اعلم احدا سمع منه بالمدينة وان كان سرد لي الشيخ اخذ عنه
جماعة من شيوخه وروى عنه الحافظ ابو عبد الله البرزالي والحافظ ابو عبد الله بن النجار
وجماعة ومن شيوخنا ابو العباس بن الظاهري وابو الفدا اسمعيل بن الفرا والعز احمد
ابن عوض والشمس محمد بن حازم والشيخ علي بن بقا والنجم موسى الشقراوي والنجم اسمعيل
ابن الخباز وداود بن حمزة ومحمد بن علي بن الواسطي وعثمان الحمصي والشهاب احمد الدشتي
وابو علي بن الخلال وعيسى المطعم وابو بكر بن عبد الدايم ومحمد بن خطيب بيت الابار وزينب
بنت عبد الله بن الرضي والقاضي المجد سالم بن ابي الهيجا ومحمد بن يوسف الذهبي ومسند
الشام القاضي تقي الدين سليمان فاكثر عنه واني سمعته يقول من شيخنا الضيا الفخر
قرات بخط المحدث محمد بن الحسن بن سلام قال محمد بن عبد الواحد شيخنا ما رايت مثله
في ما اجتمع له كان متقدما في علم الحديث وكان هذا العلم قد انتهى اليه وسلم له ونظر في الفقه

وناظر

وناظر فيه وجمع بين فقه الحديث ومعانيه وسد اطرافا من الادب وكثيرا من اللغة
والتفسير وكان يحفظ القران واشتغل مدة به وبالروايات على مشايخ عدة وكان
يتلوه تلاوة وجمع كل هذا مع الورع التام والتقشف الزايد والتعفف والقناعة
والمروة والعبادة الكثيرة وطيب النفس وبغضها احوال الدنيا وزهدا فيها والرفق
بالغربا والطلاب والانقطاع عن الناس وطول الروح على القبيح والغريب وكان
محبا لمن ياخذ عنه مكرما لمن يسمع عنه وكان يحرض على الاشتغال ويعاون باعارة الكتب
وكنت اساله عن المشكلات فيجيبني اجوبة شافية يعجز عنها المتقدمون ولم يدرك نظيرها
المتاخرون قرات عليه الكثير وما افادني احد كافادته وكان ينبهني على المهمات من
المهمات العوالي وامرني بسماعها وبكر مني كثيرا وقرات عليه صحيح مسلم كاملا في اربعة
بباب الجامع ورتبها مرتبة وكان يبني فيها قليلا قليلا على قدر طاقته فيسر الله الكثير
منها بهمته وحسن قصده واجابة دعوته ونزل فيها المشتغلين بالفقه والحديث وكان ما
يصل اليه من وقفها يوصله اليهم ويصرفه عليهم ورام بعض الكبار مساعدته ببنا مصنع
لها فابى ذلك وقال لا حاجة لنا في ماله وكان من صغره الى كبره موصوفا بالنسك مشتغلا
قلت توفي يوم الاثنين الثامن والعشرين من جمادى الاخرة وله اربع وثمانون سنة
وايام رحمه الله ورضي عنه سنة اربع واربعين وستماية في اولها كانت كسرة الخوارزمية
بين حمص وبعلبك وذلك ان الخوارزمية اجتمعوا على حرب حمص وكسب صاحب مصر واستمال
الملك المنصور ابرهيم وكاتب الحلبيين بان يوالي الخوارزمية وقد اخربوا الشام والصلحة
ان يتفق عليهم فاجابوه وسار شمس الدين لولو بعسكر حلب وجمع صاحب حمص ابرهيم
التركمان والعرب وساروا اليهم عسكر السلطان الذي بدمشق فاجتمعوا على حمص
واتفق الخوارزمية والملك الصالح اسمعيل والناصر داود وعز الدين ايبك المعظمي
واجتمعوا على مرج الصفر فاشار بركة خان بالمسير لقصدهم فساروا فكان المصاف
على بحيرة حمص في المحرم فكانت الدايرة على حزب اسمعيل وقتل راس الخوارزمية بركة
خان وانهزم اسمعيل وصاحب صرخد والجند عرايا جياعا ونهبت اموالهم ووصلوا
الى حوران في الحر تقوم فساق صاحب حمص الى بعلبك فاخذ البلد وتسلمه الى الامير
وساق الحلبيون ومعهم راس بركة خان فنصب على باب حلب وقدم صاحب حمص دمشق

نزل ببستان سامة وذهبت طايفة كبيرة من الخوارزمية الى البلقا فنزل اليهم الناصر
من الكرك وصاهرهم واستخدمهم واطلع حريمهم الى الصلت وكذا فعل عز الدين صاحب
صرخد وساروا فاستولوا على نابلس ومرض صاحب حمص بالسرب ومات وحمل الى
حمص وجهز صاحب مصر الصاحب الامير فخر الدين بن الشيخ الى الشام بعسكر فقدم غزة
وعاد من كان بنابلس من الخوارزمية الى الصلت فقصدهم فخر الدين فكسرهم ومزقهم
وكان الناصر معهم فهرب الى الكرك واتبعه الخوارزمية فلم يمكنهم من دخول الكرك واحرق
ابن الشيخ الصلت ومشى الناصر ثم ساق فنازل الكرك وحصن عز الدين صرخد
وكان الكسر يوم الوقعة المذكورة في ربيع الاخر وقيل ان الناصر ركب الى فخر الدين وهو
منازله غدوة على قبيس لحفر جواده لا ممنع عرضي ان عرضي ممنع وكان الامير حسام
الدين بن ابي علي بدمشق فسار الى بعلبك وتسلم قلعتها باتفاق من النايب مملوك الصالح
اسمعيل وكان واليها وبعث عيال اسمعيل الى مصر وتسلم نواب الصالح نجم الدين بصرى
وكان بها الشهاب غازي فاعطوه حرستا القنطرة بالمرج وفي ربيع الاخر وصل
الصالح اسمعيل بطايفة من الخوارزمية امراهم كشلوخان الى حلب ولم يبق للصالح
مكان يلجا اليه فلقاه صاحب حلب الناصر يوسف فانزله بدار جمال الدين الخادم
وقبض على كشلوخان والخوارزمية وملا بهم الحبوس وقال الامير شمس الدين لولو
اتابك حلب للصالح انظر عواقب الظلم كيف صارت وفي ذي القعدة قدم السلطان
الملك الصالح نجم الدين دمشق فدخل يوم تاسع عشره وكان يوما مشهودا وكثر الخلايق
والزينة واحسن الى الناس واقام نصف شهر ورحل الى بعلبك بعد ان نزل الى
خدمته براى ابن العميد فدخلها الصالح ثم مضى الى بصرى وقدم عز الدين ايبك دمشق
وكتب له منشور بفرقنبا والمجدل وضياع في الخابور فلم يحصل له من ذلك شي وتوجه
السلطان الى مصر وتصدق في القدس بالفي دينار وامر بعمارة سورها وقال اصرفوا
دخل البلد في عمارة السور وفيها وصلت الاخبار ان البابا طاغوت النصرانية غضب
على الانبرور وعامل خواص الملا دمين له على قتله وكانوا بلاده وقال لهم قد خرج الانبرور
عن دين النصرانية ومال الى المسلمين فاقتلوه وخذوا بلاده لكم واعطى احدهم صقلية
والاخر بعانه والاخر بوليه وهذه البلاد مملكة الانبرور وكتب الى اصحاب الانبرور

بذلك

بذلك فعمد الى مملوك له فجعله مكانه على سرير الملك واظهر انه هو وانه قد شرب شربة
فعمد القوم الثلاثة يعودونه والانبرور في مجلس ومعه ما به بالسلاح فاما الثلاثة فانهم قبل
راو قتل الانبرور لكونه ضعيفا من الدوا وقرصه فحطوا عليه وهو معطي الوجه بالسكاكين
فقتلوا الغلام فخرج عليهم المذابه فقبضوا عليهم وذبحهم الانبرور بيده وسلخهم فلما بلغ
البابا بعث الى قتاله جيشا والخلف بينهم واقع وفيها تسلم السلطان نجم الدين
ايوب قلعة الصبيبة من ابن عمه الملك السعيد بن الملك العزيز ثم اخذ حصن الصلت
من الناصر وفيها كتب توقيع لشرف الدين عبد الله ابن شيخ الشيوخ بن حمويه بمشيخة
خوانك دمشق مع الولاية عليها والنظر في وقوفها كوالده وكتب توقيع للشيخ تاج
الدين بن ابي عصرون بتدريس الشامية فدرس بها دهرا طويلا فتوجه المذكور الى
دمشق وبعث السلطان خمسة عشر الف دينار الى الامير فخر الدين بن الشيخ ليستخدم
بها رجاله وفي ربيع الاول قال سعد الدين الجويني جا الخبر ان المعظم صاحب حصن
كيفا جاته نجدة الموصل وماردين فضرب مصافا مع الملك المظفر صاحب ميافارقين
فكسر وسمعت على الكثير بلاده قال وسافرت الى مصر فسرت من الغرابي الى القصير ثم
سرت حتى الى السايح نزلت به وقد بني به السلطان نجم الدين دورا وبستانا وقرية
بها جامع وفنادق وسميت الصالحية **قلت** ومن ذلك انما كان هذا المكان يعرف
بالسايح وقبض الناصر في الكرك على الامير عماد الدين بن موسك واخذ امواله وفيها
ختن المستعصم ابنيه ولديه احمد وعبد الرحمن واخاه عليا فذكر ابن الساعي انه اخرج على
الختان نحوا من مايه الف دينار من ذلك الف وخمسماية راس شوا وفيها قدم رسولان
من التتار احدهما من بركه والاخر من باجو فاجتمعا بالوزير مويد الدين بن العلقمي
وتعنت على الناس بواطن الامور وفيها توفي المنصور صاحب حمص وتملك بعده
ابنه الملك الاشرف موسى وعاش اهل الشام بهلاك الخوارزمية وكانوا اكثر في
العدد والمكر والقتل والنهب وفيها اخذت الفرنج شاطبة صلحا ثم اجلوا اهلها بعد
سنة عنها **سنة خمس واربعين وستماية** في اولها رجع السلطان الى مصر وحرك
والقى جيوشه بالشام فحاصروا بلاد الفرنج عسقلان وطبرية ففتحت طبرية في صفر وفتحت
عسقلان في جمادى الاخرة وفي رجب عزل خطيب البلد عماد الدين داود الابادي من

الخطابة ومن الغرابة ووليها القاضي عماد الدين عبد الكريم بن الحرستاني ○ قال ابو المظفر
نازل فخر الدين بن الشيخ طبرية فافتتحها ثم نازل عسقلان وقاتل عليها قتالا عظيما
واخذها في جمادى الاخرة قلت وانفرد بفتح هذين البلدين وعظم شانه عند السلطان
ولم يبق له نظير في الامرا قال سعد الدين بن حمويه في المحرم اخذ السلطان من الملك السعيد بن
العزيز قلعة الصبيبة واعطى خبز مائة وخمسين بمصر ومائة الف درهم وقبيبا دية
حركش وحماته تفصيله وسبى الى السلطان مملوكه البندقدار واضاف اجناده الى الحلقة
لكونه صعد قلعة عجلون بلا امر قلت في هذه المرة اخذ السلطان من مماليك البندقدار
بيبرس وصار من اعيان مماليكه وآل امره الى سلطنة البلاد قال وزار السلطان القدس
وامر ان يذرع سوره فجا ستة آلاف ذراع فامر ان يصرف مغل القدس في عمارة سوره
وتصدق بالفي دينار في الحرم وزار الخليل وكان الامير فخر الدين نازلا على طبرية ينصب
عليها المجانيق فخرجوا في بعض الليالي فقتلوا الامير سيف الدين الجردي وقتلوا سبعة
معه وركبنا في المراكب في البحيرة لنقطع الميرة عن طبرية فجات مراكبهم وقاتلونا ساعة
ثم زحفنا على القلعة من كل مكان وجرح جماعة ثم وقعت البدنة التي علقناها من
الباشورة فزحفنا كلنا وهجم المسلمون الثغرة وجا الفرنج باسرهم اليها ورموا بالحجارة
وقتلوا الخلفا وصبر الناس وكلما تعب قوم خرجوا وجا غيرهم الى ان تعبت الفرنج فطلبوا
الامان فامنهم الامير على ان يكونوا اسرى فنزلوا على ذلك ما بين وستين اسيرا
واخذ الامرا خفية نحو خمسين اسيرا وغنم الناس طبرية بما فيها ووجدنا منهم في القلعة
قتلى كثير وجرحى وكان يوما مشهودا واخرب القلعة وقسمت على العسكر ورحلنا
بآلات الحصار جميعها الى عسقلان وقد نزل عليها قبلنا الامير شهاب الدين بن الغرز
واحاطت بها العساكر ومراكب الفرنج وشوانيهم تحتها ومراكبنا مسيبة على الساحل وهي
قلعة مليحة ستة عشر برجا نصفها في البحر فنزلنا ورمينا بالمجانيق وجات مراكبهم الى
مراكبنا فاقتتلوا وكانت ساعة مشهودة ثم هاج البحر والتطم واصطدم موجه فكسر شوانيها
وطحنها على الساحل وهي خمسة وعشرون وسلمت شواني الفرنج لانهم كانوا مرسين في
وسط البحر فاخذنا خشب الشواني عملناه ستاير للزحف وكمل لنا اربع عشر منجنيقا
ترمي على القلعة ومنا صفهم لا تبلغ نبطل ساعة واخرقوا ستاير منجنيقين رموها بنصول

زباد

زباد بجنبيه وكسروا لنا منجنيقين وخرجوا وقتلوا جماعة وبعد ايام شرعنا في طم الخندق
من الغب وجاهم اثنا عشر مركبا غلة وكان المدد ياتيهم وياتينا ايضا وخرجوا غير مرة
وقاتلوا فزحفنا في عاشر جمادى الاولى عليها من كل جهة وقاتل المسلمون قتالا عظيما
وملكوا الباشورة وقتل نحو سبعين نفسا وجرح خلق وبنينا على خنادق القلعة واخذنا
نقوبا في برج وبدنه ثم بعد يومين زحفنا عليهم ثم اخذوا النقوب منا وهرب اصحابنا
منها ثم من الغد استعدناها منهم وفي سادس عشر الشهر احرقنا البرج فنفروه من
عندهم واطفوا النار ثم نقروا البرج من الغد ووقع على اثني عشر فارسا منهم فاخرجهم
اصحابنا وغنموا سلبهم ثم جاتهم سبع مراكب كبار قال وجهز المنجنيق المغربي الذي
لنا وزنه قنطار وربع بالشامي وطال الحصار وقفز عبد واحد وفيه فارسان من
الفرنج فخلع عليهما فخر الدين وذكرا ان الخلف وقع بين الاسبتار والحلقة العرب
الباشورة حجارة منها تحتها ثمانية انفس وليلة الخميس ثاني وعشرين جمادى الاخرة طلع
اصحابنا من البرج المنقوب وملكوه وصاحوا فضربنا الكوسات في الليل وعلت
الصيحات وتكاثر الناس فاندهش الفرنج وخذلوا وهربوا الى المراكب والى الابراج
واحتموا بها ودخل المسلمون القلعة في الليل وبذلوا السيف وربما قتل بعضهم بعضا
لكثرة العالم وظلمة الليل وللكسب ولم يزالوا ينقلون ذخايرها واسلحتها طول الليل
ودخلها من الغد الامير فخر الدين واعطى من في الابراج امانا على انفسهم دون اموالهم
وكان فيهم ثلاثة امرا معتبرين وكانت الاسرى مايتين وستين اسيرا ووجدنا
عرجا وايدي مقطعة في البحر وسببه تعلقهم بالمراكب للهرب فيخاف الاخرون ان
تغرق المراكب فيضربون بالسيوف على ايديهم يقطعونها ثم شرعنا في خراب القلعة ورحلنا
وقد تركناها ماوى للبوم والغربان ومساكن للاراوي والغزلان فسبحان الباقي
الديان ○ وفيها اخذ السلطان قلعة شميس من الاشرف صاحب حمص فحصنها
وبعث اليها الخزاين وفيها جا عسكر حلب فنازلوا حمص وحاصروها مدة واخذوا
في سنة ست وفيها جاءت تذكرة بان يحمل الى مصر القاضي محيي الدين بن الزكي وابن العماد
الكاتب وابن الحصيري واولاد ابن صصرى الاربعة والشرف بن العنيقة وجماعة لانهم
كانوا من اصحاب الصالح اسمعيل فلما وصلوا مصر اقاموا بحسب اختيارهم فبقوا بها الى بعد

موت الصالح نجم الدين في ذي القعدة حبس عز الدين ايبك المعظمي في دار فرخشاه سواطي
من ابن مطروح وغيره وصنعوا انهم جاهم قاصد من حلب من عند الصالح اسمعوا وكتبوا الى السلطان
بخبر ونحو ذلك فامر ان يحمل الى القاهرة تحت الحوطة فحمل واعتقل في دار صواب فاعتقل
بها وزاد عنه وله وقال الاموال التي اخذ بعثتها الى حلب فمرض مدة ومات بعد ثم نقل في تابوت
ودفن في قبته التي على الشرف الاعلى وفيها كان بمصر غلا عظيم وابيع الخبز بلا ثمنه
ارطال بقيراط وفيها هرب للسلطان نجم الدين مماليك عسكرهم اربعون نفسا لحلب وارسلوهم
الى دمشق مسلسلين ويعبر على ابواب البلد **الحريري** علي بن ابي الحسن بن منصور الشيخ
ابو الحسن وابو محمد الحريري مقدم الطائفة الفقرا الحريرية اولي الطيبة والشطحات
والشاهد كان له شان عجيب ونبا غريب وهو حوراني من عشيرة يقال لهم بنو الرمان ولد
بقرية بسر وقدم دمشق صبيا فنشا بها وذكر الشيخ ان من جمع قومه الى قبيلة
من اعراب الشام يعرفون بني فرق وفيهم من دامر جبل نابلس قوم من بني فرق وكانت
ام الشيخ دمشقية من ذرية الامير فارس اتش بن المسيب العقيلي وكان خاله صاحب دكان
بسوق الصاغة قال النجم بن اسرائيل الشاعر ادركته ورايته قال وتوفي والد الشيخ
وهو صغير فنشا في حجر عمه وتعلم صنعة العتابي وبرع فيها حتى فاق الاقران ثم اقتطعه
الله الى جنابه العزيز فصحب الشيخ ابا علي المغربل خادم الشيخ رسلان قرات بخط
الحافظ سيف الدين بن المجد ما صورته علي الحريري وطي ارض الجبل ولم يكن ممن يحكم العلم
به والحديث كان من افتن شي واضره على الاسلام يظهر منه الزندقة والاستهزا بالامر الشرع
ونواهيه وبلغني من الثقات اشيا يستعظم ذكرها من الزندقة والجراة على الله وكان
مستخفا بامر الصلوات وانتهاك الحرمات ثم قال حدثني رجل ان شخصا دخل الحمام فراى
الحريري فيه ومعه صبيان حسان بلا ميازر فجا اليه فقال ما هذا فقال كان ليس ثم سوى
هذا واشار الى احدهم تمدد على وجهه فتمدد فتركه الرجل وخرج هاربا مما راى وحدثني
ابو اسحق الصريفيني قال قلت للحريري ما الحجة في الرقص قال قوله اذا زلزلت الارض زلزالها
وكان يطعم ويسقي ويهون امور الدين فيتبعه كل مريب وشاع خبره وشهد عليه خلق كثير
بما راوه منه ومن اصحابه بما يوجب القتل ورفع امره الى السلطان فلم يقدم على قتله بل سجنه
مرة بعد اخرى ثم اطلق ولله المستعان على هذه المصيبة التي لم يصب المسلمون بمثلها **قلت**

رحم

رحم الله السيف بن المجد ورضي عنه فكيف لو راى كلام الشيخ ابن العربي الذي هو محض الكفر
والزندقة لقال ان هذا الدجال المنتظر ولكن كان ابن العربي منقبضا عن الناس انما يجتمع
به احاد الاتحادية ولا يصرح بامره لكل احد ولم يشتهر كتبه الا بعد موته بمدة ولهذا تمادى
امره فلما كان على راس السبعمائة جدد الله لهذه الامة دينها بهتكه وفضيحته ودار بين
العلما كتابه الفصوص وقد حط عليه الشيخ القدوة الصالح ابرهيم بن معضاد الجعبري
فيما حدثني شيخنا ابن تيمية عن التاج البرنباري انه سمع الشيخ ابرهيم يذكر ابن العربي فقال
كان يقول بقدم العالم ولا يحرم فرجا وانبانا العلامة ابن دقيق العيد انه سمع الشيخ عز
الدين بن عبد السلام يقول في ابن العربي شيخ سو كذاب وممن حط عليه وحذر من كلامه
الشيخ القدوة الولي ابرهيم الرقي وممن افتى بان كتابه الفصوص فيه الكفر الاكبر قاضي القضاة
بدر الدين بن جماعة وقاضي القضاة سعد الدين الحارثي والعلامة زين الدين عمر بن ابي الحرم
الكتاني وجماعة سواهم واما الحريري فكان متهتكا قليل الحيا وشطح حتى
افتضح واشتهر مروقه وانصح وابلغ ما يقوله في هولا حسا العلما ان لكلامهم معاني
ما نفهمها نحن مع اعترافهم بان هذا الكلام من حيث الخطاب العربي كفر والحاد لا يخالف في
ذلك عاقل منهم الا من عاند وكان مما قاله الحريري في جزء مجموع من كلامه يتداوله اصحابه
بينهم قال اذا دخل مريدي بلد الروم وتنصر واكل لحم الخنزير وشرب الخمر كان في شغلي
وساله رجل اي الطرق اقرب الى الله حتى اسير فيه فقال له اترك السير وقد وصلت **قلت**
هذا مثل قول العفيف الكلب التلمساني فلسوف تعلم ان سيرك لم يكن الا اليك اذا بلغت المنزلا
وقال لاصحابه بايعوني على ان نموت يهود ونحشر الى النار لا يصاحبني احد بعلة وقال
ما احسن بالفقير ان يهزم من شي ويحسن به اذا خاف شيا قصده وقال لو قدم علي من قتل ولدي
وهو بذلك السيف لوجدني اطيب منه وللحريري في الجزء المذكور امرد يقدم مداسي خير من رضواني
وربع قحبة عندي احسن من الولدان قالوا انت صالح قلت ما ندعي صلاح دع عنك هذا الحديث قد طلب السماع
ما اعرف لادم طاعة الا سجود الملائكة وما اعرف ادم عصى الله بعظيم للرجال ان كان في تقدم وان
وان كنت حشو المجلس اخرج ورد الباب اذا سنتي قبل موتي اعشق الصورة جرانا مثل محبة
والعشق فيه مشغول وقال النجم بن اسرائيل قال لي الشيخ مرة ما معنى قوله نعم كلما
اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله فقلت سيدي مقول وانا اسمع قال ويحك من الموقد ومن المطفي

[illegible]

لا سمع الله كلاما لا منك فيك قلت ومن ابى قال نحو ابنيك وقال لو ذبحت بيدى سبعين
نبيا ما اعتقدت انى مخطئ يعنى لو قتلتهم لفعلت ما اراده الله منى اذ لا يقع شئ في الكون
الا بارادته سبحانه وتعالى قلت وطرد ذلك ان الله اراد منا ان نلعن قتلة الانبيا
ونبرا منهم ونعتقد انهم اصحاب النار وان نلعن من مادفه ونضرب اعناقهم ولا نبالى
شئ خلقت جهنم واشتد غضب الله على من قتل نبيا فكيف بمن يقتل سبعين نبيا والله تعالى
احب الابرار وبغض الفجار وعذبهم في النار مع كونه اراد الحاد الكفر والايمان فهو يريد
الشئ فانه لا يكون الا ما يريد ولكنه لا يرضى لعباده الكفر ولا يحبه نعم يريده ولا يسال عما
يفعل ولا يعترض عليه فانه احكم الحاكمين وارحم الراحمين لا يخلق شيا الا لحكمة لكن عقولنا
تقصر عن ادراك حكمته فالخلق ملكه والامر امره ولا معقب لحكمه يخلد الكفار في النار
بعدله وحكمته ويخلد الابرار في جنته بفضله ورحمته وجميع ما يقع في الوجود فبامره
وحكمته وعدم علمنا بمعرفة حكمته لا يدل على انه يخلق شيا بلا حكمة تعالى الله عن ذلك
افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون وقال ابو الحسن على بن انجب بن الساعى
في تاريخه الفقير الحريرى الدمشقى شيخ عجيب الحال له زاوية بدمشق يقصده بها
الفقرا وغيرهم من ابنا الدنيا وكان يعاشر الاحداث ويصحبهم ويقيمون عنده وكان
الناس يكثرون القول فيه وينسبونه الى ما لا يجوز حتى كان يقال عنه انه مباحى ولم يكن
عنده مراقبة ولا مبالاه بل يدخل مع الصبيان الاحداث ويعنيه معهم ما يسمونه تخريبا
والفقها ينكرون فعله ويوجهون الانكار نحوه حتى ان سلطان دمشق اخذه مرارا وحبسه
وهو لا يرجع عن ذلك ويزعم انه صحيح في نفسه وكان له قبول عظيم لا سيما عند الاحداث
فانه كان اذا وقع نظره على احد من الاحداث سوا كان غنى ولد الامرا واولاد الاجناد
او غيرهم عشقه فيه ويميل اليه ولا يعود يسمع بما اهله بل يلازمه ويقيم عنده اعتقادا
فيه وكان امره مشكلا والله يتولى السراير ولم يزل على ذلك الى حين وفاته وكان فيه لطف
وله شعر فمنه   كم يعنى بصحبة الاضداد   كم تسهر بالمقلة المبعاد
حدثنا بها هند تقوى ودفتى   والجنة جد بها على الزهاد   وقال الامام ابو شامة الشيخ
على الحريرى المقيم بقرية بسر كان يتردد الى دمشق ويتبعه طايفة من الفقرا المعروفين
بالحريرية اصحاب الزى المنافى للشريعة وباطنهم شر من ظاهرهم الا من رجع الى الله منهم

وكان

وكان عند هذا الحريرى من القيام بواجب الشريعة ما لم يعرفه احد من المشايخ ظاهرا
وباطنا ومن اقامة شرايع الحقيقة ما لم يكن عند احد في عصره من المحافظة على محبة الله
وذكره والدعا اليه والمعرفة به واكثر الناس يغلطون به في امره الظاهر وفي امره الباطن
ولقد افتى فيه مشايخ العلما وما بلغوا منتهى قبايحهم ولا بلغ هو فيهم ما كانوا يريدون
ان يبلغوا فيه ولقد كان قدس الله روحه ممن اشتغل الملك في صدور خلق الله حتى يقضى به
بحيث قد اطلعه الله على سراير خلقه واوليايه قلت المكاشفة لا تكون في ضماير الصدور
قد يشترك فيها اوليا الله ومن الكهان والمجانين ولكن الشيخ شهاب الدين يتكلم في
وراء العافية ويحسن الظن بالصالحين والمجهولين والله تعالى يثيبه على حسن قصده وصدق
ادبه مع اولى الاحوال ونحن والله نشهد على مقاصدنا والله هو المطلع على نياتنا ومرادنا
وهو حسبنا ونعم الوكيل قال الله تعالى وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم
وللبعض هم   دف ومزمار ونغمة شادن   فمتى رايت عبادة بملاهى
ما فرقه ما ضر دين محمد   وسطا عليه وملة الاسلام   ومن قول الحريرى الشعر باب
الشر قلت بل باب الشر فانه ينبت النفاق في القلب وقال عليه السلام لان يمتلئ
جوف احدكم قيحا خير له من ان يمتلئ شعرا وينهى اصحابه عن غلق الباب وقت السماع
حتى عن اليهود والنصارى وقال دار الضرب التى للسلطان مفتوحة وضارب الزغل
يغلق بابه وقال لو اعتقدت انى تركت شرب الخمر عدت اليه وله من هذا الهذيان شى كثير
وذكر ابو شامة في تعاليقه قال وفى سنة ثمان وعشرين وستماية امر الصالح بطلب الحريرى
واعتقاله وهرب الى بسر وشهد ابن الصلاح وابن عبد السلام وابن الحاجب افتوا
بقتله لما اشتهر عنه من الاباحة وقذف الانبيا والفسق وترك الصلاة وقال الملك
الصالح اخو السلطان انا اعرف منه اكثر مما ذكرتم في سجن الوالى جماعة من اصحابه وتبرا
منه اصحابه وشتموه ثم طلب وحبس بعزتا فجعل ناس يترددون اليه فانكر الفقها وارسلوا
الى الوزير ابن مرزوق ان لم يفعل الواجب فيه والا قتلناه نحن وكان ابن الصلاح يدعو
عليه في اثنا كل صلاة بالجامع جهرا وكتب طايفة من اصحابه خطا بمحضر بالبراه منه قلت
ومن كلامه المليح وددت طول عمرى على من يعشقنى يوحدنى فرد واحد فلما اعشقنى ما اعشقه
وقال اقمت شهرا لا افتر من الذكر فكنت ليلة في بيت مظلم فخف لسانى ولم يبق في حركة شى

انى اسمع ذكر اعضائى بسمعى وقال ما احسن العباده هى المعبود وقال اعلى ما للفقرا
الا نبساط وكان الحريرى يلبس الطويل والقصير والمدور والمفرج والابيض
والاسود والعمامة والمبرد والقلنسوة وحدها وثوب المراة والمطرز والملون
وساله اصحابه لما حبس ان يسال ويشفع فلم يفعل فلما اقام اربع سنين زاد
سوالهم فامرهم ان يكتبوا قصة فيها من الحلق الضعيف الى الراى الشريف ممن هو ذنب
كله الى من هو عفو كله شئ هذه المكاتبة الضعف عن المعاناة اصعب خدم الفقرا
على الحريرى فقيب ولكن من صلاح ومن تقى ومن شيخ ولكن للفتوق امام فسعوا بالقصة
وارادوا ان يصل الى السلطان فاقل احد من الدولة الفضلا الا ورما ها فبلغه ذلك
فاخذ وقال لا جل هذا ما اذنت لكم بالسعى واقام في عزبا ست سنين وسبعة اشهر
بعضه في الحبس وكان واصاب الناس خوف وكان يوم ذلك الوقف مركب الخيل
العربية ويلبس الملبوس الجميل ولم يكن في بيته حصير وربما يعطى هو واهله بجل
الفرس وقال بعث ثوب حرير يلبس كما جرت العوايد والثوب كالسباب المعادة
بالتجارين والاكمام والسافق والكل نسيج لم يدخل فيه خيط ولا ابره فلما فرغ ودفعوه
في البلد وشهدا الصناع بصنعته تركته وبكت بعد ان ادا انسان على الشئ يبكى فعلت على
زمان صبيعته فكرته على هذا كيف فكان بيا هو امرهم فيه وقال الناصح احبنا
شمس الدين محمد بن ابرهيم الجزرى في تاريخه حكى لى ربن الدين ابو الحرم بن محمد عمر الدمشقى
الحريرى قال كان ابى مجاور الشيخ على الحريرى هو بدكانه على راس درب الصيقل وكان
قد وقف على الشيخ على دراهم كثيره فجلسوه ودخل الحبس وما معه درهم فبات بلا
عشا فلما كان بكرة صلى بالمحبسين وقعد يذكر بهم الى ساعتين من النهار وبقى كل من يجيه
لشى من اهله من الماكول يشيله فلما قارب وقت الظهر امرهم بعدما جابهم فاكل جميع
المحبسين وفضل منه ثم صلى بهم الظهر وامرهم ان يناموا ويستريحوا ثم صلى بهم العصر
وقعد يذكر بهم الى المغرب وكل ما جابهم شى دفعه لهم مده بعد المغرب مع فضلة الغدا
فاكلوا وفضل شى كثير فلما كان في ثالث يوم امرهم من عليه اقل من مايه درهم ان يخرجوا له
من بينهم فخرج منهم جماعة وشرعوا في خلاص الباقين يعنى الذين خرجوا واقام منه اشهر
فخرج خلق كثير ثم انهم حبسوا لهم واخرجوه وعاد الى دكانه وصار اوليك المحبسون فيما بعد

مانوبه العصر ويطلعون به الى عند قبر الشيخ رسلان يذكر بهم وربما يطلعون الى
الجبل العيدية وكل يوم يتجدد له اصحاب الى ان ال الامر الى ما ال وقال الجزرى ايضا
حدثنى عماد الدين يحيى بن احمد الحسينى البصروى ومويد الدين بن خطيب عقربا ان جمال
الدين خطيب عقربا جد المويد والملك المسرى والملك الورر وابن سلام طلعوا الى
قرية للملك سوى فعزموا على زيارة الحريرى ببسر فقال احدهم ان كان رجلا صالحا
فنحن وصولنا يطعمنا سبيبة وقال الاخر يطعمنا بطيخ اخضر وقال الاخر دجاج لنا
نقلا على ثلج فاتوه فلقاهم احسن ملتقى واحضر البسبسة واشار الى من اشتهاها
ان كل واحضر البطيخ واشار الى الاخر ان كل ثم نظر الى الذى اشتهى الفقاع وقال
كان عندى بباب البريد ثم دخل مقبر وعلى راسه دست فقاع وثلج فقال اشرب باسم الله
وذكر المولى بها الدين يوسف بن احمد بن العجمى ان الصاحب محمد الدين ابن العديم حدثه
عن ابيه الصاحب كمال الدين قال كنت اكره الحريرى وطريقته فاتفق انى حججت في الركب
ومعه جماعة ومردان فاحرموا وبقى بعدوا منهم في الاحرام امور منكره فحضرت يوما
عند امير الحاج فجا الحريرى فاتفق حضور انسان بعلبكى واحضر ملاعق بعلبكية ففرق علينا
لكل واحد ملعقه واعطى الشيخ الحريرى واحده فاعطاه الجماعة ملا عقهم تكرمة له
واما انا فلم اعطه ملعقتى فقال يا كمال الدين ما لك لا توافق الجماعة فعلت ما اعطيك شيا
فقال الساعة نكسرك او نحو هذا قال والملعقتان على ركبتى فنظرت اليهما فاذا بهما
قد انكسرتا شقفتين فعلت ومع هذا ما ارجع عن حرده فيك وهذا فعل الشيطان او قال
هذا حال شيطانى وقال ابن اسرايل فيما جمعه من اخبار الحريرى صحبته حضرا وسفرا
وبلغ سبعة وتسعين سنة قال ابن اسرايل قال وتوفى في الساعة التاسعة من يوم الجمعة
السادس والعشرين من رمضان سنة خمس واربعين مرض مرض وكان اخبر بذلك
قبل وقوعه بمدة ثم قال ابن اسرايل وشهر احمد امو انزل في اليوم الذى عرفيه في ليلته
بحيث انه اوصى كما يوصى من هو باخر رمق وهو حسبه اصح ما كان وتبين حال استقبل
القبلة ضاحكا وحضرت وفاته وغسلته والحدته ورثيته بهذه القصيدة
خطب كما شاء الا له جليل دهمت لديه بصايد وعقول قلت ومن نيف وسبعون
بيتا ومن اصحابه الحيا كل عام في ليلة سبعة وعشرين ومن من ليالى القدر فيحيون تلك الليلة

الشريفة بالدفوف والشبابات والملاح والرقص الى السحر اللهم لا تمكرنا وتوفنا
على السنة ثم دخلت سنة ست واربعين وستمائة فيها امر السلطان ان يعمل الشلاح في
تحت القلعة ليتفرج فتشاققوا فقتل سبعة انفس وجرح جماعة وسببه دخول جماعة
المماليك بينهم فمنعهم السلطان من السلاف وكان يترتب عليه شر كثير ومفاسد
بدمشق وفي شعبان ملكت الفرنج اشبيلية بعد حصار دام لها نحو سبعة عشر شهرا
ودخلوها صلحا وفيها مرض صاحب حمص الملك الاشرف من محاصرة الحلبيين له وقايض
بها تل باشر من اعمال حلب وسلم حمص لنواب الملك الناصر يوسف وفيها خرج السلطان
نجم الدين من مصر وجهز الجيش مع فخر الدين بن الشيخ الى حمص وبعثوا الفلاحين لجر آلة
الحصار والمجانيق الى حمص ثم نازلوا حمص وحاصروا من نواب الناصر صاحب حلب
ونصبت المجانيق فجاء عسكر حلب في النجدة وكان الشيخ نجم الدين عبدالله البادرائي قد
جاء رسولا ودخل في القضية وردا العسكرين ابن الحاجب عثمان بن عمر بن ابي بكر بن
يونس العلامة جمال الدين ابو عمرو بن الحاجب الكردي الدويني الاصل الاسنائي المولد
المقرئ المالكي النحوي الاصولي صاحب التصانيف المنقحة ولد سنة سبعين او احدى
وسبعين هو شكلا باسنا من عمل الصعيد وكان ابوه جنديا كرديا حاجبا للامير عز
الدين موسك الصلاحي واشتغل ابو عمرو في صغره بالقاهرة وحفظ القران واخذ
بعض القراات عن الشاطبي رحمه الله وسمع التيسير وقرا الطرق على ابي الفضل محمد
ابن يوسف الغزنوي وقرا بالسبع على ابي الجود وسمع من ابي القاسم البوصيري واسمعيل
ابن ياسين والقاسم بن عساكر وحماد الحراني وست سعد الخير وجماعة وتفقه على ابي
المنصور الابياري وغيره وتادب على الشاطبي وابن البنا ولزم الاشتغال حتى برع في
الاصول والعربية وكان من اذكيا العالم ثم قدم دمشق ودرس بجامعها في زاوية
المالكية واكب الفضلا على الاخذ عنه وكان الاغلب عليه النحو وصنف في الفقه مختصرا
وفي الاصول مختصرا وفي النحو مقدمتين وكل مصنفاته في غاية الحسن وقد خالف النحاة
في مواضع واورد عليهم اشكالات والزامات مفحمة يعسر الاجابة عنها ذكره الحافظ
ابو الفتح عمر بن الحاجب الاميني فقال هو فقيه مفتي مناظر مبرز في عدة علوم متبحر مع ثقة
ودين وورع وتواضع واحتمال واطراح للتكلف قلت ثم خرج عن دمشق هو والشيخ

عز الدين

عز الدين بن عبد السلام في الدولة الاسماعيلية عندما انكرا على الصالح اسمعيل فدخلا
مصر وقصد رهوبا لمدرسة الفاضلية ولازمه الطلبة قال القاضي شمس الدين بن
خلكان كان من احسن خلق الله ذهنا وجاءني مرارا بسبب اداء شهادات وسالته عن مواضع
في العربية مشكلة فاجاب ابلغ اجابة بسكون كثير وتثبت تام ثم انتقل الى الاسكندرية ليقيم
بها فلم تطل مدته هناك وتوفي بها في السادس والعشرين من شوال قلت قرا عليه
بالروايات شيخنا الموفق محمد بن ابي العلا وحدث عنه الحافظان المنذري والدمياطي
والجمال الفاضلي وابو محمد الحارثي وابو علي الخلال وابو الفضل الاربلي وابو الحسين بن
الفقال وطايفة وبالاجازة قاضي القضاة ابن الخويي والعماد بن البالسي واخوه
شيخنا رضي الدين ابو بكر القسطيني وقد رزقت تصانيفه قبولا زايدا لحسنها وجزالتها
ثم دخلت سنة سبع واربعين وستمائة رجع السلطان الى مصر مريضا في محفة في اول سنة
سبع وكان قد قتل اخاه الملك العادل قبل خروجه فما هناه الله واستعمل على نيابة دمشق
الامير جمال الدين بن يغمور وفيها ولدت امراة ببغداد ابنين وستين في جوف وشاع
ذلك فطلبوا الى دار الخلافة ناحضروا وقد مات واحد فاحضروا منا فعجبوا واعطيت
الام من الثياب والحلي ما يبلغ الف دينار وكانت فقيرة مستورة وفيها توجه الناصر
داود الى حلب وحاكاه السلطان نجم الدين الى ابن يغمور بخراب داره بسامة وقطع
شجر بستان القصر الذي للناصر بالقابون وخراب القصر ففعل ذلك وفيها مضى
الامجد حسن بن الناصر من الكرك الى مصر وسلم الكرك الى السلطان وبعث على اسه يد خازنه
فاعطاه جملة واخرج من الكرك عيال المعظم واولاده وبناته وبعث اليهم باموال وتحف
يرضيهم بها واما سعد الدين فقال في تاريخه وصل كتاب الظاهر بن الناصر الى السلطان
بان يسلم الكرك ويعطيه السلطان خبزا بمصر ففرح السلطان بذلك وانفذ استادداره
جمال الدين قوش النجيبي ليتسلمها فلما قدم الملك امر السلطان سلفيه واحترمه ودفع له
اسوقي ومائتي فارس وخمسين الف دينار ويلمانه قطعة قماش من الدخاير التي بالكرك
واعطى الخبية الامجد اخيهم ومايه وخمسين فارسا ثم بعث خزانه الى الكرك مع مجد الدين
ابن ابي ذكري مبلغها مائتا الف دينار وفيها هجمت الفرنج دمياط واحاطت بها في ربيع
الاول وكان عليها فخر الدين بن الشيخ والعساكر فخرجوا عنها وخرج اهلها منها من الجهة

الاخرى وملكها الفرنج صفوا عفوا بلا قتال ولا كلفة بل بمجرد خذلان نزل فلا حول ولا
قوة الا بالله وهذا من اعجب ما تم في الوجود حتى ان الفرنج اعتقدوا ان المسلمين عملوا بهذا
مكيدة ثم بان لهم الامر وابتلى الله العسكر بالعدو وذهاب اموالهم وكان الملك الصالح نجم
الدين ايوب على المنصورة نازلا فغضب كيف سيبها اهلها وشنق من اعيان اهلها ستين
رجلا ولما امر بشنقهم قالوا ما ذنبنا اذا كانت عساكره وامراؤه هربوا واحرقوا الزردخاناه
فايش نعمل نحن وقامت القيامة على العسكر وخرج اهل دمياط حفاة عراة جياعا فقرا
حيارى بالحرم والاطفال قد سلم لهم بعض ما يعيشون به فنهبهم المسلمون في الطريق
واما العسكر فاستوحشوا من السلطان وعزموا على قتله قال ابو المظفر وبلغني انهم
ارادوا قتله فقال لهم فخر الدين ابن الشيخ اصبروا عليه فهو على شفا فمات ليلة نصف شعبان
على المنصورة وكانت ام خليل زوجته معه وهي المدبرة للامور ايام مرضه فلم تغير شيئا
بل الدهليز على حاله والسماط يمد كل يوم والامراء يحضرون للخدمة وهي تقول السلطان مريض
ما يصل اليه احد فبعثوا الى الملك المعظم توران شاه ولده وهو بحصن كيفا الفارس اقطاي
اكبر مماليك ابيه فسلك على البرية وكاد يهلك عطشا واسرع به اقطاي فقدم دمشق
في اخر رمضان وخلع على امراء دمشق واحسن اليهم قال ابو المظفر بلغني انه وجد
بدمشق ثلاثمائة الف دينار فانفقها واستدعى من الكرك مالا فانفقه وامر فخر الدين ابن الشيخ
الامراء فحلفوا للمعظم واخفوا موت السلطان وكانت ام خليل تعلم على التواقيع علامة تشبه
خط السلطان وقيل بل كان يعلم على التواقيع خادم يشبه خطه خط السلطان وكان
قد سمر مخرجه وامتد الى فخذه وعمل عليه خدعة وهو يتجلد ولا يطلع احدا على حاله حتى هلك
وكان المسلمون مرابطون بالمنصورة مدة اشهر وجرت لهم مع الفرنج فصول طويلة ينال هؤلاء
من هؤلاء وهؤلاء من هؤلاء وكانت وقعة المنصورة الوقعة التي اشتهرت في ذي القعدة على
المنصورة وذلك ان الفرنج ساقوا ووصلوا الى دهليز السلطان فخرج فخر الدين ابن الشيخ
مقدم العساكر فقاتل فقتل فانهزم المسلمون ثم تناخوا وكروا على الفرنج فقتلوا منهم مقتلة
عظيمة وكان الفتح ووصل المعظم الى مصر بعد ان اقام بدمشق سبعة وعشرين يوما فدخل
الدهليز بالمنصورة في ذي الحجة بعد الوقعة وكان في عزمه الفتك بابن الشيخ لانه بلغه انه يوثب
الملك والناس يريدونه فقتل وقال ابن الساعي في اول السنة اخذت الفرنج دمياط نزلوا

عليها

عليها فارسل الصالح نجم الدين عسكرا بعده لمن بها وكان مريضا فكسروا الفرنج ثم ظهرت
الفرنج عليهم فانتخى امير اف ومنها ابن شيخ الاسلام والحوراني فحملا عليهم فاستشهد ابن
شيخ الاسلام وسلم الحوراني وغلقت ابواب دمياط وارسلوا بطاقة وكان السلطان
قد سقي دواء فحدرا وامرهم الطبيب ان لا ينبهوه فوقعت البطاقة فكتمها الخادم ثم وقعت
اخرى فلم يرد عليهم جواب والسلطان لا يعلم بشيء فقيل في دمياط ان السلطان مات فضعفت
النفوس وعزم اهل دمياط على الهرب فاحرقوا ابوابا وخرجوا فاخذ العسكر في ردهم فلم
يلتفتوا فعاد العسكر ونهبوا البلد فخرج اهل البلد عن اخرهم وهلك خلق في زحمة الابواب
واخلوا البلد فاخذه الفرنج بلا كلفة فلما علم السلطان غضب وهم بقتل ذلك العسكر الذين
نهبوا دمياط ثم صلب منهم نيفا وثمانين اميرا وغيرهم ترك وامر ان لا ينقض النوبة الا
للحوراني وحده قال وفيها قتل شيحة امير المدينة وكان قد خرج عن المدينة في نفر يسير
فوقع عليه قوم من العرب بينهم وبينه دم فحاربوه فقتل وسلبوه وكان موصوفا بالخير
والتواضع وولي مكانه ولده الاكبر عيسى قال وفي نصف ذي الحجة سعى علي الاربلي الساعي
من دقوقا الى بغداد فوصل بعد العصر فانعم عليه الامير مبارك بما قيمته عشرة الاف دينار
وفيها جاء سيل عظيم على السلامية من عمل الموصل فاهلك خلقا واتلف الزروع وهدم
الاسواق وغرق كثيرا من المواشي وغرقت السلامية كلها وكان بها اكثر من ثلاثة الاف
نفس وبخات الزيادة في عاجر بن عمر حتى كادت تدخل من شراريف سور البلد وكان
امرا مهولا وفيها كتب فتيا ببغداد هل الايمان يزيد وينقص فامتنع الفقهاء من الجواب
خوفا من الفتنة وكتب فيها الكمال علي بن وضاح والمحدث عبد العزيز القحيطي وبالغا في ذم
من يقول لا يزيد ولا ينقص فاخذ الفتيا بعض الحنفية وعرضها على الديوان العزيز وقال
قد تعرض لسب ابي حنيفة فامر باخراج ابن وضاح من المستنصرية ونفي القحيطي وفيها
وصل الى بغداد ابو منصور الاصبهاني رجل كهل صغير الخلقة جدا طوله ثلاثة اشبار وله
اصابع ولحيته طولها الارض شبر فحمل الى دار الخلافة فانعم عليه ودار على الاكابر فيها
وسلب الساد بجانب خلقا عظيما من الرجال ونهبوا الغلة منهم وابقارهم ثم نهبوا ناحية
السبت والزاذان واخربوا تلك النواحي فخرج من بغداد عسكر لذلك وامر الناس في جمادى الاخرة
بالمبيت في اسواق بغداد وفي دروبها وبالوقيد الملك الصالح ايوب السلطان الملك

الصالح نجم الدين بن السلطان الملك الكامل ناصر الدين ابي المعالي محمد بن السلطان الملك
العادل ابي بكر محمد بن ايوب ولد سنة ثلاث وستماية بالقاهرة فلما قدم ابوه دمشق في
اخر سنة خمس وعشرين استنابه على ديار مصر فلما رجع انتقد عليه ابوه احواله ومال عنه
الى الملك العادل ولده الاخر ولما استولى الكامل على حران وعلى حصن كيفا وامد وسنجار
سلطنه على هذه البلاد وارسله اليها فلما توفي الكامل تملك بعده ديار مصر ابنه العادل
ابو بكر فطمع الملك الصالح وقويت نفسه وكاتب الامرا واستخدم الخوارزمية فاتفق
ان الملك الرحيم لولو صاحب الموصل قصد الصالح وهو بسنجار فحاصره حتى اشرف على اخذ
سنجار فاخرج من السور في الليل القاضي السنجاري وراح الى الخوارزمية فوعدهم ومناهم
فجاوا وكشفوا عن سنجار ودفعوا لولوا عن سنجار وقتل كثيره وكان الجواد بدمشق
فضعف عن سلطنتها وخاف من الملك العادل فانه اراد القبض عليه فكاتب الملك
الصالح واتفق معه على ان يعطيه سنجار والرقة وعانه بدمشق فقدم الصالح دمشق
وملكها واقام بها شهرا من سنة ست وثلاثين ثم سار الى نابلس وراسل الامرا المصريين
واستمالهم وكان عمه الصالح اسمعيل على امره ببعلبك فقويت نفسه على اخذ دمشق وكاتب
اهلها وساعده الملك المجاهد صاحب حمص وهجم على البلد فاخذها وورد الملك الصالح
ايوب ليستدرك الامر فخذله عسكره وبقي في طايفة يسيرة فجهز الملك الناصر داود من الكرك
عسكرا فقبضوا على الصالح بنابلس واتوا به الى بين يدي الناصر فاعتقله عنده مكرما
وتغير المصريون على العادل وكاتبهم الناصر وتوثق منهم ثم اخرج الصالح واشترط
عليه ان يملك ان يعطيه دمشق وان يعطيه اموالا وذخاير وسارا الى غزة فبرز الملك
العادل بجيشه الى بلبيس وهو شاب غر فقبض عليه مماليك ابيه وكاتبوا الصالح يستعجلونه
فساق هو والناصر داود الى بلبيس ونزل بالمخيم السلطاني واخوه معتقل في خركاه
فنام في الليل واخذ اخاه في محفة ودخل قلعة الجبل وجلس على كرسي الملك ثم ندم الامرا
فاحترز منهم ومسك طايفة في سنة ثمان وثلاثين وستماية قال ابن واصل سار الصالح
نجم الدين بعد الاتفاق بينه وبين ابن عمه الجواد الى دمشق وطلب نجدة من صاحب الموصل لما
صالحه فبعث اليه نجدة وكان الملك المظفر صاحب حماه معه قد كاتبه فقدما دمشق فخرجت
وبلغاه الجواد ثم تحول الجواد الى دار السعادة ونزل في خيمة تحت الاشرف وكانت مدة ملكه

دمشق

دمشق عشرة اشهر ثم ندم الجواد واستقال من جامع الصالح وطلب جماعة واستمالهم فاما
المظفر وعاتبه واستحلفه وضمن له ما شرطه الصالح فخرج من البلد وسار فتسلم سنجار
وغيرها فعند ذلك اخرب صاحب حمص سلمية ونقل جميع اهلها الى حمص اذى لصاحب حماه
فلما مات المجاهد رد اهلها وعمروها وجاءت الخوارزمية فاتفق معهم المظفر ونازل
حمص وصدهم في القتال فراسل المجاهد الخوارزمية واستمالهم وبذل لهم مالا فاخذوه
وغدروا في المظفر فخافهم ورد الى حماه وعادت الخوارزمية الى الشرق فاقاموا في بلادهم
التي اقطعهم الملك الصالح ثم تواترت كتب المظفر ورسله على الصالح يحثه على قصد حمص
وقدم على الصالح عمه الصالح اسمعيل من بعلبك فاظهر له الود وحلف له ورجع الى بلده
ليومه واما العادل فانزعج بمصر لقدوم اخيه واخذه دمشق وخاف ثم ورد على الصالح
رسول ابن عمه الناصر داود يهنيه باخذ مصر له بشرط ان يكون دمشق للناصر فلاطفه
ثم برز الصالح الى ثنية العقاب واقام اياما يقصد حمص وجاءه استاذ داره حسام
الدين بن ابي علي الهدباني من الشرق فدبر الدولة بعقله وفضله وجاءته القصاد من
امرا مصر بان يدعونه الى مصر ليملكها فتحير هل يقصد مصر او حمص ثم رجح مصر فرحل
الى الغور وبلغه مجي جماعة امرا من مصر مفقفزين فنزلوا بعرضه وكان مع الصالح نحو ستة
الاف فارس جياد ومنهم عماه محي الدين يعقوب وتقي الدين عباس وجماعة من الامرا
المعظمية وجاءه الامرا المصريون يخبرونه باللصوص ومعه ولده المغيث عمر ونزل بقلعة
دمشق ولده الصغير مع وزيره صفي الدين بن مهاجر وجاء الصبي ثم سار الى نحو نابلس
وكان الناصر داود بمصر فنزل بجيشه مدينة نابلس ثلثة اشهر ولما لم يقع اتفاق بين
الصالح وابن عمه الناصر ذهب الناصر الى مصر فالتقاه العادل واتفقا على محاربة
الصالح وعرف العادل بدمشق وتواترت على الصالح كتب امرا مصر يستدعونه لانه
كان اميز من اخيه واعظم واخلق للملك وممن كاتبه فخر الدين بن شيخ الشيوخ معلم العادل
نجيبه واستعمل الصالح نوابه على اعمال القدس وغزة والى العريش وجهز عسكرا الى
غزة وضربت خيمته على العوجا وعملوا الاسواد لدخول الرمل وقدم عليه رسول الخلافة
ابن الجوزي وارسل الى الصالح اسمعيل ليمضي معه الى مصر فعلل واعتذر وسير اليه
ولده الملك المنصور محمود ابانا عنه ووعده بالمجي وهو في الباطن عامل على اخذ دمشق

ودخلت سنة سبع وثلثين فسار العادل الى بلبيس واخذ ابن الجوزي الاصلاح بين
الاخوين على ان يكون دمشق واعمالها للصالح مع ما بيده من بلاد الشرق ومصر للعادل
وكان مع ابن الجوزي ولده شرف الدين شاب ذكي فاضل فتردد في هذا المعنى بين الاخوين
حتى تقارب ما بين الاخوين لولا حث العماد اسمعيل فانه بقي يكاتب العادل ويقوي عزمه
ويقول انا اخذ دمشق بالسالك ثم حشد وجمع واعانه صاحب حمص ثم طلب ولده الملك عمر من الصالح
زعم ليستخلفه ببعلبك ويتقدم هو في نفسه اليه ونفذ ولده المغيث ليحفظ قلعة دمشق
ولم يكن معه عسكر واما صاحب حماه فانه شفق على الصالح وتحيل في ارسال العسكر ليحفظ
له دمشق فاظهر انه مثل الخايف وانه يريد ان يسلم حماه الى الفرنج وان نايبه سيف الدين بن
ابي علي قد عرف بهذا منه وانه يتقايه فاظهر الخلاف عليه وخرج من حماه ومعه اكثر العسكر
وطايفة كبيرة من اعيان الحمويين خوفا من الفرنج وراسل المظفر ان يتم هذه الحيلة فاتمت فسار
الامير سيف الدين بالناس وقوى المظفر الوهم بان استخدم جماعة من الفرنج وامرهم
القلعة فقوي خوف الرعية وتبع سيف الدين خلق فسار وراه المظفر يظهر انه يسترضيه
ثم رجع فنزل على بحيرة حمص فركب صاحب حمص واتاهم واجتمع سيف الدين بطمسا
ولو حاربه سيف الدين بجمعه لما قدر عليه صاحب حمص ولكان وصل الى دمشق وضبطها
ولعز على الصالح اسمعيل ان ياخذها فسال سيف الدين عن مقصده فقال هذا الرجل قد مال
الى الفرنج واعتضد بهم وطلبنا النجاه بانفسنا فوانسه الملك المجاهد وطلب منه دخول
حمص ليضيفه فاجابه سيف الدين وصعد معه الى القلعة واظهر له الاكرام ثم بعث الى
اصحابه فدخل اكثرهم حمص ومن لم يدخل هرب ثم قبض المجاهد عليهم وضيق عليهم واعتقل
الاكابر وعاقبهم وصادرهم حتى هلك بعضهم في حبسه وبعضهم خلص بعد مدة وباعوا
املاكهم وادوها في المصادرة وهلك في الحبس سيف الدين بن ابي علي وبعوا استاذ
دار الملك الصالح حسام الدين وبالماذا ثم من الشدايد حتى مات وضعف صاحب
حماه ضعفا كثيرا واغتنم ضعفه صاحب حمص فسار وقصد دمشق هو والاسمعيل
فصبحوا دمشق في صفر في سنة سبع واخذت بلا قتال بل تسلق جماعة من حان ابن المقدم من
السور ونزلوا فكسروا قفل باب الفراديس ودخلوا ثم قصدوا القلعة وقاتلوا المغيث
ملنه ايام ثم سلمت القلعة بالامان ودخل اسمعيل القلعة وسجن المغيث في برج الى ان مات

فلما

فلما وردت اخبار اخذ دمشق فارق الملك الصالح سائر الامراء والجند وطلبوا
بلادهم واهاليهم وترحل هو الى بيسان وفسدت نيات من معه وعلموا انه لا ملجا له وانه
قد تلاشى بالكلية وقالوا له حتى اعمامه واقاربه لا يمكننا المقام معك واهالينا بدمشق
فاذن لهم فرحلوا باطلابهم وهو ينظر اليهم حتى فارقه طايفة من مماليكه ولم يبق معه الا
استاذ داره ورين الدين امير جاندار ونحو سبعين مملوكا له فلما جنه الليل امراف لا
يشتغل لغوانيه ثم رحل في الليل وورد الى جهة نابلس فحكى لي الامير حسام الدين قال
لما رحل السلطان من منزلته اختلفت كلمة من بقي معه فاشار بعضهم بالمضي الى الشقيف
والتحصن به فلم ير مصلحة وعلم ان عمه ياخذه ويقبض عليه واشار بعضهم بالرجوع الى الشرق
فخاف ان يوخذ لبعد المسافة وقال ما ارى الا التوجه الى نابلس فالتجي الى ابن عمي الملك
الناصر فتوجه الى نابلس فلما طلعت الشمس وراى مماليكه ما هو فيه من القلة وقاعهم
البكا والنحيب واعترضهم جماعة من العربان فقاتلوهم وانتصروا على العرب ونزلوا
بظاهر نابلس وقوي امر الصالح اسمعيل وجاءته الامراء وتمكن وكان وزيره امين
الدولة سامريا اسلم في صباه وكان عمه وزيرا للامجد صاحب بعلبك ومات على دينه
واما العادل بمصر فانه استوحش من الناصر داود وتعتب عليه فجاء الناصر ورد الى
الكرك ومعه سيف الدين علي بن قليج فوافق ما تم على الصالح فبعث الى الصالح
بعده النصر واشار عليه بالنزول بدار الملك المعظم بنابلس ثم نزل الناصر بعسكره
ثم اتى يوما بضرب البوق واوهم ان الفرنج قد اغاروا وانا الجنبة وركب معه جماعة الصالح
الدين معه محمد امر الناصر بسير الملك الصالح الى الكرك في الليل فلم يصحب الصالح
من غلمانه سوى الامير ركن الدين بيبرس الكبير وبعث معه حظيته ام خليل شجر الدر
فانزل الكرك بدار السلطنة وتقدم الناصر الى امه وزوجته ان يقوما بخدمة الصالح
وبعث اليه يقول انما فعلت هذا احتياطا لئلا يتصل اليك مكروه من اخيك او عمك ولو لم
انقلك الى الكرك لقصداك ثم امر شهاب الدين ونجم الدين ابني شيخ الاسلام بملازمة
خدمة الملك الصالح وموانسته وهما من اخص اصحاب الناصر ومن اجناده وقد ولي
الشهاب هذا تدريس الجاروخية بدمشق ولما تملك الصالح ديار مصر قصداه فاكرمهما
وقدمهما واستناب شهاب الدين على دار العدل واستشهد نجم الدين على دمياط وكان اولاد

الناصر لا يزالون في خدمة الصالح بالكرك ولم يفقد شيئا من الاكرام ثم جهز الناصر اصحاب
الصالح ايوب فاقام منهم عنده مكرمين ومن اراد السفر الى ابن اخيه فاختار اكثرهم المقام معه عنده
فكان منهم البهاء زهير وشهاب الدين بن سعد الدين ابن كمال وكان والده سعد الدين
ابن عمة الملك الكامل واما الاستاذ دار حسام الدين بن ابي علي وزين الدين امير
جندار قطلباد ستورا اذن لهما فقدما على الصالح اسمعيل فقبض على حسام الدين واخذ
جميع ماله وقيده وقيد جماعة من اصحاب الصالح نجم الدين وبعثوا في حلقته ثم نقل حسام
الدين الى قلعة بعلبك وضيق عليه ولما بلغ العادل ما جرى في الجبال اظهر الفرح ودقت
البشائر وزين مصر وبعث يطلبه من الناصر فابى عليه فلما كان في اواخر رمضان سنة
سبع طلب الملك الناصر داود الصالح نجم الدين فنزل اليه الى نابلس فضرب له دهليزا
والتف عليه خواصه ثم امر الناصر بقطع خطبة العادل وخطب للصالح ثم سار الى القدس
وتحالفا واتفقا هناك على ان تكون مصر للصالح والشام والشرق للناصر ثم
سار الى غزة وبلغ ذلك العادل فعظم عليه وبرز الى بلبيس وسار لنجدته الصالح
اسمعيل من دمشق فنزل بالفوار من ارض السواد ثم خاف الناصر والصالح من جيش
بلغاهما وخشي خلفهما فرجعا الى القدس ثم اتفقت النجابون تحت المجريين عيون
الصالح يقويت نفسه وسار مع الناصر ثم تملك مصر بلا كلفة واعتقل اخاه
ثم جهز من ونمى للناصر بان الصالح في نية القبض عليه فخاف وغضب واسرع الى الكرك
ثم تحقق الصالح ان الاشرفية انهم يريدون الوثوب عليه فاخذ في تفريقهم والقبض عليهم
فبعث مقدم الاشرفية وكبيرهم ايبك الاسمر نائبا على جهة ثم تسير من قبض عليه فولت الاشرفية
فضيعوا مسكهم عن كرايهم وسجنهم واقبل على شرا المماليك الترك والخطايه واستخدم
الاجناد ثم قبض على اكثر الخدام شمس الدين الخاص وجوهر النوبي وعلى جماعة من الامرا
الكاملية وسجنهم بقلعة صدر بالقرب من ايلة واخرج فخر الدين بن الشيخ من حبس العادل
وركب ركبة عظيمة ودعت له الرعية لكرمه وحسن سيرته فلم يعجب الصالح ذلك وتخيل فاقام
ملازم بيته واستوزر اخاه معين الدين ثم شرع يوم من عمله فاكثر من ذلك واخذ في
بنا قلعة الجزيرة واتخذها مسكنا وانفق عليها اموالا عظيمة وكانت الجزيرة قبل منتزها
لوالده فشيدها في ثلاثة اعوام وتحول اليها واما الناصر فانه اتفق مع عمه الصالح اسمعيل

والمنصور

والمنصور صاحب حمص فاتفقوا على الصالح واما الخوارزمية فانهم تغلبوا على حوران
وملكوا غيرها من القلاع وعاثوا واخربوا البلاد الحمرية وكانوا اشد من التتار لا يعفون
عن قتل ولا عن سبي ولا في قلوبهم رحمة وفي سنة احدى واربعين وقع الصلح بين الصالحين
وصاحب حمص على ان تكون دمشق للصالح اسمعيل وان يخطب هو والحلبيون والحمصيون
الخطبة في بلادهم لصاحب مصر وان يخرج ولده الملك المغيث من اعتقال الصالح
اسمعيل وكذلك اصحاب الملك الصالح مثل حسام الدين بن ابي علي ومجير الدين بن ابي ذكرى
فاطلقهم الصالح اسمعيل وركب الملك المغيث وبقي يسير ويرجع الى قلعة دمشق ورد
على حسام الدين ما اخذ له ثم ساروا الى مصر واتفق الملوك على عداوة الناصر داود وجهز
الصالح اسمعيل عسكرا يحاصرون عجلون وهي للناصر وخطب لصاحب مصر في بلاده
وبقي عنده المغيث حتى باسه سبع الايمان ثم بطل ذلك كله قال ابن واصل فحدثني جلال
الدين الخلاطي قال كنت رسولا من جهة الصالح اسمعيل فورد عليه كتاب في طيه
كتاب من الصالح نجم الدين الى الخوارزمية يحثهم على الحركة ويعلمهم انما يصالح عمه ليخلص
المغيث من يده وانه باق على عداوته ولا بد له من اخذ دمشق منه فنفذت بهذا الكتاب
الى الصالح معين الدين فاوقفته عليه فابدى عنه عذرا لا يسوغ ورد الصالح اسمعيل
المغيث الى الاعتقال وقطع الخطبة ورد عسكره عن عجلون وراسل الناصر واتفق معه
على عداوة صاحب مصر وكذلك رجع صاحب حلب وصاحب حمص عنه وصاروا كلمة
واحدة عليه واعتقلت رسلهم بمصر واعتضد صاحب دمشق بالفرنج وسلم اليهم القدس
وطبرية وعسقلان وتجهز صاحب مصر للقتال وجهز البعوث وطلب الخوارزمية فساقوا
الى غزة واجتمعوا بالمصريين وعليهم ركن الدين بيبرس البندقداري الصالحي وليس هو الذي
ملك بل هذا اكبر منه واقدم ثم قبض عليه الصالح نجم الدين واعدمه قال ابن واصل فتسلم
الفرنج حرم القدس وغيره وعمروا قلعتي طبرية وعسقلان وحصنوهما ووعدهم الصالح
بانه اذا ملك مصر اعطاهم بعضها فجمعوا وحشدوا وسارت عساكر الشام الى غزة
ومضى المنصور وصاحب حمص بنفسه الى عكا فطلبوه فسافرت انا الى مصر ودخلت القدس
ورايت الرهبان على الصخرة وعليها قناني الخمر ورايت الجرس في المسجد الاقصى وابطل
الاذان بالحرم واعلن الكفر وقدم وانا بالقدس الناصر داود الى القدس فنزل بغربيه

وفيها ولي الصالح قضاء مصر للافضل الخونجي بعد ان عزل ابن عبد السلام نفسه بمدة ولما
عدت الخوارزمية الفرات وكانوا اكثر من عشرة آلاف ما مروا بشيء الا نهبوه وتقهقر الذين
بغزة منهم وطلع الناصر الى الكرك وهربت الفرنج من القدس فهجمت الخوارزمية القدس
وقتلوا من به من النصارى وهدموا مقبرة القمامة واحرقوا بها عظام الموتى ونزلوا بغزة
وراسلوا صاحب مصر فبعث اليهم الخلع والاموال وجاءتهم العساكر وسار الامير حسام
الدين بن ابي علي بعسكر ليكون مركزا بنابلس وتقدم المنصور ابراهيم على الشاميين
وكان شهما شجاعا قد انتصر على الخوارزمية غير مرة وسار بهم ووافقته الفرنج من عكا
وغيرها بالفارس والراجل وتقدم الناصر داود بعسكره فوقع المصاف بظاهر غزة
فانكسر المنصور شر كسرة واستحر القتل بالفرنج والآن واصل احدث سيوف المسلمين
الفرنج فافنوهم قتلا واسرا ولم يفلت منهم الا الشارد واسر ايضا من عسكر دمشق الكرد
جماعة مقدمين فحكي لي عن المنصور انه قال والله لقد قصرت ذلك اليوم ووقع في قلبي انا
لا ننتصر لانتصارنا بالفرنج ووصلت عساكر دمشق معه في اسوأ حال واما مصر فزينت
زينة لم ير مثلها وضربت البشاير ودخلت اسارى الفرنج والامرا وكان يوما مشهودا
بالقاهرة ثم عطف حسام الدين ابن ابي علي وركن الدين بيبرس فنازلوا عسقلان وحاصروا
الفرنج الذين تسلموها فخرج حسام الدين ثم رحلوا الى نابلس وحكموا على فلسطين والاغوار
الا عجلون فهي بيد سيف الدين ابن قليج نيابة للناصر داود ثم بعث السلطان الصالح
نجم الدين وزيره معين الدين بن الشيخ على جيشه واقام مقام نفسه وانفذ معه الخزائن
وحكمه في الامور وسار الى الشام ومعه الخوارزمية فنازلوا دمشق وبها الصالح
والمنصور صاحب حمص فبذل الصالح اسمعيل وبعث وزيره امين الدولة مستشفعا
بالخليفة ليصلح بينه وبين ابن اخيه الصالح فلم يظفر بطائل وزحف واشتد الحصار على دمشق
واخذت بالامان لقلة من مع صاحبها ولقلة ما بالقلعة من الذخاير وليتخلي عن الحلبيين عنه
فرحل الصالح اسمعيل الى بعلبك والمنصور الى حمص وتسلم الصاحب معين الدين القلعة
والبلد ولما رات الخوارزمية ان السلطان قد ملك الشام بهم وهزم اعداءه صار لهم عليه
ادلال كثير مع ما تقدم من نصرهم له على صاحب الموصل وهو بسنجار وطمعوا في الاخباز
العظيمة فلما لم يحصلوا على شيء فسدت نياتهم له وخرجوا عليه وكاتبوا الامير ركن الدين بيبرس

البندقدار

البندقدار وهو اكبر امراء الصالح نجم الدين ايوب وكان بغزة فاصغى اليهم فما قبل وراسلوا
صاحب الكرك فنزل اليهم ووافقهم قلت وكانت امه ايضا خوارزمية وتزوج منهم ثم طلع
الى الكرك واستولى حسبما على القدس ونابلس وتلك الناحية وهرب منه نواب صاحب
مصر ثم راسلت الخوارزمية الملك الصالح اسمعيل وحلفوا له وسار اليهم واتفقت كلمة
الجميع على حرب صاحب مصر فقلق لذلك وطلب ركن الدين بيبرس فقدم مصر فاعتقله
وكان آخر العهد به ثم خرج بعساكره فخيم بالعباسة وكان قد بعث رسوله الى المستعصم بالله
يطلب تقليدا بمصر والشام والشرق فجاءه التشريف والطوق الذهب والمركوب فلبس
التشريف الاسود والعمامة والجبة والفرس بالحلية الكاملة وكان يوما مشهودا ثم
جا الصالح اسمعيل والخوارزمية ونازلوا دمشق وليس بها كبير عسكر وبالقلعة الطواشي
رشيد وبالبلد نائبها حسام الدين بن ابي علي الهذباني فضبطها وقام بحفظها بنفسه ليلا
ونهارا واشتد بها الغلا وهلك اهلها جوعا ووبا وبلغني ان رجلا مات في الحبس فاكلوه
كذلك حدثني حسام الدين بن ابي علي فعند ذلك اتفق عسكر حلب والمنصور صاحب حمص
على حرب الخوارزمية وقصدوهم فتركوا حصار دمشق وساقوا ايضا يقصدونهم
فالتقى الجمعان ووقع المصاف في اول سنة اربع واربعين على القصب وهي منزلة على
بريد من حمص من قبليها فاشتد القتال والصالح اسمعيل مع الخوارزمية فانكسروا
عندما قتل مقدمهم الملك حسام الدين بركة خان وانهزموا ولم تقم لهم بعدها قائمة وقيل
بركة خان مملوك من الحلبيين وتشتت الخوارزمية وخدم طائفة منهم بالشام وطائفة
بمصر وطائفة مع كشلوخان ذهبوا الى التتار وخدموا معهم وكفى الله شرهم وعلق
راس بركة خان على قلعة حلب ووصل الخبر الى القاهرة فزينت وحصل الصلح التام
بين السلطان وبين صاحب حمص والحلبيين واما المحارف الملك اسمعيل فانه التجا
الى حلب الى عند ابن اخته الملك الناصر صلاح الدين فارسل صاحب مصر البهاء زهير
الى الناصر صلاح الدين يطلب منه اسمعيل فشق ذلك على الناصر وقال كيف يحسن
ان اسلم خالي ابي وهو كبير البيت وابعثه اليك لتقتله واخفر ذمته فرجع البهاء زهير
واما نائب دمشق حسام الدين فانه سار الى بعلبك وحاصرها وبها اولاد الصالح اسمعيل
فسلموها بالامان ثم ارسلوا الى مصر تحت الحوطة وهم والامين وزير الدولة والاستادار

ناصر الدين بن يغمور فاعتقلوا بمصر وصفت البلاد للملك الصالح وبقي الناصر داود بالكرك
في حكم المحصور ثم رضي السلطان على فخر الدين بن شيخ الشيوخ واخرجه من الحبس بعد موت
الوزير معين الدين وسيّره فاستولى على جميع بلاد الناصر داود وخرّب ضياع
الكرك ثم نازلها اياما وقل ما عند الناصر من المال والذخاير بها وقل ناصره فعمل قصيدة
يعاتب فيها السلطان فيها ما له من اليد عنده من ذبه عنه وتمليكه ديار مصر وهي ..
قل للذي قاسمته ملك اليد ونهضت فيه نهضة المتأسد عاصيت فيه ذوي الحجى من اسرتي
واطعت فيه مكارمي وتوددي يا قاطع الرحم التي صلتي بها كتبت على الفلك الاثير بعسجد
ان كنت تقدح في صريح مناسبي فاصبر بعرضك للهيب المرصد عمي ابوك ووالدي عم به
يعلو انتسابك كل ملك اصيد صالا وجالا كالاسود ضواريا وارتد تيار الفرات المزبد
دع سيف مقولي البليغ يذب عن اعراضكم بفرنده المتوقد فهو الذي قد صاغ تاج فخاركم
بمفصل من لولو وزبرجد ثم اخذ يصف نفسه وجوده ومحاسنه وسودده الى ان قال
يا محرجي بالقول والله الذي خضعت لعزته جباه السجد لولا مقال الهجر منك لما بدا
مني افتخار بالقريض المنشد ان كنت قلت خلاف ما هو شيمتي فالحاكمون بمسمع وبمشهد
والله يا ابن العم لولا خيفتي لرميت ثغرك بالعداة المرد لكنني ممن يخاف حرامه
ندما يجرعني سمام الاسود فاداك ربك بالهدى ما ترتجي لتراك تفعل كل فعل مرشد
لتعيد وجه الملك طلقا ضاحكا وترد شمل البيت غير مبدد كيلا ترى الايام فينا فرصة
للخارجين وضحكة للحسد ثم ان السلطان طلب الامير حسام الدين بن ابي علي وولاه
نيابة الديار المصرية واستناب على دمشق الصاحب جمال الدين يحيى بن مطروح ثم قدم
الشام وجا الى خدمته صاحب حماه الملك المنصور وهو ابن اثني عشرة سنة وصاحب حمص
وهو صغير فاكرمهما وقربهما ووصل الى بعلبك ثم رد الى دمشق ثم قدم على نايب مصر
حسام الدين والده بدر الدين محمد بن ابي علي وقرابته علا الدين وكانا في حبس صاحب
حمص فلما مات اطلقهما ابنه فتوفي بدر الدين بعد قدومه بيسير ثم رجع السلطان
ومرض في الطريق حكى لي الامير حسام الدين قال لما ودعني السلطان قال اني مسافر
واخاف ان يعرض لي الموت واخي العادل بقلعة مصر فيأخذ البلاد وما يجري عليكم منه
خير فان مرضت ولو انه حمى يوم فاعدمه فانه لا خير فيه وولدي توران شاه لا يصلح للملك

فان

فان بلغك موتي فلا تسلم البلاد لاحد من اهلي بل سلمها للخليفة واما عسقلان وطبرية
فلما تسلمتها الفرنج من الصالح اسمعيل سوّروها وحصنوا القلعتين فنازلهما فخر الدين بن شيخ
الشيوخ بعد ما ترحل عن حصار الكرك ففتحهما وهدمهما ودقت البشاير وفتر السلطان
عن اخذ حمص لان صاحبها الاشرف وابوه الى السلطان ومواددتهما له ثم قدم الاشرف
للسلطان قلعة شميميش وسلمها واما حماه فكانت لابن اخته الملك المظفر وبها الصاحبية
اخت السلطان ثم ملكها الملك المنصور بن المظفر ست اخت السلطان فاطمة خاتون
ابنة الكامل وكانت فاطمة عليك وهي والدة صاحبها الان الملك الناصر صلاح الدين
ابن العزيز فزوج اخته بصاحب حماه في هذه السنة وحملت اليه في تجمل عظيم ثم دخلت
سنة ست واربعين فصرف السلطان نيابة مصر عن حسام الدين بجمال الدين بن يغمور
وبعث الحسام بالمصريين الى الشام فاقاموا بالصالحية اربعة اشهر قال ابن واصل
واقمت مع حسام الدين هذه المدة وكان السلطان في هذه المدة وقبلها مقيما باشموم
طناح ثم رجعنا الى القاهرة وفيها خرجت الحلبيون وعليهم شمس الدين لولو الاميني
فنازلوا حمص ومعهم الملك الصالح اسمعيل يرجعون الى رايه ونصبوا المجانيق وحاصروها
شهرين ولم ينجدها صاحب مصر وكان السلطان مشغولا بمرض عرض له في بيضه
ثم فتح وحصل منه باسور يعسر برؤه وحصلت له في رئته بعد قرحة متلفة لكنه عازم على
انجاد صاحب حمص ولما اشتد الخناق بالاشرف صاحب حمص اضطر الى ان اذعن
بالصلح وطلب العوض عن حمص تل باشر مضافا الى ما بيده وهو الرحبة وتدمر وتسلمها
الامير شمس الدين لولو الاميني واقام بها نوابا لصاحب حلب فلما بلغ السلطان وهو
مريض اخذ حمص غضب وعظم عليه ونزح الى القاهرة واستناب بها ابن يغمور وبعث
الجيوش الى الشام لاستنقاذ حمص وسار السلطان في محفة وذلك في سنة ست واربعين
فنزل بقلعة دمشق وبعث جيشه فنازلوا حمص ونصبوا عليها المجانيق ومما نصب عليها فيما
منجنيق مغربي ذكر لي الامير حسام الدين انه كان يرمي حجرا زنته مائة واربعون رطلا
بالشامي ونصب عليها قرابغا واثني عشر منجنيقا سلطانية وذلك في الشتا وخرج
صاحب حلب بعسكره فنزل بارض كفرطاب ودام الحصار الى ان قدم البادراي
للصلح بين صاحب حلب وبين السلطان على ان تقر حمص بيد صاحب حلب فوقع الاتفاق

على ذلك وترحل السلطان عن حمص لمرض السلطان ولان الفرنج تحركوا وقصدوا مصر
وترحل السلطان الى الديار المصرية لذلك وهو في محفة وكان الناصر صاحب الكرك
قد بعث شمس الدين الخسروشاهي الى السلطان وهو بدمشق يطلب منه خبزا
بمصر والشوبك لينزل عن الكرك فبعث السلطان تاج الدين بن مهاجر في ابرام
ذلك الى الناصر فرجع عن ذلك لما سمع بحركة الفرنج وطلب السلطان نائب مصر
جمال الدين بن يغمور فاستنابه بدمشق وبعث عوضه الى مصر حسام الدين بن ابي علي
ثم دخلها في ثالث محرم سنة سبع وسار السلطان فنزل باشموم طناح لكونها في مقابلة
الفرنج ان قصدوا دمياط وتواردت الاخبار بان ريدافرنس مقدم الافرنسيسية
قد خرج من بلاده في جموع عظيمة وشتا بجزيرة قبرص وكان من اعظم ملوك الافرنج
واشدهم باسا وريدا بلسانهم الملك وشحن دمياط بالذخاير واحكمت الشواني
ونزل فخر الدين بن الشيخ بالعساكر فنزل على جزيرة دمياط فاقبلت مراكب الفرنج فارست
في البحر بازاء المسلمين في صفر ثم شرعوا من الغد في النزول الى البر الذي فيه المسلمون
وضربت خيمة حمراء لريدافرنس وناوشهم القتال فقتل يومئذ الامير نجم الدين بن شيخ
الاسلام والامير الوزيري فرحل فخر الدين بن الشيخ بالناس وقطع بهم الجسر الى البر
الشرقي الذي فيه دمياط وتقهقر الى اشموم طناح ووقع الخذلان على اهل دمياط
فخرجوا منها طول الليل على وجوههم حتى لم يبق بها احد وكان هذا من فخر الدين
فان دمياط كانت في نوبة سنة خمس عشرة وستمائة اقل ذخاير وعددا وما قدر
عليها الفرنج الا بعد سنة وانما هرب اهلها لما راوا هرب العساكر وعلموا مرض السلطان
فلما اصبح الفرنج ملكوها صفوا بما حوت من العدد والاسلحة والذخاير والغلال
والمجانيق وهذه مصيبة لم يجر مثلها ولما وصلت العساكر واهل دمياط الى السلطان
حنق على الكنانية الشجعان الذين كانوا بها فشنقوا جميعا ثم رحل بالجيش وسار
الى المنصورة فنزل بها في المنزلة التي كان ابوه نزلها وبها قصر بناه الكامل ووقع
النفير العام في المسلمين فاجتمع بالمنصورة امم لا يحصون من المطوعة والعربان والحرافشة
وشرعوا في الاغارة على الفرنج ومناوشتهم وتخطفهم واستمر ذلك اشهرا هذا والسلطان
يتزايد مرضه والاطباء قد ايسوا منه لاستحكام السل به واما الكرك فان صاحبها سافر الى

بغداد

بغداد فاختلف اولاده وساروا حرمهم الى الملك الصالح فسلموا اليه الكرك ففرح بها السلطان
مع ما هو فيه من الامراض ورتب بلاده وبعث اليها الطواشي بدر الدين الصوابي نائبا
وقدم عليه اولاد الناصر داود فبالغ في اكرامهم واقطعهم اخبازا جليلة الى ان قال ابن واصل
في سيرة الصالح وكان مهيبا عزيز النفس سها عالها حسنا عفيفا طاهر اللسان والذيل
لا يرى الهزل ولا العبث شديد الوقار كثير الصمت اشترى من المماليك الترك ما لم يشتره
احد من اهل بيته حتى صاروا معظم عسكره ورجحهم على الاكراد واشترى وامر خلقا
منهم وجعلهم بطانته والمحيطين بدهليزه وسماهم البحرية حكى لي حسام الدين بن ابي علي
ان هؤلاء المماليك مع فرط جبروتهم وسطوتهم كانوا ابلغ من يعظم هيبة السلطان
فكان اذا خرج وشاهدوا صورته يرعدون خوفا منه وانه لم يقع منه في حال غضبه
كلمة قبيحة قط اكثر ما يقول اذا شتم يا متخلف وكان كثير الباه بجواريه فقط ولم يكن
عنده في اخر وقت غير زوجتين احداهما شجر الدر والاخرى بنت العالمة تزوجها
بعد مملوكه الجوكندار وكان اذا سمع الغناء لا يتزعزع ولا يتحرك وكذلك الحاضرون
يلتزمون حالته كانما على رؤوسهم الطير وكان لا يستقل احد من ارباب دولته بامر بل يراجع
بالقصص مع الخدام فيوقع عليها بما يعتمده كتاب الانشاء وكان يحب اهل الفضل والدين
وما كان له ميل الى مطالعة الكتب وكان كثير العزلة والانفراد وله نهمة في اللعب
بالصوالجة وفي انشاء الابنية العظيمة الفاخرة وقال غير ابن واصل في سيرة الملك
الصالح كان ملكا مهيبا جبارا ذا سطوة وجلالة وكان فصيحا حسن المحاورة عفيفا
عن الفواحش فاكثر مماليكه الترك وجرى بينه وبين عمه اسمعيل امور وحروب الى ان
اخذ نوابه دمشق عام ثلاث واربعين وذهب اسمعيل الى بعلبك ثم اخذت من اسمعيل
بعلبك وتعثر والتجأ الى الناصر صاحب حلب ولما خرج الملك الصالح من مصر الى الشام
خاف من بقا اخيه فقتله سرا فلم يمتع ووقعت الاكلة في جسده بدمشق ونزل الافرنسيس
ملك الفرنج بجيوشه على دمياط فاخذها فسار اليه الملك الصالح في محفة حتى نزل بالمنصورة
عليلا ثم عرض له اسهال الى ان توفي ليلة النصف من شعبان بالمنصورة واخفي موته حتى
احضر ولده الملك المعظم من حصن كيفا وملكوه بعده وذكر سعد الدين ابن عم فخر الدين
نائب السلطنة امر بتحليف الناس لولده الملك المعظم ولولي عهده فخر الدين فنفر من ذلك وطلبوا

الناس يحلفوا الا اولاد الناصر فتوقفوا وقالوا نشتهي ان نبصر السلطان فدخل خادم
وخرج وقال السلطان يسلم عليكم وقال ما يشتهي ان تروه في هذه الحالة وقد رسم لكم
ان تحلفوا فحلفوا وحاشيتهم من كل ناحية راحت الكرك منهم واسودت وجوههم عند
ابيهم بعدمهم وكان السلطان الذي املوه ثم عقيب ذلك نفوهم من مصر ونفذ الامير فخر
الدين يستحلف الايمان الى البلاد **قلت** وكانت ام ولده شجر الدر ذات راي وشهامة
فدبرت الملك مدة شهرين واكثر وجرت لها امور وخطب لها على المنابر وبقي الملك
بعده في مواليه الاتراك والى اليوم وتربته بجوار مدرسته بالقاهرة **سنة ثمان واربعين**
وستمائة استهلت والفرنج على المنصورة والجيش المصري بازائهم وقد ضعف حال
الفرنج لانقطاع الميرة عنهم ووقع في خيلهم مرض وموت وعزم ملكهم الفرنسيس على
ان يركب في اول الليل ويسير الى دمياط فعلم المسلمون بذلك وكان الفرنج قد عملوا
جسرا عظيما من الصنوبر على النيل فسهوا عن قطعه فعبر منه المسلمون في الليل الى برهم
وجاءهم على حالها وبعلمه فبدوا في المسير واحدق المسلمون بهم يتخطفونهم طول الليل
قتلا واسرا فالتجوا الى قرية تسمى منية ابي عبد الله وتحصنوا بها وادار المسلمون حولها
وظفر اسطول المسلمين باسطولهم فغنموا جميع المراكب بمن فيها واجتمع الى الفرنسيس
خمسمائة فارس من ابطال الفرنج وقعد في حوش المنية وطلب الطواشي رشيد والامير
سيف الدين القيمري فحضروا اليه فطلب منهم الامان على نفسه وعلى من معه وان لا
يدخلوا بهم السوقة والرعاع فاجاباه وامناه وهرب باقي الفرنج على وجوههم ولحقهم المسلمون
بهم وبقوا جملة وحملت في ابدان الفرنج ولم ينج منهم سوى فارس رمى نفسه بجواده
في البحر فغرقوا وغنم المسلمون منهم ما لا يوصف واستغنى خلق وانزل الفرنسيس في
حراقة واحدقت به مراكب المسلمين تضرب فيها الكوسات والطبول وفي البر الشرقي
العسكر سائر منصورا والبر الغربي فيه العربان والعوام في لهو وسرور بهذا
الفتح العظيم والاسرى تقاد في الحبال وذكر سعد الدين في تاريخه لو اراد ان ينجو
بنفسه لخلص على خيل سبق وفي حراقة لكنه اقام في الساقة يحمي اصحابه وكان في
الاسرى ملوك وكنود واحصي عدة الاسرى فكانوا نيفا وعشرين الف ادمي والذي غرق
وقتل سبعة الاف فارس نفس فرايت القتلى وقد ستروا وجه الارض من كثرتهم وكان

الفارس

الفارس العظيم يأتيه ويتلقى بترسه وبالله كان ذلك يوما لم يشاهد المسلمون
ولا يسمعوا مثله ولم يقتل في ذلك اليوم من المسلمين مائة نفس ونفذ الملك المعظم للفرنسيس
وللملوك والكنود خلعا وكانوا نيفا وخمسين فلبس الكل سواه وقال انا بلادي بقدر
بلاد صاحب مصر كيف البس خلعته وعمل من الغد دعوة عظيمة فامتنع الملعون ايضا
من حضورها وقال انا ما اكل طعامه وما احضرني الا ليهزأ بي عسكره ولا سبيل الى هذا وكان
عنده عقل وثبات ودين فيهم كانوا يعتقدون فيه وكان حسن الخلقة واستعرض المعظم الاسرى
فاخذ اصحاب الصنايع ثم امر بضرب اعناق الجميع وقال لغيره ثم حبسوا الافرنسيس بالمنصورة
بدار الطواشي صبيح مكرما غاية الكرامة وفي ذلك الصاحب جمال الدين بن مطروح

قل للفرنسيس اذا جئته ... مقال صدق من قؤول فصيح
اتيت مصر تبتغي ملكها ... تحسب ان الزمر يا طبل ريح
فساقك الحين الى ادهم ... ضاق به عن ناظريك الفسيح
وكل اصحابك اودعتهم ... بحسن تدبيرك بطن الضريح
تسعين الفا لا ترى منهم ... الا قتيلا او اسيرا جريح
وقل لهم ان اضمروا عودة ... لاخذ ثار او لعقد صحيح
دار ابن لقمان على حالها ... والقيد باق والطواشي صبيح

وكان هذا النصر العزيز في
اول يوم من السنة وبقي الفرنسيس في الاعتقال الى ان قتل السلطان الملك المعظم بن
الصالح فدخل حسام الدين بن ابي علي في قضيته على ان يسلم الى المسلمين دمياط ويحمل
خمسمائة الف دينار فاركبوه بغلة وساقت معه الجيوش الى دمياط فما وصلوا الا
والمسلمون على اعلاها بالتهليل والتكبير والفرنج الذين بها قد هربوا الى المراكب واخلوها
فخاف الفرنسيس واصفر لونه فقال الامير حسام الدين هذه دمياط قد حصلت لنا
وهذا الرجل في اسرنا وهو اعظم النصرانية وقد اطلع على عوراتنا والمصلحة ان لا نطلقه
وكان قد تسلطن الملك المعز ايبك الصالحي فقال الحاضرون الغدر وامر به فركب في البحر
الرومي في شيني وذكر حسام الدين انه سأله عن عدة العسكر الذين قدم بهم فقال كان
معي تسعة الاف وخمسمائة فارس ومائة الف وثلاثون الف طفشي سوى الغلمان والسوقة
والبحارة وقال سعد الدين اتفقوا على ان يسلم الافرنسيس دمياط وان يعطي هو
والكنود ثمانمائة الف دينار عوضا عما كان بدمياط من الحواصل ويطلقوا اسرى
المسلمين فحلفوا على هذا وركب العسكر ثاني صفر وسعوا ونفعوا حول دمياط الى
قرب الظهر ودخل الناس اليها ونهبوا وقتلوا من بقي من الفرنج فضربتهم الامراء واخرجوهم

وقوموا الحواصل التي تلفت بأربع مائة ألف دينار واخذوا من الملك الافرنسيس اربعمائة الف دينار واطلقوه العصر هو وجماعة من الخذول وارخى شعني إلى البطش وانفذ رسولا إلى الامرا يقول ما رايت اقل عقل ولا دين منكم اما قلة دين فقتلتم سلطانكم واما قلة العقل فكون مثلي ملك البحر وقع في ايديكم بعتموه باربعمائة الف دينار ولو طلبتم مملكتي دفعتها لكم حتى اخلص وجا إلى دمشق كتاب الملك المعظم وفيه ولما كان يوم اول السنة فتحنا الخزاين وبذلنا الاموال وفرقنا السلاح وجمعنا العربان والمطوعة واجتمع خلايق فلما راى العدو ذلك طلب الصلح على ما كان ايام الكامل فابينا فلما كان الليل تركوا خيامهم واثقالهم وقصدوا دمياط هاربين وطلبناهم وما زال السيف يعمل في اقفيتهم عامة الليل والى النهار فقتلنا منهم ثلاثين الفا غير من القى نفسه في اللجج واما الاسرى فحدث عن البحر ولا حرج وطلب الفرنسيس الامان فامناه واخذناه واكرمناه وتسلمنا دمياط وارسل المعظم إلى نايب دمشق ابن يغمور بغفارة الافرنسيس فلبسها وهي سقرلاط احمر بفرو سنجاب فكتب إلى السلطان بيتين لابن اسرايل

اسيد املاك الزمان باسرهم تنجزت من نصر الاله وعوده
فلا زال مولانا يبيح حمى العدا ويلبس اسلاب الملوك عبيده

وفيها وصل الملك السعيد بن الملك العزيز صاحب بانياس والصبيبة من مصر وحبس بعزتا وفي الثامن والعشرين من المحرم قتلوا السلطان الملك المعظم وسلطنوا عليهم عز الدين ايبك التركماني ورجعوا إلى القاهرة وكاتبوا امرا الشام فمال اكثر الترك إلى دهليز السلطان وحلفوا لشجر الدر ولنايبها الامير عز الدين التركماني وفي صفر شرعت شجر الدر في الخلع للامرا واعطتهم الذهب والخيل واطلقوا جماعة اسرى من الفرنج فيهم مائة فارس وفي اول ربيع الاول دفعوا حجة فخر الدين بن الشيخ وزيادة بلده ضياع للفارس دون اقطاي الجمدار وحود واعتق امرا الى غزة مقدمهم خاص ترك الكبير ونفوا اولاد الناصر داود وفي ربيع الاخر خرج عسكر مصر جميعه لاجل حركة الحلبيين قلت فسار الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب حلب بمن معه من الملوك والعساكر لاخذ البلاد والانتقام ممن قتل السلطان واقام غزة فلما قرب الناصر من دمشق ارسل النايب جمال الدين بن يغمور والقيمرية إلى عزتا ثم خرجوا الى الملك العزيز

الي

الى دمشق واحترموه واسكنوه دار فرخشاه ونزل الملك الناصر بالقصير ثم انتقل الى داريا ورجعوا على دمشق في تاسع ربيع الاخر عند باب الصغير وكان متسلما الى ضيا الدين القيمري وهو عند باب الجابية كان متسلما الى ناصر الدين القيمري فلما وصلوا الى الباب كسر لهم الاقفال من داخل وفتح لهم الابواب فدخلوا ونهبت دار جمال الدين بن يغمور وسيف الدين المشد وعسكر دمشق واخذت خيولهم وامتعتهم ودخل ابن يغمور الى القلعة ثم نودي بالامان ودخل الملك الناصر يوسف القلعة وكان الملك الناصر داود بن المعظم نازلا بالعقيبة فجاه ابن الملك العزيز الذي كان محبوسا بعزتا فبات عنده ثم قام بليل فساق الى الصبيبة وكان بها خادم له قد كاتبه ففتح له الخادم بابها فدخل وتسلمها واما الملك الناصر فتسلم بعلبك وصرخد ثم تمرض السلطان وخرج الى المزة فبعث ناصر الدين القيمري ونظام الدين بن المولى الحلبي الى الناصر داود وكان نازلا بالقابون فخرج معهما الى السلطان فقبض عليه ثم بعث به الى قلعة حمص فاعتقله بها وانزل حرمه واولاده بالخانقاه الشبلية عند ثورا وقال سعد الدين في ربيع الاخر اراد جماعة من البحرية الفتك بعز الدين التركماني فمسك منهم قوما وحلف الاهل لهم اخي وفي هذه الشهر في كل يوم يخرج اثنين ثلاثة من البحرية والمماليك يزوجهم الستكوا من القلعة واخرجت معهم نعما عظيمة ثم مسكوا امرا الاكراد سيف الدين القيمري وجمال الدين هارون والشرف الشيربي والعز القيمري وعلا الدين بن الشهاب والحسام ابن الغبيني وقطب الدين فراب صاحب السويدا وناصر الدين التبنيني وشرف الدين بن المعتمد الذي كان والي قلعة دمشق وشمس الدين بن تكا الذي كان والي دمشق والشجاع الحاجب ثم في الثامن والعشرين منه تسلطن عز الدين ايبك وركب بابهة الملك ثم في ثاني جمادى الاولى استقال منها وحلف العسكر للملك الاشرف بن صلاح الدين بن المسعود اقسيس بن الكامل وله ثمان سنين وبقي عز الدين اتابكه وقطعوا خبزي وفيه امروا البندقدار واخرجوا جماعة امرا من حبس الصالح ومنهم بدر الدين بوبيش وعلا الدين شمايل ولولو الباسلي وناصر الدين بن برطاس واخرين وهرب خاص ترك الكبير والشهاب رشيد الكبير وشهاب الدين بن العزيز وجماعة امرا وراحوا الى الكرك وجا الخبر ان الملك المغيث بن العادل استولى على الكرك بعد ايام قبض المغيث على شيد

الكبير وعلي ابن العزيز مكانتهم الحلبية ومسك المعز عدة امرا فاسرف قلت ثم سار
السلطان الملك الناصر يريد الديار المصرية باشارة نائبه شمس الدين لولو والجماعة عليه
وكان يستهزئ بعسكر مصر ويقول آخذها بمائتي فارس وكانت نائبه كتب من مصر
فساروا وتقدم جمال الدين بن يغمور وسيف الدين المشد بجمهور الجيش وانفرد لولو
وضيا الدين القيمري وبرز الصالحية وكان الملتقى عند الصالحية في اخر الرمل فانكسرت
الصالحية ومشت اثقالهم وانهزم طائفة منهم الى الصعيد وخطب في ذلك اليوم
بالقاهرة وبقلعة مصر للملك الناصر وبات جمال الدين بن يغمور تلك الليلة بالعباسة
واحمى الحمام للسلطان وهيا الاقامات هذا والسلطان فما عنده خبر من نصرة وهو
واقف بسناجقه وخزائنه وخواصه واما الصالحية فلما داروا الكرة ساق عز الدين
١ ايبك التركماني الذي تسلطن والفارس اقطاي في ثلثمائة فارس هاربين طالبين
الشام فمروا في طريقهم بالشمس لولو والضيا القيمري فاتفقوا على تعبية فحملوا
عليهم لولو وحملوا عليه فقطعوا رايه واسروه وقتلوا ضيا الدين ثم قتلوا لولو صبرًا
بين يدي التركماني لانهم بلغهم استخفافه بهم وقوله انا اخذ مصر بمائتي قناع ثم ساقوا
فاعترضوا طلب السلطان فخامر جماعة من الامراء العزيزية عليه وانحازوا الى التركماني
وحملوا على السلطان وعطفوا به على الطلب وكسروا سناجق السلطان ونهبوا الخزائن
ورموا بالنشاب فاخذ نوفل البدوي السلطان والخاصكية ومضى بهم سوقًا الى
دمشق وكان معه الملك المعظم توران شاه واسروا اخاه النصير بن صلاح الدين
والملك الاشرف موسى بن صاحب حمص والملك الصالح اسمعيل بن العادل والملك
الزاهر بن صاحب حمص والشريف المرتضى فمات تاج الملوك من جراحة فحمل ودفن بالقدس
وجرح حسام الدين القيمري فحمل الى القدس فمات به وجاءت الشريف المرتضى هدامة
بسيف في وجهه فقال بقيت ملقى في الرمل يومًا وليلة والدم يخرج مني فبعث الله لي الملك
الصالح بن صاحب حمص فخيط وجهي بمسلة وحملني وعاينت الموت وتمزقت طائفة كسيرة
من الجيش ومشوا في الرمال وتفرقوا ودخلت الصالحية بالاسارى والسناجق مكسرة
والخيول والطبول مشققة فلما عبروا على تربة السلطان الملك الصالح نجم الدين
احاطوا بالصالح اسمعيل وصاحوا يا خوند اين عينك ترى عدوك ثم رموا الاسارى في الجب

وجمعوا

وجمعوا بين الصالح وبين اولاده ايامًا ثم افردوه واعدموه سرًّا ولم يدر اين دفن وذكر
سعد الدين انه قتل في هذه الوقعة مع شمس الدين لولو حسام الدين المذكور وناصر الدين
الامير سيف الدين القيمري والامير ضيا الدين القيمري والامير سعد الدين الحميدي
وكان امرا الدولة الشامية محبوسين في قلعة مصر منهم ابن يغمور ناصر الدين وسيف
الدين القيمري ومقدم الجواد ربيه صهر الملك الناصر يوسف فخرجوا من الحبس لما خطب
ذلك اليوم للناصر وصاحوا الملك الناصر يا منصور فجا الترك ودخلوا القلعة وشنقوهم
سوى ابن يغمور فانه لم يوافقهم بالجا وقعد على باب دار حرم التركماني وحماها وكان
الملك الناصر يوسف بعث الصاحب كمال الدين بن العديم رسولاً الى بغداد الى الخليفة
ليحيه بتقليد السلطنة فدخلها في شعبان وفي وسط السنة اخلى المعز لملك العزيز قلعة
الجزيرة التي قبالة مصر وقطعوا الجسر الذي على النيل وترك بها نحو مائة نفس
يحفظون ابراجها وكان الملك الصالح قد انشاها في ايامه وغرم عليها اموالا عظيمة لا
تحصى وكان مكانها دور ومساجد ونخل وبستان فخرب المساجد والدور وكثر
الدعاء عليه لذلك ثم بعثوا الحجارين لخراب سور دمياط باتفاق من امراء الترك ثم احضروا
بعد ايام ابوابها الى مصر وقبض المعز في هذه الايام على طائفة من الامراء والمفاردة
وفيها كثرت الحرامية ببغداد وصار لهم مقدم يقال له عبيد ونجروا على دور الاكابر
وفيها مادت طائفة من الجند ببغداد ومنعوا يوم الجمعة الخطيب من الخطبة واستغاثوا
لاجل قطع ارزاقهم وكل ذلك من عمل الوزير بن العلقمي الرافضي وكان حريصًا على زوال
دولة بني العباس ونقلها الى العلويين والرسل بينه في السر بينه وبين التتر والمستعصم
بالله تايه في لذاته لا يطلع على الامور ولا له غرض في المصلحة وفيها حج طائفة من
العراق ولم يحج احد من الشام ولا مصر لاضطراب الامور فاغلق صاحب مكة ابو سعد
ابواب مكة واخذ على الرأس دينارا ورتب اماما للزيدية في الحرم عنادا وتقربا الى
العلوي الخارج باليمن ومن زمان المستنصر بالله الى الان لم يخرج من بغداد ركب انما
يحج ناس ويحجون مع عرب البصرة بخفرهم وذلك لضعف الخلافة وخبث الوزير
قاتله الله وفيها فرغوا من خراب دمياط ونقل اهلها ونقلوا اخشاب بيوتهم وابوابها
وتركوها خاوية على عروشها ثم بنى بليدة قرب منها تسمى المنشية وكان سور دمياط من

على الله سنة تسع واربعين وستمائة فيها دخل الملك الناصر دمشق فانه اقام على
غزة حتى تراجع اكثر عسكره وفيها جا عسكر مصر فنزلوا على غزة والساحل ونابلس وحكموا
على بلاد فلسطين فجهز الملك الناصر جيشا وطائفة النجدة فسار عسكره الى غزة وتقهقر
المصريون الى بلادهم واقام عسكر الشام على غزة سنين واشهرا وترددت الرسل
بين الملك المعز وبين الملك الناصر يوسف وفيها تملك الملك المغيث ابن الملك
العادل بن الكامل الكرك والشوبك اعطاه اياها الطواشي صواب متوليها وفيها
قصد الفارس وطايا غزة في الف فارس وفيها تزوج الملك المعز شجر الدر حظية
الملك الصالح استاذه على صداق مبلغه ثلاثين الف دينار وفيها خاصر لولو صاحب
الموصل لتزوج بنت الملك المسعود بن المعظم الاتابكي صاحب الجزيرة واخذها منه
وانزله من القلعة وقبضه ثم غرقه وسلطن بالجزيرة ولده واراق على اهلها كثيرا من المكوس
وكان المصريون في هذا العام في جور عظيم ومصادرة لكل احد حتى احاد الناس
واخذ واموال الاوقاف ومال الايتام على نية القرض ومن ارباب الصنايع ومن الاطبا
ومن الشهود سنة خمسين وستمائة فيها وصلت التتار الى اطراف ديار بكر
وميافارقين وسروج فعاثوا وقتلوا اكثر من عشرة الاف واخذوا قفلا كبيرا قد قدم
من الشام يكون ستمائة جمل وقتل منه فقد ممن كان قتلوا في هذه السنة وفيها حج الركب
العراقي بعد انقطاعه عشر سنين وفيها توجه بدر الدين البادراي رسول الخليفة
من دمشق الى الملك المعز ايبك فاصلح بين الناصر والمعز وكان كل واحد من الطائفتين
قد تعبهم وضرسهم الحرب وقرر ان يكون غزة والقدس للمعز ونابلس وما يليها
للناصر وكان معه نظام الدين بن المولى فرجع بالصلح في اول سنة احدى وخمسين
وسكنت الفتنة ولله الحمد على كل حال الصاغاني الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر
ابن علي العلامة رضي الدين ابو الفضايل القرشي العدوي العمري الصغاني الاصل
الهندي اللهوري المولد البغدادي الوفاة المكي المدفن المحدث الفقيه الحنفي اللغوي
صاحب التصانيف ولد بمدينة لوهور في عاشر صفر سنة سبع وسبعين وخمسمائة ونشأ
بغزنة ودخل بغداد سنة خمس عشرة وستمائة وذهب منها بالرسالة الشريفة الى صاحب
الهند سنة سبع عشرة فبقي مدة وقدم سنة اربع وعشرين ثم اعيد اليها رسولا على ميثق فما

رجع

رجع الى بغداد الى سنة سبع وثلاثين وقد سمع بمكة من ابي الفتوح نصر بن الحصري وسمع
باليمن من القاضي ابرهيم بن احمد بن ابي سالم العريضي وسمع بالهند من القاضي سعد الدين
خلف بن محمد المسابادي والنظام محمد بن الحسن المرغيناني وسمع ببغداد من ابي منصور سعيد
ابن محمد بن الرزاز وكان اليه المنتهى في معرفة اللسان العربي صنف كتاب مجمع البحرين في
اللغة اثنا عشر مجلدا وكتاب العباب الزاخر في اللغة عشرون مجلدا ولم يتمه وكتاب الشوارد
في اللغات مجلد وكتاب توشيح الدريدية وكتاب التراكيب وكتاب فعال وكتاب فعلان
وكتاب الانفعال وكتاب يفعول وكتاب الاضداد وكتاب العروض وكتاب اسما العادة
وكتاب اسما الاسد وكتاب اسما الذيب وكتاب معرب ... الحريري وكتابان في علم الحديث
وسائر هذه تصانيف لطاف قال شيخنا الدمياطي وجميعها لي بها نسخ وله من المصنفات
ايضا كتاب مشارق الانوار في الجمع بين الصحيحين وكتاب مصباح الدجى وكتاب
الشمس المنيرة وكتاب شرح البخاري في مجلد وكتاب در السحابة في وفيات الصحابة
وكتاب الضعفا وكتاب الفرائض وكتاب تكملة العزيزي وكتاب شرح ابيات المفصل شرح
المفصل وغير ذلك قال الدمياطي وكان شيخا صالحا صدوقا صموتا عن فضول الكلام
اماما في اللغة والفقه والحديث قرات عليه يوم الاربعاء وتوفي ليلة الجمعة تاسع عشر
شعبان وحضرت دفنه بداره بالحريم الطاهري ثم نقل بعد خروجي من بغداد الى مكة
فدفن بها وكان اوصى بذلك واعد خمسين دينارا لمن يحمله الى مكة اخبرنا عبد المومن بن
خلف الحافظ انه قرا على ابي الفضايل الحسن بن محمد القرشي وغيره ببغداد اخبركم ابو
الفتوح النهاوندي بمكة انا ابو طالب محمد بن محمد العلوي انا علي بن احمد التستري انا ابو عمر
القاسم بن جعفر انا ابو علي اللؤلؤي نا ابو داود نا عثمان بن ابي شيبة نا يحيى بن زكريا
ابن ابي زائدة ويزيد بن هرون عن هشام بن حسان عن محمد عن عبيدة عن علي رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم الخندق حبسونا عن صلاة الوسطى صلاة العصر
ملا الله بيوتهم وقبورهم نارا الطبقة السادسة والستون سنة احدى وخمسين
وستمائة استهلت وسلطان مصر الملك الاشرف بن صلاح الدين بن قيسر واتابكه
الملك المعز ايبك وسلطان الشام الا النسر الملك الناصر يوسف وفيها رجع البادراي
ونظام الدين بن المولى من القاهرة بخلاص الذين اسرتهم البحرية في وقعة الصالحية باخر الرمل

في سنة ثمان واربعين ومات الملك المعظم توران شاه بن السلطان صلاح الدين واخوه النصرة
والملك الاشرف بن صاحب حمص واولاد الملك الصالح اسمعيل وشهاب الدين القيمري
وفيها سار طايفة من عسكر الملك الناصر من لوا عكا ثم ملكوا كرها نه واحرقوا الطواحين
وساقوا الى صيدا فاخذوها اما بالسيف وهرب اهلها الى قلعتها وفيها خربوا قلعة الجيب
وفيها منعوا الوعاظ وفي اخرها وقيل في الاتية قدمت ابنة السلطان علا الدين الروم
على زوجها السلطان الملك الناصر وفي خدمتها شوباشي معه خمسماية فارس وجهازها
ونقلها على الف جمل وبعضها بالطلس مكلله بالجوهر والذهب فبسط البسط بين يدي
دابتها وكان يوما مشهودا وعمل لها عرس لم يسمع بمثله من الاعياد وبني بنت ابنة السلطان
العادل بدمشق وفيها تقرر الصلح بين المصريين والملك الناصر على ان يكون للمصريين غزة
والقدس وحلفوا على ذلك وقطع بمصر خبز الامير حسام الدين بن ابي علي فاستاذن في
المضي الى الشام فاذن له فقدم على الناصر فاحترمه واعطاه خبزا جليلا وعظم الفارس /بجهاده صح
اقطاي بمصر وصار يركب بشاويش وعظم والتف عليه البحريه والجمداريه وكانوا في
بيت سلطنته ونزل ركن الدين بيبرس البندقداري بعض دار الوزاره وصار من كبار امرا
الدوله وكذلك سيف الدين بلبان الرشيدي وشمس الدين سنقر الرومي وشمس الدين
سنقر الاشقر وعز الدين الافرم وهم من حزب الفارس والملك المعز خايف من نوبتهم وكان
الناصر والعزيزيه من حزبه فاخذوا في الحيله على اهلاك الفارس وكانت الوقعه الجمعه
وخرج من دمشق ركب عظيم وسبيل كبير ولكن كان الغلا بمكه شديدا ابيع شربة الما
بدرهم والشاه باربعين درهما ومضو ورد ولعايتها سنه اثنين وخمسين
وستماية فيها اقطع الملك المعز لايدغدي العزيزي دمياط فوق خبزه وفيها جات
الاخبار ان نارا ظهرت في ارض عدن بجبالها وكان يطير شررها في الليل الى البحر ويصعد
منها دخان عظيم في النهار وخاف اهل اليمن وتاب بعضهم وفيها ظهر بالمغرب خارجي
وتسمى المستنصر بالله واظهر العدل واستولى على افريقيه وبنى برجا وكان يجلس فيه وكان
يجلس تحته القاضي والوزير والمحتسب والوالي يقضون امور الناس بحيث يراهم ويسمعهم
وفيها رجع الشريف المرتضى الحلبي من الروم واحضر معه ابنة ملك الروم علا الدين كيقباد
وامها ابنة السلطان الملك العادل وقد تزوجها الملك الناصر فعمل عرسه عليها بدمشق

وعملت

وعملت القباب ولعب الجيش واحتفلوا للعرس احتفالا عظيما وفيها توجه الفارس
اقطايا الى الصعيد ثانيا فقتل ونهب وعسف ولما رجع نزل بقلعة الجبل وهرب جماعة
من البحريه ومن قعد منهم قبض عليهم المعز واودعهم السجن وركبت العزيزيه ونهبوا
دور البحريه وابطل المعز يومئذ اسم الملك الاشرف وانزله الى عماته القطبيات
وركب الملك المعز في دست السلطنه وقدم البحريه على صاحب الشام ورايسهم سيف
الدين بلبان الرشيدي وركن الدين بيبرس البندقداري فبالغ في اكرامهم بالعطا
والخلع فلزموه في التوجه الى مصر لكونها مختبطه فقدم على الجيش الملك المعظم عم ابيه
فدهمهم الشتا بالغور وزادت الشريعه ووقع في خواصهم مرض وبقوا بالغور مده
ثم نزلوا غزه فبذل الملك المعز الاموال ونزل العباسه وخاف من العزيزيه الذين قفزوا
الى مصر سنه ثمان واربعين لانه بلغه ان الملك الناصر كاتبهم فقبض على كبارهم ونهب
خيمهم فبلغ ذلك الناصر ففتر وضعفت همته وكان الفارس اقطايا قد طغى وتجبر بحيث
انه اذا ركب الى القلعه يسير في موكبه الناس ويضربونهم ولا يلتفت على المعز ولا
على غيره والخزاين بحكمه ثم اراد ان يسكن في القلعه وان يخلي له دار السلطنه وطاش
واسرف فقتله المعز وهرب مماليكه قال شمس الدين الجزري في تاريخه حدثني عز الدين
ايبك الفارسي في سنه تسع وسبعين قال طلع استاذنا الى القلعه في شعبان على
عادته ورتب له المعز عشره منهم مملوكه قطز الذي تسلطن فقتلوه فركبت البحريه وغلمان
الفارس فبلغوا اسعايه واتوا القلعه فرمى براس الفارس اليهم فهرب طايفه الى الملك
المغيث وطايفه الى الشام وطايفه طلبوا الامان وكنت انا وخشداشي في اثني عشر مملوكا
قد اخذنا كل واحد فرسا وحصانا وهجينا وطلعنا من القاهره في الليل وقصدنا
البريه فوقعنا في تيه بني اسرايل فمشينا خمسه ايام في البريه ونحرنا بعض الهجن فاكلناه
ثم سرنا يوما وليله فلاح لنا في اليوم السابع عماره فقصدناها فلقينا صورة مدينة بابواب
واسوار جميعها زجاج اخضر فدخلناها فوجدنا الرمل يسع في اماكن منها وبعضه قد
وصل الى السقوف واكثر الاسواق ما فيها رمل بل الدكاكين على حالها وفيها قماش
فكنا نمسه فيصير هبا وكذلك اخشاب السقوف في النحاس قد تعب ووجدنا صينيه
نحاس فيها ميزان ذهبي فرفعناها فنعت ووجدنا فيها تسعه دنانير عليها صورة غزال

وعليها حروف عبرانية فبقينا يومنا ندور في تلك المدينة إلى أن وجدنا أثر شيخ فحفرنا فوجدنا رأس عين
فظهرت بلاطة فقلعناها فإذا أصبع ماء فشربنا وسقينا الدواب وتحرينا قربنا وهجينا
وشوينا اللحم على الشيح ثم تزودنا من الماء ونحن لا ندري أين نتوجه فسرنا يوما وليلة
فوقعنا على قبيلة عرب من بني مهدي فوصلونا إلى الكرك فأكرمنا المغيث ثم قصدنا
يهوديا بالنصف الدنانير وحكاه له فصاح وغشي عليه ثم قال هذا ضرب في زمان موسى
صلى الله عليه وسلم وهذه المدينة بنيت لما كان موسى في التيه بالزجاج الأخضر عوض
الحجارة وقد حصل لها طوفان رمل فتارة ينقص الرمل فتظهر جدرانها وتارة يغطيها الرمل
فبعناه الدينار بمائتي درهم وأضافنا وأعلم يهود الكرك فكانوا يأتوننا ويسألونا ويقولون
هذه المدينة الخضراء التي بناها موسى قال الحربي ثم حججت أنا فاكتريت من معان مع شخص
من بني مهدي إلى القدس فسألته فقال نعم بعد التيه وأنا ما رأيت شيئا لكن أخبرني
أبي أنه تصيد في التيه فوقع بمدينة خضراء ورأى حيطانها زجاجا أخضر قال فلما رجعت
أعلمت قومي فأخذوا أجمالا وسقوها زادا وماء ثم قصدنا تلك الأرض فلم نرها
وغيبت عنا وبعد كل مدة يراها واحد مصادفة ويقصد بها عرب تلك الناحية اليهود
ليزوروها فيقل من يراها. **مجد الدين بن تيمية** عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم
الخضر بن محمد بن علي الإمام شيخ الإسلام مجد الدين أبو البركات بن تيمية الحراني الحنبلي جد
شيخنا تقي الدين ولد في حدود السبعين وخمسمائة وتفقه في صغره على عمه الخطيب فخر الدين
ورحل إلى بغداد وهو ابن بضع عشرة سنة في صحابة ابن عمه السيف فسمع من أبي أحمد عبد
الوهاب بن سكينة وعمر بن طبرزد وضياء بن الخريف ويوسف بن كامل وعبد العزيز بن
الأخضر وعبد العزيز بن منينا وأحمد بن الحسن العاقولي وعبد المولى بن أبي تمام ودرة بنت
عثمان وجماعة وقرأ القراءات على عبد الواحد بن سلطان صاحب سبط الخياط وسمع بحران
من حنبل المكبر والحافظ عبد القادر وغير واحد روى عنه أبو محمد الدمياطي والإمام شهاب الدين
عبد الحليم ولده وأمين الدين عبد الله بن شقير والزاهد محمد بن عمر بن زماطر والجمال
عبد الغني بن منصور المؤذن ومحمد محمد الكنجي ومحمد أحمد بن القزاز وآخرون وتفقه عليه ابنه
والشيخ نجم الدين أحمد بن حمدان وجماعة وكان إماما حجة بارعا في الفقه والحديث وله يد طولى
في التفسير ومعرفة تامة بالأصول واطلاع على مذاهب الناس وله ذكاء مفرط ولم يكن في
زمانه

زمانه أحد مثله في مذهبه وله المصنفات النافعة التي انتشرت في الآفاق كالأحكام
وشرح الهداية وقد بيض منه ربعه الأول وصنف أرجوزة في القراءات وكتابا في أصول
الفقه وحدثني شيخنا تقي الدين قال كان الشيخ جمال الدين بن مالك يقول ألين للشيخ مجد
الدين الفقه كما ألين لداود الحديد وحدثني أيضا أن الصاحب محيي الدين يوسف بن الجوزي
اجتمع بالشيخ المجد فانبهر له وقال هذا ما عندنا ببغداد مثله ولما حج التمسوا منه أن يقيم
ببغداد فامتنع واعتل بالأهل والوطن قال شيخنا وكانت في جدنا حدة وقد قرأ عليه
القراءات غير واحد منهم الذي كان يطلب ملأ الغنم وأنى وحج سنة إحدى وخمسين
وفيها حج الشيخ شمس الدين ابن أبي عمر فلم يقض لهما اجتماع قال شيخنا وحكى البرهان
المراغي أنه اجتمع بالشيخ المجد فأورد نكتة عليه فقال المجد الجواب عنها من ستين وجها
الأول كذا والثاني كذا وسردها إلى آخرها ثم قال للبرهان وقد رضينا منك بإعادة
الأجوبة فخضع وانبهر قال وكان الشيخ نجم الدين بن حمدان مع براعته في المذهب وتوسعه
فيه يقول كنت أطالع على الدرس وما أبقي ممكنا فإذا أصبحت وحضرت عند الشيخ ينقل
أشياء كثيرة لم أعرفها ولم أطلع عليها قال شيخنا وكان جدنا عجبا في حفظ الأحاديث
وسردها وحفظ مذاهب الناس وإيرادها بلا كلفة وحدثني شيخنا أبو محمد بن
تيمية أن جده ربي يتيما وأنه سافر مع ابن عمه ليخدمه ويشتغل وله ثلاث عشرة سنة
فكان يبيت عنده فيسمعه يكرر على مسائل الخلاف فيحفظ المسألة فقال الفخر إسماعيل
أيش حفظ هذا الصبي يعني الصبي فبدر وقال يا سيدي حفظت الدرس وعرضه في
الحال فبهت منه الفخر وقال لابن عمه هذا يجيء منه شيء وعرضه على الاشتغال فشيخه
في الخلاف الفخر إسماعيل وعرض عليه مصنفه جنة الناظر وكتب له عليه في سنة ست
وستمائة عرض علي الفقيه الإمام العالم أوحد الفضلاء ومثل هذه العبارة وأخرى
نحوها وهو ابن ستة عشر عاما وشيخه في الفرائض والعربية أبو البقاء العكبري وشيخه
في القراءات عبد الواحد المذكور وشيخه في الفقه أبو بكر بن غنيمة صاحب ابن المني وأقام
ببغداد ست سنين يشتغل ثم قدم حران واشتغل بها على الشيخ الفخر ثم رحل
إلى بغداد سنة بضع عشرة فازداد بها من العلوم وصنف التصانيف توفي رحمه الله
تعالى ورضي عنه في يوم عيد الفطر بحران **سنة ثلاث وخمسين** وستمائة دخلت

وعسكر الملك الناصر نازل على العوجا والملك المعز نازل على العباسة وطال المقام
الفريقين وكان الناصر قد اقطع البحرية اخبازا جليلة قال ابن واصل وفي رمضان
عزمت البحرية على القبض وكاتبوا الناصر ولم يوافقهم جمال الدين ايدغدي العزيزي واستشعر
الملك المعز منهم وعرف الخبر وعلموهم فهربوا على حمية وكبيرهم شمس الدين اقوش البرلي
ولم يهرب ايدغدي واقام بخيمه فجا المعز راكبا الى قرب بخيمه فخرج اليه ايدغدي فامر
المعزية فحمل على الدابة وقبض وقبض على الامير الاتابكي بخشا ونهبت خيام العزيزية كلهم بويند
بالعباسة ثم اصطلح الملكان على ان من الورادة وراح للمعز ٥ ذكر اسما اعيان البحرية سيف
الدين الرشيدي عز الدين ايدمر السيفي ركن الدين البندقداري شمس الدين سنقر
الاشقر سيف الدين قلاوون الالفي بدر الدين بيسري شمس الدين سنقر الرومي
سيف الدين بلبان المستعرب وفيها جاء بدمشق سيل عرم اخرب عدة دور بظاهر
البلد وبلغ ارتفاعه سته اذرع وزياده وفيها ولد الملك علاء الدين السلطان الناصر
من ابنة صاحب الروم واحتفلوا لذلك سنه اربع وخمسين وستماية خليفة
الوقت المستعصم بالله وصاحب الشام الملك الناصر وصاحب مصر المعز الكرك
والشوبك المغيث عمر بن العادل ابي بكر بن الملك الكامل وصاحب الموصل الملك الرحيم
لولو وصاحب ميافارقين الكامل محمد بن غازي بن الملك العادل ونايب اربل تاج
الدين بن صلايا العلوي وفي نايب حصون الاسماعيلية النهاية رضي الدين ابو المعالي
وصاحب صهيون وبرزيه مظفر الدين عثمان بن منكورس وصاحب حماه الملك المنصور
وصاحب تل باشر والرحبة وتدمر ورلوسا الاشرف موسى بن الملك المجاهد ابرهيم بن
صاحب حمص وصاحب مكة قتادة الحسني وصاحب ماردين الملك السعيد بن غازي
الارتقي وصاحب اليمن الملك المظفر يوسف بن عمر وصاحب الروم ركن الدين واخوه
عز الدين وصاحب خراسان وما وراء النهر والخطا القان ملك التتار ظهور النار
بالمدينة قال ابو شامة جا الى دمشق كتب من المدينة بخروج نار عندهم في خامس جمادى
الاخرة وكتبت الكتب في خامس رجب والنار بحالها بعد ووصلت الينا الكتب في شعبان
فاخبرني من اثق به ممن شاهدها بالمدينة انه بلغه انه كتب بتيما على ضوءها الكتب قال
وكان في بيوتنا بالمدينة بلك الليالي وكان في دار كل واحد سراجا ولم يكن لها حر ولا

لفح

لفح على عظمها انما كانت اية قال ابو شامة وهذه صورة ما وقفت عليه من الكتب
لما كانت ليلة الاربعا ثالث جمادى الاخرة ظهر بالمدينة دوي عظيم ثم زلزلة عظيمة
فكانت ساعة بعد ساعة الى خامس الشهر فظهرت نار عظيمة في الحرة قريبا من قريظة
نبصرها من دورنا من داخل المدينة كانها عندنا وسالت اودية منها الى وادي
شظا مسيل وقد سدت مسيل سيظا وما عاد يسيل والله لقد طلعنا جماعة نبصرها
فاذا الجبال تسيل نيرانا وقد سدت الحرة طريق الحاج العراقي فسارت الى ان
وصلت الى الحرة فوقفت ورجعت تسيل في الشرق فخرج من وسطها مهود وجبال
نار تاكل الحجارة فيها انموذج مما اخبر الله انها ترمي بشرر كالقصر كانه جمالات
صفر وقد اكلت الارض ولها الان شهر وهي في زيادة وقد عادت الى الحرار في
قريظة طريق الحاج الى بحر العراقي كلها نيران تشتعل نبصرها في الليل من المدينة
كانها مشاعل واما ام النيران الكبيرة فهي جبال نيران حمر وما اقدر اصف هذه
النار ومن كتاب اخر ظهر في شرقي المدينة نار عظيمة بينها وبين المدينة نصف يوم
انفجرت من الارض وسال منها وادي نار حتى حاذت جبل احد ثم وقفت ولا ندري
ماذا نفعل ووقت ظهورها دخل اهل المدينة الى نبيهم صلى الله عليه وسلم مستغفرين
تايبين الى ربهم ومن كتاب اخر في اول جمادى الاخرة ظهر بالمدينة صوت كالرعد
بقي يومين وفي ثالث الشهر تعقبه زلزال فتقيم بلاده ايام تقع في اليوم والليلة اربع عشرة
زلزلة فلما كان يوم خامسه انبجست الارض من الحرة بنار عظيمة يكون قدرها مثل
مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي براي العين من المدينة نشاهدها وهي ترمي
بشرر كالقصر وهي بموضع يقال له احيلين وقد سال من هذه النار واد يكون مقداره
اربعة فراسخ وعرضه اربعة اميال وعمقه قامة ونصفا وهو يجري على وجه الارض
ويخرج منها امهاد وجبال صغار وتسير على وجه الارض وهو صخر يذوب حتى يبقى
مثل الانك فاذا خمد صار اسود وقبل الجمود لونه احمر وقد حصل اقلاع عن المعاصي
وتقرب بالطاعات وخرج امير المدينة عن مظالم كثيرة ومن كتاب قاضي المدينة سنان
الحسيني يقول في التاريخ لقد زلزلت مرة ونحن حول الحجرة النبوية فاضطرب
لها المنبر والقناديل ثم طلع في راس احيلين نار عظيمة مثل المدينة العظيمة وما بانت لنا

الا ليلة السبت واستغفرنا منها وطلعت الى الامير وكلمته وقلت قد احاطنا العذاب
ارجع الى الله فاعتق كل مماليكه ورد على جماعة اموالهم فلما فعل ذلك قلت اهبط
معنا الى النبي صلى الله عليه وسلم فهبط وبتنا ليلة السبت الناس جميعهم والنسوان
واولادهم وما بقي احد لا في النخل ولا في المدينة الا عند النبي صلى الله عليه وسلم واستغفرنا
منها وظهر ضوءها الى ان ابصرت من مكة ومن الفلاة جميعها ثم سال منها نهر من نار
واخذ في وادي احيلين وسد الطريق ثم طلع الى بحرة الحاج وهو بحر نار يجري وفوقه
جمر يسير الى ان قطعت وادي الشظاة وما عاد يجي في الوادي سيل قط لانها حرة
تجي قامتين في علوها والله يا اخي ان عيشتنا اليوم مكدرة والمدينة قد تاب اهلها
ولا بقي يسمع فيها رباب ولا دف ولا شرب وتمت تسير الى ان سدت بعض طريق الحاج
وكان في الوادي الينا منها قتير وخفنا انه يجينا واجتمع الناس ودخلوا عند النبي
صلى الله عليه وسلم ليلة الجمعة وقد طفي قتيرها الذي يلينا بقدرة الله والى الساعة ما
نقصت وما تلك ترمي مثل الجمال حجارة من نار ولها دوي ما يدعنا نرقد ولا ناكل ولا
نشرب وما اقدر اصف لك عظمها ولا ما فيها من الاهوال وابصرها اهل ينبع وندبوا
قاضيهم ابن اسعد وجاء وغدا اليها وما اصبح يقدر يصفها من عظمها وكتب يوم خامس
رجب والشمس والقمر من يوم طلعت ما يطلعان الا كاسفين ومن كتاب اخر من بعض
بني القاشاني يقول جرى عندنا امر عظيم الى ان قال في اثناء ظهر دخان عظيم في
السماء ينعقد حتى يبقى كالسحاب الابيض الى اخر النهار ظهر للناس النار تصعد
في الهواء حمرا كانها العلقة وعظمت ففزع الناس الى المسجد وابتهلوا الى الله وغطت
حمرة النار السماء كلها حتى بقي الناس في مثل ضوء القمر وايقنا بالعذاب وصعد القاضي
والفقيه الى الامير يعظونه فطرح المكس واعتق رقيقه كلهم ورد علينا كل ما كان
بيده وعلى غيرنا وبقيت كذلك اياما ثم سالت في وادي احيلين تنحدر مع الوادي الى الشظاة
حتى لحق سيلانها بحرة الحاج والحجارة معها تتحرك وتسير حتى كادت تقارب حرة العريض
ثم سكنت ووقفت اياما ثم عادت ترمي بحجارة من خلفها وامامها حتى بنت جبلين
خلفها وامامها وما بقي يخرج منها من بين الجبلين لسان لها اياما ثم انها عظمت الان
وسناها الى الان وهي تتقد كاعظم ما يكون ولها كل يوم صوت عظيم من اخر الليل الى

ضحوة

ضحوة والشمس والقمر كانهما منكسفان الى الان وكتب هذا ولها شهر **قلت** امر هذه
النار متواتر وهي مما اخبر به المصطفى صلى الله عليه وسلم حيث يقول لا تقوم الساعة
حتى تخرج نار من ارض الحجاز تضيء لها اعناق الابل ببصرى وقد حكى غير واحد ممن
كان ببصرى في الليل ورأى اعناق الابل في ضوئها قال ابو شامة وفي ليلة السادس عشر
كذا قال من جمادى الاخرة خسف القمر اول الليل وكسفت الشمس في غده كذا قال وقال
احمرت وقت طلوعها وغروبها وبقيت كذلك اياما متغيرة ضعيفة النور واتضح
بذلك ما صوره الشافعي من اجتماع الكسوف والعيد **قلت** هذا الكلام فيه بعض
ما فيه وقوله كسفت الشمس في غده دعوى ما علمت احدا وافقه عليها ولا رآها
غيره ثم بين مستنده باحمرار الشمس وضعف نورها وهذا لا يسمى كسوفا ابدا ولقد
كنت في رحلتي الى الاسكندرية وانا في المركب انظر الى الشمس قبل غروبها بساعة وهي
كانها نحاسة حمراء ما لها من النور شيء اصلا الى ان تتوارى وذلك لكثافة الابخرة التي بينه
ومثل هذا اذا وقع لا يصلى له صلاة الكسوف والنبي صلى الله عليه وسلم لم يسمعه يسمي ذلك
كسوفا فانه وصف ليلة القدر بان الشمس التي صبيحتها فقال ان الشمس تطلع من صبيحتها
ولا شعاع لها وانما كسوف الشمس والقمر فشيء ظاهر يبدو اولا قليلا قليلا في القرص الى
ان يذهب نورهما ولونهما وتظهر الكواكب بالنهار وقد يكون كسوفا ناقصا فيبقى
شطر من الشمس كاسفا وشطر نيرا واما حساب اهل الهيئة لذلك فشيء ما علمته يخرم
ابدا وهو عندهم حساب قطعي ومن نظر في مستندهم جزم به بخلاف ما يعلم في تأثير
الكسوف في الارض من موت عظيم او حادث كبير فان هذا مثل الافك والزور
والهذيان الذي لا يحل للمسلم ان يعتقده وذلك اثر عند المنجمين ظن وحدس
والظن اكذب الحديث وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الشمس والقمر لا
ينكسفان لموت احد ولا لحياته ولكنهما ايتان يخوف الله بهما عباده **غرق بغداد**
زادت دجلة زيادة مهولة الى الغاية لم يعهد مثلها الا من زمان وغرق خلق كثير من
اهل بغداد ومات خلق تحت الهدم وركب الناس في المراكب واستغاثوا بالله تعالى
وعاينوا التلف فنقل ابو شامة ان كتابا من المدينة النبوية من بعض بني القاشاني
يقول فيه وصل الينا من العراق ... في جمادى الاخرة واخبر ان بغداد اصابها

عرق عظيم حتى دخل الماء في اسوار بغداد وغرق كثير من البلد وانهدمت دار الوزير
وبلما به وثمانون دارا وانهدم مخزن الخليفة وهلك شي كثير من خزانة السلاح واشرف
الناس على الهلاك وعادت السفن تدخل الى وسط البلد وخرق الرقة بغداد وقد
وقع مثل هذا الغرق ببغداد في سنة اربع وخمسين وخمسمائة ايضا حريق المسجد في
ليلة الجمعة مستهل رمضان احترق مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم وكان ابتداء حريقه
من زاوية الغربية الشمال دخل بعض القوام الى خزانة ومعه مسرجة وعلقت في الالات
ثم اتصلت بالسقف بسرعة ثم دبت في السقوف فاخذت نحو القبلة وعجز الناس عن
اطفائها فما كان الا ساعة حتى احترقت سقوف المسجد كلها ووقعت بعض اساطينه
وذاب رصاصها وكل ذلك قبل ان ينام الناس واحترق سقف الحجرة النبوية ووقع
ما وقع منه في الحجرة وترك على حاله لما شرعوا في عمارة سقفه وسقف المسجد نقل هذا
ابو شامة وعجب وبما قيل في ذلك لم يحترق حرم الرسول لحادث يخشى عليه ولا دهاه العار
لكنما ايدي الروافض لامست ذاك الجناب فطهرته النار ومنها كان خروج الطاغية
هولاكو بن قان بن جنكزخان فسار في المغل الى بلاد الملاحدة وقلع الاسماعيلية عليه
التي بنواحي الري وسبب ما جرى بينه الروم فانهزم صاحبها الى بلاد الاشكري
فملكت التتار بلاد الروم ونهبوا وقتلوا وفعلوا الافاعيل وتوجه الملك الكامل
محمد شهاب الدين غازي صاحب ميافارقين الى خدمة هولاكو فاكرمه وامنه
واعطاه فرمانا ورجع الى بلده ۞ وفيها فتحت المدرسة الناصرية بدمشق عند الفراغ
من بنائها وحضر الدرس بعينه السلطان ۞ وفيها شرعوا في بناء الرباط الناصري
واحتفلوا له وجابوا له الحجارة صفرين بلد حلب وفيها توانت الاخبار بوصول
هولاكو بعسكره الى اذربيجان بقصد بلاد العراق فورد في فصل الى الديوان العزيز على
نجم الدين البادرائي بدمشق بان يتقدم الى الملك الناصر بمصالحة الملك المعز وان
يتفقا على حرب التتار فاجاب الناصر الى ذلك ورد عسكره من غزة فدخلوا دمشق
وفيها عزل بدر الدين السنجاري عن قضاء مصر وولي تاج الدين بن بنت الاعز
وكانت للملك الناصر داود بن المعظم وديعة عند الخليفة فتوقف في ردها واحتج
فحج بارده وحزنت امور قبيحة لم يعهد مثلها من ادنى فضلا عن امير المومنين وكان الناصر داود

قد

مدح وعاد على العراق بسببها فانزل بالحلة واجري عليه راتب ضعيف فعمل قصيدة
تلطف فيها وعدد خدمه وخدمة ابائه فما نفع بل سيروا اليه من حاسبه على جميع ما اتصل
اليه من النفقات والماكول وما حملوا اليه من الهدايا في تردده واوصلوا اليه شيا يسيرا
وقالوا قد وصل اليك قيمة وديعتك فهات خطك بوصله وانك لم يبق لك شي فكتب ذلك
ولم يصل اليه من قيمتها العشر وسار فراجع عليه جماعة من الاعراب وخدعوه واردوا
به التوصل الى العبث والفساد فابى عليهم واقام عندهم فخاف من ذلك صاحب الشام
الملك الناصر فاحضر الملك الظاهر شاذي وحلف له انه لا يوذي والده فسار ذاى الى
والى ابيه وعرفه فقدم دمشق ووجد الملك الناصر قد اوغر صدره عليه فنزل بتربة والده
بقاسيون وشرط عليه ان لا يركب فرسا ثم اذن له في ركوب الجبل بشرط ان لا يدخل البلد
ولا يركب في الموكب واستمر ذلك الى اخر السنة ۞ ومنها انهدمت خانكاة الطاحون
بظاهر دمشق فمات تحت الهدم شيخها بدر الدين المراغي واخر سنة خمس وخمسين
وستمائة في ربيع الاول مات الملك المعز ايبك التركماني صاحب مصر قتلته زوجته شجر
الدر وسلطنوا بعده الملك المنصور علي بن ايبك وفيها تزايد ثقل التتار الى بغداد
وكانت القرامطة منهم واصله الى الناس ببغداد من غير نحاش منهم في ذلك لا الخليفة
والخليفة والناس في غفلة عما يراد بهم ليقضي الله امرا كان مفعولا وفي رمضان توجه
الملك العزيز بن السلطان الملك الناصر يوسف وهو صبي مع الامير الزين الحافظي
وجماعة بهدايا وتحف الى هولاكو واما المصريون فاختلفوا وقبض على جماعة منهم
وقتل اخرون وولي الوزارة القاضي تاج الدين ابن بنت الاعز ۞ وفيها كانت فتنة
هائلة ببغداد ثم بعث الخليفة من سكن الفتنة وفي هذا الوقت ظهر بالشام طائفة
الحيدرية يقصون لحاهم ويلبسون فراجي من اللباد وعليهم طراطير وفي رقابهم حلق كبار
من حديد زعموا ان الملاحدة امسكوا شيخهم حيدر وقصوا ذقنه وهم يصلون ويصومون
ولكنهم قوم مسخرقون وكان امر الدين ضعيفا في ايام الناصر يوسف وان الخمر والزنا
وكثرة الظلم وعدم العدل وظهور البدع وغير ذلك ۞ وفيها وقعت وحشة في نفس
الملك الناصر من البحرية وبلغوا انهم عزموا على الفتك به فامرهم بالانتزاح عن دمشق ففارقوه
مغاضبين له ونزلوا غزة ثم انتموا الى الملك المغيث صاحب الكرك وخطبوا له بالقدس واخذوا

حواصل غزة والقدس ثم حصل الانتصار عليهم فانهزموا الى البلقاء ثم طمعوا المغيث في
احد مصله فاستنفق فيهم الاموال وشادوا فخرجت لهم وقعة مع المصريين فانكسروا ورسب
مصر وقال ابن واصل انفاذ المغيث للبحرية وارسل اليهم بعض عسكره مع اتابكه الطواشي
بدر الدين الصوابي الذي ملكه الكرك عند قتله المعظم بن الصالح وكان الصالح الملك لها
في اخر ايامه استناب بها الصوابي وجعل بيد الصوابي خزانة عظيمة من المال فضيعه المغيث على
البحرية طمعا في الديار المصرية ثم سار عسكر المغيث الى مصر فخرج لحربهم جندها فكسروهم
وخرج سيف الدين المغيثي الرشيدي واسروا نهزم الصوابي وركن الدين البندقداري وطائفة
ودخل جماعة منهم القاهرة مستامنين وكان قد جاء قبلهم عز الدين الافرم فاكرمه وفيهم قدم
الشيخ نجم الدين البادرائي بالخلعة الخليفتية للملك الناصر بالسلطنة فركب بها وكان
يوما مشهودا فلما رجع توجه معه الى العراق الناصر داود في جماعة من اولاده وكان
قد اباع الناصر داره المعروفة بدار سامة فصيرها مدرسة فلما وصلوا الى قرقيسيا
اشار عليه البادرائي بالاقامة حتى يستاذن له فاقام ولم يجيء اذن فرد الى الشام
وتوجه في البرية الى ان وصل الى تيه بني اسرائيل واجتمع اليه العربان وفيها اغارت
التتار على بلاد الموصل وتنكوا فيها وطلع سعد الدين خضر بن حموية وترك الجندية
ولازم سجادته والتجى الى التصوف قال في بادية رجلا عاندني الدهر في اموري
وبلا عدمت ودي وكدر مشاربي وعسر مآربي وانقطعت الادراق واكل كتبي الانفاق
خرجت من مصر فلما حللت بدمشق سقط راسي فوجدتها قد صوح واديها وخلا
من الانيس ربعها وارتفعت منها البركات واحيط بها الظلم والظلامات والاسواق
كاسدة والرعايا فاسدة عدم الحيا وظهرت الخيانات وشغل المعروف وعلت المنكرات
واحدث من الرسوم ما لم يعهد وحملوا اثقالا مع اثقالهم ان استغاثوا بالملك اجابهم
بالضرب والرد وان استنجد واما الوزير عاملهم بالاعراض والصد وان سالوا الحاجب
طلب الرشا بلا حجاب الى ان قال لا يحصى لهم احد على ما يجب ولا يرجع عن عدمهم بغابة

قوم اذا اكلوا اخفوا كلامهم واستوثقوا من رتاج الباب والدار يكذبون
ويحلفون ويعدون ويخلفون وعاجرهم اصحابهم بالفاحشة يخلفون قد قنع كل منهم بلومه
ولف دينه على خشومه نبيل الوزير انا نطيل الجلوس فلو جعلت علامة لقيامنا فقال

اذا

اذا اكلت يا غلام هات الغدا فانصرفوا وقال صاحب ديوانهم لغلامه هات غداي
واغلق الباب فقال بل اغلق الباب واتني بالطعام فقال انت احذق مني فانت حر لوجه الله
وحصل شاغر ماله اكثر امالهم فرمى لقمة للهر فقال الامير لا نطعمها فانها هرة جيراننا
ومن غرايب الظلم ان رجلا جا يحمل عسل فاخذ للحوشخاناه فطولب بمكس العسل فقال
خذوا من تحت ايديكم قالوا انما نعرف ما تقول فذهب بالبغل يبيعه فاخذ امير الاصطبل
وطولب بعتقه في السوق فقال اذ هو البغل ثمنه وخذوا حقكم قالوا انما نعلم ما تقول وحبسوه
على مكسه فكتب الى اهله نقد ولي دراهم في استنفك روحي فقد راح العسل والبغل
وانا محبوس على الحق ومما يناسب هذه الحكاية ان امراة ذهب منها حلي بخمسة الاف
فوجده منادى بسوق الرجيه فرده عليها فوهبته خمسماية درهم فمنع وقال انما رددته لله
فالزمته باخذ الدراهم فسمع به الوالي فاحضره واخذ منه الدراهم وضربه وقال للنشي ما
جب الحلي الينا عندنا ثم ذكر علاكا طويلا من هذا النحو **الملك المعز ايبك** بن
عبد الله التركماني السلطان المعز عز الدين صاحب مصر كان اكثر مماليك الملك الصالح
نجم الدين خدمه ببلاد الشرق وكان نحو جاشنكيره فلما قتل الملك المعظم بن الصالح
اتفقوا على ايبك التركماني هذا ثم سلطنوه ولم يكن من كبار الامرا لكنه كان معروفا بالعقل
والسداد والدين وترك المسكر وفيه كرم وسكون فسلطنوه في اواخر ربيع الاخر سنة
ثمان واربعين فقام الفارس اقطايا وسيف الدين الرشيدي وركن الدين البندقداري
وجماعة من الامراء في سلطنته واحدثت المملكة وانفوا من سلطنة غلام فاقاموا
الاشرف يوسف الناصر يوسف بن المسعود اقسيس صاحب اليمن بن السلطان الملك
الكامل وكان صبيا له عشر سنين وجعلوا ايبك التركماني اتابكه واخروه عن
السلطنة وذلك بعد خمسة ايام من سلطنته ثم كان التوقيع يخرج وصورته رسم بالامر
العالي السلطاني الاشرفي والملكي المعزي واستمر الحال والمعز هو الكل والصبي صورة
وجرت امور ذكرنا منها في الحوادث وكان طايفة من الجيش المصري كاتبوا بعد هذا بمدة
الملك المغيث الذي بالكرك وخطبوا له بالصالحية فامر الملك المعز بالندا بالقاهرة ان
الديار المصرية لامير المومنين وان الملك المعز نايبه ثم جدد الايمان للملك الاشرف بالسلطنة
وللمعز بالاتابكية وتدحرج المعز مصاف مع الناصر صاحب الشام وانكسر المعز ودخل الناصر

مصر وخطبوا لاستاذهم ثم انتصر المعز وانهزم الناصر الى الشام ووقع بعد ذلك الصلح
بين الملكين وكان على كتف المعز خشداشه الفارس اقطايا الجمدار فعظم شانه والتفت
عليه البحريه وكان يركب بالشاويش ويتطلع الى السلطنه ويلقبونه سرا بالملك الجواد
فقتله المعز وتمكن من السلطنه وتزوج في سنه ثلاث وخمسين شجر الدر ام خليل صاحبه
السلطان الملك الصالح وكان كريما جوادا كثير العطا احسن المداراه لا يرى الجور ولا
العسف بنى بمصر مدرسة كبيرة واتفق انه خطب بنت السلطان بدر الدين صاحب الموصل
وراسله فغارت شجر الدر وعزمت على الفتك به واقامت غيره فالتجى قطب الدين
فطلبت صفي الدين بن مرزوق وكان بمصر فاستشارته ووعدته بالوزاره فانكر عليها
ونهاها عنه فلم تصغ الى قوله وطلبت مملوكا للطواشي محسن الصالحي وعرفته امرها
ووعدته ومنته ان قتل المعز ثم استدعت جماعة من الخدام واطلعتهم معهم فلما كان يوم الثلثا
الثالث والعشرين من ربيع الاول لعب المعز ايبك بالكرة وصعد الى القلعة اخر
النهار واتى الى الحمام ليغتسل فلما قلع ثيابه وثب عليه سنجر الجوجري والخدام ورموه
وخنقوه وطلبت شجر الدر ابن مرزوق على لسان الملك المعز فركب حماره وبادر ودخل
القلعة من باب السر فراها جالسه والمعز بين يديها ميتا فاخبرته بالامر فعظم عليه جدا
واستشارته فقال ما اعرف ما اقول وقد وقعت في امر عظيم ما لك منه مخلص ثم طلبت
الامير جمال الدين ايدغدي العزيزي وعز الدين ايبك الحلبي الكبير وعرضت عليهما
السلطنه فلما ارتفع النهار شاع الخبر واضطرب الناس ثم اتفقوا على سلطنة الملك
المنصور علي بن الملك المعز وعمره يومئذ خمس عشرة سنه وجعلوا اتابكه الامير علم الدين
سنجر الحلبي المشد واخرجت شجر الدر من دار السلطنه بعد ان امتنعت بها اياما وجعلت
بالبرج الاحمر وقبضوا على الجواد والخدام وسنجر الجوجري ثم صلب هو واستاذه
وجماعه من الخدام وفي ثاني ربيع الاخر ركب الملك المنصور بابهة السلطنه وحمل
عن غارت شجر الدر وسب المعز سنجر الجوجري مملوك الفارس اقطايا فدخل عليه
الحمام لكونه رماه ولزم الخدام بمعاريه ونقب بهم تضربه بالقبقاب وهو يستغيث ويتضرع
اليها الى ان مات رحمه الله ما تنيف عشر السنين **سنه ست وخمسين وستمايه**
دخلت والملك الناصر والبحريه والملك المغيث متفقون على قصد الديار المصريه وطمعوا
بها

فيها لان سلطانها صبي فنزل الملك المغيث على غزه فخرج الامير سيف الدين قطز
بعسكر مصر ونزل بالعباسه لقتال الشاميين ثم سار المغيث بالعساكر الشاميه
وضرب مع المصريين راسا بالرمل فانكسر واسر طايفه من امرايه وهم ايبك الرومي
وايبك الحموي وركن الدين الصيرمي وابن اطلس خان الخوارزمي فضربت اعناقهم
صبرا بين يدي قطز ودخلوا بالرووس الى القاهره وهرب المغيث واتابكه الصوابي
والسيد فداوي في اسواء حال والتجا الى الكرك **كاينه بغداد** كان هولاكو قد قصد
الالموت وهو معقل الباطنيه الاعظم وبها المقدم علا الدين محمد بن جلال الدين حسن المنتسب
الى نزار بن المستنصر بن الظاهر بن الحاكم العبيدي الباطني فتوفي علا الدين وقام
بعده ابنه شمس الشموس فنزل اليه هولاكو باشارة النصير الطوسي عليه وكان النصير عنده
وعند ابيه من قبله فقتل هولاكو شمس الشموس واخذ بلاده واخذ الروم واقر
بها ركن الدين بن غياث الدين كيخسرو وصوره بلا معنى والحكم والتصرف لغيره وكان
وزير العراق مويد الدين بن العلقمي رافضيا خبيثا حسنا داهيه والفتنه في استعار
بين الرافضه والسنه حتى تجالدوا بالسيوف وقتل جماعه من الرافضه ونهبوا وشكى
اهل باب البصره الى الامير ركن الدين الدويدار والامير ابي بكر بن الخليفه فتقدما
الى الجند بنهب الكرخ فهجموا ونهبوا وقتلوا وارتكبوا من الشيعه العظايم فحنق الوزير
ونوى الشر وامر اهل الكرخ بالصبر والكف وكان المستنصر بالله قد استكثر من الجند
حتى بلغ عدد عسكره مايه الف فيما بلغنا وكان مع ذلك يصانع التتار ويهاديهم
ويرضيهم فلما استخلف المستعصم كان خليا من الراي والتدبير فاشير عليه
بقطع اكثر الجند وان مصانعه التتار واكرامهم يحصل بها المقصود ففعل ذلك
واما ابن العلقمي فكاتب التتار واطمعهم في البلاد وارسل اليهم غلامه واخاه
وسهل عليهم فتح العراق وطلب ان يكون نايبهم فوعدوه بذلك وتاهبوا لقصد بغداد
وكاتبوا صاحب الموصل لولو في تهيه الاقامات والسلاح فاخذ يكاتب الخليفه سرا
ويهيي لهم الالات والاقامات فكان لولو ينصح للكل وكان لا يوصل مكاتبات صاحب
الموصل ولا غيره الى الخليفه وان وصلت سرا الى الخليفه اطلع عليها ابن العلقمي ورد
الامر اليه وكان تاج الدين بن صلايا نايب اربل يحذر الخليفه ويحرك عزمه والخليفه لا

نغرك ولا سينقط فلما تحقق حركة التتار نحوه سيّر اليهم شرف الدين بن محيي الدين بن
الجوزي رسولاً يعدهم باموال عظيمه ثم سيّر مائة رجل الى الدربند يكونون فيه يطالعون
بالاخبار فمضوا فلم يطلع لهم خبر لان الاكراد الذين كانوا هناك دلوا التتار عليهم فقتلوهم
اجمعين فيما قيل وركب هولاكو الى العراق وكان على مقدمته باجو نوين وفي جيشه
خلق من الكرج ومن عسكر بركه بن عم هولاكو ومدد من صاحب الموصل مع ولده الملك الصالح
ركن الدين اسمعيل واقبلوا من جهة البر الغربي عن دجله فخرج عسكر بغداد وعليهم ركن
الدين الدويدار فالتقوا على نحو مرحلتين من بغداد فانكسر البغداديون واخذتهم السيوف
وغرق بعضهم في الما وهرب الباقون ثم ساق باجو نوين فنزل القريه مقابل دار الخلافه
وبينه وبينها دجله وقصد هولاكو بغداد من جهة البر الشرقي ثم انه ضرب سورا على عسكره
واحاط ببغداد فاشار الوزير على المستعصم بالله بمصانعتهم وقال اخرج اليهم انا في
تقرير الصلح فخرج وتوثق لنفسه من التتر ورد الى الخليفه وقال ان الملك قد رغب في ان يزوج
بنته بابنك الامير ابي بكر ويبقيك في منصب الخلافه كما ابقى صاحب الروم في سلطنته
ولا يوثر الا ان تكون الطاعة له كما كان اجدادك مع السلاطين السلجوقيه وينصرف عنك
بجيوشه فيجيبه مولانا الى هذا فان فيه حقن دما المسلمين ويمكن ان يفعل بعد ذلك ما
تريد والراي ان تخرج اليه فخرج في جمع من الاعيان الى هولاكو فانزل في خيمه ثم دخل الوزير
فاستدعى الفقها والاماثل ليحضروا العقد يعني فخرجوا من بغداد فضربت اعناقهم
مد الجسر وبكر باجو ومن معه فبذلوا السيف في بغداد واستمر القتل والسبي في بغداد بضعة
وثلاثين يوما فلم ينج الا من اختفى فبلغنا ان هولاكو امر بعد ذلك بعد القتلى فبلغوا الف الف
وثمانمائة الف وكسروا لا يصح انهم بلغوا ثمانمائة الف ثم نودي بعد ذلك بالامان فظهر
من كان قد اختبا وهم قليل من كثير ٥ واما الوزير ابن العلقمي فلم يتم له ما اراد وما اعتقد
ان التتر يبذلون السيف مطلقا فانه راح تحت السيف الرافضه والسنه وامم لا يحصون
وذاق الهوان والذل من التتار ولم تطل ايامه بعد ذلك ثم ضرب هولاكو عنق باجو نوين
لانه بلغه عنه انه كاتب الخليفه وهو في الجانب الغربي واما الخليفه فقتل خنقا وقيل
غم في بساط وقيل رفسوه حتى مات وقتل الامير مجاهد الدين الدويدار والشرابي
والاستاد الدار محيي الدين بن الجوزي وولداه وسائر الامرا والحجاب والكبار وقال الشعرا

وقصايد

قصايد في مراثي بغداد واهلها وتمثل بقول سبط التعاويذي شعر
بادت واهلوها معا فبيوتهم ببقا مولانا الوزير خرايب وكانت كسرة عسكر الخليفه
يوم عاشورا ونزل هولاكو بظاهر بغداد في الرابع عشر من المحرم وبقي السيف يعمل فيها
اربعة وثلاثين يوما وبلغنا ان اخر جمعة خطب فيها الخطيب ببغداد كانت الخطبة
الحمد لله الذي هدم بالموت مشيد الاعمار وحكم بالفنا على اهل هذه الدار وكان
السيف يعمل في الجمعة الاخرى فانا لله وانا اليه راجعون اللهم اجرنا في مصيبتنا
التي لم يصب الاسلام واهله بمثلها ولتقي الدين اسمعيل ابن ابي اليسر قصيدة مشهورة في بغداد
وهي شعر لسايل الدمع عن بغداد اخبار فما وقوفك والاحباب قد ساروا
يا زايرين الى الزورا لا تفدوا فما بذاك الحمى والدار ديار
تاج الخلافة والربع الذي شرفت به المعالم قد عفاه اقفار
اضحى لعطف البلى في ربعه اثر وللدموع على الاثار اثار
يا نار قلبي من نار لحرب وغى شبت عليه ووافى الربع اعصار
علا الصليب على اعلا منابرها وقام بالامر من يحويه زنار
وكم حريم سبته الترك غاصبة وكان من دون ذاك الستر استار
وكم بدور على البدرية انخسفت ولم يعد لبدور منه ابدار
وكم ذخاير اضحت وهي شايعة من النهاب وقد حازته كفار
وكم حدود اقيمت من سيوفهم على الرقاب وحطت فيه اوزار
ناديت والسبي مهتوك تجرهم الى السفاح من الاعداء دعار
وهم يساقون للموت الذي شهدوا النار يا رب من هذا ولا العار
والله يعلم ان القوم اغفلهم ما كان من نعم فيهن اكدار
فاهملوا جانب الجبار اذ غفلوا فجاءهم من جنود الكفر جبار
يا للرجال باحداث يحدثنا بما غدا فيه اعذار وانذار
من بعد اسرة بني العباس كلهم فلا انار لوجه الصبح اسفار
ما راق لي قط شي بعد بينهم الا احاديث ارويها واثار
لم يبق للدين والدنيا وقد ذهبوا سوق لمجد وقد بانوا وقد بادوا
ان القيامة في بغداد قد وجدت وحدها حين للاقبال ادبار
ال النبي واهل العلم قد سبيوا فمن ترى بعدهم تحويه امصار
ما كنت امل ان ابقى وقد ذهبوا لكن الى دون ما اختار اقدار
في ابيات اخر وجملتها ستة وستون بيتا وفيها كانت
وقعة الملك المغيث مع المصريين فانكسر كما ذكرنا وهرب بدر الدين الصوابي والبندقداري
الذي تسلطن فوصلوا الى اسوا حال واما مصر فبيت في ربيع الاخر للمنصور وعاب البحرية
بعد الكسرة وافسدوا فجهز لحربهم الملك الناصر مجير الدين بن ابي زكري ونور الدين علي بن الاكنع

فالتقوا على غزة فانكسرت البحرية وأسروا الأميرين وحملوهما إلى الكرك وقويت شوكتهم
فبرز دهليز الملك الناصر وعزم على قتالهم بنفسه ففرت البحرية من دمشق فهجم ركن
الدين البندقداري في بعض الأيام على الدهليز وهو عند الحسوة وقطع أطناب الدهليز
وولي هولاكو أمره على العراق وعزم ابن العلقمي على أن يحسن لهولاكو أن يقيم ببغداد
خليفة علويا فلم يتهيأ ذلك له واطرحه التتار وبقي معهم على صورة بعض الغلمان
ثم مات كمدا لا رحمه الله وسار هولاكو إلى أذربيجان فنزل إليه بدر الدين صاحب
الموصل فأكرمه ورده إلى الموصل ونزل إليه تاج الدين بن صلايا فقتله فقيل إن صاحب
الموصل كان في نفسه من ابن صلايا فقال لهولاكو هذا شريف علوي ربما تطلع إلى الخلافة
ويقوم معه خلق فالصواب قتله فقتله هولاكو ولم يطل لصاحب الموصل بعد ذلك حياة ومنها
جاءت فرقة من التتار فنازلت ميافارقين فحصروها ومنها جاءت رسل فلان من الأدما
وراء النهر ورسل هولاكو إلى صاحب الشام وصورة كتاب هولاكو يعلم سلطان ملك
ناصر طال بقاؤه أنه لما توجهنا إلى العراق وخرج إلينا جنودهم فقتلناهم بسيف الله
ثم خرج إلينا رؤساء البلد ومقدموها فكان قصارى كلامهم سببا لهلاك نفوس تستحق
الإذلال فأعدمناهم أجمعين ذلك بما قدمت أيديهم ربما كانوا يكسبون وأما ما كان
من صاحب البلد فإنه خرج إلى خدمتنا ودخل تحت عبوديتنا فسألناه عن أشياء كذبنا
فيها فاستحق الإعدام وكان كذبه ظاهرا ووجدوا ما عملوا حاضرا أجب ملك البسيطة ولا
تقولن قلاعي المنيعات ورجالي المقاتلات ولقد بلغنا أن شذرات من العسكر التجأت
إليك هاربة وإلى جنابك لائذة أين المفر ولا مفر لهارب ولنا البسيطان الثرى والما
فساعة وقوفك على كتابنا تجعل قلاع الشام سماها أرضا وطولها عرضا والسلام
ومن كتاب ثان خدمة ملك ناصر طال عمره أما بعد فإنا فتحنا بغداد واستأصلنا
ملكها وملكها وكان ظن وقد ضن بالأموال ولم ينافس في الرجال أن ملكه يبقى على ذلك قيل ثم
الحال وقد علا ذكره ونما قدره فخسف في الكمال بدره إذا تم أمر بدا نقصه توقع زوالا إذا
ونحن في طلب الازدياد على ممر الآباد فلا تكن كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم وأبد
ما في نفسك إما إمساك بمعروف وإما تسريح بإحسان أجب دعوة ملك البسيطة تأمن
شره وتنل بره واسع إليه برجالك وأموالك ولا تعوق رسولنا والسلام وفي صفر قدم

دمشق

دمشق الملك الكامل ابن المظفر بن العادل يستنجد للإسلام على التتار فما أثر الناصر
شيئا ودخل البلد وزاد فيه جماعة ثم رد إلى بلاده ولم ينفع أحد لشغل الناس بأخذ بغداد
ووصل ك ومن عجب أني لدى البحر واقف وأشكو الظما والبحر جم عجائبه
وغيم ملوم من يومك قاصدا إذا غطت أغراضه ومذاهبه فوقعت هذه القصيدة
من المستنصر بموقع وأدخله عليه ليلا وتكلم معه في أشياء من العلوم والأدب ثم خرج سرا
وقصد المستنصر بذلك رعاية الملك الكامل ثم حضر الناصر بالمدرسة المستنصرية وبحث
واعترض واستدل والخليفة في روشن بحيث يسمع وقام الوجيه القيرواني فمدح
الخليفة فمن ذلك لو كنت في يوم السقيفة حاضرا كنت المقدم والإمام الأروعا
فقال الناصر أخطأت قد كان بحضرة العباس جد أمير المؤمنين ولم يكن المقدم إلا أبو بكر رضي الله عنه
فخرج الأمر بنفي الوجيه فذهب إلى مصر وولي بها تدريس مدرسة ابن شكر ثم إن الخليفة خلع
على الناصر داود خلعة مذهبة وخلع على أصحابه وأعطاه جملة من المال وبعث معه
رسولا إلى الكامل يشفع إليه في الصلح بينه وبين الناصر وأن يبقيه ببلاده عليه فقدما دمشق
وبها الكامل فخرج لملتقيهما إلى القابون وأقبل على الناصر ثم سافر الناصر إلى الكرك ومعه
رسول الخليفة فلبس الخلعة بالكرك وركب بالأعلام الخليفتية وزيد في ألقابه الولي
المهاجر ثم وقع بين الكامل والأشرف وطلب كل منهما من الناصر أن يكون معه فرجح
جانب الكامل وجاءه من الكامل في الرسلية القاضي الأشرف بن الفاضل ثم سار الناصر
إلى الكامل فبالغ الكامل في تعظيمه وأعطاه الأموال والتحف ثم اتفق موت الملك
الأشرف وموت الكامل وكان الناصر بدمشق في دار أسامة فتشوف إلى السلطنة
ولم يكن أحد أميل منه ولو بذل المال لحلفوا له ثم سلطنوا الملك الجواد فخرج الناصر عن
البلد إلى القابون ثم سار إلى عجلون وندم فجمع وحشد ونزل على السواحل فاستولى
عليها فخرج الجواد بالعساكر فوقع المصاف بين نابلس وجينين فانكسر الناصر واحتوى
الجواد على خزائنه وأمواله وكان ثقل الناصر على سبعمائة جمل فافتقر وجاء إلى الكرك ونزل
الجواد على نابلس واحتاط فيها للناصر وقد طول شيخنا قطب الدين ترجمة الناصر وجودها
وهذا المختار منها ولما ملك الصالح نجم الدين أيوب دمشق وسار لقصد الديار المصرية
جاء عمه الصالح إسماعيل وهجم على دمشق فتملكها فتشتت جيش نجم الدين عنه وبقي في نابلس بعسكر

قليل ثم قصد الناصر من الكرك عسكرا فقبضوا على نجم الدين واطلعوه الى الكرك فبقي معتقلا
عنده في كرامة وكان الملك الكامل قد سلم القدس الى الفرنج فعمروا في غربيه قلعة
فعند موت الكامل واضطراب الامور واختلاف الملوك نزل الناصر من الكرك وحاصرها
ونصب عليها المجانيق فاخذها بالامان وهدمها وتملك القدس وطرد من بها من
الفرنج الى بلادهم فعمل جمال الدين بن مطروح   المسجد الاقصى له عادة سارت فصارت
اذا غدا بالكفر مستوطنا   ان يبعث الله له ناصرا   فناصر طهره اولا وناصر طهره اخرا
ثم انه كاتب الصالح نجم الدين وقال له ان اخرجتك وملكتك الديار المصرية فما تفعل معي
قال انا غلامك وفي اسرك فلما ثبت فاشترط عليه ان يعطيه دمشق ويعينه على اخذها
وان يمكنه من الاموال وذكر شروطا يتعذر الوفاء بها ثم اخرجه وسار معه وقد كاتبه
امراء الكامل من مصر وكرهوا سلطنة اخيه العادل فلما ملك الديار المصرية
المسوف من الصالح والمغالطة فغضب الناصر ورجع وقد وقعت الوحشة بينهما
وزعم الصالح انه انما حلف له مكرها وقال كنت في قبضته وحكى ابن واصل عن صاحب حماه
المنصور ان الملك الصالح لما استقر بمصر قال لبعض اصحابه امض الى الناصر وخوفه
منه بالقبض عليه لعله يرحل عنا ففعل ذلك واوهمه فسارع الخروج الى الكرك ثم ان الصالح
انشا الغش في حق الناصر وبعث عسكرا فاستولوا على بلاد الناصر ولم يزل كل وقت يضايقه
وياخذ اطراف بلاده حتى لم يبق له الا الكرك ثم في سنة اربع واربعين نازله فخر الدين بن
الشيخ وحاصره اياما واما الناصر فقل ما عنده من الاموال والذخائر واشتد عليه
الامر فعمل هذه يعاتب فيها ابن عمه الملك الصالح   عمي ابوك ووالدي عمه يعلو انتسابك كل ملك
دع سيفي مقولي البليغ يذب عن اعراضكم بفرنده المتوقد   فهو الذي قد صاغ تاج فخاركم
بمفصل من لؤلؤ وزبرجد   لولا مقالي لم يمكنكم ابدا منه افتخار بالقريض المنشد
فوجهها به فارس من عسكر العراق ذكروا ان التتار رحلوا عنهم ومشى بغداد ثم جا بعدهم
نعوا البلطاه الى دمشق وفي اثنا السنة اشتد الوبا بالشام ومات خلق عظيم
قيل انه خرج من حلب في يوم واحد الف ومائتا جنازة واما دمشق فكان فيها من المرض ما لا
يحد ولا يوصف واستغنى العطارون ونفذت الادوية وعز الاطبا الى الغاية وابيع
الفروج بدمشق بثلاثة دراهم وبحلب بعشرة دراهم ومبدا الوبا في جمادى الاولى فتناقص

الموا

هذا تمة قوله
ووصل

الموا الحجة ببغداد **صاحب الكرك** داود السلطان الملك الناصر صلاح الدين ابو
المفاخر وابو المظفر ابن السلطان الملك المعظم شرف الدين عيسى بن العادل محمد بن
ايوب بن شاذي بن مروان ولد بدمشق في جمادى الاخرة في سنة ثلاث وستمائة وسمع
ببغداد من ابي الحسن القطيعي وغيره وبالكرك من ابن اللتي واجاز له المؤيد الطوسي وابو
روح عبد المعز وكان حنفيا بالمذهب عالما فاضلا مناظرا ذكيا له اليد البيضا في الشعر
والادب لانه حصل طرفا جيدا من العلوم في دولة ابيه وولي السلطنة في سنة اربع وعشرين
بعد والده واحبه اهل دمشق ثم عمه الملك الكامل من الديار المصرية لاخذ الملك منه
فاستنجد بعمه الاشرف فجا لنصرته ونزل بالدهشة ثم تغير عليه ومال الى اخيه الكامل
واوهم الناصر انه يصلح قضيته فسار الى الكامل واتفقا على الناصر وحاصراه كما ذكرنا
في الحوادث اربعة اشهر واخذا منه دمشق وسار الى الكرك وكانت لوالده واعطي
معها الصلت ونابلس وعجلون واعمال القدس وعقد نكاحه على بنت عمه الكامل سنة
تسع وعشرين ثم تغير عليه الكامل تغيرا زائدا ففارق بنته قبل الدخول ثم ان الناصر بعد
الكاين قصد الامام المستنصر بالله وقدم له تحفا ونفايس وسار اليه على البرية
والتمس الحضور بين يديه كما فعل بصاحب اربل فامتنعوا عليه فنظم هذه
ودان المتنع لكسب ذوائبه   وشيخ الدجا وحف بحول غياهبه   تقصفه من تلك الربوع رعوده
وتبكي على تلك الطلول سحائبه   ارقت له لما توالت بروقه   وحلت عزاليه واسبل ساكبه
الى ان بدا من اشقر الصبح قادم   يراع له من ادهم الليل هاربه   واصبح ثغر الافق يجلوه ضاحكا
تدغدغه ريح الصبا وتلاعبه   وهي قصيدة طويلة طنانة يقول فيها   الا يا امير المؤمنين ومن غدت
على كاهل الجوزا تعلو مراتبه   ايحسن في شرع المعالي ودينها   وانت الذي تعزى اليه مذاهبه
باني اخوض الدو والدو مقفر   سباريته مغبرة وسباسبه   وقد رصد الاعداء لي كل مرصد
فكلهم نحوي تدب عقاربه   واتيك والعضب المهند مصلت   طرير شباه قانيات ذوائبه
وانزل امالي ببابك راجيا   بواهر جاه يبهر النجم ثاقبه   فتقبل مني عبد رق فيغتدي
له الدهر عبدا طائعا لا يغالبه   وتنعم في حقي بما انت اهله   وتعلي محلي فالسها لا يقاربه
وتلبسني من نسج ظلك خلعة   تشرف قدر النيرين جلائبه   وتركبني نعمى اياديك مركبا
على الفلك الاعلى تسير مراكبه   وتسمح لي بالمال والجاه بغيتي   وما الجاه الا بعض ما انت واهبه

وبانك غير بعض بلاد فرهنة لدالامن فيها صاحب الاعاسه ملقى دوامنك لم الوتمثله
وتحظى ولا احظا بما انا طالبه ويبظر من لا لا قد شك نظره فيرجع والنور الالهامى صاحبه
ولو كان معلوفى بنفسى ورتبه وصدق ولا لست فيه اصابته لكنا اسلى النفس عما اتروحه
ذكت اذوق العيش عما نزافيه ولكنه مثل ولوفلت انى ازيد عليه لم يعب ذاك عايبه
وما انا ممن علا المال عينه ولا بسوى المقرب تقضى ماآربه ولا بالذى يرضيه دون نظيره
ولو انعلت بالبيرات مراكبه وبنه ظار ومالك منهل ريه ولا غرو ان يصعوا الذى يشاربه
ثم اخـذ يفتخر ويذكر جوده وجلالته ويعرض باعتقاله للصالح واخراجه وسنه
سنه ست واربعين قدم العلامه شمس الدين الخسروشاهى على الملك الصالح نجم الدين
ايوب وهو بدمشق رسولا من الناصر ومعه ولد الناصر الامجد حسن ومضمون
الرساله ان يسلم الكرك ويعوضه عنها الشوبك وخبزا بمصر فاجابه ثم رحل الى مصر
مريضا ثم انه عزم الناصر عن ذلك لما بلغه مرض الصالح وخروج الفرنج ثم دخلت سنه
سبع وضاقت يد الناصر وعليه كلف السلطنه فاستناب ابنه الملك المعظم عيسى بالكرك
واخذ ما بقى عليه من الجواهر ومضى الى حلب مستجيرا بصاحبها كما فعل عمه الصالح
اسمعيل فاكرمه وسار من حلب الى بغداد واودع ما معه من الجواهر عند الخليفه
وكانت قيمتها اكثر من مائه الف دينار ولم يصل بعد ذلك اليها واما ولداه الظاهر
والامجد فانهما تالما لكونه استناب عليهما المعظم وهو ابن جاريه وهما ابنا بنت الملك
الامجد بن الملك العادل فانها بنت عمه وبنت عم الصالح وكانت محبته الى الصالح
لما كان معتقلا بالكرك غايه الاحسان وكان ولداها نشاان به وبلاد هما نه فاتفقا
مع امهما على القبض على الملك المعظم فقبضا عليه واستوليا على الكرك ثم سار الامجد
الى المنصوره فاكرمه الصالح وبالغ وتكلم في الكرك وتوثق منه لنفسه واخوته وان
يعطيه خبزا بمصر فاجابه وسيرالى الكرك الطواشى بدر الدين الصوابى نائبا له فيها
لى السلطان اولاد الناصر وسيرهم فاقطعهم اقطاعات جليله وفرح بالكرك غايه الفرح
مع ما هو فيه من المرض المخوف وزينت مصر لذلك وبلغ الناصر اخذ ذلك وهو بحلب
فعظم ذلك عليه ثم ان الصالح ان مات وملك بعده ابنه توران شاه فقتله وقتل فعند
الصوابى فاخرج الملك المغيث عمر بن الملك العادل بن السلطان الملك الكامل من حبس

الكرك

الكرك وملكه الكرك والشوبك وجا صاحب حلب فتملك دمشق ثم مرض بها مرضا
شديدا ومعه الصالح اسمعيل والناصر داود فعمل ان داود سعى في تلك الايام
في السلطنه فلما عوفي السلطان بلغه ذلك فقبض عليه وحبسه بحمص ثم افرج عنه بعد
مده بشفاعة الخليفه فتوجه الى العراق فلم يؤذن له في دخول بغداد فطلب وديعته
فلم تحصل له ثم رد الى دمشق ثم سار الى بغداد في سنه ثلاث وخمسين بسبب الوديعة
والحج وكتب معه الناصر صاحب الشام كتابا الى الخليفه يشفع فيه في رد وديعته
ويعتبر برضاه عنه فسافر ونزل بمشهد الحسين بكربلا وسير الى الخليفه قصيدة
يمدحه ويستعطف فلم ينفع ذلك وحج ولا اتى المدينه وقام بين يدي الحجرة ينشد القصيدة
بمدحه يقول فيها
اليك امتطينا اليعملات دواميا تجر العلا ما بين رضوى ويذبل
الى خير من اطرته بالمدح الالسن وصدقها نص الكتاب المنزل اليك رسول الله قمت محمحما
وهذه القصيده فلما مك اعلا في الصدور واعظم وحكمك ارحى في النفوس واكرم
فلا عجب ان عض لشعر شاعر وفوه مصطك اللها بين مفحم اليك امير المومنين توجهي
بوجه رجا عنده منك انعم الى ماجد يرجوه كل ممجد عظيم ولا يرجوه الا معظم
ركبت اليه ظهر شهما معره بها تسرج الاعدا جيلا وتلجم واشبها رها سع واحاد ها ظمى
واعشا بها انبل وامواهها دم رميت فيا فيها بكل نجيبه تنسمها تعلوا الجديل وشدقم
غدا ذنبا فضل الازمه بعد ما براهن موصول من السير مجرم تساقين من جمر الالال مدامة
فلاهن ايقاظا ولاهن نوم تطلل لحمى في جمة الغيظ بعد ما غدا نسج الجبار كلب ومرزم
يلوح تشارب الفلا مسطرا باحمر فيهما منه فصيح واعجم عال انتصاص الحلفاع بحين احرارها
قراطيس اوراق علاهن عندم فلما توسطن السماوه واغتدت ملفعة الدار شوقا ويردم
واضحى اصحابي تشاوى من السرى تدور عليهم كرمه ومومعهم سكر الحديث بالبيد عرفه
فلا علم يعلو ولا النجم ينجم فظل الاوراط الاسى مسدما وان كان لا يحوى الاسى والتندم
يسوق الزعام صله لهداته ومن بالزعام مهتدى فهو يرغم يباحى فجاج الدو والدو ضامت
فلا يسمع النجوى ولا المتكلم عاجبن قال الظنى وما الظنى قالص واذمت العيس في مجمهم
ووسع ميدان المنايا بجيله وضاق مجال الروق والتجم الفم موحش المنايا بالمنيه حض
وطير المنايا بالمنيه حوم فلما بدت كربلا وتبسمت مات بها السبط الشهيد المكرم

ولذت به مستشفعًا متحرمًا كما يفعل المستشفع المتحرم فاصبح لي دون البريه شافعًا
ابي منه معوج امري مقوم اتت ركابي حيث ايقنت انني بباب امير المومنين تخيم
بحيث الاماني للاماني قبسه وحث العطايا بالعواطف تقسم عليك امير المومنين تهجمي
سعت على الجوزا لا تتهجم ملوم ان يعشي الملوك لحاجه ولكنها بي عنك لا تتلوم منها
فصنت وجهي عن سوال فانه مصون بصوناه الحيا والتكرم الست بعبد حرمني عن وراثه
له عندكم عهد تقادم محكم وسل نجب للعوف ورديها اذا اهتز خطي وجرد مخذم
فلا زلت للامال سقيًا مسبلا وسابك الامال وهي تسلم ثم توجه الى المدينه وقام بين
يدي الحجره منشدا قصيده بديعه يقول فيها اليك امتطينا اليعملات دواميا
تخب الفلا ما بين رضوى ويذبل الى خير من طاحته بالمدح النسا فصدقها نص الكتاب المنزل
اليك رسول الله جيت محجمًا وقد كل عن نقل البلاغة مقولي وادهشني نور تالق مشرقا
بلوح على سيماء ضريحك من علا سنى عن مدحي لمجدل هيبه براع لها قلبي وبعد مفصل
وعلمي بان الله اعطاك مدحه مفصلها في محكمات المفصل ثم احضر شيخ الحرم والخدام
ووقف بين يدي الضريح متمسكا بسجف الحجره وقال اشهدوا ان هذا مقامي من رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد دخلت عليه مستشفعًا به الى ابن عمه امير المومنين في رد وديعتي
فاعظم الناس هذا وبكوا وكتب بصورة ما جرى الى الخليفه ولما كان الركب في الطريق
خرج عليهم احمد بن حجي بن يزيد من ال مرى يريد نهب الركب فوقع القتال وكادوا ان يظفروا
بامير الحاج فجا الناصر يشق الصفوف وكلم احمد بن حجي وكان ابوه حجي صاحبا للناصر وله
عليه ايادي فانقاد له ثم جا الناصر ونزل بالحله وقرر له راتب يسير ولم يحصل له مقصود
فجا الى قرقيسيا ومنها الى تيه بني اسرائيل وانضم اليه عربان وذلك في اوايل سنه ست
او قبيل ذلك فخاف المغيث منه فراسله واظهر له الموده وصعد المغيث الى ان يقبض عليه
وعلى من معه من اولاده وحبسه بطور هرون فبقي ثلاث ليال واتفق ان المستعصم بالله
دهمه امر التتار فنفذ الى صاحب الشام يستنجده ويطلب منه جيشا يكون عليهم الناصر داود
فبعث صاحب الشام الملك الناصر يطلب الناصر من المغيث فاخرجه المغيث فقدم
دمشق ونزل بقرية البويضا بقرب البلد واخذ يتجهز للمسير فلم ينشب ان جات
الاخبار بما جرى على بغداد فلا قوة الا بالله وعرض طاعون بالشام عقيب ما تم على

العراق

العراق فطعن الناصر في جنبه قال ابن واصل وكثر الطاعون بالشام مع بعد مسافة
بغداد حكى جالينوس انه وقعت ملحمة في بلاد اليونان فوقع الوبا بسببها في بلاد النوبة
مع بعد المسافة قال ابن واصل حكى لي عبد الله بن فضل احد الزام الناصر داود قال
اشتد الوبا فتسخطنا به فقال لنا الناصر لا تفعلوا فانه لما وقع بعمواس زمن عمر رضي الله عنه
قال بعض الناس هذا رجز فذكر الخبر بطوله وان معاذا قال اللهم ادخل على ال معاذ فيه
او في نصيب فمات معاذ وابنه ثم ابتهل الناصر فقال اللهم اجعلنا منهم واردفنا ما ردفتهم
ثم اصبح من الغد او بعده مطعونا قال عبد الله وكنت غايبا تحت الدوم يشكوا الما مثل
طعن السيف في عنقه الايسر قال ابن واصل وحكى لي ولده المظفر غازي ان اباه شكى
جنبه الايسر فنام ثم انتبه فقال رايت جنبي الايسر يقول للايمن انا صبرت ليومين في الليل
نوبتك فاصبر كما صبرت فلما كان بعشيه شكى الما تحت جنبه الايمن واخذ بيد ابنه وقال
انا غدا بين الصلاتين وقد سقط قواه اذا حدثه سنه فانتبه وفرايصه ترعد فقال
رايت النبي صلى الله عليه وسلم والحضر عليه السلم فدخلا الي وجلسا عندي ثم انصرفا فلما
كان في اخر النهار قال انما بقي في رجا فتهيا في تجهيزي فبكيت وبكى الحاضرون فقال لا
تمكن الا رجلا لا يعمل عمل النسا واوصاني باهله واولاده ثم نمت في الليل في حاجة
فحدثني بعض من تركته عنده من اهله انه افاق مرعوبا فقال بالله اتقدموا الي فاني اجد
وحشه فسيل عن ذلك فقال الذي صفا عن يميني فيهم ابو بكر وسعد وصورهم جميله
وثيابهم بيض وصفا عن يساري وصورهم قبيحه فيهم ابدان بلا رووس وهولا يطلبوني
وهولا يطلبوني وانا اريد ان اروح الى اهل اليمين وكلما قال لي اهل الشمال تعال اليهم قلت والله
ما اجي اليكم ثم اغمي عليه اغماه ثم استيقظ وقال الحمد لله خلصت منهم **قلت** وذكر انه
راى النبي صلى الله عليه وسلم فدخل وجلس عنده ثم قال انما بقي في رجا وقال لابنه شهاب الدين
غازي تهيا في تجهيزي فبكى منه وقال لا يعيب هبنك وتوفي في ليله الثامن والعشرين
من جمادى الاول وركب السلطان الى البويضا واظهر التاسف عليه والحزن وقال هذا
كبيرنا وشيخنا ثم حمل الى تربه والده بسفح قاسيون وكانت امه خوارزميه عاشت
بعده مده وكان جوادا ممدحا ولم يزل به نكد وتعب لانه كان ضعيف الراي فيما يتعلق
بالمملكه وكان معتنيا بتحصيل الكتب النفيسه وتفرقت بعد موته وقد وفد عليه راح الحلي

الشاعر وامتدحه فوصل إليه منه ما يزيد على أربعين ألف درهم أعطاه على قصيدة
واحدة ألف دينار وأقام عنده الحشر وشاهد فوصله بأموال جمة قال أبو شامة
تملك الناصر دمشق بعد أبيه بخمس سنين ثم انتقض له على الكرك وأعماله ثم سلب ذلك
كله كما سلبه الاسكندر من قبل وصار مستقلا في البلاد موكلا عليه وتارة في البراري
إلى أن مات موكلا عليه بالبويضا قبلي دمشق وكانت له محيي الدين بن العادل وصلى
عليه عند باب النصر ودفن عند أبيه بدير مران قلت وقد روى عنه الدمياطي
حديثا وقصيدة فقال أنا العلامة الفاضل الملك الناصر وقال ابن واصل عمره
ثلاث وخمسين سنة وكان قد استولى عليه الشيب استيلاء كثيرا عبد الله المستعصم بالله
أبو أحمد أمير المؤمنين الشهيد بن المستنصر بالله أبي جعفر منصور بن الظاهر بأمر الله
أبي نصر محمد بن الناصر لدين الله أحمد الهاشمي العباسي البغدادي رحمه الله تعالى آخر
الخلفاء العراقيين وكان تملكهم من سنة اثنتين وثلاثين ومائة إلى هذا الوقت ولد
أبو أحمد سنة تسع وستمائة وبويع في الخلافة في العشرين من جمادى الأولى سنة أربعين
والأصح أنه بويع بعد موت والده في عاشر شهر جمادى الآخرة وكان مليح الخط قرأ القرآن
على الشيخ علي بن النيار الشافعي وعملت دعوة عظيمة وقت ختمه وخلع على الشيخ وأعطي
من الذهب العين ستة آلاف دينار ويوم خلافته بلغت الخلع ثلاثة عشر ألف خلعة
وسبعمائة وخمسين خلعة وأجاز له المؤيد الطوسي وأبو روح الهروي
وجماعة سمع منه شيخه الذي لقنه القرآن أبو الحسن علي بن النيار وحدث عنه وروى
عنه بالإجازة في حياته محيي الدين يوسف بن الجوزي ونجم الدين عبد الله البادرائي
وروى عنه غيرهما وله الأمير مبارك وكان كريما حليما سليم الباطن حسن الديانة
قال الشيخ قطب الدين كان متدينا متمسكا بالسنة كأبيه وجده ولكنه لم يكن على ما كان
عليه أبوه وجده الناصر من التيقظ والحزم وعلو الهمة فإن المستنصر بالله كان ذا همة
عالية وشجاعة وافرة ونفس أبية وعنده إقدام عظيم استخدم من الجيوش ما يزيد على مائة
ألف وكان له أخ يعرف بالخفاجي يزيد عليه في الشهامة والشجاعة وكان يقول إن ملكني الله
الأمر لأعبرن بهم جيحون وأنتزع البلاد من التتار وأستأصلهم فلما توفي المستنصر
لم ير الدويدار والشرابي والكبار تقليد الخفاجي للأمر وخافوا منه وآثروا المستعصم لما

يعلمون

يعلمون من لينه وانقياده وضعف رأيه ليكون الأمر إليهم فأقاموا المستعصم ثم ركن
إلى وزيره ابن العلقمي فأهلك الحرث والنسل وحسن له جمع الأموال والاقتصار على
بعض العساكر وقطع الأكثر فوافقه على ذلك وكان فيه شح وقلة معرفة وعدم تدبير
وحب للمال وإهمال للأمور وكان يتكل على غيره ويقدم على ما لا يليق وعلى ما يستقبح
ولو لم يكن إلا ما فعله مع الناصر داود في أمر الوديعة قلت وكان يلعب بالحمام ويهمل
أمر الإسلام وابن العلقمي يلعب به كيف أراد ولا يطلعه على الأخبار وإذا جاءته نصيحة
في السر أطلع عليها ابن العلقمي ليقضي الله أمرا كان مفعولا فحكى جمال الدين سليمان بن
عبد الله بن رطليين قال جاء هولاكو في نحو مائتي ألف ثم طلب الخليفة فطلع ومعه القضاة
والمدرسون والأعيان في نحو سبعمائة نفس فلما وصلوا إلى الحربية جاء الأمر بحضور الخليفة
ومعه سبعة عشر نفسا فاتفق أن أبي كان معهم إلى أن حدثني أنهم ساقوا مع الخليفة
وأن من بقي نزلوا عن خيلهم وضربوا رقابهم ووقع السيف في بغداد فعمل القتل أربعين
يوما وأنزلوا الخليفة في خيمة صغيرة والسبعة عشر في خيمة قال أبي فكان الخليفة يجي
إلينا كل ليلة ويقول ادعوا لي قال فاتفق أنه نزل على خيمته طائر فطلبه هولاكو
وقال أيش عمل هذا الطائر وأيش قال لك ثم جرت له محاورات معه ومع ابن الخليفة
أبي بكر ثم أمر بهما فأخرجا ورفسوهما حتى ماتا وأطلقوا السبعة عشر وأعطوهم نشابة
فقتل منهم رجلان وطلب الباقون بيوتهم فوجدوها بلاقع فأتوا المدرسة المغيثية
وقد كنت ظهرت فبقيت أسأل عن أبي فدللت عليه فأتيته وهو ورفاقه فسلمت عليهم فلم
يعرفني أحد منهم وقالوا ما تريد قلت أريد فخر الدين بن رطليين وقد عرفته فالتفت إلي
وقال ما تريد منه قلت أنا ولده فنظر إلي وتحققني فلما عرفني بكى وكان معي قليل سمسم
فتركته بينهم وأقمنا هناك إلى صفر إلى أن رفع السيف فأسند إلى فخر الدين أحمد الدامغاني
صاحب الديوان وقد أراد ابن العلقمي أن يضيع صنعته قال له ولا كان هذا يعرف
أموال الخليفة وذخائره وأموره وهذا كان يتولاها فقال إذا كان الخليفة اختاره
لنفسه فأنا أولى أن أوليه وكتب له الفرمان وقال للملوك لا تفعل شيئا إلا بموافقته
ثم إن ابن العلقمي عمل على أن لا تخطب بالجوامع ولا يصلى الجماعة وأن يبني مدرسة على
مذهب الشيعة فلم يحصل له أمله وفتحت الجوامع وأقيمت الجماعات وحدثني أبي فخر الدين

قال كان قد مشى حال الخليفة بان يكون للتتار نصف دخل البلاد وما بقي شيء الا انهم ذلك
وانما الوزير ابن العلقمي قال انما هذا مصلحه والمصلحة قتله والا ما تم لهم ملك العراق قلت
توفي الخليفة في اواخر المحرم او في صفر وما اظنه دفن فانا لله وانا اليه راجعون
وكان الامر اعظم من ان يوجد مورخ لموته او موار لجسده وراح تحت السيف امم لا يحصيهم
الا الله فيقال انهم اكثر من الف الف واستغنت التتار الى الابد وسبوا من النساء والولدان
ما ضاق به الفضا وقد بينا ذلك في الحوادث وقتلوا الخليفة خنقا وقيل غموه في بساط
حتى مات وقيل انهم رفسوه حتى خرجت روحه وحكى جمال الدين بن رطلين عن ابيه قال
اخذوا الخليفة ليقتلوه وكان معه خادم فقال له قم فقل ما القي عليه نفسه يقيه من القتل
فقتلوا الخادم وعادوا الى رفس الخليفة حتى مات وكانوا يسمونه الابله وحدثني شيخنا
ابن الدباهي قال لما التقى ابن التتار وبين بغداد يوم ... اعلم الخليفة حينئذ فقال العد
بر... وجون سمعون ان كان هذا الخبر صحيح ثم طلب والدي فحضر بين يديه وطلب منه
الراي وقال كيف نعمل فصاح والدي وقال فات الامر كنتم صبيان زاده وفي تاريخ
الظهير الكازروني ان المستعصم دخل بغداد بعد ان خرج الى هولاكو فاخرج لهم الاموال
ثم خرج في رابع صفر وشرع السيف في البلد في خامس صفر وقتل الخليفة يوم الاربعا
رابع عشر صفر قيل جعل في غرارة ورفس الى ان مات ثم دفن وعفي اثره وقد بلغ ستا
واربعين سنة واربعة اشهر وقتل ابناه احمد وعبد الرحمن وبقي ابنه الصغير مبارك
واخواته فاطمة وخديجة ومريم في اسر التتار **الزكي عبد العظيم** عبد العظيم بن
عبد القوي بن عبد الله بن سلامة بن سعد بن سعيد الامام زكي الدين ابو محمد المنذري الحافظ صح
الشامي ثم المصري الشافعي ولد في غرة شعبان سنة احدى وثمانين وخمسمائه
بمصر وقرا القران على ابي ... حامد بن احمد الارتاحي وتفقه على ابي القاسم عبد الرحمن بن محمد
القرشي وتادب على ابي الحسين يحيى النحوي وسمع من ابي عبد الله الارتاحي وعبد
المجيب بن زهير وابرهيم بن البنا ومحمد بن سعيد المامونى والمطهر بن ابي بكر البيهقي
وتفقه ... اليمني الحافظ وابي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله وابي الجود غياث بن فارس
والحافظ ابن المفضل وبه تخرج وهو شيخه وبمكة من يونس الهاشمي وابي عبد الله بن البنا
وبطيبة من جعفر بن محمد بن اموسان ويحيى بن عقيل بن رفاعة وبدمشق من عمر بن طبرزد

ومحمد

ومحمد بن وهب ابن الشريف والخضر بن كامل وابي اليمن الكندي وعبد الجليل بن مندويه
وخلق وسمع بحران والرها والاسكندرية واماكن وخرج لنفسه معجما كبيرا مفيدا
سمعناه روى عنه الدمياطي والشريف عز الدين وابو الحسين اليونيني والشيخ محمد
القزاز والفخر اسمعيل بن عساكر وعلم الدين سنجر الدواداري وقاضي القضاة
تقي الدين بن دقيق العيد واسحق بن الوزيري والامين عبد القادر الصعبي والعماد
محمد بن الجرايدي والشهاب بن احمد بن الدفوفي ويوسف الختني وطايفة سواهم ودرس
بالجامع الظافري بالقاهرة مدة ثم ولي مشيخة الدار الكاملية وانقطع بها نحوا من
عشرين سنة مكبا على التصنيف والتخريج والافادة والرواية ذكره الشريف عز الدين
فقال كان عديم النظير في معرفة علم الحديث على اختلاف فنونه عالما بصحيحه وسقيمه
ومعلوله وطرقه متبحرا في معرفة احكامه ومعانيه ومشكله قيما بمعرفة غريبه واعرابه
واختلاف الفاظه اماما حجة ثبتا ورعا متحريا فيما يقوله متثبتا فيما يرويه قرات عليه
قطعة حسنة من حديثه وانتفعت به انتفاعا كثيرا **قلت** وقد قرا القراات في شبيبته
واتقن الفقه والعربية ولم يكن في زمانه احد احفظ منه واول سماعه بنفسه سنة احدى
وتسعين ولو استمر يسمع لادرك اسنادا عاليا ولكنه فتر نحوا من عشر سنين سمع من
الحافظ عبد الغني ولم يظفر بسماعه منه واجاز له وسمع شيبا من ابن الحسن بن نجا
الانصاري وله رحلة الى الاسكندرية اكثر فيها عن اصحاب السلفي وكان صالحا
زاهدا متنسكا قال شيخنا الدمياطي هو شيخي ومخرجي اتيته مبتديا وفارقته معيدا
له في الحديث وقال توفي في رابع ذي القعدة وشيعه خلق كثير رحمه الله ورثاه
غير واحد بقصايد حسنة **الصرصري** يحيى بن يوسف بن يحيى بن منصور بن المعمر بن
عبد السلام الشيخ العلامه الزاهد جمال الدين ابو زكريا الصرصري ثم البغدادي الحنبلي
الضرير اللغوي الاديب الشاعر صاحب المدايح النبوية السايرة في الافاق ولد
سنة ثمان وثمانين وخمسمايه وصحب الشيخ علي بن ادريس صاحب الشيخ عبد القادر
وسمع من جماعة وروى الحديث حكى لنا عنه شيخنا ابن الدباهي وكان حاله انه بلغنا
انه دخل عليه التتار وكان ضريرا فطعن بعكازه بطن واحد منهم فقتله ثم قتل شهيدا
ومن شعره هذه القصيده العدبه النظير التي جمعت منها حروف المعجم

ابت غير نج الدمع مقلة ذي حزن كسته الضنى الاوطان في مشخص الطعن
تثبت خليلا ذا حمى صادقا رضى شجر كظنى شطوا فراح به عنى
تلبث وحزنه المصطفى نظم قارض عرينا الحجى يسمعك مدهشه الاذن
ثوت جمع الحسنى بغر جلا له صفا من فذى شطور كا مدحض الظن
حزى المصطفى دو العرش خيرا فقد محا ضلالا وكشف البغي مسقط الوهن
حوى المجد سب حص الشرف الذى علا راد قد شا ظاهرا كاظم الطعن
خبت نار طغوى حرب ذى الغيث اذ مضى سحاب ظلام الشرك بالصوت كالعهن
دحت ظله الاوثان اعشب ربعها فاطلق من حض لجنا الصنك ذا سحن
دوى عصن حظرا الشرك في بعث احمد الرسول الرضى لا حظى لحماه فعل رد لى
رضى غير فظ ذو حجى زاد قربه فاحلص مطيعا لا تشك فتستثنى
زكا رشده فاحضر السعد ثمر حلا طاب ذو قاطل غضا المعنى سطى بعمود الاثم والربع فلا
وطل مهيض الخلق بالشرع ذا حصن شفى ريع سو محبك لصدر معضلا الحجة ذكى قاطع اللفظ
صفوح عن العقل سب خلا ذي لظى سو خطب شابك داوه مضنى صفا الملثا وعد نفصوكب
عدا بحسما لاخطار في السهل والحزن طوى شقه المعراج اذ خاز بسطه كف لا وطا رضي غدا مخلصا
طباه سقطت الشرك فاختاج عصنه راحرى دوى الاثم الوضيع فعل ورنى عفت سوق حرب الشرك نعمه
رضى خاتم جلا دجى الظلم ذى الغى عز الخصم ذا التخبيث والافك بالظبا وافضد سوق الجهل
فشاد ذرى الاسلام بالحق مخلصا وحب طعاه العصه بالكظم والذب
قضى با مسال سنه الشرع موجرا لالوه ذو حفظ عدا احمص البطن
كثير سحاب الفضل لا وضع عنده لنطق مغيظ ب حريان ذى شجن
لقد كان ثبتا في اضطرام لظى الوغى شجاعا ابهم الجزم كحصم بالاذن
مقف شكود ناب الحدحضا بط خلا عن غمر ذو صفا طاهر الحسن
نجد قشوم ذو اصطفا باهر غزا عظيم خلا عن شامت ضاحك السن
وكم حاز فضلا ما بنا شامح الذرى حسيبا عظيم القدر من طبعه المعنى
فيا خاتم الامجاد صل حفظ ذى سنا معا فك شعرا سا نعا ضابط الوزن
لانت اذا خطب دحا رث ضيقه وكاشف استار الظلم مع صونة الحزن

مسك

مسك وفتنا خاجزا الوضح شاخصا مد دعه طغوى ظالم الانس والجن
فيا سيد الاشراف يا من بفضله لتشهد بيت الله ذو الحجر والركن
نظل فوادى عند ذكرك خافقا وبهمى دايما انسفك الدمع من جفني
فسل لى رب العرش نحوك عودة احدد عهدا لا يخيب به ظني
فيا سا بلا لاكن قايلا هذه التى بمدحته اضحت معظمة الشان

سنه سبع وخمسين وستمايه في اولها سار الملك الناصر متبعا اثار البحرية
فاندفعوا بين يديه الى الكرك فنزل بركه زيزا وعزم على حصار الكرك وفي خدمته
صاحب حماه الملك المنصور فجاتاه رسل المغيث مع الدار القطبيه ومن ابنه الملك
الافضل قطب الدين بن العادل يوه يضرعون اليه في الرضا عن المغيث فشرط عليه
ان يقبض على من عنده من البحريه فاجاب وتقدم اليه على الجمال فتغيثهم الى قلعه حلب
فحبسوا بها واما ركن الدين البندقدارى فهرب من الكرك في جماعه وقدم على الملك الناصر
فاحسن اليهم وصفح عنهم ورجع وفي خدمته البندقدارى وفيها نزل هولاكو على آمد وبعث
رسله الى صاحب ماردين الملك السعيد نجم الدين يطلبه فسير اليه ولده الملك المظفر
في خدمته الامير سابق الدين بلبان والقاضي مهذب الدين محمد بن مجلي ومعهم تقادم
واعتذر بالمرض فوافق وصولهم اليه اخذه لقلعه اليمانيه وانزاله منها حرم الملك الكامل
صاحب ميافارقين وولده الملك الناصر يوسف بن الكامل والملك السعيد عمر بن
اخيه الملك الاشرف احمد والملك الصالح ايوب بن الملك المنشمر بن تاج الملوك على بن العادل
فلما راهم ابن صاحب ماردين جزع واذى الرساله فقيل له ليس مرضه بصحيح وانما هو متمارض
محافظه للملك الناصر صاحب الشام فان انتصر عليه اعتذر اليه بزيادة المرض وان انتصر
عليه بعث له بذ بيضا عند الناصر فلو كان الناصر قوة بد فعنى لما امكنني من دخول هذه البلاد
وقد بلغنى انه بعث حريمه وحرم امرائه واكرادعيته الى مصر ولو نزل صاحبكم الى رعب له ذلك
ثم امر برد القاضى وحده فعاد واخبر مخدومه بصورة الحال فقام على رساله ولده وبعث
رسولا الى الملك الناصر يستحثه على الحركه ويعرفه انه متى وصل السلطان قدم اليه برجاله
واموااله وسيره في الظاهر الى هولاكو يهدده وفي الباطن الى ولده يحرضه على الهروب
وسير الى صاحبى الروم عز الدين وركن الدين يشكر عليهما كونهما في خدمه هولاكو وتقول

ان بغى عليكما فاما ذلك لبغوا الملك الناصر فاعملا الحيلة في الانفصال والحذر منه وفي
اخر السنه وقعت الاراجيف بحركة التتار وقصدهم الشام فاختلف الخلق وفي اخرها قبض
الامير سيف الدين قطز المعزي على استاذه الملك المنصور علي بن المعز وتسلطن
ولقب بالملك المظفر وسبب ذلك قدوم الصاحب كمال الدين بن العديم رسولا يطلب
النجدة على التتار فجمع قطز الامرا والاعيان فحضر الشيخ عز الدين بن عبد السلام والقاضي
بدر الدين السنجاري وجلس الملك المنصور في دست السلطنة فاعتمدوا على ما يقوله
الشيخ عز الدين فكان خلاصته اذا طرق العدو البلاد وجب على العالم كلهم قتالهم وجاز
ان يوخذ من الرعية ما يستعان به على جهادهم بشرط ان لا يبقى في بيت المال شي وان يبيعوا
ما لكم من الحوايص والالات ويقتصر كل منكم على فرسه وسلاحه ويتساووا في ذلك هم والعامة
واما اخذ اموال العامة مع بقا ما في ايدي الجند من الاموال والالات الفاخرة
فلا ثم بعد ايام يسيرة قبض على المنصور وقال هذا صبي والوقت صعب ولا بد من ان
يقوم رجل شجاع ينتصب للجهاد وكان الاميران علم الدين الغتمي وسيف الدين بهادر
المعزي حين جرى هذا المجلس غايبين لرمي البندق فاغتنم قطز غيبتهما وتسلطن
فلما حضرا قبض عليهما وسير القاضي برهان الدين السنجاري مع ابن العديم الى الشام
بعد الناصر بالنجدة وبرز الملك الناصر والعساكر فنزلوا على برزة شمالي دمشق واجتمع
له عسكر كثير وتركمان واتراك وعجم ومطوعة ثم راى تخاذل عسكره وانه لا طاقة له
بالتتار لكثرتهم فخاف وجبن وكان قد صادر الناس وجبى الاموال ومانعه دونها
عن هولاكو لجيش عظيم الفرات بعد ان استولى على حران والرها والجزيرة واول من
عدى الفرات اشموط بن هولاكو في ذي الحجة فجا الخبر من البيرة الى حلب والنايب بها
الملك المعظم تورانشاه فخاف الناس منها وعظم الخطب وعم البلاء وكانت حلب في غاية
الحصانة وحسن الاسوار المنيعة وقلعتها كذلك وابلغ فلما كان في العشر الاخير من
ذي الحجة قصدت التتار حلب ونزلوا على جيلان في تلك الناحية ثم بعثوا طايفة من
عسكرهم فاشرفوا على المدينة فخرج اليهم عسكر حلب ومعهم خلق من المطوعة فشاوروا
حرفوا التتار فلما تحققوا كثرتهم كروا راجعين وامر نايب حلب ان لا يخرج بعد ذلك
احد وكتب لسخت الملك الناصر في الكشف عنهم فلما كان من الغد رحل التتار عن منزلتهم

ونازلوا

ونازلوا حلب واجتمع عسكر البلد بالبواشير والى ميدان الحصى واخذوا في اجالة
الراي فاشار عليهم نايب السلطنة ان لا يخرجوا فلم يوافقه العسكر وخرجوا ومعهم
العوام والشطار واجتمعوا بالجبل بانقوسا ووصل جمع التتار الى ذيل الجبل فحمل عليهم
جماعة من العسكر فانهزم التتر مكيدة فتبعوهم ساعة ثم كرت التتار عليهم فهربوا الى اصحابهم
ثم انهزم الجميع لما راوا التتار مقبلين وركبت التتار ظهورهم يقتلون فيهم وقتل يومئذ الامير
علم الدين زريق العزيزي ونازلت التتار البلد ذلك اليوم ثم رحلوا عنها طالبين اعزاز
فسلموها بالامان وخرجت السنه والناس في امر عظيم من الخوف والجلا والحيرة
سنه ثمان وخمسين وستمايه استهلت والوقت ظالم الظلام اعظم وعلى الشام
الناصر يوسف فرا الملكه بعد ايام يسيرة وصاحب مصر المظفر قطز مملكه في اوايلها وصاحب
اليمن المظفر يوسف بن عمر وصاحب ظفار موسى بن ادريس وصاحب دله وبعض الهند
ناصر الدين محمد بن ايتمش وصاحب كرمان خاتون زوجة الحاجب براق وصاحب سيراز
ابو بكر بن اتابك سعد وصاحب الموصل ابن بدر الدين وصاحب ماردين السعيد غازي
وصاحب الروم قلج رسلان ولكاوس ابنا الملك لبحسر ومن بعث ادامر النهر وصاحب الكرك
المغيث عمر وصاحب مكة ابو نمي محمد بن ابي سعيد وعمه ادريس وصاحب المدينة جماز
وصاحب حماه الملك المنصور محمد وصاحب حمص الاشرف موسى ابن المنصور ابرهيم
وصاحب يونس محمد بن يحيى وصاحب العراق واذربيجان وخراسان هولاكو ابن تولي بن
جنكزخان وفي المحرم قطع هولاكو الفرات فنزل البيرة والملاحة وتلك النواحي وارسل
الى اهل حلب انكم تضعفون عن لقاينا ونحن نقصد سلطانكم فاجعلوا لنا عندكم شحنة
بالقلعة وشحنة بالبلد فان انتصر علينا الملك الناصر فالامر اليكم ان شيتم ابقيتم على الشحنتين
وان شيتم قتلتموهما وان كانت النصرة لنا فحلب وغيرها لنا وتكونون امنين فلم يجبه
الملك المعظم تورانشاه الى ذلك وقال ما له عندنا الا السيف فنازل حلب يوم ثاني
صفر وهجمت التتار البواشير وقتلوا اكثر من فيها وقتل يومئذ اسد الدين بن الزاهر
داود بن صلاح الدين ولم يصبح عليهم ثالث صفر الا وقد حفروا خندقا في طول قامة
وفي عرض اربعة اذرع وبنوا حايطا ارتفاع خمسة اذرع كالسور عليهم وعملوا فيه ابوابا
ونصبوا على باب العراق الذي للبلد اكثر من عشرين منجنيقا والحوا بالرمي بها ليلا ونهارا

واحد وانفقا السور فلم يزالوا الى ان ظهروا اولا من حمام حمدان في ذيل قلعة الشريف
وركبوا الاسوار من كل ناحية في اليوم التاسع من صفر وهرب المسلمون الى جهة القلعة
ورمى خلق نفوسهم في الخندق وبذلت التتار السيف في العالم ودخل خلق الى القلعة
وذلك يوم الاحد واصبحوا يوم الاثنين وهم على ما امسوا من القتل والسبي وامتلأت
الطرقات بالقتلى واحرق في البلد اماكن لقرابات كانت بايديهم منها دار شهاب الدين
ابن عمرون ودار نجم الدين بن اخي مردكين ودار البادرائي ودار علم الدين قيصر الموصلي والخانقاه
التي فيها زين الدين الصوفي وكنيسة اليهود فكان القتل في هذه الايام ما كان اكثر من خمسين
الفا واسروا ايضا جمع كثير وقتل امم لا يحصيهم الا الله وبقي القتل والاسر والحريق والبلا
الى يوم الجمعة الرابع عشر من صفر ثم نودي برفع السيف واذن المؤذنون يومئذ بالجامع
واقيمت الخطبة والصلاة ثم احاطوا بالقلعة وحاصروها وبها الملك المعظم ووصل
الخبر باخذ حلب الى دمشق يوم السبت فهرب الملك الناصر من دمشق وزال ملكه وكان
رسل التتار يومئذ بحرستا فدخلوا دمشق وقرئ فرمان الملك بامان اهل دمشق وما
حولها ووصل نائب هولاكو الى دمشق في ربيع الاول فلقيه كبراء البلد باحسن ملتقى
وقرئ الفرمان وجاءت التتار من جهة الغوطة مارين ما دون شرقيها الى الكسوة
وبعد ايام وصل منشور من هولاكو للقاضي كمال الدين عمر التفليسي بقضاء الشام وماردين
والموصل ونظر الاوقاف والجامع وكان نائبا للقاضي صدر الدين بن سني الدولة
واما حماه فان صاحبها الملك المنصور قد توجه الى دمشق فنزل برزه فجا الى حماه بطاقه
برواح طب موقع في البلد ضبطه غطيه وخرج اهلها على وجوههم وسار فيهم الطواشي
مرشد ثم بقي بها احاد من الاعيان فتوجهوا الى حلب بمفاتيح البلد وطلبوا عطف هولاكو
عليهم وان ينفذ اليهم شحنة فسير اليهم خسروشاه رجل اعجمي فقدمها وامن الرعيه وكان
بقلعتها الامير مجاهد الدين قيماز فدخل في طاعته وسار الملك الناصر ومعه صاحب حماه
والامرا الى نحو غزة ثم سار الى قطية ومقدم صاحب حماه بجمهرة العساكر والجمال ودخل
مصر وبقي الناصر في عسكر قليل منهم اخوه الملك الظاهر والملك الصالح بن صاحب حمص
والامير شهاب الدين القيمري فتوجهوا الى تيه بني اسرائيل وخاف من المصريين ودخلت
عساكر التتار الى غزة واستولوا على الشام الا المعاقل والحصون فان بعضها لم يستولوا

عليه

عليه وحاصروا قلعة حلب اياما واستعانوا بمن بقي من اهل البلد يترسون بهم ثم تسلموها بالامان
واما قلعة دمشق فشرعوا في حصارها وبها الامير بدر الدين محمد بن قرجا واحاطوا
بها خلق من التتار وقطعوا الاخشاب وانزلوا المجانيق معهم ونحو نصبوا عليها اكثر من عشرين
منجنيقا واصبحوا يلعبون بها على برج الطارمة فطلب اهلها الامان في اخر النهار لما سقط
البرج من العدو ثم احرقت التتار جميع ما فيها وسكنها النايب كتبغا وخربوا شرفاتها ثم ساروا
الى بعلبك فتسلموها وحاصروا قلعتها فاخذوها ايضا ثم ساروا الى بانياس واما
الفرقة التي طلبت حوران اولا فامتدوا الى نابلس وتلك النواحي فاهلكوا الحرث
والنسل وبذلوا السيف في نابلس وقدموا الى دمشق بالسبي فكان الناس يشترون منهم و
يستفكونهم منهم بالدراهم المعدودة لكثرة من في ايديهم من السبي ثم ظفروا بالملك الناصر
وسلم نفسه اليهم بالامان فنودي بامانه على دمشق ثم ساروا به الى هولاكو فاحسن اليه واكرمه
ورعى له مجيئه اليه وبقي في خدمته هو وجماعة من اهله وفي جمادى الاولى طافوا بدمشق براس
الشهيد الملك الكامل صاحب ميافارقين الذي حاصره التتار سنة ونصفا وما زال
ظاهرا عليهم الى ان فني اهل البلد لفناء الاقوات واما القاضيان محيي الدين يحيى بن محيي
الدين بن الزكي وصدر الدين بن سني الدولة فذهبا الى هولاكو ثم رجعا وانقطع الصدر
ببعلبك مريضا ومات ودخل ابن الزكي فقرئ فرمانه بدمشق في جمادى الاخرة تحت
النسر بقضاء القضاة وان يكون نايبه اخوه لامه شهاب الدين اسمعيل بن نجيش وحضر
قراة الفرمان ابيسان نايب التتار وزوجته تحت النسر على طراحة وضعت لها وهي
بين زوجها وبين ابن الزكي وقال قطب الدين في تاريخه توجه محيي الدين واولاده واخوه
لامه شهاب الدين وابن سني الدولة الى هولاكو فادركوه قبل ان يقطع الفرات
ثم عادوا الى بعلبك ودخل محيي الدين في محفة وهو في تجمل عظيم ومعه من الحشم والغلمان
ما لا مزيد عليه وصلى الجمعة في شباك الامينية واحضر منبرا قبالة الشباك وقرئ تقليده
وهو تقليد عظيم جدا فيه بالعواني تعجبه كنت لا يخاطب منه الا بمولانا وفيه انه
يشارك النواب في الامور وعليه الخلعة وجبه سودا منسوجة بالذهب قيل انها
خلعة الخليفة على صاحب حلب وعلى راسه بقيار صوف بلا طيلسان قال ابو شامه
ثم شرع ابن الزكي في جر الاشيا اليه والى اولاده مع عدم الاهلية فاضاف الى نفسه

واقطابه العذراوية والناصرية والعلكية والركنية والعمرية والكلاسة وانتزع الصالحية
وسلمها الى العماد ابن العربي وانتزع الامينية من علم الدين القاسم وسلمها الى ولد
عبيشي وانتزع الشومانية من العز الشقشوابي وسلمها الى الكمال ابن النجار وانتزع الرواحية
من محمد اليمني وسلمها الى الشهاب محمود بن محمد بن عبد الله بن زين القضاة وولى ابنه
عيني مشيخة الشيوخ وكان مع الشهاب اخيه لا منذ رتب له واحد والشامية
البرانية ومشي على الامور الى ان زالت دولة الطاغية هولاكو عن الشام وجاء الاسلام
فبذل اموالا كثيرة على ان يلي القضا والمدارس في يده فلم يلتفت الى ذلك شهرا ثم سافر مع
السلطان الى مصر معزولا وولى القضا في ذي القعدة نجم الدين ابو بكر بن صدر الدين
ابن سني الدولة وفي جمادى الاولى او نحوه استولت التتار على عجلون والصلت
وصرخد وبصرى والصبيبة وخربت شرفات هذه القلاع ونهب ما فيها من الذخاير
وارسلوا كمال الدين عمر التفليسي الى الكرك يامرون المغيث بتسليمها فارسل اليهم ولده
مع التفليسي والملك القاهر بن المعظم والمنصور بن الصالح اسماعيل فسار الجميع صحبة
المقدم كتبغا وظفر بالملك الناصر وهو على عجلون فهرب الملك القاهر ورد الى
الكرك وقال للمغيث ما القوم شي فقو نفسك واحفظ بلدك ثم سار الى مصر يحرض
الجيش على الخروج ويهون شان التتار فشرعوا في الخروج وسار كتبغا بمن معه الى
صفد ومعه المقدم فانزلوا الاقامات ونصبت لكتبغا خيمة عظيمة ووصل اليه زين الدين
الحافظي والقاضي محيي الدين وعليه الخلعة السودا ثم انهم دخلوا دمشق في رجب
ثم سار طايفة بالناصر وابنه واخيه الظاهر الى هولاكو وفي شعبان حضر الى
دمشق بدر الدين محمد بن قرجا ونعيب القلعة الجمال الحلبي المعروف بابن الصيرفي
والى قلعة بعلبك فضربت اعناقهم ووصل الملك الاشرف بن المنصور بن المجاهد
صاحب حمص فنزل في داره وقرئ فرمانه بسلم نظره في البلاد وان يكون نايبا للملك
على الشام جميعه وسلمت اليه حمص وتدمر والرحبة وفي رمضان وصل الخبر باستيلا
التتار على صيدا من بلاد الفرنج ونهبها وامنا هولاكو اعدا الفرات ما كثر الجيش فغنمهم
من السبي والاموال والخيرات والدواب ما لا يوصف انما بلى لم لبر دادوا انما ومرض
الملك السعيد صاحب ماردين مرضا شديدا ثم عوفي وبعث الى هولاكو يطلب منه شاني

الدين ملا ال فبعثه اليه وقد استماله هولاكو في مدة مقامه عنده فلما اجتمع بمخدومه
اخبره بما تم على اهل حلب ثم ارسل السعيد اليه بهدية سنية واخبره بعافية السعيد
وسال عن قلعة ماردين فاخبروه ان بها من الاموال والذخاير والاقوات كفاية
اربعين سنة فكتب اليه بعضهم من المقصود وارسل اليه ولده الملك المظفر السلطان قبله
وعاد شاتول الدين الى هولاكو ابرد الجواب ثم قصدا اسناده الملك السعيد ان يرده
من دنيسر ويمسكه فلم يتفق واتصل بهولاكو ولم يرجع وعلم السعيد ان التتار لا
بد لهم منه ومن حصاره فنقل ما في البلد من الذخاير الى القلعة ثم بعد اربعة ايام وصلته
رسل هولاكو بهدية ووصل عقيب ذلك طايفة من التتار فنازلت ماردين في ثالث
جمادى الاولى فلم يقاتلوا وبقوا سته عشر يوما وقيل ان هولاكو كان معهم ثم التمسوا
فتح ابواب البلد ليدخلوا لشرا الاقوات وغيرها ويرحلون ففتح لهم فترددوا في الدخول
والخروج ثلاثة ايام ثم صعدوا على سور ماردين ودقوا الطبل وهجموا البلد بالسيف
فقاتلهم اهله وذبوا الشوارع وطردوهم فدام القتال شهرين الى ان فتح لهم بعض
مقدمي البلد دربا فملكوه ودخلوا منه الجامع وصعدوا المنابر ورموها بالنشاب
فضعف الناس واحتموا بالكنايس وصعد بعضهم الى القلعة وملك التتار البلد
ونصبوا المجانيق على القلعة ورمى منه فلم يصل الى القلعة منها الا لانه احجار واستمر
الحصار الى اخر السنة ووقع الوبا في القلعة فمات الملك السعيد فيمن مات وهلك
الحلق ورمى رجل بنفسه من القلعة واخبر التتار بموت السلطان فبعثوا الى ابنه
الملك المظفر وطلبوا منه الدخول في الطاعة وفي وسط العام قرئ بدمشق
كتاب هولاكو بسبب الناصر وذلك قبل ان يصل اليه اما بعد فنحن جنود الله
بنا ينتقم ممن عتا وتجبر وطغى وتكبر وبامر الله ما ايتمر ان عوتب تمرد وان روجع
استمر ونحن قد اهلكنا البلاد وابدنا العباد وقتلنا النسوان والاولاد فايها
الباقون انتم بمن مضى لاحقون ويا ايها الغافلون انتم اليهم تساقون ونحن جيوش
الهلكة لا جيوش الملكة مقصودنا الانتقام وملكنا لا يرام ونزيلنا لا يضام وعدلنا
فعلكم قد اشتهر ومن سيوفنا اين المفر اين المفر ولا مفر لها رب ولنا البسيطان الثرى على
ذلك لهيبتنا الاسود واصبحت في قبضتنا الامرا والخلفا ونحن اليكم

ولكم الهرب وعلينا الطلب   ستعلم ليلى أي دين تداينت   وأي غريم بالتقاضي غريمها
دمرنا البلاد وأيتمنا الأولاد وأهلكنا العباد وأذقناهم العذاب وجعلنا
عظيمهم صغيرا وأميرهم أسيرا تحسبون أنكم منا ناجون أو متخلصون وعن قريب
قليل سوف تعلمون على ما تقدمون وقد أعذر من أنذر   وأما ركن الدين بيبرس
البندقداري فإنه فارق الملك الناصر من الرمل واتفق هو والشهرزورية بغزة وتزوج
ثم بركة خان أحد ملوكهم ثم بعث علاء الدين طيبرس الوزيري إلى صاحب
مصر يحلف له على ما اقترحه عليه فأجابه فساق ودخل مصر في الثاني والعشرين
من ربيع الأول فأكرمه الملك المظفر واحترمه وقوى همة المظفر على حرب التتار
ثم جاء بعده الملك القاهر من الكرك يهون أمر التتار وكان شروع المصريين في الخروج
إلى الشام في نصف شعبان قلت وكان الناس في دمشق ممتنين من أذية
التتار بالنسبة وذلك لهيبة هولاكو لأنه بلغنا أن مفاتيح دمشق لما أتته على
حلب وهو فرحان بفتوح البلاد رمى بين أقوجه وقال للمغل دوسوا عليه فضربوا
جوك فقالوا العفو فقال هذا دمشق من أذى دمشق وأهلها يموت فلقد كان
التتري يخرج من غيبته في القنبرين أو الديس ويمصها فيه الفاسي ويصيح فيه
وهو لا ينطق ولعو هذا لكن انهتكت الحرمات وظهرت الفواحش والخمور ورفعت
النصارى رؤوسها وكان الساريب كافر أو نصراني أو مجوسي وما فيهم من يتلفظ
بالشهادة إلا أن يكون نادرا قال ابن الجوزي حدثني أبي قال خرجت من الصلاة في
الجمعة الثانية من رمضان فوجدت دكاكين الخمارين فيها النصارى يسقون الخمر
وبعض الفساق معهم وهم يشربون ويرشون على المصلين من الخمر بكاكيرا
إلى أن وصلت إلى دكاني بالرماحين وقال أبو شامة كانت النصارى بدمشق
قد شمخوا بدولة التتار وتردد إيسان المقدم إلى كنيستهم وذهب بعضهم إلى
هولاكو وجاء بفرمان بأن يرفع دينهم فخرجت النصارى يتلقونه ودخلوا رافعي
أصواتهم ومعهم الصليب مرفوع وهم يرشون الخمر على الناس وفي أبواب المساجد
ودخلوا من باب توما ووقفوا عند باب رباط البيانية ونادوا بشعارهم ورشوا
الخمر في باب الرباط وباب مسجد درب الحجر وألزموا الناس من الدكاكين بالقيام

للصليب

للصليب ومن لم يفعل ذلك أخرجوا به وأقاموه غصبا وشقوا القصبة إلى عند
القنطرة في آخر سوق علي كنيسة مريم ... فقام بعضهم على الدكان الوسطى وخطب
وفضل دين النصارى وصغر دين الإسلام ثم عطفوا من خلف السوق إلى الكنيسة
التي أخربها الله قلت قيل إنهم كانوا أسيئوا دون ظهر الدين الصحيح دين المسيح وذلك
في الثاني والعشرين من رمضان فصعد المسلمون مع القضاة والعلماء إلى إيل سبان
بالقلعة في ذلك فأهانهم ورفع القسيس النصارى عليهم وأخرجوهم من القلعة
بالضرب والإهانة ثم نزل إيل سبان من القلعة إلى الكنيسة وأقبل الملك المظفر بالجيوش
حتى أتى الأردن وسار كتبغا المغول منه إلى عين جالوت من أرض بيسان وكان
شاليش المسلمين ركن الدين بيبرس البندقداري فجيء طلع من التل أشرف على التتار
نازلين ووقعت العين في العين وكان بينه وبين السلطان مرحلة فجهز إليه يستدعي ... ن
الرهبة في طلب السلطان وتلقى وقالوا الآن وليت كسرنا الإسلام فجعلوا يقعقعون
ورشقهم حتى نزلوا عن التل إلى خلف وضرب السنجق علقه على التل وجلب البندقداري
بعسكره فلم يمض ساعة حتى جاءته جماعة ملبسة من أبطال رجال الإسلام ثم ساعة
أخرى لحقتها جماعة أخرى وأما التتار فاشتغلوا أيضا بأخذ أهبتهم للمصاف
وتلاحق الجيش ثم وقع المصاف قال أبو شامة لما كان ليلة سبع وعشرين من
رمضان جاءنا الخبر بأن عسكر المسلمين وقع على عسكر التتار يوم الجمعة الخامس
والعشرين من الشهر عند عين جالوت وهزموهم وقتلوا فيهم وقتلوا ملكهم كتبغا
وأسر ابنه فانهزم من بدمشق النائب إيل سبان ومن عنده من التتار وتبعهم أهل الضياع
يتخطفونهم وقال الشيخ قطب الدين خرج الملك المظفر بجيش مصر والشام إلى
لقاء التتر وكان كتبغا بالبقاع فبلغه الخبر فطلب الملك الأشرف يعني الذي استنابه
هولاكو على الشام والقاضي محيي الدين واستشارهم فمنهم من أشار بعدم الملتقى
وبأن يندفع بين يدي المظفر إلى أن يجيئه المدد من هولاكو ومنهم من أشار بغير ذلك
وتفرقت الآراء فأمضى رأيه بالملتقى وسار من فوره فالتقوا يوم الجمعة فانكسرت
فانكسرت ميسرة المسلمين كسرة شنيعة فحمل الملك المظفر في التتار وحمل معه خلق
فكان النصر فقتل كتبغا ومعظم أعيان التتر وقتل منهم مقتلة عظيمة وهرب من هرب

الأمير

وقبل أن الذي قتل كتبغا اقوش الشمسي وولت التتار الادبار وطمع الناس فيهم
يتخطفونهم وينهبونهم وعند الفراغ من المصاف حضر الملك السعيد بن عثمان بن العادل
صاحب الصبيبة الى بين يدي السلطان فلم يقبله وضرب عنقه وجاء كتاب المظفر
بالنصر فطار الناس فرحا وثار بعضهم بالفخر الكرجي فقتلوه بالجامع لكونه خالط
الشمس القمي ودخل معه في اخذ اموال العقال وقتل الشمس بن الماكيسني وابن
البغل وغيرهم من الاعوان وكان المسلمون قد رعوا التشكل على النصارى لعنهم الله من اول
امس لرفعهم الصليب وغير ذلك فاسرعوا الى دورهم ينهبونها ويخربونها واخربوا
في كنيسة اليعاقبة واحرقوا لنسبتهم الكبرى كنيسة مريم حتى بقيت كوما وبقيت النار
تعمل في احشائها اياما وقتل منهم جماعة واختفى سائرهم ونهب قليل من اليهود ثم
كفوا عنهم لانهم لم يصدر منهم ما صدر من النصارى وعيد المسلمون على خير عظيم ولله
الحمد وطلب السلطان الملك المظفر القلعة مؤيدا منصورا واحبه الخلق غاية
المحبة وعين قبله البندقداري على دمشق وساق وراء التتار الى بلاد حلب وطردهم
من البلاد ووعد السلطان بحلب ثم رجع عن ذلك فتأثر ركن الدين البندقداري
من ذلك وكان ذلك مبدأ الوحشة وسير الملك الاشرف بن صاحب حمص يطلب من
السلطان امانا على نفسه وبلاده وكان قد هرب مع التتار من دمشق ثم انملس
منهم وقصد قلعة تدمر فامنه واعطاه بلاده فحضر الى الخدمة ثم توجه الى حمص
وتوجه صاحب حماه الى حماه واستعمل السلطان على حلب علاء الدين بن صاحب الموصل
واستعمل على دمشق الامير علم الدين سنجر الحلبي والامير مجير الدين بن حسن ونواب
امور الشام وشنق حسين الكردي طبردار الملك الناصر الذي خدعه واوقعه في
اسر التتار وعزل عن خطابة دمشق ابن الحرستاني وولي بها اصيل الدين الاسعردي
امام السلطان قطز وقري تقليده ثم عزل بعد شهر واعيد عماد الدين بن الحرستاني
واقام المظفر نحو الشهر وسار الى الديار المصرية ونقل الصاحب عز الدين بن شداد
ان المظفر لما ملك دمشق عزم على التوجه الى حلب ليتطف آثار التتار من البلاد فوشي
اليه واش ان ركن الدين البندقداري قد تنكر له وتغير عليه وانه عامل عليك فصرف
وجهه عن قصده وعزم على التوجه الى مصر وقد اضمر الشر للبندقداري واسر ذلك الى بعض

خواصه

خواصه فاطلع على ذلك البندقداري ثم ساروا والحقود ظاهرة في العيون والخدود
وكل منهما متحرس من صاحبه الى ان اجمع ركن الدين البندقداري على قتل المظفر واتفق
معه سيف الدين بلبان الرشيدي وبهادر المعزي وبدغان الركني وبكتوت الجوكندار
وبلبان الهاروني وانص الاصبهاني الامراء فلما قارب القصير الذي بالرمل خرج للصيد
ثم رجع فسايره البندقداري واصحابه وحادثه وطلب منه امراة من سبي التتار فانعم له
بها فاخذ يده ليقبلها وكانت تلك اشارة بينه وبين اولئك فبادره بدر الدين بكتوت الجوكندار
المعزي فضربه بالسيف على عاتقه فابانه ثم رماه ثم رشقه بهادر المعزي بسهم فقضى عليه
وذلك يوم سادس عشر ذي القعدة ثم ساروا الى الدهليز وضربوا مشورة فيمن يملكوه
عليهم فاتفقوا على ركن الدين البندقداري وتقدم الامير فارس الدين اقطاي المعروف
بالاتابك فبايعه ثم بلبان الرشيدي ولقب الملك القاهر ثم ساق هو والاتابك وقلاوون
الذي تسلطن والبيسري وجماعة وقصد قلعة مصر ورتب اقوش النجيبي استاددار
وعز الدين الافرم امير جندار فخرج نائب الملك على القاهرة للقائه وهو الامير عز الدين
فصادف هولا فاخبروه بما وقع فحلف لركن الدين ورد الى القلعة ووقف على بابها
ينتظره وكانت القاهرة قد زينت لقدوم الملك المظفر وهم في فرحة فلما طلع الضوء لم
يشعروا الا والمنادي يقول معشر الناس ادعوا لسلطانكم الملك القاهر ركن الدنيا
والدين ووعدهم بالاحسان وازالة المؤن لان الملك المظفر رحمه الله كان قد احدث
على المصريين حوادث كثيرة منها تصقيع الاملاك وتقويمها وزكاتها واحد ملك الزكاة
وتلك التركات وعن كل انسان دينار واخذ مضاعف الزكاة فبلغ ذلك في العام
ستمائة الف دينار فاطلق لهم ذلك القاهر وجلس على تخت الملك يوم الاحد وذلك اليوم
الثاني من قتله المظفر فاشار عليه الوزير زين الدين بن الزبير وكان منشيا بليغا
بان يغير هذا اللقب وقال ما لقب به احد فافلح لقب به القاهر بن المعتضد فسمل بعد قليل
وخلع ولقب به القاهر بن صاحب الموصل فسم فابطل السلطان هذا اللقب وتلقب
بالملك الظاهر واما نائب دمشق الحلبي فبلغه قتل المظفر فحلف الامرا لنفسه ودخل
القلعة وتسلطن وتلقب بالملك المجاهد وخطب له بدمشق في سادس ذي الحجة مع الملك
الظاهر وامر بضرب الدراهم باسمهما وغلت الاسعار ونقى الخبز رطل بدرهمين ودقية

الجبن بدرهم ونصف واما اللحم فكاد يعدم وبلغ الرطل بخمسة عشر درهما ولما استقر الملك
الظاهر في السلطنة ابعد عنه الملك المنصور علي بن المعز ايبك وامه واخاه الى بلاد
الاشكري وكانوا معتقلين في القلعة وفي شوال درس صلاح الدين محمد بن المقدسي بالتربة
الصالحية بعد والده وولاه المنصور نظر الاوقاف وقرئ بعد تقليد قاضي القضاة محيي الدين
بولاية القضا والدرس من جهة المظفر ثم عزل بعد ايام بنجم الدين بن سني الدولة ودرس
بالامينية قطب الدين بن عصرون وشرعوا في عمارة ما وهي من قلعة دمشق وعمل اهل البلد
واهل الاسواق وعظم الشرود وعملت المغاني والدبادب لذلك وبلغ اللحم في ذي القعدة
الرطل بتسعة دراهم ورطل الجبن بدرهمين ورطل الخبز باثني عشر درهما واستعار الاقوات
من نسبة ذلك بدمشق وبلغ صرف الدينار الى خمسة وستين درهما وابيع في عيد النحر
راس الاضحية بثمانين درهما وتوابد الامر نقل ذلك التاج بن عساكر وفي ذي القعدة امر
الامير علم الدين الحلبي بعمارة قلعة دمشق واصلاحها وركب بالغاشية والسيوف المجرده
وحمل الغاشية ابن الملك العادل والزاهر بن صاحب حمص والقضاة والمدرسون
حوله ففرح الناس وعملوا في بنايها وكان المظفر قد استناب على حلب الملك السعيد
علا الدين بن صاحب الموصل وقصد بذلك استعلام اخبار العدو لان اخاه الصالح
كان بالموصل واخاه المجاهد كان بالجزيرة فتوجه السعيد الى حلب بامرائها وعسكرها
واساء اليهم واراد مصادرة الرعية فاجمعت الامرا على قبضه وعوضوا عنه بالامير حسام
الدين لجوكندار العزيزي ثم بلغهم ان التتار قد قاربوا البيرة وكانت اسوار حلب من زلزالها
قد هدمت وبني سامه كما هي الان فاجفل الناس منها **الملك المظفر** قطز بن عبد الله
السلطان الشهيد الملك المظفر سيف الدين المعزي كان اكبر مماليك الملك المعز ايبك
التركماني وكان بطلا شجاعا مقداما حازما حسن التدبير يرجع الى دين واسلام
وخير وله اليد البيضاء في جهاد التتار فعوضه الله شبابه بالجنة ورضي عنه حكى شمس الدين
الجزري في تاريخه عن ابيه قال كان قطز في رق ابن الزعيم بدمشق في القصاعين فضربه
استاذه فبكى ولم ياكل شيئا يومه ثم ركب استاذه للخدمة وامر الفراش ان يترضاه ويطعمه
قال فحدثني الحاج علي الفراش قال جيته فقلت ما هذا البكا من لطشة فقال انما بكاي من
لعنته ابي وجدي وهم خير منه فقلت من ابوك واحد كافر فقال والله ما انا الا مسلم ابن مسلم

انا

انا محمود بن ممدود ابن اخت خوارزم شاه من اولاد الملوك فسكت وترضيته وتنقلت به
الاحوال الى ان تملك ولما تملك الشام احسن الى الحاج علي الفراش واعطاه خمسماية
دينار وعمل له راتبا قلت وكان مدبر دولة ابن استاذه الملك المنصور علي بن المعز
فلما دهم العدو الشام راى ان الوقت لحتاج الى سلطان مهيب كامل الرجولية فعزل
الصبي من الملك وتسلطن وتم له ذلك في اواخر سنة سبع وخمسين ثم لم يبلغ ريقه
ولا تهنا بالسلطنة حتى امتلات الشامات المباركة بالتتار فتجهز للجهاد وشرع في
اهبة الغزو والتف اليه عسكر الشام وبايعوه فسار بالجيوش في اوايل رمضان
لقصد الشام ونصر الاسلام فعمل المصاف مع التتار وعليهم كتبغا على عين جالوت
فنصره الله وقتل مقدم التتار قال الشيخ قطب الدين حكي عنه انه قتل جواده يوميذ
ولم يصادف احدا من الوشاقية فبقي راجلا فراه بعض الامرا الشجعان فترجل وقدم
له حصانه فامتنع وقال ما كنت لامنع المسلمين الانتفاع بك في هذا الوقت ثم تلاحقت
الوشاقية اليه حدثني ابن احد ان الملك قطز لما راى انكشافا في ميسرته رمى
الخوذة عن راسه وحمل وقال وادين محمد فكان النصر قال وكان شابا اشقر
كبير اللحية **قلت** ثم جهز الامير ركن الدين بيبرس اعني الملك الظاهر في اقفا التتار
ووعده بنيابة حلب فساق وراهم الى ان طردهم عن الشام ثم انه انثنى عزمه عن اعطايه
حلب وولاها العلا الدين بن صاحب الموصل فتاثر ركن الدين من ذلك ودخل الملك
المظفر دمشق فاحسن الى الرعية واحبوه حبا زايدا ثم استناب على البلد علم الدين
سنجر الحلبي ورجع بعد شهر الى الديار المصرية فقتل بين الغرابي والصالحية في اخر
الرمل ودفن بالقصير وقال ابن الجزري في تاريخه حدثني ابي قال حدثني ابو بكر بن الدريهم
الاسعردي والزكي ابرهيم الجبيلي استاذ الفارس اقطايا قال كنا عند سيف الدين
قطز لما تسلطن استاذه المعز وقد حضر عنده منجم مغربي فصرف اكثر غلمانه فاردنا
القيام فامرنا بالقعود ثم امر المنجم فضرب الرمل ثم قال اضرب لمن يملك بعد استاذي
ومن يكسر التتار فضرب وبقي زمانا يحسب ثم قال يطلع معي خمسة حروف بلا نقط فقال لم لا
تقول محمود بن ممدود فقال يا خوند لا يقع غير هذا الاسم فقال انا هو وانا اكسرهم واخذ
بثاري خالي خوارزم شاه فتعجبنا من كلامه وقلنا ان شا الله يكون هذا يا خوند فقال

اكمنوا واعطى المنجم ملتمايه دينار **قلت** تولى قتله ركن الدين البندقداري المذكور الذي
قتل الملك المعظم بالمنصوره واعانه جماعة امرا وبقي ملقى فدفنه بعض غلمانه وصار
قبره معتضد بالزيارة ويترحم عليه ويسب من قتله فلما كثر ذلك بعث السلطان من نبشه
ونقله الى مكان لا يعرف وعفي اثره قتل في سادس عشر ذي القعده **الغزميني** مختار
ابن محمود بن محمد الزاهدي الغزميني وغزمين من قصبات خوارزم الشيخ العلامه نجم الدين
ابو الرجا له التصانيف المشهورة المقبوله منها شرح القدوري والجامع في الحيض والفرائض
وزاد الايمه والمجتبى في الاصول والصفوة في الاصول قرا بالمال واماتة على العلامه
رشيد الدين يوسف بن محمد القندي وتفقه على علاء الدين سديد بن محمد الخياطي المحتسب
وعلى الايمة صاحب البحر المحيط واخذ الادب عن شرف الافاضل الجهيني وقرا الكلام على
سراج الدين يوسف بن ابي بكر السكاكي الخوارزمي وسمع الحديث من شيخ الشيوخ ابي الجناب
احمد عمر الخيوقي وبرهان الايمة محمد عبد الكريم التركي واحمد بن مويد المكي الخوارزمي
تفقه عليه وسمع منه خلق كثير وروى عنه محمد بن ابي القاسم المعري توفي بجرجانية خوارزم
سنة ثمان وخمسين وستمايه ورثى فيه قال ماذا ذكر القرشي في كتابه **سنة تسع**
وخمسين وستمايه استهلت وما للناس خليفه وصاحب مكة الشريف ابو نمي الحسني
وعمه وصاحب المدينه عز الدين جماز بن شيحه الحسيني وصاحب مصر الملك الظاهر
ركن الدين بيبرس الصالحي وصاحب دمشق الملك المجاهد علم الدين سنجر الحلبي وصاحب
الموصل الملك الصالح اسمعيل بن لولو وصاحب الجزيره اخوه المجاهد اسحق وصاحب
ماردين المظفر قرا ارسلان بن السعيد وصاحب الروم ركن الدين قليج ارسلان بن غياث
الدين كيخسرو بن علا الدين واخوه عز الدين كيكاوس وصاحب الكرك والشوبك المغيث
عمر بن العادل بن الكامل وصاحب حماه المنصور محمد بن المظفر وصاحب حمص والرحبه
وتدمر الاشرف موسى بن ابرهيم بن شيركوه والمستولي على حصون الاسماعيليه الثانيه
رضي الدين ابو المعالي بن نجم الدين اسمعيل بن الشعراني وصاحب مراكش المرتضى عمر بن ابرهيم
ابن يوسف وصاحب تونس ابو عبد الله محمد بن يحيى بن ابي محمد بن الشيخ ابي حفص عمر بن يحيى وصاحب
اليمن الملك المظفر يوسف بن الملك المنصور وصاحب ظفار موسى بن ادريس الحضرمي
وصاحب دلي ناصر الدين محمود بن شمس الدين ايتمش وصاحب كرمان تركان خاتون زوجة

الحاجب

الحاجب براق وابنا اخي براق وصاحب شيراز وفارس ابو بكر بن اتابك سعد وصاحب
خراسان والعراق واذربيجان وغير ذلك هولاكو ان قان بن جنكزخان وصاحب دشت
القبجاق وبلاد الدبار بركه بن عم هولاكو وفي **وقعة حمص** وكانت في خامس المحرم
اجتمع عدد من التتار الذين نجوا من عين جالوت والذين كانوا بحران والجزيره وكانوا قد
هلكوا من القحط فاغاروا على حلب وقتلوا اهلها بعزيمة ثم ساقوا الى حمص ليأخذوا
بغتة الملك المظفر وان العسكر منقطعة فوجدوا على حمص الامير حسام الدين الجوكندار
ومعه العسكر الذين كانوا بحلب والملك المنصور صاحب حماه والملك الاشرف صاحب
حمص وعدتهم الف واربعمايه فحملوا على التتار وهم ستة الاف فارس حملة صادقه
فكسروهم وركبوا اقفيتهم قتلا واسرا حتى اتى القتل على معظمهم وهرب مقدمهم بيدرا
في نفر يسير باسوا حاله وكانت الوقعه عند تربة خالد بن الوليد رضي الله عنه وتسمى
وقعة حمص لعيقان لان عين ولصوحدث انه راى قبقا نا عظيمة قد نزلت وقت
المصاف على التتار وتضرب في وجوههم وحكى بدر الدين محمد بن عز الدين حسن القيمري
وكان صدوقا قال كنت مع صاحب حماه فوالله لقد رايت بعيني طيورا ابيضا وهي تضرب
في وجوه التتار يومئذ نقله عنه الجزري في تاريخه وقال ابو شامه جا الخبر بان التتار
كسروا بارض حمص كسرة عظيمه وضربت البشاير وكانت الوقعه عند قبر خالد الى قريب
الرستن وذلك يوم الجمعة خامس المحرم وقتل منهم فوق الالف ولم يقتل من المسلمين سوى
رجل واحد ثم جاءت رووسهم الى دمشق **قلت** حكى لنا انهم جاؤوا بها في شرايح وكنا
نتعجب من كبر تلك الرووس لانها رووس المغل قال ابو شامة وجا الخبر بنزول
التتار على حماه في نصف الشهر فقدم صاحب حماه وصاحب حمص في طلب النجدة
والاجتماع على قتالهم الملك المجاهد علم الدين عن سلطنة دمشق **قلت** بل اتفقوا
على خلع الحلبي وحصروه بالقلعه وجرى بينهم شي من قتال وخرج اليهم وقاتلهم ثم رجع
الى القلعه فلما راى الغلبه خرج في الليل بعد ايام من دمشق من باب سر قريب من باب
توما وقصد بعلبك فتحصن في قلعتها وبقي قليلا فقدم علاء الدين طيبرس الوزيري فامسك
الحلبي من قلعة بعلبك وقيده وسيره الى مصر وفيها في اواخر المحرم وقع على دمشق ثلج
عظيم لم يعهد وبقي يومين وليلتين وبقي على الاسطحة اعلا من ذراع ثم ذاب وبقي كانه جبال

في الازقة ونضر الخلق به وذلك في اول كانون الاصم واما التتار فقال قطب الدين رحمه الله
ولما عاد من عين جالوت التتار الى حلب اخرجوا من فيها ثم نادوا كل من كان من اهل البلد فليعتزل
فاختلط على الناس امرهم ولم يعلموا المراد فاعتزل بعض الغربا مع اهل حلب فلما تميز الفريقان
اخذوا الغربا وذهبوا بهم الى ناحية بابلي فضربوا رقابهم وكان فيهم جماعة من قرابة الملك
الناصر رحمهم الله ثم عدوا من بقي وسلموا كل طايفة الى رجل كبير ضمنوه اياهم ثم احاطوا
بالبلد اربعة اشهر فلم يدخلها احد ولا خرج منها احد فغلت الاسعار وهلكوا وتعوجوا
وبلغ رطل الخبز سبعة عشر درهما ورطل السمك ثلاثين درهما ورطل اللبن خمسة عشر درهما
ورطل السكر خمسين درهما واكلت الميتات واما الجوكندار فدخل مصر ثم عاد الى حلب
وفي سابع صفر ركب السلطان الملك الظاهر في دست السلطنة من قلعة الجبل وهو
اول ركوبه قال قطب الدين وكتب الى الامرا يحرضهم على القبض على الحلبي فخرجوا عن
دمشق ونابذوه وفيهم علا الدين البندقداري يعني استاد الملك الظاهر وبها الدين
بغدي فتبعهم الحلبي وحاربهم فحملوا عليه فهزموه ودخل القلعة فاغلقها في حادي عشر
صفر ثم خرج من القلعة تلك الليلة واتى بعلبك في عشرين مملوكا واستولى البندقدار
على دمشق وناب فيها عن الملك الظاهر وجهز لمحاصرة بعلبك بدر الدين بن رحال فحال
وصوله دخل بعلبك وراسل الحلبي ثم نفر من وله ووراحه الى خدمة الملك الظاهر
فخرج من القلعة على بغلة وسار فدخل على الملك الظاهر ليلا فقام اليه واعتنقه
واكرمه وعاتبه عتابا لطيفا ثم خلع عليه ورسم له بخيل وبخت قلت ثم حبسه وقال
ابو شامة ثم رجعت التتار فنزل صاحب صهيون وتخطف منهم جماعة وقتلت العداوية
الحسيسة صاحب سيس لعنه الله ووقع السيف بين التتر ورمى ابن صاحب سيس
وفيها درس القاضي نجم الدين بن سني الدولة بالعادلية وعزل الكمال التفليسي واعتقل
بسبب الجواهر الناصرية التي سلمها التتار وكانت رهنا بمحرز الايتام على المال الذي
اقترضه الملك الناصر قال وفيه يعني ربيع الاول خرج الفرنج في سبعماية قنطاريه
وخمسماية تركبلي ونحو ثلاثة الاف فارس راجل فاخذ الجميع قتلا واسرا ولم يفلت منهم
شيء راجع قلت اسدف لعنا لهم الغاجرة التركمان فاخلوا لهم بيوتهم وهربوا وكمنوا
لهم ثم نزلوا عليهم وشنوهم واراح الله منهم وكانت وجهتهم زرعا وصيدا ؛؛ وفي جمادى الاولى

عقد

عقدوا العزا بجامع دمشق للملك الناصر لما صح الخبر بانه ضربت رقبته مع جماعة لما بلغهم
ان المصريين كسروهم على عين جالوت وفيه ورد اولاد صاحب الموصل وهما صاحب
الجزيرة ونوبد وصاحب الموصل بعيالهم واموالهم ومعه طايفة من اهل البلاد
فمضوا الى مصر ثم رجعوا في اواخر السنة مع السلطان ومضوا الى بلادهم وفي
رجب اقيم في الخلافة بمصر المستنصر بالله احمد ثم قدم دمشق هو والسلطان فعملت
لقدومهما القباب واحتفل الناس لزينتها وعدم في الشرق في اخر العام كما في ترجمته
وفي ذي الحجة عزل عن قضا الشام نجم الدين بن سني الدولة وولي شمس الدين بن
خلكان الذي كان الحكم بالقاهرة ثم وكل بالمعزول والزم السفر الى مصر
قال ابو شامة كان جايرا فاجرا ظالما وشاع عنه انه اودع كيسا فيه الف دينار
فرد بدله كيسا فيه فلوس وفوض الى ابن خلكان نظر الاوقاف وتدريس سبع مدارس
كانت بيد المعزول العادلية والعذراوية والناصرية والفلكية والركنية والاقبالية
والبهنسية وفي نصف ذي الحجة رجع السلطان الى مصر ۝ وفيها اقام الامير شمس
الدين البرلي المسمى برلوا بحلب خليفة ولقبه بالحاكم بامر الله وخطب له ونقش اسمه على
الدراهم فلما قدم السلطان الشام تزلزل امره وطلب العراق ثم اجتمع بالامام المستنصر
بالله ودخل في طاعة المستنصر وفي اواخرها وقع المصاف بين المستنصر وبين
التتار بالعراق فعدم المستنصر وقتل عدد من اصحابه وهرب الحاكم
في جماعة وسلم وممن عدم فيها كمال الدين بن السنجاري ومحي الدين بن العربي وعبد
الملك بن عساكر وقد ذكرنا الوقعة في ترجمة المستنصر واستعمل السلطان على حلب
الامير علم الدين سنجر الحلبي وبعث معه عسكرا لمحاربة برلوا وكان قد غلب على حلب
فلما قرب الحلبي قصد البرلي الرقة ودخل الحلبي حلب وجهز عسكرا ورا البرلي فادركوه
بالبرية فقال انا مملوك السلطان وخدعهم ثم وصل الى حران ثم اتى البيرة فتسلمها
وقوي امره وقصد حلب فتعصب اليه جماعة من عسكر حلب فخاف الحلبي وهرب فدخل البرلي
حلب فلما بلغ السلطان خرج من مصر بالجيش ثم جهز علا الدين ايدكين البندقدار
بالعساكر الى حلب ومحاربة البرلي فسار من دمشق في نصف ذي القعدة فخرج البرلي عن
حلب وقصد قلعة العرادي وحاصرها واخذ هامر التتار ونهبها ۝ وفيها كانت للملك

المغيث صاحب الكرك الملك الظاهر يستعطفه فرضي عنه وفي شوال ولي قضا مصر برهان
الدين السنجاري وعزل تاج الدين بن بنت الاعز وفي شوال تزوج بيبك الخزندار الظاهري
بنت صاحب الموصل بدر الدين لولوا فاعطاه السلطان الصبيبه وبانياس وقدم على
السلطان وهو بدمشق الملك الاشرف صاحب حمص فخلع عليه واعطاه ثمانين الف درهم
وزاده تل باشر وفي ذي الحجة سار الرشيدي في عسكر الى ارض انطاكيه فاغار عليها قال
قطب الدين وفي رمضان وقع الصلح بين التتار وبين الملك المظفر بن السعيد صاحب ماردين
فتوجه اليهم ومعه هديه سنيه من جملتها باطيه مجوهرة قيمتها اربعه وثمانون الف دينار
فاكرموه ثم قتلوا اصحابه وكانوا سبعين نفسا بلا ذنب ولا جرم بل ارادوا قص جناحه
وفي رمضان وقع المصاف بين الاخوين ركن الدين صاحب الروم واخيه عز الدين بقرب قونيه
فانتصر ركن الدين لانه كان معه نجده من التتر وقتل من عسكر عز الدين خلق واسر جماعة
فشفعوا فاقام عز الدين بانطاكيه **الملك الناصر** يوسف السلطان الملك الناصر صلاح
الدين بن السلطان الملك العزيز محمد بن الظاهر غازي بن السلطان الملك الناصر صلاح
الدين يوسف بن الامير نجم الدين ايوب الايوبي صاحب حلب ثم صاحب الشام ولد بقلعه
حلب في رمضان سنه سبع وعشرين وسلطنوه عند موت ابيه سنه اربع وثلاثين وقام
بتدبير دولته الامير شمس الدين لولوا الاميني وعز الدين بن مجلي والوزير الاكرم جمال الدين
القفطي والطواشي جمال الدوله اقبال الخاتوني والامر كله راجع الى جدته الصاحبه ضيفه
خاتون بنت الملك العادل ثم توجه قاضي القضاه زين الدين بن عبد الله بن الاستاذ الى
الديار المصريه ومعه عمه الملك العزيز وكان قد مات شابا ابن اربع وعشرين سنه فلما
راها السلطان الملك الكامل اظهر الحزن لموته وحلف للملك الناصر لمكان الصاحبه اخته
فلما توفت الصاحبه سنه اربعين استقل الناصر وامر ونهى فلما كانت سنه ست واربعين
سار من جهته نايبه شمس الدين لولوا وحاصر حمص وطلب النجده من الصالح نجم الدين ايوب
فلم ينجده وغضب وجرت امور ثم استقرت حمص بيد الملك الناصر وفي ربيع الاخر سنه
ثمان واربعين قدم الى دمشق واخذها فرغ كلفه لا شتغال غلمان الصالح بانفسهم
ثم في اثنا السنه قصد الديار المصريه ليملكها فما تم له وفي سنه اثنتين وخمسين دخل
على بنت السلطان علا الدين صاحب الروم فولدت له علا الدين في سنه ثلاث وام هذه

هي

هي اخت جدته الصاحبه وكان سمحا جوادا جليلا حسن الاخلاق محببا الى الرعيه
فيه عدل في الجمله وصفح ومحبه للفضيله وللادب وكان سوق الشعر نافقا في ايامه
وكان يذبح في مطبخه كل يوم اربعمايه راس سوى الدجاج والطيور والاجديه وكان
يبيع الغلمان من سماطه اشيا كثيره مفتخره عند باب القلعه بارخص ثمن حكى علا الدين
ابن نصر الله ان الملك الناصر جا الى داره بغته قال فمددت له في الوقت سماطا بالدجاج
المحشي بالسكر والفستق وغيره فتعجب وقال كيف تهيا لك هذا فقلت هو من نعمتك
اشتريته عند باب القلعه وكانت نفقته مطابخه وما يتعلق بها في كل يوم اكثر من
عشرين الف درهم وكان يحاضر الفضلا والادبا وعلى ذهنه كثير من الشعر والادب
وله نوادر واجوبه ونظم وله حسن ظن في الصالحين بنى بدمشق مدرسه وبالجبل
رباطا وتربه وبنى الخان عند المدرسه النجيبيه وقال ابو شامه وفي منتصف صفر
ورد الخبر الى دمشق باستيلا التتار على حلب بالسيف وهرب صاحبها من دمشق
بامرايه الموافقين له على سويد ببره وزال ملكه عن البلاد ودخلت رسل التتار بعد
بيوم الى دمشق وقرى فرمان الملك بامان دمشق وما حولها ووصل الناصر
الى غزه ثم الى قطيه فتفرق عنه عسكره فتوجه في خواصه الى وادي موسى ثم جا الى
بركه زيزا فكبسه كتبغا فهرب ثم جا الى التتار بالامان فكان معهم في ذل وهوان
وكان قد هرب الى البراري فساقوا خلفه فاخذوه وقد بلغت عنده شربه الما
بخمسمايه دينار فاتوا به الى مقدم التتار كتبغا وهو يحاصر عجلون فوعده وكذبه
وسقاه خماصا فاسكر وطلبوا منه تسليم قلعه عجلون فجا الى بابها وامرهم بتسليمها
ففعل ودخلها التتار فنهبوا جميع ما فيها ثم سار دوا بالناصر واخيه الى هولاكو
قال قطب الدين فاكرمه واحسن اليه فلما بلغه كسر عسكره بعين جالوت غضب ولم
يقتله فاعتذر اليه فامسك عن قتله لكن اعرض عنه فلما بلغه كسرة بيدره على حمص
استشاط غضبا وقتله ومن معه سوى ولده الملك العزيز وقيل ان قتل الناصر عقيب
عين جالوت في الخامس والعشرين من شوال سنه ثمان وعاش احدى وثلاثين واشهرا
فقال قتل بالسيف وقيل انه خص بعذاب دون اصحابه **قلت** وكان في التشكل
احول وله شعر وروى شيخنا الدمياطي عن علي بن ابي الفرج النحوي قال انشدنا الملك

الناصر يوسف لنفسه البدر يجنح للغروب وجسمي اسقما لاجل غروبه يتقطع
والشرب قد حاط النعاس جفونهم والصبح في جلبابه يتطلع وقد اشتهر عنه انه لما
مر بالتتار على حلب ورأى خاويه على عروشها قد هدمت اسوارها وهدمت قلعتها
واحرق دورها الفاخرة وباد اهلها واصبحت عبرة للناظرين انهل بالبكا
يعز عليه ان ارى ربعكم يبلى وكانت به ايات حسنكم تتلى وقد اورد له ابن واصل
عنه قصايد ووصفه بالذكا والفضيلة والكرم الى ان قال وفي سابع جمادى الاولى
عقد عزاوه بدمشق بالجامع لما ورد الخبر بمقتله وصورته على ما ثبت بالتواتر
ان هولاكو لما بلغه مقتل كتبغا ثم كسر اصحابه بحمص حضر الناصر واخاه وقال
للترجمان قل له انت زعمت ان البلاد ما فيها احد وان من فيها في طاعتك حتى غررت بي
وسيرت المغل انما اهمهم في طاعتي لو كنت في الشام ما ضرب احد في وجه غلمانك
بسيف ومن يكون ببلاد توريز كيف يحكم على مرج الشام ورماه هولاكو بالنشاب
فاصابه فقال له الصبيحه يا خوند فقال اخوه الملك الظاهر اسكت تقول لهذا الكلب
هذا القول وقد حضرت ورماه هولاكو بفردة بانه فقتله ثم اخرج الملك الظاهر
وبقية اصحابه فضربت اعناقهم **سنة ستين وستمايه** في اولها دخل البرلي
الى حلب مرة اخرى فخرج البندقدار عنها واظهر البرلي طاعة السلطان وكان شجاعا
مذكورا لا يصطلى بناره وقال ابن خلكان رحمه الله في اثنايها توجه عسكر الشام
الى انطاكيه فاقاموا قليلا عليها ثم رجعوا فاخبرني بعضهم بغريبة وهي انهم نزلوا على
جرود وهي بين دمشق وحمص فاصطادوا حمار وحش كبيره فذبح رجل حمارا وطبخ
لحمه فبقي يوما وقد لا ينضج لحمه ولا يتغير ولا قارب النضج فقام جندي فاخذ الراس انوهم
فوجد على اذنه رسما فقراه فاذا هو بهرام جور فلما احضروا بذلك الاذن الي وجدت
الوسم ظاهرا وقد ورق شعر الاذن وموضع الوسم اسود وهو بالقلم الكوفي وبهرام
جور من ملوك الفرس كان اذا اكثر عليه الوحش وسمه واطلقه وحمار الوحش من
الحيوانات المعمرة وهذا لعله عاش ثمان ماية سنة او اكثر انتهى قوله وفي ربيع
الاخر قدم القاهرة الحاكم بامر الله ومعه ولده وجماعة فاكرمه الملك الظاهر وانزله
بالبرج الكبير وهو احمد بن ابي علي القبي بن علي بن ابي بكر بن امير المومنين المسترشد

بالله

بالله بن المستظهر الهاشمي العباسي اختفى وقت اخذ بغداد ونجا ثم خرج منها وفي
صحبته زين الدين صالح بن محمد بن البنا الحاكمي واخوه محمد ونجم الدين بن المشا فقصد
حسين بن فلاح امير بني خفاجه فاقام عنده مدة ثم توصل مع العرب الى دمشق واقام
عند الامير عيسى بن مهنا والد مهنا مدة فطلبه السلطان الملك الناصر فارسل
يطلبه فبغته مجي التتار فلما ملك الملك المظفر دمشق سيره الامير قليج البغدادي
الى ناحية العراق وامره يتطلب الحاكم فاجتمع به وبايعه على الخلافة وتوجه في خدمته
الامير عيسى والامير علي بن صقر بن مخلول وعمر بن مخلول وسائر ال فضل سوى اولاد
حذيفة فاصبح الحاكم بالعرب عانه والحديثه وهيت والانبار وضرب العراق وقتل
راسا يعرف بعداد في اواخر سنة ثمان وخمسين فانتصر عليهم وقتل من التتار خلق
ولم يقتل من اصحابه غير سته ميقال والله اعلم قتل من التتار نحو الف وخمسماية فارس
منهم ثمانية امرا ثم جيش التتار عليهم قرا دنقا فرد المسلمون على حميه فتبعهم قرابغا
الى هيت وردوا واقام الحاكم عند ابن مهنا فكاتبه علاء الدين طيبرس نايب دمشق يريد
الملك الظاهر يستدعيه فقدم دمشق في صفر فبعثه الى السلطان في خدمته
الثلاثة الذين خرجوا معه من بغداد وكان المستنصر بالله قد تقدمه بثلاثة ايام الى
القاهرة فما راى ان يدخل على اثره خوفا من ان يمسك فهرب راجلا وصحبه زين الدين
صالح وقصدا دمشق وردها مدوين من عرب غزية فاختفيا بالعقيبة وحصلا ما
بركان وصحبهما جماعة اتراك فوجدوا اهل سلميه متحصنين خوفا من الامير اقوش البرلي
فوقع منهم مناوشة من حرب ونجا الحاكم وصاحبه وقصدا البرلي فقبل البرلي يده وبايعه
هو وكل من عنده وتوجهوا الى حران فبايعه الشيخ شهاب الدين عبد الحليم بن تيميه
والد شيخنا واهل حران وجمع البرلي للحاكم جمعا كثيرا نحو الالف فارس من التركمان
وقصدوا عانه فوافاهم الخليفة المستنصر فاعمل الحيله واستمال التركمان على الحاكم
ودخل الحاكم في طاعته وانقاد له ووقع الاتفاق فلما عدم المستنصر في الوقعة المذكورة
سنه ترجمته قصد الحاكم الرحبه وجا الى عيسى بن مهنا فكاتب الملك الظاهر فيه فطلبه
فقدم الى القاهرة فبايعوه وامتدت ايامه وكانت خلافته نيفا واربعين سنة
قال ابو شامة وفيها جا الخبر بالتقا التتر الذين بالموصل بعسكر الدنيا وحرب بينهم

ونعقه قتل بها مقتلة عظيمة وقتل علم الدين سنجر المعروف بحلم الاشرفي وابنه ومكوت
الحراني قال وفيها ولي ابن دمشق ونظر المساجد الجامع الامير الافتخار الحراني
وكان شيخا كبيرا اخبر القوم اهل الاسواق بالصلاة وعاقب عليها ومنع جماعة
من الائمة الاستنابة ورجع على بعضهم بما تناوله منهم التاج الشهرزوري والجمال
الموقاني والشمس بن غانم والشمس بن عبد السلام وبعض كبار حاشيتهم المقرره
واما اولاد صاحب الموصل فلما فارقوا المستنصر في العام الماضي اقاموا
بسنجار وكتب كبيرهم الملك الصالح الى الموصل يستشير اهلها فاشاروا عليه بالمجي
فقدم عليهم في العشرين من ذي الحجة ومعه ثلاثمائة فارس وكان في الموصل اربعمائة
فارس فدخلها وترك اخوه بسنجار فلما بلغهم قتل المستنصر ونزول التتار على الموصل
لحصار اخيهم رجعوا فاعطاهم الملك الظاهر اخبازا واعطى الملك المجاهد اسحق
مبلغا من المال الخاص ولعلاء الدين مبلغا الخاصه واما التتار فنازلوا الموصل ومعهم
صاحب ماردين ونصبوا عليها المجانيق وضايقوها ولم يكن بها سلاح ولا قوت
كثير فغلا السعر واستنجد الملك الصالح بالبرلي فجمع من حلب فسار الى سنجار فعزم
التتار على الهروب فوصل اليهم الكلب الزين الحافظي واخبرهم بان البرلي في طايفة قليله
وشجعهم فسارت اليه التتار وهم نحو عشرة الاف والبرلي في الف من التركمان والعرب
فتوقف في لقايهم ثم برز اليهم في رابع عشر جمادى الاخرة فكسروه وقتل جماعة من
وجوه اصحابه وانهزم جريحا واسر طايفة من اصحابه بعدما ابلوا بلا حسنا ووصل البرلي
الى البيرة ففارقه اكثر من معه وقصدوا الديار المصريه وجاءت رسل من هولاكو الى
البرلي تطلبه اليه فلم يجبه الى ذلك وكاتب الملك الظاهر فامنه فسار الى مصر فاعطاه
السلطان امرة سبعين فارسا وخلع عليه واما التتار فاخذوا الاسرى فادخلوهم
من النقوب الى الموصل ليعرفوهم بكسرة البرلي واستمر الحصار الى شعبان من سنة
ستين ثم طلبوا ولد الملك الصالح فاخرجه اليهم ثم خلوه اياما وكاتبوه بان يسلم
الموصل وهددوه فجمع الاكابر وشاورهم فاشاروا عليه بالخروج فقال يقتلون
لا محالة فصمموا على الخروج فخرج اليهم يوم نصف شعبان وقد ودع الناس ولبس
البياض فلما وصل اليهم رسموا عليه ونودي في الموصل بالامان فاطمان الناس فشرع

السر

البير
في خراب السور فلما اطمان الناس دخلوا البلد وبذلوا السيف تسعة ايام الى اوايل
رمضان ووسطوا علاء الدين ولد الملك الصالح وعلقوه على باب الجسر ثم رحلوا
في اخر شوال بالصالح فقتلوه في الطريق واما علاء الدين والملك المجاهد فاستقلوا
امرا بمصر واما ابن صاحب الروم عز الدين فانه اعتقل امه وصاحبته التتر فقصد
الاشكري وساله العون فقال ان تنصرت اعنتك فهم ان يفعل لينال غرضه من النصر على
اخيه بالتنصر فلامه اصحابه وقالوا هذا سيرغب عنك قلوب العسكر فامسك وتغير
خاطر الاشكري عليه وحبسه بقلعة فاغارت طايفة من عسكر بركة على بعض بلاد
الاشكري وحاصروا ملك القلعة فوقع الاتفاق على انه ان يسلم اليهم السلطان
عز الدين رحلوا فسلمه اليهم فانطلقوا به الى الملك بركة ووقع الخلف بين هولاكو
وبركة واظهر بركة عداوته وبعث الرسل الى الملك الظاهر بالموادده والاجتماع
الكلمه وتحرضه على حرب هولاكو ثم جرى بينهما مصاف كما ياتي ان شاء الله تعالى وفي
شوال تقدم الدمياطي الامير والركني علاء الدين الاعمى الذي صادر بالقدس فقبضا
على باب دمشق طيبرس الوزيري وحمل الى مصر وباشر الركني النيابه الى ان
قدم النجيبي وفي ذي الحجه وصل الى دمشق من التتار نحو المايتين هاربين الى
المسلمين فاعطوا اخبازا وهم اول من قفز من التتار ودخل في الاسلام

ابن عبد السلام

عبد العزيز بن عبد السلام بن ابي القاسم بن الحسن شيخ الاسلام وبقية
الايمة الاعلام عز الدين ابو محمد السلمي الدمشقي الشافعي ولد سنة سبع او ثمان
وسبعين وخمسمائة وحضر ابا الحسين احمد بن حمزه بن الموازيني والخشوعي وسمع عبد
اللطيف بن اسمعيل الصوفي والقاسم بن علي بن عساكر وعمر بن طبرزد وحنبل المكبر
وابا القاسم عبد الصمد بن الحرستاني وغيرهم وخرج له شيخنا الدمياطي وابو
الحسين اليونيني اربعين حديثا عوالي روى عنه شيوخنا العلامه ابو الفتح بن
دقيق العيد وابو محمد الدمياطي وابو الحسين اليونيني وابو العباس احمد بن فرح
والقاضي جمال الدين محمد المالكي وابو موسى الدويداري وابو عبد الله بن بهرام
الشافعي والمصريون وتفقه على الامام فخر الدين بن عساكر وقرا الاصول والعربية
ودرس وافتى وصنف وبرع في المذهب وبلغ رتبة الاجتهاد وقصده الطلبة من

البلاد وانتهت اليه معرفة المذهب ودقائقه وتخرج به ايمة وله التصانيف المفيدة
والفتاوى السديدة وكان اماما ناسكا ورعا عابدا امارا بالمعروف نهاء عن المنكر
لا يخاف في الله لومة لائم ذكره الشريف عز الدين فقال حدث ودرس وافتى
وصنف وتولى الحكم بمصر والخطابة بجامعها العتيق وكان علم عصره في
العلم جامعا لفنون متعددة عارفا بالاصول والفروع والعربية مضافا الى ما
جبل عليه من ترك التكلف والصلابة في الدين وشهرته تغني عن الاطناب في
وصفه **قلت** ولي خطابة دمشق بعد الدولعي فلما سلطن الصالح اسمعيل
واعطى الفرنج الشقيف وصفد نال منه ابن عبد السلام على المنبر وترك الدعا له
فعزله الصالح وحبسه ثم اطلقه فخرج الى مصر فلما قدمها تلقاه الملك الصالح نجم
الدين ايوب وبالغ في احترامه الى الغاية واتفق موت قاضي القاهرة شرف الدين
ابن عين الدولة فولى السلطان مكانه قاضي القضاة بدر الدين السنجاري وولى
قضا مصر نفسها والوجه القبلي للشيخ عز الدين مع خطابة جامع مصر ثم ان بعض
غلمان وزير الصالح المولى معين الدين بن الشيخ بنى بنا على سطح مسجد بمصر وجعل
فيه طبلخاناه معين الدين فانكر الشيخ عز الدين ذلك ومضى بجماعته وهدم البنا
وعلم ان السلطان والوزير يغضب من ذلك فاشهد عليه باسقاط عدالة الوزير
وعزل نفسه عن القضا فعظم ذلك على السلطان وقيل له اعزله عن الخطابة والا
شنع على المنبر كما فعل بدمشق فعزله فاقام في بيته يشغل الناس وكان عند الاعمى
حسام الدين بن ابي علي شهادة تتعلق بالسلطان فجا الى دابها عنده فنفذ يقول
للسلطان هذا ما اقبل شهادته فتاخرت القضية ثم اثنى على بدر الدين السنجاري
وله من هذا الجنس افعال محموده وقد رحل الى بغداد في سنة سبع وتسعين وخمسماية
واقام بها اشهرا وذكر عبد الملك بن عساكر في جزء من خطه يعلق ان الشيخ عز الدين
لما ولي خطابة دمشق فرح به المسلمون اذ لم يصعد هذا المنبر من مدة مديدة
مثله في علمه وصلاه وكان لا يخاف في الله لومة لائم لقوة نفسه وشدة تقواه فامات
من البدع ما امكنه فغير ما ابتدعه الخطبا من لبس الطيلسان والضرب بالسيف
ثلاث مرات فاذا قعد لم يوذن الا انسان واحد وترك الثنا ولزم الدعا وكانوا

يقيمون

يقيمون للمغرب عند فراغ الاذان فامرهم ان لا يقيموا حتى يفرغ الاذان في سائر المساجد
وكانوا دبر الصلاة يقولون ان الله وملائكته فامرهم ان يقولوا لا اله الا الله وحده لا شريك له
الحديث وقد ارسل لما مرض اليه السلطان الملك الظاهر يقول له عين مناصبك لمن تريد من
اولادك فقال ما فيهم من يصلح وهذه المدرسة الصالحية تصلح للقاضي تاج الدين ففوضت اليه
بعده قال الشيخ قطب الدين كان رحمه الله مع شدته فيه حسن محاضرة بالنوادر والاشعار
وكان يحضر السماع ويرقص ويتواجد مات في عاشر جمادى الاولى سنه ستين وشهد
جنازته الملك الظاهر والخلائق وقال الامام ابو شامة شيعه الخاص والعام ونزل
السلطان وحمل جنازته في الخامس والعشرين من الشهر بجامع العقبه رحمه الله **الطبقه**
السابعة والستون سنه **احدى وستين** وستمايه ومن توفي فيها قال قطب الدين في
يوم الخميس تاسع المحرم جلس السلطان مجلسا عاما وحضر الحاكم بامر الله راكبا الى
الايوان الكبير بقلعة الجبل وجلس مع السلطان بسطوا له الى جانبه وذلك بعد ثبوت
نسبه فاقبل عليه السلطان وبايعه ثم اقبل هو على السلطان الملك الظاهر وقلده الامور
ثم اخذ الناس يبايعون الخليفة على طبقاتهم فلما كان من الغد خطب يوم الجمعة خطبة ذكر فيها
الجهاد والامامة وتعرض الى ما جرى من هتك حرم الخلافة ثم قال وهذا السلطان الملك
الظاهر قد قام بنصر الامامة عند قلة الانصار وشرد جيوش الكفر بعد ان جاسوا
خلال الديار فبادروا الى شكر هذه النعمة ولا يروعنكم ما جرى فالحرب سجال واول الخطبه الحمد لله
الذي اقام لال العباس ركنا وظهيرا قال ثم كتب بدعوته الى الافاق ثم خطب الحاكم جمعة
اخرى بعد مدة وهو التاسع والثلاثون من خلفاء بني العباس وبقي في الخلافة نيفا واربعين سنه
واشهرا قال وفي صفر جمع صاحب سيس تكفور جمعا واغار على الفوعة وسرمين ومعرة
مصرين واسر من الفوعة ثلثماته وثمانين نفسا فساق وراه جماعة كانوا مجردين بحمص
فهزموه وخلص بعض الاسرى وفي ربيع الاخر خرج الملك الظاهر من القاهرة فلما بلغ
غزة نزلت اليه ام المغيث صاحب الكرك تشفع في ولدها فاكرمها ثم رحل الى الطور وغلت
الاسعار ولحق الجيش مشقة عظيمة والرسل تتردد الى صاحب الكرك يطلبه وهو يسوف
خوفا من القبض ثم انه نزل فلما وصل تلقاه السلطان واكرمه ومنعه من الترجل ثم ارسل
تحت الحوطة الى قلعة مصر وكان اخر العهد به ثم توجه السلطان الى الكرك وكاتب من فيه

بتسليمه فوقع الاتفاق على ان يوصل الملك العزيز عثمان بن المغيث فاعطاه خبز مائة فارس
بمصر ثم دخل السلطان الى الكرك في جمادى الآخرة ثم سار الى مصر وفي رجب امسك ثلثة
امرا لكونهم حطوا على السلطان في اعدامه الملك المغيث وهم الامير شمس الدين اقوش
البرلي والامير سيف الدين بلبان الرشيدي والامير عز الدين ايبك الدمياطي وفي
رجب جاءت رسل بركه ملك التتار يخبرون بانه محب للاسلام ويشكوا من ابن عمه هولاكو
فارسل اليه الملك الظاهر هديه وصوب رايه وفيه وصلت طايفة من التتار مستامنين
مسلمين ثم وصلت طايفه كبيره مقدمهم الامير كرمون فتلقاهم السلطان وانعم عليهم وفي
شعبان ولي الاستاددارية جمال الدين بن يغمور وفي شوال سافر السلطان الى الاسكندرية
فاقام بها نحوا من شهر ثم عزل ناصر الدين بن المنير من قضائها بالبرهان ابرهيم بن محمد
البوشي وحرث وفيه هابيله بين هولاكو وبركه وكانت الدايرة على هولاكو وقتل خلق
من اصحابه وغرق اخرون ونجا هو بنفسه وقال ابو شامه في صفر شنق شاب وخنقت
امراته وعلقت بحلوق نخنه كانت تحيل على النسا وتودهم الى الافراح متلبسات فتاتي
بالمراة الى بيتها فيمسكها زوجها ويأخذ ما عليها ويرميها في بير فعل ذلك بجماعة من
النسا فنفي مسمرا ثمانية ايام ثم خنق وذلك بدمشق **سنة اثنتين وستين**
وستمايه في شهر جمادى الاولى ولي الامام شهاب الدين ابو شامه مشيخه دار الحديث
الاشرفيه بعد ابن الحرستاني وفي اولها فرغت المدرسة الظاهريه بين القصرين فدرس
بها للشافعيه الامام تقي الدين بن رزين وللحنفيه الصاحب مجد الدين بن العديم
وولي مشيخه الحديث الحافظ شرف الدين الدمياطي وولي مشيخه الاقرا الشيخ كمال الدين
المحلي وفيها بعث السلطان نايبه على حمص عقب موت صاحبها الملك الاشرف وفي
ربيع الاخر زلزلت مصر زلزلة عظيمه وعزل الشهابي عن نيابة حلب بالامير نور الدين
علي بن مجلي وفيها كان الغلا بمصر وبلغ الاردب مايه وخمسة دراهم وفيها حضر الى
السلطان طفل ميت وله راسان واربعة اعين واربعة ايدي واربعة ارجل وفيها
كان خبر الخناقة بمصر قال شمس الدين الجزري في تاريخه فيها ظهرت قتلى في خليج مصر وفقد
جماعة وذلك ذلك اشهرا حتى عرف ان صبية مليحة اسمها غازية كانت تتبرج بالزينة وتطمع
من يراها ومعها عجوز فتشا كل الرجل وتقول هذه ما يمكنها الا في منزلها فاذا

انطلق

انطلق معها واستقر في دارها خرج اليه رجلان فقتلاه ويأخذان ما عليه
وكانوا ينقلون من موضع الى موضع الى ان سكنوا على الخليج وجاءت العجوز مرة الى ماشطه
مشهورة لها حلي تخرج به العرايس فقالت لها عندي بنت ونريد ان تصلحي من شانها فجاءت
بالحلي تحمله الجارية ورجعت الجارية من الباب ودخلت الماشطة ولما ابطا خبرها على
جاريتها مضت الى الوالي فاخبرته فركب الى الدار وهجمها فوجدها غازيه والعجوز فاخذهما
وتهددهما فاقرا فحبسهما فجا الى الحبس احد الرجلين فشعر به الاعوان فاخذ وقرر وضرب
فاعترف ودل على رفيقه وكان لهما دكان يتخذ له قمين للطوب كانا يلقيان فيه من يقتلانه في الليل
فيحترق واظهروا من الدار ايضا حفيرة مملوة بالقتلى فامضى امرهم الى السلطان فسمروا
خمستهم وبعد يومين شفع امير في الصبيه فانزلت وماتت بعد ايام وفيها اتفق ان ليلة
الاثنين كانت ليلة ثاني عشر ربيع الاول وفيها احضر الى قلعة مصر فلوس كثيره
من جهة قوص وجدت مطمورة كان على الفلس صورة ملك وفي يده ميزان وفي يده الاخرى
سيف وعلى الوجه الاخر راس باذان كبار وحوله اسطر فحضر جماعة من الرهبان فيهم
حكيم يوناني دومي لا يعرف العربيه فقرا الاسطر فكان تاريخ الفلس من الفين وثلثمايه
سنه وفيه مكتوب انا غلياث الملك ميزان العدل والكرم في يميني لمن اطاع وفي السيف
في شمالي لمن عصى وفي الوجه الاخر انا غلياث الملك اذني مفتوحه للمظلوم وعيني
انظر بها مصالح ملكي **القباري** ابو القاسم بن منصور القباري الزاهد وشاه
الامام ابو شامة محمد كان شيخا صالحا عابدا قانتا خايفا من الله منقطع القرين في
الورع والاخلاص وكان مقيما ببستان له يحيل الصبيغل ظاهر الاسكندرية وبه
مات وبه دفن بوصيه منه قال ابو شامه كان مشهورا بالورع والزهد وكان في غيط
له يتولى فلاحه بخدمه ويا كل من ثماره وزرعه ويتورع في تحصيل بذره حتى بلغني انه كان
اذا راى ثمره ساقطه تحت اشجاره لم ياكلها خوفا من ان يكون حملها طاير من بستان اخر
وكنت اجتمعت به سنه ثمان وعشرين مع جماعة نصادفناه يستقي على حماره ويسقي غيطه من
الخليج فقدم لنا من ثمر غيطه وحدثني القاضي شمس الدين بن خلكان عن المجد بن الخليلي ان
الاثاث المخلف عنه كان له او كان لغيره فثمنه نحو خمسين درهما فبيع بنحو عشرين الف درهم
للبركه وقال الشريف توفي في سادس شعبان وكان احد المشايخ المشهورين بكثرة الورع والتحري

والمعروفين بالانقطاع والتخلي وترك الاجتماع بأبناء الدنيا والإقبال على ما يعنيه وطريقه
قل أن يقتدر أحد من أهل زمانه عليها ولا نعلم أحدا في وقته وصل إلى ما كان عليه من خشونة
العيش والجد والعمل وترك الاجتماع بالناس والتحرز من الرياء والسمعة كان يزوره
الملوك فمن دونهم ولا يكاد يجتمع بأحد منهم قال وبالجملة فلم نر بعده مثله رحمه الله
قلت وبعض العلماء أنكر عليه غلوه في الورع وقال هذا نوع من الوسواس في الطهارة
والنبي صلى الله عليه وسلم يقول بعثت بالحنيفية السمحة **قلت** والجواب عنه بأنه مأمور
بما كان عليه من الوسوسة في الورع بقوله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك إلى ما لا
يريبك ولولا ارتيابه لما بالغ في شيء وغلبة الحال غالبة على العلم من بعض الصالحين وأيضا
فمن الذي قال إنما يتورع عن الحرام فقط بل قد يتورع الإنسان عن الحرام والمشتبه والمباح
ولا يوجب ذلك على غيره بل ولا على نفسه وهذا الرجل وكان كبير القدر له أجران على موافقة
السنة وأجر واحد على ما خالف ذلك لأنه حريص على ابتغاء مرضات الله مجتهد في خلاص نفسه
ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها والله لا يسأل العبد لم لا أكلت كل مباح بل يسأله لم
أكلت الحرام ويسأله لماذا حرمت على نفسك ما أحل لك مع علمك بإباحته لا مع جهلك
بالإباحة هذا مع التسليم بأن الورع بالعلم أفضل وأرفع وذلك حال الأنبياء صلوات الله
عليهم مع أن لهم فيه شرائع وطرائق كطريقة سليمان عليه السلام في الملك والإكثار من
المباحات الدنيا وكطريقة عيسى صلى الله عليه وسلم في التشاخة والإعراض عن الدنيا
بكل وجه وكطريقة داود في أمور وطريقة إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم في قرى الضيف
وأشرف طرقهم وأفضلها طريقة نبينا صلى الله عليه وسلم فإنها حنيفية إبراهيمية سهلة
بريئة من الغلو والتعمق والتنطع اللهم استعملنا بها وأمتنا على محبتها وألحقنا [illegible] في
عبادك الصالحين **سنة ثلاث وستين وستمائة** قال أبو شامة رحمه الله
فيها جاء إلى القاهرة كتاب يتضمن نصر المسلمين على النصارى في بر الأندلس وسلطان
المسلمين أبو عبد الله بن الأحمر وكان الفنش ملك النصارى قد طلب من ابن الأحمر الساحل
من مالقة إلى المرية فاجتمع المسلمون والتقوهم وكسروهم مرارا وأخذ الفنش أسيرا ثم
اجتمع العدو المخذول في جمع كبير ونازلوا غرناطة فانتصر عليهم المسلمون وقتل منهم مقتلة
عظيمة وجمع من رؤوسهم نحو خمسة وأربعين ألف رأس فعملوها كوما وأذن المسلمون

فوقه

فوقه وأسروا منهم عشرة آلاف أسير وكان ذلك في رمضان سنة اثنتين وانهزم الفنش
إلى إشبيلية ومعه وكان قد دفن أباه بها بالجامع فأخرجه من قبره خوفا من استيلاء
المسلمين وحمله إلى طليطلة قال ورجع إلى المسلمين اثنان وثلاثون بلدا من جملتها
إشبيلية ومرسية كذا قال والله ينصر المسلمين حيث كانوا قال قطب الدين وفيها
بلغ السلطان أن جماعة أمراء وأجنادا اجتمعوا في دار علي ططماج وتكلموا في الدولة
وزادوا في الكلام فلامه انفس فقبض أحدهم وكحل الآخر وقطعت رجلا الثالث فالحسنة
ما ذاك الاجتماعات قال وفي ربيع الآخر قطعت أيدي ثلاثة وأربعين نفسا من نقباء
وإلى القاهرة ومن الحفر والمقدمين فإن بعضهم وسبب ذلك ظهور شلوح ومناشر
بالقاهرة وضواحيها وفيها نازلت التتر البيرة فساق البحري وسير الموت للكشف وأعاد
عيسى بن مهنا على أطراف بلادهم ورحلوا عن البيرة قال وفي ربيع الآخر توجه السلطان
بالعساكر إلى قيسارية فحاصرها وافتتحها عنوة في ثامن جمادى الأولى وامتنعت
القلعة عشرة أيام وأخذت وهرب من فيها إلى عكا فخربها السلطان وأقطع قراها
ثم سار فنازل أرسوف ونصب عليها المجانيق إلى أن تداعى برج فجاء الأمير سليك
الخزندار فهجم البلد بأصحابه على غفلة ووقع القتل والأسر وذلك في ثاني عشر رجب
ثم هدمت وعاد السلطان وزينت القاهرة وفيها احترق بحارة الباطلية بالقاهرة
حريق كبير ذهب فيه ثلاثة وستون دارا ثم كثر بعد ذلك الحريق بالقاهرة واحترق
ربع العادل وغير ذلك فكانت توجد لفائف مشاق فيها النار والكبريت على الأسطحة
وعظم ذلك على الناس واتهموا بذلك النصارى وقدم السلطان فهم باستئصال النصارى
واليهود وأمر بجمع الأحطاب والحلفاء في حفيرة ليحرقوا فيها ثم كفوا إليه وأشفع فيهم
الأمراء وأمرهم أن يشتروا أنفسهم فقرروا عليهم خمسمائة ألف دينار يقومون بها في
العام بخمسين ألف دينار وضمنهم الحبيس وكان قد تزهد وأقام بجبل حلوان
فقال إنه وجد في مغارة من الجبل دفينا للحاكم العبيدي فلما ظفر بالمال واسى به
الفقراء والصعاليك من كل ملة فاتصل خبره بالسلطان فطلبه وطلب منه المال فقال لا سبيل
إلى أن أعطيك منه شيئا إلى يدك ولكن يصل إليك مني من يد النصارى ولا تقدر على طلبه منه
ولا تعجل علي فلما جرت هذه الواقعة للنصارى ضمنهم وقد ذكرنا وفاته في سنة ست وستين

وكانت قد وصلت الفتاوى بقتله خوفا من الفتنة على ضعفاء الايمان من المسلمين من
علماء الاسكندرية فقيل ان مبلغ ما وصل الى بيت المال من طريقه في مدة سنين متمادية
الف دينار وقد ضبط ذلك بقلم الصيارفة الذين كان عندهم المال ونكت اليهم
اوراقه وذلك خارجا عما كان يعطيه بيده سرا وكان لا ياكل من هذا المال ولا يلبس بل
النصارى يتصدقون عليه بما ياكل ويلبس ولم يظهر له بعد موته ولا دينار ولا درهم وكان
يقول من لم يكن معه شي اديت عنه في المصادرة وكان يدخل الحبس ويطلق من عليه دين
ومن جنى جناية ديته واساه ومن شكى اليه ضرورة ازاحها عنه وقد سافر الى الاسكندرية
وادى جملة عن اهل الذمة وكذا سافر الى الصعيد وادى المقرر على اهل الذمة وكان
عجيب الحال لعنه الله ومن لطف الله انه غير مسلم والا لو كان مسلما لتالهه الناس
وادعوا فيه النبوة او القطبية نسال الله العافية وفي شوال شرع السلطان في
حفر بحر اشموم وفرقه على الامرا وعمل معهم بنفسه فلما فرغ ركب في الحراقة واخذ معه
زاد ايام يسيره وسار الى البحر ثم جسر على بحيرة تنيس ففتح منه مكان وخرج الما فعرف
الطريق بين الوراده والعريش فاقام هناك يومين وحصل له وعك فعاد الى مصر
وفيه طلع من الشرق كوكب الذنب وهو كوكب له ذوابة بقي نحو اربعين يوما وفيها
شنق قاضي البيرة لانه كاتب صاحب سيس ليسلمه قلعة البيرة فهتكه الله واهلكه
وفي اواخرها وصل رسول صاحب سيس يبشر السلطان بهلاك هولاكو ثم ورد
الخبر بان التتار ملكوا ابغا ابن هولاكو وان بركة قصده فكسره فعزم الملك الظاهر على
التوجه الى العراق ليغتنم الفرصة فلم يتمكن لتفرق العساكر في الاقطاعات وفي
شوال سلطن السلطان ولده الملك السعيد وركب بابهة الملك في قلعة الجبل
وحمل الغاشية بنفسه بين يدي ولده من باب السر الى السلسلة ثم عاد وكان صبيا
ابن اربع او خمس سنين ثم ركب الملك السعيد وسير ودخل من باب النصر وخرج من باب
زويلة وسائر الامرا مشاة والامير عز الدين الحلي راكب الى جانبه بها الدين وقاضي
القضاة تاج الدين راكبان امامه والبيسري حامل الجتر على راسه وعليهم الخلع
ثم بعد عشرين يوما ختن الملك السعيد وختن معه جماعة من اولاد الامرا وفيها جدد
بالديار المصرية القضاة الاربعة من كل مذهب قاض وسبب ذلك توقف القاضي

تاج

تاج الدين ابن بنت الاعز عن تنفيذ كثير من الاحكام وكثرة توقفه فكثرت الشكاوى منه
وتعطلت الامور فوقع الكلام في ذي الحجة بين يدي السلطان وكان الامير جمال الدين
ايدغدي العزيزي يكره القاضي تاج الدين فقال له نترك لك مذهب الشافعي ويولى
معك من كل مذهب قاض فمال السلطان الى هذا وكان لايدغدي العزيزي محل عظيم عند
السلطان فولى قضا الحنفية الصدر سليمان وقضا المالكية شرف الدين عمر السبكي
وقضا الحنابلة شمس الدين محمد بن العماد واستنابوا النواب وابقى على الشافعي النظر
في اموال الايتام وامور بيت المال ثم فعل ذلك بدمشق وفيها احضر بين يدي
السلطان خروف على صورة الفيل له خرطوم وانياب وفيها وقع الاهتمام بعمارة مسجد
الرسول صلى الله عليه وسلم فوجه اليه الصناع والاخشاب والالات والمال وبقيت
الصناع فيه اربع سنين وفي رمضان حجب الملك الظاهر الخليفة وجعله في برج
بقلعة مصر لكون اصحابه كانوا يخرجون الى البلد ويتكلمون في امر الدولة سنة اربع
وستين وستمايه فيها ظهر للناس موت الطاغية هولاكو وفيها سمر على الجمال احد وعشرون
نفسا من مقدمي العربان بالشرقية مرد بار مصر وسيروا واستمروا الى بلادهم فماتوا
وفي اول شعبان برز السلطان من مصر لقصد صفد فنزل عين جالوت بعد ان زار
الخليل عليه السلم وجلس على سماطه واكل من العدس حتى شبع وفرق مالا جليلا في اهل
بلد الخليل في الفقرا وتوجه الى القدس الشريف وبلغه ان العادة جارية بان يوخذ
من اليهود والنصارى حقوق على زيارة مغارة الخليل عليه السلم فانكر ذلك وكتب
توقيعا بقطعها واستمر منعهم الى الان فلله الحمد ووجه الامير سيف الدين قلاوون
الالفي والامير جمال الدين ايدغدي العزيزي للاغارة على بلاد الساحل فاغاروا
على بلاد عكا وصور وطرابلس وحصن الاكراد فغنموا وسبوا ما لا يحصى ثم نزل
السلطان على صفد في ثامن رمضان ونصب المجانيق والات الحصار ووقع الجد
والحصار والقتال ونصبت السلالم على القلعة وسلطت النقوب على الاساس
واشتد المراس وصبر الفرنج على الباس والسلطان يباشر ذلك بنفسه فذل اهل
الحصن وطلبوا الامان والايمان فاجلس السلطان في دست المملكة الامير سيف
الدين كرمون وكان يشبه الملك الظاهر فنزلت رسلهم فاستحلفوه فحلف لهم وبهم ا

لا يشكون انه السلطان وكان في قلب الملك الظاهر منهم لما فعلوا بالمسلمين فلما كان في
يوم الجمعة ثامن عشر شوال طلعت اعلام الدين على صفد وانزل من بها من الدوية
وعيبهم وكان قد وقع الشرط على انهم لا ياخذون شيا من اموالهم فاطلع عليهم انهم اخذوا
اشيا وانتابا كثيرا فامر السلطان بضرب اعناقهم على تل هناك وكانوا نحو ماتين
ابطالا الا ... ابطالا منهم اولاد ملوك ثم حصنها وعمرها وشحنها بالرجال والاسلحة
والعساكر واستناب عليها علا الدين الكبكي قال سعد الدين في تاريخه الذي قيل انه قتل
من العسكر نحو الف نفس عليها ومن الغزاه والرعية كثير والجرحى فكثير وقاسوا عليها شدة
وحكى العلم سنجر الحموي انه قتل على صفد قريب ثمان مائة فارس ممن يعرف منهم امرا
وخاصكيه ووصلت رسل صاحب سيس فلم يلتفت عليها السلطان وجهز لها عسكرا
فاغاروا ونهبوا واسروا خلقا منهم ابن صاحب سيس وابن اخته وكان مقدم العسكر
صاحب حماه وشمس الدين الفارقاني وخرج السلطان ليلقيهم فبلغ داره في ذي الحجة
فامر بنهبها واستباحتها واسر منها اكثر من الف نفس ووسط الرهبان وصيرت كنيستها
جامعا وانزلها التركمان وغيرهم ومن سلم منهم وذلك لانهم كانوا يسرقون المسلمين ويبيعوهم
لبلاد الفرنج بالساحل ثم رجع السلطان والاسرى والغنايم التي من سيس وقاده بين
يديه وسار الى الكرك في اول سنه خمس وكان قد استناب على الديار المصرية الامير عز
الدين الحلي فجلس في ذي الحجة بدار العدل فجا انسان ومعه قصة وتقدم بها الى الحلي
ثم وثب عليه بسكين معه فجرحه فقام اليه والي القاهرة الصارم المسعودي ليدفعه عنه
فضربه بسكين فقتله وقام الحلي جريحا والوزير وقاضي القضاة تاج الدين وقتلت
الحنداريه ذلك الرجل ولم يعرف له خبر وفيها امر السلطان بعمل جسر على الشريعة
بقرب دامية فلما تكامل بناؤه اضطرب بعض اركانه ثم اصلح وفيها اخرج السلطان
من مصر رسلا الى مكة وفيها توجه صاحب الروم ركن الدين كيكاوس والبرواناه بهديه
وتحف وهنوا ابغا بالملك ثم عاد ركن الدين وتخلف معين الدين البرواناه فتكلم مع
ابغا وقال هولا بنو سلجوق اصحاب الروم ما يومنوا وربما ركن الدين باطن مع صاحب
مصر فقال ابغا قد وليتك نيابة الروم فان تحققت احدا يخالف طاعتي فاقتله ثم ان البرواناه
اصبح قلعة لابغا فعظم بذلك عنده وتخوف منه ركن الدين كيكاوس سنه خمس وستين

وستمايه

وستمايه في اوليها توجه السلطان جريدة الى الكرك وتصيد بنواحي زيزى فتقنطر
به الفرس فانكسر فخذه فاقام بدا ونهاحتى تصلح بعض الشي وسار في محفه الى غزه
وحصل له عرج منها وفيها سافر صاحب حماه الملك المنصور الى مصر فاحتفل له
السلطان واكرمه ثم سافر الى الاسكندرية متفرجا فرسم السلطان لمتوليها ان يحمل
اليه كل يوم مايه دينار برسم النفقه وان ينسج له في دار الطراز ما يقترحه وفيها امر
السلطان بعمل الجامع بالحسينية وتمت عمارته في شوال سنه سبع وستين وجا في غاية
الحسن وبني في ميدان قراقوش واحكم ما بني من الميدان وقرر لمصالح الجامع
ورتب به خطيب حنفي وفي جمادى الاخره توجه السلطان الى الشام وصحبته صاحب
حماه فنزل على صفد واهتم بعمارتها وتحسينها وتحصينها ثم قدم دمشق ثم سار الى
الكرك وفي شعبان ولي القضا القضاه بالقاهرة والوجه البحري الامام تقي الدين
ابن رزين الحموي وولي قضا مصر والوجه القبلي محيي الدين عبد الله بن القاضي شرف
الدين بن عين الدوله وولي نظر الاحباس الشيخ تاج الدين علي بن القسطلاني وو...
تدريس الشافعية بالصالحية صدر الدين بن القاضي تاج الدين وفوض نظر الخانقاه
السعيدية الى قاضي الحنابلة وولي نظر مدرسة الشافعي بها الدين علي بن عيسى بن
رمضان نيابة عن الصاحب فخر الدين بن حنى وهذه المناصب كلها كانت بيد القاضي
تاج الدين وفيها توجه الامير عز الدين الحلي الى الحج وناب في السلطنة بدر الدين
بيليك الظاهري الخزندار ودخل السلطان مصر في ذي الحجة فامسك جماعة
منهم الملك الاشرف بن صاحب ميافارقين شهاب الدين غازي والامير اقوش
الغفاري والصالحي الذي ادعى النبوة من نحو ثلاثة اشهر ومنهم الناصح ضامن بلاد الحات
مكان باخيهم فانهى الى السلطان ما هو فيه من الامر المطاع وانه خاف فرجع وجه بارضه
وانهى اليه انه اتفق مع رجل نصراني ومع الملك الاشرف ومع جماعة السود يحبوا سيف
على ان يتغيبوا حرامية السود ويخرجوا الى راحات ويسلطن فيها الملك الاشرف بن غازي
ويكون الناصح وزيره والناصر كاتبه فشنقوا وفيها ورد كتاب قاضي القدس الى السلطان
يخبر بظهور الما بيت المقدس وسبب ذلك ان الما انقطع من بير السقايه وبعد الوصل
وعظمت مشقة الناس لاجل الوضو وان القاضي حضر بنفسه الى البير ثم نزل فاخبره انه

شاهد قناة مسدودة بالردم من عهد بخت نصر الذي هدم بيت المقدس قال فدخلت
الصخرة وانا مهموم بسبب اعواز الما فاجتمعت بالامير علا الدين الركني الاعمى فجرى الحديث
واتفق الراي على احضار رجال من غزه وكشف القناة السليمانية بحضرته فكشفوا الردم
اولا فاولا ومشوا في القناة وكلما مشوا في التراب علقوه بالعمد والالواح الى ان وصلوا
الى الجبل الذي تحت الصخرة المباركة فوجدوا بابا مقنطرا ففتحوا ردمه واذا ماؤه دائم
بالماء ففار على الجماعة بقوة كاد ان يغرقهم فهربوا وصعدوا الى الجبال وذلك في
ذي الحجة من السنة نقل هذا الكاتب محيي الدين بن عبد الظاهر في سيرة الملك الظاهر
ثم قال ووجدت في كتاب دبرياميس من تواريخ النصارى ان ملك الموصل لما قصد اورشليم
يعني بيت المقدس في جيوشه اتفق حزقيا هو وجماعة على دفن المياه التي بين المقدس
ودفنوا جميع الينابيع التي بها وعفوا اثرها لئلا يقوى عليهم ملك الموصل بشراب
تلك المياه قال ابن عبد الظاهر وقرات في سفر زكريا انه يخرج ما عذب منه حياة
من اورشليم نصفه الى البحر الشرقي ونصفه الى البحر الغربي ويكون ذلك في اعتدال
الصيف والشتا قال فوقت ظهور الما نزلت الشمس برج الميزان وهو برج الاعتدال
في يوم نزولها بعينه ثم وصل كتاب الامير علا الدين الركني يذكر انه دخل الصناع فوجدوا
سدا معمولا بالشيد والحجر ينقب به الحجارون مدة احد وعشرين يوما فوجدوا
سقفا بالشيد والكلس معلقا فيه طول مايه وعشرين ذراعا فخرج الما فلما
قوي خرج وجه بحيث انه ملا القناة **سنه ست وستين وستمايه** في صفر عقد مجلس
بين يدي السلطان للضيا بن الفقاعي فيما اقتضى ضربه والحوطة عليه واخذ خطه
بجملة عظيمة ثم لم يزل يضرب الى ان مات قال قطب الدين احصيت السياط التي ضربها
فكانت سبعة وعشرين الفا ونيف وفيها وصل رسول صاحب اليمن الملك المظفر
شمس الدين يوسف بن عمر بتقادم منها فيل وحمار وحش وخيول ومسك وعنبر
وصيني واشيا وطلب معاضدة السلطان له وانه يخطب له في بلاده فبعث اليه الامير
فخر الدين اماز المقري ومعه خلعة وسنجق وتقليد بالسلطنة وفي جمادى الاخرة
خرج السلطان الى الشام واستناب بيليك الخزندار فاتته رسل صاحب يافا فاعتقلهم
وامر العسكر بلبس السلاح ليلا وسار فصبح يافا فهربوا الى القلعة وملك المدينة بلا كلفه

وطلب

وطلب اهل القلعة الامان فامنهم وعوضهم عما نهب لهم اربعين الف درهم وركبوا في
البحر الى عكا ثم هدمت يافا وقلعتها ثم سار طالبا الشقيف فنازلها وظفر بكتاب
من عكا الى الشقيف استفاد منه اشيا كتمها اليهم كانت سبب الخلف بينهم واشتد
الحصار والزحف والمجانيق فطلبوا الامان فتسلم السلطان الحصن وكان فيه نحو
خمسمائة رجل فسيروا الى صور وكان الحصار عشرة ايام ثم سار السلطان جريدة
واغار على طرابلس وخرب قراها وقطع اشجارها وغور انهارها ورحل فنزل على
حصن الاكراد بالمرج الذي تحت الحصن فنزل اليه رسول باقامة وضيافة فردها
وطلب منهم دية رجل من اجناده قتلوه مائة الف دينار ثم رحل الى حمص وحماه ثم الى
فامية ثم رحل ليلا وامر العسكر بلبس العدة فنزل على انطاكية في اول رمضان فخرجوا
اليه يطلبون الامان وشرطوا اشيا لم يجبهم اليها وزحف عليها فافتتحها في رابع رمضان
وصعد غنايمها ثم قسمها على الجيش بحسب مراتبهم وحصروا من قتلوا فيها من النصارى
فكانوا فوق الاربعين الفا واما ابن عبد الظاهر فقال لما رفع السيف عن رجل
بمدينة انطاكية فقط حتى لو حلف الحالف ما سلم منها احد لصدق ثم قال وكان بها
على ما يقال مائة الف وثمانية الاف من المذكور وذلك حسبما عده نائب الساردار الذي
ورد اليها شحنة واستخرج على الراتب بناد هذا سوى من دخل اليها عند هجوم العساكر
من القلاعيين واما قلعتها فلجاوا اليها وتعاشروا بها فكانوا ثمانية الاف رجل
غير الحريم والاولاد فان بها عالم كثير في رحبة الباب واما الوزير والوالي فلما
شاهدوا الحال هربوا في الليل في الجبال رجالة فاصبح الناس يطلبوا الامان من
القتل وان يوسروا ثم خرجوا في احسن زي وزينة كانهم الزهر وصاحوا بين يدي
السلطان وسجدوا وقالوا بصوت واحد العفو ارحمنا يرحمك الله فرق قلبه ورحمهم
ودفع عنهم القتل وكان بها طايفة من الاسرى فخلصهم الله وكانت انطاكية للبرنس
صاحب طرابلس وهي مدينة عظيمة مساحة سورها اثنا عشر ميلا وعدد ابراجها
مايه وستة وثلاثون برجا وشرفاتها اربعة وعشرون الفا وفي داخلها جبل واشجار
ووحوش ومياه تجري وفواكه مختلفة وكان لها في يد النصارى اكثر من مائة وسبعين سنة
او نحوها ثم انه تسلم بغراس بالامان وكان قد هرب اكثر اهلها وتسلم دركوش وصلح

اهلا لقصر على مناصفته ومناصفة القلاع المجاورة له ودخل دمشق في السابع والعشرين
من رمضان وكان يوما مشهودا وفيها كانت الصقعة الكبرى الكائنة على غوطة
دمشق في ثلاث نيسان احرقت الشجر والثمر والزرع والكرم وهلك للناس ما لا
يوصف وكان السلطان قد احتاط على الغوطة واراد ان يتملكها وعثر الناس ما لظلم
والمصادرة وضجوا واستغاثوا بالله فلما شددوا على المسلمين والزموهم بوزن ضمان
بساتينهم حتى تطرقوا الى الاوقاف احرق الله الجميع وجا الفلاحون والضمان بالثمر
والورق والكرم وهو اسود محروق ورموا الامرا ونواب السلطنة فلم يلتفتوا عليهم
واهانوهم والزموا بضمان املاكهم والله المستعان قال قطب الدين احتاط السلطان
على البساتين وعلى القرى وهو نازل على الشقيف وكان قد تحدث في ذلك مع العلما
فقال له القاضي شمس الدين بن عطا الحنفي هذا لا يجوز لاحد ان يتحدث فيه وقام
مغضبا وتوقف الحال ولما وقعت الحوطة على البساتين ضعف بحيث عدمت الثمار
بالكلية وظن الناس انه يرق لهم فلما اراد التوجه الى مصر عقد بدار العدل مجلسا
واحضر العلما واخرج فتاوى الحنفية بانه يستحقها بحكم ان عمر رضي الله عنه فتح دمشق
عنوة ثم قال من كان معه كتاب عتيق امضيناه والا فنحن فتحنا البلاد بسيوفنا ثم قرر
عليهم الف الف درهم عن الغوطة فسألوه ان يقسطها عليهم فابى وتمادى الحال الى ان
خرج متوجها الى مصر في ذي القعدة فلما وصل الى اللجون عاوده الاتابك وفخر الدين
ابن حنى وزير الصحبة فاستقر الحال ان يعجلوا منها اربعماية الف درهم ويعاد اليهم ما
قبضه الديوان من المغل ويقسط ما بقي كل سنة مايتي الف درهم وكتب بذلك توقيع
قلت جا على كل مدي بضعة عشر درهما وباع الناس املاكهم بالهوان وعجزوا فان
بعض الامرا لا يغل في السنة ستة دراهم **اعجوبة** الله اعلم بصحتها
ابن عبد الظاهر في السيرة الظاهرية فقال بعث رسولا الى عكا في الصلح فبالغوا
في اكرامنا ونزلنا دارا على بابها اعلام وصلبان وجرس كبير كالكنايس فحركوا الاجراس
ومعنا ركابي اسمه ريان فنادى بالله بالله كسر هذه الاعلام واقطع هذه الاجراس
وملك السلطان الملك الظاهر عكا فما استتم حديثه الا والجرس قد انقطع والاعلام قد
وقعت وتكسرت الرماح * قال قطب الدين وبعث صاحب سيس يستفك ولده

الاشـ

شقر

الا[شقر] وطلب منه من جملة الفدا ان يسعى في خلاص الامير شمس الدين سنقر الا
من التتار فبعث صاحب سيس اليهم متوسلا بطاعته وبذل الاموال فلم يجيبوه
فلما استولى السلطان على انطاكية بعث اليه صاحب سيس يبذل القلاع التي كان
اخذها من التتار عندما استولوا على حلب وهي دربساك وبهسنا ورعبان فابى
عليه الا ان يحضر سنقر الاشقر فسار صاحب سيس الى التتار واستعطفهم على
الملك الظاهر واستصحب معه احد البحرية علم الدين سلطان فكان يجتمع بسنقر
الاشقر سرا وعليه زي الارمن والاشقر يخاف ان يكون دسيسة عليه فلا يصغي الى
قوله فيقول ما اعرف صاحب مصر ولا اخرج عن هولا فلم يزل علم الدين يذكر له امارات
وعلامات عرف منها صحة قصده فاذعن للهرب فلما خرج صاحب سيس لبس سنقر
الاشقر زيهم واختفى معهم فلما وصل صاحب سيس الى بلاده جا علم الدين وعرف
السلطان بوصوله فطلب ابن صاحب سيس من مصر فاحضر اليه وهو على انطاكية
ثم سيره مع جماعة الى سيس فوقفوا على النهر بالقرب من حد دربساك ووقف
ووصل سنقر الاشقر مع جماعة من سيس فوقفوا على جانب النهر ثم اطلق كل
من الفريقين اسيرهم وتسلم نواب السلطان دربساك ورعبان وبقيت بهسنا
سال صاحب سيس من سنقر الاشقر ان يشفع له عند السلطان في ابقائها
له على سبيل الاقطاع فوعده بذلك ولما وصل الخبر خرج السلطان من دمشق
لتلقيه فلما راه ترجل واعتنقا طويلا وسارا حتى نزلا في المخيم فلما اصبح اخرجا
منه بخيما وشفع في بهسنا فامتنع السلطان فقال له قد رهنت لساني معه واحسن
الي بما لا اقدر على مكافاته فقبل شفاعته واجاب طلبته وكان هولاكو قد اخذ
سنقر الاشقر من حبس الملك الناصر يوسف لما فتح حلب **سنة سبع وخمسين**
وستماية في صفر حلف السلطان الامرا للملك السعيد وفرق تقليده وفي جمادى
الاخرة توجه السلطان والامرا الى الشام جرايد وناب ابنه عنه وعلم على التواقيع
وكاتبه نواب البلاد وفيها وصلت رسل ابغا ومعهم جماعة من جهة صاحب سيس
واحضرهم السلطان فادوا الرسالة مضمونها طلب الصلح بقوة نفس وانا خرجنا
ملكنا جميع العالم وانت لو صعدت الى السما ما تخلصت منا وانت مملوك ابيع في

سيواس فكيف تشاق ملك الارض فاجاب انني في طلب جميع ما استوليتم عليه من
العراق والجزيرة والروم ثم جهزهم وجهها ووصل اليه صاحب صهيون الامير سيف
الدين محمد بن مظفر الدين عثمان بن منكورس وقدم مفاتيح صهيون فخلع عليه وابقاها
في يده وفي اواخر رجب خرج السلطان فنزل على الخربة ثم ركب منها على البريد سرا
الى القاهرة بعد ان عرف الفارقاني انه يغيب وقرر مع الفارقاني ان يحضر الاطبا
كل يوم ويستوصف منهم للسلطان يوهم انه مريض فيعمل ما يصفونه ويدخل في الدهليز
ودخل السلطان مصر في اليوم الرابع واقام بها اربعة ايام ثم رد على البريد الى المخيم
الشريف فكانت الغيبة احد عشر يوما وكان غرضه كشف حال ولده وكشف دسته
وفي رمضان تسلم نواب السلطان قلعة بلاطنس وقلعة بكسرايل من عز الدين احمد
ابن مظفر الدين عثمان بن منكورس الصهيوني وعوض عنها قرية من عمل شيزر
وتوجه السلطان الى صفد فاقام بها يومين واغار على اعمال صور وعيد بالجابية
ثم اشتغل الى العواد ثم سار الى الكرك ومنها الى الحج فحج معه الامير بدر الدين بيليك
الخزندار والقاضي صدر الدين سليمان وفخر الدين بن لقمان وتاج الدين بن الاثير
ونحو ثلثمائة مملوك وجماعة من اعيان الحلقة فقدم المدينة في اواخر ذي القعدة وكان
جماز قد طرد ابن اخيه مالكا عن المدينة واستقل بامرها فهرب من السلطان فقال السلطان
لو كان جماز يستحق القتل ما قتلته لانه في حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تصدق
بصدقات وحج فتلقاه ابو نمي وعمه ادريس فخلع عليهما ووقف بعرفة يوم الجمعة ثم
افاض وغسل الكعبة بماء الورد وطيبها بيده واقام الى ثالث عشر ذي الحجة وزار
المدينة ووصل الكرك يوم التاسع والعشرين من الشهر فصلى بها يوم الجمعة ثم ساق
منها على البريد فوصل دمشق بكرة الاحد يوم ثاني المحرم من سنة ثمان فخرج النجيبي
فصادفه في سوق الخيل فنزل وقبل الارض ثم ساق الى حلب في سادس المحرم
فاقام بها اربعة ايام ثم رد الى حماه ثم الى دمشق ثم انه دخل القاهرة يوم ثالث
صفر وصادف وصول الركب المصري ه ومنها تقدم السلطان بالحوطة على بلاد حلب
واملاكها وان لا يفرج عن شي منها الا بكتاب عتيق ه وفي ذي الحجة هبت ريح عظيمة
بمصر غرقت في النيل نحو مائتي مركب وهلك كثير من الناس وامطرت قليوب مطرا

غزيرا

غزيرا وفيها عصى باكودر على الملك ابغا وحاربه فاستاصله ابغا ثم ان برق بن عم
باكودر استصلحه وقصد سنبرا اخا ابغا فكسره وفي رجب احترق سوق جبل
الصالحية وراح اكثر ما فيه من قماش ومتاع وكان حريقا كبيرا قال بعض الفضلا
ما رايت في عمري حريقا اكبر منه احترق السوق من اوله الى اخره من الجهتين
واحترق فيه دكان للعطار لم يكن في دمشق احسن منها ولا اكثر من الصيني
المطعم بالفضة وغير ذلك وهلك لتاجر شي بخمسة عشر الف درهم وفي رجب ازيلت
القباب التي عملت وكانت قد عمل بها لاجل مجي السلطان وكانت محكمة مبهجة
بالاخشاب كل واحدة طبقات وكان عملها بالادب والمغاني واللهو وبقيت
دون شهر مجرده فلما هموا بنقضها بطلها فاصبح الناس وقد ازيلت ليلا كان لم
تكن فهرجوا ومرجوا ثم عملت له القباب عند مجيه من فتح انطاكية **سنة ثمان**
وستين وستمائة دخل السلطان القاهرة في صفر ثم بعد ايام توجه الى الاسكندرية
ومعه ولده الملك السعيد فتصيد وعاد الى مصر وخلع على الامرا وفرق فيهم
الخيل والمال وتوجه الى الشام في الحادي والعشرين من ربيع الاول وطايفة
يسيرة من الامرا وقاسوا مشقة من البرد فبلغه ان ابن اخت زيتون الملك خرج
من عكا في عسكر يقصد عسكر صفد فسار السلطان واجتمع بعسكر صفد
بمكان بعينه ثم سار الى عكا فصادف ابن اخت زيتون قد خرج فكسره واسره
في جماعة من اصحابه وقتل من عسكره مقتلة ثم اغار على المرقب فصادف امطارا
وثلوجا فرجع الى حمص واقام بها نحوا من عشرين يوما ثم سار الى تحت حصن الاكراد
واقام يسير كل يوم نحوها ويعود من غير قتال فبلغه ان مراكب الفرنج وصلت الى
مينا الاسكندرية واخذت مركبين للمسلمين فرحل لوقته وساق فدخل القاهرة
في ثاني عشر شعبان وفيها قدم صارم الدين مبارك بن الرضي مقدم الاسماعيلية
بهدية الى السلطان وشفع فيه صاحب حماه فكتب له السلطان بالنيابة على حصون
الاسماعيلية على ان تكون مصياف وبلدها خاصا للملك الظاهر وبعث السلطان
معه نايبا من جهته على مصياف وهو عز الدين العذيبي فلما وصل امتنع اهل مصياف
وقالوا لا نسلمها للصارم فانه كاتب الفرنج ونحن نسلمها للعذيبي وقالوا له تعال

من الباب الشرقي فلما فتحوا له هجم معه الصارم وبذل السيف وقتل منهم خلقًا وسلم
هو والعديمي القلعة ثم غلب الصارم على البلد وازال عنه يد العديمي واتفق مجي
نجم الدين حسن بن الشعراني الى السلطان ومعه تقدمة سنية فقدم بها عند حصن
الاكراد فكتب له السلطان بالقلاع وهي الكهف والخوابي والعليقة والرصافة والقدموس
والمينقة ونصف جبل السماق وقرر عليه ان يحمل في كل سنة مائة وعشرين الف درهم ثم
اخرج الصارم من مصياف نائب السلطان وعصى فقاد اليه صاحب حماه فنزل
الصارم وذل ثم عاد اليها بعد العديمي وحمل الصارم الى مصر فحبس بها وفيها ابطلت
الخمور واريقت بدمشق وشدد في ذلك الشيخ خضر الكردي شيخ السلطان وسعى
في اعدامها بالكلية وكبس دور النصارى واليهود وكتبوا على انفسهم بعد القسامة
انه لم يبق عندهم منها شي ه وفيها جاء جراد عظيم الى الغاية بالشام والى الديار
المصرية والى الحجاز ه وفيها ولي الصاحب تاج الدين بن فخر الدين بن حنى وزاره
الصحبة على ما كان عليه والده وفي ذي الحجة امر السلطان بعمل جسر من سلاسل
ومراكب على النيل الى الجيزة لما بلغه حركة الفرنج ليجوز الجيش عليها الى الاسكندرية
ان دهمهم عدو ثم تواترت الاخبار بنزول الفرنج على تونس ه وفيها سار ابغا الى البص
اخاه على براق بعد ان جمع الجيوش وسار بهم نحو شهرين والتقوا على النهر الاسود
فكسر عسكر براق كسرة عظيمة وساقوا خلفهم ولزوهم الى الجسر فازدحموا وتساقطوا
في البحر ورد ابغا الى ارضه ووقع في عسكره الوبا فمات منهم خلق سنة تسع
وستين وستمايه في صفر توجه السلطان من مصر في بعض العسكر الى عسقلان
فهدم بقية سورها المهمل من الايام الصلاحيه وورد عليه الخبر بان عسكر بن
اخي بركة كسر عسكر ابغا ثم بلغه ان اهل عكا ضربوا رقاب جماعة من الاسارى
فاحضر اعيان من عنده من الاسرى وغرقهم في النيل وكانوا ماية وفيها قبض
السلطان على الملك العزيز بن صاحب الكرك الملك المغيث وكان من كبار الامراء
بالقاهرة فقبض عليه وعلى جماعة عزموا على السلطنة وفي جمادى الاولى ورد الخبر
ان ابا نمي محمد بن ابي سعد بن علي بن قتادة امير مكة تواقع هو وعمه ادريس فاستظهر ادريس
عليه وتفرد بامرة مكة فذهب ابو نمي الى ينبع فاستنجد بصاحبها وجمع وقصد مكة فالتقيا

فحمل
وجمع

فحمل ابو نمي على عمه فطعنه رماه ونزل فذبحه واستبد بامرة مكة وفي جمادى الاخرة خرج
السلطان بالجيش لقصد حصن الاكراد مظهرا الاغارة على اللاذقية والمرقب ومرقيه
وتلك النواحي واتسع في ذلك صافيثا والمجدل ثم نزل على حصن الاكراد في تاسع عشر
رجب ونصبت المجانيق والستائر وللحصن ثلاثة اسوار فاخذت الباشورة بعد
يومين واخذت الباشورة الثانية في سابع شعبان وفتحت الثالثة الملاصقة
للقلعة في نصف شعبان وكان المحاصر لها الملك السعيد وبيليك الخزندار وبيسري
الصالحي ودخلوا البلد بالسيف فاسروا من فيه من الجبلية والفلاحين ثم اطلقهم
السلطان وتسلم القلعة في الخامس والعشرين من شعبان بالامان وترحل اهلها
الى طرابلس ثم رتب الامراء لعمارة الحصن وصيرت الكنيسة جامعًا وطلب صاحب
انطرسوس المهادنة وبعث بمفاتيحها الى السلطان فصالحه على نصف ما يتحصل منها
وجعل عندهم وجاءت رسل صاحب المرقب وصالحهم على النصف ايضًا وقررت الهدنة
عشر سنين وعشرة اشهر وعشرة ايام ثم نزل السلطان على حصن ابن عكار ونصبت
المجانيق ثم تسلمها بالامان وهي قلعة في واد بين جبال ثم خيم في رابع شوال على
طرابلس فسير اليه صاحبها يسال عن سبب قصده فقال لارعى زرعكم واخرب بلادكم
ثم اعود لحصاركم فبعث اليه يستعطفه ثم هادنه عشر سنين ه وفي شوال جاء دمشق
سيل عظيم مهول هدم البيوت وانحدر الى الحجاج الرومي بين النهرين وحالم
وغرق جماعة واتلف للناس شيء كثير وكان ذلك بالنهار والشمس طالعة والشمس
تسرع فغلقت ابواب المدينة وطغى الماء وارتفع حتى بلغ احد عشر ذراعًا وكادت
دمشق ان تغرق واشتدت الزيادة الا انها رطيبا صغيرا ودخل الماء الى البلد
وخرب خان ابن المقدم وطلع الماء فوق اسطحة كثيرة عند جسر باب توما حتى بلغني
انه وجد فوق سطح سمكة ميتة واصطادوا السمك من وراء العادلية عند دار ابن
نعمود وتحدث العوام ان الذين هلكوا بالزيادة والردم فوق الالفين ووجد
بستان من ترنجيه سمكة في النقع اذا راى الشخص ارتفاع ذلك الماء كان زاد تعجبه وحدثني
رجلان ان اهل الوادي الشرقي وجدوا جملًا ميتًا فوق اصل سفرجل وضج الخلق
والاستغاثة بالله وكان يومًا مشهودًا واشرف الناس على التلف ثم لطف الله

وزحم الناس وبنا فضل الما ولو ثبت ساعة اخرى او زنفع ذراعا لغرق نصف
دمشق ولبعضهم   لقد اظهر الجبار بعض اقتداره   فارسل بحرا طاميا من بحاره
وارعدها حتى تواقف مياهها مطنبة محفوفة بازدحامه   واهلك فيه خلقه وعبيده
فاصبحوا وهم غرقى باقصى قراره   فكم من شباب من نسا وصبية   وكم من دواب قد صلبن بناره
فسبحان من ابدا عجايب صنعه   وارعج كل الخلق عند ابتداره   وعاد بلطف منه عفوا ومنة
فنسال الزلفى غدا في جواره   وفي شوال قبل يوم الزيادة الموصوفة جا الشيخ
خضر شيخ السلطان الى كنيسة اليهود ومعه امرا واعيان والوالي فاخرجوا اليهود
منها يوم سبتهم واذوهم وقرا القراء بها غير واحد ثم غنى المغنون ورقص
الناس وحضر الشيخ خضر وكان يوما عجيبا ونهب كل ما فيها وعمل الشيخ بها في يوم
تبسيسة عظيمة بالسمن والعسل وازدحم الخلق حتى دست بالرجل في الكنيسة
وفضلت في دمشق نهو ملوط واتخذ الشيخ خضر الكنيسة زاوية وكان صاحب
كشف واحوال شيطانية وجرى ما لا ينبغي وسياتي ذكر خضر في سنة ست وسبعين
وجا السلطان بالجيش في نصف شوال بعد الزيادة بيومين الى دمشق ولطف الله
بهما اذ تاخر واعقل الزيادة ولولا كانت غرقت نصف الجيش واكثر فعزل السلطان
ابن خلكان من القضا وولى ابن الصايغ ثم سار بعد عشرة ايام فنزل على القرين ونصب
عليها المجانيق وصدق اهلها في القتال ودام الحصار جمعتين ثم اخذت بالامان
وهدمت وكانت من امنع الحصون ثم سار السلطان بالجيش حتى اشرف على عكا
ورجع ودخل مصر في ثالث عشر ذي الحجة ونابه في هذه السفرة فوق ثمانماية الف
دينار فلما قبض على هولا الامرا الكبار الحلبي والمحمدي وايدغدي الحاجبي والمساح
وبيدغان وطرطح لانه بلغه عنهم انهم هموا بالفتك به ومن عجيب الاتفاق ان مكة
جايها زيادة وسيل عظيم بحيث ان الما بلغ الى فوق الحجر الاسود ومن العجايب
ان مياه دمشق والعاصي والفرات قلت ونقصت نقصا مجحفا حتى هلك شي
كثير من الاشجار وبطلت الطواحين وعملت طواحين بدارات وكانت الفواكه
في هذه السنة قليلة ومما جرى في هذه السنة وقبلها وبعدها تولى القاضي نجم الدين
ابن سني الدولة تدريس الامينية والقاضي عز الدين ابن الصايغ تدريس العادلية

واخوه

واخوه عماد الدين تدريس العذراوية ورشيد الدين الفارقي الناصرية والبرهان المراغي
الركنية والعز بن عبد الحق الاسدية وتاج الدين عبد الرحمن المجاهدية واخوه شرف
الدين الصارمية والبها بن النحاس القليجية وابن عمه محيي الدين الريحانية والوجيه
المنجا المسمارية والتقي التركماني المعظمية والشمس بن الكمال الضيائية والعز عمر
الاربلي الجاروخية وشرف الدين بن المقدسي العادلية الصغيرة وجهز السلطان
وهو منازل حصن الاكراد سبعة عشر شينيا في البحر عليها الزيني ناصر الدين ريس
مصر والهوادي ريس الاسكندرية وعلوي ريس دمياط والجمال ابن حسون مقدم
على الجميع لكونه بلغه ان صاحب قبرس قدم عكا فاغتنم السلطان الفرصة وبعث
هولا الى قبرس فوصلوها ليلا فهاجت عليهم ريح طردتهم عن المرسى والقت بعض
الشواني على بعض فتحطمت وتكسر منها احد عشر شينيا واسر فيها من المقاتلة والبحارة
وكانوا نحو الف وثمانمايه وسلم ناصر الدين وابن حسون في الشواني السالمة
قال الشيخ قطب الدين وفي ذي الحجة امر السلطان باراقة الخمور في بلاده
والوعيد على من يعصرها بالقتل فاريق منها ما لا يحصى وكان ضمان ذلك في الديار مصر
خاصة الف دينار في كل يوم قال وفيها نزلت الفرنج على تونس لانتصار لاهل
جنوة بسبب ما اخذ من اموالهم فنازلها الفرنسيس في اربع ماية الف منها ستة
وعشرون الف فارس وفيهم جماعة ملوك ومجموع عدة مراكبهم اربع ماية مركب وقاتلهم
البربر والعربان والعوام وقتل ولد الفرنسيس وقيل ان الفرنسيس مات ولم يبق
عندهم ملك يحمل عليهم وطلبت الفرنج الصلح فوقع الصلح على رد مال اهل جنوه
ابن سبعين عبد الحق بن ابرهيم بن محمد بن نصر بن محمد بن نصر بن محمد بن سبعين
الشيخ قطب الدين ابو محمد المرسي الرقوطي الصوفي كان صوفيا على قاعدة زهاد الفلاسفة
وتصوفهم وله كلام كثير في العرفان على طريق الاتحاد والزندقة نسال الله السلامة
في الدين وقد ذكرنا محط هولا الجنس في ترجمة ابن الفارض وابن العربي وغيرهما فيا حسرة
على العباد كيف لا يغضبون لله تعالى ولا يقومون في الذب عن معبودهم تبارك اسمه
وتقدس في ذاته عن ان يمتزج بخلقه او يحل فيهم وتعالى الله عن ان يكون هو عين السماوات
والارض وما بينهما فان هذا الكلام شر من مقالة من قال بقدم العالم ومن عرف هولا

الباطنية عند ربي او هو زنديق مبطن للالحاد يذب عن الاتحادية والحلولية ومن لم
يعرف مراد الله يثبته على حسن قصده وينبغي للمرء ان يكون غضبه لربه اذا انتهكت
حرماته اكثر من غضبه لنفسه فغير معصوم من الزلل فكيف يعتبر احتمال ان يكون في الباطن
كافرا مع انا لا نشهد على اعيان هولاء بايمان ولا كفر لجواز توبتهم قبل الموت وامرهم
مشكل وحسابهم على الله واما مقالاتهم فلا ريب في انها شر من الشرك فيا اخي
ويا حسبي اعطي القوس باريها ودعني ومعرفتي بذلك فاني اخاف الله ان يعذبني
على سكوتي كما اخاف ان يعذبني على الكلام في اوليائه وانا لو قلت لرجل مسلم يا
كافر لقد بؤت بالكفر فكيف لو قلته لرجل صالح او ولي لله تعالى ذكر سيدنا قاضي
القضاة تقي الدين بن دقيق العيد قال جلست مع ابن سبعين من ضحوة الى قرب
الظهر وهو يسرد كلاما تعقل مفرداته ولا تعقل مركباته **قلت** واشتهر عنه
انه قال لقد تحجر ابن امنة واسعا بقوله لا نبي بعدي وجا من وجه اخر عنه انه
قال لقد زرب ابن امنة حيث قال لا نبي بعدي فان كان ابن سبعين قال هذا
فقد خرج به من الاسلام مع ان هذا الكلام في الكفر دون قوله في رب العالمين
انه حقيقة الموجودات تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وذكره الشريف عز الدين
فقال له تصانيف عدة ومكانة مكينة عند جماعة من الناس واقام بمكة سنين عديدة
قلت وحدثني فقير صالح انه صحب فقرا من السبعينية وكانوا يهونون له ترك الصلاة
وغير ذلك اللهم احفظ علينا ايماننا واجعلنا هداة مهتدين وحصن ربوطه من
اعمال مرسيه وسمعت ابن سبعين فصد يديه وترك الدم يخرج حتى تصفى ومات
والله اعلم بصحة ذلك وكان موته بمكة في الثامن والعشرين من شوال وله خمس
وخمسون سنة فانه ولد في سنة اربع عشرة اللهم يا ربنا ورب كل شيء ان كان هذا
الشخص واضرابه يعتقدون انك عين مخلوقاتك وان ذاتك المقدسة البائنة من
الخلق هي حقيقة ما ابدعت واوجدت من العدم فلا ترحمهم ولا ترض عنهم وان كانوا
يومنون بانك رب العالمين وخالق كل شيء وان مخلوقاتك غيرك بكل حال وعلى كل
تقدير فاعف لهم وارحمهم فان هولاء يقولون ما ثم غير وما في الكون سوى الله وما
انت غير الكون بل انت عينه تعاليت يا الهنا عن ذلك بل انت وما انت عين الكون
بل

بل انت غيره وبينهما هذا كل شيء هو مثله ويقولون ان الله تعالى هو روح الاشيا
وانه في الموجودات سار كالحياة في الجسم بل يقولون ان الموجودات مظاهر له
وانه يظهر فيها كما قال رمضان التوزري المتشرع عرف بالحوبان
مظاهر الحق لا تعد والحق فيها فلا يحد فباطن لا يكاد يخفى وظاهر لا يكاد يبدو
تشهد بين ذا وهذا باعين منه تشهد ان بطن العبد فهو رب او ظهر الرب فهو عبد
تبين كن عين زل وجودا قبض وبسط اخذ ورد من اسباب الكون بالاسباب ويعود الى
وقال الشيخ صفي الدين الارموي الهندي حججت في حدود سنة ست وستين
وبحثت مع ابن سبعين في الفلسفة وقال لي لا ينبغي لك الاقامة بمكة فقلت كيف
تقيم انت بها فقال انحصرت القسمة في قعودي بها فان الملك الظاهر يطلبني
بسبب انتمائي الى اشراف مكة واليمن صاحبها له في عقيدة ولكن وزيره حشوي
يكرهني قال صفي الدين وكان داود صاحب مكة فصارت له عنده مكانة بذلك
ويقال انه نفي من المغرب بسبب كلمة صدرت منه وهي انه قال لقد تحجر ابن امنة في
قوله لا نبي بعدي **قلت** وان فتحنا باب الاعتذار عن المقالات وسلكنا طريق
التاويلات المستحيلات لم يبق في العالم كفر ولا ضلال وبطلت كتب الملل والنحل
واختلاف الفرق وقد ذكر الغزالي رحمه الله في كتاب مشكاة الانوار فصلا
في حال الحلاج فاخذ يعتذر عما صدر عنه مثل قوله انا الحق وقوله ما في الجبة الا
الله وهذه الاطلاقات التي ظاهرها كفر وحملها على محامل سائغة واولها وقال
هذا من فرط المحبة وشدة الوجد وان ذلك كقول القائل انا من اهوى ومن اهوى انا
قلت ينفذ بي صحة العقيدة فلا كلام وانما الكلام فيمن يقول العالم هو الله ومن طالع
كتب هولاء علم علما ضروريا انهم اتحادية مارقة من الدين وانهم يقولون الوجود الواجب
القديم الخالق هو الممكن المخلوق ما ثم غيره ولا سوى ولكن لما راوا تعدد المخلوقات
قالوا مظاهر ومجالي فاذا قيل لهم فان كانت المظاهر امرا وجوديا تعدد الوجود
والا لم يكن لها حقيقة وما كان هكذا تبين ان الموجود نوعان خالق ومخلوق
قالوا العقل ثبت عندنا بالكشف ما ينافي صريح العقل ومن اراد ان يكون عارفا محققا
فلا بد ان يلتزم الجمع بين النقيضين وان الجسم الواحد يكون في وقت واحد في موضعين

سنة سبعين وستماية في المحرم ركب السلطان من الصناعة في الشواني
ومعه نايب السلطنة بيلبك الخزندار فلما صار في الشيني مال فوقع الخزندار
في البحر فنزل خلفه من اطلعه بشعره وقد كاد ثم خرج السلطان الى الكرك
واخذ منه النايب عز الدين ايدمر وقدم به دمشق فجعله نايبا عليها وعزل
النجيبي ثم سار الى حماه ورجع ثم مضى الى حلب وتنبه ان صمغرا ومعين الدين
البرواناه والتتر لما عادوا من عند ابغا في السنة الخالية جاهم امر بقصد الشام
فحشدوا وجا صمغر في عشرة الاف الى البلستين ثم الى مرعش وبلغهم ان السلطان
بدمشق فبعثوا من المغل الفا وخمسماية للاغارة وتجسس الاخبار فوصلوا الى عين
تاب ثم الى قسطون ووقعوا على التركمان هناك بين حارم وانطاكية فاستاصلوهم
فامر السلطان بتجفيل البلاد حتى اهل دمشق ليطمع التتار فيتوغلون في البلاد
ويتمكن منهم وطلب جيش مصر فقدموا ومقدمهم الامير بدر الدين بيسري فوصلتهم
الاخبار فاسرعوا الرجعة وساق الف المغل ورا التتر فلم يدركهم واغارت
الفرنج من عثليث الى قاقون واخذت التركمان وسار الامير علا الدين طيبرس
الوزيري وعيسى بن مهنا فخاضوا الفرات الى حران فخرج اليهم من بها من التتار
فطاردهم ابن مهنا فخرج عليهم طيبرس فلما راوا الجيش نزلوا وقبلوا الارض والقوا
سلاحهم فاخذوهم وكانوا ستين نفسا وسار طيبرس فغلقوا ابواب حران سوى
باب واحد وخرج اليه الشيخ محاسن وهو من اصحاب الشيخ حياه وجماعة من الاعيان
ومعهم اطعمة فاكرمهم طيبرس ونزل عن فرسه واتوه بمفاتيح حران وقالوا البلد
للسلطان ابقاه الله ثم عاد طيبرس قال شمس الدين محمد بن الفخر رحمه الله من اعجب
ما يورخ ان امراة امشاطية في جوار دار بني هلال بباب الناطفيين في جمادى
الاولى في مدة سبعة ايام وضعت طرحا احد عشر ولدا ذكورا واناثا وبعضهم قد
كملت خلقته وبعضهم قد تبين بعضها لا دفعة الا اشهر ونصف وهذا غريب نادر
واشتهر ذلك في دمشق واستفتيه قاضي القضاه عز الدين واربخه وفي جمادى
الاخرة عبر السلطان الى بر الخضر فاخبر ان بوصير مغارة فيها مطلب فجمع لها
خلقا وحفروا امدا بعيدا فوجدوا كلابا ميتة وقططا وطيورا والكل ملفوف في

عصاب

عصايب وخرق فاذا حلت اللفايف ولاقا ذلك الحيوان الهوا صار هبا واقاموا
يعملون من ذلك شيا كثيرا ولا يفقد فتركوه وفي شعبان احتيط على دار القاضي شمس الدين
محمد بن العماد وحمل ما فيها من الودايع الى قلعة الجبل وذلك لان ابن العماد عزل نجم
الدين بن حمدان عن نيابة الحكم لامر حمل اخوه النفي بسبب المحال التعصب على ان كتب
ورقة الى السلطان ان عند ابن العماد ودايع كثيرة لتجار من حران وبغداد والشام وقد
مات اهلها فاستدعاه السلطان وساله عن الودايع فانكر فحلفه فحلف مرارا ولا
فكبس بيته فوجد فيه كثير مما قيل لكن اصحابها احيا ومنهم من مات وله وارث فاخذ من
ذلك زكاته مدة سنين وحنق عليه السلطان وحبسه فتسلط عليه شبيب وادعى انه
حشوي وانه يقدح في الدولة وكتب بذلك محضرا وسافر السلطان الى الشام ثم عقد
مجلس بحضرة الامير بدر الدين بيلبك الخزندار فاستدعى بالشهود الذين في المحضر
فرجع بعضهم عن الشهادة وشهد الباقون فاخرق بهم وجرسهم ونبش الخزندار بحامل
شبيب فحبسه واحاط على موجوده واعيد الشيخ شمس الدين الى الحبس بالقلعة فاقام
بها سنتين الى ان افرج عنه في نصف شعبان من سنة اثنتين وسبعين ولولا عناية
الخزندار به ومحبته له لكان شيا اخر واما السلطان فسار الى الشام وشن
الغارات على بلاد عكا فراسلوه وطلبوا الصلح فصالحهم عشر سنين ثم دخل دمشق
وفي رمضان جاءت طايفة من التتار فاخربوا شرفات سور حران وبعض اسواقها
ونقلوا كثيرا من اخشابها واستاقوا معهم اهلها واخليت ودثرت بالكلية وفيها
وصلت رسل صمغر او البرواناه فقالوا للسلطان ان صمغرا يقول لك منذ جاورك
في البلاد لم يصله من جهتك رسول وقد راى من المصلحة ان تبعث الى ابغا رسولا
بما تحب حتى نساعدك ونتوسط فاكرم السلطان الرسل ثم بعث في الرسلية الامير فخر الدين
اياز المقري والامير مبارز الدين الطوري الى ابغا وبعث له جوشنا وبعث لصمغرا
قوسا فوصلا قونية فسار بهما البرواناه الى ابغا فقال ما شانكما قالا ان سلطاننا
ارسلنا يقول لك ان اردت ان اكون مطاوعا لك فرد ما في يدك من بلاد المسلمين فغضب
واغلظ لهما وقال ما يرضى راسا براس وانفصلا من غير اتفاق وعندي في وقوع
ذلك نظر لكن لعله ساله رد ما بيده من العراق والجزيرة والا فجميع ما بيده بلاد المسلمين

وفيها وصلت رسل بيت بركه من عند منكوتمر بن طغان يطلبون من السلطان الاعانه
على استيصال شافه ابغا وفي ذي الحجة سار السلطان الى حصن الاكراد وحصن
عكا فاشرف عليها ورجع الى دمشق **الطبقة الثامنة والستون سنه**
احدى وسبعين وستمايه ففي المحرم سار السلطان من دمشق الى مصر على البريد
وفي صحبته البيسري وحرمك الناصري واقوش الرومي فوصلوا في سته ايام
واقام خمسة ورجع فوصل دمشق في خمسة وفي المحرم قدم الكافر صاحب النوبه
فنهب عيذاب وقتل خلقا منهم واليها وقاضيها فسار متولي قوص وقصد بلاد
النوبه فدخل بلد الجون وقتل من فيه واحرقه وكذا فعل بحصن ابريم وادميا وغير ذلك
وهو علا الدين ايدغدي الحرداد وفي جمادي الاولى بلغ السلطان وهو بدمشق
ان فرقه من التتار نازلوا البيرة فسار الى حمص ثم الى براعه فاخبر ان التتار بلاده
الاف على الفرات فجا الى الفرات وامر الجيش بخوضها فخاض الامير سيف
الدين قلاوون وبدر الدين بيسري في اول الناس ثم تبعهما هو وحملوا على التتار
فقتلوا منهم مقتله عظيمه واسروا وغنموا المواشي وساقوا وامر البيسري الى خرج
اما الدين نازلوا البيرة فانهم سمعوا بذلك فترحلوا عن البيرة منهزمين واتاها
السلطان فخلع على النواب وفرق في اهلها مائة الف درهم وللشهاب محمود رحمه الله
في ذلك شعر حيث شئت لك المهيمن جار واحكم فطوع مرادك الاقدار
حملتك امواج الفرات ومن راى بحرا سواك يقله الانهار
وتقطعت فرقا ولم يك طودها اذ ذاك الا جيشك الجرار
وفي جمادي الاخره افرج عن عز الدين الدمياطي الامير عن تسع سنين حبسها وفي
رجب خلع على الامرا وفرق فيهم نحو ثلثمايه الف دينار وفي شعبان اطلق علم
الدين سنجر الغتمي المعزي واشتراه السلطان وبعث السلطان رسل منكوتمر
ابن اخي بركه ومعهم رسوله بتحف وتقادم وفي شوال استدعى السلطان الشيخ
خضر شيخه الى القلعة في جماعة حاققوه على اشيا ورموه بفواحش فامر باعتقاله
وكان السلطان ينزل اليه ويحبه ويمازحه ويستصحبه في ساير اسفاره ويهب له العطايا
ولا يرد شفاعته ودخل الى كنيسة قمامة فذبح قسيسها بيده ونهب اصحابه ما فيها

ثم

١٢٣

ثم هجم كنيسة اليهود ونهبها وبدع فيها ودخل كنيسة الاسكندرية ونهب ما فيها وصيرها
مسجدا وبنى له السلطان مسجدا وزاوية بالحسينية ومن اجله سمي بالحسينية زمانا ثاني شهر
سنه اثنتين وسبعين وستمايه في المحرم توجه السلطان الى الشام في طايفه
منهم سنقر الاشقر وبيسري واقوش السعدي فلما وصل الى عسقلان بلغه ان ابغا قدم
بغداد فبعث السلطان وراء الجيش فقدموا في الشتا ولم يكن باس **قصة** ملك الكرج
وكان قد اتى من بلاده ليزور بيت المقدس والقمامة متنكرا في زي الرهبان هو وطايفه
فسلك ارض الروم الى سيس ثم ركب في البحر وطلع من عكا واتى القدس فاطلع الامير
بدر الدين بيليك الخزندار على امره وهو على يافا فارسل من قبض عليه ثم سيره مع الامير ميكورس
الى السلطان وهو بدمشق فساله السلطان وقرره بلطف فاعترف فحبسه وامر ان
يكتب الى بلاده بما شرع ودخل السلطان الى القاهرة في رجب وفي يوم العيد ختن خمس
ولد السلطان في عدة صبيان من اولاد الامرا وفي رمضان توجه الملك السعيد في
صحبته الفارقاني واربعون نفسا الى دمشق على البريد ثم ردوا في يوم ٥ وفي ذي القعدة
حضروا الى القرافة واخبروا ان شخصا دخل الى تربة الملك المعز وجلس عند القبر باكيا
فذكر عن نكايه فذكر انه قاف بن الملك المعز وقد كان السلطان نفاه الى المعز هذا والملك
المنصور الى بلاد الاشكري فطلب وقبض وطولع به السلطان فاحضره وساله عن امره
فذكر ان في البلاد نحو سنتين يتوكل للاجناد بحسن بعض وجعل عليه بعض مماليكه يجري
عليه نفقه وفيها ذكر محيي الدين بن عبد الظاهر انه وصل كتاب صاحب الحبشه الى السلطان
في طي كتاب صاحب اليمن وفيه اقل المماليك امحرا ملاك يقبل الارض وينهي بين يدي السلطان
الملك الظاهر خلد الله ملكه ان رسولا وصل منه الى قوص بسبب الراهب الذي جانا نصحبه
جانا مطران وبلادنا بلاد السلطان ونحن عبيده فامر لا يب النترك يعمل لنا مطرانا رجلا
عالما لا يحب ذهبا ولا فضه ويسيره الى مدينة عوان والملوك يسيرا الى ابواب الملك المظفر
بالمركب ليسيره الى دبا رحصا وقد مات الملك داود وتملك ابنه وعندي في عسكري ماية الف
فارس مسلمين واما النصارى فكثير وكلهم علمانك ويدعون لك فكتب جوابه وورد كتاب الملك
الجليل الهمام العادل في رعيته حطي ملك امحره اكبر ملوك الحبشان نجاشي عصره سيف الملة
المسيحية حرس الله نفسه فهمناه فاما المطران فلم يحضر من جهة الملوك رسول حتى كنا نعرف

الشاطبي

الغرض في كلام نحو هذا واحمد اقليم كبير صاحبه يحكم على اكثر الحبشة وبلغت حطي وهو الخليفة
ومدينة عوان هي ساحل بلاد الحبشة واول الحبشة وكان قد نفذ هديه من جملتها سباع
فاخذ صاحب سحرت الهديه ونهبها وفيها وعظ بدمشق العز عبد السلام بن احمد بن
غانم فاعجب الناس حداه محمد بن سليمان بن عبد الله بن علي ابو عبد الله المعافري الشاطبي
الزاهد نزيل الاسكندريه كان من كبار مشايخ الفقرا المشهورين بالعبادة والصلاح والانقطاع
وكان كبير القدر رفيع الذكر يقصد للتبرك والزيارة ويعد في طبقة الغباري توفي في
العشر من رمضان وله سبع وثمانون سنه ودفن بمرج سوار ولا اعلم روى شيا الا
عن ابي القاسم بن صصرى روى عنه ابو محمد الدمياطي وغيره وقد لبس الخرقة من جعفر الهمداني
ثم وجدت اربعين حديثا قد خرجها ابن عبد البارى له واذا انه قد سمع في دمشق من ابن صصرى
وموسى بن عبد القادر واحمد الخضر بن طاوس وابن الهنا وغيرهم وانه قرا بالسبع
بالاندلس وله تفسير صغير وله كتاب المنهج المفيد فيما يلزم الشيخ والمريد سمع منه شيخنا
التاج العراقي هذه الاربعين والوجيه عبد الرحمن السبتي وكتب الطبقة العراقي وكتبه له

ابن مالك محمد بن عبد الله بن مالك العلامة الاوحد
قدوة الطوايف شيخ الاسلام
جمال الدين ابو عبد الله الطايي الجياني الشافعي النحوي نزيل دمشق ولد سنة ستمايه
او سنة احدى وستمايه وسمع بدمشق من مكرم وابي صادق الحسن بن صباح وابي الحسن
السخاوي وغيرهم واخذ العربيه عن غير واحد جالس بحلب ابن عمرون وغيره وتصدر بحلب لاقرا
العربية وصرف همته الى اتقان لسان العرب حتى بلغ فيه الغاية وحاز قصب السبق
واربى على المتقدمين وكان اماما في القراات وعللها صنف فيها قصيده داليه مرموزه
في مقدار الشاطبيه واما اللغه فكان اليه المنتهى في الاكثار من نقل غريبها والاطلاع على
وحشيها واما النحو والتصريف فكان فيه بحرا لا يجاري وحبرا لا يباري واما اشعار
العرب التي يستشهد بها على اللغة والنحو فكانت الايمة الاعلام يتحيرون فيه ويتعجبون
من اين ياتي بها وكان نظم الشعر سهلا عليه رجزه وطويله وبسيطه وغير ذلك هذا مع ما
هو عليه من الدين المتين وصدق اللهجه وكثرة النوافل وحسن السمت ورقة القلب وكمال
العقل والوقار والتوده اقام بدمشق مدة يصنف ويشتغل وتصدر بالتربة العادلية
وبالجامع المعمور وتخرج به جماعة كثيرة وصنف كتاب تسهيل الفوايد في النحو وكتاب سبك

المنظوم

المنظوم وفك المختوم وكتاب الشافيه الكافيه وكتاب الخلاصه وشرحها وكتاب اكمال الاعلام
بمثلث الكلام والمقصود والممدود وفعل وافعل والنظم الاوجز فيما يهمز والاعتضاد
في الظا والضاد وتصانيف اخر مشهوره لا يحضرني ذكرها روى عنه ولده الامام بدر الدين
محمد والامام شمس الدين بن جعوان والامام شمس الدين بن ابي الفتح وعلا الدين بن
العطار وزين الدين ابو بكر المزي وشيخنا ابو الحسين اليونيني وابو عبد الله بن الصيرفي
وقاضي القضاه بن جماعه وطايفة سواهم انشدنا ابو عبد الله بن ابي الفتح انشدنا العلامة
جمال الدين بن مالك لنفسه في مكرر الاعضا وثانيها يميني شمال كف القلب خنصر سه
نيصر سن رحم ضلع كبد كرش عين الاذن العب فخذ قدم ورك وكف وعقب ساق
الرجل ثم يد لسان ذراع عاتق عنق قفا كراع وضرس ثم ابهام العضد ونفس روح
فرس دفرى اصبع معا بطن ابط عجز الدبر لا يرد ويدها البيت خنثا وما ملت وجهان فيها قد
وانشد ابن ابي الفتح انشدنا ابن مالك لنفسه في اسما الذهب نضر نضير نضار زبرج سيرا
والتبر ما لم يذب واشركوا ذهبا وفضه في نسيك هكذا العرب وانشدنا ابن ابي
الفتح انشدنا ابن مالك لنفسه في خيل السباق العشيرة على الولا
خيل السباق المجلي بعده مصل والمسلي وتال قبل مرتاح وعاطف وحظي والمومل واللطيم
والفسكل السكيت باصاح توفي ابن مالك رحمه الله في ثاني عشر شعبان وقد نيف على
السبعين ٥ محمد ابن ابي بكر بن ابي الليث الداودي من بيت رياسة وتقدم خراسانا العلا
شهاب الدين ابو منصور سمع ببلده من مخلص الدين الوجي ونصيح الدين الداودي ورحل
الى بخارا فتفقه على شمس الايمة ابي الوجد محمد بن عبد الستار وجمال الدين عبد الله بن ابراهيم
المحبوبي وقرا الادب وسمع من ابي رشيد محمد بن ابي بكر بن الغزال وقوام الدين محمود بن احمد
ابن ماهان قرا عليه الادب جماعة من اصحابنا ولد في حدود سنه ست وثمانين وخمسمايه وتو
في بسرخس في سنه اثنين وسبعين وستمايه قاله في العرض شيخنا شهاب الدين
سنه ثلاث وسبعين وستمايه في صفر توجه السلطان الى الكرك على الهجن وكان
قد وقع بها برج احب ان يصلح بحضوره غزوة سيس دخل السلطان عن نصره دمشق
في اخر شعبان ثم سار الى سيس وعدى اليها من الدربند فافتتحها واخذ اياس واذنه
والمصيصه في العشر الاخير من رمضان وبقي الجيش بها شهرا وقتلوا واسروا وسبوا خلايق

وغنموا ونفى السلطان لحسن الحديد اليا او اخرج ذي القعدة   ذكر استيلا ابن لاون على تيس
والثغور قال العماد الكاتب كانت هذه البلاد بجميعها مملكة الروم وبعضها استولى
عليها مليح بن لاون النصراني وذلك لان السلطان نور الدين محمود بن زنكي كان قد شد منه
وتقوى جانبه وكان كما يقال قد سلط الكفر على الكفر فلما تقوى مليح بن لاون وجه صاحب
الروم جيشا فكسرهم ابن لاون واسر من مقدميهم ثلاثين نفسا وذلك في ربيع الاخر سنة
ثمان وستين وخمسمائة فبلغ ذلك نور الدين فارسل خلع عليه وكتب الى الخليفة يعظم امر
ويقول ان مليح بن لاون الارمني من جملة غلمانه وانه كسر الروم ويمن على الديوان بهذا ومن
هذا الوقت تملك هذا التكفور هذه البلاد نيابة عن نور الدين لا غير واستمر على ذلك
وبلاد سيس هذه تعرف بالدروب وتعرف بالعواصم وبها كان الرباط والمثاغرة وكان
امرها مضافا الى مملكة مصر وقد افتتح احمد بن طولون فاخذها من سيما الطويل وفي
ايام كافور الاخشيدي حصل التهاون في امر الثغور فقصد هذا الملك تكفور ويقال
نقفور الرومي لعنه الله فعصت عليه فخرق قراها وقطع اشجارها فبعث كافور نجدة
لها والشرح في ذلك يطول وليس هذا موضعه وللمولى محيي الدين بن عبد الظاهر في هذه النوبة
يا ملك الارض الذي جيشه علا من تبيس الى قوص   مصيبة التكفور قال الله ابادي تخصيصي
كم بدن فصله سيفك الغرا والاكثر مصيصي   وفي شعبان وقع رمل عظيم بالموصل
مطرهم من القبلة واستمر يمينا وشمالا حتى ملا الافق وعميت الطرق فخرج الخلق الى
ظاهر البلد وابتهلوا الى الله واستغاثوا الى ان كشف ذلك عنهم   وفي ربيع الاخر قتل
بغرناطة الزنديق الشيخ ابرهيم الصفار قتلوه رجما بالحجارة بامر السلطان محمد
محمد بن يوسف بن نصر صاحب الاندلس وكتب بذلك الى المرية يعلمهم بكفره ويحذرهم من
سلوك سبيله وفي الكتاب انه كان يفضل ابرهيم وعيسى على نبينا وانه كان يفضل الولي
على النبي ويستحل المحرمات وفي الكتاب ان هولا الكفرة بعض اصحاب ابرهيم الصفار الاعو
بالدين واعتقد والولاية في كثير من الفساق المكبين على الكبائر كالمشهور بالمشهور داك
ريدان واشباههما من متخذي المجانين والمجان وهذا في محلة خطات الوليد المالكي وفيها
كان القحط المفرط باليمن حتى اكلوا الميتات   سنة اربع وسبعين وستمائة في شهر جمادى
الاخرة نزلت التتار على البيرة في ثلاثين الفا واكثرهم من عسكر الروم وما والاهم فنبهم اهل

البيرة

البيرة واحرقوا المجانيق ونهبوا وعادوا لخذلانهم في الحصار والقلعة بحمد الله عاصية
ثم رحلوا عنها وسلم الله واقاموا عليها تسعة ايام ولما بلغ السلطان ذلك انفق في الجيش
ستمائة الف دينار واكثر وسار فبلغه وهو بالقطيفة رحيل التتار فوصل الى حمص ورجع
الى القاهرة ولما رحلت التتار اتفقوا مع البرواناه على منابذة ملكهم ابغا بحلف البرواناه
للامير حسام الدين بيجار وولده بهاء الدين وشرف الدين مسعود بن الخطير واخاه ضياء
الدين والامير ميكائيل على ان يكونوا مع الملك الظاهر ثم كتب الى الظاهر بذلك الى ان يرسل
اليهم جيشا ويحملوا الى الظاهر ما يحمل الى التتر ويكون غياث الدين على ما هو عليه من السلطنة
غزوة النوبة ودنقله توجه من مصر جيش عليهم عز الدين ايبك الافرم وشمس الدين
اقسنقر الفارقاني الى النوبة بثلثمائة فارس فخرج اليهم ملكها داود على النجب بايديهم الحراب ولبس عليهم
لامة فرموهم بالنشاب فانهزموا وقتل منهم خلق واسر خلق وبيع الراس من السبي بثلاثة
دراهم وهرب داود في هربه بملك من ملوك النوبة فقبض عليه وارسله الى الملك الظاهر
ووضعت الجزية على اهل دنقله ولله الحمد واول ما غزيت النوبة في سنة احدى
وثلاثين غزاها عبد الله بن سعد بن ابي سرح في خمسة الاف فارس واصيب في هذه
الغزوة عين حديج بن معاوية وعين ابرهه بن الصباح ثم هادنهم عبد الله ورد ثم غزيت
في هشام ولم يفتح ثم غزيت في زمن المنصور ثم غزاها تكين التركي ثم غزاها كافور صاحب مصر
ثم غزاها ناصر الدولة بن حمدان فسبوه ورد مهزوما وغزاها توران شاه اخو السلطان
صلاح الدين في سنة ثمان وستين وخمسمائة ووصل الى ابريم فلم يفتح الى الان كما قال ابن
عبد الظاهر   هذا هو الفتح الذي سمعت به في شاهد الغيب لا على الايام السابقة وفي
ذي الحجة عقد للملك السعيد على ابنة الامير الكبير سيف الدين قلاوون الالفي على صداق
خمسة الاف دينار وكتب الكتاب محيي الدين بن عبد الظاهر وقراه فخلع عليه واعطى
مائة دينار واوله الحمد لله موفق الامال لا سعد حركة ومصدق المقال لمن جعل
عنده اعظم بركة ومحقق الامال لمن اصبح بسببه سلطانه وصهره ملكه الى ان قال وبعد
ولو كان اتصال كل شي بحسب المتصل به لما استصلح البدر شيا من المنازل لنزوله ولا
الغيث شيا من الرياض لهطوله ولا للذكر الحكيم لسانا من الالسنة لترتيله ولا الجوهر
الثمين شيا من التيجان لحلوله ومنه يخطب الى اسعد البرية وامنع من حمتها السيوف

المشرفة واعرض سبيل عليها سنور الصون الخفية ونصب دونها جدورا الجلالة المرضية
وتحمل بنعوتها العقود كيف لا وهي لدرة الا لغيه ٥ وفي ذي الحجة سار السلطان الى
الكرك وجعل فيه الطواشي شمس الدين صواب السهيلي ثم قدم دمشق ٥ وفيها كانت
زلزلة عظيمة بملطية اخربت كثيرا من دورها وهلك جماعة تحت الردم وانصلح ما حسن
ما اخربتها وخسفت منها مواضع وامام دين ومبا فارقين فتشعب فيها وفيها
افتتح حصن القصير وهو بين حارم وانطاكية وكان فيه قسيس عظيم يقصد من البلاد
فاصره العسكر الحلبي مع بلبان الرومي الدوبدار فنزل القسيس وسلمه بالامان في
جمادى الاولى وهذا الحصن لم يفتحه صلاح الدين فيما فتح وكان اهله اهل شر واذية
وفيها سير السلطان رسلان الى الفنش صاحب اشبيلية لكونه كان بعث رسولا
بهدية وسير السلطان الاميرين سيف الدين الجلدكي وعز الدين الكبكي والعدل
ابن التبع ومعهم هدية فركبوا في البحر وتوصلوا الى بلنسية ثم الى الفنش فاحتفل لاتلقا
وبالغ في اكرامهم ثم سفرهم فقدموا مصر في صفر من سنة خمس وسبعين سنة خمس وسبعين
وستمائة في اولها دخل السلطان دمشق من الكرك فبعث بدر الدين الاتابكي في الف
الى الروم فوصلوا الى البلستين فصادفوا جماعة من عسكر الروم فبعثوا الى بدر الدين
بالاقامات وخدموه وسالوه ان يعلم السلطان الدين بالبلستين ونصيبين وامضوا الى السلطان
فاحضرهم معه ووافوا السلطان على حارم فاكرم موردهم ثم بعث الامير حسام الدين بجار
الى مصر فخرج الملك السعيد لتلقيه ثم قدم على السلطان ضياء الدين بن الخطير ورجع
السلطان الى مصر بعد ذلك وحضر الى الروم طايفة كبيرة من المغول وقتلوا شرف الدين
ابن الخطير وبعثوا براسه الى قونية وقتل معه جماعة من الامراء والتركمان وذلك لان
ابن الخطير شرع يفرق العساكر واذن لهم في نهب من يجد ومنعهم التتار وقتلهم والجاب
الامير محمد بن قرمان واخوته واصحابه التركمان الى سواحل الروم واغاروا على التتار وكاتب
الملك الظاهر فطلب الملك غياث الدين صاحب الروم وابن البرواناه الامير شرف الدين
ابن الخطير فقدم عليهم فجمعوا من حوالهم من المغول فخرج تاج الدين كيوي الى ابن الخطير
وعنفه ابن الخطير وامر به فقتل وقتل معه سنان الدين والى قونية ثم ندم وخاف من ابن
البرواناه فاتى الى باب الملك غياث الدين في يوم الجمعة ثالث عشر صفر في اهبة وطايفة

وتخبط

البلد ولم يصلوا الجمعة ثم نودي في البلد شعار الملك الظاهر وراسلوا الملك
الظاهر يستوثقون منه باليمين لانفسهم ولغياث الدين فاستاذنهم ابن البرواناه
في ان يدخل قيصرية ويحمل خواصه ويخرج اليهم ودخل وحمل حرمه واموالهم وخرج
ليلا وسار الى دوقات فلما تحقق شرف الدين بن الخطير مسيره الى دوقات بعث
اخاه ضياء الدين وسيف الدين طرمطاي وولده سنان الدين في جماعة يحو الحسين
الى الملك الظاهر يحثه على المجي فوافوه على حمص وحرضوه فقال انتم استعملتم في
المنابذة وانا وعدت معين الدين البرواناه قبل توجهه الى الاردوا ان اطا البلاد
في اخر هذه السنة وانا الان فعساكري بمصر واما ذهاب مهذب الدين بن البرواناه
الى دوقات فنعم ما فعل فقام اكرمهم فقال ضياء الدين يا خوندمنى لم تقصد البلاد
الان لم نامن على اخي ان يقتل هو والامراء الذين حلفوا لمولانا السلطان وان كان قد
بعثت عسكرا يكونون ردا لهم له فقال المصلحة ان ترجعوا الى بلادكم وتحصنوها
وتحفظوا القلاع الى ان امضي الى مصر وبربع الخيل ونعود ثم جهز الامير سيف الدين
بلبان الرومي الى الروم ليحضر من حلف بها من الامرا والملك غياث الدين فلما كان بالطريق
جا الخبر بعود البرواناه الى الروم في خدمة منكوتمر واخوته في بلا يحصل لقا فورد
واما شرف الدين بن الخطير فعزم على حرب منكوتمر فسفه الامرا رايه وقالوا كيف
نلتقيه ونحن في اربعة الاف فعلم انه مقتول فقصد قلعة لولوه ليحتمي بها فما مكنه
واليها من دخولها الا وحده ومعه مملوك فلما دخل قبض عليه وبعث به الى البرواناه
فلما دخل عليه شتمه وبصق في وجهه وشتم عليه ولما قدم البرواناه جلس هو والنواب
ساوون وكريه وتقو مجلسا عاما واحضروا الملك غياث الدين وامراه فقالوا انما حملك
على ما فعلت من خلع ابغا وميلك الى صاحب مصر فقال انا صبي وما علمت المصلحة ورات
الامرا قد فعلوا شيا فخفت ان خالفتهم ان يمسكوني فقام البرواناه الى الطواشي
شجاع الدين فاساله الا لا السلطان فدفعه بيده ثم ان الامرا اعتذروا بان ابن الخطير
هو الذى فعل هذا كله وخفنا ان يفعل بنا كما فعل بتاج الدين كيوي فسالوا شرف الدين
ابن الخطير فقال للبرواناه انت حرضتني على ذلك وانت كاتبت صاحب مصر وفعلت وفعلت
فانكر البرواناه ذلك وكتب المقدمون بصورة ما جرى الى ابغا ثم امروا بضرب ابن الخطير

بالسباط ويغزو من كان معه فاقر على نور الدين بن جيجا وسيف الدين تغلاو وعلم الدين
سنجر الجهاد وغيرهم فلما تحقق البرواناه انه مقتول قرر ابن الخطير اوحى اليه يقول اذا قتلوني
لم يتركوك بعدي فاعمل على خلاصي وخلاصك بحيث انك تصر على الانكار واعتقد ربان
اعترافك كان خوفا من الضرب ثم جا الجواب بقتل ابن الخطير فقتل في جمادى الاولى وبعث
براسه الى قونيه وباحدى يديه الى انكوريه وبالاخرى الى اردنكان وقتلوا معه سيف
الدين قلاوز والجهاد وجماعة كبيرة واسودوسا على طرمطاى فعدى نفسه باربع ماية
الف درهم وثمانين فرس وعلى ان تحقنهم بالف من المغل في الشتا ٥ وفيها قتل من جبا النصراني
القسيس لا رحمه الله قطع عضوا وكان واصلة عند ابغا متمكنا منه وله عليه دالية وكان
يغريه باذية المسلمين وله معتمد لدين محمود والى اردنكان بامر البرواناه وقتل
نيفا وثلاثين نفسا معه من اهله واتباعه فالحمد لله ٥ وفيها توافق ابو نمي صاحب مكة
وجماز صاحب المدينة فالتقوا على مر الظهران وسببها ان ادريس بن حسن بن قتادة
صاحب الينبع وهو ابن عم ابي نمي اتفق هو وجماز على ابي نمي وساروا لقصده فخرج وكسرهما
واسر ادريس وهرب جماز ٥ وفي شوال قدم السلطان دمشق ودخل حلب في اول ذي
القعده وسار ابن محلي بعسكر حلب فنزل على الفرات وسار السلطان بالجيوش فقطع
الدربند الرومي ووقع سنقر الاشقر بثلاثة الاف من التتار فالتقاهم فكسرهم واسر منهم
وصعد العسكر الجبال واشرفوا على صحرا البلستين فشاهدوا التتار قد رتبوا عسكرهم
احد عشر طلبا الطلب الف وعزلوا عنهم عسكر الروم خوفا من مخامرتهم فلما التقى الجمعان
حملت ميسرة التتار فصدمت سناجق السلطان ودخلت طايفة منهم وحملوا على الميمنه
فلما راى ذلك السلطان ردفهم بنفسه وخاصكيته ثم راى ميسرته قد اضطربت فردفها
بطايفة ثم حمل بالجيش حملة واحد واحد على التتار فترجلوا وقاتلوا اشد قتال وقتل
منهم مقتلة عظيمه وانهزم الباقون في الجبال والوعور فاحاطت بهم العساكر المنصورة
فقاتلوا حتى قتل اكثرهم وقتل من المسلمين جماعة منهم الامرا ضيا الدين بن الخطير وشرف
الدين قيران العلاني وعز الدين ايبك الحموي وسيف الدين قلنجق الشنكر وعز الدين
ايبك الشقيفي ونجا البرواناه وسار في ممصره وذلك في ذي القعده واجتمع بصاحب
الروم غياث الدين واعيان الدولة واخبرهم بكسرة التتار فاجتمع راهم على الانتقال الى

دوقات

دوقات خوفا من مرور التتار بهم واذيتهم واما السلطان فبعث سنقر الاشقر الى
قيصريه بامان اهلها واخراج السوقيه ثم رحل السلطان عن منزله الى قيصريه فمر بقلاع
ونزل والاتيها ابي حدهنه وحيل لواء في الطاعية وقدم قيصريه وطلع الاعيان والامرا
والكاد والفضلا على طبقاتهم وتلقوه وفرح به المسلمون وكان يوما مشهودا وركب
يوم الجمعه للصلاه فدخل المدينه قيصريه ونزل بدار السلطنه وجلس على سرير المملكه
وجلس بين يديه القضاه والعلما على قاعده مملكه الروم ومدوا اسماطا عظيما وخطبوا
له وضربت السكه باسمه ثم بلغ السلطان ان البرواناه الى ابغا يحرضه على ادراك السلطان
الملك الظاهر بالروم وبلغه ايضا الغلا الذي بالبلاد فرحل عنه الى الشام وممن اسر
المسلمون في وقعة البلستين من الكبار مهذب الدين ابن البرواناه وابن اخته والامير
نور الدين جبريل والامير قطب الدين محمود والامير سراج الدين اسمعيل بن جاجا والامير
سيف الدين سنقرشاه الزوباشي ونصرة الدين بهمن وكمال الدين اسمعيل عارض
الجيش وحسام الدين كاول والامير سيف الدين الجاويش وشهاب الدين غازي
التركماني ومن امرا التتار زيرك صهرا بغا وسرطق وحركي وتمادو وسركده واما
صاحب الروم فحول الى دوقات وهي حصينه على اربعة ايام من قيصريه ورجع الملك
الظاهر على المعركه فسال عن عدة القتلى كم بلغت فقيل ان عدة قتلى المغل ستة الاف
وسبعماية وسبعون نفسا وتعب الجيش وقاسوا مشقة عظيمه وكان على يزك الجيش
عز الدين ايبك الشيخي وكان قد ضربه السلطان بسبب تقدمه فتسحب الى التتار وجا
الى السلطان رسول البرواناه يستوقفه عن الحركة فكان جوابه انا قد عرفنا طرق
الروم وبلاده وما كان جلوسنا على تخت الملك رغبة فيه الا لنعلمك انه لا عايق لنا عن
شي نريده بحول الله وقوته ثم قطع السلطان الدربند وعلى النهر الازرق وقدم الشام
في اخر العام ولما بلغ شمس الدين بن قرمان وقعة البلستين جمع وحشد وقصد
اقصرا ونازلها ثم قصد قونيه ومعه ثلاثة الاف فارس فنازلها ودفع الساحق الطاقة
واحرق بابها ودخلها يوم عرفه فنهب دور الامرا والنواب ثم ظفر بنايبها فعذبه وقتله
وعلق راسه واقام بقونيه سبعة وثلاثين يوما واما الملك ابغا فانه اسرع الى الروم
موافي البلستين على اثر رجوع الملك الظاهر فشاهد القتلى وبكى وانكر على البرواناه

كونه لم يعرفه نحليته الامير فقال لم اعرف فلم يقبل قوله وحنق عليه وبعث اكثر جيشه
الى جهة الشام وكان معه امير الشحي فقال له ادني مكان زعيمتكم وميسرتكم فاراه
فقال ما هذا عسكر يكفيه هذه الثلاثون الفا التي معي ثم بعث لجمع العساكر وكان قد
هلك لهم خيل كثير ثم عطف لعنه الله الى قيصريه فخرج اليه القضاة والعلما وقال لكم
الملك الظاهر عندكم فاقام سبعة وعشرون يوما وعزم على قتل اهل قيصريه فلاطفوه وقالوا
هو لا رعيته لا طاقة لهم بدفع جيش فلم يقبل هذا العذر وقتل جماعة من الاعيان نصارا
ثم امر عسكره بالقتل والنهب في البلد وكان وطي الدين في ناديجيه فقال انه قتل من
الرعيه ما يزيد على مايتي الف وقيل خمسمايه الف من قيصريه الى اردن الروم وممن قتل القاضي
جلال الدين بن حبيب **التلعفري** محمد بن يوسف بن مسعود بن بركة الاديب البارع
شهاب الدين ابو عبد الله الشيباني التلعفري الشاعر المشهور ولد بالموصل سنة ثلاث
وتسعين وخمسمايه واشتغل بالادب وقال الشعر ومدح الملوك والاعيان واشتهر
ذكره وسار شعره وله ديوان موجود وكان خليعا معاشرا سامحه الله وابا نا
قال سعد الدين في تاريخه كان قد امتحن بالقمار وكلما اعطاه الملك الاشرف يقامر
فطرده الى حلب فمدح بها صاحبها العزيز فاحسن اليه وقرر له مرسوما فسلك معه مسلك
الملك الاشرف فنودي في حلب ان من قامر مع الشهاب قطعنا يده فامتنع الناس من
اللعب معه قال فضاقت عليه الارض وترك الخدمه وطاف الى دمشق ولم يزل السعدي
بها يقامر حتى بقي في اتون من الفقر **قلت** ثم قدم في الاخر صاحب حماه وبها توفي
في شوال ومن شعره الفايق   يا برق حلّ بابرق الحنان عن كثب عري حب الحبا الممدود
واعدجان الطل وهو منظم عقد الحبا البانة الممطود   واذا الثنية اشرقت من ارجاتها
اربا لسرعبير   سل هضبها المنصوب ابن حديثها المرفوع عن ذيل الصبا المجرور
سه على عشا فيها كلما رات خديث صفات الحسن عن وجها يروى فتاه الحاني مذهب الحب حاكم
معلل الورى اعطى لو احظها فتوى من لحظها سكر الشباب فنسي بغداد اماست يكاد دمان يلوى
ولو لم يكن في ثغرها انت كرهه لما اصبحت اعطاف قامتها نشوى ٥
يا اهل ودي يوم كاظمة اما عن مثلكم صبري الجميل قبيح   سرتم واسرتم بقلبي مهجة او دي بها الهجران
قلبي يحفظكم لقلبي شاهد لا ارتضيه لانه مجروح   من لي بطيفكم ان غمضه عيني بعين على الاسى ويح

250

هذى الجفون وانما ابن الكرى منها وهذا الجسم ابن الروح **سنة ست وسبعين**
وستمايه دخل السلطان دمشق في سابع المحرم فدخل القلعة ثم نزل الى القصر وورد
الاخبار بوصول ابغا الى البلستين فضرب السلطان مشورة ووقع الاتفاق على الخروج
من دمشق بالعساكر المنصوره وملتقى ابغا حيث كان وامر بالدهليز فضرب على
القصير ثم بلغه رجوع ابغا فامر برد الدهليز وجلس في رابع عشر المحرم بالقصر فرحا
مسرورا الشرب القمز فتوعك عقيب ذلك اليوم وبقيا فغشي عليه الغشي ثم ركب لكي ينشط
فقوي به الالم ومرض واشتكى في اليوم الثالث حرارة في باطنه ثم اجمعت الاطبا على
على استفراغه فسقوه دوا فلم ينجع فحركوه بدوا اخر كان سببا لافراط اسهاله وضعف
دس والحمى تتضاعف فتخيل خواصه ان كبده منقطع وانه سم فسقوه جواهر في اليوم الثاني
وكانت المرضه ثلاثة عشر يوما ومات رحمه الله وعفا عنه كما هو مؤرخ في ترجمته في
المحرم وفي سادس عشر ربيع الاول ركب السلطان الملك السعيد بابهة الملك وخلع
على الامرا وله نحو ثمان عشر سنه وفي الخامس والعشرين من ربيع الاول قبض الملك
السعيد على سنقر الاشقر والبيسري وسجنهما وكان قبل ذلك بايام قدمت نايب
السلطنه بيليك الخزندار فولى مكانه شمس الدين اقسنقر الفارقاني وفيه قدمت رسل
بركه في البحر وطلعوا من الاسكندريه وفي ربيع الاخر قبض السلطان على نايبه
الفارقاني في جماعة من الامرا وحبسوا وولي نيابة السلطنه الامير شمس الدين سنقر
الالفي وفيه افرج السلطان عن سنقر الاشقر والبيسري وخلع عليهما ورضي عنهما
وفي جمادى الاخره قبض السلطان على طاله بدر الدين بركه خان لامر نقمه عليه ثم
اطلقه بعد عشرة ايام ونقبت الاراغ تبلغه وكل واحد يشير على السلطان بما يوافق هواه
والسلطان شاب غر بالامور وعملت التربه الظاهريه بدمشق قبالة العادليه الا انه شرع
في انشائها ونقل تابوت المرحوم الملك الظاهر من قلعة دمشق الى تربته في رجب ليلا
ومعه نايب السلطنه عز الدين ايدمر ومن الخواص دون العشره وفي ذي القعده
عزل القاضي محيي الدين عبد الله بن قاضي القضاه شرف الدين بن عين الدوله عن
قضا مصر واعمالها ثم اضيف ذلك الى قاضي القضاه تقي الدين بن رزين ولم يفرد بعد
ذلك قضا مصر عن قضا القاهرة وفي ذي الحجه ولي قضا الشام ابن خلكان وصرف ابن

ابن الصايغ رحمهم الله **الملك الظاهر** بيبرس السلطان الملك الظاهر ركن الدين
ابو الفتوح البندقداري الصالحي النجمي الايوبي التركي صاحب مصر والشام ولد في
حدود العشرين وستمائة قبلها بقليل او بعدها واصله من صحرا القفجاق فابيع بدمشق
ونشا بها فقال كان مملوكا للعماد الصايغ الذي كان يسكن عند المنكلانيه وساكشف
عن هذا ثم اشتراه الامير علا الدين البندقدار الصالحي فطلع بطلا شجاعا نجيبا لا ينبغي
ان يكون الا عند ملك فاخذه الملك الصالح اليه وصار من حملة البحريه وشهد وقعة
المنصوره بدمياط وصار اميرا في الدوله المعزيه وتعلقت به الامور وجرت له احوال
ذكرناها في الحوادث واشتهر بالشجاعة والاقدام وبعد صيته ولما سار في الجيوش
المنصورة من مصر لحرب التتار كان هو طليعة الاسلام وجلس على سرير الملك بعد قتل
الملك المظفر وذلك في سابع عشر ذي القعدة من سنة ثمان وخمسين بقلعة الجبل
وكان استاذه البندقدار من بعض امرائه وكان غازيا مجاهدا مرابطا خليقا للملك لولا
ما كان فيه من الظلم والله يرحمه ويغفر له ويسامحه فان له اياما بيضا في الاسلام
ومواقف مشهوده وفتوحات معدوده وله سيرتان كبيرتان لابن عبد الظاهر ولابن
شداد رحمهما الله لم اقف عليهما بعد وقد دخل الروم قبل موته بشهرين وكسر التتار
ودخل مدينة قيصريه وجلس بها في دست الملك وصلى بها الجمعة وخطبوا وضربت
السكة باسمه وذلك في ذي القعدة ثم رجع وقطع الدربند وعلى النهر ودخل دمشق
في سابع المحرم مويدا منصورا فنزل بالقلعة ثم انتقل الى قصر الابلق فمرض به نصف
المحرم وانتقل الى عفو الله وسعة رحمته يوم الخميس بعد الظهر الثاني والعشرين
من المحرم بالقصر وحمل الى القلعة ليلا مع الاكابر امرايه وغسله وصبره المهتار شجاع الدين
عنبر والكمال علي بن المنجي الاسكندراني المؤذن والامير عز الدين الافرم ووضع
في تابوت وعلق في بيت بالقلعة وهو في عشر الستين وخلف عشرة اولاد الملك السعيد
محمد وسلامش وخضر وسبع بنات قال ذلك الشيخ قطب الدين وقال كان له
عشرة الاف مملوك وحكى الشيخ شرف الدين عبد العزيز الانصاري الحموي قال كان الامير
علا الدين البندقدار الصالحي لما قبض واحضر الى حماه واعتقل بجامع قلعتها اعتقل معه
ركن الدين بيبرس مع تاجر وكان الملك المنصور اذ ذاك صبيا فاذا اراد شرا قبض بنصف

الصاحبه

الصاحبه والابنه فاحضر بيبرس هذا فراهما من ورا الستر فامرت بشرا احدهما فقالت
هذا الاسمر لا يكون بينك وبينه معامله فان في عينيه شرا لابد فردتهما جميعا فطلب
البندقدار الغلامين فاشتراهما وهو معتقل ثم افرج عنه وسار بهما الى مصر وآل
امر ركن الدين الى ما آل وقد سار غير مره في البريد حال سلطنته وعمل في حصارات
المداين التي اخذها من الفرنج من بذل نفسه وفرط اقدامه على المخاوف ما يقضى منه
العجب وفيه يضرب المثل واليه المنتهى في سياسة الملك وتفقد احوال الجند فهو
كما قيل لولا نقص عدله كان اخر ربا نتيج وجد بدا عد للامور اقرانها اقامه الله
وقت ظهور هولاوو وابغا فيها باه وانجمعا عن البلاد **النواوي** يحيى بن شرف
ابن مري بن حسن بن حسين مفتي الامة شيخ الاسلام محيي الدين ابو زكريا النواوي
الحافظ الفقيه الشافعي الزاهد احد الاعلام ولد في العشر الاوسط من المحرم سنة
احدى وثلاثين سوى وجدهم حسين هو حسين بن محمد بن جمعه بن حزام الحزامي
بحا مهملة وزاي نزل الجولان بنوى على عادة العرب فاقام بها ورزقه
الله ذريه الى ان صار منهم عدد كثير قال الشيخ محيي الدين كان بعض اجدادي
يزعم انها نسبة الى حزام والد حكيم بن حزام رضي الله عنه وهو غلط والنووي بحذف
الالف ويجوز اثباتها حكى والدي لشيخنا ابن الحسن بن العطار ان الشيخ كان
نايما الى جنبه وهو ابن سبع سنين ليله السابع والعشرين من رمضان قال فانتبه
نحو نصف الليل وايقظني ما هذا الضوء الذي قد ملا الدار فاستيقظ اهله كلهم
فلم نر كلنا شيا فعرفت انها ليلة القدر وقال ابن العطار ذكر لي الشيخ ياسين بن
يوسف المراكشي رحمه الله قال رايت الشيخ محيي الدين وهو ابن عشر سنين والصبيان
يكرهونه على اللعب معهم وهو يهرب ويبكي ويقرا القران في تلك الحال فوقع في قلبي محبته
وجعله ابوه في دكان بالقريه فجعل لا يشتغل بالبيع والشرا عن القران فاتيت الذي
يقريه وقلت هذا يرجى ان يكون اعلم اهل زمانه وازهدهم فقال لي امنجم انت قلت لا
وانما انطقني الله بذلك فذكر ذلك لوالده فحرص عليه الى ان ختم وقد ناهز الاحتلام قال
ابن العطار وقال لي الشيخ فلما كان لي تسع عشرة سنه قدم بي والدي الى دمشق في سنه
تسع عشرة سنه قدم بي والدي الى دمشق في سنه تسع واربعين فسكنت المدرسه الرواحيه

وبقيت نحو سنتين لم اضع جنبي الى الارض وكان قوتي فيها جراية المدرسة لا غير
وحفظت التنبيه في نحو اربعة اشهر ونصف قال وبقيت اكثر من شهرين او اقل لما
قرات يجب الغسل من ايلاج الحشفة في الفرج اعتقد ان ذلك قرقرة البطن وكنت
استحم بالماء البارد كلما قرقر بطني قال وقرات حفظا ربع المهذب في باقي السنة
وجعلت اشرح واصحح على شيخنا كمال الدين اسحق بن احمد المغربي ولازمته فاعجب
واحبني وجعلني اعيد لاكثر جماعته فلما كانت سنة احدى وخمسين حججت مع والدي
وكانت وقفة جمعة وكان رحيلنا من اول رجب فاقمنا بالمدينة نحوا من شهر ونصف
وذكر والده قال لما توجهنا من نوى اخذته الحمى فلم تفارقه الى يوم عرفة ولم يتاوه
قط ثم قدم ولازم شيخه كمال الدين اسحق قال لي ابو المفاخر محمد بن عبد القادر الانصاري
لو ادرك القشيري شيخك وشيخه لما قدم عليهما في ذكره لمشايخها يعني الرسالة
احدا لما جمع فيهما من العلم والعمل والزهد والورع والنطق بالحكمة قال وذكر لي
الشيخ انه كان يقرا كل يوم اثنا عشر درسا على المشايخ شرحا وتصحيحا درسين في
الوسيط ودرسا في المهذب ودرسا في الجمع بين الصحيحين ودرسا في صحيح مسلم
ودرسا في اللمع لابن جني ودرسا في اصلاح المنطق لابن السكيت ودرسا
في التصريف ودرسا في اصول الفقه تارة في اللمع لابي اسحق وتارة في المنتخب
لفخر الدين ودرسا في اسما الرجال ودرسا في اصول الدين وكنت اعلق جميع ما
يتعلق بها من شرح مشكل ووضوح عبارة وضبط لغة وبارك الله لي في وقتي
وخطر لي الاشتغال بعلم الطب فاشتريت كتاب القانون فيه وعزمت على الاشتغال
فيه فاظلم علي قلبي وبقيت اياما لا اقدر على الاشتغال بشي ففكرت في امري ومن اين
دخل علي الداخل فالهمني الله ان سببه اشتغالي بالطب فبعت القانون في الحال
واستنار قلبي وقال كنت مريضا بالرواحية فبينا انا في ليلة في الصفة الشرقية منها
والدي واخوتي نايمون الى جنبي اذ نشطني الله وعافاني من المي فاشتاقت نفسي الى
الذكر فجعلت اسبح فبينا انا كذلك بين السر والجهر اذا شيخ حسن الصورة جميل
المنظر يتوضا على البركة في جوف الليل فلما فرغ اتاني وقال يا ولدي لا تذكر الله
تشوش على والدك واخوتك واهل المدرسة فقلت من انت قال انا ناصح لك ودعني

اكون

252

اكون من كنت فوقع في نفسي انه ابليس فقلت اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ورفعت
صوتي بالتسبيح فاعرض ومشى الى ناحية باب المدرسة فانتبه والدي والجماعة على
صوتي فقمت الى باب المدرسة فوجدته مقفلا وفتشتها فلم اجد فيها احدا غير اهلها
فقال لي ابي يا يحيى ما خبرك فاخبرته الخبر فجعلوا يتعجبون وقعدنا كلنا نسبح ونذكر
قلت ثم سمع الحديث فسمع صحيح مسلم من الرضي بن البرهان وسمع صحيح البخاري ومسند
الامام احمد وسنن ابي داود والنسائي وابن ماجه وجامع الترمذي ومسند الشافعي
وسنن الدارقطني وشرح السنة واشيا عديدة وسمع من ابن عبد الدايم والزين خالد
وشيخ الشيوخ شرف الدين عبد العزيز والقاضي عماد الدين عبد الكريم بن الحرستاني
وابي محمد عبد الرحمن بن سالم الانباري وابي محمد اسمعيل بن ابي اليسر وابي زكريا
يحيى بن الصيرفي وابي الفضل محمد بن محمد البكري والشيخ شمس الدين ابي الفرج عبد
الرحمن بن ابي عمر وطايفة سواهم واخذ علم الحديث عن جماعة من الحفاظ فقرا كتاب
الكمال لعبد الغني الحافظ على ابي البقا خالد النابلسي وشرح مسلما ومعظم البخاري
على ابي اسحق بن عيسى المرادي واخذ اصول الفقه عن القاضي ابي الفتح التفليسي قرا
عليه المنتخب وقطعة من المستصفى للغزالي وتفقه على الامام كمال الدين اسحق المغربي
ثم المقدسي والامام شمس الدين عبد الرحمن بن نوح المقدسي ثم الدمشقي وعز الدين عمر
ابن اسعد الاربلي وكان النواوي يتادب معه هذا الاربلي ربما قام وملا الابريق ومشى به
قدامه الى الطهارة والامام كمال الدين سلار بن الحسن الاربلي ثم الحلبي صاحب الامام
ابي بكر الماهاني وقد تفقه الثلاثة الاولون على ابن الصلاح رحمه الله وقرا النحو على
فخر الدين المالكي احمد بن سالم المصري وقرا على ابن مالك كتابا من تصانيفه وعلق عنه اشيا
اخذ عنه القاضي صدر الدين سليمان الجعفري خطيب داريا والشيخ شهاب الدين
احمد بن جعوان والشيخ علا الدين علي بن العطار والمزي وابن ابي الفتح وجماعة كثيرة
اخبرنا علي بن الموفق الفقيه انا يحيى بن شرف الفقيه انا خالد بن يوسف بن سعد الحافظ
ح واخبرتنا ست العرب بنت يحيى قالا انا زيد بن الحسن انا المبارك بن الحسين انا علي بن
احمد انا محمد بن عبد الرحمن نا عبد الله نا شيبان نا حماد بن سلمة عن ثابت عن انس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من طلب الشهادة صادقا من قلبه اعطيها ولو لم تصبه رواه

مسلم عن شيخنا ... وقرأت بخط نجم الدين بن الخباز أنا الإمام محيي الدين النووي
أنا عبد الرحمن بن أبي عمر بن قدامة الفقيه أنا أبو عبد الله بن الزبيدي أنا أبو الوقت فذكر
أول حديث في الصحيح قال شيخنا ابن العطار ذكر لي شيخنا رحمه الله أنه كان لا يضيع له
وقتا في ليل ولا نهار إلا في وظيفة من الاشتغال بالعلم حتى في ذهابه في الطريق يكرر
أو يطالع وأنه بقي على هذا نحو ست سنين ثم اشتغل بالتصنيف والاشتغال والنصح
للمسلمين وولاتهم مع ما هو عليه من المجاهدة لنفسه والعمل بدقائق الفقه والحرص
على الخروج من خلاف العلماء والمراقبة لأعمال القلوب وتصفيتها من الشوائب يحاسب نفسه
على الخطرة بعد الخطرة وكان محققا في علمه وفنونه مدققا في عمله وشؤونه حافظا
لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عارفا بأنواعه من صحيحه وسقيمه وغريب ألفاظه
واستنباط فقهه حافظا للمذهب وقواعده وأصوله وأقوال الصحابة والتابعين
وأقوال العلماء ووفاقهم سالكا في ذلك طريقة السلف قد صرف أوقاته كلها في أنواع
العلم والعمل بالعلم قال وذكر لي صاحبنا أبو عبد الله محمد بن أبي الفتح الحنبلي قال كنت ليلة
في أواخر الليل بجامع دمشق والشيخ واقف يصلي إلى سارية في ظلمة وهو يردد
قوله تعالى وقفوهم إنهم مسئولون مرارا بحزن وخشوع حتى حصل عندي من ذلك
الله به عليم قال وكان إذا ذكر الصالحين ذكرهم بتعظيم وتوقير وذكر مناقبهم
وكراماتهم قال وذكر لي شيخنا ... الدين علي المقيم ... سبب لهما قال مرضت بالنقرس
فعادني الشيخ محيي الدين فلما جلس شرع يتكلم في الصبر فبقي كلما تكلم جعل الألم
يذهب قليلا قليلا فلم يزل يتكلم حتى زال جميع الألم وكنت لا أنام في الليل فعرفت
أن زوال الألم من بركته قال الشيخ رشيد الدين بن المعلم عذلت الشيخ في عدم دخول
الحمام وتضييق عيشه في أكله ولبسه وأحواله وقلت أخشى عليك مرضا يعطلك
عن أشياء أفضل مما تقصده فقال إن فلانا صام وعبد الله حتى اخضر وعرفت أنه ليس
له غرض في المقام في دارنا هذه ولا يلتفت إلى ما نحن فيه قال ورأيت رجلا قشر
خيارة ليطعمه إياها فامتنع وقال أخشى أن ترطب جسمي وتجلب النوم قال وكان
لا يأكل في اليوم والليلة إلا أكلة بعد عشاء الآخرة ولا يشرب إلا شربة واحدة عند
السحر ولا يشرب الماء المبرد ولا يأكل فاكهة فسألته فقال دمشق كثيرة الأوقاف

واملاك

وأملاك المحجور عليهم والتصرف لهم لا يجوز إلا على وجه الغبطة والمعاملة فيها على
وجه المساقاة وفيها خلاف والناس لا يفعلونها إلا على جزء من ألف جزء للمالك فكيف
تطيب نفسي بأكل ذلك وقال شيخنا مجد الدين أبو عبد الله ابن الظهير ما وصل
الشيخ تقي الدين بن الصلاح إلى ما وصل إليه الشيخ محيي الدين من العلم في الفقه والحديث
واللغة وعذوبة اللفظ

فصل

وقد نفع الله الأمة بتصانيفه وانتشرت في الأقطار
وجلبت إلى الأمصار فمنها المنهاج في شرح مسلم وكتاب الأذكار وكتاب رياض
الصالحين وكتاب الأربعين حديثا وكتاب الإرشاد في علوم الحديث وكتاب التقريب
في مختصر الإرشاد المذكور وكتاب المبهمات وكتاب التحرير في ألفاظ التنبيه والعمدة
في تصحيح التنبيه والإيضاح في المناسك والإيجاز في المناسك وله أربع مناسك
أخر وكتاب التبيان في آداب حملة القرآن وفتاوى له والروضة في أربع مجلدات
والمنهاج في المذهب والمجموع في شرح المهذب بلغ فيه إلى باب المصراة في أربع مجلدات
كبار وشرح قطعة من البخاري وقطعة جيدة من الوسيط وقطعة في الأحكام وقطعة
كبيرة في تهذيب الأسماء واللغات وقطعة مسودة في طبقات الفقهاء وقطعة
في التحقيق في الفقه إلى باب صلاة المسافر قال ابن العطار وله مسودات كثيرة
فلقد أمرني مرة ببيع كراريس نحو ألف كراس بخطه وأمرني بأن أقف على غسلها في الوراقة
فلم أخالف أمره وفي قلبي منها حسرات وقد وقف الشيخ رشيد الدين الفارقي على المنهاج
فقال: اعتنى بالفضل يحيى فاغتنى عن بسيط بوجيز نافع ونخل ألفاظه فضله فحل بلطف
ناصبا أعلام علم جازما بمقال رافع للرافعي فكان ابن صلاح حاضر وكان نفاعا عن الشافعي
وكان لا يقبل من أحد شيئا إلا في النادر ممن لا له به علقة من أقرأ أهدى له فقير مرة
إبريقا فقبله وعزم عليه الشيخ برهان الدين الإسكندراني أن يفطر عنده في رمضان
فقال أحضر الطعام إلى هنا ونفطر جملة قال أبو الحسن فأفطرنا بلا ثناء على لونين
من طعام أو أكثر وكان الشيخ يجمع أدامين بعض الأوقات وكان أمارا بالمعروف
نهاء عن المنكر لا تأخذه في الله لومة لائم يواجه الملوك والجبابرة بالإنكار وإذا
عجز عن المواجهة كتب الرسائل وكاتبه وأرسلني في السعي فيه وهو يتضمن العدل للرعية
وإزالة المكوس وكتب معه في ذلك شيوخنا الشيخ شمس الدين والزواوي والشريشي

في الشيخ ابو ابراهيم بن الاردوبي والخطيب بن المرستاني ووضعها في ورقة الى الحربدار فيها من عبد الله يحيى النواوي سلام الله ورحمته وبركاته على المولى المحسن ملك الامرا ادام الله له الخيرات وتولاه بالحسنات وبلغه من الدنيا والاخرة كل اماله وبارك له في جميع احواله امين وينهي الى العلوم الشريفة ان اهل الشام في ضيق وضعف حال بسبب قلة الامطار وغلا الاسعار وذكر فصلا طويلا فلما وقف على ذلك اوصل الورقة التي فيها طبها الى السلطان فرد جوابها ردا عنيفا مولما فسكنت خواطر الجماعة وله غير رسالة الى الملك الظاهر في الامر بالمعروف قال ابن العطار وقال لي المحدث ابو العباس بن فرح وكان له ميعادان في الجمعة على الشيخ يشرح عليه في الصحيحين قال كان الشيخ محيي الدين قد صار اليه ثلاث مراتب كل مرتبة منها لو كانت لشخص شدت اليه الرحال المرتبة الاولى العلم والثانية الزهد والثالثة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر سافر الشيخ الى نوى وزار القدس والخليل وعاد الى نوى ومرض عند ابيه قال ابن العطار فذهبت لعيادته ففرح ثم قال لي ارجع الى اهلك وودعته وقد اشرف على العافية وذلك يوم السبت ثم توفي ليلة الاربعا قال فبينا انا نايم تلك الليلة اذا منادي ينادي على سدة جامع دمشق في يوم جمعة الصلاة على الشيخ ركن الدين الموقع فصاح الناس لذلك فاستيقظت فقلت انا لله وانا اليه راجعون فلما كان اخر يوم الخميس جانا وفاته فنودي يوم الجمعة بعد الصلاة بموته وصلي عليه صلاة الغايب قال الشيخ قطب الدين في الليلة الاربعا رابع وعشرين رجب توفي الشيخ محيي الدين النواوي صاحب التصانيف بنوى ودفن بها وكان اوحد زمانه في الورع والعبادة والتقلل وخشونة العيش والامر بالمعروف واقف الملك الظاهر غير مرة وحكي عن الملك الظاهر انه قال انا افزع منه وكانت مقاصده جميلة وولي مشيخة دار الحديث قلت وليها بعد موت ابي شامة سنة خمس وستين والى ان مات وقال شمس الدين بن الفخر كان اماما بارعا حافظا مفتيا اتقن علوما شتى وصنف التصانيف الجمة وكان شديد الورع والزهد ترك جميع ملاذ الدنيا من الماكول الا ما ياتيه به ابوه من كعك يابس وتين حوراني والملبس الا الثياب الرثة المرقعة ولم يدخل الحمام وترك الفواكه جميعها وكان امارا بالمعروف ناهيا

دار الحديث

عن

عن المنكر على الامرا والملوك والناس عامة فتسلط اللسان يرضى عنه وان يرضى عنا به وذكر مناقبه وفضله بطول وترك جميع الجهات الدنيوية ولم يكن يتناول من جهة من الجهات درهما فردا وحكى لنا الشيخ ابو الحسن ابن العطار ان الشيخ قلع ثوبه فغلاه بعض الطلبة وكان فيه قمل فنهاه وقال دعه قلت وكان في ملبسه مثل احاد الفقها من الحوارنة لا يوبه عليه شيخنا فيه صفرة ولحيته سودا فيها شعرات بيض وعليه هيبة وسكينة وكان لا يتعانى لغط الفقها وعياطهم في البحث بل يتكلم بتؤدة وسمت ووقار وقد رآه غير واحد يبلغون عشرين نفسا باكثر من ستماية بيت منهم مجد الدين بن الظهير وقاضي القضاة نجم الدين بن صصرى ومحمد الدين بن المهتار وعلا الدين الكندي الكاتب والعفيف التلمساني الشاعر واراد اقاربه ان يبنوا على قبره قبة فراته عمته او قرابة له في النوم فقال لها قولي لهم لا يفعلوا هذا الذي قد عزموا عليه فانهم كلما بنوا شيا يهدم عليهم فانتبهت منزعجة وحدثتهم وحوطوا على قبره حجارة تمنع الدواب قال ابو الحسن وقال لي جماعة بنوى انهم سالوه يوما ان لا ينساهم في عرصات القيامة فقال لهم ان كان لي ثم جاه لا دخلت الجنة واحد ممن اعرفه وراي قلت ولا يحتمل كتابنا اكثر مما ذكرنا من ترجمة هذا السيد رحمة الله عليه وكان مذهبه في الصفات السمعية السكوت وامرارها كما جاءت وربما تاول قليلا في شرح مسلم سنة سبع وسبعين وستماية قدم قاضي القضاة ابن خلكان دمشق في اول العام وتلقاه نايب السلطان والدولة والاعيان وفرح الاكابر بمقدمه ومدحه غير واحد من الشعرا وتكلم نور الدين بن مصعب وانشا هذه الابيات رايت اهل الشام طرا ما فيهم قاطع راضي بالحكم بعد بشر فالوقت قاض وعوضوا فرحة بحزن قد انصف الدهر في التقاضي وسرهم بعد طول غم قدوم قاض وعزل قاضي فكلهم شاكر وسال لحاله مستقبل وماض وفي صفر درس بالمدرسة الظاهرية بدمشق ولم يكن تكملت عمارتها وكانت قبل ذلك دارا وتعرف بدار العقيقي فاستنيب فيها درس للشافعية الشيخ رشيد الدين الفارقي ودرس للحنفية الشيخ صدر الدين سليمان وفي جمادى الاولى ولي قضا الحنفية بدمشق الشيخ صدر الدين سليمان بعد وفاة ابن العديم فتوفي بعد ثلاثة اشهر وولي بعده القاضي حسام الدين

الرومي قاضي ملطية وفي ذي القعدة درس بالمدرسة النجيبية وهي صغيرة إلى جانب المدرسة
النورية فدرس بها قاضي القضاة ابن خلكان مدة ثم نزل عنها لولده وفتحت أيضاً الخانقاه
النجيبية وكان سبب تأخر المكانين عن تاريخ وفاة النجيبي شمول الحوطة التركة والوقف
وفي خامس ذي الحجة كان عود السلطان الملك السعيد إلى قلعة دمشق وكان يوماً
مشهوداً وعملت القباب وفرح الناس ودعوا كثيراً ونثروا نثاراً زائد الجودة ليلته
وفي يوم عرفة باشر الوزارة بمصر القاضي برهان الدين الخضر بن الحسن السنجاري بحكم
وفاة الوزير بهاء الدين بن حنا بمقتضى مرسوم السلطاني وفي هذا الشهر ولي وزارة
الشام الصاحب فتح الدين بن القيسراني وبسط يده وأمر القضاة بالركوب معه أول
مباشرته وبعث السلطان شطر الجيش للإغارة على بلاد سيس وعليهم الأمير الكبير
سيف الدين قلاوون وبقي السلطان يتردد إلى المرج والزنبقية للفرجة وجلس بدار
العدل وأسقط ما قرره أبوه على الأملاك فسر الناس ودعوا له على هذه الحسنة العظيمة
ولعل الله قد رحمه بها وفيه عزل عن الشد تكتوت الافرعي وارسل إلى حلب على خبز الأمير
علم الدين الدواداري ثم أحضر الدواداري وأعطي شد الشام فباشره في أواخر ذي الحجة
سنة ثمان وسبعين وستمائة في المحرم ولي قضاء المالكية بدمشق الذي كان ينوب
عن الشيخ زين الدين الزواوي وهو جمال الدين أبو يعقوب الزواوي وفيه ولي ولاية دمشق
عز الدين بن أبي الهيجاء وعزل الأمير ناصر الدين الحراني وفي ربيع الأول وقع الخلف بين
الخاصكية بدمشق وعجز السلطان عن ملافاة ذلك وخرج عن طاعته نائبه الأمير سيف
الدين كوندك وتقدم بالدين لتنقوعليه نحو القطيفة ومعه نحو أربعمائة من الظاهرية
وفيهم قرمان وشمعان فنزل بالقطيفة شطر الجيش الذي في سيس فقدموا وانضاف
بهم كوندك وأصحابه ونزل الكل بعذراء وراسلوا السلطان في معنى الخلف الذي حصل
وكان كوندك مائلاً إلى البيسري ولما اجتمع به وبالأمير سيف الدين قلاوون وغيرهما
من الكبار أوحى إليهم ما أوغر صدورهم وخوفهم من خواص الملك السعيد وأن نيتهم نحسة
وأن السلطان موافق لما يختارونه وكثر القول ونفرت الخواطر فاقترح الأمراء على السعيد
إبعاد الخاصكية عنه وتفريقهم فلم يجب إلى ذلك عجزاً عنهم وخوفاً من العاقبة وحار في
أمره وصار وحيداً فرحل الجيش من عذراء وساروا على المرج إلى الكسوة وترددت

الرسل

الرسل بينهم ثم ساروا إلى مرج الصفر فقدمهم نائب دمشق عز الدين أيدمر ومعه أكثر
عسكر دمشق ودخلوا البلد فبعث السلطان أمه بنت بركة خان في محفة وفي خدمتها
سنقر الأشقر فإنه كان مقيماً بدمشق عند السلطان فتلقاها الأمراء وقبلوا الأرض
أمام المحفة فكلمتهم في الصلح وحلفت لهم على بطلان ما نقل إليهم وأن السلطان يعرف حقهم
فاشترطوا شروطاً كثيرة التزمت لهم بها وعادت إلى ولدها وعرفته الصورة فمنعه من حوله
من الخاصكية من الدخول تحت تلك الشروط وقالوا قصدهم إبعادنا ليتمكنوا منك ويعزلوك
ولم يتفق أمر وترحل العسكر طالبين الديار المصرية فساق السلطان جريدة في طلبهم فبلغ
رأس الماء فوجدهم قد ابعدوا فعاد من آخر النهار ودخل القلعة ليلاً وأصبح يوم ربيع
الآخر فسار بمن بقي معه من الجيش المصري والشامي في طلبهم وسبقوا اللقاء وجاء إلى
الكرك ووصل إلى بلبيس في خمسة عشر يوماً وقد دخل أولئك القاهرة ورجع نائب دمشق
وأكثر الأمراء إلى الشام وساق هو إلى قلعة مصر فوجد العساكر محدقة بالقلعة وكان
بها نائبه الأمير عز الدين الأفرم فحصل بينهم مقاتلة يسيرة وحماه الأمير علم الدين سنجر
الحلبي وشق الأطلاب وفتح له الأفرم وطلع إلى القلعة وصار جماعة يسيرة وبقي جماعة
ممن كان مع السلطان برا فاختاروا أن ينضموا إلى سائر العسكر وأما سنقر الأشقر
فإنه انعزل بالمطرية بطلبه وحاصروا القلعة وقطعوا عنها الماء الذي يطلع في المدارات
وزحفوا عليها وجدوا في ذلك فرأى السلطان تخلي من رجوا نصحه عنه وتخاذل من بقي معه
وأنه قد عاجز وكان مقدم الجيش الذي قام على الملك السعيد حموه الأمير سيف الدين
قلاوون فوقع تحرير المراسلات على أنه يخلع نفسه ويسلطنون أخاه سلامش وأن
يعطوا للسعيد الكرك ويعطوا أخاه الشوبك يعني نجم الدين خضر وبعث علم الدين الحلبي
وتاج الدين بن الأثير الكاتب إليهم وحلفوا له على ذلك ونزلوا من القلعة وكان الحصار
يومين فعقد والمجلس للخلعة من الملك وأحضروا القضاة والعلماء والأمراء وعملوا
محضر الخلعة وكتبوا به نسخاً ودنوا في السلطنة أخاه بدر الدين سلامش وهو ابن سبع
سنين وجعلوا أتابكه الأمير سيف الدين قلاوون وحلفت الأمراء والأتابك وضربت
السكة باسمه على وجه وباسم أتابكه على وجه ودعي لهما معاً في الخطبة وتوجه السعيد إلى
الكرك وقد زال ملكه وعليه صورة ترسيم أعيد إلى القلعة من الغد لأمر أرادوه ثم سيروه

ليلا رجا سنقر الاشقر واجتمع بالاتابك سيف الدين وصار معه وجاءت الاخبار الى دمشق
قبل وصول نائبها اليها فقدم دمشق في اول جمادى الاولى فخرج لتلقاه الامير جمال
الدين اقوش فقبض هو وجماعة من الامراء على نائب السلطنة عز الدين ايدمر عند المصلى
وفصلوه عن الموكب ودخلوا به من باب الجابية ورسموا عليه بدار عند مادنة فيروز الى
العشي وحبسوه بالقلعة وكان بها الامير علم الدين الدويداري اعني بدمشق والقلعة
قد استنابه السلطان الملك السعيد عليها مدة غيبة نائبها عز الدين وفيه عزل قضاة
مصر الثلاثة معا تقي الدين بن رزين الشافعي ونفيس الدين بن شكر المالكي ومعز الدين
النعمان الحنفي وفي ثالث جمادى الاخرة قدم سنقر الاشقر بالساعة على دمشق وقرر الدواداري
مشدا كما كان سلطنة السلطان الملك المنصور في الحادي والعشرين من رجب سالوا
سلامش عن السلطنة من غير نزاع وبايعوا المولى السلطان سيف الدين قلاوون الصالحي
التركي المعروف بالالفي ولقب بالملك المنصور وحلف له الامراء البيسري والحلبي
ولم يختلف عليه اثنان وفي رجب قبض على الصاحب فتح الدين بن القيسراني ثم وصل
امير يحلف امراء الشام فحلفوا وقيل ان سنقر الاشقر لما حلف الامراء لم يحلف هو وكان
ولم يرضه ما جرى واتت البشائر بدمشق يوم السابع والعشرين من رجب وزين البلد
وفي شعبان عزل برهان الدين السنجاري عن وزارة مصر بالصاحب فخر الدين ابرهيم بن
لقمان صاحب ديوان الانشا وفيه نزل الامير عز الدين ايدمر الظاهري من قلعة دمشق
في محفة متمرضا فحبس بقلعتها وفي شوال خرج الركب الشامي واميرهم عماد الدين يوسف
ابن السعا وحج الشيخ شمس الدين شيخ الجبل وطائفة من الحنابلة وحج ابي وخالي وجدتي
ابي امهم راوا الملك السعيد بسبب نظاهر الكرك في اواخر شوال قلت ثم مات في
منتصف ذي القعدة او في عاشره وعمل عزاوه بمصر وحضر السلطان وهو لابس
البياض وفي الرابع والعشرين من ذي الحجة ركب نائب السلطنة شمس الدين سنقر
الاشقر الصالحي بعد العصر من دار السعادة وبين يديه جماعة من الامراء والجند ودخل
البلد فاتى باب القلعة مهجما راكبا ودخل وجلس على تخت الملك وحلفوا له وتلقب بالملك
الكامل ودقت البشائر بعد ساعة ونودي في البلد بسلطنته وكان محببا الى الناس
وحلف له القضاة والاكابر وقبض على الوزير تقي الدين البيع وكان له في الوزارة شهرا

ونصفا

٢٥٤

ونصفا واستوزر مجد الدين بن كسيرات ولم يحلف له الامير ركن الدين الجالق فقبض عليه
وحبسه وقبض على نائب القلعة حسام الدين لاجين المنصوري الذي تسلطن وولي
في المدينة علم الدين سنجر السلطان واما الكرك فرتب في السلطنة بها الملك خضر بعد اخيه
وسار طائفة الى الشوبك فتسلموها بالامان بعد محاصرة ايام وكان الذين بها قد
عصوا على الملك المنصور لما خرج منها الملك خضر بن الملك الظاهر الى عند اخيه الملك
السعيد ثم اخربت اسوار الشوبك واذهبت حصانة قلعتها سنة تسع وسبعين
وستمايه في مستهلها ركب السلطان سنقر الاشقر من القلعة باهبة الملك ودخل
الميدان وبين يديه الامرا بالخلع وسير جطه وعاد الى القلعة وجهز عسكرا فنزلوا عند
غزة وكان عسكر المصريين بغزة فاظهروا الهرب ثم كروا على الشاميين فكبسوهم ونالوا
منهم وهزموهم الى الرملة وفي خامس المحرم وصل امير العرب عيسى بن مهنا ودخل
في طاعة الملك الكامل سنقر الاشقر فبالغ في اكرامه واجلسه على السماط الى جانبه
ثم قدم امير الحرب احمد بن حجي على الكامل فاكرمه وفيه ولي قاضي القضاة بن خلكان
تدريس الامينية وعزل نجم الدين بن سني الدولة وفي اواخر المحرم جهز السلطان الملك
المنصور من مصر جيشا عليهم الامير علم الدين سنجر الحلبي لحرب الملك الكامل فتقهقر
بركه الى اطراف دمشق وفي ثاني عشر صفر خرج الملك الكامل سنقر الاشقر فنزل على
الجسورة واستخدم واتفق وجمع خلقا من البلاد وحضر معه ابن مهنا وابن حجي بعرب
الشام وجاءته نجدة حماه رجلا ونفذ معه حبش كثيف لكن لم يكونوا كلهم في الباطن
معه بل كان كثير منهم عليه وبعضهم مارعين واقبل الحلبي بالمصريين فالتقوا بكرة عند
الجسورة والتحم الحرب واستمر المصاف الى الرابعة وقاتل سنقر الاشقر بنفسه وحمل
عليهم وبين لكن خامر عليه اكثر عسكره فانهزم بعضهم وتحيز بعضهم الى المصريين وانهزم
صاحب حماه من اول ما وقعت العين في العين وبقي في قل من الناس فولى وسلك
الكسوة الى القطيفة ولم يتبعه احد وجمع المنهزمون على القصب من اعمال حمص ثم عاد
اكثر الامراء ولم يقاتلوا واما المصريون فاحاطوا بدمشق ونزلوا في خيم المنهزمين
وراسلوا نائب سنقر الاشقر الذي بالقلعة ففتح لهم باب الفرج وفتحت القلعة بالامان
ثم جهز الامير علم الدين بلاده الافتة في طلب سنقر الاشقر وركب قاضي القضاة بن خلكان

للسلام على الحلبي فحبسه بها بعلو الخانكاه النجيبيه وعزله وولي القضا القاضي نجم
الدين بن سني الدوله وكان يحترمه لانه لما تسلطن بدمشق في اخر سنة ثمان وخمسين
كان نجم الدين هو قاضي دمشق حسد وحمل الحلبي في الليله وحضر اليه الامير احمد بن حجي
ودخل في الطاعه واما ابن مهنا فانه توجه في صحبه سنقر الاشقر ولازم خدمته ونزل هو
ومن معه من العسكر في بريه الرحبه واقام بها واخرج الحلبي من حبس القلعه ركن الدين
الجالق وحسام الدين لاجين وتقي الدين لصاحب وحبس ابن كسيرات وابن صصرى
وبقي ابن خلكان في الاعتقال نيفا وعشرين يوما وضرب زين الدين وكيل بيت المال لانهم
شرعوا اليه لما بايعه سنقر الاشقر وطلب ابن الصايغ ما كرهه فشفع في القاضي بن خلكان
وفي زين الدين الوكيل وعرض عليه الحلبي القضا فعين نجم الدين بن سني الدوله وعلم انها
ولايه متقلقله لكونها من غير السلطان ثم ورد البريد في الثاني والعشرين بانه قد عفونا
عن جميع الناس من الخاص والعام ولم نواخذ احدا وان يقر كل احد على منصبه وباشر
نيابة السلطنه الامير بدر الدين بكتوت العلاي ايا ما الى اوايل ربيع الاول ثم جا
تقليد بالنيابه للملك الاعز حسام الدين لاجين المنصوري الذي حبسه سنقر الاشقر
فباشر يوم الاربعا الحادي عشر من ربيع الاول وقرئ تقليده بدار السعاده وكان
شابا عاقلا دينا من سلحداريه السلطان الملك المنصور ايام امرته ودخل معه دار
السعاده الامير علم الدين الحلبي ورتبه في النيابه ومشى في خدمته الامرا وصرف
الحلبي بن خلكان الى منزله بالمدرسه العادليه وبقي ابن سني الدوله يتردد الى المدرسه
ويحكم بها وامر الحلبي ان يتحول من العادليه ويسلمها الى ابن سني الدوله فشق ذلك
عليه وتكرر اليه القول بسرعة التحول فبينا هو في ذلك وهو احضر جمالا لنقل حوايجه
الى جبل الصالحيه واذا بكتاب سلطاني بالاكرام والاقرار له على منصبه واعادته الى
القضا فباشر الحكم يوم تاريخ الظهر ولبس الخلعه واعيد ايضا ولايه المدينه بن الحراني وفي
اوايل ربيع الاخر توجه من دمشق الامير عز الدين [illegible] في عدة الجيش المصري الذين
توجهوا لمضايقه سنقر الاشقر فاجتمعوا بحمص ثم سار والي طلب سنقر الاشقر ففارق
ابن مهنا وتوجه الى الحصون التي بيد نوابه بطلع اليها وهي صهيون وكان سير اليها
اهله وخزاينه وبلاطنس وبرزيه وعكار وحلبه واللاذقيه وشيزر والشغر وبكاس

وكان

وكان قد انهزم يوم الوقعه الامير الحاج ازدمر الى جبل الجرديين واقام عندهم واحتمى
بهم ثم مضى الى خدمه سنقر الاشقر في طايفه من الحلبيين فانزله بشيزر ليحفظها وفي
جمادى الاخره ولي نظر الدواوين الصاحب محيي الدين بن النحاس عوضا عن [illegible] وصل الجفال
من البلاد الحلبيه من التتار وتقهقر عسكرها وتشتت شملهم ما بلغهم من اختلاف الكلمه
وتوجه نيف من الف الى عسكر المصريين ونازلوا شيزر وضايقوها بلا محاصره وترددت
الرسل اليه منهم ومن سنقر الاشقر في تسليمها فمنعناهم بعد ذلك وصلت الاخبار في
جمادى الاخره بان التتار قد دهموا البلاد فخرج من بدمشق من العساكر وعليهم الركن
اباجوا وانضم اليه العساكر التي على شيزر ثم نزل الكل على حماه وقدم من مصر عكاش النجمي
في الف فلحق بهم وارسلوا الى سنقر الاشقر يقولون هذا العدو قد دهمنا وما
سببه الا الخلف الذي بيننا وما ينبغي ان يهلك الرعيه في الوسط والمصلحه اننا نجتمع
على دفعه فنزل عسكر سنقر الاشقر من صهيون والحاج ازدمر من شيزر وخيمت كل
طايفه تحت حصنها واتفقوا على الملتقى وقتال التتار وجات طايفه عظيمه من التتار
فقتلوا من بقي بحلب وسبوا ونهبوا واحرقوا منبر الجامع والمدارس ودور الامرا
وعملوا كل قبيح كعادتهم الجمله واقاموا بحلب يومين واستاقوا المواشي والغلال
وقيل ان بعض من كان استتر بحلب نزل من الجباه ووقف على راس منارة حلب وكبر
باعلا صوته على التتار وقال الله اكبر جا النصر من عند الله ولوح بثوبه وبقي يقول العسكر هم
من البيوت مثل النسا يا عساكر الاسلام فخرج التتار على وجوههم يظنون ان المسلمين
جاووا وكانوا قد بلغهم اجتماع العسكر على حماه وسلم ذلك الرجل نقل ذلك الشيخ قطب
الدين وفي هذه الايام تسحب جماعه من الامرا الذين عند سنقر الاشقر الى السلطان
وكان السلطان قد سار بمقدمة الجيش فنزل غزه وفي هذه المده خطب على المنابر بولايه
العهد للملك الصالح علي ابن السلطان الملك المنصور وفيها اعيد الشهرزوري الى الوزاره
وورد ابن لقمان الى ديوان الانشا ورجع السلطان من غزه لما بلغه رجوع التتار وامن البلاد
وفي رمضان اعيد تقي الدين بن رزين الى قضا الديار المصريه وعزل صدر الدين بن بنت
الاعز واعيد قبل ذلك الى القضا القاضيان نفيس الدين شكر ومعز الدين النعمان
ورتب قاضي حنبلي وهو الشيخ عز الدين عمر بن عبد الله بن عوض المقدسي صهر الشيخ شمس الدين

[illegible]

ابن العماد وفي ذي القعدة كانت طايفة من الشاميين من عسكر المرقب قد اخلهم طمع وركبوا
من الليل واصبحوا المرقب للعمارة فخرج الفرنج وقد حاطوا بهم لخبرة في البحر وحملوا على المسلمين
فهزموهم ومن قوتهم في اودية وعقبة فنالوا منهم بلاء عظيما وقتلوا واسروا وكان امر الله
كان وفي اول ذي الحجة خرج السلطان الى الشام وخلف ولده الملك الصالح ويوم
عرفة وقع بديار مصر برد كبار فاهلك بعض الزرع وبدع في الوجه القبلي ووقع
تحت الجبل الاحمر صاعقة على حجر فاحرقت وسبكت وجا منها نحو الاوقية ووقعت
يوميذ صاعقة بالاسكندرية وفي سابع عشر ذي الحجة نزل السلطان على الروحا فاتاه
عكا فارسله اهلها في الهدنة واقام هناك اياما وقدم عليه عيسى بن مهنا طايعا فبالغ
السلطان في اكرامه واحترامه وصفح عنه قيامه مع سنقر الاشقر **سنة ثمانين وستمايه**
في اوايل المحرم هادن السلطان اهل عكا ونزل اللجون وقبض على الامير سيف الدين
كوندك الظاهري وعدة امرا لانهم اسبان قبل ان كوندك وايتمش السعدي وسيف الدين
الهاروني وطايفة اتفقوا على الفتك بالسلطان وعرف ذلك لبيسري فاعلمه فقبض على
كوندك وغيره وهرب الباقون الهاروني والسعدي وتحولها نية فارس على حمية الى عند
سنقر الاشقر واهلك كوندك فقيل انه غرق ببحيرة طبريه وساق طعصوا في عسكره ردا
ايتمش السعدي فخرج وردد ويوم سابع عشر المحرم وصل المجدي مقدم البحرية الى دمشق
ومعه جماعة امرا ممسوكين فحبسهم بقلعة دمشق ودخل السلطان دمشق يوم تاسع
عشر المحرم وحمل الحمر السري يوميذ وعزل ابن خلكان عن القضا بابن الصايغ وولي
قضا الحنابلة نجم الدين احمد ابن الشيخ شمس الدين وذلك بعد خلو الشام من قاض حنبلي
مدة ثم جهزت المجانيق وطايفة لحصار شيزر فنازلوها وسلموها وذلك ان الرسل
ترددت في الصلح بين السلطان وبين سنقر الاشقر ووصل من جهته الامير علم الدين الدوادار
والامير حرمداد سنقر الاشقر فحلف له السلطان ونودي في دمشق باجتماع الكلمة
ودقت البشاير لذلك وسير اليه فخر الدين المقري الامير لتحليفه وحسبه تسلم سنقر
الاشقر قلعة شيزر للسلطان يعوضه عنها كفرطاب وفامية وانطاكية والسويدية
وشغر وبكاس ودركوش تضيا عيها على ان يقيم ستماية فارس على جميع ما تحت يده من
البلاد وذلك ما ذكرناه وصهيون وبلاطنس وجبلة وبرزيه واللاذقية وخوطب

في ذلك بالمقر العلي المولوي السيدي العالمي العادلي الشمسي ولم يصح له في ذلك
بالملك ولا بالامير وفي ربيع الاول ادبرت الجهة الملعونة والخمور بدمشق وكانت
بطالة من خمس عشرة سنة وادبرت بالديار المصرية ايضا قبل هذا التاريخ بمدة ولا قوة
الا بالله وبقيت دايرة بدمشق اياما ولطف الله وبطلت واريقت الخمور وطهر
البلد من ذلك ولله الحمد ووقع الصلح بين ملك صاحب الكرك الملك الخضر وبين السلطان
ثم جات امراه الملك الظاهر بنت بركة خان ومعها تابوت ولدها الملك السعيد فاسقوا
التابوت بالليل من السور ودفن الى جانب والده وادخله القبر قاضي القضاة عز الدين
ابن الصايغ وترك امره بداد صاحب حمص وعقد العزا من الغد بالمدرسة الظاهرية وحضر
السلطان والامرا والاعيان والوعاظ وعزل تقي الدين البيع من الوزارة وباشرها
تاج الدين ابن السنهوري وفي جمادى الاولى جات الاخبار بان التتار على عزم المجي
وقعة حمص الى البلاد الشاميه فجفل اهل البلاد الشاميه وتواترت الاخبار واهتم السلطان بدمشق
للعرض وجا احمد بن حجي بخلق من العربان وكثرت الاراجيف وكثر الجفل وعدى
التتار الفرات من ناحية حلب ونازل الرحبة منهم ثلاثة الاف فخرج السلطان بسابق الجيوش
ووقف الايمة في الصلوات وحضر سنقر الاشقر وايتمش السعدي والحاج ازدمر
وبالغ السلطان في احترام سنقر الاشقر واقبل منكوتمر يطوي البلاد فالتقى الجمعان
ووقع المصاف ما بين مشهد خالد بن الوليد الى قرب الرستن وذلك شمالي حمص
في يوم الخميس رابع عشر رجب ويوم الاربعا قلق العالم بدمشق واحتسوا بعد
اللقا وفزعوا كافة الى جامع دمشق بالشيوخ والاطفال واستغاثوا الى الله ثم خرج
الخطيب بالمصحف العثماني الى المصلى ومعه خلايق يتضرعون الى الله وكان يوما مشهودا
وكان الملتقى يوم الخميس كما ذكرنا طلوع الشمس وكان عدد التتار على ما قيل مايه
الف او يزيدون وكان المسلمون على النصف من ذلك او اقل وكانت ملحمة عظيمة
واستظهر التتار في اول الامر واضطربت ميمنة المسلمين ثم حمل التتار على الميسرة
فكسروها وهزموها مع طرف القلب وثبت السلطان بمن معه من ابطال الاسلام وكان
القتال يعمل من ضحوة الى المغيب وساق طلب من التتار ورا الميسرة الى بحيرة حمص
وقتلوا خلقا من المطوعة والغلمان واشرف الاسلام على خطة صعبة ثم ان الكار مثل

السري وسنقر الاشقر وعلاء الدين طيبرس وايتمش السعدي وبكتاش امير سلاح وطرنطيه
والاحمدي وسنجر الدواداري لما راوا ثبات السلطان حملوا على التتار عدة حملات ثم كان
كان الفتح ونزل النصر وجرح مقدم التتار بن هولاكو وجاء عيسى بن مهنا عرضا فتمت
هزيمتهم واشتغلوا بادميهم من جرح مقدمهم وركب المسلمون اقفيتهم وقتلوا منهم مقتلة
هايلة وساقوا ورايهم حتى بقي السلطان في نفر قليل من الخاصكيه ونايبه طرنطاي قدامه
بالصناجق وردت ميمنة التتار التي كسرت ميمنة المسلمين فمروا بالسلطان وهو تحت
العصايب والكوسات تضرب وحوله من المقاتلة اقل من الف فلما جاوزوهم ساق وراهم
فانهزموا لا يلوون على شي وتم النصر بعد العصر وانهزموا على حرفهم مثل الغروب وافترقوا
فاحدث فرقة على سلمية والبريه واخرى على ناحية حلب وعاد السلطان الى المخيم ليلته بليل
وجهز من الغد وراءهم الامرا في طايفة كبيرة وجات يوم الجمعة بطاقة بالنصر فضربت
البشاير وزينت دمشق فلما كان نصف الليل وصل الى ظاهر دمشق المنهزمون من الجيش
امرا واجناد ولم يعلموا بما تجدد من النصر فقلق الخلق وماج البلد وشرع خلق في الهروب
ثم وصل وقت الفجر بريدي بالبشارة بعد ان قاسى الخلق ليلة شديدة وبز دعوا واولادهم
واستسلموا للموت فان اولئك التتار كانوا يبذلون السيف من غير تردد وراسهم كالفر
واكثر على الكعبة لله الحمد على السلامة وكان للنسوان والصبيان في تلك الليلة في الاسطحه
ضجيج عظيم وبكا والتجا الى الله تعالى مما لا يعبر عنه وكان ركن الدين الجالق من جملة المنهزمين
ولم يعنفه السلطان لانه راى منه ما لا قبل له به فلما صليت الصبح قرى الكتاب السلطاني بكسرة
السلطان وانهم كانوا مائة الف او يزيدون ثم جا كتاب اخر قبل الظهر في المعنى وزينت
دمشق واستشهد ما بين فارس منهم الحاج ازدمر وسيف الدين الرومي وشهاب الدين
توبل الشهرزوري وناصر الدين بن جمال الدين الكاملي وعز الدين بن النصر المشهور بالقوه
القرطه والعامة ودخل السلطان دمشق يوم الجمعة المقبلة وبين يديه موكب اسرى التتار
يحملون رماحا عليها شعف القتلى وقدم في خدمته ممن كان انضم الى سنقر الاشقر ايتمش
السعدي وسيف الدين بلبان الهاروني وعلم الدين الدواداري وودعه سنقر الاشقر
من حمص وعاد الى صهيون وتوجه ولك الدين بازلوا الرحبه ثم قدم بعد جمعة بدر الدين
الابيدمري وقد انكى في التتار وتبعهم الى قرب الفرات وهلك منهم خلق عند تعديتهم

الفرات

الفرات ونزل اليهم اهل البيرة فقتلوا فيهم واسروا وغرقوا ونهبوا وتوصلوا الى بلادهم
في اسوا حال فلله الحمد على كل حال ورحل السلطان الى القاهرة يوم الاحد ثاني شعبان
فوصل في عشرين يوما الى القاهرة وتولى في شد دمشق علم الدين الدواداري ومات بين
العيد بن ملك التتار ابغا وفي شعبان قبض على الامير ركن الدين اياجي الحاجب
وشهاب الدين يعقوبا وفي رمضان فتحت المدرسة الجوهرية ودرس بها القاضي حسام
الدين الحنفي بحضرة واقفها الصدر نجم الدين وجا في رمضان ثلج مفرط وطال بقاوه
واشتد البرد وجلد ببعلبك الفقاع وذلك غير منكر بها وفي جمادى الاخرة من هذه
السنة رسم الملك المنصور بعرض الدواوين من اهل الذمة على السيف او يسلمون فابوا
فاخرجوهم بدمشق الى سوق الخيل وجعلت الحبال في اعناقهم للشنق فاسلموا اجمعين
واحضروا الى الحاكم فاسلموا على يديه فلما كان في شوال فكروا في انفسهم واستفتوا الفقها
ثم عقد لهم مجلس ورسم للقاضي المالكي ان يسمع كلامهم ويحكم بما يوافق مذهبه فاثبتوا ذلك
وعاد اكثرهم الى دينهم وغرموا مبلغا من المال على ذلك وفي ثاني عشر ادار في شهر ذي
القعدة خرج الناس ونايب السلطنة الى الصحرا بدمشق يستسقون وفيه بعث السلطان
الملك المنصور بنات الملك الظاهر وسلامش وخضر اما بهم الى قلعة الكرك وفي هذه
السنة ترسخ بركة هايلة بنا بولاق وبعد البحر عن القاهرة وغلا سعر الما ويوم عرفه
اوح عز البرهان السنجاري الوزير ولزم بيته بعد مشاق شديده محمد بن الحسين بن رزين
ابن موسى بن عيسى بن موسى بن نصر الله قاضي القضاة مفتي الاسلام تقي الدين ابو عبد الله
العامري الحموي الشافعي ولد سنة ثلاث وستماية بحماه وحفظ التنبيه في صغره ثم
اشتغل الى الوسيط فحفظه كله وحفظ المفصل كله ورحل الى حلب فقراه على موفق
الدين يعيش ورجع الى حماه وتصدر للاقرا والفتوى وله ثمان عشرة سنة وحفظ
المستصفى للغزالي وكافية عمرو بن الحاجب في الاصول والنحو ونظر في التفسير وبرع
فيه وشارك في الخلاف والمنطق والبيان والحديث وقدم دمشق سنة نيف وثلاثين
وهو من فضلا وقته فلازم الشيخ تقي الدين بن الصلاح وشرح عليه وعلق عنه وقرا القرات
على ابي الحسن السخاوي وسمع منهما ومن لازمه وافتى بدمشق هذه الايام وولي امامة
دار الحديث الاشرفية ثم ولي وكالة بيت المال في الدولة الناصرية وتدريس الشامية

ابن رزين

الحنابلة ثم انتقل الى القاهرة وقت اخذ حلب وولي عدة جهات فاعاد بمدرسة الشافعي
وظهرت فضايله بالقاهرة واشتغل عليه في ايام الشيخ عز الدين بن عبد السلام ثم درس
بالظاهرية ثم ولي القضا وتدريس الشافعي وامتنع من اخذ الجامكية على القضا دينا وورعا
وكان يتقصد بالفتاوي من النواحي وتخرج به ايمة منهم قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة
وغيره وحدث عن الدمياطي وابن جماعة والمصريون وكان جيد الشرع حسن الديانة
كثير العبادة كبير القدر جميل الذكر رحمه الله توفي في ثالث رجب وولي القضا بعده وجيه
الدين البهنسي **الطبقة التاسعة والستون سنة** احدى وثمانين وستماية
سلطان مصر والشام الملك المنصور وصاحب العراق وخراسان وغير ذلك احمد هولاوو
وفي صفر قبض المنصور بمصر على بدر الدين بيسري والسعدي الشمسي فبقيا في السجن
تسعة اعوام وفيه ولي تدريس الامينية القاضي شمس الدين بن خلكان وفي رجب
في القضا شمس الدين الابهري وفي رجب درس بالامينية الشيخ علا الدين بن الزملكاني
بعد موت ابن خلكان ودرس شمس الدين بن الحريري بالفرخشاهية بعد موت الجمال المحي
مدرسها مات قطب الدين وفي اوايلها تسلطن الملك احمد وله نحو ثلاثين سنة واظهر اقامة
شعاير الاسلام وضرب الجزية على الذمة ويقال انه اسلم صغيرا وابوه حي وفيها ولي
الوزارة بمصر نجم الدين بن الاصفوني والاصفون من قرى قوص وولي قضا القاهرة
شهاب الدين بن الخوي وفيها قدم رسول الملك احمد وهو قطب الدين احد اتابك الروم
وشمس الدين بن السني الامدي وقطب الدين الشيرازي العلامة وزاروا القدس والخليل
في طريقهم وكان يبشرهم في الليل وفي ليلة الاثنين حادي عشر رمضان احترقت
اللبادين والخيميين والجواهريين والزجاجين وبعض سوق الاساكفة والرحاسين
وما فوق ذلك وما تحته من الاسواق والقياسرة والفوارة وكان حريقا عظيما هوله
ذهب فيه من الاموال ما لا يحصى ولم يحترق فيه احد واصله ان دكانا في اللبادين
كان لصاحب دكان الي وعملوا مجمرة نار على العادة ووضعت في البوت وخرج الخارج
بزعمه ودفع الكسا الذي يكون على الباب فرمى المجمرة واغلق الدكان وذهب للافطار فعملت
النار والناس في افطارهم واشتد الدخان وخرجت من الدكان قبل عشا الاخرة فعلقت
بالسقوف العتق والبوادي واشتد عملها وعجزوا عنها وجا الوالي ونزل ملك الامرا حسام

الدين

260

الدين لاجين فاعجزتهم وقضي الامر واستمرت الى نصف الليل ولولا لطف الله تعالى
لاحترق الجامع واجتهدوا في اطفايها بكل ممكن ثم اهتم بذلك محي الدين بن النحاس ناظر
الجامع اهتماما لا مزيد عليه وشرع في عمارته فبني ذلك وتكامل في سنتين وبعض ذلك
وقف المارستان الصغير قال شمس الدين بن الغزنوي ان فخر الدين الكرجي احترق له كتب بعشرة
الاف درهم وان الشمس الكتبي يعني الفاشوشة ذهب له كتب ومال في الحريق بما يقارب
مائة الف قال وكان مغل الاملاك المحترقة يعني الاوقاف في السنة مائة الف واربعين
الف درهم **قلت** وفرقت هذه الاسواق وعملوا سوق النجارين على باب دار
الخشب وسكن الزجاجون عند حمام الصحن وهذه سكن الذهبيون في اماكن الى ان
تكامل البنيان وعادوا **سنة اثنتين وثمانين وستماية** في رجب قدم السلطان
الملك المنصور دمشق وفي صفر ولي مشيخة الاقرا بتربة ام الصالح شيخنا جمال الدين
الفاضلي لموت العماد الموصلي وحضر عنده قاضي القضاة بن الصايغ والشيخ تاج الدين
عبد الرحمن وخطب وذكر فضل القران ولحنوا في الجمع وهل هو بدعة وفيها ولي حسبة
دمشق جمال الدين بن صصري وولي ابن عمه الامام نجم الدين بن صصري درس العادلية
الصغرى نزل له عنها القاضي شرف الدين بن المقدسي لما ولي الشامية الكبرى بعد
اخيه وولي نجم الدين البيساني نايب القاضي تدريس الدولعية عوضا عن ابن المقدسي
لكونه صحت له الشامية **الشيخ شمس الدين** عبد الرحمن بن محمد بن احمد بن محمد بن قدامه
شيخ الاسلام وبقية الاعلام شمس الدين ابو محمد وابو الفرج بن القدوة الشيخ ابي عمر المقدسي
الجماعيلي ثم الصالحي الحنبلي الخطيب الحاكم ولد في المحرم سنة سبع وتسعين وخمسماية
بالدير المبارك بسفح قاسيون وسمع حضورا من ست الكتبة بنت الطراح سنة تسع
وتسعين وسمع من ابيه وعمه الشيخ الموفق وعليه تفقه وعرض عليه المقنع وشرحه عليه
وشرحه في عشر مجلدات وسمع الصحاح من حنبل وعمر بن طبرزد وابو اليمن الكندي وابي
القاسم بن الحرستاني وابي المحاسن محمد بن كامل والقاضي ابي المعالي اسعد بن المنجا وابن
البنا وابن ملاعب وابي الفتوح البكري وابي الفتوح الجلاجلي والشيخ العماد والشهاب
ابن راجح والشمس البخاري والبها عبد الرحمن والعز بن الحافظ والشمس ابي القاسم العطار
وابي الحسن غالب بن عبد الخالق الحنفي واحمد بن محمد بن سيدهم ومحمد بن وهب بن الزنف

ونصر الله بن نوح المصري والموفق عبد اللطيف اللغوي وهبة الله الكهفي ويوسف بن
أبي الحسن الزاهد وطلب الحديث بنفسه وكتب وقرأ على الشيوخ فقرأ على ابن الزبيدي
وجعفر الهمداني والضياء المقدسي وطائفة وسمع بمكة من ابن الجد القزويني والتقي علي
ابن ماسويه الواسطي وبالمدينة من أبي طالب عبد المحسن بن أبي العميد الخفيفي وبمصر من صفي
ابن أبي الجود وبركات ابن ظافر بن عساكر وابن الجيم بن الحباب وجماعة وأجاز له الإمام أبو
الفرج بن الجوزي وأبو جعفر الصيدلاني وأبو سعد عبد الله بن الصفار وعفيفة الفارفانية
وأبو الفتح المندائي وخلق كثير روى عنه الأئمة أبو زكريا النواوي وأبو الفضل بن قدامة
الحاكم وأبو العباس بن تيمية وأبو محمد الحارثي وأبو الحسن العطار وأبو الحجاج الكلبي وأبو
إسحاق الغداري وأبو الفداء إسماعيل الحراني وأبو عبد الله بن مسلم والمزي وأبو عبد الله البادي
والزين عبد الرحمن البكداني وأبو عبد الله بن أبي الفتح وأبو محمد البرزالي وخلق كثير وتفقه
عليه غير واحد ودرس وأفتى وصنف وانتفع به الناس وانتهت إليه رياسة المذهب في
عصره وكان عديم النظير علما وعملا وزهدا وصلاحا ولقد بالغ نجم الدين بن الخباز المحدث
وتعب وجمع سيرة الشيخ في مائة وخمسين جزءا في ست مجلدات كبار ولعل بلغها هما
تعنى بترجمة الشيخ والباقي في ترجمة النبي صلى الله عليه وسلم لكن الشيخ من أمته وفي ترجمة
الإمام أبي عبد الله أحمد بن حنبل وأصحابه وهلم جرا إلى زمان الشيخ وذكر أنه حج ثلاث مرات
الأولى سنة تسع عشرة والثانية سنة إحدى وخمسين وحج معه شيخنا تقي الدين سليمان
وكانت وقفة الجمعة والثالثة سنة ثمان وسبعين لأنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يطلبه
في المنام فقام بذلك وحضر الفتوحات الشقيف في سنة ست وأربعين وصفد
في سنة أربع وستين والسعيف ويافا سنة ست وستين وحصن الأكراد سنة
تسع وستين وكان كثير الذكر والتلاوة وسريع الحفظ مليح الخط عرف بصوم الأيام
البيض وعشر ذي الحجة والمحرم وكان رقيق القلب غزير الدمعة سليم القلب كريم النفس
كثير القيام بالليل والاشتغال بالله محافظا على صلاة الضحى ويصلي بين العشائين ما
تيسر وكان سلفي الأذى من جماعة ما أعرف أنه انتصر لنفسه وكان يأتيه صلات من الملوك
والأمراء فيفرقها على أصحابه وعلى المحتاجين وكان متواضعا عند العامة مترفعا
عند الملوك حسن الاعتقاد مليح الانقياد كل العالم تشهد بفضله وتعترف بسلوكه وكان

حسن

حسن المجاورة ظريف المجالسة محبوب الصورة بشوش الوجه صاحب أناة وحلم ووقار
ولطف وفتوة وكرم وكان مجلسه عامرا بالفقهاء والمحدثين وأهل الدين وكان علامة وقته
ونسيج وحده وريحانة زمانه زهدا ووقع الله محبته في قلوب الخلق ذلك فضل الله يؤتيه
من يشاء ولم أر أحدا أكمل صلاة أحسن منه ولا أتم خشوعا وكان يدعو أبدا في الغلس بعدو انهم
لا مات الحرس بالجامع بعد العشاء وكان ربع القامة وليس بالقصير أزهر اللون واسع
الوجه مشربا بحمرة واسع الجبين أزج الحاجبين أبلج أقنى الأنف كث اللحية سهل الخدين
أشهل العينين دقيق البشرة متقارب الخطى يسرع ولا يجاريه ولم يقم عنده ثم بأخرى أبيها
خطلوا وولدت له أحمد في سنة خمس وعشرين فصلى بالناس وحفظ المقنع وعاش ست
عشرة سنة ثم ولدت محمدا فمات سنة ثلاث وأربعين وله أربع عشرة سنة وولدت له ثلاث
بنات منهن فاطمة التي ماتت سنة خمس وثمانين ثم تزوج خاتون بنت الشديد عبد
الرحمن بن بركات الإربلي في سنة ثمان وثلاثين فولدت له الشرف عبد الله سنة تسع وثلاثين
والعز محمد سنة ست وأربعين والقاضي نجم الدين أحمد سنة إحدى وخمسين ثم ست العرب
التي توفيت سنة اثنتين وسبعين عن نحو ثلاثين سنة وخلفت الفخر عبد الله بن شمس الدين
محمد الخطيب شرف الدين عبد الله بن أبي عمر وتوفي الشمس أبو هذا سنة ثمان وستين مثل
أخيه الشيخ العز بيسير ثم تزوج الشيخ حمسه بنت التقي أحمد بن العز فولدت له عليا فعاش
ست سنين ومات ثم ولدت له عليا وعمر وزينب وخديجة ثم توفي عمر سنة خمس وثمانين
وقتل الفقيه علي سنة سبع وثمانين بأرض ماردين شهيدا وقال أبو الفتح بن الحاجب الحافظ سألت فقيه إمام صح
الحافظ بن عبد الواحد عن شمس الدين عبد الرحمن بن أبي عمر فقال عالم خير بن حافظ فقيه
على عمه وسمع على جماعة كثيرة وقال ابن الخباز وكان كثير الاهتمام بأمور الناس كلهم ويسأل
عن الأهل والجيران والأصحاب لا يكاد يسمع بمريض إلا افتقده ولا مات أحد من أهل الجبل
إلا شيعه ولا يسمع بمكان شريف إلا زاره ودعا فيه وكان كثير التردد إلى مغارة الدم
ومغارة الجوع وكهف جبريل وكان يقصد زيارة قبر والده وحده بعد العصر في كل جمعة
ويقرأ يس والواقعة وما تيسر ويهديه ويدعو للمسلمين وحدثني التاج عبد الكريم
ابن أحمد عبد الدائم أن شيخنا رحل إلى يونين وأقام بها أربعين يوما يعبد الله ويسأله ويتضرع
إليه وكان معه العز أحمد بن العماد بالك وأملى علينا الإمام مفتي الشام محيي الدين يحيى

النواوي بدار الحديث قال شيخنا الامام العلامة ذو الفنون من انواع العلوم والمعارف
وصاحب الاخلاق المرضية والمحاسن واللطايف ابو الفرج ابو محمد عبد الرحمن بن ابي عمر المقدسي
سمع الكثير واسمعه واسمع قديما في حياة شيوخه وهو الامام المتفق على امامته وبراعته
وورعه وزهادته ونباهته ذو العلوم الباهرة والمحاسن المتظاهرة قال وقال الامام ابو
اسحق اللوري المالكي قال شيخنا شيخ الاسلام قدوة الانام حسنة الايام الرباني شمس
الدين عبد الرحمن بن شيخ الاسلام ابي عمر ممن يفتخر به دمشق على ساير البلدان بل برهونه
عصره على متقدم العصور والايام لما جمع الله له من المناقب والفضايل والمكارم
التي اوجبت للاواخر الافتخار على الاوايل منها التواضع مع عظمته في الصدور وترك
التنازع فيما يفضي الى التشاجر والنفور والاقتصاد في كل ما يتعاطاه من جميع الامور
لا عجب في كلامه ولا تقعر ولا تعظم في مشيته ولا تبختر ولا تشطط في ملبسه ولا
تكثر ومع هذا فكانت له صدور المجالس والمحافل والى قوله المنتهى في الفضل بين
العشاير والقبايل مع ما امده الله به من سعة العلم وفطره الله عليه من الرافة والحلم
الحق لا صاغرا بالا كابر في رواية الحديث الى ان قال لا يوفر جاهه عن قصده قريبا
كان او اجنبيا ولا يدخر شفاعته عن اعتفه مسلما كان او ذميا ينتاب بابه الامرا والملوك
فيساوي في اقباله عليهم بين المالك والمملوك وسمعت فخر الدين عمر بن يحيى الكرجي يقول
ما حال الشيخ اشهر من ان يوصف بل اقول تعذر وجود مثله في اعصار كثيرة على ما بلغني
من سير العلما ولي الشيخ قضا القضاة في جمادى الاولى سنة اربع وستين على كره منه
سمعت عماد الدين يحيى بن احمد الحسني الشريف يقول الشيخ عندي في الرتبة على قدم ابي بكر
والشيخ محيي الدين النواوي على قدم عمر ما رات عيني مثلهما وقال ايضا كان الشيخ والله
رحمة للمسلمين ولولاه ما اخذت املاك الناس لما تعرض لها السلطان ركن الدين فقام
فيها مقام المومنين الصديقين واثبتها لهم وبذل مجهوده معهم وعاداه جماعة الحكام وعملوا
في حقه المجهود وتحدثوا في حقه بما لا يليق ونصره الله عليهم بحسن نيته بكلمة هذا عند الله سمعت
الامام عماد الدين محمد بن عباس بن احمد الربعي بالمدرسة النورية يقول رحمه الله على الشيخ
شمس الدين كان كبير القدر جعله الله رحمة على المسلمين ولولاه كانت املاك الناس اخذت
منهم ثم ساق ابن الخباز ثنا جماعة كثيرة من الفضلا على الشيخ وساق فصلا طويلا في تعرض

ما بني

ما بني ورقة فيه منامات مرئية من عدة كثيرة للشيخ كلها تدل على حسن حاله وانه من اهل الجنة
وقد اثنى عليه الشيخ قطب الدين وقال ولي القضا مكرها وباشره مدة ثم عزل نفسه وتوفر
على العبادة والتدريس والتصنيف وكان اوحد زمانه في تعدد الفضايل والتفرد بالمحامد
وحج غير مرة ولم يكن له نظير في خلقه وما هو عليه وكان على قدم السلف الصالح في معظم
احواله ورثاه غير واحد قلت رثاه قريب من الف شاعر وكانت جنازته مشهودة لم
يسمع بمثلها من دهر طويل حضرها امم لا يحصون وكان مقتصدا في ملبسه وله عمامة
صغيرة بعذبة بين يديه وثوب مقصود وعلى وجهه نور وجلاله وكان يترك البلد على بهيمة
ويحكي بالخوري الجامع ولا يسمع هذا الكتاب مستحب ما اورده بن الخباز وربما اختصر ذلك
ذلك فضل الله يوتيه من يشا وقد اجاز لي مروياته ولله الحمد ومرض اياما ثم انتقل الى
الله تعالى ليلة الثلاثا سلخ ربيع الاخر بمنزله بالدير ودفن عند والده وقد رثاه القاضي
شهاب الدين محمود الكاتب بقصيدة طويلة اولها ما للوجود وقد علاه ظلام اعراه خطب ام
وهي نيف وستون بيتا ورثاه الاديب البارع شمس الدين محمد الصايغ بقصيدة اولها
الحال من شكوى المصيبة اعظم حيث الرد اخصم بعيد لخصم وهي ستة وخمسون بيتا
ورثاه المولى علا الدين بن غانم بقصيدة حسنة ورثاه الشيخ محمد بن الارموي بقصيدة
قراتها عليه ورثاه البرهان بن عبد الحافظ بقصيدة قراتها عليه ايضا ورثاه مجد الدين
ابن المهتار بقصيدة ورثاه نجم الدين علي بن عبد الرحمن بن فليتة التميمي الحنفي بقصيدة ولم
يخلف مثله في حلبته وقال شمس الدين محمد بن ابي الفتح رحمه الله مرض شيخنا سبعة عشر
يوما بالبطن فهو شهيد اخبرني شيخنا فخر الدين البعلبكي انه منذ عرفه ما راه غضب
وعرفه نحو خمسين سنة قال ابن ابي الفتح وكان مع ذلك زاهدا في الدنيا والمناصب ولي
القضا اكثر من اثني عشر سنة لم يتناول على ذلك رزقا ثم تركه بعد حدث بالمسند عن
حنبل وبكتابي ابي داود والترمذي عن ابن طبرزد وبسنن ابن ماجة عن الشيخ الموفق وبالبخاري
عن ابن الزبيدي وبالدارمي عن ابن اللتي ولي منه اجازة بخطه بساير مروياته وحدثني عنه
طايفة من العلما رحمه الله تعالى سنة ثلاث وثمانين وستمايه فيها ولي سلطنة
حماه الملك المظفر بعد موت المنصور والده وفي شعبان ليلة الرابع والعشرين منه
نصف الليل كانت الزيادة العظمى توالت الرعود والبروق وارسلت السما عزالها وجاء

سيل هايل وطلع الما فوق جسر باب الفرج قامة واكثر واشتد الامر وغرق شي كثير
من الخيل والجمال وبني ادم وذهب للمصريين شي كثير واصيب واوراق خيمهم واثقالهم
ويذكر ان استاد دار بكتاش النجمي انه هلك للاستاذه ما قيمته اربع مائة الف وخمسون
الف درهم وخربت بيوت كثيرة وكانت في تشرين فاخربت مصاطب الشعيريين الغياض
وطاب بعدها بايام بشرع زيادة اخرى بدعت في جبل الصالحيه وحدث في الارض
اودية وخربت الحمامات الجابيه وانطمت الانهار وتسخروا العامة للعمل في الانهار
عند الربوة وطلعت الى الربوة يوميذ مع ابي فطلع بنا الى فوق الجبل ولم يعمل شيا
وفي شعبان ولي ولاية دمشق سيف الدين طوغان المنصوري عوض الامير ناصر الدين
الحراني واعيد الصارم المطوحي الى ولاية البر بدل طوغان ٥ وفيها عمل الدرس بن
تيميه شيخنا بالقصاعين في العشر المحرم وحضر العلما الحسن درسه وحضر قاضي
القضاه بها الدين والشيخ تاج الدين ووكيل بيت المال زين الدين وزين الدين المنجا
وجماعة وجلس بجامع دمشق على كرسي ابيه يوم الجمعة عاشر صفر وشرع في تفسير القرآن
من الفاتحة وفيها عزل الدويداري من الشد بالاعسر سنه اربع وثمانين وستمايه
في اولها خرج الملك المنصور الى الشام ثم قصد حصار المرقب في صفر ونصبت المجانيق
ونازل الحصن في عاشر صفر فلما اصبحت ستارة المنجنيق المقابل لباب الحصن سقط
الى بركة كبيرة كان عليها جماعة من اصحاب علم الدين الدواداري منهم استاذ دار سنقر
فاستشهدوا ثم طلب الاستبار الصلح فلم يجبهم السلطان ورماهم بالمنجنيق وهدم
بعض الابرجه واستمر الحصار الى سادس عشر ربيع الاول وزحف الجيش على المرقب
فاذعنوا لتسليمه وراسلوا بذلك فاجيبوا ثم رفعت عليه اعلام السلطان يوم الجمعة
ثامن عشر الشهر وجهز السلطان معهم من وصلهم الى انطرطوس وكانت مرقيه
بالقرب من المرقب على البحر وكان صاحبها قد بنى برجا عظيما لا يبالي النشاب
فاتفق حضور رسل صاحب طرابلس يطلب رضى السلطان فاقترح عليه خراب البرج
المذكور واحضار من اسره من الجبليين الذين كانوا مع صاحب جبيل فاحضر من كان حيا
منهم واعتذر عن البرج بانه ليس له فلم يقبل عذره فعمل انه اشتراه من صاحبه بمال وعدة
قرى وهدمه وحصل الاستيلا على المرقب ومرقيه وبلنياس وعمروا ما تشعث من

المرقب وكان لبيت الاستبار ولم يتهيا للسلطان صلاح الدين فتحه وممن استشهد في فتحه
القاضي نجم الدين بن الشيخ واخوه العز وسحنا العز بن العماد وشمس الدين بن الكمال
وابنه وشمس الدين بن حمزة وبلغني ان صلاح الدين وقف عليهما على ان يشهدوا الغزاة
مع المسلمين فلهذا يخرجون في مثل هذه الغزوات وفي ثالث جمادى الاولى قدم
السلطان دمشق وزين البلد وعزل التقي البيع وولي الوزارة محي الدين بن النحاس
وعزل طوغان من الولايه بعز الدين بن ابي الهيجا وقدم دمشق قبل المرقب الملك المظفر
الحموي فتلقاه السلطان وبعث اليه بالخلعة والغاشية فركب وحمل بين يديه الغاشية
نايب السلطنه طرنطاي ٥ وفيها توجه على قضا حلب الامام شمس الدين محمد بن بهرام
سنه خمس وثمانين وستمايه فيها صرف ابن النحاس من الوزاره واعيد التقي توبه وفيها
اعيد الدواداري الى الشد وفيها اخذت الكرك من الملك المسعود خضر بن الملك الظاهر
ركن الدين وذلك في صفر ودقت البشاير ٥ وفيها درس بالغزاليه القاضي بدر الدين
ابن جماعة انتزعها من شمس الدين امام الكلاسة نايب شمس الدين الايكي في تدريسها
ثم وليها الايكي وناب عنه في تدريسها جمال الدين الباجريقي ٥ وفيها وفي صفر جاءت
زوبعة عظيمة بالغسولة الى عيون القصب فاتلفت اشيا كثيرة للجند المجردين مع
العلائي بحيث انها حملت خرجا ملآن نعال الخيل ٥ وفيها نازلت الفرنج جزيرة منورقه
وحاصروها مدة واسروا اهلها الحكم بن سعيد بن الحكم الذي ذكرها تاريخه ابيه في سنه
ثمانين ثم سلموها صلحا على ان يعطوا عن كل ادمي بها سبعة دنانير فعجزوا وبقي اكثرهم
في الاسر واما الذين خلصوا فاعطتهم الفرنج مركبين نجا واحد مع الحكم الى المرية ثم الى
سبتة فبالغ صاحبها في لم شعثهم واكثر من الاحسان اليهم ثم ان الحكم قصد السلطان ابا
يعقوب المريني ليساله في فك اسر ابنته فاعطاه جملة ثم جاز الى غرناطة فاعطاه ابن الاحمر
مالا ثم ركب البحر قاصدا صاحب تونس وبجايه يطلب في الاسرى فعرفه المركب الى جهة الله
سنه ست وثمانين وستمايه في المحرم دخل دمشق نايب المملكة حسام الدين طرنطاي
في تجمل زايد لا يدخله الا ملك ثم سار لحصار صهيون وبرزيه وانتزاعهما من سنقر الاشقر
وتوجه معه الشاميون بالمجانيق وقاسوا مشقة وشدة من الاوحال وتهيا سنقر الاشقر
للحصار ونازله الجيش ثم توجه بعد ايام نايب دمشق حسام الدين لاجين لحصار برزيه

فاسمحه بلا كلفه ووجد به خيلا لسنقر الاشقر فلما اخذ ضعفت همة صاحبه واجاب
الى تسليم صهيون على شروط شترطها فاجابه طرنطاي وحلف له على ما وثق به ونزل
بعد حصار شهر واعتب على نقل ثقله بحمال وظهر وحضر بعياله وزوجته في صحبة
طرنطاي الى خدمة الملك المنصور ووفي له طرنطاي وذب عنه اشد ذب واعطى
بمصر امرية فارس وبقي وافر الحرمة الى اخر الدولة المنصورية ٥ وفي ربيع الاول
قدم ابن الخويي قاضيا وناب له الشيخ شرف الدين بن المقدسي وفي شعبان درس
صفي الدين الهندي بالرواحية وفيها طلب الشيخ احمد الشامري الى مصر وطلبوا
منه ان يسع للسلطان قريه حرزما فقال ونفقها وكان ناصر الدين بن المقدسي قد
سافر الى مصر فتحدث مع الشجاعي في امر ابنة الملك الاشرف ابن العادل وان اباها
خلف لها املاكا فباعتها حال كونها سفيهة تحت الحجر فتكلموا في ذلك ليتم لهم سفهها
ويستعيدوا الاملاك ثم يرشدونها ويشترون منها بعد ذلك فعملوا محضرا فشهد فيه
الدين والد عبد الحق وكان يخدمها وخادم بصوا على القضية وطشتدار ثم ذكر القاضي
زين الدين بن مخلوف ان السلطان شهد عنده بذلك ثم احضروا الشامري واثبتوا المحضر
في وجهه وابطلوا ما اشتراه منها ثم ادعوا عليه بالمغل فاخذوا منه حصته بالزنبقية
وهي سبعة عشر سهما واخذوا منه مائة الف درهم وتركوه معتقلا ثم طلبوا شريكه في حرستا
نصير الدين بن الوجيه بن سويد وشرعوا في طلب روساء دمشق في مثل ذلك فساد
على البريد عز الدين بن القلانسي وشمس الدين بن يمن سنة سبع وثمانين وستمايه
في اولها طلب القاضي حسام الدين الحنفي والتقي البيع الوزير وشمس الدين بن غانم وجمال
الدين بن صصرى والنصير بن سويد فراحوا الى مصر على البريد فاخذ الشجاعي يتهددهم
ويضرب بحضرتهم ليرعبهم ثم يقول ارحموا انفسكم واحملوا ما تعولون ما لنا منكم رضا هاهنا
نقرر علينا ما نرسم به فلم يقبل واحضر لهم تجارا كالمجد معالي الحريري والشهاب بن كونك
والنجم بن الدماميني وامرهم بان يحملوا عن المصادرين ويكتب عليهم وثائق فاخذ من عز الدين
ابن القلانسي مائة وخمسين الفا ومن ابن صصرى املاكا ودراهم تكملة ثلاثمائة الف درهم ومن
التقي توبة نحو ذلك ومن ابن سويد ثلاثين الفا ومن ابن غانم خمسة الاف درهم ومن حسام
الدين بحسب البركة ثلاثة الاف درهم ومن ابن يمن املاكا بمائة وسبعين الف درهم فتعامل

هولا والمصريون على نكاية الشجاعي وكان يوذي الجمال بن الجوهري الكاتب بحضرة الي
عند طنطبة فقال له سرا بعد رفع الشجاعي قال نعم فدخل به الى السلطان فعرفه
السلطان وسأله عن حاله فقال لم ازل في دولة مولانا السلطان بطالا ومصادرا فرق
له وذم الشجاعي لكونه لم يستخدمه فتكلم ورافع الشجاعي فاصغى اليه وطلب الشجاعي فعصر
بين يديه فحمل الى الخزانة في يوم واحد سبعة وعشرين الف دينار ثم باع من بركه وخيله
وجمل خمسين الف دينار وعزله وولي الوزارة بدر الدين بيدرا وقدم الدمشقيون
وارضوهم بان ولوا نظر الديوان جمال الدين بن صصرى واعطوا الحسبة لشرف الدين احمد
ابن الشيرجي وقدم بعدهم ابن المقدسي بالوكالة ونظر الاوقاف وفي رمضان امسك
الشطرابي كاتب الحكم مع مسلمة نصرانية بالنهار فبذل في نفسه جملة دراهم عند مخدومه
فلم ينفع واحرق بسوق الخيل وقطع من انف المراة وحصل فيها شفاعات للاحتها
وفيها في ربيع الاخر صلى بالناس الجمعة بجامع دمشق خطيبه جمال الدين بن عبد الكافي
فاحدث في الركعة الاولى فاستخلف نجم الدين موذن النجيبي فتمم الصلاة وصلى الناس
خلفه اماميين ٥ وفي رمضان درس بالعمرية القاضي علاء الدين ابن بنت الاعز بحكم اسجال
مدرسها ابن جماعة الى خطابة القدس وفيها ولي شرف الدين ابن الشيرجي حسبة دمشق
بعد جمال الدين بن صصرى ثم عزل بعد اشهر بابن السلعوس الذي تورد وفيها قدم
جمال الدين الزواوي قاضيا للمالكية ابن النفيس علي بن ابي الحزم العلامة علاء الدين
ابن النفيس القرشي الدمشقي الطبيب شيخ الاطباء في عصره اشتغل على الشيخ مهذب الدين
الدخوار وبرع في الصناعة والعلاج وصنف وتنبه واستدرك وافاد واشتغل والف
في الطب كتاب الشامل وهو كتاب عظيم يدل فهرسته على ان يكون ثلثمايه مجلد بيض
منها ثمانون مجلدة ما ترك خلفه خلف وفي الكحالة كتاب المهذب وشرح القانون لابن
سينا وكانت تصانيفه يمليها من ذهنه ولا يحتاج فيها الى مراجعة لتبحره في الفن وانتهت
اليه رياسة الطب بالديار المصرية وخلف ثروة واسعة ووقف داره واملاكه وكتبه
على البيمارستان المنصوري وتوفي في الحادي والعشرين من ذي القعدة وكان من ابناء الثمانين
ولم يخلف بعده مثله وقد كتب الينا الامام ابو حيان الاندلسي ان العلا ابن النفيس كان اماما
في علم الطب لا يجارى في ذلك ولا يدانى استحضارا واستنباطا واشتغل به على كبر

صنف كتاب الشامل وشرح القانون في عدة مجلدات وصنف ايضا مختصرا في الطب
يسمى الموجز وكتاب المهذب في الكحل في سفرين اجاد فيه كل الاجادة قال واخبرني
من راه يصنف في الطب انه كان يكتب من صدره من غير مراجعة كتاب حالة التصنيف
ولشيخنا علاء الدين معرفة بالمنطق وقد صنف فيه مختصرا وقرات عليه من كتاب الهداية
لابن سينا في المنطق وقد صنف في الفقه وفي اصول الفقه وعلم الحديث والنحو
وعلم البيان **سنة ثمان وثمانين وستماية** مات البرنس صاحب طرابلس الى لعنة
الله فبادر السلطان الملك المنصور مسرعا الى حصارها وقدم دمشق وسار ونازلها
في اول ربيع الاول ونصب عليها المجانيق وحفرت النقوب ودام الحصار الى اخذها
بالسيف في رابع ربيع الاخر وغرق خلق في الميناء واخذ منها ما لا يوصف سوى
ما يخلف في الهدم احرقت واخرب سورها وكان سورا منيعا محكما عديم المثل وكانت
من احسن المدن واطيبها ثم بعد ذلك اخذوا مكانا على جبل من البلد وبنوه مدينة صغيرة
بلا سور فجا مكانا ردي الهوا والمزاج ثم تسلم السلطان حصن انفه وكان لصاحب طرابلس
فامر بتخريبه وتسلم السلطان البترون وجميع ما هناك من الحصون وانشا تاج الدين
ابن الاثير بامر السلطان كتابا الى صاحب اليمن بالبشارة اعز الله نصرة المقام العالي
السلطاني الملكي المظفري الشمسي وهو كتاب مليح ذكر فيه ان طرابلس فتحت في امرة
معوية وسعلت في ايدي الملوك وعظمت في زمن بني عمار فلما كان في اواخر الماية الخامسة
ظهرت طوايف الفرنج بالشام واستولوا على البلاد فامتنعت عليهم طرابلس مدة ثم ملكوها
في سنة ثلاث وخمسماية واستمرت في ايديهم الى الان وما احسن ما قال في بشارة صاحب
اليمن وكانت الخلفاء والملوك في ذلك الوقت ما فيهم الا من هو مشغول بنفسه مكب على
مجلس انسه يرى السلامة غنيمة واذا عن له وصف الحرب لم يسال الا عن طرق الهزيمة قد
بلغ امله من الرتبة وقنع بالسكة والخطبة اموال تنهب وممالك تذهب لا يبالون بما سلبوا
وهم كما قيل   ان قاتلوا قتلوا وان طاردوا طردوا او حاربوا حربوا او غالبوا غلبوا
الى ان اوجد الله من نصر دينه واذل الكفر وشياطينه وقد ذكر شرف الدين محمد بن موسى
المقدسي الكاتب في السيرة المنصورية ان طرابلس عبارة عن ثلاث حصون مجتمعة بالليسا
الرومي وكان فتحها على يد سفيان بن مجيب الازدي بعثه لحصارها معاوية في خلافة
عثمان

عثمان رضي الله عنه فبنى بالمرج على اميال منها حصنا سمي به وقطع المواد عنها برا وبحرا
وكان يغلب عليها خيلا ورجلا في النهار ثم ياوي الى حصنه في الليل فكتبوا الى ملك الروم
ليمدهم او يبعث لهم مراكب للهزيمة فبعث اليهم مراكب فهربوا ليلا فاصبح الحصن خاليا
فكتب سفيان الى معاوية فاسكنه جماعة من اليهود فنقضوا العهد ايام عبد الملك بن
مروان ثم قال هذا حكاه المدايني عن عتاب بن ابرهيم وذكر اسامة بن منقذ انها انتقلت
الى ملوك الشام الى ان ملك المصريون الشام فدخل فيما ملكوه ثم تغلب عليها جلال الملك
علي بن محمد بن عمار القاضي فاخرج عامل المصريين منه ثم ملكه بعده اخوه فخر الملك ثم قصدها
الفرنج في سنة اثنين وخمسماية واخذوها بعد مطاولة وكان المنازل لها ابن صنجيل
ابن عمه فاصابه الحزم وتشاغل عن القتال فسال اهل الحصن الامان فاجيبوا ولم تزل
بيد الفرنج الى الان وقال قطب الدين حكي لي ان سبب اخذ الفرنج لها ان ابن صنجيل جرى
له امر اوجب خروجه عن بلاده فركب البحر ولج فيه وتوقف عليه الريح ثم رماه الموج
الساحل فنزل بساحل طرابلس فسير اليه ابن عمار يساله عن امره فاخبره بانه نزل ليستريح
ويتزود وساله ان يخرج اليه سوقا فخرج اليه جماعة فبايعوه وكسبوا عليه ثم نزل اليه اهل
جبة بشري وهم نصارى فبايعوه وعرفوه امر طرابلس وان الرعية نصارى وان صاحبه
متغلب عليه وحسنوا له المقام ووعدوه المساعدة على اخذه فاقام وحضر اليه خلق من نصارى
البلاد وعجز ابن عمار عن ترحيله ثم بنى صنجيل الحصن المشهور به الذي بنيت طرابلس المنصورة
تحته واقام به واستولى على بر طرابلس ولم يزل مصابرا لها وكلما له يقوى ويكثر جمعه
ويضعف اهل البلد ولا ينجد ابن عمار احد ثم حصل الاتفاق على انه يخرج منها بجميع ماله
الى عرقة فخرج اليها واقام بها مدة ثم فارقها وقوي شان الفرنج بالساحل ثم صالح ابن
صنجيل في بلاده التي بالبحر واستناب على طرابلس بيمند جد صاحبها ثم مات ابن صنجيل
وترك ابنا فكان بيمند يحمل اليها كل وقت شيا الى ان مات وقام بعده ولده بيمند الاعور
فاستقل بملكها وكان شهما شجاعا وطالت ايامه ثم تملك بعده ولده بيمند ولم يزل الى
حين توفي وكان جميل الصورة جا الى التتار ايام هولاوو وتقدم بعلبك وطمع ان يعطاها
فطلع الى قلعتها ودارها ونازل الملك الظاهر بلده مرتين وكان ابن بنت صاحب سيس
وبيده ايضا انطاكية فهلك وتملك بعده ابنه فلم تطل مدته وهلك وملك بعده سبير بلمه

وعندما اخذت طرابلس وهدم المينا فقيل انه غرق وقيل نجا وذكر القاضي شمس الدين
ابن خلكان ان الفرنج اخذت طرابلس في حادي عشر ذي الحجة وكان صاحبها فخر الملك
عمار بن محمد بن عمار قد صبر على محاصرتها سبع سنين واشتد الغلا فخرج منها وقصد
بغداد طالبا للانجاد وللشهاب محمود رحمه الله علينا لمن اولاك نعمته الشكر
لانك للاسلام يا سيفه ذخر وما لك الا خالص صالح الدعا الى خالع في امر نصرتك الامر
الا هكذا يا وارث الملك فليكن جهاد العدى لا ما تولى به الدهر وان يك قد فاتتك بدر فهذه
بما انزل الرحمن من نصره بدر نهضت على عليا طرابلس التي امل عداها ان تخندها الجبر
وقد ضمها كالطوق لا بفيه كنحر وانت السيف لا خ له الخبر ممنعه بكر وهل في جميع ما
تملكه الا ممنعه بكر ومن دون سور نفا عقاب منيعة برك اذا ما رام اوطارها الذر
وما برحت ثغرا ولكن عدا العدى عليها بحكم الدهر فاستغر الثغر وكانت بدار العلم تعرف فاذا
بمن احلها الاسف في نظمها نثر فكم مر من دهر وما مسها اذى وكم راح من عصر وما راعها حصر
ففاجاتها بالجيش كالموج فانثنت تميد وقد ادنى على بحرها البر تطل لذي تخرين افكا ما لها
واسله العذب الذي جرى مصر ومنها كان المجانيق التي ونزت صحى عليها فاني شمرا جحا وتر
اصابعها توما اليهم ليبتحد وامقبل منها دون سكانها الحدد وقطرها من كل قطر جحارة
لقد خاب قوم جادتهم ذلك القطر تحلق وجه السور منهم كانما غدت وعليها الذي فعلت
منها واطلقت فيها طالبوا السيف فاعتدى ولبس له الا رؤوسهم وكر
ولا دوا بابواب البحر منك فما نجا اليه سوى من جره من دم نهر ولم يحم الامن جبر قومه
ليدروا والا من تعهد الا سر فلله كم بيض وسمر كواعب على زعمهم قد جادت البيض والسمر
وفي هلكهم يوم الثلاثا اشارة الى ان في الدارين تثليثهم خسر منها وماذا به شي عليك بعفوه
ولا قدرة يا اثني بذاك ولا قدر ولكن دعا وابتهال بانه يعز على رغم الا عادي لك النصر
ومن نصعه وستون بيتا انتقيتها وعمل قصيدة في ملك الامراء لاجين وقصيدة
في ملك الامرا بلبان الطباخي وذكر سيف الدين بن المحفدار ان عدة المجانيق التي
نصبت عليها تسعة عشر منجنيقا ستة افرنجية والبلاغ قرابغا والذي تسلماه من الاسرى
الف وماتيا اسيره وقتل عليها من الامرا عز الدين معن وركن الدين منكورس الفارقاني ومن
الحلقة خمسة وخمسون نفسا وقال عرض سور البيرملاحه خيالة وتقل العدل شمس الدين

الجزري

الجزري في تاريخه قال قدم مطريق وجماعته في ايام عبد الملك بن مروان فطلبت بنعم
بطرابلس ويودي الجزية فاجيب فلبث بها مدة سنتين وتوثب بها فقتل طايفة من
اليهود واسر طايفة من الجند وهرب لما لم يتم له الامر وظفر به عبد الملك فصلبه ثم
لم تزل في ايدي المسلمين الى ان ملكها ابن عمار الى ان مات سنه سبعين واربعماية وملكها
بعده اخوه فخر الملك فلما اخذت الفرنج انطاكية في سنه احدى وتسعين واربع ماية
نزل الملك صنجيل بجموعه عليها واسمه ميمون نازلها في سنة خمس وتسعين وعمر
قبالتها حصنا وضايقها مدة ثم خرج صاحبها يستنجد في سنه احدى وخمسماية
فاستناب ابن عمه ابا المناقب ونب معه سعد الدوله فتان بن لا عن يجلس يوما
فشرع يهذي وتحين فنهاه سعد الدوله فرماه بالسيف فقتله فامسكه الامرا ونادو
شعارا الا فضل امير الجيوش سلطان مصر وجهوا للبلد الى ان مات صنجيل ثم ما زال
خند عاص وبها الى ان اخذوها في ذي الحجة سنه اثنين وتولاها السرداني فقدم
منهم فوصل بعد مدة سران بن صنجيل ومعه طايفة من جند ابيه فقالوا للسرداني
هذا ولد صنجيل وهو يريد مدينته والذي يعني الحصن فقام السرداني ورفسه فاخذ
اعوانه ودار واله على اعوان الفرنج فرجموا وتذكي والايمان التي حلفوها لابيه وقالوا
اذا كان غدا فاحضروا ونحن نتكلم مع السرداني فلما حضر غده فصاح عليه السرداني وجعل هموا
كلهم عليه وقطعوه وملكوا الصبي وقام ملكا الى ان قتله بزواج في سنه احدى وثلاثين
وخمسماية واستخلف على البلد ولده القمص بدران الى ان اسر الاتابك زنكي بن
اقسنقر بعرين ثم فدا نفسه بمال وعاد الى طرابلس ثم وثبت عليه الاسماعيلية
فقتلوه وولي بعده ريمند وهو صبي ثم انه حضر الوقعة مع السلطان نور الدين في
سنه تسع وخمسين على حارم فابقى عليه صلاح الدين لانه كان مهادنا للمسلمين
قال الجزري ومنها احتاط الشجاعي بدمشق على حواصل التقي البيع وصادره ثم
طرح املاكه ولخشانه على الرؤسا بلا ثمن وهرب جماعة من المصادره منهم ابن
الاخوتي وغابوا عن البلد شهرا وتغيب عز الدين بن القلانسي ثم طالبوا عز الدين
ابن غانم الجوهري بمغل ضيعه كان اشتراها من بيت الاشرف بالتغليع فاعطاهم
جوهرا قيمته ثمانون الف درهم فقالوا نحن نريد دراهم والحوا عليه فنزل الى جامع دمشق

وحضر في دهليزها فاخرج له خوجا مرصعة بجواهر فقومت باربعمائة الف ثم سافر
السلطان من دمشق في شعبان والقلوب في غاية الالف منه واخذ معه التقي توبه
مقيدا الى احراسان تمرطنطاي وكتبغا على الزردخاناه وبها التقي توبه فلم يكلموه
فصاح وشتم وقال والكم لا اولا ذا الزنا انا ضيعت دنياي واخرتي لاجلكم وانا شيخ كبير
في القيد وقد اخذوا جميع ما املك هذا اخر خدمتي فضحكوا ثم انهم كلموا السلطان فيه
وضمنوه انه لا يهرب فاطلقه واخذوه ولم يكن الشجاعي حاضرا قال شمس الدين وفي اول
السنة سافر ابن السلعوس الى مصر وهو الملك الاشرف فاستناب عنه في الحسبة تاج
الدين بن الشيرازي وفي ربيع الاخر ولي الحسبة الجمال يوسف اخو الصاحب تقي
الدين فلما احتاطوا على تقي الدين عادوا ابن الشيرازي الى الحسبة مستقلا وفيها
حج بركب الشام زين الدين غلبك وفيها قدم دمشق الواعظ نجم الدين بن البرودي
ووالده ووعظ على باب مشهد علي مرات وحضر الخلق وكان راسا في الوعظ
عبد الرحمن بن يوسف بن محمد بن نصر بن ابي القاسم بن عبد الرحمن المفتي القدوة فخر الدين
ابو محمد البعلبكي الحنبلي ولد سنة احدى عشرة ببعلبك وسمع من ابن المجد القزويني والبها
عبد الرحمن وابن الزبيدي وابن اللتي والعز الاربلي والناصح بن الحنبلي ومكرم بن
ابي الصقر وجماعة وقرا القران على خاله القاضي صدر الدين عبد الرحيم بن نصر وقدم
دمشق للاشتغال في سنة ثلاثين وتفقه على الامام تقي الدين بن العز وشمس
الدين عمر بن المنجا وابن سليمان بن الحافظ وحفظ كتاب علوم الحديث لابن الصلاح
وعرضه حفظا على المصنف وقرا الاصول وشيئا من الخلاف على السيف الامدي وعلى
العلامة نجم الدين احمد بن راجح وقرا النحو على ابي عمرو بن الحاجب ثم على المجد الاربلي
الحنبلي ثم رجع الى بلده وكان الشيخ الفقيه يحبه ويكرمه وجعله اماما بمسجد الحنابلة
فلم يزل يوم به الى ان نقل الى دمشق وقد درس بالجوزية نيابة عن القاضي نجم الدين
ابن الشيخ شمس ودرس بالصدرية وبالمسمارية نيابة عن بني المنجا وولي تدريس الحلقة
بالجامع ومشيخة مشهد عروة ومشيخة النورية ومشيخة الصدرية ودوري الكتب
وافتى واشتغل وتخرج به جماعة من الفضلا وكان عديم المثل كبير القدر سالت ابا الحجاج
الكلبي عنه فقال هو احد عباد الله الصالحين واحد من كان يظن به ان لا يحسن بعضى الله

سمعنا

سمعنا منه طرفا صالحا من مسموعاته وقال قطب الدين كان صالحا زاهدا عابدا
فاضلا وهو من اصحاب والدي رحمه الله اشتغل عليه وقدمه يصلي به في المسجد
رافقته في طريق مكة فرايته قليل المثل في ديانته وتعبده وحسن اوصافه وقال لي ولده
المفتي شمس الدين كان دائم البشر يحب الخمول ويوثره ويلازم قيام الليل من الثلث
الاخير ويتلو القران بين العشائين ويصوم الايام البيض وستة من شوال وعشر
ذي الحجة والمحرم لا يخل بذلك ولقد اخبرنا باشيا وقعت كما قال الخلايق وذلك مشهور
عند من يعرفه وقال لي في صحته وعافيته انا اعيش عمر الامام احمد حنبل لكن شتان ما
بيني وبينه فكان كما قال وقال لي يا بني سرهفت عن الاوقاف اذ كان يحكي وكان بي
شي فلما احتجت اليها تناولت منها قلت حكى لي حفيده فخر الدين انه قدم دمشق ومعه
مبلغ جيد من الدراهم فاكل منه مدة سنين وانفق على اولاده في كبرهم وانه تردد
الى الجهات وكان امام مسجد ابن عميرا الذي بالزاد رب طلحة داخل باب توما ويسكن
المسجد توفي في سابع رجب ودفن بتربة الشيخ الموفق بسفح قاسيون وقد جاز
ثامر وثمانه وروى عنه ابن الخباز وابن العطار وشيخنا ابن تيمية والمزي والبرزالي
وخلق سواهم سنة تسع وثمانين وستماية فيها بادرت عرب الصعيد فشلاذ
لتشكيل لا بوا نايب السلطنة طرنطاي فمسكهم واخذ خلقا من اعيانهم رهاين واخذ
سائر اسلحتهم واكثر خيولهم واحضر الجميع الى القاهرة فكانت عدتهم اسلحتهم عدة
احمال وفيها عاد عز الدين ايبك الافرم من بلاد السودان بزنتي كثير وسبي
صغير وفيها درس الشيخ صفي الدين الهندي بالدولعيه وعلا الدين بن القاضي
تاج الدين بن بنت الاعز بالظاهرية بعد حضور رشيد الدين الفارقي ودرس
تقي الدين بن الزكي بالمعونه بالخلعيه والطيلسان من جهة صاحب حماه ودرس
بدر الدين ابو البشر بن الصايغ بالعادلية وفي جمادى الاخرة رتب خطيبا بالجامع
الاموي زين الدين عمر بن المرحل الوكيل فتكلموا فيه حتى قالوا انه يلحن في الفاتحة ولا
يحفظ الختمة واستفتوا عليه ثم استمر بعد ان طلب الاعشى للشيخ تاج الدين عبد الرحمن
والشيخ زين الدين الفارقي واذاهما وشتمهما بسبب كلامهما في ابن المرحل فتالم الناس
واستغاثت كراهيتهم لابن المرحل ونقيه وولي القضا شرف الدين الحسن بن الشرف

الحنبلي بعد ابن عمه القاضي نجم الدين وولي تدريس الجوزية القاضي تقي الدين سليمان والخطابة
بالجبل ولده المتوفى القاضي نجم الدين وفيها قررت الاخباز بطرابلس واستخدم بها
ستمائة فارس وفيها امسك الامير سيف الدين جرمك الناصري وامسك شمس الدين
ابن السلعوس وصودر ثم افرج عنه بمصر ولزم بيته وسار مع الركب المصري وحج
وفيها ولي نظر الجامع وجيه الدين بن المنجا وفيها قبض على ناصر الدين بن المقدسي واعتقل
بالعذراوية ثم شنق نفسه والظاهر انه شنق لانه طلب الى مصر فخاف وامر رفقته وشنقوه
وكان نظر المار فعلا فعجلها في فتح ابواب الشر والحيل سامحه الله وفيها ولي نيابة غزة
احد امرا دمشق عز الدين الموصلي وفي رجب وقع حريق كبير بدرب اللبان واتصل
بدرب الوزير بدمشق واحترقت دار صاحب حماه عملت النار فيها يومين وكان
هو في الصيد وراح فيها من الاموال والمتاع ما لا يوصف وفيها درس بام الصالح
بعد ناصر الدين بن المقدسي امام الدين القزويني الذي ولي القضا وفيها قدم عكا
طائفة من الفرنج ففتنوا دوابها وقتلوا ناسا بها من التجار المسلمين ودرس بالرواحية
البدر احمد بن ناصر الدين المقدسي المشنوق بعد والده ولم يكن اهلا لذلك بل
فعلوا ذلك تطيبا لقلبه وفي شوال توجه الامير المشد شمس الدين الاعسر الى
وادي مربين من البقاع لقطع الاخشاب للمجانيق فقطع منها ما تحار فيه الناظر
من عظمه وطوله وجرها الى دمشق وسخرت الابقار والرجال وقاسى الخلق مشاقا
لا توصف وهي خشب صنوبر عزم على كل عود منها جملة حتى قال من خبر من ولاة
النواحي ان العود منها خمسون الفا وفيها خرج من دمشق المحمل والسبيل مع
الدوباشي وعزم السلطان على الحج فلما بلغه نكث اهل عكا غضب واهتم لغزوهم
وضرب الدهليز بظاهر القاهرة واخذ في التاهب وخرج الى الدهليز وهو متوعك
في شوال ثم مرض ومات في ذي القعدة وجاءت الاخشاب المذكورة الى المرج ثم سحبت
الى الميادين وكانت منظرا مهولا وقد ربع سفل العود وسقط وهو نحو ذراع وثلث
بالنجار واكثر ثم راوا انها لا تصلح للمجانيق فلما ولي الشجاعي نيابة دمشق ادخل بعضها
في عمارة دار السلطنة بالقلعة ثم نشر بعضها وعمل منه ابواب الجامع التي في الرواق
الثالث وفي ذي القعدة امسك الامير بدر الدين المسعودي بدمشق نائب الجوكندار

وامسك

وامسك محمد وعمه طرنطاي في ذي القعدة في اواخر عمره وبسط عليه العذاب
الى ان تلف وخطب للملك الاشرف صلاح الدين يوم تاسع عشر ذي القعدة
بدمشق ثم جامع مرسوم لتاج الدين بن الشيرازي بوكالة بيت المال مضافا الى
الحسبة وطلب الامير كتبوف العلائي الى مصر واكرم وتوجه صاحب حماه
الى مصر مهنيا في ذي الحجة وخلع على معين الدين المغربل وولاه تدريس النفورية
السلطان قلاوون السلطان الملك المنصور سيف الدنيا والدين ابو المعالي
وابو الفتوح التركي الصالحي النجمي اشتري بالف دينار ولهذا كان في حال امرته
يسمى بالالفي وكان من احسن الناس صورة في صباه وابهاهم واهيبهم في رجوليته
كان تام الشكل مستدير اللحية قد وخطه الشيب على وجهه هيبة الملك وعلى اكتافه
حشمة السلطنة وعليه سكينة ووقار رايته مرات اخرها منصرفه من فتح طرابلس
وكان من ابنا الستين وحدثني انه كان في ايام امرته ينزل اذا قدم من مصر
بدار الزاهر قال فاخذ واحد له ذهبا مذهبت لطالبه فاذا انه طايح في الباب
فقال ابشر انت ملك يا خوند لم ثمن ذهب فقال اعطوه ووصف لي نعمته
وانه منعجم اللسان لا يكاد يفصح بالعربية وذلك لانه اتى به من الترك وهو كبير
وكان من امرا الالوف في الدولة الظاهرية ثم عمل نيابة السلطنة للملك العادل
سلامش بن الظاهر عندما خلعوا الملك السعيد من السلطنة وحلفوا لسلامش
وهو ابن سبع سنين وحلفوا للالفي معه وذكرا معا في الخطبة فلقب قطب الدين
وضربت السكة على واحد من الوجهين باسم سلامش وعلى وجه باسم اتابكه سيف
الدين قلاوون وبقي الامر على هذا شهرين وايام وفي رجب من سنة ثمان وسبعين
وستمائة خلعوا سلامش وبايعوا الملك المنصور واستقل بالامر وامسك جماعة
كثيرة من الامرا الظاهرية وغيرهم واستعمل مماليكه على نيابة البلاد وكسر التتار سنة
ثمانين ونازل حصن المرقب في سنة اربع وثمانين وافتتحه وافتتح طرابلس وعمل
بالقاهرة بين القصرين تربة عظيمة ومدرسة كبيرة ومارستان للمرضى وتوفي في ذي
القعدة في سادسه يوم السبت بالمخيم بظاهر القاهرة وحمل الى القلعة ليلة الاحد
وسلطن ولده الملك الاشرف ويوم الخميس مستهل العام الاتي فرق بتربته صدقات

كبيرة من ذهب وورق شملت الناس فلما كان من العشي انزل من القلعة في تابوته
وقت العشاء الاخرة الى تربته بين القصرين وفرق من الغد الذهب على القرا الذين
قروا للملك الليلة **سنة تسعين وستماية** دخلت وسلطان الاسلام الملك الاشرف
وقد فوض الوزارة الى الصاحب شمس الدين بن السلعوس وهو في الحج ثم وصلته الاخبار
فاسرع المجي على الهجن ونايب المملكة بدر الدين بيدرا فتح عكا ولما استقر السلطان
في الملك اهتم باتمام ما شرع فيه والده من قصد عكا فسار بالجيوش من مصر في ربيع
الاول ونزل عليها في رابع ربيع الاخر وهو خامس نيسان ووصلت اليه جيوش الشام
باسرها وامم لا يحصيهم الا الله تعالى من المطوعة والمتفرجة والسوقية فكانوا في
قدر الجندرات ونصب عليها خمسة عشر منجنيقا افرنجيا منها ما يرمي بقنطار بالدمشقي
ومن المجانيق القرابغا وغيرها عدد كثير وشرعوا في النقوب واشتد والى الحصار
ووقع الخذلان للفرنج وانجد اهلها صاحب قبرس بوكه بن شيروك بنفسه وليلة
قدومه عليهم اشعلوا نيرانا وشمعا عظيما فرحا به فما قام عندهم ثلثة ايام ثم ركب في
البحر واقلع لما شاهد من هول ما احيط بهم ولما راى من ضعفهم واختلال امرهم وشرع
اهلها في الهرب في البحر ولم يزل الامر في الجد حتى هدمت المجانيق شرفات الابراج
وتمكن النقوب منها وعلقت الاسوار واضرمت فيها النار واستشهد
عليها خلق من المسلمين وثبت الفرنج ثباتا كليا وعند منازلتها نودي في دمشق
من اراد ان يسمع البخاري فليحضر الى الجامع فاجتمع خلق وقرا فيه الشيخ شرف الدين
الفزاري وحضر قاضي القضاة ونايبه نجم الدين بن ملي وعز الدين الفاروثي وكان
الشارع على جماعة وفي ثامن جمادى الاولى حصل تشويش على عكا وهو ان الامير علم
الدين الحموي ابو خرص انه الى نايب دمشق لاجين فقال السلطان يريد ان يمسكك
فخاف وجمع ثقله وطلب في الليل وشرع في الهرب فشعر به علم الدين الدواداري فجا
ورده وقال بالله لا تكن سبب هلاك المسلمين فان الفرنج ان علموا بهروبك قووا
على المسلمين فرجع ثم طلبه السلطان من الغد وخلع عليه وطمنه ثم امسكه بعد يومين
وقيده وبعث به الى مصر وامسك معه ركن الدين بقصوا ومو جوه وامسك قبلها ن
بيومين بلبانه ابا خرص وقيده واستناب على دمشق علم الدين الشجاعي ثم هيا السلطان

اسباب

اسباب الزحف ورتب كوسات عظيمة فكانت ثلثماية جمل وزحف عليها سحر يوم
الجمعة سابع عشر جمادى الاولى بسائر الجيش وكان للكوسات اصوات مهولة
وانقلبت لها الدنيا بحيث لا ضوضى الجيش الاسوار هرب الفرنج ونصبت الاعلام
الاشرفية على الاسوار مع طلوع الشمس وبذل السيف ولم تمض ثلث ساعات من
النهار الا وقد استولى المسلمون عليها ودخلوها من اقطارها وطلب الفرنج جهة البحر
فقتل من ادرك منهم واشتمل القتل والاسر والسبي على سائر اهلها وعصت الديوية
والاسبتار والالمان في اربعة ابرجة شواهق في وسط البلد تحصنوا فيها ثم طلبوا
الامان من الغد فامنهم السلطان وسير لهم سنجقا فنصبوه على برجهم وفتحوا الباب
فطلع اليهم الاجناد وبعض الامرا وتعرضوا لهم بالنهب واخذ النسا فغلق الفرنج
الابواب ورموا السنجق وقتلوا طايفة من الجند وقتلوا الامير اقبغا المنصوري
وعاودهم الحصار ونزل اسبتار الالماني بالامان على يد زين الدين كتبغا الذي
تسلطن وفي اليوم الثالث من الفتح طلب الديوية الامان وكذا الاسبتار فامنهم
السلطان وخرجوا نحو الف وقتل منهم فوق الالفين واسر منهم وسيق الى باب الدهليز
فوق الالف من نسايهم وصبيانهم فلما راى من بقي في احد الابرجة ما جرى لهم القوا
على الموت وامتنعوا من قبول الامان وقاتلوا اشد قتال وخطفوا خمسة من المسلمين
ورموهم من اعلا البرج فسلم واحد ومات اربعة واخذ هذا البرج يوم السبت الثامن
والعشرين من جمادى الاولى بالامان وكان قد نقب وعلق من نواحيه فلما نزل منه من
تحول اكثر ما فيه سقط على جماعة من المتفرجين والذين يهمون فهلكوا ثم عزل السلطان
الحريم والولدان وضرب رقاب الرجال ولم يبق لهم وهذا مكافاة لفعلهم حين اخذوا
عكا من السلطان صلاح الدين فانهم اعني الفرنج امنوا من بها من المسلمين ثم غدروا
بهم وقتلوا اكثرهم واسروا الامرا ونائبهم فسلط الله على ذريتهم من انتقم منهم
وغدرهم جزاء وفاقا فيا لله العجب واعجب من ذلك ان الفرنج اخذوا عكا في يوم الجمعة
سابع عشر شهر في الساعة الثالثة من النهار من شهر جمادى الاخرة كما ذكرناه في سنة سبع
وثمانين وخمسماية ثم استعادها المسلمون بعد مائة سنة وثلاث سنين الا شهر واحد
وفي سنة سبع وستين واربعماية افتتح امير التركمان عكا ثم عادت الفرنج فملكها في سنة

اثنين وثمانين جهز أمير الجيوش بدر الجمالي نصير الدولة الجيوشي جيشاً من مصر فافتتح
صور وعكا وصيدا ونزل على بعلبك ثم في سنة ست وتسعين وأربعمائة نزل على عكا بغدوين
ملك القدس لعنه الله فحاصرها وأخذها بالسيف فدامت في يد الفرنج إلى أن أخذها السلطان
صلاح الدين في سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ثم أخذت منه سنة سبع وثمانين وأخذت
الفرنج صور بعد حصار طويل بالأمان في سنة ثمان عشرة وخمسمائة فتح صور لما نازل
الملك الأشرف عكا جهز الأمير علم الدين الصوابي والي برصفد إلى جهة صور يحفظ الطرق
ويعرف الأخبار فلما أخذت عكا واحرقت واضرمت النيران في جنباتها وعلا الدخان وهرب
أهلها إلى البحر علم أهل صور ذلك فهربوا وأخلوا البلد وكانت حصينة منيعة لا ترام ودخلها
الصوابي وكتب بالبشارة إلى السلطان فجهز له رجالا وآلة لتخريبها وخربوا احيفا وبقي
بصور من خربها من أهلها فاستغاثوا وسلموها بالأمان للصوابي وأمنهم ولم يكن الصوابي
يطمع بها فيسر الله بما لم يكن في الحساب وكان لها في يد الفرنج نحو من مائتي سنة وقد أخذ منها
رخام كثير وجعلت دكا وأمسك السلطان على عكا نائب صفد علاء الدين ايدغدي الالدكزي
وولى مكانه علاء الدين ايدكين الصالحي وطلب نائب الكرك ركن الدين سرمش الخطائي الدويدار
جمال الدين اقوش الأشرفي ثم بعد عشرين سنة ولي هذا نيابة دمشق وذاك نيابة مصر
فلم تطل أيامهما وفي خامس شهر جمادى الآخرة رحل السلطان عن عكا وقد تركها دكا
وشرع الصاحب تقي الدين وشمس الدين الأعسر المشد بدمشق في عمل القباب والزينة
وحصل لذلك من الاحتفال ما لا مزيد عليه ودخل دمشق دخولا ما شهد مثله من
الأعياد وأمامه الأسرى على الخيل يحملون أعلامهم منكوسة ورماحا فيها شعف رؤوس
القتلى وذلك في ثالث عشر جمادى الآخرة وأقام بدمشق خمسة وثلاثين يوما فتح صيدا
سار عسكر دمشق فنازلوا صيدا وأما ملك الأمراء الشجاعي فإنه في خدمة السلطان ثم
رجع إلى صيدا ثم افتتحها فاستولى من بها من المقاتلة على برج فتحصنوا به وكان لا يصل
إليه حجر منجنيق فضايقه الشجاعي في أول رجب وفتحه يوم السبت خامس عشر رجب لحكم
الذين فيه من خوامته واستغلوا إلى الجزيرة المجاورة لصيدا ثم إنهم احرقوا الجزيرة بما فيها
في ثامن عشر رجب وساروا في البحر إلى قبرس ثم علق المسلمون أبراج القلعة واحرقوها
ودكوها وكانت الشواني الإسلامية قد حضرت من اللاذقية فلما وصلت إلى جبيل البترون

من

من بها الذين هربوا من صيدا في المراكب وطلبوها للفرنج فخرجوا إليهم ثم تبين لهم أنهم مسلمون
فهربوا فتبعهم الأمير بلبان الطنوي بالشواني فاستولى عليهم قتلا وأسرا ونهبا واستنقذ
من الذين معهم من الأسرا وكان ذلك من غرائب ما اتفق فتح بيروت كان أهل بيروت متمسكين
بالهدنة لكن بدا منهم شيء يسير وهاأنهم آووا المنهزمين من الفرنج وأمرهم علم الدين الشجاعي بضم
مراكبهم إلى مراكب المسلمين فخافوا وامتنعوا فأمر الشجاعي الأمير القوي بحفظ الميناء وضبط
ما به من المراكب وجاء الشجاعي بالجيش من جانب البر فدخل المدينة وأخرجهم منها واستولى
على القلعة وما فيها وذلك في الثالث والعشرين من رجب وكانت القلعة امتنعت عليه
قليلا فوقع الحديث مع كليام النايب بها فأجاب وسلم واستقر كل من كان بالبلد والقلعة
من الخيالة والمقاتلة وكانت من القلاع المنيعة فهدمها الشجاعي فتح جبيل وكان صاحبها
قد حضر عند الملك المنصور نوبة طرابلس ونفى لحسل فلما أخذت عكا رسم له بأن يخرب
قلعة جبيل ثم ندب الأمير علم الدين الدواداري فسار إليها وأخرب أسوارها وأذهب
حصانتها وهدمها فتح عثليث وهو حصن مشهور يضرب بحصانته المثل والبحر يكتنفه
من جميع جهاته ولم تحدث الملوك أنفسهم بقصده وكان السلطان قد جرد من عكا
بدر الدين بكتاش التركماني بجماعة من التركمان للنزول حوله على بعد ليحصل الأمن
جهته من أحد يخرج منه ويؤذي الجلابة والمسافرين فأخذت عكا وغيرها والتركمان
مكانهم فلما بلغ أهل عثليث أخذ عكا وصور وصيدا وبيروت أحرقوا أموالهم ومتاعهم
وما لم يقدروا على حمله وغرقوا دوابهم وهربوا في البحر وأخلوا الحصن ليلة أول شعبان
وأما أهل انطرسوس لما بلغهم ذلك عزموا على الهرب فجرد الأمير سيف الدين الطباخي
إليها فلما أحاط بها ليلة خامس شعبان ركبوا في البحر وهربوا إلى جزيرة أرواد وهي
بالقرب منها وفي غضون ذلك استحضر الشجاعي مقدمي جبل الجرد والكسروان
فلما حضروا أسبغ يديه أخذ سلاحهم ودركهم حفر بلادهم وتوثق منهم ثم خلع عليهم وأخذ
منهم رهاين ثم قدم الشجاعي بعلبك في أواخر شعبان فطلع إلى قلعتها وأمر بكسر
صنمين من الزجاج كانا ... وجدا في بعض الحفاير في نهاية التحرير والإتقان وبراعة
الصنعة فكان إذا حضر أحد من الأكابر أحضروا الصنمين للفرجة على تلك الصنعة فلما
زار الشجاعي مقام إبراهيم أحضر الوالي تلك الصنمين فرآهما وأمر بتكسيرهما فكسرا في الحال

وهذه تدل على حشمة بن الشجاعي وان كان ظالما ثم دخل دمشق في السابع والعشرين من
شعبان وفي نصف رمضان قبض على علم الدين الدواداري وبعث به الى مصر وحلت
الاحباس للافراج والرضى عن الامرا الكبار بقصورا وحسام الدين لاجين النايب وشمس
الدين سنقر الاشقر وبدر الدين بيسري وشمس الدين سنقر الطويل المنصوري وبدر
الدين بن حودت (?) القيمري وفي شوال شرع الشجاعي بعمارة الطارمة والقبة الزرقا
ودور الحريم بقلعة دمشق فحشد الصناع وحشر الرجال وعمل عمارة الجبابرة (?) وقلع
لذلك عدة اعمدة من سوق الغزل الذي بطرف العنبرانيين (?) وحفر الارض ووجد الاعمدة واذا
العمود منها نازل في الارض بعد ظهوره مرة اخرى ونصف وهو على قاعدة مسنة (?) وتعجب
الناس من ذلك ولم يعلموا انما السبب في نزولها في الارض ثم انها جرت بدواليب والات
وعبروا انها من باب السر وبقوا القبة في السور في البدنة وهي اكبر من اعمدة الجامع فاقيمت
وعمل عليها القبو الذي بين يدي القبة وعسف الصناع واستحثهم بنفسه وبنى سانا (?)
جاهليا (?) وزخرفه ودخل فيه اقل من ثلثمائة الف دينار وقد سهرت في عمله ليالي
مع ابي رحمه الله وتكامل جميعه في سبعة اشهر وكان الدهانون يعملون في المعروض (?)
والاساس لم يرتفع بعد وجلب لذلك الرخام المثمن (?) من عكا وصور وبيروت وتلك البلاد
وخرب حمام الملك السعيد الذي تجاه باب السر ولم يكن له نظير في الحسن وخرب
الابنية التي من جسر الزلابية الى قرب باب الميدان وذهبت املاك الناس وتعثروا
وكان هذا المكان ملجا ويعرف بالمسابح (?) وعلى نهر العدل (?) الى خندق القلعة دور
حسنه وفي النهر مركب يركب فيه الشباب للفرجة والتنزه (?) وقد ركبت فيه مع جدي العلم
وانا ابن خمس سنين واعطى للذي في المركب اجرة وكان السلطان لما قدم الى دمشق
انبسط هو وبعض خواصه الملاح على نائب القلعة ارجواش فقال وقعنا في الصبيانية (?)
فغضب السلطان وامر بشنقه والسر عليه ليشنق فيها ثم شفعوا فيه بعد ضرب فحبس
مدة ثم اطلع من الحبس ولزم بيته بلا خبز ثم خلع عليه في رمضان واعطي خبزه واعيد الى
نيابة القلعة ورتب معه بالقلعة الامير سنجر المنصوري وانزل الباطنية (?) الى البلد
وفي رمضان طلب القاضي بدر الدين بن جماعة قاضي القدس وخطيبه على البريد مكرما
وولاه الصاحب ابن السلعوس قضاء الديار المصرية وعزل مداريني (?) لم يترك لقاضي القضاه

تقي

تقي الدين ابن بنت الاعز سوى المدرسة الشريفية فقط وفيها امر الشجاعي فنودي في دمشق
بابطال الغنائم (?) للنسا وان لا تزيد المراة على المقنعة وبابطال صاغات (?) النسا وان لا
يخرجن الى المقابر وغير ذلك وان لا ياكل احد حشيشة ولا يشرب خمرا وتوعد على ذلك
وكان ذا هيبة وسطوة مرهبة فتادب البلد وكانت من حسناته وفيها هلك دعون (?)
ملك التتار (?) وفيها اعيد طوغان الى ولاية البر بدمشق ومن غريب الاتفاقات ان
السلطان قدم واراد النزول يوم الجمعة الى الجامع فطلب من يخطب غير الخطيب ابن المرحل
لكراهيتهم له وشكوه الى الصاحب فطلب الزملكاني فتمنع لعدم التهيؤ فطلب امام
الكلاسة فتغيب فخطب ابن المرحل وزار السلطان الشيخ ابرهيم بن الارموي بالجبل بعد
العشا ولما دخل السلطان مصر اطلق رسل عكا الذين كانوا معوقين بالقاهرة وجاه
رسول الاشكري واطلق السلطان للرسول شرى بيروت وكانوا استنابوه وبلا بين (?) نفسه
واخرج من كان في الجب من الامرا واخرج الخليفة الحاكم بامر الله وكان في ايام ابيه خاملا (?)
لم يطلب منه تقليدا بالملك ولا انفعل لذلك فظهر الخليفة وصلى بالمسلمين وبايعه الملك
الاشرف باشارة الوزير وفي نصف شوال خطب بالناس يوم الجمعة امير المومنين الحاكم
بامر الله وذكر في خطبته توليته للملك الاشرف امر السلطان الاسلام فخطب يومئذ
بالخطبة التي خطب بها في اول سنة احدى وستين وهي مليحة من انشا مؤدبه ومعلمه الامام
شرف الدين ابن المقدسي فلما فرغ من الخطبة صلى بالناس قاضي القضاه بن جماعة وفي رابع
ذي القعدة عملت الختم لتمام السنة من موت السلطان الملك المنصور بتربته وحضر القضاه
والدولة ونزل السلطان وقت الختم والخليفة الحاكم بامر الله وخطب الخليفة وذكر بغداد
وحرض على اخذها وكان قد وخطه الشيب وعليه السواد وانفق في هذا المهم مبلغ عظيم
واحتفل له واما دمشق فان الشجاعي جمع الناس بالميدان ونصب مخيم عظيم سلطاني
ومد سماط هايل وختمت الختمة وتكلم الوعاظ فتكلم اولا وبدا الوقت عز الدين الفاروثي
وتكلم بعده الواعظ نجم الدين بن البزوري وحضر امم وخلايق وكانت ليلة مشهودة وعملت
حلاوات كثيرة وفي شوال امسك الاميران بها الدين قرا ارسلان وجمال الدين اقوش الافرم
الصغير الذي صار نايبا وحبسا بقلعة دمشق وفي ذي الحجة وسع الشجاعي الميدان
من سمايه (?) وعمل فيه حايطا للامرا والعامه وعمل فيه الشجاعي بنفسه وبقاسموه ففرغ في

يومين مع ضخامة حايطه ووصل الامرا الثلاثه على اخبار الذين مسكوا من دمشق والثلاثه
هم ركن الدين الجالق والمشاح وعز الدين ازدمر العلائي وعملت سلاسل عظيمه واظهروا
قصد بغداد وحج بالشاميين الامير بدر الدين الصوابي الخادم وعملت الشعرا القصايد
في فتح عكا فمن ذلك كلمة المولى شهاب الدين محمود رحمه الله الحمد لله زالت دولة الصليب
وعز بالترك دين المصطفى العربي هذا الذي كانت الامال لو طلبت رؤياه في النوم لاستحيت من الطلب
ما بعد عكا وقد هدت قواعدها في البحر للشرك عند البر من ارب عقيلة ذهبت ايدي الخطوب بها
دهرا وشدت عليها كف مغتصب لم يبق من بعدها للكفر اذ خربت في البر والبحر ما ينجي سوى الهرب
ام الحروب فكم قد انشات فتنا شاب الوليد بها هولا ولم تشب سوران بر وبحر حول ساحتها
دارا وادناهما ناي من السحب فجاءتها جنود الله يقدمها غضبان لله لا للملك والنشب
كم رامها ورماها قبله ملك جم الجيوش فلم يظفر ولم يصب لم يلهه ملكه بل في اوايله
نال الذي لم ينله الناس في الحقب فاصبحت وهي في بحرين ماثلة ما بين مضطرم نارا ومضطرب
جيش من الترك ترك الحرب عندهم عار وراحتهم ضرب من النصب يا يوم عكا لقد انسيت ما سبقت
به الفتوح وما قد خط في الكتب لم يبلغ النطق حد الشكر فيك فما عسى يقوم به ذو الشعر والخطب
كانت تمنى بك الايام عن امم والحمد لله شاهدناك عن كثب واطلع الله جيش النصر فابتدرت
طلايع الفتح بين السمر والقضب واشرف المصطفى الهادي البشير على ما اسلف الاشرف السلطان من قرب
فقر عينا بهذا الفتح وابتهجت ببشره الكعبة الغرا في الحجب وسار في الارض سير الريح سمعته
فالبر في طرب والبحر في حرب وخاضت البيض في بحر الدما فما ابدت من البيض الا ساق مختضب
وغاص زرق القنا في زرق اعينهم كانها شطن تهوي الى قلب احرقت الى البحر من دمايهم
فراح كالراح اذ غرقاه كالحبب فليشراك يا مالك الدنيا لقد شرفت بك الممالك واستعلت على الرتب
ما بعد عكا وقد لانت عريكتها لذي بك شي بلا اقبه على تعب ادركت ثار صلاح الدين اذ عصيت
منه فسطواه الله في العقب بانت وقد جاوزت اسرا وعدت طوع الهوى في يدي جيرانها
وجالت النار في ارجايها وعلت فاطفات ما بصدور الدين من كرب اضحت ابا لهب تلك البروج وقد
كانت تعلنقها حمالة الحطب واملت البحر منهم من يخبر بلقاه فرقومه بالويل والحرب
وتمت النعمة العظمى وقد كملت بفتح صور بلا حصر ولا نصب لما رات اختها بالامس قد خربت
كان الخراب لها اعدى من الجرب ان لم يكن ثم لون السم مصعقا بها اليها والا السن اللهب

فانه

فالله اعطاك ملك البحر وابتدات لك السعادة ملك البر فارتقب من كان مبداه عكا وصور معا
فالصين ادنى اليه كفيه من حلب وله قصيدة اخرى في عكا مدح بها الشجاعي
الشرك اخلى واخلت ظلماته والدين قر واشرق قسماته والنصر الوف بالفتح رباحه
من بعد ما فتكت بهم نشاته هذا الذي كانت تحله المنى وتحله قدم العدى وثباته
هذا الذي كان الرجا بعضه بعد النفوس ولا تصعداته هب الزمان من الكرى فرعفوا طالت
ما كان يحسن ان تجاورنا العدى لولا العزيز غفل الجهاد سباته والان قد ذهبت بحمد الله عن ارض
وتفرقت ايدي سبا وسباهم جمعت بزعمهم لنا اشتاته منها فغدت ومن فيها لامس بعثرت
ارجاوه وتمزقت امواته بانوا فما بكت السما عليهم في ربعهم بل احرقت عرصاته
وعمى الى صور الحديث بجرحهم اذ خلقت بدمايهم صفحاته وهي مايه وخمسون بيتا

الطبقه السبعون سنه احدى وتسعين وستمايه

في صفر امر نايب دمشق وهو الشجاعي بانزال الكاس النحاس البراق من القلعه الى الجامع فانزل والمودنون
بين يديه يكبرون والصبيان يصيحون الى ان وضع موضع البراده وقلعت البراده ولم
يكن هذا الكاس متفقوا با مقبه المزجون في ايام وهو كاس كانه هناب مزجرج يسع نحو
عشر ارطال ماء او اقل وحجره من جنس العموجب اللذين عن جنبتي محراب جامع دمشق
جمرا ملس بصاص مانع بليل الوقوع ثم اجرى فيه الماء وسمر به المعرفتين مع المركن وشربنا
منه ثم اخذوه الى القلعه وعمل في دار السلطنه بعد ايام وفيه اخرب حمام الملك
السعيد ولم يكن بالشام باسرها حمام احسن منه ومغله عظيم وكان بينه وبين باب السر
الذي للقلعه نحو عشرين ذراعا واخذوا من حجارة بابه وعملوها على باب السر وخربوا
ما حوله من الدور وغيرها وفيه كان البناء في القلعه والطارمه بعد وشهر واعتهاد
عظيم وبني باب الميدان باعمدة كانت في القلعه وعمل له حيطان هايله العرض واقيمت
الامرا عليه واتم في زمن يسير بهمه عاليه وسرعه زايده وفي ربيع الاول خطب امير المومنين
الحاكم بامر الله يوم الجمعه بجامع قلعة الجبل خطبه جهاديه فقيل هي التي لقنه اياها
شيخنا الشيخ شرف الدين بن المقدسي وولي خطابة دمشق الشيخ عز الدين احمد
ابن الفاروثي وخرج بعد يوم بالناس الى الصحرا للاستسقا وحضر ايا ميدان الحصى
وذلك في وسط اذار وبعد يوم او يومين حصل للغوطه صقعه شديده اعطبت الصحى

والنفاد ولم يعهد مثلها من نيف وعشرين سنة وفي يوم الاثنين بعد جمعة خرج الناس
ايضا للاستسقا الى قرب مسجد القدم وخطب الفارقي ومشى نايب السلطنة
السلطنة الشجاعي والحبشي والخلايق وابتهلوا الى الله ثم رزق الله الغيث وحلت الرحمة
وفيه درس الشيخ صدر الدين عبد البر بن رزين بالقيمرية لسفر مدرسها القاضي علا الدين
احمد قاضي القضاة تاج الدين بن بنت الاعز وفيه اعني ربيع الاخر انتهت عمارة دار
السلطنة بقلعة دمشق ودخل فيها نحو اربعمايه الف دينار في الزخرفة وعمل الباب
للسلطان دهليز اعظمها الى الغاية طول عموده بضعة وثلاثون ذراعا غاشيته
وصلات لا يمكن الشخص ان يحضنه والفلكة التي في اعلاه كانها فردة طاحون وهي
من هذه النسبة وتنوع في كل عمل حاجه وغرم عليها اموالا ونصب بالميدان ليراه السلطان
فقاسوا المشاق حتى انتصب فجا هوا عاصف فرماه فشرعوا في عمل دهليز اصغر منه وفي
جمادى الاولى دخل دمشق الملك الاشرف ثم صلى بجامع دمشق يوم الجمعة بالمقصورة
واسرجت له شموع كثيرة وخلع على الخطيب عز الدين الفاروثي واقام السلطان بدمشق
عشرة ايام وسار الى حلب فدخلها في اواخر الشهر بالجيوش وفيه درس الشيخ صفي
الدين الهندي بالظاهرية بعد رواح مدرسها ابن بنت الاعز الى مصر وفيه نكح الامير
شمس الدين الاعسر ابنة الصاحب شمس الدين بن السلعوس على الف وخمسماية دينار وفيه
حبست الشيخة البغدادية وتعصب عليها جماعة من الاحمدية وادخلت فصرخت وقالت انا الا
انزل النهي عن المنكر ثم سلمها الله بحسن نيتها وفي ثاني جمادى الاخرة نازل السلطان وجيوشه
قلعة الروم وحاصرها اشهرا وثلاثة ايام وفيه نزل الفاروثي عن تدريس النجيبية للشيخ
ضيا الدين عبد العزيز الطوسي وفيه وقع من اخي ربيبي المودني البرهان امر صعب
وهو انه وعد اسود بحيلة في النزول على حرم السلطان الذين تركهم بالقلعة واحضر
سلما وارادا التسلق منه ففطن لهما واخذا وكوتب فيهما فجا الامر بتسميرهما فسمرا وماتا
وفي حادي عشر رجب فتحت قلعة الروم بالسيف عنوة ودقت البشاير ورسم للبلاد
وترحل السلطان وبقي عليها عسكر الشام والشجاعي لعمارتها وترميم ما تشعث بالمجانيق
فقدم السلطان حلب وعزل عنها قراسنقر المنصوري وامر عليها سيف الدين بلبان
الطباخي المنصوري متولي الساحل وامر على السواحل طغريل الايغاني وامر على قلعه

الروم

الروم الامير عز الدين الموصلي وفيه فتح الشجاعي الزاكات وهي معاقل الارمن على الفرات
واخذ منها نحوا من الف نفس وفيه بدت من الجمال المحقق معيد القيمرية هفوة في الدين
فقام مدرس القيمرية صدر الدين بن رزين وشكاه وجرت امور واوجب ان المحقق اسلم
عند القاضي شرف الدين الحنبلي وحكم باسلامه وحقن دمه وترك اعادة القيمرية وقايض
نجم الدين الدمشقي الى اعادة الرواحية وفي تاسع شعبان دخل السلطان دمشق مويدا
منصورا والاسرى بين يديه منهم خليفة الارمن واما نايب السلطنة بيدرا وسنقر
الاشقر وقرا سنقر وبكتوت العلاي وكثير من الجيش فساروا الى بعلبك ثم الى الجبل الجرد ثم
ووافاهم من الساحل ركن الدين طقصوا وعز الدين ايبك الحموي ونزلوا على الجبل فحضر ال
بيدرا من فترة همته عنهم وتمكنوا من اطراف الجيش في تلك الجبال الوعرة ونالوا منهم فرجع
الجيش شبه المهزومين وحصل للجبليين الطمع والقوة ثم هادنهم الدولة وخلع
على جماعة منهم وحصل بذلك للعسكر وهن ثم مرض بيدرا بدمشق فعاتبه السلطان
فتالم ومرض وزاره السلطان ثم عوفي وعمل السلطان ختمة بجامع دمشق لعافيته
وليلة نصف رمضان توفي صدران كبيران موقعان عريقا النظيع فتح الدين محمد بن محيي
الدين بن عبد الظاهر ومن الغد توفي سعد الدين الفارقي وفي رمضان احضر الامير
علم الدين الدواداري من حبس الديار المصرية الى دمشق وانعم عليه السلطان واعاده
الى الامرة وافرج عن امواله وحواصله ثم سار صحبة الركاب الشريف وفيه ولي خطابة
دمشق موفق الدين محمد بن محمد بن حبيش الحموي عوضا عن الشيخ عز الدين الفاروثي فباشر
يوم الجمعة الثاني والعشرين من رمضان وحضر السلطان يومئذ بالمقصورة وهرب
الامير حسام الدين لاجين بسبب مسك الامير ركن الدين طقصوا وسلط وخرج
السلطان الى المرج في طلبه ونادت المناديه بدمشق على الامير لاجين وفي سابع
شوال دخل الشجاعي بعسكر دمشق ابن من ناحية قلعة الروم وقد فرغوا من شغلهم
ويومئذ قيد شمس الدين الاعسر وبعث الى مصر وعزل الشجاعي عن نيابة دمشق بعز
الدين الحموي وتوجه السلطان الى مصر في عاشر شوال بتجمل وبات اهل الاسواق بظاهر
البلد مزينين بالشمع الى ميدان الحصى واما لاجين فلما هرب قصد بعض امرا العرب
بارض صرخد وطلب منه ان يوصله الى الحجاز فقبض عليه واتى به الى السلطان يوم الرابع

من شوال فعنقه وبعث به الى مصر ثم قبض سنقر الاشقر وبعثه ايضا وولى جمال الدين بن
صصري نظر الدواوين واعفي من ذلك محيي الدين بن النحاس وعوض بنظر الخزانة
وعزل امين الدين بن هلال ويوم تاسع عشر شوال توجه الركب واميرهم سيف الدين
ماسطي المنصوري وبومئذ مسك علاء الدين بن الجابي خطيب جامع جراح واخذ ماله
وانهم بضرب الزغل وكان مغريا بالكيميا فضرب وحبس مدة ثم اطلق بعد شهر ونصف
وفي ذي القعدة دخل السلطان مصر وافرج عن حسام الدين لاجين واعطاه نيابة
فارس وفي ذي الحجة قدم الشام لحمل نيابة فارس بن لسادمقفرين وتوجهوا الى
القاهرة وفي اواخرها وقيل في اول سنة اثنتين احضر السلطان من بقي من سنقر
الاشقر وطقصوا وعاقبهم فاقروا انهم عزموا على قتله وان حسام الدين لم يكن معهم
فامر بهم فخنقا بوتر وافرج عن لاجين بعد ان كان الوتر في حلقه وقيل خنق وترك
باخر رمق فشفع فيه سدرا والشجاعي فاطلقه وانزل لاخرانه الى البلد فسلما الى
اهاليهما واهلك معهما امرا منهم جرمك وسعران والهاروني ذكر القصيدة التي
انشاها المولى شهاب الدين محمود في السلطان وقيل انها لغيره فقد سالته عنها
فلم يعرفها وانما هي لشاعر من تجار بغداد مات سنة بضع وسبعمائة سمعها منه ابن مسلم
وبعد ذلك ظهر انها للمولى شهاب الدين واخرجها بالخط العتيق وحدث بها سمعها
منه العلائي وغيره
لك الراية الصفرا يقدمها النصر فمن لعاد ان راها ولحسر
اذا خفقت في الافق هدت بنودها هوى الشرك واستعلى الهدى وانجلى الثغر
وان نشرت مثل الاصايل في وغى جلا النقع من لالا طلعتها البدر
وان يممت زرقا لعدى سار تحتها كتايب حمر دوحها البيض والسمر
كان مثار النقع ليل وخفقها بروق وانت البدر والفلك الحمر
فكم وطيت طوعا وكرها معاقلا مضى الدهر عنها وهي عانسة بكر
وان رمت حصنا سابقتك كتايب من الرعب اوجيش تقدمه النصر فلا حصن الا وهو سجن لاهله ولا جند الا لا رواحهم قبر
قصدت نجمي من قلعة الروم لم يبح لغيرك اذ غرتهم المغل فاغتروا وما المغل يا كفار فكيف بارمن
ولكنهم غروا وكلهم كفر صرفت اليهم همة لو صرفتها الى البحر لاستولى على مده الجزر
وما قلعة الروم التي حلت فتحها وان عظمت الا الى غيرها جسر طليعة ما ياتي من الفتح بعدها

كا

كما لاح قبل الشمس في افق الفجر مجمعة بين الجبال كانها اذا ما بدت في ضباب هامسو
تفاوت نصفاها فللحوت فيهما مجال وللنسرين منها وكر فبعض يسمى حتى علا الماء فوقه
وبعض سما حتى هما دونه القطر احاط بها نهران تبر دونهما كما لاح يوما في فلا بين البحر
فبعضهما العذب الفرات وانه لتحصينها كالبحر بل دونه البحر شريعا تفوت الطرف جرياو حدة
كرع سليمان التي يوما شهر فصبحتها بالجيش كالروض بهجة صوارمه انهاره والقنا الزهر
وابعدت بل كالبحر والبيض موجه وجرد المذاكي السفن والخود الدر واغرب بل كالليل عوج مسوفه
اهلته والنبل انجمه الزهر واخطات لا بل كالنهار فشمسه محياك والاصال راياتك الصفر
ليوث من الاتراك اجامها القنا لها كل يوم في ذرى ظفر ظفر فلا الريح تسري سهم لاتنشاكها
عليهم ولا ينهل من فوقهم قطر عيوث اذا الحرب العوان تعرضت لخطابها بالنفس يعلمها نهر
ترى الموت معقودا بهدب نبالهم اذا ما رماها القوس والنظر الشزر
وفي كل قوس مده ساعد بدر فلو وردت ماء الفرات جيولهم لقيل هنا قد كان فيما مضى نهر
ادارو بها سودا فاضحت كخنصر لذي خاتم او نقطة منطق فحصر كان المجانيق التي قمن حولها
رواعد سخط وبلها النار والصخر اقامت صلاة الحرب ليلا صخورها فاكثرها شفع واقلها وتر
لها اسهم مثل الافاعي طوالها فوائدها الا ان فتكها السر سهام حكت سهم اللحاظ فقتلها
وما فارقت جفنا وهذا هو السحر منها فيتركل ارض ما لمتبيح واحدا وان عضت التكور
فسرحت ما تختار فالارض كلها بحكمك والامصار اجمعها مصر سنة اثنتين
وتسعين وستمائة في المحرم حكم بدمشق القاضي حسام الدين الحنفي للعماكين بصحة
نسبهم الى جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه بعد ان شغو وتعبوا وفي المحرم طار ريح
عظيم على الركب بمعان وبرد وشقه وفيه انزل لصدر الدين بن الوكيل جوه شيخنا
التاج بن ابي عصرون عن تدريس الشامية الجوانية وفيه طلب السلطان من صاحب
سيس قلعة بهسنا ومرعش وتل حمدون انما بهسنا فكانت للناصر صاحب حلب وبها
نوابه فلما اخذ هولاكو البلاد كان في بهسنا الامير سيف الدين العقرب فباعها الصا
سيس بمائة الف درهم وسلمها اليه فعظم على المسلمين منها ضرر فاذعن صاحب سيس بتسليمها
واضعف الحمل مع ذلك وتسلمها نواب السلطان في رجب ودقت البشاير وفي المحرم
قدم الدوادار وجماعة امرا الى دار المصر وعز الدين ايبك الخزندار متوليا نيابة

طرابلس عوضاً عن سيف الدين طغريل الايغاني ونوح الى حلب ابن ملي وولي بعده تدريس
الرواحية الشيخ كمال الدين بن الزملكاني وفيها ظهر السلطان الملك الناصر دام بقاؤه
وابن اخيه موسى بن الملك الصالح واحتفلوا لذلك بالقلعة احتفالاً زايداً وفيها
عمل السلطان دهليز جليل اطلس مزركش بطراز وغرم عليه اموال كثيرة وفيها ولي
والي البريد بدمشق سيف الدين سندمر في رجب وحج بالناس الامير بكتاش الطيار
وفي صفر جاءت زلزلة هدمت وانكت في غزة والرملة والكرك وسار من دمشق امراء
وعدة من الحجارين والصناع لاصلاح ما تهدم من ابرجة الكرك وفيها مسك الامير عز
الدين ايدمر العلائي وقيد بدمشق وبعث الى مصر وتوجه من دمشق شمس الدين
سنقر المساح بطلب الى مصر وجاء على خيل البريد مشد دمشق بلبان الحلبي الخزندار وفي
ربيع الآخر توجه على البريد الى مصر صاحب حماه وعمه الملك الافضل علي وجاء مملوك لسيف
الدين طغجي بمرسوم بالحوطة على ابن جراده فمسك ونقل الى مصر واخذ ماله ونكب وفيه
تردد غياث الفرنج في البحر الى الساحل وشعثوا انطرسوس وطلعوا الى صيدا
وفي جمادى الاولى عزم السلطان على البيكار وتقدمه الامرا عسكر فيها اقليمات ومونه
من الناحية القبلية وقدم الصاحب بن السلعوس في جمادى الآخرة ثم قدم بعده بيدرا
نايب السلطنة ثم السلطان فنزل بالقصر ومنه تسلم نواب السلطان حصنين
للارمن وهما كروبوب وابوما ثم تسلموا حصن بكا رد وقد كان السلطان في مجيه
مر بقلعة الشوبك وبالكرك ثم بعث جماعة لخراب قلعة الشوبك ثم خرج الى المرج
وفي رجب دخل دمشق الامير الكبير حسام الدين لاجين وصحبته الامير مهنا
ابن عيسى واخوته محتاطاً عليهم وذكر ان السلطان امر بالقبض عليهم عند سلميه
لامر نقمه عليهم وفي اثنا رجب رجع السلطان الى الديار المصرية ودرس بعد
الشيخ تقي الدين بن الواسطي بمدرسة الشيخ ابي عمر العقيبة شمس الدين بن التاج ثم
عزل بعد ثمانية اشهر وفي شعبان سافر طوغان نايباً على قلعة الروم وفي اخر رجب انكسفت
الشمس وصلي بجامع دمشق خطبة موفق الدين الحموي وخطب وفي رمضان جا الى دمشق
مرسوم بالزام الدواوين بالاسلام ومن امتنع يوخذ منه الف دينار فاسلم اربعة
في ثامن رمضان وفي شوال بلغنا ان السلطان صادر الامير عز الدين الافرم ايبك

وضيق

وضيق عليه واخذ منه اموالاً كثيرة واعطي خبره الامير حسام الدين لاجين المنصوري
ابن الواسطي ابرهيم بن علي بن احمد بن فضل الامام القدوة الزاهد تقي الدين مسند
الشام ابو اسحق بن الواسطي الصالحي الحنبلي احد الاعلام ولد سنة اثنتين وستماية
وسمع من ابي القاسم بن الحرستاني وابي عبد الله بن البنا وابي البركات بن ملاعب
وابي الفتوح بن الجلاجلي وموسى بن عبد القادر وابن راجح والشيخ الموفق وابن ابي لقمة
وابن البن وطايفة سواهم بدمشق وابي محمد الاستاذ بحلب والفتح بن عبد السلام وعلي
ابن بوريدار وابي منصور محمد بن عفيجة وابي هريرة بن الوسطاني وابي المحاسن بن السبع
وابي علي بن الجواليقي والمهذب بن قنيدة ومحاسن الخزايني وابي منصور احمد بن البراج
وابي حفص السهروردي وعمر بن كرم ومحمد بن ابي الفتح بن عصية وياسمين بنت البيطار
وشرف النسا بنت الابنوسي وطايفة واجاز له ناهر الثقفي وابو الفخر اسعد بن روح
وجماعة من اصبهان وابو احمد بن سكينة وابن طبرزد وابن الاخضر وطايفة من بغداد
وعبد الرحمن بن المعزم من همدان وانتهت الرحلة اليه في علو الاسناد وحدث بالكثير
وكان فقيهاً عارفاً بالمذهب درس بمدرسة الصالحية بالجبل وولي مشيخة الحديث
بالظاهرية استنابه بها عز الدين الفاروثي فباشرها الى ان مات وكان صالحاً عابداً
قانتاً خاشعاً امراً بالمعروف قوالاً بالحق مهيباً في ذات الله صحابياً فيه كبير التلاوة
والاوراد حتى قال العيش سالت ابا الحجاج الحافظ عنه فقال احد المشايخ المشهورين بالعلم
والعمل والاجتهاد ومن انتهى اليه في اخر عمره علو الاسناد ورحل اليه من اقطار البلاد
وسمع الكثير بالشام والعراق **قلت** سمع منه البرزالي وابن سيد الناس وقطب
الدين الحلبي والمزي وابنه والشهاب النابلسي وابن المهندس وشيخنا ابن تيمية واخوته
والفخر عبد الرحمن بن محمد البعلبكي واخوه عبد الله وبدر الدين بن غانم وخلق كثير
ولي منه اجازة وانتقل الى رحمة الله في اخر يوم الجمعة الرابع عشر من جمادى الاخرة
ودفن من الغد بتربة الشيخ الموفق وكان الشيخ عز الدين الفاروثي مع جلالته وسنه يمضي
اليه ويجلس بين يديه ويقرا عليه الحديث رحمهما الله وكان على كبر سنه يقرا بالختمة في ركعة
سنة ثلاث وتسعين وستماية في ثاني عشر المحرم قتل السلطان الملك الاشرف بتروجة
اقدم عليه نايبه بيدرا وعطف عليه بالسيف لاجين ثم قتل بيدرا من الغد وحلفوا للسلطان

الملك الناصر ناصر الدين محمد بن المنصور وهو يومئذ ابن تسع سنين وهلك الصاحب
ابن السلعوس تحت العقوبة المفرطة فلما كان العشرين من صفر بلغ المتولي نيابة
السلطان كتبغا ان الشجاعي يريد قتله فتحرز واعلم جماعة من طاغية الدين يبغضون
الشجاعي ثم ركب في الموكب فقال له امير ابن حسام الدين لاجين قال انا هو عندي قال
بل هو عندك ثم مد يده الى سيفه فبدره الازرق مملوك كتبغا وضربه حل كتفه وسقط
وذبحوه بسوق الخيل ثم مال اكثر الجيش مع كتبغا ومالت البرجية وبعض الخاصكية الى
الشجاعي لكونه انفق فيهم في الباطن فيما قيل ثمانين الف دينار ثم قتل الشجاعي بعد
ايام كلمة من جنته ويوم نصف المحرم حضر الى الخدمة اميران سيف الدين بهادر راس
النوبة وجمال الدين اقوش الموصلي الحاجب فوثب عليهما الخاصكية فقتلوهما واحرقوا
جثتيهما ورتبوا الحسام استدادار اتابكا للعسكر وطلبوا الامراء المتفقين مع بيدرا
على قتل الاشرف فاختفى لاجين وقراسنقر ولم يقفوا لهم على اثر وقبضوا على الامراء
سيف الدين نغيه وسيف الدين الناق وعلاء الدين الطنبغا الجمدار وشمس الدين
اقسنقر مملوك لاجين وحسام الدين طرنطاي السلحدار ومحمد خواجا وسيف الدين
اروس وفي خامس صفر فامر السلطان بقطع ايديهم ثم سمروا على الجمال وطيف بهم ومعهم
راس بيدرا ثم ماتوا ه وفي المحرم خسف القمر وصرف من قضاء الديار المصرية ابن جماعة
بابن بنت الاعز واخرج عن عز الدين الافرم ورتب في الوزارة تاج الدين محمد بن فخر
الدين بن حنا ه وفي صفر ولي ولاية دمشق عماد الدين بن حسن بن النشابي عوضا
عن عز الدين بن ابي الهيجاء ه وفي صفر درس في الجامع امام زايد محراب الصحابة وهو
كمال الدين عبد الرحمن بن قاضي القضاة محيي الدين بن الزكي واستمر الى الان وفي
ربيع الاول عاد اهل سوق الحريري الى سوقهم وكان ابن جراده وكيل طغجي قد الزمهم
سكناهم في قيسارية القطن من السنة الماضية وفيه قدم على حسبة دمشق ونظر
ديوان نائب السلطنة كتبغا الرئيس شهاب الدين احمد الحنفي ومعه عدة خلع لبسها
في ايام متوالية ولبس خلعة الحسبة بطرحه وارتفع شانه وفي رجب قدم دمشق القاضي
صدر الدين عبد البر بن قاضي القضاة تقي الدين بن رزين على وكالة بيت المال فباشر نصف
شهر واعيد تاج الدين بن الشيرازي ه وفي رجب ركب الملك الناصر بابهة الملك وشق القاهرة

صح السلطان

وضرب

وضرب البشاير بدمشق وزينوا وفيها تقلد عز الدين الحموي باستمرار النيابة وتقليد
الاعسر باستمرار الاعسر وتقليد صاحب حماه بملكه وفي شعبان درس بالمسرورية جلال
الدين اخو القاضي امام الدين بعد الركن بن القليني ه وفي رمضان جرد الامير علم الدين
الدواداري بتقدمة الى ناحية حلب وفي اواخر رمضان ظهر الامير حسام الدين لاجين
من الاختفاء بالقاهرة بوساطة نائب السلطنة كتبغا فدخل الى السلطان فانعم عليه
واعطاه خبز بكتوت العلائي الذي توفي وحج بالشاميين عز الدين ايبك الطويل وفي
ذي القعدة ولي نظر الدواوين الصاحب امين الدين سالم بن محمد بن صصرى عوضا عن
ابن عمه المتوفى جمال الدين وفي ذي الحجة قدم قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة على قضاء
الشام عوضا عن المتوفى القاضي شهاب الدين بن الخويي ه وفي ذي الحجة اخرجت الكلاب
من دمشق بامر ابن النشابي وشدد على البوابين في منعهم من الدخول ودام منعهم
شهرا او نحوه ثم دخلوا ه وفيها كانت فتنة عساف بدمشق ورجم العوام له لكونه حمى
نصرانيا سب النبي صلى الله عليه وسلم فقبض الحموي النائب على جماعة من العلماء وضرب
الشيخ زين الدين الفارقي رحمه الله واعتقل عليه مع ابن تيمية وطايفة بالعذراوية مدة
فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم **الملك الاشرف** خليل بن قلاوون السلطان
الملك الاشرف صلاح الدين ولد السلطان الملك المنصور سيف الدين الصالحي النجمي جلس
على تخت الملك في ذي القعدة سنة تسع وثمانين وستمائة واستفتح الملك بالجهاد وسار
فنازل عكا وافتتحها ونظف الشام كله من الفرنج ثم سار في السنة الثانية فنازل قلعة
الروم وحاصرها خمسة وعشرين يوما وافتتحها وفي السنة الثالثة تجهز لفتح قلعة
بهسنا من عمال الى دمشق ولو طالت حياته لاخذ العراق وغيرها فانه كان بطلا شجاعا
مقداما مهيبا عالي الهمة يملا العين ويرجف القلب رايته مرات وكان ضخما سمينا كبير
الوجه بديع الجمال مستدير اللحية على وجهه رونق الحسن وهيبة السلطنة وكان الى
جوده وبذله الاموال في اغراضه المنتهى وكان مخوف السطوة شديد الوطاة قوي البطش
تخافه الملوك في امصارها والوحوش الغادية في اجامها اباد جماعة من كبار الدولة وكان
منهمكا على اللذات لا يعبا ما يتجوز على نفسه لفرط شجاعته وما احسبه بلغ ثلاثين سنة
ولعل الله عز وجل قد عفا عنه واوجب له الجنة على كثرة ما فرط في جنب الله نسال الله العفو

والغائبه ٥ ولما كان في المحرم توجه من القاهرة هو ووزيره الصاحب الكبير شمس الدين
وامراء دولته فلما وصل الى الطرانة فارقه الوزير الى الاسكندرية فقدمها وعسف وصادر
ونزل السلطان بارض الحمامات للصيد واقام الى يوم السبت ثاني عشر المحرم فلما كان وقت
العصر وهو منفرد حضر نائب السلطنة بيدرا وجماعة امرا وقد كان السلطان امره بكرة
ان يمضي بالدهليز ويتقدم ويبقى هو متصيد وليعود الى الدهليز عشيه فاحاطوا به وليس
معه الا شهاب الدين بن الاشل امير شكار فبدره بيدرا فضربه بالسيف قطع يده
وضربه حسام الدين لاجين على كتفه حلها وصاح من يريد الملك هذه تكون ضربته يشير الى
بيدرا فسقط السلطان ولم يكن معه سيف فيما قيل بل كان في وسطه بند مشدود ثم جا
سيف الدين بهادر راس النوبة فادخل السيف من اسفله فشقه الى حلقه وتركوه طريحا
في البرية والتفوا على بيدرا وحلفوا له وساق تحت العصائب يطلب القاهرة وسمي فيما
قيل بالملك الاوحد وبات تلك الليلة واصبح يسير فلما ارتفع النهار اذا بطلب كبير قد
اقبل يقدمه الامير زين   كتبغا وحسام الدين استادار يطلبون بيدرا بدم استاذهم
وذلك بالطرانة فحملوا عليه فتفرق عنه اكثر من معه فقتل في الحال وحمل راسه على رمح
وجاوا الى القاهرة فلم يمكنهم الشجاعي من التعدية وكان نائبا للسلطنة في ملك السفن
فامر بالشواني والمراكب كلها فربطت الى الجانب الاخر ونزل الحبشي على الجانب الغربي
ثم مشت بينهم الرسل على ان يعملوا في السلطنة اخا السلطان وهو المولى السلطان الملك
الناصر ايده الله فتقرر ذلك واجلسوه على التخت السلطاني في يوم الاثنين رابع عشر المحرم
بان يكون اتابكه كتبغا ووزيره الشجاعي واختفى حسام الدين لاجين وغيره ممن شارك في
قتل السلطان قال شمس الدين الجزري في تاريخه حدثني الامير سيف الدين ابو بكر بن
المحفدار قال كان السلطان رحمه الله قد بعثني بكرة الى بيدرا بان يتقدم بالعسكر
فلما قلت له ذلك نفر بي وقال السمع والطاعة كم يستعجلني ثم اني جئت الى الزردخاناه والعلم
الذي لي وركبت معها انا ورفيقي الامير صارم الدين الفخري وركن الدين امير جندار عند
الغروب سايرين واذا بنجاب فقلنا اين تركت السلطان فقال يطول الله اعماركم فيه
فبهتنا واذا بالعصائب قد لاحت ثم اقبل الامراء وفي الدست بيدرا فجينا
وسلمنا ثم سايره امير جندار فقال يا خوند هذا الذي تم كان بمشورة الامراء قال نعم انا قتلته

بمشورتهم

بمشورتهم وحضورهم وها هم حضور وكان من جملتهم حسام الدين لاجين وبهادر
راس النوبة وشمس الدين قراسنقر وبدر الدين بيسري ثم شرع بيدرا ذنوبه وهناته
واهماله لامور المسلمين واستهتاره بالامرا وتوزيره لابن السلعوس ثم قال رايتم
الامير زين الدين كتبغا قلنا لا فقال له امير يا خوند كان عنده علم من هذه القضية
قال نعم هو اول من اشار بها فلما كان من الغد جا كتبغا في طلب نحو الفين من الخاصكية
وغيرهم والحسام استادار الدار موس كتبغا وقصد بيدرا وقال يا بيدرا اين السلطان
ثم رماه بالنشاب ورموه كلهم بالنشاب فقتلوه وتفرق جمعه وسيروا راسه الى القاهرة
قال فلما رايت ذلك التجانا الى الجبل واختلطنا بالطلب الذي جا فعرفنا بعض اصحابنا
فقال لنا شدوا بالعجلة مناديلكم في رقابكم الى تحت الابط يعني شعارهم قال ابن المحفدار
وسالت شهاب الدين بن الاشل كيف كان قتل السلطان قال جا اليه بعد رحيل الدهليز
الخبر ان بتروجه طير كثير فقال لي امش بنا حتى نسبق الخاصكية فركبنا وسرنا فراينا
طيرا كثيرا فرمى بالبندق وصرع كثيرا ثم قال انا جيعان فهل معك شي تطعمني فقلت ما
معي سوى فروجه ورغيف في سولقي قال هاته فناولته فاكله ثم قال امسك فرسي حتى
ابول فقلت ما فيها حيلة انت راكب حصان وانا راكب حجره وما يتفقان فقال انزل
انت واركب خلفي واركب انا الحجره وهي تقف مع الحصان اذا كنت فوقه فنزلت وناولته
لجامها وركبت خلفه ثم نزل هو وجلس يريق الما وجعل يولع بذكره ويمازحني ثم قام وركب
حصانه ومسكت له الحجره حتى ركبت واذا بغبار عظيم فقال لي سق واكشف الخبر فسقت
فاذا بيدرا والامرا فسالتهم عن سبب مجيئهم فلم يردوا علي وساقوا الى السلطان
فبداه بيدرا بالضرب فقطع يده وتممه الباقون ثم بعد يومين طلع والي تروجه وغسلوه
وكفنوه ووضعوه في تابوت ثم سير والي القاهرة الامير سعد الدين كوجبا الناصري
فاحضر التابوت ودفن في تربته والده وكان نقله ليلة الاثنين سنة اربع وتسعين
وستمائة في حادي عشر المحرم تسلطن الامير زين الدين كتبغا التركي المغلي المنصوري
وسمي بالملك العادل وحلف له الامرا بمصر والشام ودانت له البلاد ودقت له البشائر
وله نحو خمسين سنة وهو من سبي وقعة حمص الاولى التي في سنة تسع وخمسين ثم
صار الى الملك المنصور وكان من خواصه في الايام الظاهرية فلما تسلطن جعله امير

مائة فارس فشهد وقعة حمص سنة ثمانين اميرًا قدم في التحليف له الامير سيف الدين
طغجي الاشرفي فحلفوه بدمشق وكان رنكه في ايام امرته هكذا [ ] وفي ايام مملكته
الرايات الصفر وجعل اتابكه الامير الكبير حسام الدين لاجين فجاء من مصر المسعودي
على ديوان الجيش بالشام وجاء الصاحب تونة على وزارة الشام واستسقى الناس في جمادى
الاولى مرتين بدمشق بالصحراء وفي جمادى الاولى ولي الوزارة عوض الصاحب فخر الدين
عمر بن الخليلي وصرف تاج الدين بن حنا وفي رمضان رجع قاضي القضاة نجم الدين بن صصري
من الديار المصرية بقضاء العسكر الشامي وفي رمضان استقرت صلاة محراب الحنابلة
قبل الخطيب وكانوا يصلون بعده فلما زاحمهم امام محراب الصحابة في الوقت اذن لهم في
التقدم وفيه عزل تاج الدين بن الشيرازي من نظر الجامع بالرئيس محيي الدين بن يحيى بن
الموصلي وفي شوال كملت عمارة الحمام الكبير والمسجد والسوق واكثر الحكر الذي انشاه
نائب دمشق عز الدين الحموي بين مسجد باب الفراديس ومسجد القصب وكان يعرف
ببستان الوزير وراتبه مغلة كبيرة ٥ وفي شوال ولي خطابة دمشق قاضي
القضاة بن جماعة بعد موت الشيخ شرف الدين بن المقدسي ٥ وفيها حج بالشاميين
بهاء الدين قرا رسلان المنصوري وولي مشيخة النورية الشيخ علاء الدين بن العطار بعد
ابن المقدسي وولي الغزالية قاضي القضاة نجم الدين بن صصري بعد ابن المقدسي وولي
الامينية للقاضي امام الدين القزويني ٥ وفي شوال كسر النيل بمصر عن نقص بين وغلت
الاسعار ووجل الناس ثم وقع فيهم اوائل الوباء ثم عظم في ذي الحجة واستمر الى السنة
الاتية ٥ وفيها دخل في الاسلام قازان بن ارغون بن ابغا بن هولاكو ملك التتار بوساطة
نوروز التركي وزيره ومدبر مملكته وزوج عمته وتسمى بالعبد محمود اسلم في شعبان
بخراسان على يد الشيخ الكبير المحدث صدر الدين ابرهيم بن الشيخ سعد الدين بن حمويه
الجويني وذلك بقرب الري بعد خروجه من الحمام وجلس مجلسا عاما فتلفظ بشهادة
الحق وهو يتبسم ووجهه يستنير ويتهلل وكان شابا اشقر مليحا له اذ ذاك بضع وعشرون
سنة وضج المسلمون حوله ضجة عظيمة من المغل والعجم وغيرهم ونثر على
الخلق الذهب واللؤلؤ وكان يوما مشهودا وفشا الاسلام في جيشه بحرص نوروز فانه
كان مسلما خيرا صحيح الاسلام يحفظ كثيرا من القرآن والرقائق والاذكار ثم شرع نوروز

بقتل

يلقن الملك غازان شيئا من القرآن واجتهد عليه ودخل رمضان فصامه ولولا
هذا القدر الذي حصل له من الاسلام لكان استباح الشام لما غلب عليه فلله الحمد
الفاروثي احمد بن ابرهيم بن عمر بن الفرج بن احمد بن سابور بن علي بن غنيمة الامام
المقرئ الواعظ المفسر الخطيب شيخ المشايخ عز الدين ابو العباس بن الامام الزاهد
ابي محمد المصطفوي الفاروثي الواسطي الشافعي الصوفي ولد بواسط في السادس
والعشرين من ذي القعدة سنة اربع عشرة وستمائة وقرا القراءات على والده وعلى الحسين
ابن ابي الحسن بن ثابت الطيبي عن ابي بكر بن الباقلاني وقدم بغداد سنة تسع وعشرين
وسمع من عمر بن كرم الدينوري والشيخ شهاب الدين عمر السهروردي وابي المنجى بن اللتي
وابي صالح الجيلي وابي الفضائل عبد الرزاق بن سكينة والانجب بن ابي السعادات وابي
الحسن بن روزبه والحسين بن علي بن رئيس الرؤساء وعلي كبه وابي بكر بن بهروز وسعيد
ابن ياسين وابي بكر بن الخازن وابي طالب بن القبيطي وطائفة سواهم وسمع بواسط
من ابي العباس احمد بن ابي الفتح بن المنداي والمرجا بن شقيرة وسمع باصبهان من الحسين
ابن محمود الصالحاني صاحب ابي جعفر الصيدلاني وغيره وسمع بدمشق من التقي اسمعيل
ابن ابي اليسر وجماعة وروى الكثير بالحرمين والعراق ودمشق وسمع منه خلق كثير منهم
ابو محمد البرزالي فسمع منه بقراءته وقراءة غيره صحيح البخاري وكتابي عبد والدارمي وجامع
الترمذي ومسند الشافعي ومعجم الطبراني وسنن ابن ماجة والمستنير لابن سوار
والمغازي لابن عقبة وفضائل القرآن لابي عبيد ونحوا من ثمانين جزءا ولبس منه
الخرقة خلق وقرا عليه القرآن جماعة منهم الشيخ جمال الدين ابرهيم البدوي والشيخ
احمد الحراني والشيخ شمس الدين بن الاعرج وشمس الدين بن عديم وكان فقيها سلفيا متقنا
مدرسا عارفا بالقراءات ووجوهها وبعض عللها خطيبا واعظا زاهدا عابدا صوفيا
صاحب اوراد واخلاق وكرم وايثار ومروءة وفتوة وتواضع وعدم تكلف له اصحاب
ومريدون يعتقدون بآدابه ويسعون بصحبته في الدنيا والاخرة ويسعهم بخلقه وسخائه
وبسطه وحلمه وماله وجاهه وكان كبير القدر وافر الحرمة له القبول التام من الخاص والعام
وله محبة في القلوب ووقع في النفوس قدم الى دمشق من الحجاز بعد مجاورة مدة سنة
تسعين سمع من ابن البخاري وابن الواسطي وكان حسن القراءة للحديث تولى مشيخة الحديث

بالظاهرية والاعادة بالناصرية وتدريس النجيبية ثم ولي خطابة البلد بعد زين الدين
ابن المرحل فكان يخطب من غير تكلف ولا تلعثم ويخرج الى الجمعة وعليه السواد
فيمشي بها ويشيع جنازة او يعود واحدا ويعود الى دار الخطابة وله نوادر وسجع
وحكايات حلوة في لبسه وخطابته وخطابه وكان طريفا حلو المجالسة طيب الاخلاق
وكان الشجاعي نائب السلطنة قايلا به معظما له وكان يمشي اليه الى دار السعادة
وكان بعض الزهاد ينكر ذلك عليه ثم انه عزل عن الخطابة بموفق الدين بن حبيش الحموي
فتالم لذلك وترك الجهات واودع بعض كتبه وكانت كثيرة جدا وسار مع الركب الشامي
سنة احدى وتسعين فحج وسار مع حجاج العراق الى واسط وكان لطيف الشكل صغير
العمامة يتعانى الرداء على ظهره وكان قد انحنا وانحل واندك من كثرة الجماع والاشتغال
والمطالعة والتهجد في الشيخوخة وخلف من الكتب النفيسة ومايتي مجلدة توفي بواسط
يوم الاربعا سنه اربع في مستهل ذي الحجة وصلي عليه بدمشق صلاة الغايب بعد
سبعة اشهر وسالت الشيخ علي الواسطي الزاهد عن نسبة المصطفوي فقال لي تعال
كان والده الشيخ محيي الدين البغدادي يذكر انه راى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم
وواخاه فلهذا كان يكتب المصطفوي وحدثنا ابن مومن المقري انه سمع الشيخ عز
الدين لما قدم عليهم واسط وقيل له كيف تركت الارض المقدسة وجيت فقال رايت
النبي صلى الله عليه وسلم يقول تحول الى واسط لتموت بها وتدفن عندي والذي قال لي
ابن مومن واخر درس عمله بداره وطلب اليه الفقها وانا حاضر فبقي يلقي الكلام من
درسه ثم يعجب من قوة الضعف وبقي يطلب اليه الفقها ويودعهم ويقول قد عرض لنا
سفر فاجعلونا في حل وبقينا نتعجب من سفره وتذكره وضعف فلما كان بعد ثلاثة
ايام او نحوها توفي الى رحمة الله وعدد لكم من كراماته سنه خمس وتسعين وستمايه
ارسل الى الديار المصرية غلال كثيرة بسبب القحط وفي ثاني عشر المحرم كتب كاتب من مصر
يقدم دمشق في اواخر الشهر سنه ان الاردب بلغ مايه وعشرين درهما وان الرطل
اللحم بالدمشقي بسبعة دراهم وان اللبن رطل بدرهمين وان البيض ست بيضات
بدرهم ورطل الزيت ثمانية دراهم وقلت المعايش بحيث ان الرزاز يسقي عشرين يوما
لا يسع بدرهم وقد افنى الموت خلقا كبيرا واما الشام فلم يكن مرخصا وتوقف المطر

به

٧٧

به وفرح الناس واجتمعنا لسماع البخاري ففتح الله به ولا لعب وفي سلخ صفر
جات اخبار مصر بالغلا وان الخبز كل خمس اواق بالدمشقي بدرهم وان جماعة
غدوا واستبيع لحم الحمير والكلاب مطبوخا واما القمح بدمشق فابيعت الغرارة
بمايه واربعين الى وخمسين درهما وبيع اللحم باربعة دراهم واما الوبا بمصر فيقال
احصي من مات في صفر فبلغوا مايه الف وسبعة وعشرين الفا والله اعلم بصحة ذلك
وفي نصف ربيع الاول جا الخبر من مصر بان الاردب بمايه وستين درهما وان الخبز
بالمصري كل رطل ونصف بدرهم وانه احصي من مات من اول يوم من ربيع الاول
الى اليوم السادس فبلغوا خمسة وعشرين الفا وفيه قدم من الشرق نحو مايه فارس
من التتار باهاليهم متنفرين فسافر بهم الامير شمس الدين قراسنقر المنصوري
الى القاهرة وفي ربيع الاخر وصلت غرارة القمح بدمشق الى مايه وثمانين درهما
وفيه بلغنا ان الشهاب مفسر المنامات بالقاهرة تغير عليه امير القابلية الطبرس
ونهب داره وطلب ولده الكبير عبد الرحمن فهرب والقى نفسه من مكان عال الى بيتهم
فبقي اياما ومات ونسم الشهاب الدنيا لاسما الى الشام فتحول باهله واولاده
وفيه ظهر بدمشق قتل جماعة من حراس الدروب في كل ليلة واحد واثنان حتى قتل
اكثر من عشرة فاحضر الوالي وغلقت الدروب وحددت سرايج في اماكن وخفي الامر
اياما ثم ظفر بواحد مشوش ناقص العقل فقرر فاعترف بانه كان ياتي الحارس
وهو نايم فيدق على يافوخه بلطة فيقتله لوقته فسمروه ثم خنق وجات الاخبار
بان الوبا والمرض بالاسكندرية قد تجاوز الوصف وان الفروج ابيع بها بستة وثلاثين
درهما وانه بالقاهرة بقرب العشرين وان البيض بالقاهرة ثلاثة بدرهم وهلكت
الحمير والقطاط والكلاب ولم يبق حمار للكرا الا في النادر وفي جمادى الاولى
انحط السعر بدمشق فابيع القمح غرارة بماية درهم وفيه توفي بالقاهرة قاضي
القضاة تقي الدين بن بنت الاعز وولي القضا بعده الشيخ تقي الدين بن دقيق
العيد وفي جمادى الاخرة اشتد الغلا بدمشق حتى بلغت الغرارة مايه وثمانين درهما
وبيع الخبز عشر اواق بدرهم ثم تناقص شيا واما مصر فوصلت الاخبار بالرخص
وذهاب الوبا وفيه الجهد وان الاردب نزل الى خمسة وثلاثين درهما ثم جات الاخبار

بنزوله الى خمسة وعشرين درهما وأما الحجاز فكان شديد القحط فيقال ان غرارة القمح
بلغت بالمدينة الى الف درهم وفي شعبان درس في الحنبلية بعد موت ابن المنجا ابن تيمية
شيخنا وفي رمضان قدمت والدة سلامش ابن الملك الظاهر من بلاد الاشكري الى
دمشق فنزلت بالظاهرية ثم توجهت الى مصر ومات المسعودي الامير ببستانه
وجا بعده على ديوان نائب المملكة حسام الدين لاجين مملوكه الامير سيف الدين جاغان
وحج بالشاميين بهادر العجمي وفي ذي القعدة قدم السلطان الملك العادل بالجيش
ودخل دمشق للجمعة وصلى بمقصورة الخطابة وكان اسمر مدور الوجه صغير العين
قصيرا في ذقنه شعرات يسيرة وله رقبة قصيرة وكان يوصف بالشجاعة والاقدام
والدين التام وحسن الخلق وسلامة الباطن والتواضع وترك الفواحش وعدم السفك
للدما وقلة الظلم لكنه كان يضعف عن حمل اعبا الملك ويجوز رأي وحرم ردها
مع ما به من التقوى وحسن الطوية وقدم معه الوزير ابن الخليلي فولى قضا الحنابلة
القاضي تقي الدين سليمان وخلع عليه وعلى بقية القضاة وعلى الوزير تقي الدين توبة
وعلى قاضي العساكر المنصور نجم الدين وعلى اخيه الصاحب امين الدين وعلى المحتسب
شهاب الدين الحنفي وعلى الامرا وعزل من الوكالة تاج الدين ابن الشيرازي وصودر
وولي مكانه نجم الدين ابن ابي الطيب ورسم على سنقر والي البر وعلى المشد شمس الدين
الاعسر وعلى جماعة من الدواوين وصودروا وولي البر علاء الدين الجاكي وطلب
كل الدواوين حيا مكة سنة واخذ مبلغ من شهاب الدين ابن السلعوس وصودر
الوالي ابن النشائي واحيط على دار الاعسر وبالغ في المصادرة جملة من املاكه
في صودر المجيد الضراب وضرب وكثر العسف من الصاحب ابن الخليلي وداخله
ابن هود ولازمه وكشف الامور ثم انه سلطه الله عليه واحتقه ورسم عليه وتقدم
صاحب حماه للخدمة وصلى الجمعة بالمقصورة الى جانب السلطان وبعده امير سلاح
بدر الدين وعن يسار السلطان الشيخ الكبير حسن ابن الحريري واخواه ثم نائب المملكة
حسام الدين لاجين ثم نائب دمشق عز الدين الحموي ثم بدر الدين بيسري ثم قراسنقر المنصوري
ثم الحاج بهادر وخلع على ابن جماعة خلعة خطب بها وسلم عليه السلطان ثم زار المصحف
ولعب بالعيد بالكرة ثم استناب على الشام سيف الدين غرلوا مملوكه وهو شاب اشقر

من ابنا الثلاثين واعطى الحموي صرخد غرلوا مصر ثم اعطي شهاب الدين الحنفي وزارة
دمشق وعزل تقي الدين البيع وتوجه السلطان الى حوسيه بالجيش واقام بالبرية
اياما ودخل حمص ونزل بمرجها سنه ست وتسعين وستمايه في ثاني المحرم
دخل السلطان زين الدين كتبغا دمشق راجعا من حمص ثم صلى الجمعة بالجامع واخذ
من الناس قصصهم حتى قيل انه راى شخصا بيده قصة فتقدم بنفسه اليه خطوات
واخذها منه ثم طلب من الغد بدار العدل وكتب على القصص وولي حسبة دمشق
الزين عمر اخو الصاحب شهاب الدين الحنفي وصلى السلطان الجمعة الثانية من المحرم
بجامع دمشق ثم مشى الى عند المكان الملقب بقبر هود فصلى عنده وصعد في هذا
اليوم الى مغارة الدم وزار ثم صلى الجمعة الثالثة ايضا بالجامع واعطى الملك
الكامل طبلخاناه وفيه قيد سيف الدين ستدمر وحبس وولي الشد فتح الدين ابن صبرة ورسم
للاعسر بان يسافر مع الجيش الى مصر وولي محيي الدين ابن الموصلي وكالة البيسري
وخلع عليه لذلك وسافر السلطان من دمشق في ثاني وعشرين المحرم وخرج القضاة
لتوديع الصاحب ولما كان سلخ المحرم اشتهر بالبلد ان الجيش مختبط واغلق
باب القلعة وتهيا نائب السلطان غرلوا وجمع الامرا وركب بعض العسكر على باب
النصر فلما كان وقت العصر وصل السلطان الملك العادل الى القلعة في خمسة
مماليك فقط وكان قد وصل في اول النهار امير شكار مجروحا وهو الذي اعلم بالامر
فدخل الامرا الى الخدمة وخلع على جماعة واحتيط على نائب السلطنة الحسام لاجين
وحواصله بدمشق وكان الامر لما جرى بغرب وادي فحمة بكرة الاثنين ثامن
وعشرين المحرم وهو ان حسام الدين لاجين قتل الاميرين بتخاص وبكتوت الازرق
العادليين وكانا شهمين شجاعين عزموا على العادل فلما راى العادل الكوشه
خاف على نفسه وركب فرس النوبة وساق ومعه خمسة المماليك فوصل الحس بقدوم
كانه مقدم من الحلقة وعليه عبي ودوابهم قد سقت وكلت والسعادة قد ولت عنه
واما لاجين فساق بالخزاين وركب في دست الملك وساق الجيوش معه وبايعوه
ولم يختلف عليه اثنان وسلطنوه في الطريق وبعد يومين وصل الى دمشق زين الدين
غلبك العادلي ومعه جماعة من مماليك العادل ولزم شهاب الدين الحنفي القلعة لمصالح

السلطنة وتدبير الامور وكان القمح في هذه المدة بنحو ثمانية وثمانين درهما وفي ثالث عشر الدنيا
صفر اشتهر بدمشق سلطنة الملك المنصور حسام الدين لاجين وانه خطب له بالقدس
وغزة وكان العادل قد عزم على مراسلته ثم بطل ذلك واقام هذه المدة بالقلعة وامر
جماعة واطلق بعض المكوس ثم جاء الخبر بزينة صفد ودق البشاير بها وكذلك الكرك
ونابلس فبعث العادل طايفة مع نقيب الناصري لكشف الامر فتوجهوا في ثاني وعشرين
صفر فبلغهم في اليوم دخول السلطان الجديد القاهرة فردوا واتفق في يوم الرابع
والعشرين وصول لحكن والامرا الوجه فلم يدخلوا دمشق بل نزلوا بقرب مسجد
القدم واظهر لحكن سلطنة المنصور واعلن بها فخرج اليه امرا دمشق طايفة بعد طايفة
وتوجه امير الى القاهرة محفوظ العادل زوال ملكه فاذعن بالطاعة وقال لهم بالامرا
هذا الرجل هو خشداشي وانا في خدمته وطاعته وحضر الامير جاغان الحسامي الى القلعة
فقال له العادل انا اجلس في مكان بالقلعة حتى يكاتب السلطان ويفعل ما يرسم به فلما
راى الامرا منه ذلك تركوه وخرجوا واجتمعوا بباب الميدان وحلفوا لصاحب مصر وركب
البريد بذلك واحتفظ بالقلعة وبزين الدين كتبغا وغلقت اكثر ابواب المدينة ثم دقت البشاير
وزين البلد واختفى الشهاب الحنفي ثم من الغد اجتمع القضاة بدار السعادة وحلفت
الامرا بحضورهم وحضور سيف الدين غرلو العادلي النايب واظهروا السرور وحلف
وقال انا الذي عينني للنيابة مولانا السلطان حسام الدين والا فاستاذي كان استصغر في
ثم انه سافر هو وسيف الدين جاغان ثم وصل كتاب السلطان بانه جلس على كرسي الملك
في يوم الجمعة عاشر صفر ويوم مستهل ربيع الاول خطب بدمشق له وحضر بالمقصورة
القضاة والامير شمس الدين الاعسر وكان قد تقدم وسيف الدين لحكن وسيف الدين
سنقر وغيرهم وفي تاسع عشر صفر كان ركوب السلطان بمصر بالخلعة الخليفتية
والتقليد الحاكمي وفي ثامن ربيع الاول توجه من دمشق القاضي امام الدين القزويني
م القاضي حسام الدين الحنفي والقاضي جمال الدين المالكي وفي حادي عشر ربيع الاول
وصل الامير سيف الدين جاغان ودخل الى القلعة هو والحسام استاذ دار وكان
قد جاء الى دمشق في التحليف وسيف الدين لحكن وقاضي القضاة بدر الدين فتكلم السلطة
كتبغا مع الامرا بالتركي كلاما طويلا وفيه عتب عليهم ثم انه حلف يمينا طويلة يقول في اولها

اقول

اقول وانا كتبغا المنصوري انني راض بالمكان الذي يعينه السلطان له ولا يكاتب ولا
يشاور ثم خرجوا من عنده واشتهر ان المكان المعين له صرخد ولم يذكر في اليمين وجامع
جاغان تولية الوزارة للصاحب تقي الدين توبة بدل الحنفي وتولية امين الدين بن هلال
نظر الخزانة وكان قد باشرها شهرا التقي توبة بعد محيي الدين بن النحاس وتولية الحسبة
لامين الدين يوسف الرومي الامام الحسامي صاحب الايكي وفي سادس عشر ربيع
الاول دخل دمشق الامير سيف الدين قبجق المنصوري على النيابة وفي جمادى الاولى
ولي قضا الشام امام الدين القزويني عوض ابن جماعة وولي ابن جماعة تدريس القيمرية
عوض امام الدين وولي الشجاعيات وممن ولي في ايام حسام الدين تقي الدين توبة والملك
الكامل وولي نظر الدواوين فخر الدين بن الشيرجي عوضا عن امين الدين بن صصري وبشاد ن
الاعسر الى مصر فولي بها الوزارة مع الشد وتسلم اليه ابن الخليلي فصادره وفي شعبان
قدم الشريف زين الدين بن عدنان بنظر الدواوين وصرف ابن الشيرجي ثم جاء توقيع بذلك
لامين الدين بن هلال وولي مكانه الخزانة امين الدين بن صصري وخرج بالشاميين الامير كرجي
وخرج الامراء المطروحي وبهادر اص ثم باشر فخر الدين بن الشيرجي نظر الخزانة بدل ابن صصري
وكان حسام الدين قد استناب الدوادار المصرية قراسنقر ثم قبض عليه في نصف ذي القعدة
واستناب مملوكه منكوتمر الحسامي ثم مسك الاعسر في ذي الحجة واحتيط على حواصلهما
سنة سبع وتسعين وستمائة
سافر زين الدين بن القاضي الخليلي في المحرم الى بعلبك
نايبا بها ويوم السابع والعشرين من المحرم دخل الركب الشامي بعد صلاة الجمعة
وفي صفر ولي قضا الحنفية بدمشق جلال الدين بن القاضي حسام الدين واقام والده
بمصر في صحابة السلطان فولاه القضا وعزل القاضي شمس الدين السروجي وفي صفر
عوفي السلطان وركب فدقت البشاير وزينت دمشق وكان قد وقع وانصدعت
رجله وفي ربيع الاخر حدثت اقامة الجمعة بالمدرسة المعظمية بجبل قاسيون وخطب
بها مدرسها الشيخ شمس الدين بن العز وفيه قبض بمصر على الامير بدر الدين بيسري
واعيد الى الوزارة ابن الخليلي وفي جمادى الاولى قدم عسكر مصري عليهم الامير علم
الدين الدواداري متوجهين الى حلب وخرج معه المحدث يوسف بن عيسى الدمياطي
طالب الحديث ثم سار الدواداري وبعض عساكر الشام فنازل ثغر شقيف ووقع الحصار

الى ان حدث بل جهدون في سابع رمضان ودقت البشاير بذلك ثم اخذوا قلعه من
في اواخر رمضان ودقت البشاير لذلك ايضا وجاء علم الدين الدويداري رميه حجر في
رجله وحج بالناس الامير عز الدين ايبك الطويل الحاج وفي شوال قدم الى مصر من
بلاد الاشكري الملك خضر بن الملك الظاهر وقد كان بعثه الى هناك الملك الاشرف
وفيه فرغوا من بنا المدرسة المنكوتمرية بالقاهرة وادرست ودرس بها المدرسون وهي
داخل باب القنطرة وفيه اخذ المسلمون قلعة حميمص وقلعة نجيمه من بلاد الارمن
وفي ذي الحجة جا تقليد من صاحب حماه بالقضا بها للخطيب موفق الدين الحموي فسار من
دمشق ووصل في ذي القعدة من مصر بكتمر السلحدار الظاهري ثم المنصوري على ثلاثة
الاف قاصدين حلب واصيب جماعة من العسكر في حصار قلاع الارمن وفي ذي الحجة
انخسف القمر ومسك بمصر الامير عز الدين ايبك الحموي سنة ثمان وتسعين وستمايه
طال الامر للغزاه بالثغور وسبى بعض الاجناد وضعفوا فجا الامر بالتشديد في ذلك
ونصب مناجنيق تحت القلعة والامر برجوعهم ولا يتخلف احد ابدا فخرجوا باجمعهم مع نايب
السلطنة فنجح في نصف المحرم وفيه عزل ابن الحاكي من البر وجا على ولايته حسام الدين
لاجين المنصوري الصغير وفي سلخ صفر قدم من الغزاه الامير علم الدين الدواداري
وفي ربيع الاول قام جماعة من الشافعية المتكلمين فانكروا على ابن تيميه كلامه في
الصفات واخذوا فتياه الحمويه وردوا عليه وانتصبوا لاذيته وسعوا الى القضاة
والعلما قاطبة وعمهم جلال الدين قاضي الحنفية في الدخول في القضية فطلب الشيخ فلم
يحضر فامر فنودي في بعض دمشق بابطال العقيدة الحمويه او نحو هذا فانتصر له
الامير جاغان المشد واحتج به الشيخ فطلب من سعى في ذلك فاختفى البعض وتشفع
البعض وضرب المنادي ومن معه بالكوانين وجلس الشيخ على عادته يوم الجمعة وتكلم
على قوله وانك لعلى خلق عظيم ثم حضروا الغد عند قاضي القضاة امام الدين رحمه الله
وحضر جماعه يسيره وبحثوا مع الشيخ في الحموية وحاققوه على الفاظ فيها وطال البحث
وقري جميعها وبقوا من ابتدا النهار الى نحو ثلث الليل ورضوا بما فيها في الظاهر ولم يقع
انكار بحيث انفصل المجلس والقاضي رحمه الله يقول كل من يتكلم في الشيخ فانا خصمه وقال
اخو القاضي جلال الدين كل من يتكلم في ابن تيميه بعد هذا نعزره حدا فتبين لك النقه لكن
جلال

جلال الدين انكر هذا فيما بعد والذين سعوا في الشيخ ما اتقوا ممكنا من القذف والسب
ورميه بالتجسيم وكان قد لحقهم حسد للشيخ وبالمواهب بسبب ما هو المعهود من
تغلبته وفطانته وشجاعته عبارته وتوسعه الا انهم المبخي المنكي المثير النفوس ولو
سلم من ذلك لكان انفع للمخالفين لا سيما عبارته في هذه الفتيا الحموية وكان غضبه
فيها لله ولرسوله واسمع بها اناس واقصر بها اخرون ولم يحملوها واشفوا ان يقل هذا
بايام انكر امر المنجمين ومشى الى نايب السلطنة سيف الدين جاغان فامتثل امره
وصغى الى قوله واحترمه وطلب منه كثيرا الاجتماع به فتشوقوا لذلك وفعلوا الذي
فعلوا واعتضد والشيخ دار الحديث وبعث جاغان في الحال جماعة لداره فضربوا المنادي
وجماعة كانوا معه من ذئاب الفقها واختفى صدر الدين بن الوكيل وبدر الدين الاربلي
واستجابه واختفى الامين سالم وغيره وفرغت الفتنه وراى قاضي القضاة اخمادها
وتسكينها قصة قبجق والتكي والسلحدار ودخلهم الى السلطان كان هولاء وغيرهم قد
توحشت خواطرهم وخافوا على انفسهم لما وقع من منكوتمر الحسامي نايب المملكة من
قيامه في اعدامه من الامرا الجرد بن يطلب بالسم وغير ذلك وعلموا ان استاذه لا يريد
خوفهم لمحبته له واعتماده عليه في سائر الامور فاتفقوا على ان مصلحتهم الدخول الى
عند غازان لانهم يلقيهم اسلامه فساروا من حمص في ليلة ثامن ربيع الاخر بالعيهم
والامير بولاد في خواصهم وساقوا على جهة سلميه من حمص ورجع طايفة كبيرة من العسكر
فلما كان بعد عشر ليال من مسيرهم وصل البريد الى دمشق وجماعة قاحه واستقل
السلطان ونايبه ومعهم كرت الحسام استاددار وطغجي وكرجي الواقعه فحلفوا الامرا
للسلطان الملك الناصر واحضر من الكرك وملكوه وهذه سلطنته الثانية وساقوا خلف
قبجق ليرجع مكرما امنا ففات الامر وعلموا بذلك بارض سنجار ثم قبض جاغان والحسام الاعسر
والي البر وادخلا القلعة ثم بعد خمس اتى الخبر بقتل طغجي وكرجي وطيف براس كرجي البلد
قتل السلطان ونايبه منكوتمر والقي طغجي على مزبلة ودفن السلطان عند تربة ابن عبود
ودفن نايبه عند رجليه ثم بعد ايام اخرج من الحبس جاغان ووالي البر ثم جا البريد باستقرار
اتابكية الجيش للامير حسام الدين لاجين استاددار ونيابة المملكة للامير سيف الدين
سلار المنصوري مملوك الملك الصالح علي بن الملك المنصور سيف الدين وفي جمادى الاولى

ركب السلطان بالقاهرة في الدست والتقليد الحاكمي وقد دخل في خمس عشرة سنة وفيه
قدم دمشق على نيابتها جمال الدين الافرم المنصوري فنزل بدار السعادة ثم قدم طلبه بعد
ايام وولي الشد الحاجب المنصوري وولاية البلد جمال الدين ابرهيم بن النحاس وولاية
بر البلد عماد الدين حسن بن النشابي وفيه وقف الدوادار الرواق الذي بداره
وجعل شيخه ابا الحسن بن العطار ونزل فيه عشرة فقها وعشرة محدثين فالقى الدرس
بحضرة الواقف في جمع كبير من القضاه والاعيان والامرا ومدلهم سماطا وفي جمادى
الاخرة ولي نظر الدواوين فخر الدين بن الشيرجي وفي رجب قدم عسكر من مصر عليهم الامير
سيف الدين بلبان الحبيشي وهو شيخ قدم الاخرة وفيه مسك سيف الدين كجكن
وحبس بقلعة دمشق وفي رمضان اخرج الاعز بن الحسن عن وولي الوزاره وقبل ذلك في
شعبان اخرج الامير قراسنقر المنصوري من الحبس واعطي الصبيبة وبلادها فتوجه
اليها وخرج بنا الامير شمس الدين العينتابي وفي شوال جدد مشهد عثمان بجامع دمشق
وكان اكثره معطلا بالالات وحشب وبعضه بيت للخدام فجدد جميعه وبيض وعمل له
طراز مذهب وقرر له امام راتب وذلك في مباشرة ناصر الدين احمد بن عبد السلام المنظور
وصار يجلس به قاضي القضاه للاحكام يوم الجمعة بعد ذهاب ملك الامرا واستمر الى
الان وفي ذي القعدة توفي البيسري بالجب وتوفي المظفر صاحب حماه وفي ذي
الحجة كثرت الاخبار بحركة التتار وعزمهم على قصد البلاد وان المحرك لهم ذلك قبجق وبكتمر
السلحدار وفيه اعيد القاضي حسام الدين الحنفي الى قضاء دمشق واعيد السروجي الى
قضاء القاهرة وفيه اعطي قراسنقر المنصوري حماه لموت صاحبها فسار قراسنقر
من الصبيبة اليها وفيه كانت على الركب الشامي هوشة بمكة وقتل جماعة وخرج نحو ستين
نفسا ونهب من كان منهم داخل مكة سنة تسع وتسعين وستمايه في اول السنة
خرج السلطان بالجيوش من مصر للقاء العدو وفي صفر درس بالظاهرية القاضي شمس
الدين سليمان الحنفي نائب الحكم وليها بعد موت شهاب الدين بن النحاس وولي الركنية
جلال الدين بن القاضي وفي ثامن ربيع الاول دخل السلطان الملك الناصر دمشق ودخل
البلد وكان قد طول الاقامة على غزة وقدم دمشق جفال حلب وحماه وتلك النواحي وقاسو
البرد والوحل واشتد الامر وقوي الذعر واقام السلطان في القلعة تسعة ايام وخرج

للملتقى

٢٨١

للملتقى وعدت التتار الفرات مع الملك قازان في ستين الفا واكثر ما قيل انهم ماية
الف ولم يصح وكثر الدعا وقنت الناس في الصلوات وعملت الختم بالجامع واجتمعت
جيوش الاسلام على حمص وحضر الناس لقراة البخاري بدمشق واخذ شيخ دار الحديث
الاثر وحمله على راسه الى الجامع ومعه القضاه ووضعوه تحت النسر وحفوا به يدعون
ويبتهلون يوم الرابع والعشرين من ربيع الاول واخذ فقها المكاتب الصغار ودارو
بهم في المساجد يدعون ويستغيثون ربهم تبارك وتعالى وفعلت اليهود والنصارى
نحو ذلك وحملوا توراتهم وانجيلهم واما الجيش فانهم تعبوا للمصاف وبقوا ملبسين
على الخيل يوم الثلثا فلم يجيهم احد وبلغهم ان التتار بقرب سلمية وانهم يريدون الرجوع
وذلك شناعة ومكيدة فركب السلطان بكرة الاربعا وساقوا من حمص الى وادي الخزندار
وقد حميت الشمس فكانت الوقعة في يوم الاربعا الخامسة من النهار السابع والعشرين
من الشهر بوادي الخزندار شمالي حمص لشرقي على نحو فرسخين من حمص وبلاده فالتحم الحرب
ودام الطعن والضرب واستحر بالتتار القتل ولاحت امارات النصر وثبت المسلمون
الى بعد العصر وثبت السلطان والخاصكية ثباتا كليا وانكسرت ميمنة المسلمين وجاءهم
ما لا قبل لهم به لان الجيش لم يتكامل يومئذ وكانوا بضعة وعشرين الفا وكان العدو ثلاثة
امثالهم وشرعوا في الهزيمة فانا لله وانا اليه راجعون واخذت الامرا السلطان وولوا
ونجوا او جموطهو بهم ومروا على حمص وساروا على درب بعلبك الى طريق البقاع ومر
خلق من الجيش منكسرين عليهم كسفة وكاتبه بدمشق واما نحن فوقعت يوم الخميس
الظهر بطاقة مضمونها ان قصاد المشد وجماعة مجرحين وصلوا الى قاره وان امر المصاف
متماسك بعد ولم يدروا ما تم بعدهم فاخفى ارجواش بباب القلعة ذلك فما امسينا حتى جمعه
اشتهر ان الميمنة انكسرت ثم قيل ان الجيش انكسر فبتنا بليلة الله بها عليم وفترت الهمم عن الدعا
ودقت البشاير من الغد تطمينا ثم بين كذبها ثم ارسل ارجواش الامهاد على جندي البلد
دقت البشاير عصر يوم الجمعة فلم يعبا بها الناس بل نفوا حامرين في هرج ومرج وجانوا
خلق من الجند والامرا قد وقع خيولهم وراحت اثقالهم واموالهم وتمزقوا ورموا الجواشن
واستشهد بالمصاف جماعة الى رحمة الله وشرع الناس في الهرب الى مصر وباتت الناس ليلة
السبت في امر عظيم قد اشرفوا على خطة عظيمة صعبة وبلغنا ان التتار قتل منهم خمسة الاف

وقتل عشرة الاف ولم يقتل من الحشر الا دون المايتين حدثني صنو بن صباح الزبيدي
قال ما رايت انفع من الخاصكية لقد رايتهم على باب حمص يحملون على التتار عند اصفرار
الشمس ويشكون في التتار ثم يرجعون الى السلطان وقال غيره الذي اسلم الزبيدي فلو
مدبرين بعد العصر وتعب العدد والامتعة ملقاة قد ملات تلك الارض والرماح
والجواشن والخود واما نحن فشرع الناس يتحدثون في امر التتار ويذكرون عنهم
خبرا وان ملكهم مسلم وان جنيشه لم يتبعوا المنهزمين وبعد تمام الوقعة لم يقتلوا احدا
وان من وجدوه اخذوا فرسه وسلاحه واطلقوه وكثرت الحكايات من هذا النمط
وفي قال انسان كبيرا سكت هو آخر من عسكرنا وانخدع الناس وفي يوم السبت الظهر وقع
بالبلد صرخات وصياح مزعج وخرج الناس وتهتكت النساء وقيل دخل التتار وازدحم
الناس في باب الفرج فمات نحو العشرة منهم النجم البغدادي الذي بثغر الغزوات تحت
قبة عائشة ثم سكت بعد لحظة من غير اصل فاجتمع اعيان البلد وتحدثوا في المصلحة
وهم فخر الدين بن الشيرجي ناظر البلد وعز الدين بن القلانسي ووجيه الدين بن المنجا وعز
الدين بن الزكي والشريف زين الدين بن عدنان وشافهوا الجفال للبلد قاضي
القضاة امام الدين والقاضي المالكي والمحتسب وابن النحاس الوالي وامتلات الطرقات
باهل الغوطة والحواضر واحرق اهل حبس باب الصغير الحبس وخرجوا كلهم وكانوا اكثر
من مائتين وكسروا اقفال باب الجابية وخرجوا منه واصبح الناس يوم الاحد ثاني ربيع
الاخر في خمدة وحيرة منهم الهارب باولاده الى مصر ومنهم الطامع في عدل التتار
وانهم مشى بهم الحال نوبة هولاكو اويهم وملكهم كغازان مكيف وقد اسلموا ثم اجتمع الجماعة
بمشهد علي واتشوروا في الخروج الى الملك وطلب الامان فحضر ابن جماعة والفارقي
وابن تيميه والوجيه بن منجا والقاضي نجم الدين بن صصرى وعز الدين بن القلانسي والصاحب بن
الشيرجي وشرف الدين بن القلانسي وامين الدين بن شقير وعز الدين بن الزكي ونجم
الدين بن ابي الطيب وشهاب الدين الحنفي وغيرهم وطلعوا الظهر يوم الاثنين بعد ما للاكل
في نحو ماية نفس ونودي في البلد من جهة ارجواش لا ساع من عدد الجند مسلطانكم
باق وابيعت الخيل والعدد باقل شي وبقي البلد بلا وال ولا قاض اما قاضيه الشافعي
فهرب هو والمالكي واما الحنفي فشهد المصاف وعدم واما الحنبلي فانه اقام باهل الصالحية

ورجعوا

ورجعوا الخبر واما محتسب البلد ومشده فهربا وغلا الخبز وكثر الشر والهرج وبقينا
كذلك الى آخر يوم الخميس وغلا سعر الطحين وسعر الخبز لعدم الطواحين وعدم الحطب
وقلته في الافرنة وقد كان الشريف القمي بادر الى المسير الى التتار فرجع يوم الخميس ومعه
اربعة من التتار على واحد منهم ثياب حلبي وكلوته بشاش دخاني وهم واما الطو رسين
تجهروا بالشهادتين والناس يسلون بالسلامة ويطمعون ثبا فلما اصبح نهار الجمعة
لم يفتح للبلد باب ثم كسر قفل باب توما كسره نائب الوالي الشجاع همام وابن ظاعن ولم يذكر
في الخطبة سلطان ثم بعد الصلاة وصل الى ظاهر المدينة جماعة من التتار معهم الملك
اسمعيل قرابة قازان فنزلوا بستان الظاهر الذي عند الطرن وحضر معه الفرمان من
الملك بالامان ونادوا في البلد افتحوا دكاكينكم وطيبوا قلوبكم وادعوا للملك محمود غازان
وقدم كبار البلد فذكروا انهم التقوا غازان بالنبك ووقف لهم واكل مما قدموا له وكان
المتكلم الصاحب ابن الشيرجي والذي دعا للملك الخطيب بن جماعة وقالوا لهم قد بعثنا
لكم الامان قبل ان تجيئوا وذكروا ان الملك ينزل بالمرج وانه لا يفتح الا باب واحد وحضر
يوم السبت اسمعيل ومعه الامير محمد في خدمتهما طايفة من التتار الى مقصورة الخطابة
بعد الظهر فجلسا بها وحضر الخطيب وابن القلانسي وابن الشيرجي وابن منجا وابن صصرى
وطايفة واجتمع الخلق لسماع الفرمان فقراه رجل من اعوان التتار وبلغه المجاهد
المؤذن وهو بقوة الله تعالى ليعلم امرا التومان والالف والماية وعموم عساكرنا من
المغول والتازيك والارمن والكرج وغيرهم ممن هو داخل تحت طاعتنا ان الله نور قلوبنا
بنور الاسلام وهدانا الى ملة النبي صلى الله عليه وسلم افمن شرح الله صدره للاسلام
فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اولئك في ضلال مبين ولما سمعنا
ان حكام مصر والشام خارجون عن طرائق الدين غير متمسكين باحكام الاسلام ناقضون
لعهودهم حالفون بالايمان الفاجرة ليس لديهم وفاء ولا ذمام ولا لامورهم التيام ولا
انتظام وكان احدهم اذا تولى سعى في الارض الايه وشاع ان شعارهم الحيف على
الرعية ومد الايدي العادية الى حريمهم واموالهم والتخطي عن جادة العدل والانصاف
وارتكابهم الجور والاعتساف حملتنا الحمية الدينية والحفيظة الاسلامية على ان توجهنا
الى تلك البلاد لازالة هذا العدوان مستصحبين الجم الغفير من العساكر ونذرنا على انفسنا

ان وفقنا الله بحوله وقوته لفتح تلك البلاد ان نزيل العدوان والفساد ونبسط العدل في
العباد ممتثلين لامر المطاع الالهي ان الله يامر بالعدل والاحسان الاية واجابة لما ندب
اليه الرسول صلى الله عليه وسلم المقسطون على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه
يمين الذين يعدلون في حكمهم واهليهم وما ولوا وحيث كانت طويتنا مشتملة على هذه
المقاصد الحميدة والنذور الاكيدة من الله علينا بتبلج تباشير النصر المبين واتم علينا
نعمته وانزل علينا سكينته وكسرنا العدو الطاغية والجيوش الباغية وفرقناهم ايدي سبا
ومزقناهم كل ممزق حتى جاء الحق وزهق الباطل فازدادت صدورنا انشراحا للاسلام
وقويت نفوسنا بحقيقة الاحكام منخرطين في زمرة من حبب اليهم الايمان فوجب علينا رعاية
تلك العهود الموثقة والنذور المؤكدة فصدرت مراسيمنا العالية ان لا يتعرض احد من
العساكر المذكورة على اختلاف طبقاتها لدمشق واعمالها وساير البلاد الشامية
وان يكفوا اظفار التعدي عن انفسهم واموالهم وحريمهم واطفالهم ولا يحولوا حول
حماهم بوجه من الوجوه حتى يشتغلوا بصدور رحيبة وامال مفسوحة بعمارة البلاد
وبما هو كل واحد بصدده من تجارة وزراعة وكان في هذا الهرج العظيم وكثرة
العساكر تعرض بعض نفر يسير الى بعض الرعايا واسرهم فقتلناهم ليعتبر الباقون ويقطعوا
اطماعهم عن النهب والاسر وليعلموا انا لا نسامح بعد هذا الامر البليغ البتة وان
لا يتعرضوا لاحد من اهل الاديان من اليهود والنصارى والصابئة فانهم انما يبذلون
الجزية لتكون اموالهم كاموالنا ودماؤهم كدمائنا لانهم من جملة الرعايا قال عليه السلام
الامام الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته فسبيل القضاة والخطباء والمشايخ والعلماء
والشرفاء والاكابر وعامة الرعايا الاستبشار بهذا النصر الهني والفتح السني واخذ
الحظ الوافر من الفرح والسرور ومقبلين على الدعاء لهذه الدولة القاهرة والمملكة
الظاهرة وكتب في خامس ربيع الاخر فلما فرغ من قراءته نثر عليه ذهب وفضة بالمقصورة
ونثر الشريف زين الدين نحو عشرين دينار وكان واقفا مع المغول على السدة وصحت
العامة ودعوا للملك وسكن جاشهم بعض الشي وجعل نائب البلد الملك اسمعيل
وجلس بالعمرية وكان فيه عقل واسلام وقلة شر في الجملة ثم طلبوا يوم الاحد المال
والجبل مع العامة وفي عشر ربيع الاخر قرب الجيش من الغوطة ووقع العيث

والفساد

والفساد وقتلوا جماعة من اهل البر ونهبوا انفارا من اهل الضياع وتقدم قبجق
وبكتمر في طايفة فنزلوا بالميدان وتكلموا مع متولي القلعة علم الدين ارجواش
المنصوري وراسلوه في تسليم القلعة واشتدوا عليه بذلك فلم يقبل وصمم وكان
خبيرا تام الامر واعان البلد بالمشي اليه من الغد فاجتمعوا به وسالوا وقالوا هذا فيه
حقن لدماء المسلمين فلم يلتفت عليهم وقد حصن القلعة وهيا جميع امورها وسترها
وطلع اليها جماعة كثيرة من البلد ويوم الثاني عشر منه دخل السلطان وجمهرة جيشه
الى القاهرة وفي هذا اليوم دخل قبجق الى البلد وجلس بالعزيزية وامر الاعيان
بمراجعة ارجواش فكلموه فلم يجبهم واهانهم ووقفوا كلهم عند باب القلعة وطلبوا
منه رسولا فابى فبعثوا من كلمه فاغلظ لهم وقال انتم منافقون بلقيتم التتار وسلمتم
اليهم البلد و[illegible] ومع هذا فهذه بطاقة صاحب مصر وانهم اجتمعوا على غزة
وانهم كثير والطايفة التي تبعتهم وكان المقدم بولاي قد ساق وراء العساكر في نحو
عشرة الاف فوصل الى غزة وخرب البلاد وسبى ونهب ويوم الخميس ثالث عشر الشهر
تحدث الناس بصلاة قازان الجمعة في البلد فغلق الناس دروب الدروب وردموا
خلف ابوابها الطين والحجارة وكثر دخول التتار الى بيوت الناس يفتشوا على الخيل
وياخذونها ويخطفون ويوذون وبات ليلة الجمعة قبجق وعز الدين بن القلانسي فخطب
الخطيب يوم الجمعة بالبلد واقام الدعوة للسلطان مظفر الدين محمود غازان ورفع
في لقبه ذلك بحضرة جماعة من المغول ثم صعد بعد الصلاة قبجق واسمعيل الى السدة ثم
ودعا عبد الغني المؤذن وذكر القاب قازان ثم قرى على الناس بولاية قبجق لنيابة الشام
وان اليه تولية قضاتها ونوابها وبلغ للناس عبد الغني ذلك واعطى الناس الذهب
والدراهم وحصل فرح ما بتولية قبجق وتعب قبجق بالسار كل التعب ولكنه كان شاطرا
ذا دهاء وراي وحيلة فدعوف سياستهم ونزل شيخ الشيوخ الذي لقازان ولقبه
نظام الدين محمود بن علي الشيباني بالمدرسة العادلية واظهر العتب على الروسا اذ
لم يترددوا اليه وزعم انه يصلح امرهم ويشفع فيهم على ما يفعل في امر القلعة واظهر ان قبجق
من تحت اوامره واما اهل الصالحية فانهم تبلشوا ونشبوا بالقعود وجاءهم مقدم وقعد
لهم فاكلهم واستحلبهم وزوجه القاضي بصبية ولم يكن عنده دفع عنهم وشرعت التتار في

نهب الصالحية والعبث والفساد وبقي كل يوم يقوى شرهم ويكثر عبثهم واخذوا منها
شيئا كثيرا من القموح والغلال والقماش والذخاير وقلعوا الشبابيك وكسروا واحرقوا
واخذوا بسط الجامع والتجا الناس الى دير المقادسة فالتجئوا اليه فاحتاط به التتار
في ثامن عشر الشهر ودخلوه ونهبوا ابنيته وسبوا الحريم والاطفال فخرج اليهم شيخ المشايخ
نظام في جماعة من التتار فادركوهم وردوا عن الدير بعض الشي وهرب النسا بما
حووا وتوجهت فرقة الى داريا فاحتمى اهلها بالجامع فحاصروه واخذوه ودخلوا ونهبوا
وقتلوا واسروا اهل داريا ولم يزالوا يسرحون في نهب الجبل وسبي اهله قليلا قليلا فرقة
تذهب وفرقة تاتي ويفتشوا طاقات القماش والاثاث وعاقبوا وكانت غاية امرهم
الدير فاستباحوه ولم يتركوا به الا العاجزين في البرد والجوع والعري ودخل الرجال
حفاة عراة عليهم خلقان كانهم الصعاليك لما هم فيه من انواع العقوبات والجوع وشدة
البرد والسهر وذهاب الاولاد والحريم فانا لله وانا اليه راجعون وسارت فرقة
الى المزة وكان بها اكثر اهلها فما اعتروا وقعدوا فاوطاوهم خوفا ونهبا وبوارا
وكان الشيخ تقي الدين بن تيمية تلك الايام يتردد الى من يرجوا نفعه الى شيخ المشايخ
والى العلم سليمان والى قبجق ثم انه خرج مع جماعة يوم العشرين من الشهر الى قازان وهو
بتل راهط فما دخل عليه ولم يمكن من اعلام قازان بما يقع من التتار وخافوا ان يغضب ويقتل
اناسا من المغل واذن له في الدعا والاسراع واشار عليه الوزير سعد ورشيد الدين
اليهودي مشير الدولة بان لا يشكوا التتار ونحن نتولى صلاح الامر ولكن لا بد من
ارضا المغل فان منهم جماعة كثيرة لم يحصل لهم شي الى الان وعاد الشيخ الى المدينة ثم من
الغد يوم الثاني والعشرين شهر انه لا بد من دخول المغل الى البلد والنهب وظهر ذلك وجهز
شيخ المشايخ ثقله من العادلية وخرج الى الاردو واشار على من يعرف بالخروج من
البلد فاسرع اليه الاعيان وبذلوا في فدا البلد الاموال والتمسوا منه ان يتوسط لهم
وكان شيخا خبيثا طماعا وربما فعل ذلك خديعة وقيل بل ليس قازان للمغول ثم خرج منه
مرسوم في جوف الليل بان من عاودني في امر دمشق يموت واما الناس فباتوا في ليلة
من عجة واصبحوا في بلا شديد وبرد مفرط وانضم جماعة الى شيخ المشايخ يرومون الاحتما
به وهو في ذلك خصيم لا يفرج عنهم كربة ولا يرق لمسلم ثم لطف الله وبطل ذلك ولكن اضعف

المقرر

المقرر على الناس وحسب الاموال وناب الناس في الترسيم اموال كثيرة فكان ذا وضع
على الانسان عشرة الاف يتنوبه ترسيم نحو الالف واخذ هذه الايام من البلد اكثر
من عشرة الاف فرس وساير الحمير ووقع الضرب والتعليق والعصر وقرر على سوق
الخواصين مائة الف درهم وعلى الرماحين مائة الف وعلى اهل سوق علي ستون الفا
وعلى الكارم مثل ابن منجا وابن القلانسي سبعون الفا سبعون الفا وبلغها مائة
الف و الطبقة الثانية ثلاثون الفا ونحو ذلك والزموا المبيت بالجامع بالمشهد
الحديد واحرق بالكبار وضرب جماعة من الاماثل وكثر النهب وسلخ من يتطوف
واشتد ذلك يوم الجمعة ثامن وعشرين الشهر وكثرت الصيحة باعالي الدور وحمل الشيخ
شمس الدين بن غانم الى الجامع مريضا وطلب منه مائة الف وصودر القاضية
والقصاعون وكان شد المصادرة علا الدين استاذ دار قبجق والذي يقرر على الناس
الصفي السنجاري قدم مع التتار والجن والبغاة والاوغاد الحورانية وكثرت العوانية
وظهرت النفوس الخبيثة بالاذية والمرافعة ونهبت اهرا الامرا ودورهم وذكر
الشيخ وجيه الدين بن المنجا ان الذي حمل الى خزانة قازان ثلاثة الاف الف وستمائة
الف درهم سوى ما تمحق من الترسيم والبرطيل وسوى ما استخرج لغيره من الكبار
بحيث انه اتصل الى شيخ الشيوخ ما يقارب ستمائة الف درهم قلت واشتد البلا
وهلك ناس كثيرة في هذه المصادرة وافتقروا الى اليوم وبعضهم ركبه الدين
وحمى من بعض الناس على الرؤس والدور ثم يوم التاسع والعشرين نودي في
البلد بالاطلاق للطلب وانصرف الاعيان الى بيوتهم وفي سلخ الشهر كان قبجق
قد سكن بدار السعادة ويذهب اليها من حارة الغربا فرموا عليه بالمنجنيق وبالنار
من القلعة فوقع فيها الحريق وابتدا يومئذ بحصار قلعة دمشق من داخل البلد
وخارجه ودخل المغل للحصار وملاوا باب البريد الى الظاهرية الى ناحية الخانونية
وحارة البلاطة وباتوا هناك وعملت هذه الايام المجانيق للتتار بجامع دمشق
وقطعت لها الاخشاب النفيسة من الغيطة وحضرت الاعواد الكبار الى الجامع
وبات اليزك يحفظها وكسرت دكاكين باب البريد ونهبت وتحول في الليل جميع اهل
تلك النواحي من الاسطحة وذهب اموالهم واقواتهم وتعثروا وقاسوا الشدايد ولم يبق

بذلك الخط دبا من اهله ونهبت دار السكر يومئذ وابادتها الحرافشة واما الجيوش
فدخلت القاهرة واستقر بهم السلطان وشرعوا في شرا الخيل والعدد وغلت هذه الاشيا
حتى ابيع الجوشن الذي يعتبر بمائة درهم ونحو ذلك وكانت نفقة عظيمة لم يعهد مثلها
ولا سيما في الشاميين ولعلها تجاوزت الف الف دينار وارتحت على الجيش بكل ممكن
واحتفل بسلاد لذلك واجتهد بكل ممكن هو وكبار الامرا وبعثوا قصادهم يكشفون
لهم خبر الشام وبذلوا لهم ذهبا كثيرا ولزم الناس بيوتهم وخافوا من الزام التتار لهم
بطم خندق القلعة وغير ذلك وفي ثاني جمادى الاولى كان قد بقي بدير المقادسة بعض
الشيء وبعض الحرم والرجال والقاضي الحنبلي فجاءته فرقة من التتار وجردوه نهبا
وسبيا واسروا القاضي واخذوه عريانا مكشوف الراس وعملوا في رقبته حبلا ثم
هرب اهل الدير ودخلوا البلد مرضى وبين مجرحين ومسلوبين من ثيابهم سكى اكثرهم مكانهم
ثم ادخل القاضي تقي الدين البلد وقد اسرت بناته وخلق من اقاربه وراى الاهوال
ولعل الله قد رحمه بذلك ولما راى القلعيون حصار التتار لهم اطلقوا النار في دار
الحديث الاشرفية وما جاورها والعادلية ودار الملك الكامل ودار بكتوت
العلاي وغالب ما حول القلعة وسلمت الدماغية والعمادية والقيمازية وبقي الجامع
ملآن بالغربا والمساكين والفلاحين كانه تحت القلعة وقيل انه اسر من الصالحية
نحو الاربعة الاف ومن بلدة الضياع والقدس الى نابلس الى البقاع شي كثير لا يعلمه
الا الله وقيل انه قتل بالصالحية نحو الاربعمائة وقلع شي لا يوصف ولا يحد من الابواب
والرخام والشبابيك وغير ذلك من سائر الاماكن البرانية وخراب الاماكن الجوانية التي
حول القلعة وابيع بالهوان وبقي سائر اهل البلد في ثياب ضعيفة وعمائم دون
تخافيف عتيقة خوفا من التشليح وتراجع امر المصادرة والعقوبة الى حاله وطلب
من المدارس مبلغ كثير نحو المائتي الف وانعسفت النظار والعمال وغلت الاسعار
وفي هذه الجمعة قرئ بالجامع فرمان فيه صيانة الجامع وحفظ اوقافه وان يصرف
في السبيل والحج ما كان يوخذ لخزائن السلاح وان تضرب الدراهم فضة خالصة
وفي ثاني عشر جمادى الاولى رحل قازان عن الغوطة طالبا بلاده وتخلف بالغوطة نائبه
خطلوشاه في فرقة من الجيش وفي ثالث عشر جمادى الاولى امر اهل العادلية بالخروج

منها

منها لاجل حصار القلعة نحو المشقة وشدة وتركوا معظم حوائجهم واقواتهم تنهب
وفي ثامن عشر جمادى الاولى دخل البلد خلق من المغل وحاصروا القلعة ونقبوا
عليها من غربيها وبقي اهل الظاهرية وهي ملاى بالناس في ضر وخوف من نزول التتار
وهلكوا من انقطاع الما وخافوا لا تفعل بهم التتار كما فعلت بالعادلية واخرجت اهلها
فهربوا من الاسطحة بمشقة زائدة واحرقت التتار الكرج والارض من جامع العقيبة
ومارستان الجبل والذهبية والمدرسة الصاحبية والرباط الناصري واماكن في
غاية الكثرة والحسن واحرقت العادلية في ليلة الحادي والعشرين من جمادى الاولى
فهرب من بقي بالظاهرية عند ذلك ويوم الجمعة تاسع عشر الشهر قرئ تقليد بحكم
بالنيابة وتعليقه للامير ناصر الدين يحيى بن جلال الدين بن صاحب ختن بالشد وفيه
اننا نرجع الى بلادنا وقد تركنا بالشام ستين الفا من جيشنا وانا سنعود في الخريف
لاخذ الديار المصرية وفي الثاني والعشرين منه بطل التتار حصار القلعة ومشى
الناس في تلك النواحي وقد تعبت بلاقع من الحريق والخراب وذهاب الابواب
والاخشاب وفي الثالث والعشرين بطل عمل المنجنيق فنزل ابرار العدا القلعية ونشروا
الاخشاب واقتدوها وطفوا وابا الشريف القمي فاسروه واحدروه الى القلعة
ورحل عن البلد النوين خطلوشاه وصاحب سيس وخف التتار من البلد جدا
وقلعت ستا ابوابهم من اماكنها وتنسم الناس الخير وعبرنا في باب البريد فاذا
هو الخيش مرخان في منزله دكاكينه بوابك وارضه مرصوصة بالزبل سمك ذراع
واقل ووصلنا الى باب النصر ودقت البشاير يومئذ بالقلعة وخطب لسلامتها
ولله الحمد وخرج يومئذ من البلد الصفي السنجاري والامير يحيى ونودي في البلد
اخرجوا اعدا للقا سلطانكم قبجق فقد دفع الله عنكم العدو ورجع الامير سيف
الدين قبجق وبكتمر السلحدار والبكي وجماعة من الجند بلغوا الى من البلد وظهروا
واخذت له عصابة من نوبة الملك الظاهر رنك الملك السعيد قد زالت عنها
السعادة فجعلت في رمح على راسه وسلك بين يديه سيوف وخرج الناس الى
الغوطة والجبل يتوجهون على مساكنهم مزعجين ويفرحون بسلامتهم من وجه وحكى لنا
ان ابن تيمية طلوعه الى خطلوشاه الى الغص هو والقاضي تقي الدين الحنبلي وغيره

ونابوا بالمنيبع وخاطروا بنفوسهم وحصل واعتقد قطلوشاه فراه كهلا امرد اصفر كبير
الوجه عليه غضب وزعاق وانه من ذرية جنكزخان ورأى صاحب سيس وافقا له حدثت
وذكر لنا اجتماعه بقازان ودعاه له الى الصلاح واجتماعه بالوزير سعد الدين
ورشيد الدولة الطبيب والنجيب اليهودي الكحال وشيخ الشيوخ والسيد قطب
ناظر الخزانة والاصيل ولد النصير الطوسي ناظر الاوقاف وهولاء منتهوا البلاد
وبيعت الكتب واحرقوا الحديث بالهوان ولم يورع احد عن شرابها الا القليل وكشطت
وقفيتها وغسل بعضها للوراقة وعدم شيء كثير من اصول المحدثين وسماعاتهم وغلت
الاسعار ووصل القمح الى نهاية درهم وبيع الزبيب او قنينين ونصف بدرهم ورطل
اللحم بتسعة دراهم والاوقية الخبز بقريب درهم الى نحو ذلك ونفى ونحو بعمل السلطنة
وركب بالشاويشية والعصابة وجمع له نحو مائة فارس وامر جماعة وراتبهم
لاتباع الشرابيش وولى ولاية البلد استاذ داره علاء الدين وجعله امرا وجهز نحو
الف من التتار الى جهة خربة اللصوص وولى شمس الدين بن الصفي السنجاري حسبة
البلد وركب بخلعة بطرحه وفتح ابواب المدينة سوى الابواب التي حول القلعة
ويوم الجمعة رابع جمادى الاخرة صلى الامير يحيى بالجامع ويومئذ ضربت البشائر
بالقلعة وعلى باب قبجق وسكن في دار بهاء الدين وفي وسط الشهر نودي في دمشق
باراقة الخمر والفاحشة وجعل ذلك بدار ابن جرادة بالسعة وضمن ذلك في اليوم بنحو
الالف وخرج جماعة من القلعة وتشاقفوا عند باب الجابية وهرب منهم السادات وضرب
العوام التتار وحصل بذلك شوشه وغلق باب الصغير وقتل من التتار جماعة فيما
قيل وفي عشرين من الشهر رجع بولاي من الغور سعد منه وجاوا الى ظاهر دمشق
وخاف الناس وحمى لهم من البلد جملة ثم خرج جماعة من القلعة وخلصوا غنايم التتار
وقتلوا جماعة وقتل منهم ايضا جماعة واضطرب البلد وفي الثامن والعشرين من الشهر
دخل الخطيب بدر الدين وطايفة الى القلعة ومعهم نايب الامير يحيى وتكلموا مع ارجواش
في صلح يكون بينه وبين نواب التتار وقبجق فلم يقع اتفاق وفي ثاني رجب جمع قبجق الاعيان
والقضاه الى داره وحلفهم للدولة القازانية بالنصح وعدم المداجاه وتوجه يومئذ
ابن تيمية الى مخيم بولاي بسبب الاسرى واستفكاكهم من اصحابه فغاب ثلاث ليال ويوم

ثالث

ثالث رجب توجه جماعة من الروسا بطلب الى مخيم بولاي ورجعوا من الغد فنهبوا
عند باب شرقي واخذت عمايمهم وثيابهم ودخلوا فطلبوا في اليوم بعينه فاختفى
بعضهم وتوجه البعض فسافر بولاي والتتار واخذ معهم بدر الدين بن فضل الله
وامين الدين بن شقير وعلاء الدين بن القلانسي وولد شمس الدين بن الاثير فاطلقوا
من عند الغزات ابن شقير فتوصل الى حلب وفي رابع رجب طلع الناس الى المآذن
واخبروا انهم راوا خلقا من التتار راجعين في عقبة دمر ورحل بولاي الى بعلبك
والبقاع ونطقت نواحي دمشق منهم والبلد وسافر الناس في عاشر رجب الى القبلة
والشمال ويومئذ صلى قبجق الجمعة في جمع كبير معه بالعدد والسلاح في مقصورة الخطابة
ويوم ثالث عشر رجب تشوش البلد بسبب رجوع طايفة من التتار الى ظاهر باب شرقي
وكان الناس يتفرجون في غياض السفرجل فرجعوا اسرع شيء وشلح بعضهم واخذ بعض
الصبيان ثم كان هذا اخر العهد بالتتار وكفى الله امرهم واما قبجق فانه يوم نصف
رجب انفصل عن البلد هو واتباعه ومعه عز الدين بن القلانسي وتوجهوا الى نحو مصر
فقام ارجواش بامر البلد وامر بحفظ الاسوار والمبيت عليها بالعدد وانه من بات في
داره شنق واغلق ابواب البلد ثم فتح للناس باب النصر بعد ارتفاع النهار وعمل
الناس من الحواض فلما كان يوم الجمعة سابع عشر رجب اعيدت الخطبة بدمشق لصاحب
مصر بعد ذكر الحاكم بامر الله وصح الناس عند ذلك وفرحوا وكانت مدة اسقاط ذلك
مائة يوم ويومئذ دار ابن تيمية واصحابه على ما حدث من الخمارات فبددوا الخمر وشقوا الظروف
وعزروا الخمارين ثم زين البلد من الغد يوم السبت ويوم عاشر شعبان قدم الامرا باب
دمشق بعسكر دمشق ثم قدم امير سلاح والميسرة المصرية بعد يومين ثم دخلت الميمنة
وعليها الحسام استاذ دار ثم دخل يوم رابع شعبان القلب وعليه نايب المملكة سلار
ونزل الكل بالمرج وفيه ولي القضا بالشام ابن جماعة وقضا الحنفية ابن الحريري
ودرس بالامينية جلال الدين بعد العزل عنها المتوفي الى رحمه الله وولي نظر الدواوين
ابن الشيرازي عوضا عن المتوفي ابن الشيرجي وولي برا البلد الامير عز الدين ايبك
الدويدار النجيبي وفي اواخر رمضان رجع سلار بالجيش الى القاهرة وفي شوال بعث
الشريف زين الدين بن عدنان من القاهرة مقيدا وحبس بباب البريد الصغيرة ونفي

شوال توجه ملك الامرا الافرم الى جبال الجرد لحربهم فانهم كانوا قد بدعوا في الجيش
عقيب الكسرة واسروا وقتلوا وسلبوا وما اتقوهم كما ومع هذا فغالبهم ان يكونوا رافضة
والا فبعض الناس يقول بهم زنادقة مخلين من الدين فذلوا ودخلوا في الطاعة وردوا
وقرر عليهم مبلغ كثير من المال والتزموا برد جميع ما اخذوه للجند واقطعت ارضهم
وفي ذي القعدة الزم الناس بتعليق العدد والامر واستعمال الرمي وحدث في الاماجات
في المدارس والمساجد ونودي في الناس بذلك وارسل قاضي القضاة الى جميع
المدارس والفقها بذلك وكتب الى جميع البلاد الشامية في هذا المعنى سنة سبعماية
في اولها طلب الديوان المستخدم الاستخراج اربعة اشهر من جميع الاملاك والاوقاف
التي بدمشق وظاهرها فاعظم ذلك على الناس وهرب غير واحد واختفى اخرون ثم
كثرت الاراجيف بمجي التتار وشرع الناس في الجفل الى مصر والى الحصون واشتد
الامر في صفر وغلا الكرا وبلغ كرا المحارة خمسماية الى مصر وبيعت الامتعة والنحاس
بالهوان ثم نودي في البلدان لا يسافر احد الا بمرسوم وخاف فساد المسلمين بركوب التتار
فاحتبط البلد ودقت البشاير لركوب السلطان من مصر ثم جعل من البلد ستا ابن فضل الله
في جمع كبير ثم ست قاضي القضاة وبني صصرى وبني القلانسي وبني المنجا وخلق كثير وفي
ربيع الاول فكثرت الاخبار بسرا ووصل السلطان الى غزة فلما استهل ربيع الاخر كثرت
الاراجيف والانزعاج بالتتار ووصل بعضهم الى البيرة فخرج جيش دمشق كله وعرضت
العامة والعلما وغيرهم فبلغوا خمسة الاف ووقع الشد بدمشق عوض اقبال الامير
سيف الدين بلبان الجوكندار المنصوري الحاجب وفيه عدا العدو المحذور الفرات وقنت
الخطبا في الصلوات واشتد الامر ودخلت التتار الى حلب وتاخرنا بها الى حماه واكريت
المحارة بسلماية وخرج الناس هاربين على وجوههم ثم نودي في اواخر الشهر بابطال الجباية
وكان قد جبي الاكثر وبقي كل معتر وضعيف وهارب وما نفع الله بما استخرجوا من الاموال واكلت
وتمسحت واشتد المطر والوحل الى الغاية وقاسى المهربون الشدايد في الطرق حتى ان
الامام استسقى في الخطبة وساق بتخاص المنصوري الى السلطان ويهونا دل على بعد عش
بقرب قانون لتخبره بان العدو في البلاد وقد قربوا فضعف الجيش عن اللقا وجبنوا ورحل
السلطان الى الديار المصرية ولم تظهر لمجيبه ثمرة فوحلت القلوب واختبط البلد وانفق الناس

بالهرب

بالهرب او العطب واكريت المحارة بخمسماية في الوحل العظيم والبرد الشديد والامطار
وهلك الدواب والناس في الطرق واستهل جمادى الاولى والناس في حالة الله بها
عليم فخرج يوميذ شيخنا ابن تيمية الى المرج فاجتمع نايب السلطنة وسكنه وثبته
واقام عنده يومين ثم ساق على البريد الى السلطان فلم يدركه وفات الامر فسافر
الى القاهرة فدخلها يوم دخول الجيش ويوم سابع جمادى الاولى قدم مكين السحداد
في الف فارس وسقط الناس ورجعه الناس الى بلادهم واستمر واني الكرا والسفر
والجفل من البلد امر عظيم ويوم التاسع من الشهر اصبح الناس في خوف مفرط وذلك
ان والي البلد ابن النحاس حث الناس بنفسه وصار يمر على التجار بالاسواق ويقول
ايش قعودكم ومن قدر على السفر فليبادر ثم نودي في البلد بذلك الظهر فصاح
النسا والاولاد وغلقت الاسواق وبقي الناس في كآبة وغمة وقالوا عسكر
المسلمين قد فرط فيه الامر المصريون قد رجعوا وعسكر الشام لا يقوم بملتقى قازان لو
تشتوا كيف وهم عازمون على الهرب والنايب الافرم من عزمه الملتقى لو ثبت معه الجيش
اما اذا خذلوه وانه يقوم ابن تيمية يرد العدو في حيلة وتحدث الناس ان قازان يركب
من حلب اليهم في عاشر جمادى الاولى ودخل القلعة في هذا اليوم خلق كثير باقواتهم
واموالهم حتى ضاقت بالخلق وانوضت حتى رضي كثير من الناس بان يبيح لهم مكان لجلوسهم
لا يمكنهم فيه النوم وحطوا في امرهم وبولهم ثم نودي في عاشر الشهر من قصد الجهاد
فليقعد وليتهيا له ومن هو عاجز فليبح بنفسه ثم خرج من القلعة طلق فما حل بهم من الضنك
والويل ومحوا الى مصر والقلاع وسافر من بقي من البلد من الكبار الذين جلسوا احرابد
فسافر قاضي القضاة ابن جماعة والقاضي نجم الدين صصرى والقاضي شمس الدين
الحريري وشرف الدين بن القلانسي ووجيه الدين بن المنجا واستناب ابن جماعة في
القضا والخطابة التاج الجعبري والبرهان الاسكندراني وطلع الى المرج الشيخ
زين الدين الفارقي والشيخ ابرهيم الرقي والشيخ محمد قوام والشيخ شرف الدين بن تيمية
وابن حبارة وطايفة وحرضوا الافرم على الثبات وشكوا اليه ما نزل بالناس فيما هم فيه
من الجلا فتالم لذلك ووعدهم ثم قصدوا الامير مهنا وساقوا وراه في البرية مسيرة
يومين عن البلد فاجتمعوا به وقووا عزمه على الرجوع وملتقى العدو مع الافرم فاجابهم وتالم

البرية خوف وخرج عليهم حرامية العرب وشهروا عليهم السلاح وسلمهم الله ثم قدم الامير
عز الدين الحموي بجماعة من مصر جند وفي سابع عشره وقع برك الحمو بن علي اغنا في التتار
فنصرهم الله وقتل من التتار نحو المائة وقيل اكثر من مائتين واسروا من التتار بضعة
عشر نفسا ووقعت بطاقة فيه بذلك وبان الطاغية قازان رد من حلب وانه عدى
الفرات الى ارضه في حادي عشر الشهر وطلب متولي حماه نجدة ومددا ففرح الناس
ولعبوا [illegible] وابتهلوا الى الله في كشف ضرهم ثم وصل البريد في تاسع عشر واخبر
بتحقق ذلك وان التتار المتخلفين في بلاد حلب خلق كثير لكنهم في نهاية الضعف
والبرد والثلوج وغلا اللحم في هذه الجمعة بدمشق حتى بلغ الرطل تسعة دراهم وحتى
ابيع راس [illegible] بخمسماية درهم ونزلت الغله بسبب الجفل الى مائة درهم واستهل
سباط والامطار في غاية الكثرة وفي الخامس والعشرين من جمادى الاولى وصل
كتاب ابن تيمية بانه دخل القاهرة في سبعة ايام واجتمع باركان الدولة وحصل نحو نصف
ترغيبه وترهيبه خير وتحركت همم الامرا واعتذروا ونودي في القاهرة بالغزاة
وقوي العزم وانه نزل بالقلعة ثم وصل الينا يوم السابع والعشرين من جمادى الاولى
ثم خرج الناس من القلعة ووقعت الطمانينة والحمد لله وبطل الناس القنوت في ثالث جمادى
الاخرة ومشت الاحوال بها في ثالث عشره دخل الاقوش من المرج بعد ان اقام به اربعة
اشهر ودخل معه بكتمر السلحدار وعز الدين الحموي وبها الدين يعقوبا وشرع الجفال
يعودون من الصبيبة والحصون هذا والتتار نازلون بناحية دربساك وبغراس يشتغلون
في المراعي ويعيثون ولا لهم من يمنعهم ولا من يطردهم وما جاوزوا الفرات الى ثاني رجب
وفي حادي عشر رجب دخل الامرا المجردون لحمص واستقل لنا بخروج التتار من الشام
وسلم الله وفي شعبان قرئت الشروط على اهل الذمة بحضور الامرا والقضاه وحصل
اتفاق على عزلهم من الولايات ومنعهم من ركوب الخيل ومن العدالات ثم الزموا بلبس الاصفر
والازرق من العمايم فبادروا الى ذلك واستمر هذا من حينئذ وفي رمضان دخل زين
الدين ابن المنصوري القلعة وجعل شريكا لارجواش وفي ذي القعدة ولي بها قضا
الحنفية جلال الدين الرومي موضع ابن الحريري ولاه النايب والوزير الامير شمس الدين
الاعسر وكان قد قدم ثم توجه الى البلاد الشامية بكشفها ورجع بعد شهر وقدم رسول
الملك

قازان فجهز الى الديار المصريه والله يجمع كلمة الاسلام في خير وعافيه وهذا اخر
ما قضى الله ما ليبغه من كتاب تاريخ الاسلام في المجلد الاخير من كتاب تاريخ الاسلام
والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين
غفر الله لكاتبه ولمن دعا له ولجميع المسلمين اللهم صل على محمد امين

فيه

الشهيد نور الدين ابن عساكر المستضيء بأمر الله السلفي أحمد بن الرفاعي
يوسف بن عبد المؤمن الشيخ حياة عبد الحق السهيلي أبو موسى المديني أسامة الأمير
ابن عمرون السهروردي سنان السلطان صلاح الدين الشاطبي أبو مدين
صاحب المغرب خوارزم شاه القاضي الفاضل ابن كليب ابن الجوزي
ابن المنجا الإمام فخر الدين مجد الدين ابن الأثير ابن الربيع ابن سكينة ابن طبرزد
العماد الكاتب الحافظ عبد الغني بهاء الدين صاحب غزنة الصيدلاني حنبل
الجزولي الشيخ أبو عمر صاحب المغرب العماد بن عساكر ابن الأخضر الحافظ ابن المفضل
ابن الصباغ التاج الكندي الشيخ العماد العادل الشيخ عبد الله اليونيني
خوارزم شاه المؤيد الطوسي نجم الدين الكبرى الشيخ الموفق محب الدين بن عساكر
يوسف ملك الغرب الناصر لدين الله ابن التيمية الرافعي الظاهر بأمر الله
جنكزخان الملك المعظم ابن القطان خوارزم شاه العبادي عز الدين ابن الأثير
صاحب إربل ابن الزبيدي ابن الفارض السهروردي الشيخ غانم القاضي الجيلي
أبو الربيع الكلاعي الملك الكامل الأشرف المستنصر بالله الملك الجواد القاضي الدبيع
شمس الأئمة ابن الصلاح السخاوي الضياء الحافظ الحريري ابن الحاجب
الملك الصالح الصاغاني نجم الدين الملك المعز الناصر صاحب الكرك الزكي عبد العظيم
محيي الدين ابن الجوزي المظفر قطز الناصر يوسف ابن عبد السلام القباري
ابن سبعين ابن مالك التلعفري الملك الظاهر النووي ابن الشيخ جمال الدين
العلاء بن النفيس الملك المنصور ابن الواسطي الملك الأشرف الفاروثي